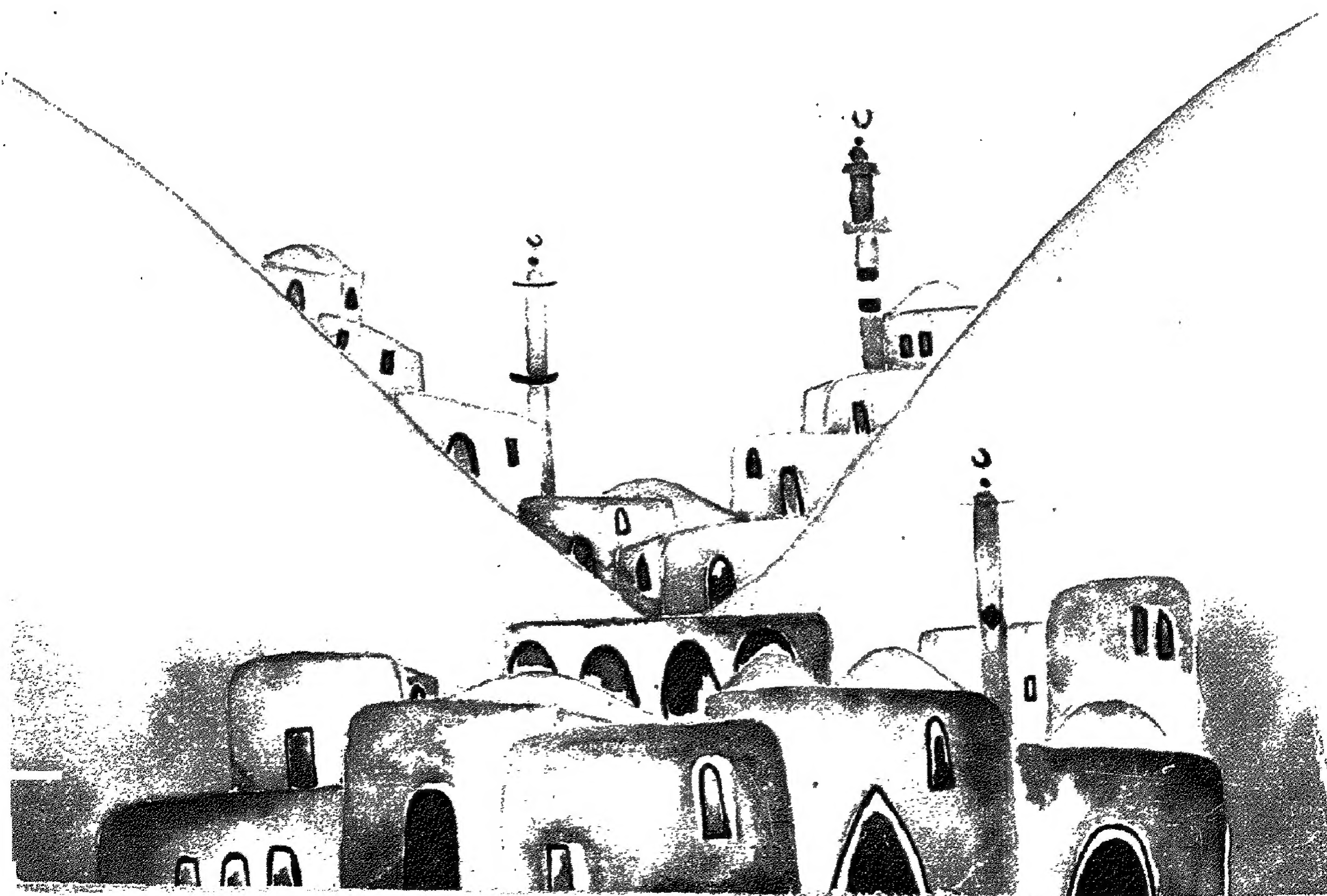
شؤون فلسطينية

٧٥/٧٤ كانون الثاني (يناير) شباط (فبراير) ١٩٧٨



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش
سكرتير التحرير : الياس خوري

كانون الثاني (يناير) شباط (فبراير) ١٩٧٨ — ٧٥/٧٤

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص·ب ١٦٩١ · تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،

برقيا مرابحاث ، بيروت ·

مدير التوزيع : غازي دانيال

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل·ل· في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل·ل· في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل·ل· في اوروبا ، ١٢٥ ل·ل· في بقية بلدان العالم

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل·ل· في جميع الدول غير غير العربية ·

الغلاف بريشة :
جمانة الحسيني

اعــلان حرب

كانت أمطار اخر السنة تجرف اوهاما سياسية وفكرية غزيرة · وكانت اميركا هـــي الحريصة ، اكثر من حلفائها وعشاقها ، على الاطاحة بصورتها العربية المحاطة بالاماني والصلوات · فرشت زخات من التصريحات الحاسمة حول موقفها النهائي من الصراع العربي ـ الصهيوني ومن شروط الاتجاه بهذا الصراع التاريخي الى مسار الصلـح والنسيان ، رفضت اميركا دور « الحكم » الذي اختاره لها عربها واعرابها ومستعربوها ، وحافظت على موقعها الصهيوني الهجومي ·

ليست خيبة الامل لنا ، لاننا لا نتخلى ، بسبب او من دون سبب ، عن ادراكنا التاريخي لجوهر الامبريالية والصهيونية وطبيعتهما ودورهما في بلادنا الصغيرة وفي وطننا الكبير ، مقابل وعد من رئيس لطيف المعشر والمظهر يشتري العالم الثالث بزجاجة كوكا كولا وابتسامة يومية · ولكنها خيبة الذين يعتبرون الارادة الاميركية في هذا العصر بمثابـة قضاء وقدر غير قابل للرد ، فسلموها مفاتيح « السلام » القائم على تفكيك عناصر القوة الذاتيـة العـربية ·

أميركا هي اميركا · وحين يخف الضغط عنها تعود الى صورة الحصان الفولكلورية وتغزو · وعندما كانت الثورة الفلسطينية تدخل عامها الرابع عشر كان الاميركـي ـ الصهيوني اياه يتحدانا : « وداعا يا منظمة التحرير » ، بعدما قالها الحاكم المصري بطريقة اخرى · لم تغير أميركا طبيعتها لنصاب بالدهشة ، ولكن من الضروري ان نلاحظ ان اندفاع السياسة المصرية ، وسياسات عربية اخرى اكثر حياء ، نحو اميركا والصهيونية ونحو التخلي عن الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، قد حرر الاميركي المغرور مـن متطلبات اللياقة ، فانتقل بالتعبير عن تناقضه التاريخي مع الثورة من التنديد الى التهديد بالتصفيـة ·

ان اميركا هي عدو الثورة بشكل مطلق · وعدو الثورة الفلسطينية بشكل خاص · ومع ذلك فان هذا الشكل من الاعتداء على منظمة التحرير الذي تعد له اميركا هو النتـاج المباشر لمسيرة تحكيم اميركا في صراع لاحكم فيه الا ارادة القتال ، وتتحمل مسؤولية الاعتداء ونتائجه القوى الاجتماعية التي تخلت عن مهماتها الوطنية ، حين ميزت بيـن السياسـة الاميركية والسلوك الاسرائيلي ، وحيـن طمست العلاقـة بين الامبرياليـة والصهيونية ·

لقد بدأت الحرب الاميركية العلنية على الثورة الفلسطينية · فليكن ذلك واضحا · لقد قررت اميركا طرد منظمة التحرير من معادلة القوى في الشرق الاوسط · وحين تتخـذ الادارة الاميركية هذا القرار فهي لا تتخذه على المستوى النظري فقط · ستفعل كل شيء لتقيم عالم الطوائف المؤلف من القيادة الاميركية والمال العربي والايدي العاملة العربية و « العبقرية » العلمية اليهودية · وتشترط قيام هذه العلاقات على ابادة الوطن الفلسطيني والارادة الفلسطينية ·

هذا هو حلم اميركا . ولنا حلم مضاد ، وارادة مضادة ·

محمود درويش

رسالة الأخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية في الذكرى الثالثة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية

عام القرار الثوري الحاسم

يا رفاق الدرب الطويل

يا رموز الفداء لشعبنا البطل

يا جماهير شعبنا المعطاءة المناضلة

عام من عمر ثورتنا المجيدة قد انقضى بكل ما حفل به من مفاجآت وبكل ما احتواه من تحديات وما رافقها من تصديات وصمود . واقبلت الثورة بكل عنفوانها تدخل عامها الرابع عشر من باب التاريخ الواسع الفسيح · متألقة مزهوة ، مرفوعة الرأس مهابة الجانب . وحولها ثلاثة عشر كوكبا من سنين نضالها مضيئة في سماء فلسطين والوطن العربي الكبير ، وتحمل في جوانحها العريضة امال شعبنا واماني امتنا بل وتطلعات الاحرار والشرفاء في العالم اجمع · ولنقلها للعالم اجمع اننا ذاهبون الى المستقبل ، ذاهبون الى الوطن مهما غلا الثمن وعظمت التضحيات ·

كيف لا ، وهي بالرغم من جميع المؤامرات والمتآمرين قادرة على هذا الصمود الاسطوري والتصدي الجامح والتحدي الكبير في وجه جميع هذه الاعاصير والزوابع السياسية والعسكرية وعلى مختلف الاصعدة وفي العديد من الجبهات والمحاور القتالية والنضالية · وثورتكم اليوم لم تكن في يوم من الايام مثلما هي عليه اليوم من قوة وعمق وارادة وتصميم ·

ولعل العام المنصرم عام التصدي والتحدي وما اعتمل فيه من غليان في براكينه السياسية العربية كان الهدف منه هذه الانفجارات المتلاحقة لتفجير الثورة الفلسطينية ، الرقم الصعب في معادلة الشرق الاوسط ليخلو الطريق ولينزاح من الدرب الحقيقة الثابتة والاكيدة الا وهي الوجود الثوري الفلسطيني من هذه المعادلة ليخلو امام المؤامرة البشعة طريقها المرسوم بعناية ودقة ومهارة لتطويع واحتواء واجهاض هذه المسيرة العظيمة وتأثيراتها البعيدة المدى والعميقة الجذور ليس على الساحة الفلسطينية فحسب ، وانما على مجمل الساحة العربية وعلى مجمل

المصالح الدولية والعالمية التي تمتد تشعباتها الى منطقتنا او تصل تفاعلات منطقتنا اليها ، ولذا كانت قضيتنا من جميع ومختلف هذه الابعاد ، قضية الانسان الفلسطيني وقضية الانسان العربي وقضية الانسان والانسانية في عالمنا المعاصر · وثوارنا وهم في خنادقهم المتعددة التواجد والتوضع داخل الارض المحتلة وخارجها يدركون هذه البديهيات والحقائق ادراكهم السليم والصحيح لعدالة قضيتهم وحتمية انتصارها التاريخي ، طال الزمن أم قصر ، ويدركون وهم يتعاملون في نضالهم الدائم وكفاحهم المستمر وحركتهم الدؤوبة انهم يصنعون فجرا جديدا في هذه المنطقة من العالم وهي ليست كأي منطقة اخرى بحدودها الجغرافية وانما هي المنطقة الحساسة والدقيقة والهامة ، هي منطقة الشرق الاوسط ذات الابعاد الاستراتيجية العالمية بالنسبة للتحرك عربيا وعالميا ، وفيها الى جانب هذا الموقـــع الاستراتيجي الفريد تتواجد هذه الثروات الضخمة في احشاء تربتها وفيها واهمها النفط باعتباره الدم الذي يسيل في شرايين العالم في عصرنا وحتى نهاية هذا القرن على أقل تقدير ، باعتباره مصدر الطاقة والقوة والقدرة المميزة لعالمنا الحديث المعاصر ، في هذا العالم المضطرب المنهك بأزماتـه الاقتصادية والنفسية والعسكرية والروحية · ولا يظن احد في منطقتنـا العربية كذلك انه بمعزل عن خطر المرحلة او بعيد عن مركز الانفجار ·

لهذا يا ثوارنا ، يا ابطالنا كانت لكل معركة تخوضونها في هذا التيه اكثر من معنى واكثر من أهمية على مستقبل الصراع في منطقتنا العربية وعلى المخططات للحلف الامبريالي الصهيوني بزعامة الولايات المتحـــدة الاميركية التي تحاول السيطرة على هذه المنطقة وادخالها ضمن دائرة نفوذها الدائم واصطياد اسماكها او حيتانها ضمن شبـــاكهم المتعددة والمتناثرة التي يقذفون بها امام مسيرة امتنا العربية العظيمة في دربهـا القاسي والشاق والطويل الذي تشكل فيه الثورة الفلسطينية والثوار في الثورة الفلسطينية الطليعة المكافحة المناضلة بكل ما تحمله كلمة الطليعـة من معاني واهداف ومثل وتضحيات وتبعات ومسؤوليات كبيرة وجســام وخـطيرة ·

ومن هنا تتبلور المعاني ويتبلور الصراع ويتأتى الفرز الثوري فـــــي مجال هذا التيه وفي خضم هذه الاحداث لتتقرر ارادة من ستبقى في هــذه المنطقة · لقد كشف اعداؤنا القناع عن وجوههم البشعة وعن مطامعهم الخطيرة انهم يريدونها منطقة نفوذ واسلاب وسوقا للنخاسة الجديدة ·

ونحن كأمة عربية نريدها ارضا نظيفة ، نريدها ارضنـا المحـــررة الطاهرة ارضنا المحررة من كل انواع القمع والتسلط والاحتلال العسكري والاقتصادي والسياسي · وهم بزعامة الولايات المتحدة الاميركية انطلاقا من كل ذلك يداورون ويحاورون ويناورون لخلق بندوستانات متعـــددة

الاحجام والاشكال والاهداف ليست في الضفة الغربية وقطاع غزة كما يعرضها علينا والمذلة معها ، هذا الارهابي المتعجرف الغازي بيغن وانما في مختلف ارجاء وطننا العربي وان اختلفت التسميات وتعددت الاشكال واختلفت المرامي والانواع ، انه نمط جديد لاستعمار منطقتنا بهذه الاشكال الغربية النوع والمظهر وليكون لهم في هذه المنطقة اكثر من شرطي بجانب الشرطي الاسرائيلي واكثر من مخفر من مخافر حماية مصالحهم الحيوية في هذه المنطقة ذات الابعاد الاستراتيجية والاقتصادية من ارضنا العربية الميلاد ، الاصول والجذور ٠

من هنا كان موقفنا المبدئي الواضح والمتعارض ونحن نضع نصب اعيننا ثقل مصر ووزن شعب الكنانة في هذا الصراع المصيري والحضاري مع الرئيس السادات حول زيارته لقدسنا الحبيبة المحتلة ولارضنا السليبة المغتصبة وما تبع هذه الزيارة من آثار خطيرة بعيدة المدى على مجمل الوضع العربي كله والنتائج المدمرة التي تركت بصماتها على جوهر وفحوى الصراع العربي ـ الصهيوني ـ الامبريالي في منطقتنا العربية ، وهو شيء لا يمس جيلنا او اجيالنا المعاصرة ، انما تشكل مفهوما جديدا لمستقبل اجيالنا المقبلة ، ليس من حقنا ان نمسها او نقترب من حرماتها امام هذا الفكر الصهيوني التوسعي الذي يقول هذه ارضك يا اسرائيل من الفرات الى النيل ، وامام احلامهم بالقدس عاصمة لملكة اسرائيل الكبرى يأتيها الناس من ارجاء الارض يتلقون فيها الحكمة والرأي والمشورة حسب نبوءة يوشع التي افتتح فيها زعيم عصابة الارجون جلسة الكنيست المشهورة ٠ ولكن ، وليكن معلوما للقاصي والداني ولهواة تزييف وتزوير الحقائق والتاريخ تحت ظلال القوة الغاشمة الاميركية الاسرائيلية المشتركة انه لا يمكن ان تفرض على امتنا العربية مثل هذه الاراجيف وان هذه الامة العربية الخالدة لقادرة على تصحيح مسار التاريخ كما صححته دائما عبر مختلف العصور والازمنة لتبقى هذه الارض لشعوبنا ولجماهيرنا صاحبة هذا التراث وصاحبة الارادة وصاحبة الحق الذي لا يمكن ان تنتزعه منها اية قوة مهما تعاظمت هذه القوة في فترة من فترات الزمن ٠

اخواني يا رفاق السلاح ،

الموقف خطير وخطير والمؤامرة كبيرة ومتشابكة والاعداء كثر ومتعددون ، ولكن ليعلم العالم اجمع ان هذه الثورة الفلسطينية وهذه الامة العربية بكل طلائعها الحرة الابية الشريفة قادرة على التصدي والتحدي والمواجهة والصمود ، هذه الامة الخالدة الراسخة العقيدة والايمان الثابتة الموقف والموقع والتي هزمت جميع الغزوات التي جاءتها او حاولت تدنيس ترابها او اذلال شعوبها واحتلال امصارها ٠

وهذا هو المعنى الاساسي لقمة الصمود والتصدي الذي انعقد في طرابلس لانه يشكل هذا المنهج في العمل الملتزم تجاه اهداف امتنا العربية ضد جميع ما تحيكه ضدها هذه الغزوة الصهيونية العنصرية التوسعية وان هذا التيار ليس تيارا محدودا ضيقا في المسار التاريخي والحضاري لامتنا العربية ، انما هو تيار هادر جامح يعلو تارة وينخفض اخرى في مختلف مسالك الجهاد واماكن الصراع في امتنا العربية الخالدة ، ولكنه المنتصر ابدا .. ابدا . من هذا المنطلق الثوري الملتزم ومن هذا المنهج النضالي الحي يتحرك الثوار في الثورة الفلسطينية كطليعة في خضم المسيرة الحضارية لامتنا العربية ويتحرك شعبنا المكافح في ارضنا المحتلة يعطي العطاء كلهويضحي التضحيات الجسام في وجه اعتى واعنف موجات الغزو والاستعمار الحديث الذي تشنه علينا الامبريالية العالمية وربيبتها الصهيونية العنصرية . ومن هنا كانت هذه الوقفة الشجاعة ، الوقفات الرائعة ، الوقفات الجبارة التي اثبت شعبنا في ارضنا المحتلة وفي فلسطيننا الحبيبة المغتصبة ، الجدارة كل الجدارة في التصدي للمؤامرة وعلى مختلف محاورها وتعدد جبهاتها . وفي مواجهة كافة أشكال المغريات الرامية الى تفتيت صفوفه ، بل ظل شامخا في نضاله متماسكا في عقيدته ووجدانه قويا في كفاحه ملتصقا بثورته يعطيها دونما كلل او ملل حافزا في سجل التاريخ باحرف من نور ونار وبدماء الشهداء الابطال الخالدين وجراحات المكافحين الاوفياء . ان هذه الارض عربية وستبقى عربية طال الزمن ام قصر وان على عتباتها وعلى أسوار قدسها الشريف تحطمت غزوات وغزوات وفي بطاحها وفوق ثراها في مرج دابق وعين جالوت وحطين واليرموك وغيرها تبددت احلام امبراطوريات الاحتلال جميعها . وبقيت هذه الارض بكل ما فيها من عظمة وكبرياء يسقيها شعبنا من حبات عرقه وسيل دمائه . دماء المناضلين وجراح المكافحين ومعاناة المعتقلين . فيها ترقد عظام اجدادنا وفيها ستدفن اجداث احفادنا ..

الدرب قاس ومرير ، ولكن النصر صبر ساعة ، وما يريده العدو ، يا شعبنا ويا اخواننا ويا رفاق السلاح هو تزييف ارادتكم . فانتم الرقم الصعب والرقم الاساسي في معادلة الشرق الاوسط . ونحن ثورة عملاقة تفهم دقائق الموقف العربي والدولي بكل ابعاده القريبة والبعيدة المرمى والاهداف . المطلوب انتم ايها المكافحون من شعبنا . المطلوب انتم ايها المناضلون من امتنا . ولن يستقيم حل ولن يستقر الا بكم ومن خلالكم . ولن يفرض سلامهم الاستسلامي الا على جثتنا الشهيدة . هذه حقيقة صارخة فكونوا على حذر وكونوا على يقظة ولتزيدوا قبضتكم الفولاذية على هذه البنادق فمن فوهاتها ياتي الجواب على كل الحلول الانهزامية .

ومن فوهاتها يأتي السلام الذي نريد والحل الذي ننظر اليه ، وفي ظلالها تترعرع اشجار الزيتون في ارضنا المحررة ·

ولقد وجدت هذه الثورة لتبقى وانطلقت لتستمر وولدت حتى تنتصر ·

يا اخواني يا رفاق الدرب الطويل ، أيتها الجماهير من شعبنا وامتنا الثائرة ،

نحن لسنا دعاة حرب وتدمير ولكننا طلاب حقوق ، اننا شعب اضطهد وشرد وطرد من ارضه ظلما وعنوة من خلال مؤامرة امبريالية صهيونية عالمية حملت شعارات واساطير لو حكمنا قواعدها على المقاييس الدولية اليوم لكان اولى بزعيمة المؤامرة اميركا ان تدفع ثمنها قبلنا وهي حديثة العهد لما يطرحون · وامام خرافات الازمنة الغابرة التي يتقولونها وليفهم هذا الكلام بيغن وغلاة الصهاينة المتعصبين ··· حقا انها مهزلة العصر الحديث واكذوبة القرن العشرين ·· ومن هنا فنحن مصممون على التصدي لها من اجل مستقبل اطفالنا ومستقبل اولادنا وحفاظا على حقوقنا ، ونحن لسنا وحيدين في هذا الصراع · ان معنا هذه الشعوب المحبة للسلام والحرية ، معنا احرار العالم ، معنا اصدقاء كثر في الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز والدول الاسلامية والافريقية واميركا اللاتينية والصديقة ، لانها تدرك جميعها فداحة الظلم الذي وقع ولا زال على شعبنا . وتدرك كذلك ان ما يحدث ضدنا هنا انما يترك آثاره الفورية والخطيرة على منطقتنا وما يحيط وما يتعلق بها . ومن يتعامل مع هذه المنطقة · ولذلك ساندتنا ووقفت الى جانبنا ، وهذه القرارات الدولية خير برهان على هذا الموقف الداعم لنا ، الدافع لهذه المؤامرة والرافض لها · وهذه المواقف التي نثمنها ونعتمد عليها في نضالنا وكفاحنا تعطينا مزيدا من الوضوح والصلابة والقوة في مسيرتنا النضالية من أجل رفع الظلم الواقع على شعبنا ولتحرير بلادنا والعودة الى ديارنا وبناء دولتنا المستقلة فوق ترابنا الوطني الفلسطيني ، وهو حق وحقيقة اقرتها جميع المواثيق والشرائع الدولية ·

ونحن باسم هؤلاء المناضلين وباسم هذه البنادق الثائرة وباسم الثوار في الثورة الفلسطينية نعلنها صريحة مدوية ان لا حل في المنطقة سيمر او يستقر على حساب شعبنا الفلسطيني وحقوقه الوطنية الثابتة ، هذه الحقوق يصفيها العملاء ولن يحافظ عليها المرتزقة والمأجورون الذين يجمعون كدمى مزيفة وكبدائل بعضها من خلال شخصيات مهترئة اكل الدهر عليها وشرب او من خلال ادوار لهذه الدولة او تلك ، كل حسب ما هو مرسوم له في المخطط التآمري وكل بمعياره وزمنه المقرر ووقته المحدد للظهور على مسرح الاحداث في المسلسل المسرحي للمؤامرة الكبرى · ولكنهم عبثا يفعلون ، وعبثا يخططون · البنادق والثوار والاحرار

والمناضلون هم وحدهم المحافظون على اهداف شعبنا السامية النبيلة وهم الامناء على مسيرته الثورية المنتصرة ‥ من أجل الشعب الواحد والوطن الواحد والصوت الواحد عاليا ومدويا ٠

هكذا كان الحال في مسيرة الثورة الجزائرية البطلة وفي مسيرة الثورةالفيتنامية الكبيرة وفي مسيرة الثورات جميعها ، ثبت في النهاية ثوار جبهة التحرير الجزائرية وثبت في النهاية ثوار جبهة التحرير الفيتنامية ، وثبت في النهاية الثوار في العالم اجمع ، وسيتثبت في نهاية المطاف ورغم كل المؤامرات ثوار ومناضلو منظمة التحرير الفلسطينية باسم الشعب ومن أجل الشعب باسم الحق ومن أجل الحفاظ على الحقوق٠ وليعلن بيغن مشاريعه من فلسطين المحتلة او من أرض الكنانة وليعلن بيرتس آراءه ولتنادي الاحزاب الاسرائيلية كلها بتعصبها بمختلف الشعارات والجمل والالفاظ ٠ ولكن الحقيقة ستظل هي الحقيقة ٠ ان ارض فلسطين ليست مشاعا ، وان شعب فلسطين ليس سلعة تباع وتشترى ‥ اولم تروا الى اشبالنا كيف يواجهون والى نسائنا كيف يقاتلن والى ثوارنا كيف يكافحون ؟؟؟ نعم يا رفاقنا ويا ابطالنا الثوار ويا كل شعبنا وامتنا العربية ٠ شعبنا ليس سلعة تباع وتشترى على موائد المساومات ٠ شعبنا يقود ثورة عملاقة من اعظم ثورات وقن المعاصر والعصر الحديث ، شعبنا الذي صنع معجزة الصمود والتحدي من لاجيء الى ثائر ومن ارقام بطاقات اعاشة مهملة في سجلات وكالات الاغاثة الى الرقم الصعب والاساسي في معادلة الشرق الاوسط ، شعبي هذا ، وثوارنا هؤلاء واحرار امتنا جميعهم لا يهزهم تهديد ولا تخيفهم مؤامرة ولا يثنيهم عن عزمهم بعض مصاعب الطريق فقد اعتادوا عليها وعايشوها وعايشتهم ، وهم قادرون على تغييرها وتسييرها وترويضها لصالح اهدافهم ومثلهم وغاياتهم ، وهم قادرون على المضي قدما في طريقهم الثوري وفي مسيرتهم النضالية الثورية يشقون دربهم وسط الظلمات المهيمنة في هذه الفترة من تاريخ امتنا العربية على ارجائها ، ليحيلوا الدرب كله الى مشاعل تنير الطريق لاجيالنا المقبلة ، مشاعل من نور ونار ، مشاعل رفعناها وانرناها مع اخوة احرار لنا في لبنان واخوة لنا في كل مكان من ارجاء امتنا العربية واخوة لنا في عالم اصدقائنا الاوفياء الشرفاء ، واضعين نصب اعيننا وحدة الهدف ووحدة المصير المشترك ‥

وهنا لا بد لنا من وقفة لما يجري في الجنوب اللبناني والموقف الشجاع والجريء والصابر والمثابر الذي يقفه ابن الجنوب امام الوجه الاخر من المؤامرة البشعة ٠ وانني باسم الثورة الفلسطينية وباسم الشعب الفلسطيني لاسجل بكل التقدير والوفاء هذه المواقف الصلبة امام هذه

المعانـاة اليومية التي يعانيها اهلنا في جنوب لبنان الصامد الابي · احيي الاحـرار والوطنيين فيه وأحيي المناضلين والمكافحين فيه ، وليكن ثوارنا والثوار الوطنيون بمستوى الاحـداث امام تضحيـات هؤلاء المواطنيـن الرائعـة ، وان علينـا واجبـا عربيـا وقوميـا ووطنيا تجاههـم لا يمكن ان نتجاهلـــــه ·

يا اخوتي يا رفـاق السلاح ،

الوحدة الوطنية هي زادنا وهي قوتنا فمزيد من تعزيزها وتصليبهـــا وتمتينها ، العـدو لا يفرق في قتاله الشرس بيننا والطلقات المصوبة الـى صدورنا لا تعرف التمييز عند اختراقها ، فلنجمع الصفوف ، ولنلم الشمل وها هـو العـدو قد كشف اوراقه كامله ، هل نظـل نختلف على جلـــد الـدب الموهوم والمزعـوم ؟؟ الم يكشف الرئيس كارتر في هجومـه على منظمة التحرير كامل المخطط ، الم يكشف بيغن في مشروعاته الحالمـــة التوسعية جميع ابعاد المؤامرة ، الا نرى هذه التحركات هنا وهنالـــك للبدائل والدمى ومدى ارتباطها بالمؤامرة الواسعة على شعبنا ؟ حتمـــا نراها · وحتما ثوارنا يرونها ، وحتما شعبنا يعيها ، وحتما امتنا العربية واعيـــة عليهـــا ··

فمزيدا من الصلابة الفولاذية على هذه البنادق الواحدة المـــوحدة ، فبندقية تضاف الى الالف بندقية هي قوة وسند للثورة ، ولترتفع كـــل الايادي متحدة متماسكة متكاتفة لنعطي الثورة بآفاقها الواسعة من خلال مفاهيمنا الوطنية الثورية الملتزمة بعيدا عن المكتسبات الذاتية الصغيـرة والضيقة ، في سبيل شعبنا المعطاء البطل وفي سبيل الهـــــدف الكبيـر ولتصعيد نضالنا وكفاحنا العسكري ضد العدو الصهيوني الجاثم علـى ارضنا وشعبنا · لان وحدتنا المطلوبة هي بحد ذاتها جوهر هذا الهـدف القومي وهي وحدة التصدي والمواجهة في هذا الصراع الكبير الخطير ·

ولنكن يا رفاق الدرب الطويل في عامنا الرابع عشر ، عام القـــرار الثوري الحاسم واثقة خطانا ثابتة خطواتنا نسير مع شعبنا العظيـــم وامتنا الخالدة في المسيرة المنتصرة دائما ، الظافرة ابدا ·

بوركت يا شعبنا يا شعب المعجزات والعطاء والتضحية ·

بوركتم يا ثوارنا في الثورة الفلسطينية

بوركتم يا احرار امتنا العربية

وطوبى للمناضلين والمناضلات في هذه المسيرة العملاقة الثائرة ·

والمجد والخلود لشهدائنا الابرار ·

وانها لثورة حتى النصر ··

١ـ١ـ١٩٧٨

اخوكم ابو عمار

يحيى رباح

فتح .. بشارة النيران

١

في الايام الاخيرة من عام ١٩٦٤ . كانت فلسطين تبحث عن جسدها الممزق ، وصوتها المخنوق ، ووجهها المنسي ، وسط الضجيج المنبعث من صراخ ميكروفونات الاذاعات العربية ، وكانت عملية البحث مضنية ، بل وتكاد تشبه في استحالتها ، تلك الخرافات التي تتحدث عن بطل اسطوري ، يتوجب عليه ان يصارع الغيلان ، ويعبر بحور الماء والنيران والاشواك من أجل ان يصل الى الاميرة ··· وكانت المسافات بعيدة ، شريط ضيق من الارض يستلقي باهمال على شاطىء المتوسط ، اسمه قطاع غزة وشريط اكبر من الارض ، وقع قسرا فريسة اللعبة الخطرة ·· اصبح اسمه الضفة الغربية للمملكة الاردنية · اما الجزء الثالث فكان اسمه اسرائيل ··· وكانت المسافات بعيدة ،تلتقي مزق فلسطين مع اي شيء ، ولكنها لا تلتقي مع بعضها ، ويدور الفلسطينيون في الفراغ تحت اسمائهم المستعارة ·· ولكنهم محرومون من الدوران تحت اسمهم الواحد ·

وفي الايام الاخيرة من عام ١٩٦٤ ، كان ثلاثة او اربعة رجال من شعبنا ، يختفون في احد البيوت في منطقة الخليل ، يجهزون عبوة ناسفة ، وعاء من الحديد ، وكمية من ملح البارود البلدي ، وعدد من المسامير وقطع الحديد الحادة ·· وفتيل ·

قال واحد منهم

ـ انني اتساءل ·· هل نتمكن بهذه العبوة الناسفة من تحرير فلسطين ؟؟

وفي ذلك الوقت ايضا ··· كانت الخرائط يتم تداولها بنوع صاخب من

الدعاية بين العواصم ، خرائط لتحويل روافد الانهار ·· الاعداء مزقوا فلسطين الى اشلاء ··· والعواصم العربية كانت تحاول الرد على ذلك عن طريق لوي اعناق حبات المطر التي تتشكل منها الانهار الصغيرة ··· وقال رجل اخر ردا على السؤال

ـ هذه العبوة الناسفة ، هي الصاعق الذي سيفجر طاقات الامة العربية ·· هذا هو طريق ودور فلسطين ·

الرجل الذي طرح السؤال ، هو محمد شرف ، الذي دخل فيما بعد القائمة الاولى للشهداء ، والرجل الذي اعطى الاجابة هو ياسر عرفات « ابو عمار » القائد العام للثورة الفلسطينية المسلحة ، ثورة المجد والصعوبة ·

هنا فتح ،

انفجرت العبوة الناسفة ، واصدرت قوات العاصفة بلاغها العسكري الاول ·· لا تستطيع الارقام ان تؤرخ لتدفق الدماء ، ولا تستطيع اعظم القصائد ان تسجل تلك اللحظة الخارقة ، التي يتطابق فيها الفعل والحلم في آن معا ·

هنا فتح ،

انفجرت العبوة الناسفة ،

واصدرت قوات العاصفة بلاغها العسكري الاول ، كان الفلسطينيون قبل ذلك ، يخبئون تحت جلد خيامهم ، عذابا يفوق حدود الاحاطة ، لا يمكن ان يفهمه احد سواهم ، صار الفلسطينيون يخبئون في قلوبهم سرا مليئا بالاثار والشوق ، والشعور بالتفوق ، وقوة النبوءة العظيمة ·

من اين جاءت فتح ، من اين ولدت فتح ؟؟

كان احد الصحفيين يسأل في مخيمنا ، معه ورقة وقلم ·· ومعه كانت الآذان اللاقطة لاجهزة الاستخبارات كلها

من اين جاءت فتح ؟

وقالت امرأة عجوز من مخيمنا

ـ لقد جاءت فتح من عام الامطار ·· قذفونا من الوطن الى هذه الرمـــال الباهتة ·· ثم جاءت الامطار لتجرف الرمال ·· وتجرفنا معها ·· وكنا لا نريد ان نموت ·· ومن تلك اللحظة في مقاومة الموت ·· جاءت فتح ·

جاءت فتح من عام الامطار ،

ولدت فتح من رقصة الخيمة على هبوب العاصفة الثلجية ، من صرخة الانكسار

في عيني رجل ، استبدلوا حلقه ببطاقة تسول ، من قسوة الاتهام ضد الفلسطيني، من الجثث التي كان يتدرب المجندون الاسرائيليون الصغار على ذبحها ، مع عدم السماح بالبكاء حين دفنها ، من اضطرار الفلسطيني ان يقول عند مخافـــر الحدود انه غيرفلسطيني حتى يسمح له بالمرور ، وحتى يتمكن من الحصول على طعام ، ومن اجل ان يتنفس الهواء الجوي ، جاءت فتح من فلسطين التي هي دائما موجودة ·· ولكنهم كانوا ينكرونها ·· جاءت فتح من المعرفة الخارقة للفرق بين السيوف والاغاني الحماسية ، من معرفة الفرق بين الاشياء ·

٢

يقولون في احدى الاساطير ، ان الها قديما ، طلب من احد المحاربين في الازمنة الاسطورية ، ان يذهب الى جبال النيران ، ليأخذ منها قبسا يشعل به جبال الجليد ، ويقولون ان ذلك الاله قال لذلك المحارب

ـ اذهب ، ونفذ هذه المهمة المقدسة ، شريطة ان لا تحترق ·

كان ذلك في الازمنة الاسطورية ، أما في الزمان الحاضر ، حيث اختلطت المقاييس ، فان اله الفلسطينيين ، لا يزال يطلب منهم تنفيذ نفس المهمة المقدسة، ان يأخذوا قبسا ·· وان يشعلوا النيران في جبال الجليد ، شريطة ان لا يحترقوا ·

على هذا النحو ، يفهم الفلسطينيون دورهم كطليعة واعية ، ذلك ان الامانة التي يحملونها تجاه فلسطين وتجاه العروبة ، والتي انطلقوا من اجلها ، تجعلهم يرفضون القيام بدور كاسحة الالغام الصغيرة المضحى بها ، كاسحة الغام تدفع قسرا تحت وطاة الاوهام الجميلة ، لارتياد الطرق المجهولة ، المليئة بالالغام المتفجرة ، والمقامرات المجنونة ·

ان الفلسطينيين يعرفون بشكل حاسم ، الفرق بين القتال حتى الاستشهاد ، وبين اليأس حتى الانتحار ، وفي مواسم الخصوبة للـــدم الفلسطيني ، فـــي الاغوار ·· في العرقوب ·· في الجولان ·· في جنوب لبنان ، وفي حصار المدن الخانق في عمان وبيروت ، كان المقاتلون وسط لجة النيران ، يديرون حوارات متوترة وذكية ·

ـ ما هو الفرق بين الاستشهاد والموت ؟؟

ـ شيء واحد

ـ لا

ـ ما هو الفرق اذن ؟

ـ الفرق ان الاستشهاد قرارنا نحن ٠

من اجل قرارنا نحن ٠٠ قرار فلسطين ، جاءت فتح ٠٠ ولذلك ، اتهمونا بالتوريط ، والتخريب والتفريط ، ويا لقسوة الشروط التي جابهتها فتح ،

أن نكون اول الصامتين في موسم الصمت ٠

وان نكون اول الرافضين في موسم الرفض

وان نكون اول المصالحين في موسم الصلح ٠

وقالت فتح ٠٠ وجودنا هو قرارنا ٠٠ وقرارانا هو الاستجابة لنداء فلسطين ، ونداء فلسطين ، ان نقيم علاقة جدلية متوازنة ، بين الثابت والمتغير ، بين المرحلي والاستراتيجي ، بين الممكن والطموح ، علاقة جدلية متوازنة ، تحت سقف ناري واحد ، اسمه استمرار الصراع ٠

قال موشيه دايان ذات يوم :

ـ ان فتح كالبيضة في يدي

وقال آخرون عدة مرات لانفسهم :

ـ ان الثورة الفلسطينية ، ليست اكثر من ورقة للضغط ، نضعها في جيوبنا ٠ وفي ندوة صغيرة في عام ١٩٦٨ ، قال احد شباب فتح ردا على سؤال وجه اليه :

ـ سنظل نقاتل ٠

وقالوا له

ـ ان جيوشا جرارة قد انهزمت ، ماذا بوسعكم ان تفعلوا انتم ؟؟

من عبوة ناسفة في نفق عيلبون ، الى قاعدة محاصرة في الكرامة ، الى انتشار النيران على حافة نهر الاردن ، الى ان تحمل الارض اسمنا ، وتعلق المدن على واجهتها بصمات اصابعنا ٠٠ مطلوبون اكثر لقوائم الاعدام ٠٠ هذا صحيح ٠٠ لاننا نرفض السباحة في المياه الراكدة ٠

ان نوعا جديدا من الجدل يتكرس الان منهجا في ذهن الاجيال العربية المعاصرة ، جدل يقف ضده بحزم دعاة الامر الواقع ، جدل لا يستطيع ان يفهمه بسهولة حفظة الاناشيد الثورية الجاهزة ، انه جدل البندقية الفلسطينية ، انه الجدل القائم على اساس ان فلسطين هي شحنة الكهرباء الصاعقة ، التي ستكشف عن وجه كل التناقضات ٠

ولقد تعلمنا ،

حين يتشتت النهر الى جداول صغيرة تضيع في زحف الرمال ، وحين تتوه الخطوة في الدروب الليلية ، وحين يتحشرج النشيد في الحناجر ، غصة او زيغا او طنينا فارغا ·· تعلمنا ان نعود الى المنابع ، الى البداية المشرقة ·· الـــى فتــح ··

بندقية أعلى من كل صوت

ورصاصة اوضح من كل شيء

وفدائيا يثير الخوف اولا ، ويثير التعاطف بعد ذلك ، وحين ينتصب فـــي الطريق الف جدار ، تنهض امكانية فتح الف ثغرة ، هكذا قالت فتح في بلاغها العسكري الاول ، ودائما ·· حيث يعتقد الاعداء انهم وضعوا النهاية ، فان فلسطين تبدأ ·· هكذا بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ، وهكذا في معركة الكرامة عام ١٩٦٨ ، وهكذا دائما ·· هم ينتهون وفلسطين تبدأ ·

هم يسقطون وفلسطين تنهض

هم ينطفئون وفلسطين تشعل النيران ·

٣

من يخلع خاتم صاحبه ؟

من يثبت خاتم صاحبه ؟

من يسقط في الفراغ ؟

هذه هي مسيرة الايام الصعبة لثورة الشعب الفلسطيني ، على امتداد ثلاثة عشر عاما متواصلة ، واننا نذكر كل الذي حدث في كل المراحل السابقة ، وكل من قرر ان ينسانا ·· توجب عليه ان يذكرنا ·· في استقبال خاص في بهو فندق شيراتون في القاهرة ، وفي رياضتنا المفضلة ، وفي اقترابنا المفاجىء فـــي سافوي ، وفي انشطار الاشياء كلها الى نصفين ·

لن نسقط في الفراغ ، لاننا لم نكن خاتما في اصبع احد من اللاعبين ، وفوق ذلك ، فان من يريد ان يغسل يديه من دمنا لن يجد سوى الدماء ·· وصليب فلسطين لن يهرب من فوق الاكتاف ويسقط في الفراغ ، ذلك ان فلسطين قضية وشعبا وثورة ، ليست احدى الاختيارات المجانية ، فلسطين هي الاختيار الباهظ الوحيد · وفي مبارزة بدل ان تتم بالسيوف ، تمت بمزامير التوراة ، لا يمكن لاحد ، ولا يحق لاحد ، تثبيت وعود رب اسرائيل للاسرائيليين ، واسقاط وعـد الامة العربية للفلسطينيين ·

وهذه ليست مجابهة الصعوبة الاولى ، حتى يعتقد البعض ، انه ليس امامنا سوى ان نقوم بدور البحارة على ظهر سفينة تغرق ، ذلك ان فلسطين ليست هي الزجاجة التي تضع فيها رسالة الاستغاثة الاخيرة ، ونلقيها في البحر ، فلسطين قضية وشعبا وثورة تملك كل المفاتيح للابواب الموصدة . وكل امكانيات النجاة في مواجهة الطوفان ٠

هنا فلسطين ،

صراع ، وتحد ، وبندقية ٠٠ وقرار ٠٠ وانتشار ٠

في التفاؤل يتوهج بعد فلسطين الاول ٠

في الحصار يتوهج بعد فلسطين الاخر ٠

وفي كل الحالات والمراحل والادوار ، يرتسم الدم علامة على الطرق جميعا ٠٠ في الفترة ما بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ ، كانت فلسطين تبحث عن نفسها المدفونة في رمال النسيان ، ولكنها سجلت بحسب ما تقول المصادر الاسرائيلية نفسها ، ١١٥٦٠ حادثة تخريب وتسلل وقتل وتدمير ضد الوجود الاسرائيلي ، وفي الفترة نفسها كانت فلسطين تبحث عن وجهها الذي اختلسوه منها ، ولكنها قتلت ملكا ، وهدمت عرشا ، واشعلت نارا لم يكن يتوقعها الذين احترقوا بها ، ولقد عادت فلسطين من غيبتها منذ ثلاثة عشر عاما ، ومن يخلع خاتمه يخلع نفسه ، لان فلسطين ليست احدى البدائل ، بل انها شهادة الميلاد لكل من اراد ان يعيش فوق الارض العربية ، سواء كان حاكما او حزبا او نظاما ٠

وفلسطين ليست شرنقة تلتف حول ذاتها لذاتها ، فلسطين ارضا وشعبا وقضية وثورة ، كانت دائما من أجل العروبة ، وكانت دائما اول الحاضرين في الخلية القومية الاولى ، وفي الحركة العربية الاولى وفي المعارك القومية الاولى، وفي انبثاق الجهد العربي على خطوط النار وعلى خطوط الحضارة المعاصرة٠

لقد استشهد الفلسطينيون في سيناء ، وفي مسيرات دمشق العربية ، وتحت انقاض النهضة التي ساهموا في بنائها من حافة الخليج الى حافة المحيط ٠

وحين تبتعد المسافة بين القومي والقطري ، تكون فلسطين هي شريان الدماء، ولحظة اختصار المسافة ، وقوة تطابق الاشياء مع بعضها ، وفي ظلال البنادق والثورة الفلسطينية ، وفوق ساحاتها ، وفي خضم معاركها ، وفي نطاق مهماتها المختلفة ، يتأكد المناضلون العرب كل يوم من حقيقة الحقائق لدى امتنا ، وهي انه بالامكان ان تتوحد السواعد وتتوحد الارض في ساحة واحدة للقتال ٠

من يخلع خاتم صاحبه

من يثبت خاتم صاحبه

من يسقط في الفراغ ؟؟؟

ثم ان فلسطين هي الوجه ، والعروبة هي العمق والامتداد والمآل ٠٠ هكذا قالت فتح ، وقالت ايضا ان فلسطين هي رأس الحربة ٠٠ فمن ذا الذي يجرؤ على الادعاء بعد ذلك انه عربي ، ثم يواجه الهجوم بقطعة من الخشب ٠٠ اي من دون فلسطين ٠



في لقاء عادي تم بين مسؤول فلسطيني كبير ، وشخصية اجنبية مهمة ، تطرق الحديث الى مواضيع شتى ، كان الوقت يمضي ، وكان الضيف الاجنبي يتحدث ويناقش ويستمع ، اخرج من علبة سجائره سيجارة وضعها بين شفتيه ، ولكنه اكتشف انه لا يحمل ولاعته التي يشعل بها سجائره وهنا اخرج المسؤول الفلسطيني الكبير علبة ثقاب وقدمها الى ضيفه ، قال الضيف الاجنبي وهو يأخذ نفسا عميقا من سيجارته

ـ ما أعرفه عنك انك لا تدخن ؟

وقال المسؤول الفلسطيني الكبير

ـ هذا صحيح ٠٠ انا لا أدخن

وعاد الضيف الاجنبي يسأل

ـ أليس غريبا اذن انك تحمل في جيبك علبة ثقاب ؟

عندها ابتسم المسؤول الفلسطيني الكبير ، ابتسم برفق في وجه ضيفه وقال لـه

ـ نحن في هذه المنطقة العربية ، لا يلزمنا سوى عود ثقاب ٠

هذه هي المسألة التي يعرفها الفلسطينيون جيدا الان ، وهي نفسها المسألة التي يحاولون افهامها لغيرهم بأقل قدر من الضجيج والانفعال ، وحين تحاول ان تبحث عن جذور هذه النقطة الهامة ، فان البحث يقودنا الى البدايات ٠٠ الى المنابع الاولى لفتح ٠

في بداية الخمسينات ، كان الفلسطينيون سكان المخيمات في قطاع غزة ، لا يزالون يحتفظون بمفاتيح بيوتهم التي طردوا منها ، كما يحتفظون ببادرات الحصاد وبكميات قليلة من الغلال للبذار ٠ وكان من عادتهم ان يصعدوا الى

تل المنطار شرقي مدينة غزة ، حيث تكون نظراتهم اعلى من مستوى خط الهدنة الوهمي ، وكان بعضهم يقتربون من تخوم قريتي خزاعة وبني سهيلا او يتسربون عبر الوادي الكبير او يخطئون عن عمد فيواصلون السير في الشارع الرئيسي المسفلت المؤدي الى بئر السبع ، وكانت قوارب الصيد الصغيرة تسافر ببعضهم مدفوعة برياح الحنين الجارف ، الى شاطىء يافا ، ولم يكن بوسع احد في الكون اقناعهم ، ان تلك الارض التي يرونها بعيونهم ، والتي يتنفسون رائحة عطونتها حيث تهطل الامطار ، ويرددون مواويلها القديمة ، وحكاياتها الموغلة في البعد والقرب ، لم يكن بوسع احد ان يقنعهم ان تلك الارض لم تعد لهم ٠

كان الوطن حاضرا

كان الوطن غائبا

وكان المسافة بين الاحتمالين قاسية ومعذبة ، ومليئة بالفجيعة ، والجنون ، والموت حنينا ، ومليئة ايضا بمحاولات باسلة للبحث عن الخلاص ٠ لم يحدث مطلقا ان اقتنع الفلسطيني ، ان بوسع المخيم ان يكون وطنا ، وكانت تنبثق في الحياة اليومية الفلسطينية ، الاف الاشكال من الممارسات المفهومة وغير المفهومة ، لتأكيد هذه الحقيقة ، حقيقة البحث عن طريق للخلاص ٠

وفي ذلك الوقت ، اي في بداية الخمسينات ، اعلن راديو العدو الصهيوني ، ان كمية من المواد المتفجرة ، قد انفجرت في احدى طلمبات المياه ، وانها الحقت بها اضرارا بالغة ، وقال راديو العدو الصهيوني ايضا انه تبين من الحادث ان الذين قاموا به خبراء في المتفجرات ٠

وفي الحقيقة ، فان الرجلين اللذين قاما بتنفيذ تلك العملية ، وخططا لها من اولها الى اخرها ، لم يكونا قد اصبحا خبراء في المتفجرات بعد في ذلك الوقت ، ولكنهما كانا يملكان قدرة خاصة على الاستجابة لارهاصات الشعب الفلسطيني، وكانا يقتربان بسرعة قصوى في ذلك الزمن من شيء عظيم اسمه الكفاح المسلح ٠ في تلك العملية الصغيرة المكبرة ، كانت فتح موجودة ، فكرة ٠٠ هاجسا ٠٠ استجابة اولى ٠٠ وربما يحين الوقت يوما لمعرفة كافة التفاصيل٠٠ وخلال انتفاضة عام ١٩٥٥ في قطاع عزة ، ضد مشاريع الاسكان والتوطين في صحراء سيناء ، حيث استيقظت فلسطين في تلك الانتفاضة بطريقة ادهشت كل المراقبين ، وفتحت لشعبنا وامتنا نوافذ جديدة على العالم ، كانت فتح موجودة ايضا ، ثم انه حدث بعد ذلك الانتشار ٠

فلقد تحولت رابطة الطلبة الفلسطينيين في القاهرة الى مركز نشيط ، ونظمت فتح اول مظاهرة تأييد لفلسطين في اوروبا ، في احدى المدن النمساوية ، وبعد ذلك ، كان هناك رجل يجوب اوروبا مثل كلمة السر ، يركب قطارات الدرجة

الثالثة ، يلتقي بالشباب الفلسطيني هناك ، ينظمهم لفتح ، ويجمع منهم التبرعات التي لم تكن سوى قروش قليلة · ثم اتسعت دائرة الانتشار الى عشش القش والجريد في القنفذة في السعودية ·· الجزائر ·· الكويت ، وبقية مناطق الخليج العربي ·

وعن تلك البدايات ،

عن مرحلة التحضير والميلاد الاول ، قال كمال عدوان احد قادة فتح الشهداء (لقد كان تنظيم فتح خاصا ، وكان فكر فتح عاما) في تلك الفترة ، لم يكن الاعداء قد تنبهوا الى اهمية مهاجمة فلسطين من داخلها ، كانوا يحاصرون فلسطين من الخارج ، يحاصرونها دفعة واحدة ·· وفي ذلك الوقت كانت فتح هي فلسطين ، واليوم ، في مطلع العام الرابع عشر من مسيرة المجد والصعوبة، بعد كل هذه الجبال من الانتصارات ، وفي مواجهة كل هذه الجبال من الاخطار المحدقة · يتأكد لنا بوعي اكبر ان فتح هي فلسطين ·

قالوا عن فتح ···

قلنا عن فتح ···

لكن وصف الطرق الصعبة مهما كان بارعا ، لا يمكن ان يتعادل مع السير بأقدام عارية ، على الشوك ونتوءات الصخور ·

فتح تعني ان فلسطين تحرر حربا

فتح تعني ان فلسطين تشعل حرائق

فتح تعني ان فلسطين تنتصر حتما

وفتح تعني ان شعبا قذفوا به في الفراغ ، خارج حدود الزمان والمكان ، قد نهض واكتشف نقطة البداية ، اكتشفها لنفسه ، وللملايين غيره في هذه المنطقة المهمة ··· وقبل فتح كانت تغزونا صورة الوطن ، ورائحة الوطن ، وذكريات الوطن ، فنبكي ، او نصرخ في داخلنا ، او نصاب بالجنون ، الان نرسم صورة الوطن بدمنا ، وبخطواتنا على ارض الواقع ، وبحديد بنادقنا ، واصبح لنا في السباق مهر جامح ، نصر على ان يكون هو الرابح ، وقبل فتح ، حين كانت الاذاعات تنقل على الهواء ، رسائل بعضنا الى بعضنا ، كانوا يقولون اشفاقا :

ـ ما اضيع فلسطين ·

والان حين ينقل العالم اخبار فعلنا ، وسطور رسائلنا ، وبطاقات حضورنا الحقيقي ، فانهم يقولون اعترافا ·

ـ ما اكبر فلسطين ·

وفتح تعني فلسطين ، وفلسطين هي التعميد بالدماء ، والتطهير بالنـــار ، والخلاص بتصعيد الصراع ، انشطرت الارض ، وتنشطر الارض ، وليس بوسع احد سوى ان يكون مع فلسطين او يكون ضدها ٠

واستحضرت فلسطين كل صور التاريخ العربي دفعة واحدة ، صورة الغـزاة وصورة.المفاوضين ، وصورة المتواطئين ، وتلاطمت موجات الخيول ببعضهـــا وفاضت الانهار بالدماء ، والتفتت القلوب الى صيحة الحق ، بينمـــا انحازت كثيرا الى رنة الذهب ، وخطوة الى الامام ، والف خطوة على محيط الدائرة ٠

ـ هنا فتح ،

قبل ثلاثة عشر عاما ، اصدرت قوات العاصفة بلاغها العسكـــري الاول ، اوصدت المدن ابوابها ، فتحت المدن ابوابها ، اصبح كل الفقراء متهمين بالكفر ، واصبح لا فرق بين اول الارض واخر الارض ، والنبوءة تعلن عـــن نفسهـــا ، والبشارة تجدد دورتها ، انتظروا ٠٠ انها بشارة البنادق ، بشارة النيران ٠

معن بشور

في مواجهة التسوية.. أوهام ومهمّات

لعل اهم وابرز ما صدر عن مؤتمر الصمود والتصدي هو برنامج طرابلس للوحدة الوطنية الفلسطينية الذي يمكن ان يشكل بداية مرحلة تاريخية هامة من مراحل النضال الفلسطيني المعاصر فيما لو تم استيعابه بروح عالية من المسؤولية ، وبمستوى متقدم من الاخلاص والتجرد ، وبفهم عميق لمدلولاته الحقيقية سواء ما كان منها يتعلق بالمستقبل او ما كان منها يرتبط بالماضي ايضا ...

فهذا البرنامج هو اكثر من اتفاق . انه مراجعة تقييمية عالية لمسيرة من النضال الفلسطيني تمتد تحديدا الى ما بعد حرب تشرين ، مراجعة لا تشمل طرفا دون اخر بل تشمل الجميع ، مناهج وبرامج وافكار وتحليلات ، تتمسك بالايجابيات التي حملها كل موقف ، وتلغي السلبيات التي ترتبط بكل موقف ايضا ...

ذلك انه منذ حرب تشرين ساد العمل الوطني الفلسطيني خاصة ، والعمل العربي عامة ، نهجان في التعامل مع المساعي السياسية المبذولة باتجاه تسوية سلمية لما يسمى (بازمة الشرق الاوسط) ... ركز احدهما ، على الجانب (المبدئي) و (التاريخي) للمسألة الفلسطينية مشددا على رفض اي تفريط بالحقوق القومية الثابتة للشعب الفلسطيني والامة العربية في حين ركز النهج الاخر على الجانب (السياسي) و (الواقعي المرحلي) في التعامل مع هذه المساعي يحركه في ذلك حرص عال على البقاء داخل حلبة الصراع السياسي والديبلوماسي على المستويات العربية والدولية ، ورغبة اكيدة في عدم اضاعة فرصة تاريخية لتجسيد الكيان الوطني الفلسطيني في وجه كل محاولات تغييب

او الغاء هذا الكيان من هذا الطرف او ذاك ٠٠٠

وبغض النظر عن الجذور الفكرية والسياسية ، والخلفيات الاجتماعية والطبقية ، والتأثيرات والضغوط السياسية الخارجية ، للنهجين السائدين فقد كان كل واحد منهما يشدد على ناحية ذات اهمية بالغة في النضال الفلسطيني ٠ فاحدهما وهو النهج (المبدئي التاريخي) يعتبر امتدادا للنزعة الوطنية الفلسطينية التي رفضت في اقسى الظروف واصعبها القبول باي مظهر من مظاهر التفريط القومي والوطني ، في حين يحاول الاتجاه الاخر ، مستفيدا من تجارب النضال الفلسطيني السابقة ، ان لا يكرر النهايات ذاتها لكافة الثورات والانتفاضات المسلحة التي خاضها شعب فلسطين منذ ثلاثة ارباع القرن تقريبا وذلك عن طريق ايصال المسيرة الثورية الفلسطينية الراهنة الى مكاسب ملموسة محدودة تشكل قاعدة ثابتة لانطلاق جديد في مسيرة التحرير الطويلة ٠

وكان واضحا خلال السنوات الاربع الاخيرة ان كلا النهجين يحمل في طياته منطقا قويا ومتماسكا ومنسجما مع القواعد التي ينطلق منها ، لكنه كان يحمل في الوقت ذاته نقاط ضعف بارزة قد تتحول مع الوقت الى نقاط ضعف قاتلة ٠٠٠

فالنهج (المبدئي التاريخي) ، رغم صحة منطلقاته وسلامة توجهاته ، كان يصطدم باستمرار بمسألة عدم طرح البرامج اليومية الواقعية الاكثر قدرة على التعامل مع الوقائع المتجددة والمتحركة التي تمنعه من الجمود والتكرار والمراوحة ٠ بينما النهج (الواقعي السياسي) ، رغم ديناميكيته وتعاطيه الفعال مع مجرى الاحداث ، كان يحتاج باستمرار الى الحدود والضمانات (غير الذاتية) التي تمنعه هذه الحركة النشطة من الانزلاق الى مواقع التفريط الوطني والتنازل القومي ٠٠٠

وكان يبدو في كثير من الاحيان وكأن الحوار بين النهجين هو (حوار طرشان) حيث ينطلق كل واحد منهما من قاعدة في النقاش ، ومستوى في التحليل ، مختلف عن قاعدة النهج الاخر ومستواه ، ولكن هذا الحوار ، رغم عقمه في بعض الاحيان ، كان يحفر في الحياة السياسية العربية مجار عميقة ، ويطلق امام العقل السياسي العربي تحديات جديدة وافاقا واسعة ، شكلت جميعها بدون شك تلك النهضة البارزة في الوعي والنضج لدى الجماهير وطلائعها الثورية المناضلة ٠٠٠

وانعكس هذا النضج والوعي بشكل حاد ، حين تمكن شعبنا من ان يفرض حدودا للتباين والصراع بين هذين النهجين ، فابقاهما بشكل عام في اطار **وحدة** الثورة الفلسطينية ٠ و **العلاقات الديمقراطية** بين اطرافها ، مكتشفا دون

صعوبة بالغة جوانب التكامل ، لا التعارض ، بين النهجين ، محولا الخلاف الى مصدر للتنوع والغنى في الموقف الفلسطيني، وبالتالي مفوتا الفرصة على المخططات الامبريالية والصهيونية والرجعية الطامحة الى تمزيق الوحدة الفلسطينية ، والى الاقتتال الفلسطيني ـ الفلسطيني •

الا ان المحصلة الايجابية لهذا الصراع بين النهجين ، والتي توجها برنامج طرابلس الاخير ، لا يجوز ان تحجب عن الاذهان انه قد وجدت على الدوام اتجاهات متسرعة كانت تبرز هنا وهناك ، اما نتيجة الاسترسال غير الدقيق في تقدير معطيات الموقف وموازين القوى وطبيعة الصراع او نتيجة الفرق في التقييمات الذاتية والافكار المسبقة غير المرتبطة بالاستشراف العملي للمسار العام لقضية الصراع في المنطقة •••

ففي حين رأى البعض « تسوية قريبة جدا » في الافق فسارع الى ملاقاتها في منتصف الطريق ، مقدما بعض التنازلات الخطرة ، وناشرا جوا من الاسترخاء السياسي والنضالي بعد حرب تشرين ، اندفع البعض الاخر الى رفع الوية (الفرز الوطني) متوسعا في اطلاق التهم والنعوت متصرفا وفق القاعدة ذاتها التي تعرف علىاساسها اولئك الذين يقفون على طرفي نقيض معه وهي ان « التسوية قريبة جدا » وان الاستسلام قد حصل وان التفريط قد وقع •

غير ان تطور الاحداث جاء في غير تطور اولئك وهؤلاء ، وكانت من ابرز ايجابيات (حرب لبنان) ، التي اطلقتها المؤامرة الاميركية ـ الاسرائيلية لتوريط المنطقة باسرها في حروب اهلية تمزقها ، انها كشفت ان المؤامرة تستهدف عموم الثورة الفلسطينية ، عموم فصائلها وقياداتها ، وانها لم تميز كثيرا بين نهج واخر ، بل ظهر في بعض الاحيان ان التركيز قد استهدف بشكل خاص بعض القوى الفلسطينية التي تبدو اكثر مرونة من غيرها ربما بسبب ثقلها الاساسي في المعركة وربما ايضا بسبب مرونتها نفسها التي كانت تشكل عامل احراج وارباك للمخطط والقوى التي تقف وراءه •

وعلى كل حال ، خرجت الثورة من (الحرب ـ المؤامرة) صامدة حية ، لتتمكن اليوم بعد اكثر من سنة على وقف القتال في معظم ارجاء لبنان ، ان تخرج موحدة حول موقف وطني سليم وبرنامج ثوري متماسك •

الا ان صمود واستمرار هذا الموقف الوطني الجديد ـ القديم سيكونان بالضرورة نابعين من تحليل عميق لطبيعة التسوية المطروحة ، لاهدافها ومراميها ، لواقعيتها والمدى الزمني لتنفيذها ، وللمواقف الحقيقية لكافة القوى المشاركة في صياغتها ، وبالتالي ، فان مثل هذا التحليل سيطرد بالضرورة جملة من الاوهام التي طالما لعبت دورا في تشويش الصورة امام العديد من الثوريين والوطنيين •

الوهم الاول : هو الاعتقاد بان التسوية الاستسلامية هي مجرد قرار يتم لاعتراف به ، او مجرد صك دولي يتم التوقيع عليه في حين انها في الحقيقة اكثر واشمل واعمق من ذلك بكثير ... انها اوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية يتم تشكليها كل يوم باتجاه تكريس الهيمنة « النهائية » والكاملة للمصالح الامبريالية والوجود الصهيوني في المنطقة .

وبالتالي فان التصدي الحقيقي للتسوية لا يكون بالتالي مجرد معارضة هذا القرار ، او تجنب توقيع ذاك الصك (في بعض الاحيان لا يكون هذا التوقيع مطلوبا او ضروريا) بل ان التصدي الحقيقي للتسوية يتم على التصدي الكامل لهذه الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية حيث تجري **اولا** محاربة التغلغل الاقتصادي الامبريالي بكافة اشكالها من خلال انتهاج سياسة الاستقلال الاقتصادي ، والتكامل العربي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ،و توثيق الروابط مع الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث ... و **ثانيا** محاربة الديكتاتوريات وكل مظاهر القمع والارهاب وتكبيل الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في التصدي للتسوية وذلك من خلال التمسك الشديد بالحريات الديمقراطية وخوض معركتها في كل موقع وفي كل قطر ، و **ثالثا** محاربة مخططات التقسيم والتفتيت والتشرذم في الواقع العربي من خلال التمسك بوحدة كل قطر . وبالوحدة العربية التي تشكل الرد التاريخي على كل قوى التجزئة والتخلف والثورة المضادة .

الوهم الثاني : هو الاعتقاد بان التسوية .بالمفهوم المتعارف عليه دوليا ، قريبة الى الحد الذي تصوره البعض . القابل والرافض على حد سواء ، غداة حرب تشرين . في حين ان التحليل الموضوعي لطبيعة الصراع العربي ـ الصهيوني وتحديده ، ايجازا ، بانه صراع وجود وليس تناقض حدود ،بالاضافة الى تحليل شبكة العلاقات والمصالح الدولية المرتبطة بهذا الصراع والقائمة عليه ، تؤكدان التسوية الوحيدة المتاحة ، هي تسوية وحيدة الجانب ، تسوية التنازلات العربية المتواصلة حيث يؤدي كل تنازل الى اضعاف الموقف العربي ، ويؤدي هذا الضعف الى تنازل جديد فضعف جديد مما يدخلنا ، كما هو حاصل اليوم ، في حلقة التنازلات المفرغة .

وبهذا المعنى فان هذه التسوية التصفوية تحتاج الى مرحلة تاريخية كاملة وتستهدف العديد من القوى التي لا تعتبر نفسها قوى جذرية او معادية بشكل كامل لنهج التسوية .

ان استيعاب القوى الاكثر ثورية . والاكثر جذرية لحقيقة التسوية المطروحة بمداها الزمني المفتوح ، وباتساع القوى المستهدفة بها ، يجعلها تمتلك قدرات متنامية على خلق الشروط المعرقلة لهذه التسوية .

واذا كانت الدوائر الامبريالية تحاول بين الحين والاخر الايحاء بان هناك حلا قريبا او تسوية على الابواب ، فما ذلك الا للتعجيل بالانقسام العربي من جهة ، ومن اجل تقوية القوى المتحالفة معها كلما تصل هذه الى القوى الى الطريق المسدود في مراهنتها على الدور الاميركي في انجاز التسوية ٠

واذا كانت الخطوات الجزئية المحدودة التي تمت على طريق التسوية خلال السنوات الاربع قد كلفت الامة العربية ثمنا غاليا من الانقسام المرير والصراع الدموي الرهيب على المستوى العربي ، فان طموح الخطوات المقبلة المطروحة لن يكون اكثر من المزيد من الاستدراج للعرب وللفلسطينيين الى افخاخ الصراعات الدموية الحادة التي تضمن اختزالا للقوى العربية وديمومة متنامية للقوة الاسرائيلية ٠

الوهم الثالث : هو الاعتقاد بان حركة التطور التاريخي هي حركة تمليها التكوينات الذاتية والنوايا الشخصية للافراد والهيئات والحركات اكثر مما تمليها موازين التطور الموضوعي للحركة التاريخية ٠

ان هذا الوهم الذي وقع فيه بعض الحكام العرب في تعليقهم الامال الكبار على هذا المسؤول الاميركي او ذاك ، والذي تقع فيه ايضا بعض الحركات والمنظمات في تحليلها وتقييمها لبعضها البعض ، يلعب دورا تشويشيا في امكانية بلورة صورة صافية واضحة للصراع وقوانينه وتطوره ٠

فكما انه ليس كافيا في مجتمع كالمجتمع الاميركي ، حيث تتشابك القوى والمصالح الضخمة والمختلفة ، ان يكون هناك رئيس او وزير اميركي متعاطف مع المطالب العربية حتى يتمكن من الضغط على اسرائيل ، فانه لا يكفي ايضا ان يكون هناك حاكم عربي راغب في التسوية حتى تقع التسوية فعلا ٠٠٠

ذلك ان المسألة هي دوما مرتبطة بطبيعة الصراع ، بطبيعة القوى المتصارعة وحجمها ومسار تطورها ، وبطبيعة الاستراتيجيات والسياسات والتكتيكات المتبعة ٠

ان مثل هذه الحقائق تحمل القوى الثورية والجذرية المتصدية فعلا للتسوية مسؤولية اكبر ليس في كشف نوايا المستسلمين ومخططاتهم فحسب ٠ وهذه مسالة يمكن للصحف واجهزة الاعلام وحدها القيام بها ، بل في توفير الظروف والقوى والعوامل التي تجعل من الوطني اكثر وطنية ، ومن المستعد للتفريط اقل حاجة الى التفريط ٠

انهذه المسؤولية تفرض على القوى الثورية المزيد من التمسك بالنهج الوحدوي في معالجة الامور ، وفي الممارسة على حد سواء ، لان منطق الوحدة هو المنطق القادر علىمنع التفريط ، بينما نرى في الانقسام والتناحر المناخ

النموذجي لنمو اجواء اليأس والتراجع والاستسلام ٠

الوهم الرابع : هو اعتبار كافة القوى المحلية والعربية والعالمية الراغبة في التسوية السلمية لازمة المنطقة هي قوى متماثلة في دوافعها وغاياتها ،ومتشاركة في تحمل مسؤولية المؤامرة الكبرى على شعبنا ٠٠٠

ان مثل هذا الوهم ، بغض النظر عن نوايا اصحابه ، يصب في طاحونة المؤامرة ذاتها لانه يشيع اليأس والشعور بالعجز ويضع شعبنا امام خيارين لا ثالث لهما الانتحار او الاستسلام ٠

والحقيقة ان هناك قوى عديدة ، عالمية وعربية ، تسعى الى التسوية لاهداف متباينة ، ودوافع مختلفة ، فمنها من يرى في فرض التسوية على الامة العربية وشعب فلسطين شرطا لاحكام السيطرة الاستعمارية والوجود الصهيوني ، ومنها من يرى في هذه التسوية تحقيقا لمكتسبات معينة للامة العربية تعبر في حقيقتها عن موازين القوى في هذه المرحلة ، بل ان مستقبل هذه التسوية مرهون بتطورات الوضع العالمي والعربي والمحلي على حد سواء ٠٠٠

ان رفضنا للتسوية المطروحة والتي يعبر عن حدودها القراران (٢٤٢) و (٣٣٨) لا يجوز ان يحجب عن رؤيتنا ، لحظة واحدة ، الفروق النوعية في مواقف الاطراف الراغبة في التسوية ، وبالتالي الامكانية التي تتمتع بها قوى التصدي للتسوية في خلق الظروف والاوضاع والقوى التي تسهم في رفع مستوى ودرجة المساندة والتأييد الذي نلقاه من بعض هذه الاطراف كالاتحاد السوفياتي مثلا ٠٠٠

صحيح ان السوفيات هم مع تسوية تضمن الى جانب الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، واقامة دولة فلسطينية مستقلة ، حق دولة العدو الصهيوني في الوجود والبقاء ، لكن السوفيات هم ايضا مع الموقف العربي اولا ومع الفلسطينيين بقيادة منظمة التحرير بشكل خاص ٠٠٠ وبالتالي فان كل اتجاه فعلي وجدي في تطوير القوى العربية والفلسطينية على نحو يساهم في ميلان موازين القوى لمصلحتنا سيدفع السوفيات بالتأكيد الى تطوير موقفهم باتجاه عدم الاصرار على انتزاع اعتراف عربي وفلسطيني بحق دولة اسرائيل في الوجود والبقاء ٠٠٠ ان هذا التطور المستمر في الموقف السوفياتي تجاه المسألة الفلسطينية قد ابرزه مسار الاحداث وتطورها وكلما تصاعد النضال العربي واشتد الكفاح الفلسطيني كنا نجد تطورا ملحوظا في الموقف السوفياتي ٠

وبهذا المعنى يكتسب الموقف من السوفيات مثلا دقة خاصة ، ويعبر عن مستوى من النضج الذي بلغته ثورتنا وجماهيرنا ٠ فهذا الموقف يقوم على

قاعدتين في وقت واحد : الاستقلالية العربية . والموقع العربي فـي تحالـــف قوى الاشتراكية والتحرر في العالم ، فلا نندفع في التهجم علـــى السوفيـــات واتهامهم بالتفاهم مع الامبريالية الاميركية على حساب الامة العربية ، كمـــا لا نندفع بالمقابل الى مواقع الارتباط الكامل بالسياسة السوفييتية في المنطقة ·

الوهم الخامس : الاعتقاد بان الوضع الراهن لموازين القوى الدولية والعربية هو وضع ثابت ونهائي ··

فنتيجة لمثل هذا الوهم دفع البعض اثر حرب تشرين في خطأ الاعتقاد بانـه قد حصل تبدل فعلي في ميزان القوى لصالحنا فاندفع في الدعوة الى الاستفادة من هذا التبدل مساهما ، عن غير قصد طبعا ، في نشر مناخ من الاسترخـــاء السياسي والنضالي ساد مرحلة ما قبل حرب لبنان ، واذا بهذه الحرب تفاجىء الكثيرين . واذا بموازين القوى ، نتيجة بعض السياسات والممارسات من بعض الانظمة العربية ، تتراجع لغير مصلحتنا ···

وبالمقابل نجد اليوم البعض الاخر ممن ينظر الى التردي الراهن في موازيـن القوى نظرة ساكنة وشبه ثابتة ، فيقع في خطأ النظرة التشاؤمية التي تـرى ان المؤامرة قد شارفت على اكمال فصولها بنجاح ···

والحقيقة ان المظاهر الطافية على السطح لحقيقة الوضع العالمي والعربـــي ليست مظاهر نهائية او ابدية . بل ان تحت هذا السطح الراكد فـي الحيـــاة العربية تتجمع وتتفاعل عوامل وتناقضات ضخمة . منها مـــا يفرزها الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتردي لا سيما في انظمة ودول المجابهة . ومنها مـا يفرزها تسارع وتيرة الوعي الشعبي والقومي لمخاطر التحديات المطروحة· فمثل هذه العوامل والتناقضات تشكل ركيزة اساسية لمنطق الثورة والتصدي بل هـــي الحليف الرئيسي لها اذا احسنت القوى الثورية استيعاب حقيقتهـــا ووضـع البرامج والوسائل الكفيلة بالاستفادة من وجودها ··

فالامبريالية في ازمة بنيوية متفاقمة تعبر عن نفسها في احتـــدام التناقضات بين اطراف المعسكر الامبريالي وداخل كل طرف ، لاسيما داخل المركز الامبريالي في الولايات المتحدة الاميركية ···

والصهيونية ، رغم كل مظاهر الاستعداد العسكري المتواصل ، تعاني مـــن مأزق مصيري دخلته بشكل واضح منذ حرب تشرين حتى الان ولم تتمكن بعـد من ايجاد المخرج الملائم منه ···

والانظمة المرتبطة او المشبوهة في بلادنا لم تزل عاجزة عن حل اية مشكلة من المشاكل الجدية التي تواجهها سواء فـي مجـــالات السياسة او الاقتصاد او الاجتماع او الصحة او التربية الخ ···

الا انه بالمقابل لا يجوز لنا ان نهمل الازمة الذاتية العميقة التي تمر بها حركة الثورة العربية بكل فصائلها وقواها ، تلك الازمة التي تفسر العديـــد مـــن التراجعات على كل صعيد ، والتي تسهم بشكل واضح في انعاش كافة القـوى والتيارات المعادية للتحرر والتقدم في هذه المنطقة ٠

ان طرد هذه الاوهام ، والتمسك بالمهمات المركزية المطروحة ، هما اللــذان يشكلان الاطار الحقيقي من اجل تحويل الصمود والتصدي من شعار لمؤتمر الـى فعل في ارض الواقع ٠٠٠

محمد شديد

سياسة أميركا ازاء الفلسطينيين

كثيرا ما قيل أن الولايات المتحدة لا سياسة لها ازاء الفلسطينيين ، وان مشكلة الفلسطينيين كانت تعالج دائما على اساس أن الفلسطينيين جزء لا يتجزأ من القضية الاكبر لسياسة الشرق الاوسط · وفي الواقع كان الفلسطينيون دوما عاملا لا يتجزأ من المناورات الاميركية في الشرق الاوسط ، وبدورهم لاقوا الاهمال والتجاهل المتعمد والتغاضي كما كانوا محط خوف وذم وسوء تفاهم ومهادنة ومغازلة حسبما اتفق ذلك مع مفاهيم الولايات المتحدة لمصالحها في المنطقة · أما التصريحات الاميركية الاخيرة المعبرة عن الحاجة الى وطن فلسطيني وعن قبول بمشاركة فلسطينية في المفاوضات من اجل ذلك الوطن ، فيمكن تفسيرها كمرحلة نهائية للمناورات بالقضية الفلسطينية بغية تحقيق تسوية في جنيف بأقل كلفة ممكنة للمصالح الاميركية · لقد تطورت سياسة الولايات المتحدة نحو الفلسطينيين في هذا القرن على مراحل ، استجابة لتيارات سياسية واقتصادية داخلية وخارجية · وفي هذه الدراسة آمل في أن اتعقب بايجاز الاتجاهات والتحولات الرئيسية للسياسة الاميركية في نطاق هذه المراحل :

(١) السياسة السابقة لعام ١٩٤٨ للفلسطينيين بكونهم « لا شعب » ،

(٢) ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ الفلسطينيون كلاجئين ،

(٣) ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ فترة المواجهة ،

(٤) ١٩٧٣ ـ الى الوقت الحاضر ـ مرحلة العلاقة التي يتجاذبها التقارب والتباعد ·

المرحلة السابقة لعام ١٩٤٨

نلاحظ وجود اهتمام اميركي ناشط على المستوى الفردي ، بفلسطين منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر · وقد وثق التقليد اليهودي ـ المسيحي فيهم العلاقات الدينية والعاطفية مع الارض المقدسة · واليهود بنوع خاص ، مع تركز الكثير من تقاليدهم الدينية

والثقافية على القدس ، اعربوا عن توقهم « للعودة » الى ارض فلسطين ، روحيا ان لم يكن جسديا · وباستثناء عدد ضئيل ، لم تكن فكرة الاستقرار في فلسطين ذات جاذبية كبيرة لدى اليهود الاميركيين (١) ، علما بان عدة طوائف مسيحية اميركية استقرت في فلسطين في اواخر القرن التاسع عشر · وكانت عوامل اخرى ايضا مسؤولة عن الاهتمام بالمنطقة ، بما فيها ما يسمى روح « الريادة » لدى الاميركيين والتنافس مع النفوذ البريطاني على المنطقة · والامر الملفت ، هو ان الاهمية الاقتصادية والاستراتيجية لفلسطين لم تلفت ابدا انظار ومطامح قادة رجال الاعمال الاميركيين واصدقائهم ··

اما على الصعيد المنظم ، فقد كان الصهاينة الاميركيون ، بصورة رئيسية ، هم الذين واجهوا الادارات الاميركية ومجالس الكونغرس والزملاء من رجال الاعمال والقادة الدينيين وغيرهم في محاولة لدفع اميركا الى احتضان الاهداف الصهيونية · ولم يكن من الصعب « بيع » فكرة النفوذ الاميركي الدائم في المنطقة وما لبثت الولايات المتحدة ان حلت محل بريطانيا كأفضل صديق للصهاينة · وقد لا تكون فكرة الصهيونية « ولدت » في اميركا ، الا ان اميركا كانت مسؤولة ، بواسطة الاقنية المالية والدبلوماسية والسياسية، عن تأمين بقاء وتطور المثل الصهيونية وعن خلق وحماية « جليات ـ الطفل » ، اسرائيل·

واول من حاول كسب دعم حكومي من اجل اقتراح وطن يهودي في فلسطين كانت جماعة من رجال النخبة الاميركيين ، برئاسة الرجل النافذ و·اي· بلاكستون ، وذلك في ١٨٩١ ـ اي ستة اعوام قبل المؤتمر الصهيوني العالمي الاول · وقد رفع الاقتراح الى الرئيس وليم هنري هاريسون فيشكل عريضة وقعها بعض اصحاب ابرز الاسماء في ذلك الزمان : قاضي القضاة ملفيل فوللر ، رئيس مجلس النواب طوماس ريد ، الكاردينال غيبونز ، المصرفي ج · بيربونت مورغان ، جون د · روكفلر ، وليم روكفلر ، والرأسمالي راسل سيج (٢) · وكانت هذه بداية حملة لم تنته ابدا لخلق وطن ، ولحشد قوى قوية ونافذة في اميركا وراء خطة كهذه ، ولدعم الدولة الجديدة بكل قوة عند كلّ ازمة ·

في المرحلة السابقة لعام ١٩٤٨ كانت قرارات ثلاثة رؤساء اميركيين ـ ولسون وروزفلت وترومان ـ هي التي شكلت الركيزة الاساسية لسياسة اميركا الفلسطينية · لم تكن ثمة سياسة ازاء « الفلسطينيين » كفلسطينيين · بل كانت السياسة موجهة نحو منطقة فلسطين ولم تشمل سكانها الوطنيين · وتركزت الجهود على الوسائل والاساليب والاجراءات الضرورية لخلق وطن يهودي في المنطقة · ولم يكن الفلسطينيون يشكلون شعبا في اعين راسمي السياسة ·

كان الرجال الذين يحيطون بالرئيس ولسون هم الذين غذوا اهتمامه بالصهيونية · وكانت صداقته الطويلة والعميقة مع الصهيوني المتحمس لويز برانديز ، بنوع خاص ، هي التي تركت فيه ابلغ تأثير نحو هذا الموقف · وقد قيل ان ولسون كان يعتبر انه مدين بحياته السياسية لبرانديز · وعندما نجح ولسون في تأمين مقعد لبرانديز في المحكمة العليا عام ١٩١٦ ، كان هذا الاخير رئيسا لاتحاد الصهاينة الاميركيين · ولم يكن ولسون يعطف على اهداف الصهيونية فحسب ، ولكنه كان في الواقع يشير الى نفسه كصهيوني في احاديثه مع برانديز وفيليكس فرانكفورتر والقاضي جوليان ماك والحاخام ستيفن وايز ، رئيس « اللجنة التنفيذية الموقتة » للشؤون الصهيونية العامة ، وغيرهم من زعماء الصهيونية الاميركية · (٣)

يعيد المؤرخون « الفضل » الى ولسون لتشجيع بلفور على اصدار وعده الشهير · لقد

سعى البريطانيون الى معرفة مشاعر ولسون حول الموضوع ، واراء كبـــار المسؤوليـــن الاميركيين الاخرين ، واخذوا تلك المشاعر والاراء بعين الاعتبار الدقيق عندما وضع « وعد بلفور » · وفي الرابع من ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ كان اللورد روبرت سيسيل ، الاميـــن العام المساعد لوزارة الشؤون الخارجية البريطانية ، قد ابرق الى الكولونيل هـــاوس ما يلي : « اننا نتعرض للضغط هنا لاعلان عطف على الحركة الصهيونية ، وسأكـــون شاكرا جدا لك اذا شعرت انك قادر على التأكيد بصورة غير رسمية عما اذا كان رئيـــس الجمهورية يؤيد مثل هذا الاعلان ··· » (٤) ·

كان الرئيس ولسون مستعدا تمام الاستعداد لتأييد الاعلان على الرغم من تردد الكولونيل هاوس ، وبعدما ارجأ رده على الكولونيل هاوس نحو شهر ، اجاب ويلسون بالايجاب : « اجد في جيبي المذكرة التي اعطيتني اياها حول الحركة الصهيونية · انني لم اخبـــرك انني اوافق على الصيغة التي اقترحها الجانب الاخر · انا اوافق على تلك الصيغة فـــي الواقع . وسأكون ممتنا لك اذا اخبرتهم بذلك » · (٥) وعندما صدر الاعـــلان حدثـــت ابتهاجات جماهيرية امام القنصليات الاميركية في روسيا وسلاونكا وسيدني وشنغهـــاي ، وتدفقت على ولسون من جميع انحاء العالم عشرات التلغرافات ، وكأنه هو نفسه اصـــدر الاعلان ·

خلال الفترة الاولى للاقتحام الصهيوني لفلسطين ، افلح الصهاينة الاميركيون في دفـــع اميركا في طريق تورطها الطويل في المسألة الفلسطينية عن طريـــق استخدام معونـــة الكونغرس ، وكسبوا تأييد بعض اقوى الشخصيات في الكونغرس وبينهـــم هنري كابـــوت لودج ، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ · وفي الثاني عشر من نيسان (ابريل) عام ١٩٢٢ ، نزولا عند الحاح الصهيونيين ،طرح لودج علـــى مجلس الشيوخ قرارا يعيد تأكيد اعلان وعد بلفور في الاساس ·

تقرر ··· ان الولايات المتحدة تؤيد اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وفقا للشروط التي احتواها اعلان الحكومة البريطانية الصادر في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، والمعروف باسم اعلان بلفور ، مع الفهم فهما تاما بعدم فعل اي شيء قد يؤذي الحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة فـــي فلسطيـــن ، او الحقوق او الوضع السياسي التي يتمتع بها اليهود في اي بلد اخر ، وبوجوب تأميـــن الحماية الكافية للاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين · (٦)

وقد شرح لودج ميله نحو وطن يهودي امام حشد من دائرته الانتخابية في واشنطن :

لم يكن بوسعي ابدا ان اقبل بصبر فكرة ان القدس وفلسطين يجب ان تكونا تحت سيطرة المحمديين ··· ان تبقى القدس وفلسطين ، المقدستين في نظر اليهود ··· وهـــي ارض عميقة القداسة لجميع الامم المسيحية العظيمة في الغرب ، بصورة دائمة في ايدي الاتراك ، هذه الفكرة بدت لي منذ اعوام عديدة احدى اعظم اللطخات على جبين المدنية ، ويجـــب محوها · (٧)

ومع ان الصهاينة ركزوا جهودهم فقط على حث مجلس الشيوخ على العمل ، فقد تلقوا المساعدة من جانب اخر ايضا · ففي الرابع من نيسان (ابريل) قدم النائب هاملتـــون فيشي ، بمبادرة خاصة على ما يبدو ، مسودة قرار تعاطف في مجلس النواب ، وصف فيه « اعادة خلق » « وطن قومي » لليهود في فلسطين بانه « عدالة تاريخية » · (٨)

ان الفرق في نص مسودتي القرارين مصدره اكثر من مجرد فرق في الشخصين اللذين تبنيا تقديمهما · فقرار فيش من شأنه فقط ان يجعل مجلس النواب يدخل في سجلاته انه يوحي « بتعهد » في حين ان قبول قرار مجلس الشيوخ كان سينطوي على موافقة الكونغرس على « اقامة وطن قومي » ، وهو فرق ادركه الصهاينة · (٩)

خلال مناقشة القرار تقدم النائب فيش ، وهو يبحث عن صيغة يقبل بها مجلس النواب ، بتعديل لقراره السابق · وفي الثلاثين من حزيران (يونيو) ١٩٢٢ وافق المجلس على القرار دون التصويت عليه ، ولم يؤت على ذكر معارضة · (١٠) لقد ابلى الصهاينة بلاء حسنا · واذا كانت أية معارضة قد ظهرت على السطح في واشنطن فقد دفنت تحت وابل من البرقيات والرسائل الموالية للصهيونية من جميع انحاء البلاد ، من اليهود وغير اليهود على السواء · (١١) من هذه الناحية ، استخدم الصهاينة « جمعية اصدقاء فلسطين اليهودية »، وهي منظمة من المسيحيين كانوا قد دعوها لاستمداد العطف بين السكان بوجه عام · (١٢) وفي الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) تم اخيرا تبني النص الذي يقبل به كلا المجلسين· وفي هذا الشكل ارسل القرار المشترك الى رئيس الجمهورية ، ووقعه هاردرينغ بعد تلقي الموافقة المانعة من وزارة الخارجية · (١٣) وهكذا سجل الصهاينة انتصارا رئيسيا · وجاء في القرار النهائي ما يلي :

قرر مجلسا الشيوخ ونواب الولايات المتحدة في الكونغرس المجتمع . أن الولايات المتحدة الاميركية تؤيد اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين على أن يفهم فهما واضحا ان شيئا لن يعمل مما قد يؤذي الحقوق المدنية والدينية للمسيحيين ولجميع الجاليات غير اليهودية الاخرى في فلسطين · وأن الاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين سوف تحمى حماية كافية · (١٤)

ومهما يكن من امر فقد صار بامكان الصهاينة الان الذهاب الى الحكومات الاخرى وهم يلوحون بهذا القرار · فالقرار اذن لم يعزز مركز الصهاينة في الخارج وحسب . ولكنه قد يكون حقق احد اهداف الذين تبنوه · الى اية جهة على وجه الدقة الزمت الولايات المتحدة نفسها بتبنيها لذلك القرار ؟ مما لا ريب فيه ان القرار لا ينطوي على اى التزام قانوني · ومن الواضح ان قصد الكونغرس كان تجنب اي التزام سياسي معين · فهو اذن لم يكن سوى تعبير عن تعاطف مع الحركة الصهيونية وتأييد لاعلان بلفور · ومن الواضح أن الكونغرس عهد بتنفيذه الى مهندسيه البريطانيين · الا ان القرار فسر ايضا على انه يلزم الولايات المتحدة لا بحماية الاماكن المقدسة فحسب ، بل ايضا بالوطن القومي نفسه ، اذا ما تخلى البريطانيون عنه لاي سبب كان ·

لقد سببت التطورات السياسية في الثلاثينات من هذا القرن قدرا كبيرا من القلق والخوف بين الصهاينة ، ولا سيما الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ومضاعفاتها في فلسطين والخارج · وقد دفعت الثورة الحكومة البريطانية الى اصدار « الكتاب الابيض » عام ١٩٣٩ ، وهو الذي حدد الهجرة اليهودية الى فلسطين بـ ٧٥ الفا في الاعوام الخمسة اللاحقة ومنع الهجرة اليهودية بعد ذلك دون « موافقة العرب في فلسطين » كما اعطى الفلسطينيون وعدا بزيادة الحكم الذاتي ، علما بان اخلاص تلك الوعود تبقى موضع شك · (١٥)

وجاءت ردة فعل الصهاينة على « الكتاب الابيض » عبر اشكال ثلاثة : (١) عززوا قوتهم العسكرية في فلسطين ، (٢) نقلوا قاعدة عملياتهم السياسية من لندن الى واشنطن ،

(٣) زادوا من جهودهم للحصول على التزام سياسي اكيد من الولايات المتحدة ·

واجتمع الصهاينة الاميركيون عام ١٩٤٢ في فندق بلتمور لاستنكار «الكتاب الابيض» البريطاني لتأكيد التزامهم بوطن قومي يهودي في فلسطين · وبعد هذا المؤتمر برزت الحركة الصهيونية الاميركية اكثر اتحادا من ذي قبل · وأعيد تنظيم «مجلس الطوارىء الصهيوني الاميركي» وعين الحاخام ابا هيلال سيلفر، وهو رئيس اللجنة التنفيذية، مسؤولا عن عمل العلاقات السياسية والعامة في الولايات المتحدة ·

وهكذا اتسع نطاق جهوده · ووضع مجلس الطوارىء الاساس لطرح قرارات في مجلسي الكونغرس تهدف الى جعل الهيئة التشريعية تسجل تأييدها خلق دولة اسرائيل · وشكلوا حملة منظمة للضغط على النواب والشيوخ في واشنطن وعلى صعيد الولايات للحصول على تأييد زعماء الاكثرية والاقلية في الكونغرس وعلى دعم عام قوي ·

وقد جاء في القرارين، اللذين قدمهما في مجلس النواب النائب جيمس رايت وهو ديمقراطي من ولاية بنسلفانيا وفي مجلس الشيوخ الشيخان تافت وواغنز، ما يلي :
في حين أن الكونغرس السابع والستين للولايات المتحدة قرر في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٢ بالاجماع أن : الولايات المتحدة الاميركية تؤيد اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، على أن يفهم فهما واضحا أن شيئا لن يعمل مما قد يؤذي الحقوق المدنية والدينية للمسيحيين ولجميع الجاليات غير اليهودية الاخرى في فلسطين، وان الاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية المقدسة في فلسطين سوف تحمى حماية كافية، وفي حين أن الاضطهاد الذي لا يرحم للشعب اليهودي في اوروبا قد اظهر بوضوح الحاجة الى وطن يهودي كملاذ للاعداد الكبيرة التي اصبحت بلا مأوى نتيجة لهذا الاضطهاد لذلك، تقرر أن الولايات المتحدة ستستخدم علاقاتها الطيبة وتتخذ الاجراءات المناسبة بغية فتح أبواب فلسطين أمام دخول اليهود الحر الى ذلك البلد، وان تكون هناك فرصة كاملة للاستعمار لكي يتاح للشعب اليهودي في النهاية اعادة تكوين فلسطين ككومنولث يهودي حر وديمقراطي · (١٦)

وناقشت لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس النواب القرار علنا في شباط (فبراير) عام ١٩٤٤، وخلال تلك المناقشات عرضت الاراء الصهيونية والمناهضة للصهيونية والقومية العربية · (١٧) وعلى الصعيد الدولي اثار القرار ردود فعل قوية جدا من العالم العربي، خصوصا في وقت كانت اميركا فيه بحاجة الى تعاون العرب في جهودها الحربية· وحث وزير الخارجية هل Hull ووزير الحربية ستمبسون الكونغرس على تأخير القضية وأنذربالضرر المحتمل الذي ستسببه لمصلحة اميركا في الشرق الاوسط في ذلك الوقت · وطرح القراران على التصويت وكانت الموافقة عليهما مفروغا منها · لكن الالتزام الاميركي لفكرة دولة يهودية لم يكن قد حان وقتها في ذلك الحين ·

الرئيس روزفلت وفلسطين :

كان روزفلت أول رئيس اميركي منذ ولسون واجهته معضلة اتخاذ قرارات صعبة للولايات المتحدة فيما يتعلق بفلسطين · بيد أن ادارة روزفلت لم تنجح قط في حل النزاع بين الضرورة العسكرية والاستراتيجية والاقتصادية ظاهريا لترضيةالعالم العربي، والمزاعم

« الانسانية » ظاهريا للصهاينة مدعومة بكثير من الضغط الاقتصادي والسياسي · وبالنظر للاعتبار الاهم وهو كسب الحرب ، لم يكن في مقدور وزارة الخارجية ولا البيت الابيض صياغة سياسة واقعية حول الشرق الاوسط ككل ·

طوال عام ١٩٤٣ كان واضحا ان الولايات المتحدة ما تزال تبحث عن صيغة · وفي ربيع وصيف تلك السنة بحثت وزارتا الخارجية الاميركية والبريطانية اقتراحا بان لا تعلن الامم المتحدة اي قرار حول فلسطين الى ما بعد الحرب ، والا تعلنه آنذاك الا بالتشاور الكامل مع اليهود والعرب · وقد وافق كل من روزفلت والبريطانيين على النص ، لكن الاعلان لم يصدر وذلك نزولا عند اعتراض وزارة الحرب ، وربما خوفا من ان اي تصريح على الاطلاق قد يسيء الى العرب · (١٨) وقرر تشرشل وروزفلت في مؤتمرهما في كيبك في آب (اغسطس) ان يراجعا الوضع الفلسطيني من شهر الى شهر · (١٩)

وفي هذه الاثناء كان رئيس الجمهورية يفكر بخطة جديدة · وفي السابع والعشرين من ايلول ١٩٤٣ قال لهوسكنز انه متأثر بفكرة وصاية اوسع على فلسطين ، على ان يكون الاوصياء المسؤولون الثلاثة يهوديا ومسيحيا ومسلما · (٢٠) ويبدو ان وزارة الخارجية الاميركية اخذت هذه الخطة بعين الاعتبار ولكنها اهملت المشكلة عمدا · فقد شعرت وزارة الخارجية انه من غير المحتمل جمع اليهود والعرب معا على اساس ودي في ذلك الحين ، وانه سيكون من الحكمة تجنب اثارة المتاعب عن طريق محاولة تسوية المشكلة بصورة « سابقة للاوان » · (٢١)

ان سياسة التأخير والامل في ان يتفق العرب واليهود تساعد في تفسير الاحداث في واشنطن فيما اقترب الموعد النهائي الذي عينه « الكتاب الابيض » لانهاء الهجرة اليهودية· فقد طلب النائب الاميركي صموئيل وايز من الرئيس روزفلت التدخل مع البريطانيين لالغاء « الكتاب الابيض » · وقال روزفلت في جوابه ، الذي وضعت مسودته وزارة الخارجية ، ان المسألة تحاط « بتفكير دقيق الا ان الكثير من « الصعوبات » و « النزاعات والمشكلات » قد نشأت فيما يتعلق بها » · كذلك رفض رئيس الجمهورية الموافقة على تصريح انكلو ــ اميركي حول فلسطين وضع في اوائل ١٩٤٤ وقدمه له الامين العام المساعد لوزارة الخارجية ادوارد ستاتينيوس · (٢٢)

وكان الاعلان سينص على ما يلي :

١ ــ يعد بالتشاور الكامل مع العرب واليهود قبل اتخاذ اي قرار ·

٢ ــ يرحب باتفاق قبل نهاية الحرب ·

٣ ــ يتعهد باعادة النظر في الوضع الفلسطيني بعد الحرب لتثبيت « حل عادل واكيد منصف لجميع الفرقاء المعنيين » ·

٤ ــ ينطوي على انذار من البريطانيين بانهم لن يسمحوا للقوة بتغيير الوضع القائم في ذلك الحين · (٢٣)

وليس واضحا لماذا رفض روزفلت السماح باصدار مثل هذا الاعلان · فالنقاط الثلاث الاولى كانت مجرد ترديد لموقفه هو ، في حين انه ما كان ليعترض على النقطة الرابعة · وكان ستاتينيوس مقتنعا بأن مثل هذا التصريح المشترك ضروري « لتوضيح » الوضع ونصح روزفلت بالتحدث مع هوسكنز · وكان ستاتينوس ومعه وزارة الخارجية الاميركية

راغبين في تحييد الاثار التي تتركها القرارات الموالية للصهيونية والمطروحة أنذاك امام الكونغرس · (٢٤)

ولكن عندما حان الوقت لان ينظر الكونغرس في القرارات الموالية للصهيونية ، اتخذت وزارة الخارجية موقفا حازما ضد المصادقة عليها · وكتب هل Hull يقول :

« في وزارة الخارجية شعرنا ان المصادقة على هذه القرارات ، وان لم تكن ملزمة للحكومة ، ستسبب نزاعا في فلسطين واجزاء اخرى من العالم العربي ، مما يهدد بالخطر القوات الاميركية ويتطلب تحويل القوات في اوروبا وغيرها من مناطق القتال » · (٢٥)

ونتيجة لذلك نقل مساعد وزير الخارجية هذه المخاوف الى جماعة من اعضاء مجلس الشيوخ ووضعت مسودة مذكرة يرسلها الى الكونغرس رئيس الجمهورية ، اذاكان النفوذ الشخصي للرئيس روزفلت ضروريا لمنع المصادقة على القرارات · الا ان التطورات اثبتت ان لا حاجة الى ذلك ، اذ ان معارضة وزارتي الخارجية والحربية مجتمعتين نجحت في منع اتخاذ اي قرار اخر في مجلس النواب والشيوخ ، وفي الواقع كان صوت المعارضة في الشرق الاوسط عاليا كفاية · فقد وردت احتجاجات من العراق ومصر ولبنان وسوريا وشرق الاردن واليمن والعربية السعودية · واكدت وزارة الخارجية الاميركية لهذه الحكومات القلقة من هذه القرارات ، حتى ولو صدق عليها ، فلن تكون ملزمة للحكومة الاميركية · واتبع الرئيس روزفلت ذلك بتاكيدات شخصية · (٢٦) وكان جواب رئيس الجمهورية الى ابن سعود في الثالث عشر من اذار (مارس) ، والى عبد الله في شرق الاردن في السابع عشر من اذار ان لا « ··· قرار يغير الحال الاساسية في فلسطين سيتخذ دون مشاورات كاملة مع كل من العرب واليهود · » (٢٧) وظهرت تعبيرات مماثلة في رسائل ارسلت الى مصر واليمن · وفي الوقت ذاته كتب رئيس مجلس النواب والشيوخ العراقي الى رئيس مجلس النواب سام رايبرن يشير بقوة الى"الخطر على المصالح الاميركية في العالم العربي اذا ما صدق على القرارات · وفي السابع من اذار قال رايبرن : « اعتقد ان الامر سيؤدي فعلا الى الخطر اذا لم نكن حذرين · واظن ان الامر في يدنا في مجلس النواب » · وعلى ضوء ما صرح به الى الحاخاميين وايز وسيلفر ذلك اليوم عينه ، فان جواب رئيس الجمهورية لرايبرن في التاسع من اذار ينطوي على اهمية خاصة · فقد كتب روزفلت يقول ان الرسائل من العراق ليست الا جزءا « ··· من عدد ضخم من الاحتجاجات ··· وتمثل فقط مايحدث اذا تدخلت الاوضاع الدولية الدقيقة في السياسة الحزبية ·» واعرب ايضا عن « سروره » لكون القرارات « تحت السيطرة » في مجلس النواب · (٢٨)

ولكن اذا كان روزفلت هنا الاستراتيجي الدولي ، المعني بسياسة القوة ، فان السياسة الداخلية اثرت بوضوح على استنكاره للحاخامين · اذ لم يكن الحزب الديموقراطي معنيا بالانتخابات المقبلة فحسب ، ولكن الرئيس والحاخام وايز كانا صديقين لاعوام، منذ ان كان روزفلت حاكما لولاية نيويورك ، من ١٩٢٩ الى ١٩٣٣ · (٢٩) وربما فسر هذا لماذا عرف الرئيس نفسه كصهيوني خلال اجتماعه مع ستالين في يالطا :

قال المارشال ستالين ان المشكلة اليهودية مشكلة صعبة جدا ـ وانهم حاولوا اقامة وطن قومي لليهود في بيروبيجان ، الا انهم لم يمكثوا هنا سوى سنتين او ثلاث سنوات ثم تفرقوا في المدن · وقال ان اليهود هم تجار في طبيعتهم ، لكن الشيء الكثير قد تحقق بوضع جماعات صغيرة في بعض المناطق الزراعية ·

وقال رئيس الجمهورية انه هو صهيوني وسأل اذا كان المارشال ستالين صهيونيا ٠

وقال المارشال ستالين انه صهيوني من حيث المبدأ ، ولكنه يدرك الصعوبة ٠ (٣٠)

ناصر وايز رئيس الجمهورية بنشاط في جميع حملاته من اجل المناصب ، وخطب مؤيدا له في جميع انحاء البلاد ٠ (٣١) وعمل وايز ايضا كمستشار له حول المشكلات المؤثرة في اليهود وفلسطين ٠ (٣٢) وكان رئيس الجمهورية يصغي له بعطف ، ولكنه لم يكن يرضي وايز دائما ٠

قد يشتبه المرء بان وايز غفل عن احد اهم القرارات الاميركية حول فلسطين ، وهو قرار اتخذه روزفلت نيابة عن الصهاينة ، عندما حث عام ١٩٤٣ الحكومة البريطانية ، السلطة المسؤولة في فلسطين آنذاك ، على السماح بدخول مئة الف لاجيء يهودي الى فلسطين ٠ وكان هؤلاء هم نفس اللاجئين الذين حرموا الدخول الى الولايات المتحدة ٠ وبهذا القرار ربط روزفلت مصير اللاجئين الاوروبيين بمستقبل فلسطين ، وهكذا ثبت الادعاء الصهيوني بان فلسطين يجب ان تحفظ كملجأ نهائي ليهود العالم ٠

واكتشف روزفلت قبيل وفاته ان اي حل وسط بين العرب والصهاينة لن يكون سهلا قط ، ولم يتحقق امله ابدا في اجراء مفاوضات بين الفريقين ٠ وكتب ولز Welles ان الرئيس قال ذات مرة ، انه اذا اخفقت المفاوضات المباشرة بين اليهود والعرب ، فانه يتوجب على منظمة الامم المتحدة ان تخلق كومونولث يهودي وتحميه بقوة شرطة دولية الى ان يستطيع حماية نفسه ، وربما كان هذا اتجاه تفكير روزفلت حين وفاته ٠ (٣٣) ومن جهة اخرى ليست هناك اية ادلة مباشرة من اي مصدر اخر بان هذه السياسة كانت موضع اعتبار جدي ودراسة عميقة ٠ ولم تتخل الولايات المتحدة ابدا عن التزام الرئيس روزفلت بخلق كومونولث يهودي ٠ فقد كان على خليفته هاري ترومان ان يتخذ اهم القرارات لتأمين تحقيق ذاك الهدف ٠

الرئيس ترومان وفلسطين :

بعد وفاة روزفلت بثمانية ايام سعى الصهاينة الاميركيون الى الحصول على تاكيدات من خلفه بانه لن يكون هناك تحول عن السياسات التي رسمها الحزب الديمقراطي والرئيس الراحل ٠ وقد واجه الرئيس ترومان اكثر من سلفه التضمينات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية لحالة الشرق الاوسط بعد الحرب ٠ وفي العشرين في نيسان (ابريل) عام ١٩٤٥ استقبل ترومان الحاخام ستيفان وايز الذي ناشد الرئيس بخصوص محنة الضحايا اليهود للاضطهاد النازي ٠ كذلك اكد على الحاجة الى دولة يهودية ٠

وادرك وزير الخارجية ستاتينيوس ان الزعماء الصهاينة سيقومون بزيارة الرئيس ترومان فقدم له شرحا حول اهداف الصهيونية واستراتيجياتها ٠ وأشار وزير الخارجية الى ان الاهداف البعيدة المدى لفلسطين يجب الا تغيب عن البال لدى معالجة المسالة الفلسطينية ٠ وتبعا لذلك حاول ستاتينيوس ان يميز بين العطف الاميركي التقليدي على اليهود المضطهدين ومشكلة الاستيطان في فلسطين التي قال انها « تنطوي على اسئلة تتخطى كثيرا جدا محنة اليهود في اوروبا » ٠ (٣٤) وبعد ذلك باسبوعين تلقى تعبير وزير الخارجية عن القلق دعما من نائب وزير الخارجية جوزيف دروو الذي ارسل معلومات تفصيلية الى الرئيس ٠ وقال دروو ان الرئيس الراحل ، على الرغم من تعبيره

عن عطف على اهداف صهيونية معينة ، كان قد اعطى تأكيداته ايضا الى العرب الذين اعتبروها « التزامات اكيدة » · (٣٥) وارفقت مذكرة دروو بنص الرسالة الاخيرة التي بعث بها روزفلت التي ابن سعود وكان قد كتبها قبل موته باسبوع واحد · وأرفقت المذكرة كذلك بخلاصة لحديث الرئيس الراحل مع الملك ، الذي قال دروو « ان نصه الاصلي يفترض ان يكون مع اوراق روزفلت » (٣٦) ·

ويقول ترومان انه كان يدرك ادراكا تاما عداء العرب للاستيطان اليهودي · وكالكثيرين من الاميركيين غيره « كانت تقلقه محنة الشعب اليهودي في اوروبا » · (٣٧) وقد اخذ ترومان كلمات وعد بلفور المتعلقة بوطن قومي لليهود في فلسطين وتصور بطريقة ما أن مبدأ تقرير المصير الذي وضعه ولسون يرتبط بوثيقة بلفور · ومع ان تقرير المصير كان مقصودا به أن ينطبق على المهاجرين اليهود الى فلسطين فانه على ما يبدو تجاهل الاكثرية العربية في فلسطين · والى ذلك فان نظرة ترومان الاساسية الى الوضع كانت تصطبغ بعطفه العميق على الضحايا الاحياء لعنصرية هتلر وبموقفه « القانوني » جدا في اعلان بلفور · كما لم يعبر عن اي شك حول محتوى تلك الوثيقة او الظروف التي احاطت بها وأفترض ان وجودها ينطوي على وعد جدي يجب ان يستوفى ، تماما كما يجب أن تستوفى جميع الوعود التي تقطعها الحكومات المدنية المسؤولة · (٣٨)

في هذه الظروف لم يجد ترومان صعوبة في تطمين الحاخام وايز ، فقال للزعيم الصهيوني انه موافق على السياسة التي عبرت عنها ادارة روزفلت حول فلسطين ووعد بعمل كل شيء ممكن لتنفيذ تلك السياسة · (٣٩) ولم ير ترومان اي تصادم بين المصالح الاميركية والمصالح اليهودية في فلسطين عندما قال :

كان شعوري هو انه من الممكن لنا ان نراعي مصلحة بلدنا البعيدة المدى وفي الوقت ذاته ان نساعد ضحايا الاضطهاد السيئي الطالع في العثور على وطن · واعتقد انني اوضحت للحاخام وايز هذا الامر قبل أن يغادرني · (٤٠)

لذلك فان ترومان ، منذ بداية ادارته ، اوضح انه ينوي المضي في نفس سياسة الرؤساء الاميركيين السابقين حيال فلسطين ·

تقسيم فلسطين :

في الثاني من نيسان ١٩٤٧ طلب الوفد البريطاني في الامم المتحدة من الامين العام للامم المتحدة ، ان يضع المسألة الفلسطينية على جدول اعمال جلسة الخريف للجمعية العامة · واستعدادا للنظر في القضية في ذلك الوقت طلبت بريطانيا منه ان « يدعو في اقرب فرصة ممكنة الى جلسة خاصة للجمعية العامة بغية تأليف لجنة خاصة يعهد اليها » رفع تقرير في جلسة الخريف · (٤١)

وتألفت لجنة خاصة حول فلسطين من ١١ امة تابعة للامم المتحدة سميت «Unscop» · وقامت اللجنة بزيارة فلسطين وفي الحادي والثلاثين من اب (اغسطس) ١٩٤٧ رفعت تقريرا الى الجمعية العامة وكانت اكثرية هذه اللجنة تؤيد تقسيم فلسطين الى دولتين منفصلتين عربية ويهودية مع تدويل القدس · (٤٢) وهكذا تهيأ المسرح لمناقشة التقسيم العنيفة في الامم المتحدة ، مع دعم الولايات المتحدة التقسيم دعما قويا · وقد قال ترومان تعليقا على الضغوط الصهيونية التي تعرض لها البيت الابيض :

لا اعتقد انني تعرضت قط لمثل هذا الضغط الكبير واستهدف البيت الابيض للدعـــاوة كما حصل لي في هذه الحالة ٠ (٤٣)

وكذلك قال مساعد وزير الخارجية روبرت لوفيت انه « لم يتعرض ابدا في حياته لمثـل هذا الضغط الكبير الذي تعرض له في الايام الثلاثة التي بدأت صباح الخميس وانتهـــت ليل السبت » ٠ (٤٤)

وأدعى سمنر ولز Sumner Welles ان البيت الابيض شارك مشاركـــة مباشرة فـــي المسألة :

بأوامر مباشرة من البيت الابيض مارس المسؤولون الاميركيون كل شكل من اشكـــال الضغط المباشر وغير المباشر على تلك البلدان التي تقع خارج العالم الاسلامي ، والمعروفة بأنها اما غير متأكدة من موقفها او معارضة للتقسيم ٠ واستخدم البيت الابيض ممثلـــي الوسطاء للتثبت من تأمين الاكثرية الضرورية في نهاية المطاف ٠ (٤٥)

أن بعض البلدان التي اختيرت كأهداف كانت الامم الست التي عارضت التقسيم ، وهي هاييتي ، الفلبين ، ليبيريا ، الصين الوطنية ، اليونان ، واثيوبيا ٠ وقالت شركة اطارات ومطاط فايرستون ، التي كان لها امتياز في ليبيريا ، انه اتصل بها هاتفياوطلب منهـا ان تنقل رسالة الى ممثلها في ليبيريا تأمره بان يمارس الضغط على الحكومـــة الليبيريـــة للتصويت مع التقسيم ٠ (٤٦)

وقام حاكم ولاية سابق ، وهو ديمقراطي بارز ذو صلات بالبيت الابيض شخصيـــا بالاتصال هاتفيا بهاييتي حاثا اياها على اعطاء التعليمات لوفدها بتغيير تصويتها ٠ (٤٧)

وبالفعل عكست كل من هاييتي وليبيريا موقفهما وصوتتا للتقسيم ٠ وهكذا فعلت الفلبين واثيوبيا ، فيما امتنعت الصين عن التصويت ٠ ومن تلك الامم الست التي وقع الاختيـــار عليها كأهداف ، وحدها اليونان تمسكت بقناعاتها السابقة ، وكانت النتيجة النهائيـــة موافقة الامم المتحدة على التقسيم في التاسع والعشرين من تشرين الثاني (فبرايـــر) ١٩٤٧ ٠

الكولونيل وليم ا٠ادي EDDY قدم ، بعد تقاعده من الخدمة ، المزيد من الادلة حـــول الطبيعة السياسية لموقف حكومة الولايات المتحدة بشأن فلسطين ٠ ويصف الكولونيـل ادي استعادة الدبلوماسيين الاميركيين الاربعة المتمركزين في الشرق الاوسط الى واشنطن ٠ وهؤلاء هم سفراء الولايات المتحدة في مصر ، ولبنان وسوريـــا (المنصب المشتـرك) والعربية السعودية والقنصل العام في فلسطين المنتدبة ٠ وكان الفصل هو اعطاء الرئيـس ترومان رأي الدبلوماسيين في تأثيرات السياسة الاميركية في فلسطين ٠ وكان الناطـــق بلسان هذه الجماعة هو جورج وادزورث Wadsworth الذي تكلم نحو ٢٠ دقيقة مؤكـدا الضرر الذي سيلحق بالمصالح الاقتصادية الاميركية اذا استمرت حكومة الولايات المتحدة في مواصلة سياستها المعادية للعرب في فلسطين ٠ وكتب الكولونيل ادي يقول انه عندمـا انتهى وادزورث من كلامه ، لخص السيد ترومان موقفه بصراحة تامة : « انا آسف يـــا سادة ، ولكنني مسؤول تجاه مئات الالوف من الذين يهمهم نجاح الصهيونية ٠ وليس لدي مئات الالوف من العرب بين ابناء دائرتي الانتخابية » ٠ (٤٨)

ويقول الرئيس ترومان ان الضغط اليهودي على البيت الابيض لم يتناقض في الايـــام التي تلت تبني القرار ٠ وكان الافراد والجماعات يطلبون منه ، « عادة على نحو غاضب

وعاطفي ان يوقف العرب وأن يمنع البريطانيين من تأييد العرب وأن يقـــدم الجنـــود الاميركيين ··· » (٤٩) وأوضحت الفوضى وسفك الدماء في فلسطين التي اعقبت التصويت في الامم المتحدة ان التقسيم لا يمكن ان يكون فعالا الا باستخدام القوة ، وهو موقـــف اتخذه ف·د· روزفلتRossevelt وسمنر ولز وهربرت لهمان وغيرهـــم مـــن انصار الصهيونية · اما العسكريون فقد ادركوا ان وجود قوات اميركية في المنطقة لا يساعـــد الا السوفيات · فان ظهور قوات اميركية من شأنه ان يضع الولايات المتحدة في مركـــز مؤيد لبرنامج مناهض للعرب ومن ثم سيتيح هذا للاتحاد السوفياتي ان يظهر بمظهـــر الصديق الفعلي الوحيد للقومية العربية اذا ما قرر ذلك البلد التخلي عن الصهاينة · (٥٠) ولهذه الاسباب وغيرها من الاسباب الاستراتيجية ، تزايد نشاط وزير الدفاع فوريستـــال في السعي لمنع حصول هذه الحالة · وفي الثالث عشر من كانون الاول (ديسمبر) تكلـــم فوريستال الى حاكم ولاية نيويورك ديوي حول ضرورة اخراج فلسطين مـــن معـــارك السياسة الحزبية · وقال الحاكم الجمهوري ديوي انه في حين يوافق فريستال مـــن حيث المبدأ فانه يشك في أن الديمقراطيين سيلتزمون فعلا بقرار كهذا · (٥١) وازداد قلق وزيـــر الدفاع بعدما سمع من السيد جينينغز Gennings، احد مدراء سوكوني فاكيوم ، فـــي السادس من كانون ثاني (يناير) عام ١٩٤٨ ، ان شركات نفط مختلفة قد قررت تعليـــق عملها على خط النفط العربي بسبب الاوضاع المضطربة في فلسطين · (٥٢) ولم تلق جهود فوريستال نجاحا كبيرا مع الجمهوريين ولا مع اعضاء حزبه هو · وفي الوقت ذاته صار فوريستال يعتقد أن خطورة الحالة تتطلب ان يقوم وزير الخارجية بمحاولة لتأمين اتفـــاق الحزبين الرئيسيين حول هذا الامر · وأعد تقرير بهذا الخصوص وارسل الى الامين العام لوزارة الخارجية روبرت لوفيت في الحادي والعشرين من كانون الثاني ، ووافق هـــذا الاخير على استنتاجات فوريستال بصورة عامة · (٥٣)

وقام فرنكلين د · روزفلت الصغير بزيارة الى فوريستال في الثالث من شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، وكان من الواضح ان هذه الزيارة تهدف الى تخفيف نشاطات فوريستال · الا ان وزير الحربية رد على انذار روزفلت بأن عدم تنفيذ التقسيم لا يمكن ان يؤذي فـــرص الحزب الديمقراطي في ولايات رئيسية معينة وقال له « انه يعتقد ان الوقت قد حـــان لان يعطي احد ما الاعتبار لما اذا كنا قد نخسر الولايات المتحدة » · كما ان فوريستال ابلـــغ روزفلت ان التكتيكات المستخدمة لتأمين قرار التقسيم تكاد تكون فضيحـــة ، الا ان عضو الكونغرس الشاب ادعى الجهل حول هذا الامر · (٥٤)

وأدت نشاطات الضغط التي تقوم بها المصالح النفطية الى تعزيز المطالبات العسكريـــة والدبلوماسية من اجل توجه جديد نحو مشكلة فلسطين · فقد اشار ممثلوها الى ان نفـــط الشرق الادنى قد لا يكون متوفرا للاهداف العسكرية وللجهود الرامية الى حصر الشيوعية اذا استمرت الولايات المتحدة في الضغط من اجل التقسيم · (٥٥)

وربما جاءت اول اشارة الى موقف اميركي جديد في الخامس من كانون الاول عـــام ١٩٤٧ عندما اعلن انه « للوقت الحاضر » لن تمنح رخص لشحنات اسلحة الى « المناطق المضطربة » في الشرق الاوسط · وأثارت هذه السياسة ضغطا صهيونيـــا قويا لالغـــاء الحظر ، (٥٦) الذي لم يمنع في الواقع شحنات غير قانونية من الموانىء الاميركية الـــى فلسطين · ويلاحظ بارنت ليتفينوف أن مهندسا يدعى سلافين ابتاع امتعة تساوي « ملايين عدة » لقاء ٨٠٠٠٠٠ دولار · (٥٧)

كانت الولايات المتحدة قد غيرت موقفها من التقسيم الى الوصاية على فلسطين · وهذا التغيير كان يهدف الى السماح بالتأخير بينما بذلت جهود جديدة للمصالحة · وكان هذا الاتجاه الجديد بعيدا عن التقسيم ونمو المصالحة واضحا في الموقف الاميركي الذي ظهر في سلسلة من الاجتماعات التي عقدها مجلس الامن بدءا من الثامن من اذار ١٩٤٨ وحضرها جميع الاعضاء الدائمين باستثناء بريطانيا · واعلن سفير الولايات المتحدة في الامم المتحدة أوستن عن الامل بأن يتوصل العرب واليهود وبريطانيا الى اتفاق دون تدخل خارجي · وطلبت الولايات المتحدة والصين وفرنسا في الخامس عشر من اذار من اليهود والعرب رسميا أن يتفقوا على هدنة في فلسطين وهي خطوة لم يكن مجلس الامن قد اوصى بها · الا أن الاراء المعرب عنها من كلا الفريقين اشارت الى أن الاتفاق ما يزال بعيدا جدا · ولذلك بدا ان القوة وحدها ستحقق التقسيم · وبعد التوصل الى هذه القضية الحاسمة ، رفضت الولايات المتحدة ان تقترح على مجلس الامن وجود خطر على السلام والامن في فلسطين ·

ولدى ابتعاد اتجاه السياسة الاميركية عن تنفيذ التقسيم سعت الوكالة اليهودية للوصول الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة مباشرة · وطلب وايزمان مقابلة الرئيس ترومان ومنحه الرئيس هذه المقابلة · كان من الواضح انها استراتيجية صهيونية للتغلب على هذه العقبة · وقد استقبل ترومان ايضا ادي جيكوبون ، وهو عضو منظمة بناي بريث وصديق للرئيس ولوايزمان وذلك في الرابع عشر من اذار على الرغم من قرار الرئيس تجنب المزيد من المقابلات مع الصهاينة · وبعد حديث دام قرابة ثلاثة ارباع الساعة ، بدا ترومان مقتنعا بان الزعيم الصهيوني « قد توصل الى تفهم كامل » لسياسته · (٥٨)

بعد يوم واحد من المقابلة التي اجراها الرئيس ترومان مع وايزمان ، وصلت الاحداث في الامم المتحدة الى حالة جديدة · ففي التاسع عشر من اذار اكد اوستن امام مجلس الامن ان خطة التقسيم لا تشكل التزاما للامم المتحدة او لاي عضو من اعضائها · وقال اوستن ان الخطة نفسها لم يتفق عليها الا على افتراض ان جميع اجزائها ستنفذ بدفعة واحدة · وبما ان هذا صار مستحيلا بشكل واضح ، فان مهمة الامم المتحدة هي التثبت من اعادة السلام والنظام · ولذلك اقترح تأسيس وصاية موقتة تحت اشراف مجلس الوصاية· وقال اوستن ان مثل هذا الاجراء سيزيل خطر العنف ومن شأنه ان يمكن اليهود والعرب من التوصل الى اتفاق حول مستقبل الحكم في البلاد · وقيل أن الوصاية لن تؤذي طابع التسوية السياسية النهائية · ولذلك طلب الوفد الاميركي في مجلس الامن ان يوصي بخلق مثل هذه الوصاية للجمعية العامة ولبريطانيا المنتدبة · وبانتظار جلسة خاصة اقترح ان تعلق لجنة فلسطين جهودها لتنفيذ التقسيم · (٥٩)

وفي أعقاب تصاريح اوستن اتهم إنصار خطة التقسيم في الولايات المتحدة الحكومة بالتخلي عن الخطة وبغية توضيح موقف الولايات المتحدة اعلن ترومان في الخامس والعشرين من اذار ان الوصاية لن تقترح كبديل للتقسيم بل هي مجرد جهد لملء الفراغ الذي خلقه انهاء الانتداب ·

قال :

لسوء الحظ بات واضحا ان خطة التقسيم لا يمكن تنفيذها بوسائل سلمية · ولا يسعنا القيام بفرض هذاالحل على شعب فلسطين باستخدام قوات اميركية ، وذلك من الناحية

القانونية وكسياسة وطنية · لقد اعلنت المملكة المتحدة نيتها الاكيدة للتخلي عن الانتداب على فلسطين في الخامس عشر من اذار · وما لم يتخذ اجراء عاجل ، فلن تكون هنـــاك اية سلطة عامة في فلسطين في ذلك التاريخ قادرة على حفظ القانون والنظام وسينـــزل العنف وسفك الدماء على الارض المقدسة · وستكون النتيجة الحتمية قيام قتـــال واسع النطاق بين شعب ذلك البلد · ومثل هذا القتال ستنتشر عدواه الى الشرق الاوسط كلـــه ويمكن أن يؤدي الى نتائج وخيمة تتعلق بسلام العالم · (٦٠)

وتبعا لذلك طرحت الولايات المتحدة قرارين امام مجلس الامن في الثلاثين من اذار · احد هذين القرارين يدعو العرب واليهود الى الاجتماع مع مجلس الامن لترتيب هدنـــة والقرار الاخر يطلب من مجلس الامن ان يدعو الجمعية العامة الى جلسة خاصة وتبنـــي مجلس الامن القرارين في غضون يومين · (٦١) اما المحاولات اللاحقة التي قامت بهـــا الولايات المتحدة لوضع صيغة وصاية ـ فيما هي تستبعد تدخل قوات اميركية الا اذا وافق كل من العرب واليهود على هدنة ـ فقد اخفقت في العثور على تاييد لها في الجمعيـــة العامة · وخاض العرب واليهود حربا شاملة واثبتت الايام عدم جدوى محاولة مجلـــس الامن لتأمين هدنة ·

الاعتراف الاميركي باسرائيل :

فيما اقترب الخامس عشر من ايار (مايو) عام ١٩٤٨ وهو التاريخ الذي عينته بريطانيا لانهاء انتدابها فان قيادة الصهيونية استمرت تخطط من اجل اعلان دولة مستقلة ، رافضة الموافقة على الوصاية المقترحة · لقد قررت الوكالة اليهودية ان تواجه العالم « بحقائق » ·

وفي الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ تلقى الرئيس ترومان رسالة من وايزمان يبلغه فيها أن الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية ستخرج الى الوجود في منتصف ليـــل الخامس عشر من ايار ولذلك اقترح ان تكون الولايات المتحدة هي السباقة الى الاعتـــراف « باجـــدد ديمقراطية » في العالم · (٦٢) وفي غضون بضع ساعات منحت الولايات المتحدة الدولـــة الجديدة اعتراف امر واقع ، وهي اول حكومة تفعل ذلك · (٦٣) وهناك روايتان حـــول الكيفية التي تم بها ذلك · احدى الروايتين تقول ان رئيس الجمهورية كان على ما يبـــدو موافقا على اقتراح وايزمان ، ولكنه قبل التصرف استشار وزير الخارجيـــة مارشال ، الذي اعرب له عن معارضته · وكانت نصيحة مارشال ثقيلة الوطأة على ترومان وتطلـــب الامر بعض الاقناع من مستشاري البيت الابيض وبينهم كلارك كليفورد ودايفـــز نيلـــز NILLES ، قبل ان يوافق الرئيس على مؤتمر لبحث الوضع · وحضر المؤتمر كل مـــــن مارشال ولوفيت ونيلز وكليفورد وترومان ، بالاضافة الى خبير من وزارة الخارجيـــة · وجادل كليفورد بانه كان قد سبق لترومان ان قال انه يؤيد دولة يهودية ، وبما ان هـــذه الدولة صارت قائمة الان فعلا فيجب ان يعترف بها · واعتبر مارشال أن تقرير المسألـــة يجب أن يكون على اساس سياسة الدولة لا على اساس سياسة حزبية · ولدى اختتـــام الاجتماع كان ترومان على ما يبدو يقف الى جانب وزارة الخارجية ومع هذا وفي اليـــوم التالي منح الاعتراف ، ومن المفترض ان ذلك حصل بسبب قرار سياسي اتخذ داخل وزارة الخارجية للاعتراف باسرائيل في غضون بضعة ايام وبسبب ضغط مارسه كليفورد عـــلى ترومان لمنح الاعتراف المقرر سلفا ، على الفور · (٦٤) اما الرواية الاخرى الواردة في «يوميات فوريستال» فتشير الى أن القرار نقل الى مارشال ولوفيت في مؤتمـــر البيت الابيض ، وانه تم التوصل اليه في الثاني عشر او الثالث عشر من ايار · (٦٥)

غير أن دور ترومان في خلق دولة اسرائيل لم ينته باعترافه بالدولة · فهو ، الى ذلك ، الزم الولايات المتحدة ببقاء وأمن تلك الدولة · وقد كرر ذلك الالتزام جميع الرؤساء الاميركيين ·

طوال هذه الفترة يمكننا ان نستنتج انه لم تكن ثمة سياسة اميركية نحو الشعب الفلسطيني · فالسياسة الاميركية تناولت بصورة رئيسية الصهاينة والدول العربية · وقد عالج الاميركيون مشكلة فلسطين والخطط التي يمكن تحقيق وطن يهودي بواسطتها في ذلك البلد دون تعريض المصالح الاميركية في العالم العربي للخطر · وعولج الفلسطينيون كعقبات في طريق خطة مرغوب بها برزت معالمها في اعلان بلفور واتضحت في قرارات الكونغرس الاميركي · وكان يشار الى الفلسطينيين ببساطة على انهم السكان « غير اليهود » في الوقت الذي كانوا يؤلفون فيه ٩٥ بالمئة من سكان البلاد · ورفض الاميركيون الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير المصير وهو حق بشر به ولسون ودافع عنه بحماسة لجميع شعوب الامبراطوريتين المنحلتين النمساوية ـ المجرية والعثمانية التي كان الفلسطينيون جزءا منها ·

سياسة اعادة الاسكان والدمج

احدى النتائج المأساوية لخلق اسرائيل عام ١٩٤٨ كانت اقتلاع ما يزيد على مليون فلسطيني من ديارهم ، وما تبع ذلك من مشكلة لاجئين فلسطينيين كبيرة الحجم · ولسوء الحظ ، فان معظم الجهود قد بذلت نحو تخفيف اوضاعهم المعيشية الزرية بدلا من حل القضايا التي ادت الى تشتتهم ·

في بادىء الامر كانت الولايات المتحدة تنظر الى حالة اللاجئين وتعالجها كمشكلة انسانية · وفي خريف ١٩٤٨ ، في الجمعية العامة للامم المتحدة ، دعمت الولايات المتحدة بقوة اجراءات اغاثة اقتصادية لهؤلاء اللاجئين · واشتركت في تبني قرار يدعو الى برنامج اغاثة للامم المتحدة وحثت جميع الاعضاء على تقديم تبرعات طوعية لسد احتياجات البرنامج البالغة ٤٠ مليون دولار ، وتعهدت هي نفسها بالتبرع بنصف جميع معونة الاغاثة · ودعت الوكالات المتخصصة والمنظمات الطوعية لتقديم الامدادات والموظفين · (نوفمبر) عام ١٩٤٨ (٦٦) · وعين ستانتون غريفين ، سفير الولايات المتحدة في القاهرة ، مديرا للوكالة الجديدة وهي اغاثة الامم المتحدة للاجئين الفلسطينيين ومركزها في جنيف · وتولت هذه الوكالة الكثير من نشاطات مشروع اغاثة النكبات التابع للامم المتحدة ولكنها حاولت ان تقصر نفسها على الادارة والتنسيق والتموين · وقامت منظمات الاغاثة مثل الصليب الاحمر ولجنة خدمة الاصدقاء الاميركيين بتولي التوزيع الفعلي للمؤن · ودامت وكالة الاغاثة من كانون اول ١٩٤٨ حتى نيسان ١٩٥٠ ، عندما استبدلت بوكالة الاغاثة والتشغيل التابعة للامم المتحدة (الاونروا) · (٦٧)

وقيل ان الاونروا هي « احد الاثمان وربما الثمن الابخس الذي تدفعه الاسرة الدولية لعدم قدرتها على حل المشكلة السياسية للاجئين حلا منصفا ··· » (٦٨) تأسست الوكالة، وهي متفرعة عن الجمعية العامة بالقرار ٣٠٢ في الثامن من كانون الاول ١٩٤٩ · وكانت الولايات المتحدة السند الرئيسي للاونروا بواسطة تقدماتها المالية السنوية · وفي الواقع فان الولايات المتحدة خلال العشرين سنة الاولى (١٩٥٠ ـ ١٩٧٠) ، قدمت نحو ٦٥ بالمئة من الموازنة السنوية لتلك الوكالة ، وفي الاعوام الخمسة والعشرين الاولى (١٩٥٠ـ ١٩٧٥) ، قدمت الولايات المتحدة نحو ٥٧ بالمئة من مجموع كلفة عمليات الاونروا خلال تلك الفترة · (٦٩) وكانت مهمة الوكالة ذات شقين : ان تؤمن اغاثة قصيرة المدى

للاجئين المحتاجين المسجلين وان تزود اللاجئين بمجموعة من الخدمات الفنية من اجل صحتهم ورفاههم وتعليمهم وتدريبهم المهني ٠

خلال هذا الوقت استمرت الولايات المتحدة تؤيد رسميا اعادة اللاجئين جزئيا على الاقل الى وطنهم ٠ وأكد الوفد الاميركي الى الجمعية العامة ان اللاجئين الفلسطينيين « يجب ان يسمح لهم بالعودة الى بيوتهم وانه يجب ترتيب تعويض كاف لممتلكات الذين يختارون عدم العودة » ٠ (٧٠) ولعبت الولايات المتحدة ايضا دورا رئيسيا في وضع المسودة النهائية للقرار ١٩٤ الصادر في ١١ كانون اول ١٩٤٨ ، الذي كان الاساس لجميع القرارات اللاحقة المتعلقة باللاجئين الفلسطينيين ٠

ان الجمعية العامة :

تقرر ان اللاجئين الراغبين في العودة الى بيوتهم والعيش في سلام مع جيرانهم ينبغي ان يسمح لهم بالقيام بذلك في اقرب تاريخ عملي . ويجب أن يدفع تعويض عن ممتلكات الذين يختارون عدم العودة وعن الخسارة او الضرر اللاحق بالممتلكات التي ، بموجب مبادىء القانون الدولي او الانصاف ، يجب التعويض عليها من قبل الحكومات او السلطات المسؤولة ٠٠٠

القرار ١٩٤ اسس لجنة المصالحة لفلسطين التابعة للامم المتحدة « لتسهيل اعادة اللاجئين الى وطنهم واعادة اسكانهم وتأهيلهم الاقتصادي والاجتماعي ودفع التعويض لهم ٠٠٠ » تألفت من ممثلي ثلاث دول اعضاء هي فرنسا وتركيا والولايات المتحدة التي تولت رئاسة اللجنة ٠ وبدأت اللجنة نشاطاتها بترتيب اجتماع للدول العربية في اذار ١٩٤٩ في بيروت لبحث وضع اللاجئين ٠ وأصر العرب على الاولوية المطلقة لهذه المسألة، كما اشترطت الفقرة ١١ من القرار ١٩٤ ٠ وحتى عند هذه المرحلة الباكرة كان الشك يساور اللجنة حول الاختيار الحر المفترض للاجئين بين عودتهم الى الوطن والتعويض٠ اذ ان اسرائيل ستقاوم حتما عودة جماهيرية كبيرة ٠ واعتقدت ان على الدول العربية ان توافق من حيث المبدأ على اعادة توطين الذين قد لا يختارون العودة الى الوطن ٠

وفي اعقاب مؤتمر بيروت ، ذهبت اللجنة الى تل ابيب حيث شدد رئيس الوزراء بن غوريون على انه ينبغي على اللاجئين ان « يعيشوا في سلام مع جيرانهم » وان اعادتهم الى الوطن ستتوقف على تسوية نهائية ٠ واعتبرت اسرائيل ان اعادة توطينهم في الدول العربية هي حل افضل بكثير ٠ وانتهت هذه المحادثات الى طريق مسدود وقررت اللجنة التحول الى بيئة حيادية في لوزان في نهاية نيسان ٠

هناك قبلت الدول العربية من حيث المبدأ بالشروط الاقليمية لخطة تقسيم الامم المتحدة عن طريق توقيعها لبروتوكول لوزان في الثاني عشر من ايار ، وهكذا اعترفت ببعض الحكم الذاتي اليهودي في فلسطين ٠ ووقعت اسرائيل البروتوكول على حدة ٠ ثم اخذ الفريقان يقدم كل منهما اقتراحات لا يقبل بها الفريق الاخر ٠ وتدخلت وزارة الخارجية الاميركية بواسطة سفيرها في تل ابيب وبواسطة رئيس لجنة المصالحة لحث اسرائيل على السماح بعودة ٢٠٠ الف لاجىء ٠ وفي التاسع والعشرين من ايار تلقى السفير جيمس ج٠ ماكدونالد رسالة من الرئيس ترومان موجهة لرئيس الوزراء بن غوريون ٠ « اعربت الرسالة عن خيبة امل عميقة لعدم قيام ايتان Eytan(٧١) في لوزان بأية تنازلات مرغوب بها حول اللاجئين او الحدود ٠ وفسرت موقف اسرائيل على انه يشكل خطرا على السلام، وعلى انه يشير الى عدم اعتبار لقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة » حول التقسيم

واللاجئين . وأصرت الرسالة على « وجوب تقديم بتعويض اقليمي عن الاراضي التي اخذت زيادة على خطة تقسيم التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧ ، وعلى وجوب تقديم تنازلات ملموسة للاجئين الان كتمهيد ضروري لاي فرصة لتسوية عامة » . وانطوت الرسالة على تهديد ضمني بأن الولايات المتحدة ستعيد النظر في موقفها من اسرائيل . (٧٢)

وكان الرد الاسرائيلي بالنتيجة رفضا واضحا . بل قالت ان اسرائيل لا يسعها حتى ان تبحث في عودة اللاجئين قبل السلام ، وتوسعت في شرح مشكلات الامن . كما انها رفضت النداء الاميركي للاعتبار الانساني ، مجادلة بان بيوت اللاجئين اما انها دمرت واما يحتلها مستوطنون يهود وان لا مجال هناك للبقاء الاقتصادي . وجادلوا بان الاعتبارات الانسانية تؤيد عودة اللاجئين . (٧٣)

وفي رد لاحق على الجواب الاسرائيلي ، تراجعت الولايات المتحدة عن موقفها كما لاحظ السفير ماكدونالد :

اتخذت الاشهر القليلة التالية طابع التراجع الثابت عن تصلب المذكرة التي قدمتها الولايات المتحدة في أيار . فبصورة متزايدة قومت واشنطن الوضع في حدود الواقع وتوقفت عن رسم القانون لتل ابيب . وبعد ذلك تنازلت عن مسؤولية اقتراح حلول معينة لاي من الجانبين . (٧٤)

ربما كان هذا اول تراجع من سلسلة تراجعات اميركية نزولا عند الرفض الاسرائيلي للمقترحات الاميركية ، مما يشير الى ان الولايات المتحدة تخلت عن موقفها حول التنفيذ الكامل لقرار الامم المتحدة ١٩٤ . وفي الواقع كانت هذه هي النقطة التي غيرت فيها الولايات المتحدة تشديدها من اعادة اللاجئين الى وطنهم الى اعادة توطينهم .

منذ ان اصبح واضحا انه من غير الممكن التوصل الى حل باكر للمسألة الفلسطينية ، بحثت الولايات المتحدة عن وسائل بديلة لحل مشكلة اللاجئين التي كانت تهدد استقرار المنطقة . وأشار الرئيس ترومان الى اوضاع المخيمات الزرية في رسالته الى الكونغرس في ايار ١٩٥١ . وتكلم عن برنامج الامن المشترك فقال ان اقترابا اقليميا من المشكلات الاساسية للنمو الاقتصادي هو ضروري لتخفيض التوتر الراهن ، « خصوصا عن طريق التوطين المنظم للاجئين المشردين » . وكان لبرنامج مساعدة اللاجئين العرب الفلسطينيين غايات ثلاث هي « المساعدة في توطين اللاجئين ، تقوية تلك الدول التي سيستقرون فيها ، ومساعدة كل من اسرائيل والدول العربية عبر ازالة هذا الخطر الذي يهدد السلام في المنطقة » . (٧٥)

ولذلك فان الولايات المتحدة سعت الى حلول اقتصادية للمشكلة الفلسطينية . وهذه الفكرة افترضت انه حالما يعاد توطين اللاجئين خارج المخيمات ويعاد دمجهم اقتصاديا في البلدان المجاورة ، فانهم مع الوقت سيذوبون كجماعة مميزة وستزول رغبتهم في العودة الى الوطن .

وقدمت الولايات المتحدة عددا من الخطط والاقتراحات لاعادة توطين اللاجئين ودمجهم ، ونبحث فيما يلي اهم هذه الخطط والاقتراحات .

١ ـ بعثة جونستون :

بعد بضعة اشهر من تولي ادارة ايزنهاور الحكم في كانون الثاني ١٩٥٣ ، سافر وزير

الخارجية جون فوستر داليس الى الشرق الاوسط · ونتيجة لهذه الرحلة استنتج ان بعض اللاجئين يمكن توطينهم في اراض تسيطر عليها اسرائيل ، الا ان معظمهم « يمكن دمجهم بسهولة اكبر في حياة المجتمعات العربية المجاورة » · الا ان اعادة التوطين هذه يجب أن تنتظر مشاريع الري · (٧٦)

ودعا قانون الامن المشترك لعام ١٩٥٣ الى استخدام ١٩٤ مليون دولار لدمج اللاجئين وللمساعدة في المحافظة على الاستقرار الاقتصادي في المنطقة (٧٧) · وكخطوة لتحقيق هذا الهدف اعلن الرئيس ايزنهور في الخامس عشر من تشرين اول عام ١٩٥٣ ان أريك جونستون ، رئيس المجلس الاستشاري الدولي لادارة التعاون الفني ، سيرسل الى الشرق الاوسط كممثل شخصي برتبة سفير · وكان هذا استجابة لضغط من الكونغرس للعثور على وسيلة اقتصادية اخرى لمعالجة مشكلة اللاجئين من شأنها ان تتجنب الحل السياسي · وكان اساس هذا الاقتراب الجديد سلسلة من الخطط لاستخدام مياه الاردن من أجل الري وايجاد الطاقة الكهربائية لتنمية المنطقة وتقديم التوظيف والعمل للسكان المحليين· وتصور اصحاب الخطة ان الكثيرين من العمال سيكونون من اللاجئين وسيعاد توطينهم في المنطقة · وكانت الخطة ذات جدارة اقتصادية كبيرة بالنظر الى الامكانيات الانمائية في دول نهر الاردن · كما انها ، من وجهة نظر الغرب السياسية . تعرض فرصة معالجة مشكلة اللاجئين بطريقة من شأنها ان تفيد جميع المشاركين ــ اسرائيل والدول العربية واللاجئين انفسهم ·

وفي اشارة الى بعثة جونستون المقبلة ، قال الرئيس ايزنهور ان على البلدان المعنية والاسرة الدولية ان تبذل كل جهد للعثور على وسيلة لاعطاء اللاجئين فرصة لاستعادة كفايتهم الذاتية الشخصية ، « ان قناعتي هي ان القبول بخطة شاملة لانماء وادي الاردن سيسهم اسهاما كبيرا في استقرار الشرق الاوسط ··· » (٧٨)
وكان جونستون متفائلا حول الخطة بوجه عام حتى وان ظهرت هناك منذ البداية دلائل من الدول العربية تشير الى انها لن تكون مقبولة ·

وفي خطاب امام جمعية الاصدقاء الاميركيين للشرق الاوسط في كانون الثاني ١٩٥٤ ، بحث اريك جونستون نتائج رحلته الاولى للشرق الاوسط · وقال مع انه توجد هناك صعوبات في المستقبل فانه متفائل بان الحكومات المعنية ستدرك الفوائد والمنافع في الاقتراح وتجد التعاون ممكنا · ووصف الخطة ، التي طورها مهندسون ، بانها تقدم اساسا عمليا لتحسين الاوضاع المعيشية وأنذر من انها يجب ان ينظر اليها خارج نطاق القضايا السياسية ودون تحيز الى حلها النهائي · وستخصص منطقة لا يستهان بها من الاراضي المروية في الاردن للاجئين وهكذا يمكن اعطاء نحو ثلث مجموع عدد اللاجئين قاعدة اقتصادية صلبة وفرصة جديدة للحياة · ومقابل ذلك قدمت الخطة لهم كرامة العيش على الارض بدلا من الذل المستمر من الاغاثة الدولية ، وهكذا كانت تمثل بداية نحو حل دائم لاحدى أصعب مشكلات المنطقة · (٧٩)

كانت بعثة جونستون تحمل بذور اخفاقها ، من حيث انها لم تأخذ المسائل السياسية المعنية بعين الاعتبار · والى ذلك فانها لم تجابه الحقوق والمطامح الشرعية للاجئين الفلسطينيين ، الذين لم يستشاروا قط ·

٢ ــ اقتراح دالس لعام ١٩٥٥ ورد الكونغرس :

وافقت لجنة فنية من الجامعة العربية في ١٩٥٥ على نسخة حل وسط للنواحي الفنية من مشروع جونستون · الا ان الهيئة العربية العليا لفلسطين سددت ضربة مميتة للخطة في الثامن عشر من اب ١٩٥٥ · فقد بعثت برسالة الى رؤساء الحكومات العربية ووزراء الخارجية والزعماء السياسيين والامانة العامة للجامعة العربية ، تقول فيها ان الخطة ليس من شأنها الا ان تقدم الوسيلة الاقتصادية للابقاء على الصهيونية في فلسطين وانها تهدف الى « تصفية » مشكلة اللاجئين الفلسطينيين عن طريق الاستيطان والهجرة الى البلدان الاخرى ·

وبما أن هذا سيحطم ايضا فكرة عودة الفلسطينيين الى ديارهم فقد اعتبرت الهيئة العليا أن مصالح الشعوب العربية واللاجئين تقتضي الرفض الصريح لا لخطة جونستون فحسب بل لاي تعاون يتعلق بها · (٨٠)

وبعد سنتين وخمس رحلات الى الشرق الاوسط ، لم يستطع اريات جونستون ان يقنع الجانبين بفائدة خطته ومنافعها البعيدة المدى · الا ان اخفاقه لم يغير موقف الولايات المتحدة القائل بان حل مشكلة اللاجئين هو عن طريق الانماء الاقتصادي ·

وفي خطاب امام مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك في الخامس والعشرين من اب عام ١٩٥٥ ، كرر وزير الخارجية دالس قوله بضرورة اعادة التوطين واعادة اللاجئين الى وطنهم من اجل اي حل ناجح للحالة ، وهو الحل الممكن عبر مشاريع الانماء والري· وستساعد الولايات المتحدة في تنفيذ هذه المشاريع بواسطة المنح والقروض ·

وفي جلسات الجمعية العامة للامم المتحدة في خريف ١٩٥٥ ، استمر موفد الولايات المتحدة يحث على التعاون بين الدول العربية حول انماء الاراضي الزراعية للاجئين · وانذر بأن الولايات المتحدة لن تقدم الاموال الى ما لا نهاية في حين يمكن جعل اللاجئين مكتفين ذاتيا · (٨١)

ورفض اقتراح دالس واستمرت الولايات المتحدة تقدم الدفعات المالية السنوية للاونروا · الا ان تقرير اللجنة الفرعية حول الشرق الادنى وافريقيا المنبثقة عن لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ ، والمؤرخ ٢٤ تموز (يوليو) عام ١٩٥٣ اظهر كيف يمكن خدمة المصلحة الاميركية على افضل نحو :

للولايات المتحدة مصلحة في ان تفعل ما تستطيع للمساعدة في حل مشكلة اللاجئين نظرا الى علاقتها المباشرة بالاستقرار الاقتصادي والسياسي وبأمن الشرق الادنى · ولا ترغب الولايات المتحدة في ان ترى النظام الداخلي واستقلال بلدان الشرق الادنى تهددهما الفوضى الاقتصادية والتغلغل الشيوعي او الاشتباكات العسكرية · ان الاخلال بالنظام مع ما قد ينجم عن ذلك من تجدد للقتال في هذا الجزء من العالم سيهدد مصلحة امن الولايات المتحدة والعالم بوجه عام · (٨٢)

· بعثة جونسون :

وبمبادرة اميركية اقترحت لجنة المصالحة في اب ١٩٦١ ان يصار الى ارسال جوزف ا · جونسون ، رئيس منحة كارنيغي للسلام الدولي ، الى الشرق الاوسط كممثل خاص

« ليستكشف مع الحكومات المضيفة ومع اسرائيل الوسائل العملية لنشدان التقدم حول مشكلة لاجئي عرب فلسطين » · وكان هذا الاقتراح منسجما مع قرار الجمعية العامة الرقم ١٦٠٤ الصادر في ٢١ نيسان ١٩٦١ ، الذي طلب من لجنة المصالحة العثور على طرق « لتسهيل اعادة اللاجئين الى وطنهم واعادة توطينهم وتأهيلهم الاجتماعي » · (٨٣)

ذهب جونسون الى الشرق الاوسط في ايلول في الجزء الاول من مهمته ورفع تقريرا كملحق لتقرير لجنة المصالحة التاسع عشر الصادر في الرابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٦١ · وفي ذلك التقرير لاحظ انه على الرغم من علامات التصلب ، فان رجال الدولة المسؤولين في كلا الجانبين يريدون السلام بطريقة عامة وكهدف بعيد المدى · ولكنهم كانوا غير مستعدين للقيام بالتعديلات الضرورية · ولاحظ جونسون « وجود تصميم عنيد في كلا الجانبين » · وكانت توجد درجة كبيرة من عدم الثقة والريبة والخوف الفعلي في كلا الجانبين · وكان الخوف يكمن في اساس السياسات الحكومية مما يشكل حاجزا خطيرا للتقدم حول اية قضية ينقسم حولها الفريقان ·

وقال تقرير جونسون ان كلا الجانبين يميل الى رؤية مشكلة اللاجئين كجزء لا يمكن فصله عن القضية الفلسطينية ككل ، ومع هذا فقد أعربا عن رغبة – مع تحفظات – في النظر في عملية خطوة فخطوة قد تؤدي الى تقدم حول مسألة اللاجئين دون تعديل مواقف الحكومات المعنية حول القضايا الاخرى · والى ذلك قال جونسون ان كلا الجانبين ينظر الى محنة اللاجئين الحالية ومستقبلهم بالدرجة الاولى من وجهة نظر المصلحة القومية ، علما بأن كلاهما اعرب عن اهتمام انساني واعترفا بالحاجة الى لفت بعض الانتباه الى حقوق ورفاه اللاجئين · وفي حين ان هذا لا يعني الرغبة في التنازل عن المصالح القومية ، فانه يشير الى رغبة واعية في ملائمة الاثنين ·

وادرك تقرير جونسون ان الحاجة الى مساعدة ستبقى ضرورية لوقت طويل وانه سيكون من غير الحكمة للامم المتحدة او الحكومات الاخرى الا تفترض انه سيكون هناك لاجئون فلسطينيون لعقد اخر من الزمن على الاقل · كانت ثمة اشارات عديدة الى انه لا يمكن تحقيق اي تقدم حول المسألة دون تسوية شاملة او قبل التسوية الشاملة ، لكن جونسون اعتقد ، على أساس الرغبة التي اعرب عنها الفرقاء ، انه تجدر به مواصلة جهوده ·

واستنتج التقرير بان التركيز يجب ان يكون على اللاجئين وانه يجب الحصول على تعاون الحكومات المعنية · فلن تكون هناك نهاية مبكرة للمشكلة ، التي يجب ان تعالج على اساس الخطوة خطوة مع ما يرافق ذلك من اليات ملائمة واجراءات وتقديم معونة فنية ·

ابتدأ جونسون جولة ثانية في المنطقة في الخامس عشر من نيسان عام ١٩٦٢ ، وكان ما يزال واثقا من استعداد الفرقاء للتحرك نحو حل ، مهما كان بطيئا · واحد مقترحاته الجديدة نصحت اللاجئين بالتعبير عن تفضيلهم للعودة الى بيوتهم السابقة او مواقع جديدة في اسرائيل او استيطانهم في اراضي عربية او اماكن اخرى · وكان بامكان اسرائيل أن ترفض اخطار الامن الفردية ، وسيكون متوقعا من اسرائيل بمساعدة خارجية ان تعوض على اللاجئين الممتلكات التي خسروها ، وستساعد الامم المتحدة ايضا في عملية اعادة التوطين · ولن يحصل اللاجئون بالضرورة على اختيارهم الاول وستكون الامم المتحدة مسؤولة عن اعطائهم المعلومات الكاملة عن اختيارهم · (٨٤)

الا ان العرب والاسرائيليين رفضوا تعديل مواقفهم ، ورفض الجانبان مقترحات جونسون • فقد شعر العرب ان هذه المقترحات تشدد على اعادة توطينهم بدلا من عودتهم الى ديارهم ، وعارضت اسرائيل كذلك خطة اعادة اللاجئين الى وطنهم وقالت ان مشكلة اللاجئين يجب ان تكون جزءا من تسوية سلام نهائية • وفيما بعد قامت الولايات المتحدة بأجراء محادثات هادئة عبر الاقنية الدبلوماسية العادية في محاولة لفتح الطريق المسدود، الا ان جميع المفاوضات باءت بالفشل • (٨٥)

وبدا ان بعثة جونسون كانت منذ البداية تتمتع بدعم قوي من وزارة الخارجية الاميركية ، الا انها لم تجد دعما من جهات اخرى • وأظهر الشعب الاميركي اهتماما اقل في اقتراح لتسوية مشكلة اللاجئين • وفي حين ان رئيس الجمهورية كان معنيا بالقضية ، فقد بدا ان لديه وقتا وموارد محدودة يكرسها لهذه المشكلة المعقدة • والمعارضة الاسرائيلية للمقترحات اثارت الثمن السياسي الداخلي الذي سيكلفه دعمها • وكان ينظر الى بادرة جونسون على انها تشكل خطرا سياسيا محتملا بالنسبة الى ادارة كندي • وبالفعل ماتت الحماسة للخطة مع اقتراب انتخابات الكونغرس في خريف عام ١٩٦٢ وكان الحزب الديمقراطي قلقا من ان تبرعات كبيرة للحملة الانتخابية من المتعاطفين مع اسرائيل ستحجب عنه ، وفي غياب وجود ضغط مواز كان هذا كافيا ليسبب خسارة الدعم من رئيس الجمهورية • (٨٦) وفيما استمرت جهود اكثر هدوءا للتسوية ، فان تركيز راسمي السياسة وانتباههم المتواصل بدا وكأنه غير مسوغ لا بالنجاحات الماضية ولا بالامكانيات الحاضرة والمستقبلية • ولم يكن ثمة امل كبير بأن هذه الجهود ستؤتي ثمارها ، ولم تبذل جهود قوية لمواصلة خطة جونسون •

واستقال جونسون من منصبه في نهاية كانون الثاني عام ١٩٦٢ ، لانه شعر بأنه لم يعد ثمة شيء اكثر يكسبه بجهوده الخاصة • غير انه انذر من أن مشكلة اللاجئين ما زالت تدعو الى الاهتمام الملح وانه لا بد من عقد مفاوضات في المستقبل • (٨٧)

وفي هذه الاثناء واصلت الولايات المتحدة دعمها للاونروا ، علما بانها اوضحت في الجمعية العامة بأن التشديد يجب ان يتحول من الاغاثة الى التدريب ، ولا سيما تدريب المعلمين والتدريب المهني • ودعت الحكومات المضيفة الى تبني موقف تعاوني اكثر للتثبت من ان المعونة لا تذهب الا الى لاجئين حقيقيين • (٨٨)

وخلافا لتوقعات راسمي السياسة الاميركية ، فان اللاجئين الفلسطينيين لم يبقوا كيانا ساكنا • ففي عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ تطورت حركة التحرير الفلسطينية تطورا كافيا للقيام بعمليات عسكرية ضد اسرائيل ولتصبح قوة سياسية لا يستهان بها • وما لبثت مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ان اضحت المراكز الرئيسية لتجنيد المقاتلين من اجل الحرية • وكانت ردة فعل كل من كونغرس الولايات المتحدة وحكومتها غاضبة وتنم عن خيبة امل •

كان مثل هذا الانزعاج واضحا في صيف ١٩٦٥ ، عندما ردد نائب كاليفورنيا روزلفت صدى القول المألوف بان اللاجئين يجري تحريكهم كاحجار شطرنج في حملة ضد اسرائيل• ووصف ارهاب وتخريب جماعات الفدائيين ، وانحى باللوم على الدول العربية لاطالة محنة اللاجئين • وتناول روزفلت بالنقد ايضا المزاعم « المخادعة » لوضع اللاجئين و « اساءة استخدام » بطاقات الاعاشة ، والوضع الدائم للاونروا • ولم يرَ اي مسوغ لاستمرار الدعم الاميركي للاونروا بنسبة ٧٠ بالمئة من الموازنة ، (٨٩) واقترح ان يعاد توطين اللاجئين وان تنقل نشاطات الاونروا الى الحكومات العربية • (٩٠)

وبحلول ربيع ١٩٦٦ ، كانت هناك ردة فعل قوية من الكونغرس حيال حركة المقاومة

الفلسطينية النامية ، وخصوصا في ضوء تصريحات احمد الشقيري عن قيام جمهورية الصين الشعبية بتسليح وتدريب اللاجئين الفلسطينيين · (٩١) وفي صيف ١٩٦٦ ، دعا اعضاء مجلس النواب الى قطع الاموال عن اللاجئين الذين يخدمون في جيش التحرير الفلسطيني وطالبوا بان تنفذ الاونروا مثل هذه الشروط · ومن هنا كانت المعونة الاميركية للاجئين الفلسطينيين مشروطة على نحو واضح بوجودهم المسالم · وتكلم حول هذا الموضوع نواب كانوا تقليديا من انصار اسرائيل فضلا عن النواب الذين يعارضون حركات التحرير من حيث المبدأ · واعترض عدة نواب على المعونة المستمرة لمدارس الاونروا التي تستخدم كتبا مدرسية تندد بالولايات المتحدة واسرائيل ·

واقترح نائب كاليفورنيا هالبرن Halpern ان تعطى اسرائيل اسلحة على اساس منحة، بالنظر الى التقارير القائلة بان جمهورية الصين الشعبية كانت تشجع حركة التحرير العربية لتحويل الانتباه الاميركي عن جنوبي شرقي اسيا · وكذلك لاحظ العلاقات الودية بين دول عربية معينة والفيتناميين الشماليين وكون بعض الفلسطينيين قد ذهبوا الى بكين للتدرب · (٩٢)

وفي تقرير الى لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ في نيسان ١٩٦٧ ،اقترح سناتور بنسلفانيا ، كلارك ، ان تحث الولايات المتحدة الامم المتحدة على تحطيم المخيمات تدريجيا عن طريق معونات مالية دولية تدفع الى الحكومة الاردنية من اجل نقل عائلات الى اراض صالحة للزراعة او الى مجتمعات يوجد فيها فرص للتوظيف · وكان يعتقد ان مثل هذه الاعمال مع اوضاع اقتصادية محسنة من شأنها ان تخفض احتمالات مشاركة اللاجئين في جيش التحرير الفلسطيني او اي منظمة « تخريبية » اخرى · ودعا مجلس الشيوخ ايضا الى ممارسة ضغط دبلوماسي على اسرائيل لاعادة عدد كبير من اللاجئين الى وطنهم من الذين قد يرغبون في العودة الى قراهم داخل اسرائيل · (٩٣)

وقعت حرب ١٩٦٧ في العام التاسع عشر لمشكلة اللاجئين · ومع اندلاع الحرب بدا الحل ابعد مما كان في اي وقت مضى ·وخلال‌هذه المرحلة كانت التقديمات الاميركية للاونروا ٤١١ مليون دولار او ٦٥ بالمئة من الموازنة العامة · اي ، بقدر ما يتعلق الامر بالسياسة الاميركية لم يكن للشعب الفلسطيني من وجود الا « كلاجئين » لا بد من تلبية احتياجاتهم المادية الفورية ·

مرحلة المواجهة ، ١٩٦٧ـ١٩٧٣ : سياسة نمو « الارهاب » ·

غيرت الولايات المتحدة اقترابها من الفلسطينيين نتيجة لمناخ سياسي جديد اوجدته حرب حزيران · فقد غيرت التشديد السابق على اعادة توطين اللاجئين الى تشديد على « العدالة للاجئين » · وسعت الى هذا الهدف في نطاق تسوية سلمية شاملة · والتزمت ادارة نيكسون بهذه الصيغة وسعت الى تسوية ضمن اطار قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ · وقد حاولت ذلك عبر اقنية مختلفة : بعثة السلام التي قام بها السفير يارينغ والمحادثات الثنائية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، والمحادثات المتعددة الاطراف بين الولايات المتحدة وانكلترا · وادى اخفاق هذه الجهود مباشرة الى حرب تشرين الاول عام ١٩٧٣ · وبما ان قرار الامم المتحدة الرقم ٢٤٢ لا يشير الى الشعب الفلسطيني الا كلاجئين ، فان الولايات المتحدة لم تشملهم في عملية المفاوضات التي شملت الدول وحدها ·

وفي اعقاب حرب ١٩٦٧ ، خرجت قوى جديدة الى المسرح وبخاصة نمو حركة التحرير الفلسطينية بفصائلها المختلفة · فقد نمت من حركة صغيرة وسرية الى قوة كبيرة وقادرة على الحياة ذات طاقة لاحداث تغييرات ورص الجماهير العربية في الصراع من اجل تحرير فلسطين · وبرزت الفئات الفدائية المختلفة في النهاية ضمن منظمة التحرير الفلسطينية العاملة بصورة مستقلة عن الحكومات العربية ·

في بداية الامر كانت عمليات الفدائيين العسكرية موجهة نحو العدو في فلسطين والاراضي المحتلة حديثا الا انه قبل مضي وقت طويل جرى تنفيذ بعض العمليات وراء حدود الشرق الاوسط ، ضد اسرائيل وأنصارها الرئيسيين · واعتبرت الولايات المتحدة هذه الهجمات اعمالا « ارهابية » · وكانت اول عملية في الخارج هي اختطاف احدى طائرات ال عال بينما كانت في طريقها من اللد الى روما وذلك في ٢٣ تموز عام ١٩٦٨ · وحول الخاطفون الطائرة الى الجزائر ، واعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن العملية ، وطالبت باطلاق سراح الف سجين فلسطيني في السجون الاسرائيلية مقابل الاثني عشر رهينة اسرائيلية · واعقبت ذلك هجمات اخرى على طائرات ال عال في كانون اول ١٩٦٨ في اثينا وفي شباط ١٩٦٩ في زوريخ ·

ونددت الولايات المتحدة بعمليات الخطف باعتبارها عمليات ارهابية وغير قانونية · ووصفت الخاطفين بانهم « خارجون على القانون دوليا » · كذلك اشتركت في شجب الارهاب الاسرائيلي المسمى « عمليات انتقامية » · وكانت اول طائرة اميركية تختطف خارج نصف الكرة الارضية الغربي هي طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية حول العالم .T.W.A استولى عليها اعضاء من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في ٢٩ اب ١٩٦٩ · وكانت الطائرة متوجهة الى تل ابيب مع توقف في اثينا · واجبرت على الهبوط في دمشق حيث نسف الفدائيون الطائرة بعد اخراج الركاب منها · ووصف وزير الخارجية الاميركية روجرز هذا العمل بانه « قرصنة جوية » · (٩٤)

وكردة فعل على هجمات قام بها الفدائيون الفلسطينيون ضد اهداف اميركية واسرائيلية ، حاول الكونغرس الاميركي قطع المعونة عن الاونروا ومارس ضغطا على اللاجئين لعدم الانضمام الى الكفاح من اجل التحرير · ولمعالجةهذا الامر اضيفت فقرة الى قانون المعونة الخارجية الاميركية عام ١٩٦٩ :

ان اي جزء من اجزاء هبات الولايات المتحدة الىالاونروا لن يستخدم لتقديم المعونة لاي لاجيء يتلقى تدريبا عسكريا كعضو في ما يسمى جيش التحرير الفلسطيني او اي منظمة من نوع منظمات المغاوير او اشترك في اي عمل ارهابي · من الضروري ممارسة ضغط متواصل على المسؤولين الاميركيين الذين على صلة بتلك المنظمة والذين هم مسؤولون مباشرة عن عملها لمنع استخدام اموال الوكالة لتمويل النشاط العسكري او الارهابي باية طريقة من الطرق · (٩٥)

ومع ان كمية الهبة السنوية الاميركية للاونروا خفضت بعض الشيء ، فان هذا العمل كان مصدره الاعتقاد الاميركي بأن على البلدان الاخرى ان تدفع حصة عادلة اكثر للاونروا · وهذه الفقرة المضافة لم تنفذ قط ، لان الادارة الاميركية شعرت بانها ستؤدي الى عدم استقرار الحالة والاضرار بمصالح الولايات المتحدة في النهاية ·

ان جماعات التحرير الفلسطينية تعتبر الولايات المتحدة المؤيد الرئيسي لاسرائيل ، وان اسرائيل لن تستطيع ، بدون اميركا ، الاستمرار في احتلال الاراضي العربية وخرق

الحقوق الانسانية والمدنية للفلسطينيين · لذلك اعتقدت انها يجب ان تكون هدفا مشروعا، وقامت بالمزيد من الهجمات ضد الولايات المتحدة ومصالحها · وحصلت هجمات ضد دبلوماسيين اميركيين ومصالح تجارية اميركية · وفي اذار ١٩٧٣ قام فدائيو ايلول الاسود بقتل السفير الاميركي في السودان كليو نويل والقائم بشؤونه ج· كورتس مور ، بعد اخذهما كرهينتين في حفلة في السفارة السعودية في الخرطوم · وكانت عمليات الخطف المتعددة في آن معا التي قامت بها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي محاولة لان تظهر الجبهة للعالم ان فلسطين نفسها قد « اختطفتها » جماعة من المستوطنين الاوروبيين ، هم الكيان الصهيوني · وعلى الرغم من الصفة الغريبة للدراما وقسوتها للركاب الابرياء المعنيين ، فقد نجحت العملية في لفت انتباه العالم الى محنة الشعب الفلسطيني وتشرده القاسي · وقد حدثت هذه الدراما بضعة ايام فقط قبل اندلاع الحرب بين الملك حسين والفلسطينيين · وحملت الحرب القصيرة الامد نتائج وخيمة للفلسطينيين · فقد تم اخراج الفدائيين من المدن عن طريق اتفاق بين الملك حسين والحكومات العربية · وقتل اكثر من ١٥ الف فلسطيني ·

في المرحلة التي تخللت الحرب وسبقتها كان هناك الكثير من الخوف في واشنطن وتل ابيب من ان يطاح بحسين ، وهو صديق طيب للولايات المتحدة ، ويستبدل بنظام راديكالي متحالف مع الفلسطينيين وغيرهم من العرب الراديكاليين · وفي مقالة نشرتها النيويورك تايمز ، كشف احد المراسلين عن مدى الاستعدادات الاميركية ـ الاسرائيلية من اجل عمل عسكري منسق في الازمة الاردنية ، ان لم يستطع الملك حسين السيطرة هو نفسه على الوضع ·

وتصورت الخطة هجوما اسرائيليا على قوة دبابات سورية دخلت الاردن دعما للفلسطينيين ، اذا ما بدا ان جيش حسين غير قادر على صدها · وفي هذه الحالة كانت الولايات المتحدة ستستخدم الاسطول السادس ووحدات اخرى لحماية الاجنحة الخلفية لاسرائيل من هجمات مصرية او سوفياتية تشن من منطقة قناة السويس ·

وتولى الرئيس نيكسون زمام التوجيه شخصيا للنشاط الدبلوماسي والعسكري الشديد فيما اقتربت الازمة من ذروتها · ولم تتحقق قط الخطط للتدخل في حال تغلغل عراقي او سوري خطير في الاردن · فالمئتان والخمسون دبابة تابعة لجيش التحرير الفلسطيني التي كانت تسيطر عليها سورية ، اجبرت على الانسحاب · (٩٦) ومع هذا فقد تحركت القوات الاسرائيلية قريبا من الحدود السورية ـ الاردنية ووضع الرئيس نيكسون وحدات في فوربراغ بالمانيا الغربية كما وضع الاسطول السادس في حالة التنبه القصوى ·

في الثاني عشر من تشرين الاول ، ١٩٧٠ ، عرض رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية عرفات قنابل مدافع فارغة عليها علامات عبرية امام رجال الصحافة في عمان · واتهم الاميركيين والاسرائيليين بالتورط في الحرب ، وانكر هذا الاتهام بالطبع ·

واظهرت الولايات المتحدة سخطا وانزعاجا بالغين لعملية ميونيخ ، وهو الهجوم الذي قام به وحدات سرية تابعة لايلول الاسود على الرياضيين الاسرائيليين في الالعاب الاولمبية · وطالب الفدائيون باطلاق سراح ٢٠٠ سجين فلسطيني في السجون الاسرائيلية مقابل الاحد عشر رياضيا اسرائيليا · ورفضت اسرائيل الطلب · وقامت المانيا واسرائيل بتنسيق خطة تهدف الى قتل الفدائيين وتحرير الرهائن · واخفقت الخطة وتم قتل الاحد عشر رياضيا مع خمسة فدائيين ·

وخشي مكتب التحقيق الاتحادي الاميركي ، الاف بي اي ، من ان يقع الشيء نفسه في الولايات المتحدة ، فاخذ يراقب الطلبة الفلسطينيين والعرب في الولايات المتحدة عن كثب ، ويضايقهم ويرهبهم ، وهكذاابتدأت « عملية بولدر » Operation Bolder .

في الامم المتحدة ضغطت الولايات المتحدة من اجل القيام باجراءات دولية ضد الارهاب . وفي ايلول ١٩٧٢ وزعت الولايات المتحدة مسودة قرار لمنع ومعالجة اعمال الارهاب الدولي . ودعت مسودة قرار لمنع ومعاقبة اعمال الارهاب الدولي . ودعت مسودة المعاهدة هذه الى مقاضاة او تبادل الارهابيين الذين يهاجمون او يخطفون دبلوماسيين او مسؤولين تابعين لحكومات اجنبية او منظمات دولية . وفي خطاب امام الامم المتحدة في الخامس والعشرين من ايلول ١٩٧٢ ، دعا وزير الخارجية الاميركية روجرز الامم المتحدة للقيام باجراء على عدة جبهات لمكافحة الارهاب الدولي . وبالاضافة الى مسودة المعاهدة هذه ، دعا روجرز الى خلق معاهدتين اخريين حول الارهاب . فمن شأن المعاهدة الثانية ان تشترط تعليق جميع الرحلات الجوية الى البلدان التي تمتنع عن معاقبة او تسليم خاطفي او مخربي الطائرات المدنية . وتتطلب المعاهدة الثالثة مقاضاة او تسليم الاشخاص الذين يقتلون او يجرحون او يخطفون ضحايا مدنية في بلد اجنبي بقصد اجبار احدى الدول او احدى المنظمات الدولية على القيام بتنازلات . (٩٧)

في أيلول ١٩٧٢ اسس الرئيس السابق نيكسون لجنة وزارية لمكافحة الارهاب . وكانت وظيفة هذه المنظمة هي التنسيق بين نشاطات مختلف الوكالات الحكومية بغية الرد بسرعة وفعالية لدى وقوع اعمال ارهابية . (٩٨)

وقلقت امم العالم الثالث حول مبادرات الولايات المتحدة ضد الارهاب ، شاعرة بانها لا تسعى الا الى خدمة المتربعين في السلطة . واعتقدت تلك البلدان ان الغاية من خطة العمل هذه ، اذا ما تبنتها الامم المتحدة ، هي اعاقة حروب التحرير الوطني .

في كانون اول ١٩٧٢ ، صوتت الولايات المتحدة ضد قرار الجمعية العامة التابعة للامم المتحدة الذي يدعو الى دراسة الارهاب . وزعمت الولايات المتحدة ان القرار لا يشجب الارهاب وان الحاجة تدعو الى العمل لا الى الدراسة . بيد انه يبدو ان الولايات المتحدة اعترضت بصورة رئيسية على مادة في القرار تؤكد حقوق الشعب في تقرير المصير وتدعم شرعية نضال حركات التحرر الوطني . (٩٩) وتصويت الولايات المتحدة ضد هذا القرار منسجم مع السياسة الاميركية ، لان الولايات المتحدة كانت قبل ذلك بستة أيام ، في الثاني عشر من كانون الاول ١٩٧٢ ، قد صوتت ضد قرار الجمعية العامة الرقم ٢٩٥٥ الذي اعترف بحق الشعب في تقرير المصير والحرية . في الامم المتحدة واصلت الولايات المتحدة معارضتها القوية للاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . فبين ١٩٦٩ و ١٩٧٣ فقط صوتت الولايات المتحدة بكلمة « كلا » على جميع قرارات الامم المتحدة السبعة التي تثبت الحق الاكيد في تقرير المصير للفلسطينيين . وفي الواقع صوتت الولايات المتحدة « كلا » على جميع قرارات الامم المتحدة المتعلق بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير . ولم تصوت الولايات المتحدة بالايجاب على اي قرار من قرارات الامم المتحدة المتعلقة بمنظمة التحرير الفلسطينية . ويخضع موفدو منظمة التحرير الى الامم المتحدة للانظمة الاميركية المشددة التي تحدد حرية الحركة ضمن شعاع قدره ٢٥ ميلا من مدينة نيويورك . ولا تطبق هذه الانظمة بصورة متبادلة الا ضد الاتحاد السوفياتي وبضعة بلدان اشتراكية اخرى .

تكيف غامض ، ١٩٧٣ الى الوقت الحاضر

المرحلة الرابعة للسياسة الاميركية يمكن وصفها على افضل نحو بأنها « تكيف غامض » لمصالح الشعب الفلسطيني . فالتصريحات السياسية الاميركية خلال العامين الاولين من هذه المرحلة لم تشر الا الى « كيان » والى ضرورة اخذ المصالح الفلسطينية بعين الاعتبار . ويمكن اعتبار العامين الاولين فترة اعادة تقييم . (٩٩) وبعد استبدال روجرز بكيسنجر كانت هناك فرصة القاء نظرة جديدة على حالة الشرق الاوسط . وعجلت اثار حرب تشرين اول في دخول كيسنجر الى مشكلات المنطقة ، رغم انه كان يشعر انه « ليس مستعدا في الواقع » له . واستعار كيسنجر اجراء روجرز للخطوة خطوة ومن دون اي فكرة محددة للنتائج النهائية . وادى حظر النفط والضغط الذي مارسته الحليفات الاوروبيات على الولايات المتحدة بالحكومة الاميركية الى اعادة تقييم موقفها ازاء الفلسطينيين . كانت تصريحات وزارة الخارجية الرسمية لا تشير بوضوح الى اي موقف بالضبط تدعو اليه الحكومة . فهل سيدعى الفلسطينيون الى جنيف ؟ وهل سيشاركون في مفاوضات التسوية ؟ وما هو موقعهم من دبلوماسية الخطوة خطوة ؟ في ذلك الوقت قال كيسنجر ان الدور الذي قد يلعبه الفلسطينيون في جنيف « يعين على افضل نحو من قبل فرقاء المؤتمر » . كذلك فان حقوق الفلسطينيين يجب ان ينظر اليها في ضوء « حدود امتصاص اراضي فلسطين المنتدبة » . (١٠٠)

بدبلوماسية الخطوة خطوة سعى كيسنجر الى ازالة فتيل الوضع العدواني المباشر بين الدول العربية واسرائيل والى « اقامة حقائق » عن طريق لعب ورقة احدى الدول العربية ضد الاخرى . وفي محاولة الولايات المتحدة رؤية ما تستطيع الحصول عليه من الفترة اللاحقة للحرب المفتوحة نسبيا ، فأنها اعتبرت الفلسطينيين عاملا معقدا من الافضل تركه خارج المسرح . فالفلسطينيون لم يلائموا ملائمة مرتبة معادلة كيسنجر لفك الارتباط خطوة خطوة ولدبلوماسية المكوك . وفي تشرين ثاني ١٩٧٥ صدر تصريح عن احد كبار مسؤولي وزارة الخارجية الاميركية ، وهو هارولد سوندرز وكان هذا اول تصريح واضح اكيد يعترف بالحاجة الى ضم الفلسطينيين الى اية تسوية سلمية . وأشار هذا التصريح الى تحول مهم في الدبلوماسية الاميركية . فقد تكلم سوندرز امام لجنة فرعية خاصة حول العلاقات الدولية في مجلس النواب الاميركي وقال :

اننا نعترف انه ، بالاضافة الى تلبية الاحتياجات الانسانية والتجاوب مع المطالب الشخصية المشروعة للاجئين ، فانه توجد هناك مصلحة اخرى لا بد من اخذها في الحسبان . انها حقيقة ان الكثيرين من الثلاثة ملايين نسمة او نحو ذلك من الذين يسمون أنفسهم فلسطينيين اليوم يعتبرون انفسهم بصورة متزايدة بأن لهم هوية خاصة كشعب ويرغبون بان يكون لهم صوت في تقرير وضعهم السياسي . وكما هي الحال مع اي شعب في هذا الوضع ، فان بينهم خلافات ، الا ان الفلسطينيين بصورة جماعية ، هم عامل سياسي لا بد من التعامل معه اذا اردنا ان يكون هناك سلام بين اسرائيل وجاراتها . (١٠١)

ومع أن كيسنجر انكر ان تكون حكومته اجرت محادثات مع ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية (وهو أمر كان سيوازي الاعتراف) ، فان عدة اميركيين قد اتصلوا بهم . فالشيخان ماتياس ومكغوفرن اجتمعا بمسؤولين من منظمة التحرير في بيروت ويقال ان

الحاكم السابق سكرانتون اجتمع بأحد كبار ممثلي منظمة التحرير في باريس · وفي الاونة الاخيرة اجتمع رئيس مؤسسة (ليلي) الخيرية . لاندروم بولينغ Bolling ، بعرفات وحمل معه رسالة الى كارتر · ويبدو ان السفارة الاميركية في بيروت قامت باتصالات مع منظمة التحرير عندما نظمت عملية اخراج الرعايا الاميركيين في لبنان أبان الحرب الاهلية ، وقد شكرها الرئيس فورد على ذلك علنا ·

وخلال رئاسة فورد القصيرة والعرجاء سجل صبري جريس وعصام صرطاوي اسميهما في وزارة العدل الاميركية كخطوة تمهيدية نحو فتح مكتب لمنظمة التحرير في واشنطن ، وهو عمل لا بد وان يكونا قد تلقياعليه موافقة مسبقة ، علما بان هذه الموافقة سحبت فيما بعد في أوائل ادارة كارتر · واهم تغيير في السياسة الاميركية نحو الفلسطينيين حدث تحت اشراف حكومة كارتر · ففي اذار من هذه السنة اعترف كارتر ، خلال زيارته لمدينة كلينتون بولاية ماساشوستس بان أية تسوية للشرق الاوسط يجب ان تشتمل على وطن للفلسطينيين · وفي ست او سبع مناسبات مختلفة على الاقل كرر كارتر اعتراف ادارته « بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » وبالحاجة الى « وطن » فلسطيني ، وبانه يجب ان يتمثل الفلسطينيون في جنيف ·

ان التغيير الدراماتيكي الراهن الذي حدث لدى كارتر الى ما يبالغ البعض في تسميته سياسة « موالية للعرب » ــ والذي هو أقرب ما يكون الى سياسة تكيف ــ هو صادر عن تطورات اقتصادية واقليمية ودولية شعرت ادارة كارتر بانه لا يسعها تجاهلها ·

١) الضغوط الاقتصادية واضحة · فأهمية رؤوس الاموال العربية السعودية قد جعلت ذلك البلد عاملا حاسما في الاعتبارات الاميركية وقد كان لتشجيعه للمبادرات الاميركية تأثير حتمي على الولايات المتحدة ·

٢) لقد وجدت الولايات المتحدة نفسها على الدوام في رفقة وحيدة لدول مثل هاييتي وبوليفيا في تصويت الامم المتحدة على مسائل الشرق الاوسط . فبتصويت ١٠٥ امم لمصلحة قرار الجمعية العامة الرقم ٣٢٣٦ الذي يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للفلسطينيين وبوجود بعثات دبلوماسية لمنظمة التحرير في ٦١ بلدا ، شعرت الولايات المتحدة نفسها في عزلة دولية متزايدة فيما يتعلق بالحقوق الشرعية والتمثيل للفلسطينيين · وخصوصا في وقت تدعو الحاجة فيه الى تعاون سوفياتي حول اتفاقات ثنائية ويخشى فيه الى حد كبير من المواجهة بين الدولتين المتفوقتين ، فان الولايات المتحدة وجدت ان من مصلحتها السياسية ان تخفف موقفها الموالي لاسرائيل ·

٣) من الناحية الاقليمية فان اعتراف الحكومات العربية بمنظمة التحرير كممثل شرعي وحيد (وهو امر وافق عليه حتى الملك حسين مع ما قد يخسره من اتخاذ مثل هذا الموقف) واجماعها على ان الفلسطينيين يجب ان يمثلوا انفسهم في أية مفاوضات ، كل هذا قد تحدى الفكرة الاميركية القائلة بان اتفاقا على اساس كل دولة على حدة سيعزل الفلسطينيين ·

وهناك تطورات اخرى اثرت في صورة منظمة التحرير في العالم وقد اثرت بالتالي في موقف ادارة كارتر نحوها ·

١) لقد اظهر الشعب الفلسطيني تصميما وشجاعة ، وقدرة هائلة على البقاء ، رغم المحاولات الهائلة لتصفيته ، في الاردن وفي لبنان · وقد تأثرت الولايات المتحدة بنوع خاص بالمؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية التي خلقها الفلسطينيون والتي تظهر نفس هذه الارادة للبقاء ·

٢) لقد اظهرت منظمة التحرير انها تتمتع « بتأييد ساحق من الفلسطينيين داخل فلسطين وفي الشتات » · ومركزها كناطق شرعي باسم الشعب الفلسطيني معترف به اعترافا حسنا ولا يحتمل التحدي ·

٣) على الصعيد الدولي حققت منظمة التحرير وضع المراقب في الامم المتحدة ، وكسبت اعتراف ١٠٥ امم واقامت بعثات في ٦١ بلدا · وهي عضو كامل في مجموعة الدولة غير المنحازة وعضو في جامعة الدول العربية · والولايات المتحدة هي احدى البلدان القليلة في العالم التي لم تمنح منظمة التحرير صفة الحكومة ·

ربما كان من غير المنصف بحث العوامل المحدثة للتغيير في السياسة الاميركية نحو الفلسطينيين دون الاشارة الى عامل داخلي ساعد في صياغة تلك السياسة وقاوم بنشاط اي تغيير عندما لم يخدم ذلك التغيير مصالحه الضيقة · ذلك العامل هو اللوبي الصهيوني· وقد استخدم هذا اللوبي كل قوته ونفوذه الهائلين لاقناع الرئيس الاميركي بالعدول عن انتهاج سياسة اقل من موالية لاسرائيل ·

كارتر والضغط الصهيوني

لقد جعلت ادارة كارتر اول قضية اولوية لسياستها الخارجية هي تسوية في الشرق الاوسط وعقد مؤتمر جنيف قبل نهاية ١٩٧٧ · من الواضح انه اذا اريد لاقل هذين الهدفين ، وهو مؤتمر جنيف ، ان يتحقق ، في ضوء التصلب الاسرائيلي فان من الضروري ممارسة ضغط هائل على اسرائيل · وقد طلب من كارتر ان يرجيء مبادرته الى ما بعد الانتخابات الاسرائيلية في أيار ، باعتبار انه لا يمكن لاسرائيل ان تقبل بالحلول الوسط حول قضايا حاسمة قبيل الانتخابات مباشرة ، نظرا الى الطبيعة « الصقرية » للناخبين الاسرائيليين · وفي ايار فاز بالانتخابات مناحيم بيغن ، وهو أرهابي سابق وسياسي توسعي من الصقور · ولذا فان ادارة كارتر ستجد صعوبة اكبر في التفاوض مع حكومته · وقد اظهر بيغن تصلبه حالما تولى السلطة · لذلك كانت المواجهة مع كارتر حتمية · وقد أشار بيغن انه ليس مضطرا للتنازل امام ضغط كارتر لان كونغرس الولايات المتحدة يقف الى جانب اسرائيل · وهو كونغرس يخضع الى حد عظيم لتأثير اللوبي الاسرائيلي الرفيع التنظيم ويظهر استعدادا كبيرا لفعل اي شيء تقريبا من اجل اسرائيل·

ولذلك ، كما كان متوقعا ، حدثت سلسلة من المواجهات :

١) في اوائل حزيران اتخذ بيغن موقفا متصلبا فيه كثير من التحدي نحو سياسة اميركا للتسوية · ثم اختار الرئيس كارتر ان يمارس الضغط باعلان الفرق في الاراء والمواقف · واعتزم ان يظهر على التلفزيون الوطني مع خرائط ورسوم بيانية يشرح بها للشعب الاميركي النزاع كله واين تكمن مصالح اميركا وما هو منصف وما يجب فعله · ويقال ان اصدقاء اسرائيل في الكونغرس والخارج مارسوا الضغط على كارتر واقنعوه بعدم الافصاح عن ارائه هذه علنا نظرا الى الاثار المضرة المحتملة على الحزب الديموقراطي · والغى كارتر هذه الخطة · وخضع لنصيحتهم وارجأ القيام بهذا العمل الى ما بعد زيارة بيغن للبيت الابيض ·

٢) خلال اجتماع كارتر ـ بيغن في تموز ، حث كارتر بيغن على عدم انشاء اية مستعمرات جديدة في الاراضي المحتلة · وكان الانطباع الذي اعطاه بيغن هو انه سيصغي لنصيحة كارتر · غير ان بيغن ، حالما عاد الى اسرائيل ، اعلن عن اضفاء

الشرعية على ثلاث مستعمرات جديدة ، الامر الذي اثار سخط كارتر . ومضى بيغن قدما في سياسة الضم الزاحف .

٣) قضية لانس . يعزو مراقبون حسنو الاطلاع في واشنطن جزءا من قضية لانس الى اللوبي الصهيوني . كان لانس المكشوف للانتقاد اقرب صديق الى كارتر ومستشاره وهدفا سهلا لاية جماعة ترغب في تلطيخ الصورة العامة لكارتر وفي ترهيبه .

٤) البيان السوفياتي - الاميركي المشترك حول ضرورة مشاركة ممثلي الشعب الفلسطيني (اي منظمة التحرير) في مؤتمر جنيف . هذا البيان اغضب اسرائيل واصدقاءها في الولايات المتحدة . وقالت اسرائيل انها لن تذهب الى جنيف في حضور منظمة التحرير . وتدفقت على البيت الابيض الاف البرقيات . واذعن كارتر لاصدقاء اسرائيل في الكونغرس وخارجه واعلن ان البيان الاميركي - السوفياتي ليس ملزما ولن يستخدم كأساس للمفاوضات في جنيف .

وتم التوصل الى صيغة جديدة لمؤتمر جنيف ، ترتكز على قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ . وتطلب التوصل الى تلك الصيغة قدرا كبيرا من المفاوضات والضغط من قبل فانس وكارتر ، وهو ضغط وصفه دايان فيما بعد بانه « وحشي » . وفي الوقت ذاته انتزع دايان وعدا من كارتر بان الولايات المتحدة لن تستخدم المعونة العسكرية والاقتصادية لاسرائيل كاداة ضغط لارغام اسرائيل على القبول بحلول وسط .

وباستبعاد عاملي المعونة العسكرية والاقتصادية ، لم يكن بوسع كارتر الا اللجوء الى قواه الاقناعية والعزلة الدبلوماسية . واداة الضغط هذه ليست كافية قط لارغام اسرائيل على التنازلات الضرورية لاي نوع من انواع التسوية التي ترغب ادارة كارتر في تحقيقها .

لماذا ترغب الولايات المتحدة في تسوية ؟ هذه الادارة تعتقد انه من المصلحة القومية للولايات المتحدة ايجاد تسوية في الشرق الاوسط للاسباب التالية :

١) لا تجرؤ اميركا على المجازفة بحظر نفطي اخر ، سيفرض حتما اذا ما اندلعت حرب اخرى .

٢) الولايات المتحدة تحتاج الى التوظيف المالي العربي من فائض الدخل النفطي . ومن الممكن ان يؤثر هذا التوظيف تأثيرا ايجابيا في معدل النمو الاقتصادي الاميركي ، وربما اذا استثمر في طرق معينة يمكنه ان يساعد على تخفيف معدل البطالة البالغ ٦٫٨ بالمئة . والى ذلك فانه مما لا ريب فيه ، ان سحب الاموال المستثمرة في الولايات المتحدة يمكن ان يسبب اضطرابات اقتصادية . ولدى العربية السعودية وحدها ٦٠ بليون دولار موظفة في الولايات المتحدة . (١٠٢)

(أ) كان عجز الميزان التجاري الاميركي هذه السنة ٢٥ بليون دولار ، ومن المتوقع ان يبلغ نحو ٢٨ بليون دولار في ١٩٧٨ . لذلك فان لدى الولايات المتحدة رغبة شديدة في التعامل التجاري مع العرب .

(ب) التسوية ستنهي المقاطعة العربية الراهنة ضد الشركات الاميركية المتعاملة مع اسرائيل . وسيتيح هذا لمزيد من الشركات الاميركية ان تقيم علاقات مالية واقتصادية مع العالم العربي .

٣) السلام الدائم في المنطقة العربية سيزيد من الازدهار ويسهل التنمية هناك ، الامر الذي سيفيد ايضا الشركات الاميركية ·

التسوية مهمة بنوع خاص للولايات المتحدة ، اذا افترض المرء ان العربية السعودية ستستخدم سلاحها الاقتصادي ضد الولايات المتحدة اذا امتنعت اميركا عن ارغام طفلها « جليات » ، اسرائيل ، على القيام بتنازلات معقولة لتسوية مقبول بها · الا ان العربية السعودية ، في هذه الحالة ، قد لا تعتبر ان من مصلحتها استغلال قوتها الاقتصادية . وفي الواقع فان العربية السعودية تعتمد على الخبرة العسكرية والفنية والاقتصادية الاميركية ، بين امور اخرى ، تقريبا بقدر ما تحتاج الولايات المتحدة الى النفط السعودي والرابطة المالية ·

وبما ان الولايات المتحدة تدرك هذه الدرجة العالية من الاعتماد المتبادل مع العربية السعودية ، وتدرك بالتالي عدم احتمال استخدام العقوبات الاقتصادية . فهل يعني هذا ان الولايات المتحدة لن تضغط من اجل تحقيق تسوية ؟

الجواب الواضح هو كلا · فان التسوية الدائمة للنزاع العربي ـ الاسرائيلي تخدم المصالح الامبريالية الاميركية في المنطقة العربية على نحو افضل ، خصوصا في ضوء الهيمنة الاميركية على المنطقة · ويعتقد راسمو السياسة الاميركية ان غياب تسوية او اتفاق بين الدول العربية واسرائيل هو مصدر دائم لعدم الاستقرار ، يمكنه ان يثير جيشانات جماهيرية ويسبب انهيار انظمة عربية صديقة · وستفضل الانظمة الجديدة على الارجح الدعم والسياسة السوفياتية على الدعم والسياسة الاميركية ، ومن الواضح ان هذا سيهدد المصالح الاستراتيجية والاقتصادية الاميركية في المنطقة · وادارة كارتر ، كالادارات السابقة لها ، تعتبر منظمة التحرير الفلسطينية العنصر الاكثر اثارة لعدم الاستقرار والاكثر تسببا للراديكالية في المنطقة ، خصوصا مع توزعها في بلدان عديدة · ولذلك تعتقد الادارة ان اقل معيار لتسوية ناجحة لا بد وان يشمل الفلسطينيين في مكافأة التسوية ، الامر الذي يعني وطنا من نوع ما على الارجح ·

نظرة شاملة وخاتمة

في تعقب تطور السياسة الاميركية حيال الشعب الفلسطيني . يستطيع المرء ان يتبين اشارات التحول في السياسة بملاحظة استخدام العبارات التي يشار بها الى الفلسطينيين · فمنذ ١٩١٧ ، مع المصادقة الاميركية على وعد بلفور ، جرى استخدام العبارات التالية في الترتيب التاريخي المتعاقب لوصف الفلسطينيين :

ـ السكان غير اليهود (اي اللاشعب) ـ اللاجئون العرب ـ الارهابيون العرب ـ الارهابيون الفلسطينيون ـ الفلسطينيون ـ الكيان الفلسطيني ـ الشعب الفلسطيني ·

كذلك فان السياسة الاميركية المتغيرة استخدمت (ايضا حسب التعاقب التاريخي) العبارات التالية :

ـ فلسطين (الارض ، بلد منتدب) ـ الاعادة الى الوطن او التعويض ـ اعادة التوطين والدمج (التهدئة) ـ المواجهة ـ المصالح الفلسطينية ـ المصالح الفلسطينية المشروعة ـ الحقوق المشروعة ووطن للفلسطينيين ·

هذه السنة تشير الى الذكرى الستين لوعد بلفور ، الذي يدعو الى وطن يهودي في

فلسطين ، التي كان يقطنها سكان عرب · وهكذا تطلب راسمو السياسة الاميركية ٦٠ سنة و١٢ ادارة للاعتراف بأن الشعب الفلسطيني موجود وان له حق في وطن خاص به ·

هل يعني هذا الاعتراف الجديد مرحلة جديدة تنطوي على تغير جوهري في السياسة الاميركية ، ام هو الهدف القديم نفسه في واجهة معدلة ؟ الاقتراب من هذا السؤال يتطلب تفحصا لنوع الوطن الذي يتصوره كارتر للفلسطينيين · فهل سيبرز هذا الوطن من منح الفلسطينيين حقوقهم الاكيدة في تقرير المصير ؟ في مقابلة مع مراسل صحيفة جيروساليم بوست ، ترود فيلدمان ، في الثامن من ايلول (سبتمبر) ١٩٧٧ ، حدد الرئيس كارتر كلمة « وطن » على انها ببساطة « مكان يعيش فيه شعب » · وقد يعتقد المرء ان كارتر استخدم هذا التحديد البسيط الذي يلغي مسألة الحقوق الفلسطينية في تقرير المصير لمجرد ارضاء ناخبيه الاسرائيليين ! غير ان التصريح السياسي الاكثر تفصيلا حول قضية الوطن صدر عن نائب رئيس الجمهورية الاميركية ولتر مونديل الذي تكلم نيابة عن ادارة كارتر امام «مجلس الشؤون العالمية » في سان فرانسيسكو ، فقال :

« ان احدى القضايا الرئيسية الاخرى هي مستقبل الشعب الفلسطيني · فقد كانت مصدر مأساة مستمرة في الشرق الاوسط ، هناك شرطان اساسيان من أجل سلام دائم في هذه الناحية ·

اولا ، يجب ان يكون هناك استعداد ظاهر من جانب الفلسطينيين للعيش بسلام الى جانب اسرائيل ·

ثانيا – يجب ان يعطى الفلسطينيون نصيبا في السلام لكي يتحولوا عن عنف الماضي ونحو مستقبل يمكنهم ان يعبروا فيه عن مطامحهم السياسية المشروعة بسلام ·

وهكذا اذا كان الفلسطينيون راغبين في العيش بسلام ومستعدين لاظهار تلك الرغبة ، بالاعتراف بحق اسرائيل في الوجود بسلام ، فان رئيس الجمهورية قد اوضح اننا ، في نطاق تسوية سلمية ، نعتقد انه يجب ان يعطى الفلسطينيون فرصة للتخلي عن وضعهم كلاجئين مشردين وان يشاركوا مشاركة كاملة في منافع السلام في الشرق الاوسط ، بما في ذلك احتمال ترتيب ما لوطن او كيان فلسطيني – ويفضل ان يكون ذلك بالمشاركة مع الاردن ·

كيف سيتم تحقيق ذلك والطابع الدقيق لذلك الكيان هما بالطبع شيء لا بد من أن يقرره الفرقاء انفسهم خلال المفاوضات · الا ان رئيس الجمهورية قد اقترح ان قابلية الحياة لهذا المفهوم وأمن المنطقة يمكن تحسينهما ان انطوى الامر على مشاركة مع الاردن · ولكنني اشدد على ان الفرقاء انفسهم يجب ان يقرروا التفاصيل · » (١٠٤) ·

في تفحص تصريح مونديل وغيره من تصريحات السياسة الاميركية ، يمكن المرء ان يستنتج ما يلي :

١) على الفلسطينين ان يظهروا استعدادهم للعيش في سلام مع اسرائيل بمنح اسرائيل اعترافا شرعيا · الا انه لا يطلب من اسرائيل ان تبادل منظمة التحرير الفلسطينية الاعتراف بها ، ولا حتى الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير المصير ضمن دولة ذات سيادة · وهذا يعني ان الفلسطينيين سيتخلون طوعا عن حق جيلهم واجيال المستقبل في التحرير الكامل لوطنهم ، فلسطين ·

٢) يطلب من الفلسطينيين التخلي عن النضال المسلح مقابل ارض يمكنهم فيها ان يعبروا

عن مطامحهم السياسية المشروعة (اي انتخاب مسؤوليهم المحليين ، وانتخاب ممثلين لبرلمان مستقل او اردني ، الخ ٠)

٣) تفضل الولايات المتحدة ان يكون هناك كيان فلسطيني متصل بشكل او باخر مع الاردن ، ربما في « مملكة عربية متحدة » ٠ ويعتقد كارتر ان من شان هذا تعزيز امـــن المنطقة ٠ ويعني هذا ان دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة كاملة قد تشكل خطرا امنيا على المنطقة ـ قد يكون ناجما عن تحالفها او علاقاتها الودية مع الاتحاد السوفياتي او ليبيا او العراق ٠ اما ضم دولة في الضفة الغربية (او شكل اخر مماثل لها) الى الاردن فسيؤمن موقفها الموالي لاميركا واعتدالها نحو اسرائيل ٠ وتشير جميع الادلة الى انه اذا ما قام كيان او دولة مستقلة في الضفة الغربية وغزة ، فان لا الولايات المتحدة ولا اسرائيل ستسمح بأن يكون لها جيش وطني وبل ستكون منزوعة السلاح كليا ، دون السماح بأي شيء اكثر من قوة شرطة لقمع الاضطرابات المحلية ٠ والكيان الاقصى الـــذي سيكون الاميركيون والاسرائيليون مستعدين للقبول به لن يكون ابدا اكثر من « فلسطينو ستان » ، اي كيان او اقليم مماثل للبنتوستانات في جنوب افريقيا حيث تكون حرية الحركة والعلاقات الخارجية محدودة ومعتمدة على اسرائيل او الاردن او كليهما معا ٠

وهكذا تعتقد الولايات المتحدة ان الشكل النهائي ومعالم الوطن الفلسطيني ستقررهما المفاوضات بين اسرائيل والدول العربية ، مع وجود صوت فلسطيني ٠ وهذا العامـــل ، بالاضافة الى الشروط المسبقة التي ستنتزعها الولايات المتحدة من الفلسطينيين مقابل تأييدها لمطالبتهم بوطن ، لا يكادان يشكلان اختيارا حرا للشعب الفلسطيني وبالفعل سيكون ذلك انكارا واضحا لحقه الاكيد في تقرير المصير ـ وبالطبع لن يكون هذا مستغربا لان السياسة الخارجية الاميركية لم تكن قط مرتكزة على المبادىء الاخلاقية ٠ اذ نادرا ما ايدت اميركا حقوق الشعوب في تقرير المصير ، وعندما فعلت ذلك ، كان الدافع سياسيا او اقتصاديا ٠

كانت التحولات او التغيرات في السياسة الاميركية نحو الفلسطينيين تهدف الى تحقيق هدف واحد : ازالة المصدر الرئيسي لعدم الاستقرار والعامل الراديكالي في الشرق الاوسط٠ وكانت اوضاع عرب فلسطين تشكل العامل المتفجر الرئيسي هناك ٠ وهكذا فان الولايات المتحدة تحاول تعديل سياستها باقل كلفة ممكنة لتهدئة « بعبعها » ٠ وهذا الهدف لم يتغير طوال الاعوام الثلاثين الماضية ٠

وبما ان خطط التهدئة نحو الشعب الفلسطيني لم تكن مثمرة في الماضي ، فان ثمة سببا للاعتقاد بأن الجهود المعدلة الجديدة ستخفق ايضا ، وربما بصورة مريعة وخطرة اكثـــر ٠ وان نضال الشعب الفلسطيني السياسي والمسلح سيستمر نحو المسيرة الطويلة للتحريـــر الكامل ٠

هوامش

1) Hurewitz , *Middle East Dilemma* , (New York : Harpers and Brothers , 1953) , P. 107

2) Reuben Fink , America and Palestine , (New York : American Zionist Emergency Council , 1944) , p. 20 .

٣) المصدر نفسه ٠

4) Jansen , *The Three Basil American Decisions on Palestine* (Beirut : PLO Research Center , 1971) pp. 7 — 17 .

5) Roscoe BAKER , *The American Legion and American Foreign Policy* , (New York : Bookman Associates , 1954) , pp 256 and 305.

6) S. J. RES. 191 67th Congress , 2nd Session, *Congressional Record* Vol . LXII , Part 5 , p. 5376 .

اعيدت على الفور الى لجنة العلاقات الخارجية ·

٧) **المصدر نفسه** ، ٧ ايار ، ١٩٢٢ ، القسم ٢ ، ص ٦ . صحيح ان لودج واجه صعوبات في الحملة الانتخابية عام ١٩٢٢· وقد قال كاتب سيرة حياته : « في الواقع كانت قوة لودج قد ضعفت في ولايته · وكانت حملة مجلس الشيوخ الانتخابية صعبة بالنسبة اليه · وفي يوم الانتخاب في تشرين الثاني لم يجمع الا شعبية ٧١٥٤ صوتا ، متخلفا وراء المرشح الجمهوري لمنصب الحاكم بنحو ٥٠ الف صوت » ·

Karl Schriftgiesser . *The Gentlman from Massachusetts : Henry Cabot Lodge* (Boston : Little , Brown &Co. 1944) pp. 358 - 359 .

٨) في الحديث المشار اليه ، اكد ليبسكي ان فيش تبنىفكرة القرار من غولدبرغ · وفي رسالة مؤرخة ٢٦ حزيران عام ١٩٥٣ الى الكاتب ، قال فيش ان القاضي ماك والحاخام وايز ساعدا في وضع مسودة نص القرار ·

٩) اعترض بعض اليهود على القرار بسبب تغيير بسيط جدا في الكلمات ، وفضلوا عليه الكلمات الدقيقة لوعد بلفور ·

10) *Congressional Record* , Vol . LXII , Part 10 , p. 9799 .

١١) انظر

New Palestine , II (Part 1 , 14 , 1922) .

11 (April , 14 , 1922) , p. 280

١٢) المصدر نفسه

١٣) انظر الرسالة من الوزارة الى ديوك كريستيانسون ، سكرتير هاردينغ ،

National Archives file 867 , N. 01/311A . SEE IBID , File 867N. 01/199.

من اجل مذكرة قسم الشرق الادنى التي تشير الى « المعاهدة الانكلو ـ الاميركية التي كانت آنذاك تحت المفاوضة ، وكان ثمة خطر عليها اذا لم يوقع القرار ·

14) The Statues - at - Large of the United States of America , Vol. LXII , Part 1 , (Washington , D. C. : U.S. Govt . Printing Office , 1923) P. 1012 .

15) The American Zionist Emergency Council , A Report of Activities 1940-1946, (New York : 1946) pp 11 - 12 . and Elihu D. Stone , « The Zionist outlook in Washington » , *New Palestine* , XXXIV (March 17 , 1944) p. 305 .

16) H. RES. 418 , 78th Cong. 2nd Session , *Congressional Record* , Vol . 10 , Part 1 , p. 856 . Representative Ranulf Compton , Republican of Connecticut , introduced an identical resolution as the Wright : H. RES. 479 , in *IBID* . The Wagner — Taft resolution was S. RES. 247 .

17) U.S. Congress , House Committee of Foreign Affairs , *Hearings on H. RES. 418 and H. RES 419* , Resolution Relative to the *Jewish National home in Palestine* , 78th Congress , 2nd Session , (Washington : U.S. Govt. Printing Office , 1944) .

18) Hull , *op. cit.* , p. 1533

١٩) النيويورك تايمز ، ٢٤ اب ، ١٩٤٢ ، ص ٣ .

20) Hull , *op. cit* . 1533 — 1534 .

٢١) المصدر السابق .

22) F.D.R. Memoires , *op. cit. p.* 900 .

٢٣) النص في المصدر السابق .

24) Stetinius to F.D.R. in *IBID* . March 4 , 1944.

25) Hull , *op. cit.* pp. 1534 — 1535 .

٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٥٣٥ .

27) Hull , *IBID* , p. 1535 .

٢٨) نص الرسائل في مذكرات روزفلت .

29) Stephen S. Wise , *Challenging Years* , (New York : G.P. Putnam & Sons) 1949 , pp. 216 — 232 .

30) U.S. Department of State , *Foreign Relations of the United States . The Conference at Malta and Yalta , 1945.* Washington : U.S. Govt. Printing Office , 1955 , p. 924 .

31) Wise , *op. cit* . pp. 216 — 232 .

٣٢) المصدر السابق .

33) Welles , *op. cit.* p. 30 .

34) Harry , S. Truman , *Memoires : Years of Trial and Hope , 1946 — 1952* , (New York : New American Library , Vol, 1. 1961) , p. 69.

٣٥) المصدر نفسه ، المجلد الثاني ، ص ١٣٢ .   ٣٦) المصدر نفسه .

٣٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .   ٣٨) المصدر نفسه ، ص ١٣٢ .

٣٩) المصدر نفسه ، المجلد الاول ، ص ٦٧ · ٤٠) المصدر نفسه ، ص ٦٩ ·

41) United Nations General Assembly , *Official Records* , First Sepecial Session , Vol. 1 , Dec. A — 286 , p. 183 .

42) U.N. *Yearbook* , 1947 — 1948 , p. 230 .

٤٣) ترومان ، مذكراته ، المجلد الثاني

op. cit.

44) *The Forrestal Diaries* , *op. cit.* p. 346

45) Sumner Welles , *op. cit.* p. 63 .

٤٦) **مذكرات فوريستال** ، *op.* cit. ص ٢٤٦ ·

47) Kermit Roosevelt , (The Partition of Palestine : A lesson in Pressuru Politics) , *Middle East Journal* , Washington , D.C. , 1948 p. 15 .

48) William A. Eddy , *F.D.R. Meets Ibn Sa,ud* (New York : American Friends of the Middle East , 1954) pp. 36 — 37 .

٤٩) **مذكرات** ، ترومان ، المجلد الثاني ، op. cit. ص ١٦٠ ·

50) C.F. Halfod Hoskins , *The Middle East* : *Problem Area in World Politics* , (New York : Macmillan Col. 1975) , p. 18 — 38 , 232 - 254.

٥١) مذكرات فوريستال · op. cit. ص ٢٤٨

٥٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ ــ ٢٦٢ · ٥٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ ــ ٢٦٥

55) Welles , We Need Not Fail , *op. cit* , pp.. 81 — 82 .

٥٦) مذكرات فوريستال op. cit. ص ٢٧٦ ·

57) Bernett Nitvinoff , *Ben Gurion of Israel* , (London : Widenn-ffeld and Nicholson , 1954) , p. 159 .

٥٨) ترومان ، مذكرات ، op. cit. المجلد الثاني ، ص ١٦٠ ــ ١٦١ ·

59) U.N. Security Council , Verbatim Record of the 271 st meeting March 19 , 1948 , Doc . S/pp. 2871 .

60) Richard Stevens , *American Zionism and U.S. Foreign Policy* 1942 — 1947 (New York : Pagent Press , 1962) , pp. 202 — 203 .

٦١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ · ٦٢) المصدر نفسه ص ٢٠٤ ·

٦٣) النيويورك تايمز ، ١٥ ايار ، ١٩٤٨ ، ص ١ ·

64) Jonathan Daniel , *The Man from Independence* , (New York and Philadelphia : J.P. Lippincot co. 1950) pp. 319 — 320 .

٦٥) مذكرات فوريستال ، op. cit. ص ٤٤٠ ــ ٤٤١ ·

66) U.N. RES . 212 (III) Nov. 19 , 1948 , U.N. Doc. A/810 . « Pro - gress Report on Conditions of-Refugees in Near East » , *Department of State Bulletin* , XIX , 490 (Nov. 21 , 1948) , 434 , 436 .

67) Gabbay , *op. cit.* , p. 131

68) FRED Khouri , *The Arab - Israeli Dilemma* , Syracuse : Syracuse University Press , 1948 , p. 147.

69) U.N. Doc. Supplement No. 13 (A/10013) , *Offical Records of the General Assembly* : Thirteenth Session , July , 1974 - Gune 30 , 1975 United Nations ; New York 1975 .

..70) « Discussions of the Palestine Situation in Committee I » , Statement by Philip c. gessup , U.S. Delegate to the General Assembly on Nov. 20 , 1948 , *Department of State Bulletin* , XIX , Nov. 21 , 1948 / 659 . J..J..J..

71) Walter Eytan , Director General of the Israeli Ministry of Foreign Affairs and Head of the Israeli Delegation at Lausanne .

72) Macdonald , *op. cit.* , p. 181 .

73) Peretz , *op. cit* p. 42

74) Macdonald , *op. cit.* pp. 183 - 184 .

75) U.S. Senate , Committee on Apropriations , *Foreign aid Appropriations for 1951* , *Hearings* , 81st Congress , 2nd Session , gune 13 , 1950 (Washington : Govt. Printing office , 1950) p. 353 - 354 .

76) Michal E. gansen , *The United State and The Palestinian People* (Beirut : The Institute for Palestine Studes , 1970) pp. 143 - 144 .

77) IBID , p. 145 . Public Law 118 , 83nd Congress , H. R. 5710 p. 2.

78) *IBID.* , « Press Release » , Statement by President Eisenhower on Oct. 16 , 1953 , *Department of State Bulletin XXIX (Oct. 26* , 1953) p. 553 .

٧٩) المصدر نفسه ، ص ٥٥٦ .

80) Mohammad Khalil *The Arab States and the League* , vol. II , *International Affairs* (Beirut : Khayat's , 1962) pp. 636 - 637 .

٨١) النيويورك تايمز ، ٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٥ ، ص ١٧ .

82) « A Survey of the Arab Refugee Situation » , Intrim Report of the Special Near East Refugee Survey Commission . Dec. II , 1953 , *The Department of State Bulletin* (Jan. 13 , 1954) p. 96 .

٨٣) النيويورك تايمز ، ٢٥ آب ، ١٩٦١ ، ص ٣ .

٨٤) النيويورك تايمز ، ٣ تشرين اول ١٩٦٢ ، ص ٥ .

85) FRED J. Khouri , *The Arab - Israeli Dilemma* , Syracuse : Syracuse University Press , 1968 , pp. 146 - 147 .

86) William B. Quandt , *United States Policy in the Middle East :*

Constraints and Choices (Santa Monica : the Rand Corporation , 1970) , pp. 34 - 36 .

٨٧) النيويورك تايمز ١ شباط ١٩٦٣ ص ٧ و٢ شباط ١٩٦٣ ص ٥ ٠

٨٨) المصدر نفسه ٢١ كانون الاول ، ١٩٦٢ ، ص ٢ ٠

٨٩) كان تبرع الولايات المتحدة للاونروا في عام ١٩٦٤ و ١٩٦٥ يؤلف نحو ٧٠ بالمئة من الميزانية العـامة ٠

See U.N. Document No. 13 A/8013 , 1969 .

90) U.S.*Congressional Record* , 89th Congress , 1st Session (1965)

CXI , August 24 , 1965 , 21618 - 21622 .

91) U.S. *Congressional Record* , 89th Congress , CXII , May 25 , 1966 , p. 02423 .

٩٢) المصدر نفسه ٢٧ ايلول ، ١٩٦٦ ، ص ٢٤٠٥٤ ـ ٢٤٠٥٥ ٠

93) U.S. Congress , Senate Committee on Foreign Relation , *War or Peace in the Middle East* , Report , 90th Congress , 1st Session , April 10 , 1967 (Washington , D.C. : Government . Printing Office , -967) , p. 13 .

94) U.S. *Department of State Bulletin* 15/9/1969 , p. 246.

95) House Version of Foreign Assistance Act of 1969 , Nov. 6 , 1969 , Section 401 G , pp. 45 - 46 .

٩٦) النيويورك تايمز ، ٨ تشرين الاول ، ١٩٧٠ ٠

٩٧) مقتطف من تصريح لوزير خارجية الولايات المتحدة روجرز امام الجمعية العامة للامم المتحدة ، ٢٥ أيلول ، ١٩٧٢ ٠

98) U.S. *Department of State Bulletin* , March 18 , 1974 , p. 274 .

99) U.N. Document A/RES . 3034 (XXVII) Dec. 1972 , p

100) U.S. *Department of State Bulletin* .

١٠١) المصدر السابق ، ١ كانون الاول ١٩٧٥ ، ص ٧٩٧ ـ ٧٩٨ ٠

102) *Press Release* , the White House , May 24 , 1977 .

تبادل الانخاب بين الرئيس كارتر وولي العهد الامير فهد بن عبد العزيز ٠

103) U.S. *Department of Commerse Report* , Washington , D.C. , Sept . 1977.

104) *Department of State News Release :*

خطاب نائب رئيس الجمهورية الاميركية ولتر مونديل امام « مجلس الشؤون العالمية » في شمالي كاليفورنيا ، « اطار للسلاح في الشرق الاوسط » ، ١٧ حزيران ، ١٩٧٧ ٠

ادوار سعيـــد

العـربي في الثقافـة الأمـيركيـة

ينظر البعض الى صراع الصهيونية مع العرب في فلسطين ـ وغيرها مـن بلدان المنطقة ـ على انه يوسع ويؤكد ، بل ويعزز (لمصلحة الغرب) الصراع القديم بين الغرب والشرق ، ذلك الصراع الذي يمثله الاسلام أساسا · ولم تكن هذه مسألة استعمارية (كولونيالية) فحسب ، بل انها ايضا مسألة حضارية · فقد كان واضحا تماما لمؤيدي الصهيونية الغربية ـ مثل بلفور ـ ان استعمار فلسطين سيكون مدا لنطاق السيادة الغربية نحو الشرق · وقد صدر هذا المعنى بالتحديد من البداية الاولى للتخطيط الصهيوني : استخدمه هيرتزل ، واستخدمه وايزمان ،واستخدمه كل زعيم اسرائيلي منذ ذلك الحين · فكانت اسرائيل وسيلة لوضع الاسلام ـ وبعد ذلك الاتحاد السوفياتي ، او الشيوعيـة ـ في موقف الدفاع · وقد جرى ربط الصهيونية واسرائيل بالليبرالية ، بالحرية والديمقراطية، بالمعرفة والنور ، بكل ما نفهمه « نحن » ونناضل من أجله · وعلى النقيض من ذلك صور اعداء الصهيونية على انهم لا يتعدون كونهم نسخة القرن العشرين من روح الطغيان الشرقي الغريبة ، والشهوانية والجهل ، واشكال التخلف المماثلة · فاذا كان « اولئك » لا يريدون ان يفهموا المشروع المجيد الذي تعنيه الصهيونية فذلك لانهم بعيدون تماما ـ الى حد يدعو لليأس ـ عن قيمنا « نحن » · ولم يبد انه يهم ان كان للمسلم المتخلف اشكاله الخاصة في الحياة ، تليق به ككائن بشري، او ان ارتباطه بالارض التي يعيش عليها كان ارتباطا اشد من ارتباط اليهودي الذي كان يتوق الى ارض صهيون وهو في منفاه · كل ما كان يهم بالفعل مثل عليا عرقية انتحلتها الصهيونية تمجد تفوق الرجل الابيض وحقه في اقليم يعتقد انه يتفق مع تلك المثل العليا ·

ويحتاج الامر الى توثيق فوري وحاسم لكي يعرف الى اي مدى اصبحت هذه الافكار آراء مقبولة في المسار العام للديمقراطية الليبرالية المتنورة الاميركية · ان كل واحد من الامثلة التي سأذكرها يتركز حول الصهيونية واسرائيل بطريقتين مترابطتين · الاولى ان الصهيونية ـ من حيث صفاتها الموضوعيـة الخاصة ـ شيء رائع جدير بالاعجاب ، وهو امر لا يعزى الى واحد معين أساسا لانها تتطابق تطابقا كاملا مع الافكارالغربية عن المجتمع والانسان·والثانية ان العقبات في وجه الصهيونية او اسرائيل ، او هما معا ، شائنة وغبية ، او منحطة اخلاقيا وينبغي الا تؤخذ على علاتها ، وهذه نقطة وثيقة · الصهيونية وحدها هي التي تملك حق التحدث عنها · ولنأخـــذ راينهولد نيبور Reinhold Neibuhr

كمثل اول · وفي حدود معرفتي فانه ـ كنقطة بداية ـ لم تكن تربطه صلة تذكر بالعالم العربي او الاسلام ، سوى ما كان ينتحله من أفكار ثقافية عنهما · ومع ذلك فان نيبور ـ مع ستة اخرين من الشخصيات البارزة ـ وقع على رسالة مطولة الى صحيفة « نيويورك تايمز » في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ تأييدا لفكرة تقسيم فلسطين · وهذا هو محور حجتهم ·

« من الناحية السياسية فاننا نحب ان نرى بلدان الشرق الاوسط تمـــارس الديمقراطية ، كما نمارسها نحن هنا · ومن الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية ، فاننا نود لهذه البلدان ان تتطور بطريقة من شأنها ان تحسن احـــوال المعيشة المحلية ، وان تفتح مصادر واسواق المنطقة على السواء · وبعبارة اخرى ـ وأيا كانت الزاوية التي ننظر منها الى الامر ـ فان المصالح الاميركية ، منظورا اليها على المدى البعيد ، تملي تحديثا سريعا للشرق الاوسط في كل مجالات الجهد البشري ·

« ان كل من يتناول الشرق الاوسط ـ حتى بالقدر الادنى من الموضوعية ـ يجد نفسه مضطرا للاعتراف بانه حتى الان لا توجد الا طليعة واحدة للتقدم والتحديث في الشرق الاوسط [ولنلاحظ هنا انتحال لغة ماركسية زائفة لتبني مخطط استعماري (كولونيالي) في أساسه] ، وان هذه الطليعة هي فلسطين اليهودية · وهناك عامل ثان من عوامل التقدم هو لبنان المسيحي ، الذي يجري ـ في الوقت الراهن ـ اخضاعه بطريقة مصطنعة من جانب انصار الوحدة العربية وانصار الوحدة الاسلامية في الجامعة العربية ضد ارادة ومواقف اغلبية لبنان المسيحية · ولكن الشرق الاوسط العربي المسلم يمثل ـ بالنسبة لهاتين الجزيرتين من الحضارة الغربية ـ فلسطين اليهودية ولبنان المسيحي ـ صورة لا أمل فيها من وجهة نظر اميركية » ·

ولقد كانت مكانة نيبور الثقافية كبيرة جدا في الحياة الثقافية الاميركية · ولهذا كان لما يقوله هنا قوة هذه المكانة · ومع ذلك فان ملاحظات نيبور لا تعني

شيئا ـ بالنسبةللفلسطيني العربي ـ ما دام هو موضوع هذه القوة ـ الا العنف· ان عبارات « اننا نحب ان نرى » و « اننا نود » لهذه البلدان ـ التي كان يسكنها ملايين العرب المسلمين حينما كان نيبور يتحدث عنها ـ توحي بأن ما تريده وما ترغبه هذه البلدان نفسها امر لا يهم كثيرا · رغباتنا لا بد ان تبطل رغباتهم· رغباتنا تقرر بصيغة لا راد لها انه « لا توجد الا طليعة واحدة للتقدم » ـ تشكلها اقليتان صغيرتان ، واحدة مستوردة ، والاخرى محلية · ولا يبدو ابدا انه خطر للموقعين ان رغبات الاغلبية الساحقة لشعوب الشرق الاوسط هي رغبات طبيعية، وان « الاصطناعية » التي تحدث عنها نيبور وصحبه يمكن ان تعزى بصورة اكثر ملاءمة الى الصهاينة والموارنة · (وكم هو ضرب بالغيب ، عن غير قصد ، عن الاضطرابات الاخيرة في المنطقة ، ان نعقل مشكلات اسرائيل ولبنان الذي تمزقه الحرب الاهلية) · هاتان « الجزيرتان » ـ وما كان حريا بنيبور ، لو كان اقل خداعا ، ان يسميهما « مستعمرتين » ـ تخففان من الصورة التي « لا أمل فيها » ـ لولاهما ـ التي يمثلها العالم الاسلامي · لا أمل فيها لمن ولماذا ؟ لا يجد نيبور من الضروري ان يقول ما ينبغي ان يكون واضحا لاي عربي متحضر · فالاسلام عدو اليهودية والمسيحية ، وبهذا المعنى فان سياستنا « نحن » ينبغي ان تؤيد فلسطين اليهودية ولبنان المسيحي · اما انه قد يكون هناك شعب حقيقي يعيش في المنطقة التي يتكلم عنها نيبور بهذه الغطرسة ـ فهي امكانية لا يفكر فيها احد · ان الستارة الايديولوجية التي تطمس وجود هذا الشعب تسمح له بأن يتحدث على النحو الذي يتحدث به هو واصدقاؤه · فالصهيونية تقدم وحداثة ، والاسلام والعرب نقيض ذلك · ونيبور وحده يستطيع ان يتحدث نيابة عن كل الفرقاء ، وينبغي ان نغفل عن رؤية شعور معين بالتفوق حتى في التحيز ازاء اليهود الفلسطينيين واللبنانيين المسيحيين ·

قبل ذلك بعام كان نيبور قد كتب مقالا بعنوان « نظرة جديدة الى فلسطين » لمجلة « سبكتاتور » ، وفيه كانت انعطافاته اكثر توفيقا بقليل ، حيث يرى « من العسير ان تؤخذ نصيحة او نقد من اميركي بشأن المسالة الفلسطينية لن تلاقي الترحيب في بريطانيا في الوقت الحاضر » ، وكان الوقت المشار اليه وقت ازمة حول المشكلة الابدية الخاصة بالحد من الهجرة اليهودية الى فلسطين · ورغم هذا يشعر نيبور بانه من المفروض عليه ان يعرض ـ ان لم ينصح ـ وجهة نظر جديدة ، او على الاقل وجهة نظر قصد بها ان تكون مساعدة للبريطانيين · وعلى العكس مما يفعل في الرسالة الى « نيويورك تايمز » فانه يتحدث هنا مباشرة الى سلطة امبريالية ، كما يتحدث طرف امبريالي مع طرف اخر ·

« اعرف انه لا يوجد اعتبار كاف في اميركا سواء للحقوق العربية او للحرج الذي يستشعره البريطانيون في التعامل مع العالم العربي · واجد انه مـن المريك ـ من ناحية اخرى ـ ان الشخص العادي هنا يتحدث عن « الرأي » العربي

دون ان يوحي بأن مثل هذا الرأي ينحصر في دائرة صغيرة من السادة الاقطاعيين ، وانه لا توجد طبقة متوسطة في هذا العالم ، وان الجماهير البائسة في حالة من الفقر المدقع حتى ان الرأي يكون ترفا مستحيلا بالنسبة اليهم · ان احدى الصعوبات التي تنطوي عليها المشكلة العربية هي ان الحضارة التقنية والدينامية التي ربما ساعد اليهود على ادخالها والتي يتعين ان تنال تأييد رأس المال الاميركي ، والتي يمكن ان تشمل تطوير الانهار وحفظ التربة واستخدام القوة المحلية ـ ليس من شأنها ان تكون مقبولة من الجماهير العربية · ولهذا يتعين فرضها فرضا بصفة مؤقتة ، ولكنها ستتاح لها فرصة الحصول على قبول نهائي من الجماهير » (سبكتاتور ، ٦ آب (اغسطس) ١٩٤٦ ، ص ١٦٢) ·

ان احدا لا يمكن ان يدين نيبور ـ سواء قبل كتابة هذه الفقرة او بعدها ـ بذنب مناقشة ـ او تأييد ـ « الحقوق العربية » · فهو ـ ببساطة لم يفعل هذا ابدا · ولهذا فان جملته الاولى لا تكاد تزيد عن كونها خدعة خطابية لتقديم حجته الرئيسية ، وهي ان الرأي العربي لا حساب له (للاسباب السوسيولوجية الزائفة التي يقدمها ، كما لو كانت الجماهير لا تحتاج ايضا الى قطعة ارض تمارس عليها جهلها وتخلفها وانحلالها) ، وحتى هذا ليس مقصده الحقيقي ، وهو لا يزيد عن القول بأنه سواء كان للعرب رأي ام لا فانه ينبغي ان لا يسمح لهم باعتراض طريق « الحضارة التقنية والدينامية » التي يجلبها اليهود الاوروبيون الى فلسطين · ولربما كان ايسر عليه ان يتمسك بهذا لو انه ـ مثلا ـ استطاع ان يذكر مباشرة : (أ) ان العرب ادنى درجة بصورة فريدة (ب) انهم مجرد مخلوقات ـ بلا ارادة وبلا رأي ـ ناشئة عن طبقة اقطاعية صغيرة منحلة الى حد لا أمل فيه من « السادة » الذين يستغلون « الجماهير » بوصفها دمى كثيرة · ويختار نيبور بدلا من ذلك ـ الشكل الاسلم ثقافيا من اشكال الحديث ، ويقول ان حجته في الواقع لا تقدم نيابة فقط عن « الحضارة التقنية والدينامية » التي تجلبها الصهيونية ، وانما هي تضع الجماهير العربية في اعتبارها ·

فلنترك جانبا حقيقة انه كان باستطاعة نيبور ان يجد امثلة كثيرة في التاريخ الفلسطيني العربي الحديث لانتفاضات جماهيرية عفوية خالصة ضد الصهيونية ، او انه كان باستطاعته ان يجد حالات لفلاحين عرب يتجهون ـ بلا جدوى ـ صوب المستوطنين الصهاينة لمساعدتهم ضد ملاك الارض العرب الغائبين · ما لم يره ـ كما لم ير ماركس قبل ذلك بمائة عام عندما كتب عن البريطانيين في الهند ـ ان هناك حقا قوميا جرى انتهاكه حتى من قبل « حضارة تقنية ودينامية » ، حينما قامت بغزوات استعمارية ضد « الجماهير البائسة » · وبالاضافة الى هذا ، ومن وجهة نظر لاهوتي مسيحي شهير ، كان يمكن للمرء ان يتوقع (وفي السنوات اللاحقة ان يتوقع بلا جدوى) قدرا من التقدير لحقيقة انه ازاء كل مهاجر يهودي يأتي الى فلسطين من المرجح ان يكون هناك عربي او اكثر مطرودا ، وبالتالي

تكون حقوق الانسان منتهكة · واخيرا ، لقد كنا نتوقع من نيبور ان يبذل بعض الجهد ليستمع الى « الجماهير البائسة » والى رغباتها ، او ــ على الاقل ــ ان يفترض ان بين رغباتهم ــ التي يمكن ان تكون طبيعية بدرجة او بأخرى ــ رغبة في الا يطردوا او « يستفيدوا » بهذه الدرجة من العنف من حضارة متفوقة ·

لو ان نيبور كان يتحدث عن الوضع في جنوب افريقيا ، او عن امريكا الجنوبية، لما كان من الممكن ان تغتفر مثل هذه الغطرسات والمعاني الضمنية العنصرية ، وهو وضع كان يمكن تقديره اكثر حينما ندرك ــ كما ذكرت آنفا ــ ان نيبور يعتقد انه يعبر عن وجهة نظر متقدمة او تقدمية ليبرالية · ونتساءل حسنا اذن هل من الممكن ان نيبور لم يكن يعرف ما كان يحدث في فلسطين ، او (وهذا ما اعتقده) انه كان يظن حقا ان الصهيونية متفوقة ثقافيا على « الانحلال » العربي ؟ وهذا ما ينقلني الى المثل الثاني ، الذي سيصور المدى الذي يؤدي به تأييد الصهيونية ــ في ظل جوانبها الايجابية والموجبة ــ ليس فقط الى قبول متذمر لبعض الواقع العربي في فلسطين ، بل ايضا الى شعور موجب وايجابي بان الصهيونية فعلت خيرا بتدمير فلسطين العربية · لقد كان ادموند ويلسون ــ الذي لا يقل مكانة عن نيبور كمتحدث وكشخصية ثقافية ذات مكانة ــ كاثوليكيا ناقدا المعيا مرموقا للادب والمجتمع والتاريخ والاخلاق · وقد قدم ــ بصورة تفوق ما فعله نيبور ــ صورة عاشت معه سنوات طويلة ــ للتمييز بين تلك العناصر من الثقافة الغربية (والعالمية) التي كانت (والعبارة متهافتة بعض الشيء ، ولكني استخدمها مخلصا) مدعمة للحياة ، وتلك التي كانت معطلة للحياة · وأيا ما كان ويلسون فانه لم يرتبط ابدا بالدولة ، ولا بأي شيء ينطوي على ادنى درجة من الشوفينية او حتى بأي شيء يتعلق بالمؤسسات · ويعرف عنه هذا كل واحد من قرائه ، ولقد كان اكثر رجال الادب الذين انتجتهم هذه البلاد حظا من القراء · كان ويلسون معنيا بشكل خاص باليهود والعبودية والعهد القديم · وعندما بلغ الستين من عمره كتب في مقال عن اليهود ان « ثقافة اي شعب اخر (غير الانجليز ، وبعدهم المتطهرين الاميركيين) لا تبدو متناثرة الى هذا الحد العميق بهذه (العبارات والرؤى من التوراة اليهودية) » (قطعة من عقلي ، ص ٨٥) ، ودراسة للغة العبرية ، وكذلك كتابه عن « مخطوطات البحر الميت » تشهد على التأثير الخاص لليهود واليهودية عليه · ولن يجد المرء مشكلة مع موقف كهذا بطبيعة الحال ، الا عندما يتعلق الامر باسرائيل ·

يشتمل كتاب ويلسون اسود ، احمر ، اشقر ، وزيتوني على قسم طويل غير مترابط يتعلق بزيارة ويلسون لاسرائيل · والقطعة قصصية وتأخذ شكل يوميات كانتقاد عشوائي كنماذج من انطباعاته في اسرائيل ·معظمها منبثق عن قراءته للادب العبري وعن اهتمامه بالديانة اليهودية · وهو في احدى النقاط يعلق على الارهاب الذي بواسطته جاءت الدولة الى حيز الوجود ، وكيف انه يمكن ان يكون

هناك شيء يستحق اللوم في الامر كله · وهو يرى ان الارهاب « كان نتيجة ، للاضطهادات النازية ولسياسة البريطانيين » ، ولكنه يضيف ــ غير موافق ــ انه في اسرائيل « استقرت عادة الارهاب » ، واستقر معها « عنصر تعصب اخلاقي »· ومع ذلك فان ويلسون يتتبع الامر بعيدا بما فيه الكفاية ليلاحظ ان « الاسرائيليين في علاقتهم بالعرب ، اظهروا دلائل معينة على العودة الى انعدام التسامح الفظ الذي يميز الاسرائيليين في علاقتهم بالشعب الذي طردوه»·وفيما يتعلق بحقيقة الطرد يبدو ويلسون غير متخذ موقفا محددا ، فيما عدا انه ــ كما في التوراة ــ قد حدث · وقد يوحي هذا بدرجة من الحياد التاريخي من جانبه ازاء حدوث عمليات الطرد هنا وهناك من العالم ، وان كنا لا نستطيع الا ان نتذكر ان ويلسون ــ وهو يكتب ــ في مكان يحدث فيه بالفعل طرد وعدم تسامح · وندرك انه لا يتحدث عن التوراة حينما يكتب ــ بعد جملة او بعض ذلك ــ الوصف التالي :

« هكذا فان وضع العرب في اسرائيل ــ وخاصة كما يراهم المرء في الريف ــ هو أقرب الى « النافاهو » (السكان الاصليين) في جنوب غرب اميركا : شعب كان في وقت من الاوقات جامحا ولكن أناسه حسنوا المنظر ، الا انهم شعب متخلف الى حد يثير الشفقة ، مقطوع الصلة بالمجموع الرئيسي ، ولكن يمثل مشكلة متجددة · في بلدة عربية كبيرة ــ مثل عكا ــ تثير قذارة الشوارع المزدحمة في الاسرائيلي شعور الاشمئزاز نفسه الذي تثيره في الغربي الزائر · وبالنسبة لليهود الذي يأخذ العلاقات الاسرية مأخذ الجدية التامة ، والذي عمل بكل عناية في اسرائيل لرعاية اليتامى من بولندا والمانيا واطفال اليمنيين الاميين ، فان مشهد طوابير الصغار المتسخين غير المهذبين ، المرضى ، يتصايحون ويصرخون ويتسولون في الشوارع الضيقة القذرة ، يثير حتى الذعر الاخلاقي · فاذا كانت القيود المفروضة على الزواج في القانون التوراتي القديم تعد صارمة للغاية ، فان سهولة الطلاق عند العرب التي ــ الى جانب عاداتهم البدوية ــ تشجع الاب في اسرة ما على ان يترك ابناءه وينتقل ليتزوج امرأة في مكان آخر ، لا بد ان تعد شرا اسوأ بكثير · والمسألة ليست شعورا بالاحتقار للعرب ينشأ بصورة غير طبيعية لدى اي شخص يتلقى تعليمه في الغرب كما انها ليست في درجة من القسوة تمارسها اسرائيل لا تتناسب مع العناد الغبي الذي يتميز به معظم اللاجئين العرب في الاردن ، الذين رفضوا عروض وكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الاونروا) لاسكانهم في اماكن اخرى ، ويواصلون الاصرار على العودة الى قراهم ومزارعهم في اسرائيل · انا معني هنا فقط باظهار تأثير تيار يهودي معين في اسرائيل نحو المنعية ★ ــ وسأتعرض فيما بعد بالحديث

★ وتسمى ايضا الصدية Exclusiveness والمقصود بها الانغلاق داخل جماعة معينة ومنع اي افراد من أية جماعات اخرى · « المترجم ».

عن هذه النقطة ، وهي العناصر المانحة للحياة في التراث اليهودي ـ كتأثير مقيد ، وفي بعض الاحيان مدمر » ٠

فيما يتعلق بالعرب الذين يصفهم ويلسون هنا فان المنعية اليهودية لا تبدو شرا في كثير من جوانبها ٠ فالعرب ، في الصورة السريعة التي يقدمها عنهم ، يظهرون باعتبارهم مثيرين للاشمئزاز ومعدومي الجاذبية تماما ، ويبدو سبب فقرهم اقل اهمية مما يبدو ، على الرغم من ان الحقائق عن العرب في اسرائيل لم تكن عسيرة المنال بالنسبة لويلسون ، اما عن ملاحظاته حول العربي واحساسه بالاسرة ، فهذه لا يمكن فهمها على النحو الذي يمكن ان يفهم المرء به ملاحظات عن « الشرقيين » الذين لا يملكون النظرة نفسها التي نملكها « نحن » ازاء الحياة الانسانية ٠ وبعبارة اخرى فان العرب لا يعنون باطفالهم ، لا يشعرون نحوهم بحب او غضب ، انهم مجرد حيوانات سريعة النمو ٠ يمتد « القدر المعين من الاحتقار » الذي يستشعر تجاه العرب الى رؤية الفلسطيني العربي « غبيا » في عناده بشأن اسكانه في غير مكانه ، ولكن الخداع المثير للجنون في استخدام ويلسون لكلمة « المنعية » في الحديث عن معاملة الصهاينة للعرب الذين لم يغادروا (فلسطين) في العام ١٩٤٨ ٠ فخلال الوقت الذي كان هو فيه في اسرائيل ، كانت القوانين المطبقة على العرب (وهي قوانين لم تستخدم ابدا ضد اليهود) هي قوانين الطوارىء الدفاعية ، التي صممت ونفذت اصلا في فلسطين من قبل البريطانيين لتطبق على اليهود والعرب ٠ وكانت هذه القوانين عنصرية بصورة سافرة ٠ وعندما ابقت اسرائيل عليها بعد العام ١٩٤٨ لاستخدامها في السيطرة على الاقلية العربية ، فانها حرمت العرب من حق الحركة ، وحق شراء الاراضي ، وحق الاستيطان ، وما الى ذلك ٠ وكان اليهود ايام الانتداب يندوون بهذه القوانين بانتظام باعتبارها استعمارية وعنصرية ٠ ومع ذلك فانه بمجرد ان اصبحت اسرائيل دولة استخدمت هذه القوانين نفسها ضد العرب ٠ ولا يجد ويلسون ما يقوله في هذا الشأن ٠ ومرة اخرى فانه ليس من عذر لهذا الاغفال طالما انه ـ كما يستطيع المرء ان يؤكد بسهولة من كتاب صبري جريس « **العرب في اسرائيل** » ـ كان هناك الكثير من الكتابات الصهيونية فيما قبل ١٩٤٨ ضد اساءة استخدام القوانين الاستعمارية السابقة وهي تطبق من جانب الاسرائيليين لقمع العرب واستغلالهم ٠

وفوق كل ما هو صريح في كتابات ويلسون هناك التنويعات الضمنية (فيما يبدو) التي يمكن لاي شخص ـ خاصة اذا كان ليبراليا متنورا ذا نزعة انسانية، وقادرا على الكتابة ويتمتع برأي ثاقب ـ ان يمارسها بشأن الوضع في الشرق الاوسط ، وهذا امر مهم للغاية ، فيما اعتقد ٠ ذلك انه اذا النظر يتجه خلال القرن التاسع عشر نحو المستشرق الدارس الخبير بحثا عن معرفة عن الشرق ، فان الوضع تغير جذريا في القرن العشرين ٠ فالغربي يتجه الان ـ اولا ـ الى

الصهيوني بحثا عن الدليل وعن المعرفة حول الشرق (والشرقيين) · وما يراه ويلسون – وفي هذا الصدد ما يراه الغربي بوجه عام – في الشرق الاوسط يراه من منظور صهيوني · فاسرائيل هي المعيار ، والاسرائيليون هم الحضور ، وآراؤهم ومؤسساتهم هي الاراء والمؤسسات الوطنية على الاصالة : اما العرب فهم بغيضون ، والفلسطينيون واقع شبه خرافي (وتذهب الحجة الى انهم في الاساس واقع دعائي) وهكذا · وتنسى الاصول الاسرائيلية : انها ببساطة ديمقراطية غربية تهاجم الان بلا مبرر تماما من جانب العرب المعادين للسامية ، وفي الحقيقة فان قلب الاوضاع كامل هنا · وهذا هو النجاح الاكبر لما اشرت اليه آنفا على انه الممارسة الصهيونية لعملية نشر « الحقيقة » · وبعبارة اخرى فان ملاحظات ويلسون عن العرب ليست مفتقرة الى الدقة ، انما هي دقيقة جدا كتسجيل حرفي – بدرجة او بأخرى – لما يعتقده الاسرائيليون (كمستعمرين غربيين يعيشون في منطقة متخلفة) عن العرب ، وعن عاداتهم « البدوية »، وما الى ذلك · ولكن التجاهل الكامل هو ان المرء ينسى ان العلاقة بين الاسرائيليين العرب ليست حقيقة من حقائق الطبيعة ، وانما هي نتيجة عملية نوعية محددة من التشريد والطرد ، والعزل العنصري الاستعماري القائم على الامر الواقع · وبالاضافة الى هذا يميل المرء الى نسيان ان الصهاينة كانوا قادمين الى فلسطين من اوروبا ·

وجهة نظري هي ان كتابات مثل كتابات ويلسون يمكن ان تؤخذ على انها الرمز الكامل لواقع سياسي فيما اسميه المسار المشترك للديمقراطية الليبرالية الاميركية المتنورة · انه الاندماج المهيمن التام بين النظرة الليبرالية الغربية في الامور والنظرة الصهيونية – الاسرائيلية · وانني استخدم كلمة الهيمنة (بكل اصدائها لدى غرامشي)★ عن قصد · ذلك ان غرامشي – وهو يوضح احد معاني **الهيمنة** عزا اليها فكرة القبول · وبعبارة اخرى فان هناك هيمنة ليس فقط بمحض السيطرة ، وانما بالقبول ، بالاذعان · وكما يبين مثلا نيبور وويلسون ، كان في منتصف القرن العشرين توحيد مقصود بين المنحى الليبرالي الغربي – والصهيونية · واسباب هذا كثيرة (وربما هناك حتى تبرير مقبول له) ولكن المعنى الحسي لعلاقة الهيمنة هذه كان مدمرا بالنسبة للفلسطيني العربي · وهنا فان الكلام لا يحتمل معنيين ، ان التوحيد بين الصهيونية والليبرالية في الغرب كان يعني انه ما دام العربي قد طرد وشرد من فلسطين ، فانه قد أصبح **نكرة** لان الصهيوني نفسه أصبح الشخص **الوحيد** في فلسطين ، بقدر ما لان

★ انطونيو غرامشي A. Gramsci مفكر ايطالي اشتراكي بارز من مؤسسي الحزب الشيوعي الايطالي الاوائل · « المترجم »

الشخصية العربية السلبية (الشرقية ، المنحلة ، الناقصة) قد تكثفت · لقد رأى الغرب في الصهيونية انتصار العقل والمثالية ، ورأت الصهيونية (لان هذا ما ترغب الليبرالية اساسا في أن تراه) في الليبرالية نفسها كما ارادت نفسها ان تكون · وفي كلتا الحالتين لم يزح العربي الا باعتباره اضطرابا وسلبا و «قيما» سيئة · وهذا بالتأكيد مثل فريد تماما على ايديولوجية تبطل الاقتصاد البسيط · ذلك ان اسرائيل ـ حتى هذا اليوم ـ تشكل كارثة على أساس اقتصادي بحت (واخذا في الاعتبار الحجم الهائل من المساعدة التي تعطى لاسرائيل والصهيونية) : ومع ذلك فان انتصارها في ريادة العقل يبرر المزيد والمزيد من المساعدة ، والمزيد من التأكيد ، مع ان الاساس الذي يقوم عليه هذا التأكيد يتقلص تدريجيا ·

يرجع تاريخ كتابات نيبور وويلسون الى الاربعينات والخمسينات على التوالي · وفي العقد الذي تلا حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ توسعت حدود اسرائيل توسعا هائلا ، ونتيجة لهذا تجمع عدد ضخم يقارب ٢ر١ مليونا من السكان العرب · ولا يستطيع احد ـ والاسرائيليون بصفة خاصة ـ ان يتفادى مشكلة هذا الواقع الفلسطيني الجديد · لم تعد كلمة « عربي » تستخدم لوصف كل من ليس يهوديا · كان هناك العرب « القدامى » في اسرائيل ، وعرب الضفة الغربية وغزة الجدد ، والمقاتلون الاشداء من اجل التحرير (منظمة التحرير فيما بعد) والجماعات المختلفة المتناثرة في لبنان والاردن وسوريا والخليج · ولعشر سنوات حتى الان تحتل اسرائيل عسكريا الاراضي والشعب فعليا · وصحيح ان الضفة الغربية تنعت باسم « اليهودية والسامرة » ، ولكنه لن يكون من اليسير هكذا حل الشعب هناك ، او على الاقل فان هذا لم يحدث بعد · ولهذا فان العقبة الجديدة أمام الليبرالية ـ الصهيونية هي مشكلة الاحتلال · تدعي اسرائيل ان الاحتلال العسكري يعني في الحقيقة « العيش معا» ، وهو مفهوم يناسب بما فيه الكفاية صحيفة « نيويورك تايمز » حتى تعلن موافقتها الكلية عليه · ففي افتتاحية ظهرت في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٦ ندد « تايمز » بمنظمة التحرير الفلسطينية متهمة اياها بكل مقيت ، مرددة في ذلك الموقف الرسمي الاسرائيلي ـ واعلنت ان الاحتلال العسكري للضفة الغربية وغزة هو « النموذج لكل تعاون في المستقبل » بين العرب واليهود فيما كان يعرف سابقا بفلسطين · ومثل هذا التصريح لا يمكن ان يصدر في اي سياق اخر · فقد اخذ احتلال عسكري على انه يمثل علاقات طيبة بين الناس ، على انه مخطط يمكن ان يبنى عليه مستقبل مشترك ·

فهل كان هذا كل شيء ؟ ان ما يتعين علينا الان ان نراه هو موضوع يتصل بمسالة التمثيل ، وهو موضوع قريب دائما من قلب مسالة فلسطين · لقد قلت انفا ان الصهيونية تاخذ على عاتقها باستمرار التحدث باسم فلسطين

والفلسطينيين · ويعني هذا باستمرار عملية اعاقة ، بحيث لا يتمكن الفلسطيني من اسماع صوته (او تمثيل نفسه) بصورة مباشرة على المسرح الدولي · تماما كما كان المستشرق الخبير يعتقد انه هو وحده الذي يمكنه ان يتحدث (على نحو ابوي كما لسننا) عن المجتمعات المحلية والبدائية التي درسهـا ـ ان حضوره يشير الى غيابهم ـ كذلك فان الصهاينة يتحدثون الى العالم نيابة عن الفلسطينيين · ولكن هذا لم يكن في كل مكان وفي كل وقت ، وهو ما عرفته كل حركة ثورية منذ الحرب العالمية الثانية بوصفه امرا في صالحها · ففي عصر الاتصال الجماهيري ـ والفوري في بعض الاحيان ـ يمكن لعمليات الفدائيين المثيرة ان « تتحدث » مباشرة ، ويمكنها ان تمثل مباشرة وجودا توضع امامه العوائق دون ذلك · يتسرب هذا الوجود المقموع عندما يتم انكاره ، وهو ما كان عليه حال معظم الاسرائيليين · وقد تبين ـ في التحليل النهائي ـ ان هذا الانكار المتأخر للفلسطينيين ـ هو اكبر خطأ (ولكنه خطأ محتوم) ارتكبته الصهيونية منذ نشأتها : وهذا امر سأناقشه في الفصل الاخير · وهنا ينبغي ان نفصل بعض الامثلة الاخيرة على الاتحاد الصهيوني ـ الليبرالي المهيمن حتى نكمل سلسلة الامثلة التي بدأتها بنيبور وويلسون ·

لقد كان صحيحا بشكل عام ـ فيما أعتقد ـ ان واحدة من اكثر المؤشرات بعدا عن الخطأ الى مدى القابلية والشرعية السياسية في الولايات المتحدة هو من يتحدث من اجل ماذا · واحد اسباب الشرعية القوية (وان يكن سببا انتقائيا الى حد كبير) التي تتمتع بها جبهة التحرير الوطني (الفيتنامية) في هذا البلد (الولايات المتحدة) هو عدد الشخصيات ذات المكانة العالية والشهرة الواسعة والبارزة التي كانت تتحدث ضد الدور الاميركي في فيتنام · فعندما يندد دكتور سبوك، وجين فوندا،ونوام تشومسكي ★،والسناتور ماكغوفرن ـ جميعهم ـ بالشيء نفسه فانه يمكن اعتبار انهم يضفون مشروعية ما على ضد ما يندون به · والحال عكس ذلك في حالة اسرائيل ، عندما يعد الحديث بحرارة لاجل اسرائيل ونيابة عنها امرا لا بد منه لاي شخص سواء في الحياة العامة او الثقافية ، يكون مجرد استحالةالعثور على مكان للتحدث من اجل الفلسطينيين استحالة هائلة ، حقا ان النقطة التي اريد اثارتها هي ان كل تصريح نيابة عن اسرائيل يكثف ويزيد حدة الضغط على الفلسطيني لكي يصمت ويقبل القمع

★ عالم اللغويات الاميركي الشهير الذي كان من ابرز معارضي التدخل الاميركي في جنوب شرقي اسيا ، وقد ابدى منذ سنوات عديدة اهتماما خاصا بالصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وهو ملم باللغتين العربية والعبرية ونشر في العام ١٩٦٩ كتابا عن الصراع العربي الاسرائيلي بعنوان « السلام في الشرق الاوسط ـ تأملات في العدالة والقومية » · المترجم ·

وهكذا • وهكذا فانه من المقبول والمشروع ان تكون **مؤيداً** لاسرائيل و **مناهضا** للفلسطينيين • والمبدأ الاكثر فاعلية الذي ينبثق عن هذه الحكمة هو انك ستجد دائما مقالات كتبها اسرائيليون عن اسرائيل في التداول العام ، ونادرا جدا ما ستجد مقالات كتبها عرب عن أنفسهم • وليس هذا مجرد عدم تناسب عددي ضخم (وهو أمر له علاقة كبيرة بالاختلاف في الحجم والنوعية بين الجاليتين العربية واليهودية المقيمتين في هذا البلد) ، وانما هو عدم تناسب كيفي أيضا • وعلى سبيل المثال نشرت مجلة « نيويورك تايمز ماغازين » اثناء حرب العام ١٩٧٣ مقالا بقلم محام اسرائيلي بارز حول طبيعة الشعور في حالة الحرب • وفي الاسبوع التالي كان هناك مقال يفترض انه مواز لذاك ، ولكنه كان بقلم سفير أميركي سابق لدى سوريا • وعندما يسمع صوت عربي فانه يتم انتقاؤه على نحو لا يجعل له الا اضعف انطباع ، او ـ كما قلت ـ تسمع وجهة نظر ممثل عربي (سواء كان خبيرا غربيا ، او « تصريح » عربي شبه رسمي) • تجري المحافظة على التعادل بين الكم والكيف •

خلال العقد الذي انقضى منذ عام ١٩٦٧ زارت اسرائيل شخصيات شهيرة كثيرة للغاية ، والكتاب بينهم كتبوا انطباعاتهم • واحدث مثل هو سول بيلو ، وغيره كان هناك ستيفن سبندر ، فرانسين دي بليسي غراي ، ريناتا آدلر ، غاري ويلز • وبعد ١٩٦٧ ـ وعلى عكس الفترة التي كتب عنها ادمون ويلسون ـ لم يكن من الممكن تفادي او تجاهل الاراضي المحتلة او العرب فيها • ولهذا فان كل بيان عن زيارة لاسرائيل تتضمن شيئا عن الفلسطينيين • وفي كل حالة يجري التعرض للعرب من خلال خبير اسرائيلي بالشؤون العربية ، وعادة ما يكون هذا واحدا من الضباط الاستعماريين خبيرا بشؤون الناس ، واحيانا ما يكون شخصية اكاديمية ذات ماض في المخابرات العسكرية • وفي هذا الصدد كان بيلو وسبنسر متماثلين تماما • فقد بدت نزعتهما الانسانية الليبرالية ، وقلقهما من الانتهاك « الممكن » للديمقراطية بواسطة احتلال عسكري ، من خلال حديثهما مع خبير قدم اليهما « الواقع » العربي ، وخفف من قلقهما على القيم الانسانية ، وطمأنهما على الديمقراطية الاسرائيلية• اتت هذه النظرة عن الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة ـ بدورها ـ لتؤيد ما كان عليه الفلسطيني العربي ، وما يريد هو أن يكون ، وكيف يشعر • وهذا يشبه تماما ايفاد موظف مختص بـ « شؤون السود » لابلاغ مثقف عربي زائر عن **حقيقة** الاغلبية السوداء في جنوب افريقيا ، وماتريد ان تكون حقا ، وما تشعر به حقا • وبالطبع فان عرضا مشوها كهذا لا يمكن الا ان يرفض باعتباره غير ممكن التصديق • ويستمد كتاب بيلو **الى القدس والعودة** قوته بالتحديد من هذا الضرب المقبول والمشروع من العرض •

المسألة ليست انعدام الدليل على ما كان يجري حقا داخل اسرائيل • فكل

زائر اسرائيلي قد لاحظ كيف ان الاختلاف الاساسي بين اسرائيلي ، واميركي مؤيد للصهيونية هو ان الاخير اقل من الاول تفاؤلا وانفتاحا بدرجة كبيرة بشأن اسرائيل و « مشكلتها » العربية · ذلك ان قضية اسرائيل وقضية الصهيونية ، في الولايات المتحدة (وهذا اقل صدقا الان بالنسبة لاوروبا) مقدستان فعلا · وفي وقت حديث لا يبعد عن العام ١٩٧٤ ناقش مؤرخ أميركي بارز ـ هو فريتز ستيرن ـ في مجلة «كومنتاري★» تأسيس اسرائيل في العام ١٩٤٨ بنفس روح، وعلى نفس المستوى من المثالية مثل « مشروع مارشال » · وتراعي قطاعات بأكملها من الجسمين الثقافي والاكاديمي ـ ناهيك عن كل صناعة الاعلام ـ طقوسا حول اسرائيل وكل ما يتعلق بها مما لا يمكن مقارنته باية قضية اخرى · في غمضة عين في العام ١٩٧٤ وفي العام ١٩٧٥ وقع كل شخصية بارزة في مجال الاداب ، والحياة العامة ، وفي السياسة بيانات تحتج على « طرد » اسرائيل من « اليونيسكو » ـ كما وصف انذاك ـ وعلى استنكار الامم المتحدة للصهيونية كشكل من اشكال العنصرية ·ولم يحدث الا عرضا ان قال واحد ـ باستثناء نوام تشومسكي الذي كان الصوت الوحيد فيما استطيع ان اجزم ـ اي شيء عما كان وعما لا يزال يحدث للعربي الفلسطيني على يد الصهيونية واسرائيل ، الى حد يجعل الممارسات المختلفة من التمييز ضد « اليهودي الجديد» في اسرائيل غير قابلة للتمييز من اشكال القهر العنصري في الاماكن الاخرى · وبدلا من ذلك شاهد المرء دانييل باتريك موينيهان ★ يهاجم الاوغاد ، ويدافع عن الحمية في الفراغ المعنوي والفكري المحجوز لاسرائيل والصهيونية ·

ان سوسيولوجية ما يعرف عادة بانه « قضية » او ربما ما ينبغي ان يكونه موضوع ما لكي يصبح قضية ، تنهار انهيارا كاملا في حالة اسرائيل اليوم ، على الاقل حينما كانت اسرائيل موضوع مناقشة عامة · اننا لن نجد ليبراليا يلزم الصمت طبعا ازاء قضية حقوق الانسان في اي مكان في العالم · ولكن حينما يصل الامر الى مسائل مماثلة في اسرائيل يسود صمت كلي تقريبا · ويقاوم موضوع الحكم العسكري ، واساءاته الملازمة له وانهاكاته لحقوق الانسان في اسرائيل ـ يقاوم بعناد اية جهود لجعله « قضية » · ونجد هذا الوضع بصورة خاصة في الحالات التي تكون فيها المصادر التي يذكر فيها نقاد اسرائيل القليلون للغاية مصادر اسرائيلية · ومنذ سنوات والعصبة الاسرائيلية للدفاع عن حقوق الانسان تنشر معلومات عن مسائل مثل نسف منازل العرب ، ومصادرة

★ Commentary المجلة الشهرية التي تصدرها « اللجنة اليهودية الاميركية » في مدينة نيويورك الاميركية · « المترجم »

★ المندوب الاميركي الاسبق في الامم المتحدة · « المترجم »

الاراضي العربية ، ومعاملة العمال العرب ، والتعذيب والاتصال غير القانوني للعرب ـ وهي في كل الحالات موثقة اساسا بترجمات لمقالات منشورة في جرائد وصحف اسرائيلية · ولكن لا شيء من هذه المواد يرى النور في الولايات المتحدة ، وليس هذا بسبب الحاجة الى ارسالها الى رؤساء التحرير ومعلقي التليفزيون او الى الليبراليين البارزين والمنوهين (عادة) الخ · فهناك ـ حرفيا ـ عشرات من الخدمات الاخبارية الاسرائيلية ، والنشرات الاخبارية الليبرالية ، والفصليات الليبرالية التي تغطي بانتظام معاملة الفلسطينيين العرب ـ داخل اسرائيل ما قبل ١٩٦٧ وداخل الاراضي المحتلة على السواء ـ ناهيك عن تقارير الامم المتحدة ، والبيانات التي يكتبها مراقبو الحدود ومراقبو الهدنة السابقون التابعون للامم المتحدة ، وتقارير الوكالات الدولية ، مثل منظمة العفو الدولية ، الصليب الاحمر ، وعشرات الدراسات العربية ، والاميركية ـ العربية ، التي لا يجد ايا منها طريقه الى التوزيع والانتشار على نطاق واسع في الولايات المتحدة · وأحدث هذه التصرفات ، وفي كثير من النواحي اكثرها غرابة ، الخوف المتعمد لتقرير صحيفة « صنداي تايمز » اللندنية « من الداخل » عن التعذيب في اسرائيل (١٩ حزيران ـ يونيو ١٩٧٧) · لقد كشفت « التايمز » ـ باستخدام سلسلة جامعة من وسائل التحقيق ـ ان تعذيب العرب وسيلة منتظمة ، ومنهجية ، وموافق عليها رسميا في اسرائيل ، وان مئات من العرب يعتقلون ويعذبون ، وان الدليل مقنع اقناعا تاما على ان الدولة تتغاضى عن هذه الممارسة كطريقة لاخافة السكان « المحليين » في الارض المحتلة ومراقبتهم واشاعة الذعر بينهم · وباستثناء واحد معروف (هو صحيفة بوسطون جلوب) فان صحيفة اميركية رئيسية واحدة (او جريدة ، او مجلة اسبوعية ، او برنامجا اخباريا تليفزيونيا) لم تنشر التقرير ، ومعظمها لا يكاد يكون قد اتى على ذكره · وقد كتب نيكولاس فون هوفمان ـ عن هذا التصور الاعلامي الفاضح :

« على اقل تقدير ، يتعين على السلطات الاسرائيلية ان تدرس الدعوى المقامة ضدها (من جانب تقرير صنداي تايمز عن التعذيب الذي تمارسه السلطات) وان تخرج بشيء اكثر اقناعا من البيان الذي اصدرته سفارتها في لندن والذي اكتفى بالقول : « ان الادعاءات من هذا النوع كثيرا ما رددتها مصادر الدعايات العربية في السنوات الاخيرة وثبت انها تفتقر الى اي اساس في ضوء التحقيقات المفصلة والموثقة » · فان ذكر الاسماء والاعتماد على تحقيقات تجريها اسرائيل لتبرئة نفسها لن يفيد ··· ان السخرية الحادة التي ينطوي عليها استخدام الغاز كوسيلة تعذيب كان لا بد ان يكون شيئا كثيرا للغاية حتى بالنسبة لاولئك الرسميين الاسرائيليين الذين يعتقدون ان معاملة الكائنات البشرية على هذا النحو يعزز قضية الديمقراطية ·

ان معظم الاميركيين لن يعرفوا شيئا عن هذا · وحتى الان فان صحيفة واحدة فقط (هي بوسطون جلوب) قد رأت من الملائم ان تنشر التقرير · وليست اللامبالاة راجعة الى الشك في مستوى الصحيفة · فان فريق التحقيق الداخلي في صحيفة صنداي تايمز الذي كتب الموضوع يحظى بالاحترام الشامل في هذا المضمار ·

وربما يمكن ايضاح الانتصار الى الاهتمام في هذه المناسبة باقتصار « نيويورك تايمز » على تغطية تحقيق التعذيب بمقال من ٨٦ كلمة – اذا امكن ان نسمي قطعة في هذا الحجم الصغير مقالا – ظهر على صفحة ١٣ · والى حد ما فان كل الانباء في اميركا هو ما تسميه « نيويورك تايمز » ، ويصدق هذا اكثر ما يصدق على الانباء الخارجية ··· ان قليلين جدا من المحررين الصحفيين او الاذاعيين يقدرون على تكوين احكام مستقلة على الانباء · انهم يفتقرون ببساطة الى الشخصية والمستوى اللذين يجعلان لهما رأيا خاصا بهم ، ويفضلون السلامة بترك اكبر صحف الامة مكانة تصنع لهم قراراتهم نيابة عنهم ·

وهذا امر يسهل بشكل خاص مع موضوع مثل اسرائيل حيث يرجح ان يؤدي نشر اي شيء معاكس الى الحاق اساءة صاخبة بالمحرر من جانب اكثر جماعات « اللوبي » تنظيما · ومع ذلك فان هذا الاسلوب لا يصلح في الخارج حيث الاجهزة الاعلامية تعطي الجماهير في الديمقراطيات الاخرى بيانات أقل تحيزا بكثير ·

في الحالة التي يجد فيها تقرير او عمود عارض ، مثل ذلك الذي كتبه فون هوفمان ، طريق الى النشر او الى قليل من الانتباه ، فان ندرته وعزلته – الناشئة عن انعدام السياق او انعدام تقليد بالاهتمام بها – تفرغه من اية فاعلية· فان قوة اجماع الرأي ، قوة التقليد ، قوة التخاطب المتماسك كذلك القائم بين اسرائيل والرأي الليبرالي ، هي في ان مجرد الحضور المؤسساتي يلغي اي دليل على نقيض ذلك ويستبعده بوصفه شيئا غير مناسب · والاكثر من هذا انه يمكن ان يحول ما يمكن ان يتوقع المرء ان يكون تحديات مدعمة ، الى تأييد لها ·ولنأخذ كمثال احدث ما وقع ، انتخاب مناحيم بيغن · لقد عرف بيغن لسنوات وسنوات كارهابي ، وهو لم يبذل اي جهد لاخفاء هذه الحقيقة · وكتابه التمرد موجود في اية مكتبة جامعية او مكتبة عامة متوسطة ، كجزء من مجموعة المؤلفات الشائعة عن الشرق الاوسط ، وفي هذا الكتاب يصف بيغن ارهابه – بما في ذلك الذبح الكامل للنساء والاطفال الابرياء – بغزارة صريحة (تثير القشعريرة) · وهو – بعد كل شيء – يعترف بانه مسؤول عن مذبحة نيسان (ابريل) ١٩٤٨ التي ذبح فيها ٢٥٠ امرأة وطفلا في قرية دير ياسين العربية · ومع ذلك فانه بزغ – بعد انتخابه في ايار (مايو) ١٩٧٧ – في الصحافة

وقد نسي ارهابه ، ظهر كرجل دولة ذي أوجه شبه ضمنية مع ديغول · وهنا لا يستطيع المرء ان يقول ان الدليل على بيغن قد اخفي · فقد كان هذا الدليل موجودا ، وهو موجود على الدوام ، امام اي شخص يناقش اسرائيل الحديثة ، وقد ظل يذكر بانتظام (في التمييز ـ مثلا ـ بين بيغن وبن غوريون ، او غولدا مائير ـ مثلا ـ اللذين يفترض انهما من الساسة) · ومع ذلك فان اجماع الرأي قوي على ان قادة اسرائيل ديمقراطيون ، غربيون ، لا يقدرون على ممارسة الشرور التي تعزى عادة الى العرب والنازيين (وهو ما يفترض ان اسرائيل قد سلبته بوجودها) ، الى حد ان شخصا تافها ولا يمكن هضمه مثل بيغن قد تحول الى مجرد رجل دولة اسرائيلي اخر · وبالتحديد فان اولئك الليبراليين الذين يكتشفون اسبابا وانتهاكات في كل مكان ـ شخصيات مثل ريتشارد فولك ورامزي كلارك · اللذين تعهدا في الآونة الاخيرة قضية حقوق الانسان في تونس دون كل الاماكن ـ لا يجدون شيئا يقولونه عن بيغن ، او عن التعذيب في اسرائيل ، او عن سياسات الضم التي لا تتوقف بالمعنى الحرفي للكلمة من جانب الدولة ·

ويصدق مثل هذا على الفلسطينيين كلاجئين · فهناك قدر من النزاع حول الكيفية التي اجبر بها كثير من الفلسطينيين على الخروج من بلدهم ومن أرضهم خلال ١٩٤٨ (وتتراوح الارقام بين ٥ و ٧٠٠ الف : حتى المصادر الاسرائيلية تنازع في الاعداد ولكنها لا تنازع في حدوث النزوح نفسه) ، ومع ذلك فان هناك اتفاقا كليا الان على ان اللاجئين موجودون · و تبرهن قرابة ثلاثين سنة من الوجود بعيدا عن أرضهم ، وكذلك حرمانهم من حق تقرير المصير (وكلمة تبرهن هنا كلمة مشؤومة حينما يكون معناها الانساني في هذا السياق مفهوماكما هو) على ان قدرا ما من الظلم الحق بهم · ولكن عندما يسأل المرء من وماذا ، عندما يطرح السؤال عن الفاعل ، فاننا لا نرى اسرائيل معفاة من اللوم او المسؤولية فحسب : بل انها تمتدح لانسانيتها · ويقال لنا ان الفلسطينيين كانوا « مقابل » اليهود الذين تركوا البلدان العربية ليأتوا الى اسرائيل ، وانهم غادروا (فلسطين) على الرغم من الحاح « الهاغاناه » عليهم بألا يغادروا · وان اولئك الذين بقوا هم في حال افضل من اخوانهم في البلدان العربية المحيطة ، وان هناك ملجأ وحيدا لليهود ، بينما يوجد عشرون ملجأ للعرب ، ولماذا لا يستطيع العرب ان يفعلوا مثل اليهود ويأخذوا لاجئيهم ، وان احتلال مزيد من الاراضي الفلسطينية في العام ١٩٦٧ قد ادى الى وجود « ثنائي القومية » بين العرب واليهود ، وان احتلال الضفة الغربية هو تحقيق لنبوءة توراتية ، وان هناك فلسطين ، وان مكانها في شرق الاردن ، وان لاجئين اخرين (من مسلمي الهند ، من نازيي المانيا) قد استوطنوا في أماكن أخرى ، فلماذا لا يفهم الفلسطينيون هذا ، وان الفلسطينيين ليسوا سوى مخلب قط سياسي (او كرة

قدم) تستخدمه الانظمة العربية ، ولهذا فانهم لا يعودون يشكلون حقا مشكلة بمجرد أن يتم اقناع هذه الانظمة بانها لا تستطيع ان تمضي في هذه المناورات الى ما لا نهاية · كل هذا انما يتحرك فقط حول الموضوع ، الذي يبدو انه تحول الى دليل قوة على اخلاقية الصهيونية ، ومستوياتها ، السلوكية العالمية ·

ولكننا نحتاج هنا ــ كما هو الحال مع الموضوعات الاخرى المطروحة للتساؤل بشأن فلسطين ــ الى ربط الامور ببعضها ، وان نراها لا كما يتم اخفاؤها (ليس واحد من الادلة التي اذكرها هناأو في اي موضع اخر ملغزا ولا غامضا ، معظمه موجود في وثائق يسهل الحصول عليها) ، وانما كما يتم تجاهلها او انكارها · والسياق الملائم لتناول مشكلة اللاجئين جاهز بين أيدينا : هل يريد اللاجئون الفلسطينيون ان يعادوا ، او يعوضوا ، او يستوطنوا في مكان اخر ؟ ثانيا : هل هناك اجماع دولي واخلاقي على اجابات نظرية ــ وكذلك عملية ــ على هذه التساؤلات ؟ثالثا :اية وسيلة توجد في اسرائيل لتحويل يهود اوروبيين واميركيين الى نازحين ، ثم الى مواطنين ، وكيف تمنع هذه الوسيلة اللاجئين العرب الفلسطينيين من الاستفادة هم انفسهم ؟ بطبيعة الحال فان الاجابات على هذه الاسئلة اخلاقية ، ولكنها مثيرة للاهتمام ومهمة بسبب واقعها السياسي : وبعبارة اخرى فهي ليست اسئلة اكاديمية (مجردة) ، وانما هي اسئلة تتعلق مباشرة بحياة ملايين من الناس ، وبدول ، وتتعلق بالنظام الدولي ·

نقله الى العربية سمير كرم

محمد المجذوب

القرار ٢٤٢ والاعتراف بالكيان الصهيوني

بعد هزيمة الخامس من حزيران (يونيو)تحددت الاستراتيجية العربية بانها ازالة اثار العدوان ٠ ومع ان بعض الانظمة العربية رفضت هذا المخطط وتبنت الموقف الاصيل السليم للحركة الثورية العربية ، الذي يقضي بازالة مصدر العدوان عبر حرب التحرير الشعبية ، فان هذا الاتجاه هو الذي ساد وارتبط بقرار مجلس الامن ، الرقم ٢٤٢ ٠

وهذا القرار الذي حظي باهتمام عالمي لا يوصف لم يصدر عن مجلس الامن الا بعد مخاض طويل اتسم بمناورات تزعمتها واشنطن ٠ فبعد اندلاع حرب العام ١٩٦٧ ، طلب الاتحاد السوفياتي ، بالاتفاق مع الدول العربية ، وبعض دول عدم الانحياز ، الى مجلس الامن ان يامر بوقف اطلاق النار ، ويامر اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها ٠ وفي ٩ و١٠ حزيران (يونيو) تم وقف اطلاق النار ، فتقدم الاتحاد السوفياتي باقتراح الى مجلس الامن يطلب فيه ان يامر اسرائيل بالانسحاب الى خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ ٠ ولكن الاقتراح لم ينل الا اربعة اصوات ٠ وعدل السوفييت اقتراحهم فحذفوا عبارة « خطوط الهدنة » منه واكتفوا بالانسحاب ٠ فلم ينل اقتراحهم الجديد الموافقة كذلك ٠

وعندما يئسوا من مجلس الامن دعوا الى عقد دورة طارئة للجمعية العامة استنادا الى قرار الاتحاد من اجل السلام ٠ وفي الجمعية كرروا مطلبهم فلم ينل اغلبية الثلثين المطلوبة ٠ وعندها تقدمت يوغوسلافيا بتعديل للاقتراح السوفياتي ينص على دعوة اسرائيل الى الانسحاب وجواز وضع مضايق تيران تحت اشراف دولي ، فاخفق هذا الاقتراح كذلك ، كما اخفق من بعده كل اقتراح يطالب اسرائيل بالانسحاب ٠

اصرار اسرائيل على الانسحاب المشروط

فلماذا اصرت اسرائيل ، بالاتفاق مع الولايات المتحدة ، في المجلس ثم في الجمعية ، على تفادي مطالبة اسرائيل بالانسحاب الكامل غير المشروط من الارض التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ؟ لماذا أصرت على وجوب الاكتفاء بمطالبة الفرقاء بايقاف النار فقط ، دون التعرض لمشكلة احتلال اسرائيل للاراضي العربية ، وذلك في الوقت الذي اصبح فيه الاحتلال والاستيلاء على الارض بالقوة عملا محرما في القانون الدولي المعاصر ؟

ان السبب الحقيقي يكمن في رغبة اسرائيل في تصحيح وضعها في المنطقة والحصول على اعتراف العرب بها · ولهذا فان نتائج حرب ١٩٦٧ اتاحت لها فرصة المناداة بنظرية جديدة تربط بين الانسحاب وتحقيق السلام مع الدول العربية · وهذه النظرية اصبحت ، فيما بعد ، الفكرة الجوهرية في القرار ٢٤٢ مع انها تتناقض مع المواقف السابقة للامم المتحدة التي سارت في قراراتها ، بصدد المنازعات المسلحة الشبيهة بحرب ١٩٦٧ ، على قاعدة مطالبة الاطراف التي غزت او احتلت اراضي الغير بسحب قواتها الغازية او المحتلة · ففي حرب كوريا ، والعدوان الثلاثي ، وجهت الامم المتحدة الى القوات المعتدية دعوة صريحة طالبتها فيها بالانسحاب الناجز الكامل غير المشروط · اما في حرب حزيران (يونيو) فقد رفضت دعوة اسرائيل الى الانسحاب الكامل واتجهت نحو نظرية الانسحاب المشروط القائم على اساس ربط انهاء الاحتلال بتحقيق شروط سياسية وعسكرية معينة ، خلافا للمبدأ المقرر في القانون الدولي المعاصر (١) ·

وعندما فشلت الجمعية العامة في اتخاذ قرار اعيد الموضوع الى مجلس الامن ، فتوالت الاجتماعات وتعددت مشاريع القرارات ، وتشعبت التيارات والمناورات ، غير ان الهدف بقي واحدا : ربط الانسحاب بتحقيق نوع من السلام بين اسرائيل والدول العربية ·

وانتهت المناقشات الحارة في مجلس الامن بالموافقة الاجماعية على المشروع البريطاني الذي اصبح القرار ٢٤٢ · وقد صيغ بشكل محكم دقيق جعل اللورد كارادون ، المندوب البريطاني الذي صاغ المشروع ، يقول : « ان صيغة القرار كالبناء المتوازن ، اذا نزعت منه حجرة واحدة انهار البناء كله » (٢) · ويبدو ان واضع القرار قد سعى الى جعله وحدة متكاملة ومتوازنة لا تقبل التجزئة ولا تسمح بتطبيق قسم منه وترك الاقسام الاخرى · فالتكامل او التوازن يقضي بان يقوم كل طرف بتنفيذ التزاماته ونيل حقوقه في وقت واحد وبشكل تبادلي· ثم ان صياغة القرار اعتمدت على دبلوماسية الكلمة ، فاختارت الالفاظ

والتعابير المرنة التي تحتمل اكثر من تفسير وتسمح باكثر من تأويل · ولعل الغرض كان ارضاء جميع الفرقاء دون تمييز ·

والقرار ٢٤٢ احدث تغييرا مهما في الموقف العربي من الواقع الاسرائيلي ، فقبل القرار كانت هناك امور تشغل العرب ، مثل مسألة تحويل روافد نهر الاردن وحرمان اسرائيل من المياه العربية ، ومسألة احكام السيطرة على القناة والمضايق وحرمان اسرائيل من حرية الملاحة في البحر الاحمر ، ومسألة رفض الاعتراف بالكيان الصهيوني الذي قام على الاغتصاب والاستيطان العنصري · وبعد قبول القرار تبخر الاهتمام بهذه الامور وظهر تحول عميق في موقف بعض الانظمة العربية من الوجود الاسرائيلي · لقد بدأت هذه الانظمة تفكر في انهاء حالة الحرب واقرار السلام مع العدو الذي خرج من الحرب مغرورا بانتصاره الساحق ، وسارع الى طرح شروط انسحابه ، وكان اهمها عقد الصلح مع العرب · وقد عبرت غولدا مائير عن ذلك امام الكنيست عندما قالت : « ما من جندي اسرائيلي سيترك خطوط وقف اطلاق النار قبل توقيع معاهدة صلح تلزم الجانبين » (٣) ·

البحث عن الشرعية

ومما لا شك فيه ان اسرائيل قد بذلت، منذ انتهاء الحرب ، جهودا جبارة في المحافل الدولية ، وخصوصا في الامم المتحدة ، لاقناع الرأي العام العالمي بصحة موقفها ، اي بوجوب توقيع معاهدة صلح قبل انهاء صراعها مع العرب· وقد تكللت مساعيها بالنجاح عندما استطاعت جر مجلس الامن والجمعية العامة، لدى بحث ظروف الحرب ، الى اقرار امرين : الفصل بين مسألة ايقاف اطلاق النار ومسألة الانسحاب ، ثم ربط الانسحاب بمسألة اقرار السلام والاعتراف المتبادل ·

ولهذا صدر القرار ٢٤٢ يؤكد في ديباجته على « الحاجة الى سلام عادل ودائم يسمح لكل دولة في المنطقة بالعيش بأمان » ، ويؤكد في قسمه الاول على الانسحاب و « انهاء كل ادعاءات الحرب وكل حالات الحرب واحترام سيادة كل دولة في المنطقة ، والاعتراف بسلامة اراضيها ، واستقلالها السياسي ، وحقها في أن تعيش بسلام داخل حدود امنة ومعترف بها ، وبمعزل عن التهديد او اعمال القوة » · وبذلك كانت اسرائيل الجهة الوحيدة المستفيدة من هذا القرار الذي طالبها بالانسحاب من اراض احتلتها (او من الاراضي التي احتلتها ، حسب النص الفرنسي) مقابل انهاء حالة الحرب واقامة سلم دائم بينها وبين الدول العربية ، واعتراف هذه الدول بها ، واحترام سيادتها واستقلالها وضمان حدودها من قبل الجميع ·

ولو القينا نظرة عجلى على تاريخ الصهيونية لوجدنا ان الهاجس الاكبر لزعمائها كان دوما اضفاء الشرعية الدولية على حركتهم ثم على دولتهم • ففي مؤتمر بال لعام ١٨٩٧ ، رسموا لحركتهم اهدافا ثلاثة كان ابرزها : كسب تأييد الدول الكبرى لانشاء دولة يهودية • وعندما بلغهم خبر ابرام اتفاقية سايكس ـ بيكو التي تقضي بوضع فلسطين تحت النفوذ البريطاني ، سارعوا الى انتزاع وعد بلفور من بريطانيا ، ثم سعوا الى ادخاله في صلب صك الانتداب الصادر عن عصبة الامم ، مما ادى الى ظهور اول اعتراف دولي بحق اليهود في انشاء وطن قومي لهم في فلسطين • وبصدور قرار التقسيم ، في العام ١٩٤٧ ، عن منظمة الامم المتحدة ،حققت الصهيونية انتصارا اخر في مضمار الاعتراف ، فحصلت هذه المرة على اعتراف دولي بحق اليهود في انشاء دولة فوق جزء من اقليم فلسطين • وعندما انضمت اسرائيل الى عضوية الامم المتحدة تمكنت الصهيونية من تحصين دولتها بضمانات دولية كفيلة بحماية حقها في الوجود •

ولكن اسرائيل ، على الرغم من كل الاعترافات الخارجية والضمانات الدولية كانت تشعر بالفراغ والعزلة بسبب اصرار الدول العربية على عدم الاعتراف بوجودها • وغدت مسألة الاعتراف العربي بها امرا يؤرقها • وكان الموقف العربي ، حتى قبول بعض الانظمة العربية بالقرار ٢٤٢ ، واضحا يقوم على اساس عدم الاعتراف لليهود بأي حق في اقامة كيان سياسي لهم في فلسطين • واذا كان بعض المسؤولين العرب يتحدثون احيانا عن اسرائيل كأمر واقع لا يسعهم تجاهله ، فان موقفهم الرسمي كان واحدا لا يتغير : الرفض القاطع •

ثلاث محاولات لاقتناص الاعتراف .

وحاولت اسرائيل اقتناص كل سانحة لفرض الاعتراف على العرب ، أو لايهامهم بان اعترافهم بها قد تم فعلا او ضمنا ولم يعد بوسعهم المكابرة او التنصل ، فلم توفق في مسعاها • ويمكننا ان نشير الى ثلاث محاولات مختلفة في هذا الصدد :

المحاولة الاولى جرت بعد توقيع اتفاقيات الهدنة في العام ١٩٤٩ ، فقد ادعت اسرائيل ان الهدنة انهت حالة الحرب وان مجرد التوقيع على اتفاقية الهدنة قد تضمن اعترافا بوجودها • والمؤسف ان بعض الفقهاء الدوليين المناصرين لاسرائيل قد تبنوا هذا الاتجاه وراحوا يشككون في الاثر القانوني لهذه الهدنة مؤكدين على ان الهدنة قد انهت فعلا حالة الحرب بين الطرفين المتنازعين ، وعلى ان اثرها لا يتوقف على مجرد وقف القتال • لقد وجد الاستاذ كنسي رايت *Quincy Wright* مثلا ، ان « ادعاء الدول العربية بان

حالة الحرب بينها وبين اسرائيل ما زالت قائمة منذ العام ١٩٤٩ ، وان من حقها بالتالي التمسك بحقوق المحاربين ، بما في ذلك اغلاق قناة السويس ، هو بكل تأكيد مخالف لالتزامات هذه الدول طبقا لميثاق الامم المتحدة » . ورأى ان الميثاق الاممي قد وضع قيودا على استعمال القوة او التهديد بها في العلاقات الدولية ، فأقر بذلك عدم مشروعية حالة الحرب . واستند الى نص الفقرتين الثالثة والرابعة من المادة الثانية من الميثاق (وجوب فض المنازعات الدولية بالوسائل السلمية ، ووجوب امتناع الدول الاعضاء عن التهديد باستعمال القوة او عن استعمالها ضد سلامة الاراضي او الاستقلال السياسي لاية دولة) ليؤكد على ان حالة الحرب قد الغيت من القانون الدولي المعاصر ، وان الدول العربية ، بصفتها اعضاء في الامم المتحدة ، لا يمكنها ان تكون في حالة حرب مع اسرائيل ، وان من حق اسرائيل ان تطالب الدول العربية بالكف عن التمسك بصفة المحارب ضدها ، لان هذا الامر لم يعد له وجود بعد قيام الامم المتحدة .

وكشف بعض الباحثين العرب عن مغالطة الاستاذ (رايت) في عرضه لقواعد القانون الدولي المعاصر ، وبينوا ان الميثاق الاممي لم يلغ الا الحرب العدوانية، اما الدولة العضو في المنظمة العالمية ، التي تقع ضحية عدوان تعجز المنظمة عن ازالته ، فانها تكون دون ادنى شك في حالة حرب مع الدولة المعتدية . وهذا هو الوضع القائم بين العرب واسرائيل (٤) .

ثم ان الهدنة ، حسب الرأي السائد والمعتمد في القانون الدولي العام ، توقف الاعمال الحربية دون ان تضع حدا لحالة الحرب . ان حالة الحرب تبقى قائمة بعد توقيع اتفاق الهدنة . ويحق للدولة المحاربة الموقعة لاتفاق الهدنة استئناف القتال دون حاجة الى اعلان الحرب . ان اتفاق الهدنة يقتصر على وقف القتال فقط ، اما انهاء حالة الحرب فيتوقف ، من الناحية القانونية على توقيع معاهدة صلح نهائي (٥) .

اما الاجتهاد القانوني العربي فقد اتيح له ان يبدي رأيه في الموضوع ويرفض اعتبار التوقيع على اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ بمثابة اعتراف بدولة اسرائيل او اعتراف بحكومتها . لقد شبه هذا الواقع بحالة الاعتراف بالمحاربين . وهذا ما ذهبت اليه محكمة الغنائم في الإسكندرية في حكمها الصادر في ٤ـ١١ـ ١٩٥٠ .

والمحاولة الثانية جرت بعد انضمام اسرائيل الى عضوية الامم المتحدة في العام ١٩٤٩ ، فقد زعم بعض رجال القانون فيها ان الانتساب الى منظمة دولية واحدة يستتبع ، حكما ، اعتراف كل عضو فيها ببقية الاعضاء الاخرين . وبما ان عضوية الامم المتحدة تجمع بين الدول العربية واسرائيل ، فان اعتراف هذه الدول باسرائيل اصبح امرا لا يقبل الجدل .

غير ان الفقه والاجتهاد الدوليين قد رفضا هذا الاستنتاج واكــدا على ان قبول دولة جديدة في المنظمة العالمية لا يؤدي ، حكما وآليا ، الى اعتـــراف جماعي بها الا في حالة واحدة : اذا تم القبول باجماع الدول الاعضاء • امـا اذا تم بقرار من الاغلبية فان الدول المعترضة لا تلزم باي اعتراف بالعضـــو الجديد .• وقد كرست الامانة العامة للامم المتحدة هذا الاتجاه بمذكرتهـــا الصادرة في ٨ـ٥ـ١٩٥٠ •

والمحاولة الثالثة جرت بعد اضطرار الدول العربية ، بحكم عضويتها فـي الامم المتحدة ، الى الاشتراك مع اسرائيل في مؤتمرات دولية ، او الى توقيع معاهدات جماعية الى جانب اسرائيل ، فقد فسرت اسرائيل وانصارها هـذا الواقع بانه اعتراف ضمني بالدولة الصهيونية •

غير ان الدول العربية كانت دائما تحتاط للامر وتسجل تحفظها ، فعندمـا شاركت في اتفاقية فيينا لعام ١٩٦١ حول العلاقات الدبلوماسية سجلت تحفظا اعلنت فيه ان انضمامها الى هذه الاتفاقية ، جنبا الى جنب مـع اسرائيل ، لا يمكن ان يفسر ، باي حال من الاحوال ، بانه اعتراف باسرائيل • وفي مؤتمر جنيف لعام ١٩٥٨ حول قانون البحار سجلت المملكة السعودية تحفظـا صريحا عبر عن رفضها لكل النتائج التي قد تترتب على اشتراك اسرائيل في المؤتمر •

التمهيد للاعتراف بعد العام ١٩٦٧

وبعد اخفاق هذه المحاولات « السلمية » خيل الى اسرائيل ان الوسائـــل « الحربية » هي وحدها الناجعة وان العرب لن يرضخوا فيعترفوا الا بعـــد دحرهم عسكريا ، فشنت على الدول العربية المتاخمة لفلسطين حروبـا وانزلت بها هزائم وانتظرت بلهفة لحظة الانهيار والاعتراف • وذكر موشيه ديان ، بعد انتصاره في حزيران (يونيو) ، انه لازم مكتبه علّه يتلقى مكالمة هاتفية مـن القاهرة تدعوه الى توقيع معاهدة صلح تكرس الاعتراف بوجود اسرائـيل • ولكن انتظاره طال لان الجماهير العربية اعتبرت انها خسرت معركـة دون ان تخسر الحرب ، وان تصحيح المسيرة الثورية في المستقبل كفيل بقلب موازيـن القوى لصالحها • وقد تجلى تصميمها على الصمود ورفض نتائج الهزيمـة برفعها شعار اللاءات الثلاث في مؤتمر الخرطوم ثم في مؤتمرات القمة العربية والمهرجانات الشعبية •

وحينما رفع الامر الى الامم المتحدة لاصدار قرار يتضمن الخطوط الرئيسية لتسوية شاملة لقضية الصراع العربي الصهيوني ، تدخلت اسرائيل ، كمـا رأينا ، واشترطت الموافقة على انهاء حالة العداء معها والاعتراف بهـا مقابل انسحابها من بعض الاراضي المحتلة • وظنت آنذاك ان الظروف مؤاتية : فالعرب

في حالة انهيار ، والامم المتحدة مجمعة على وجوب انهاء الصراع ، والكبار متفقون على ضمان وجودها وتنفيذ الحل الذي يطرحه قرار مجلس الامن ، الرقم ٢٤٢ ·

وعلى الرغم من صدور هذا القرار بقي موقف الانظمة العربية وموقف الجماهير العربية من مسألة الاعتراف متشابهين · ولكن التباين او الافتراق بينهما بدأ يظهر مع قبول بعض الانظمة بالقرار · فهذا القبول يعتبر منعطفا او مفترقا ، لان الخلاف بين العرب والصهيونيين لم يعد ينحصر في الاعتراف او عدم الاعتراف بوجود جسم دخيل في الارض العربية ، بل اصبح يدور حول الرقعة الجغرافية التي ينبغي لاسرائيل ان تحتلها ، او حول مدى الانسحاب الذي يجب ان تنفذه ، فان انسحبت من كل الاراضي التي احتلتها في العام ١٩٦٧ تحقق السلام العادل والدائم وعشنا مع اسرائيل ، كما تمنى السادات في خطابه في الكنيست ، في « أمن وسلام ، فعلا وحقا » ·

وبعد الموافقة الرسمية على القرار بدأ التمهيد لفكرة الاعتراف القانوني باسرائيل · وقد ارتدى ذلك اشكالا مختلفة : الاعتماد على وسائل الاعلام الرسمية وابواق السلطة لاقناع الجماهير بصحة الموقف الجديد ، وطرح شعارات طنانة قادرة على خداع الكثيرين (مثل : الانسحاب الكلي من الاراضي العربية المحتلة ، وعدم التفريط بشبر واحد من الارض العربية ، وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، والمطالبة بتطبيق قرارات الامم المتحدة)، وتكرار العبارات التي تستهوي الجماهير بعد افراغها من مضمونها (مثل : ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، وصراعنا مع الصهيونية مهمة اجيال ، والقدس عربية ولن نتخلى عنها ، والسعي الى انشاء دولة للفلسطينيين) ·

وحينما بدأت معركة الاستنزاف في آذار (مارس) ١٩٦٩ ، وكادت اركان القرار ٢٤٢ ، المنطوي على حلم الاعتراف ، تتداعى ، سارعت واشنطن الى انقاذ الموقف بطرح مشروع روجرز ، واعداد مجزرة ايلول (سبتمبر) · وفي هذه الاثناء بدأت ، لاول مرة في تاريخ الصراع العربي الصهيوني ، تطلق تصريحات لا لبس فيها حول نية الاعتراف باسرائيل ·

تصريحات رسمية حول الاعتراف

ففي آب (اغسطس) ١٩٧٠ ، تحدث الدكتور بطرس غالي (رئيس تحرير مجلة السياسة الدولية) عن مشروع روجرز فاعتبره امتدادا للقرار ٢٤٢ ، وقال : « لقد سبق وان اعترفنا باسرائيل كأمر واقع عندما تم قبولها في الامم المتحدة » (٦) · وفي شباط (فبراير) ١٩٧١ ، تقدم الرئيس السادات بمشروع انسحاب جزئي للقوات الاسرائيلية من القناة ، واعلن لمجلة (نيوزويك) عن

استعداده لعقد صلح مع اسرائيل (٧) · وصرح مندوب مصر الدائم في الامم المتحدة بان « مصر تقترح الاعتراف باسرائيل كدولة يهودية ذات سيادة بشرط ان تحدد اسرائيل الهجرة اليها » (٨) ، كأن الهجرة هي العنصر الاساسي في صراعنا مع الصهيونية · وبعد ايام اذاعت وكالات الانباء الرد المصري على مقترحات الدكتور يارينغ ، وقد تضمن استعداد مصر للتوقيع على اتفاقية سلام مع اسرائيل مقابل تنفيذ بعض التعهدات · وفي نيسان (ابريل) اعلن وزير الخارجية المصري من اذاعة لندن ان مصر ترفض عقد مفاوضات مباشرة مع اسرائيل طالما انها لم تنسحب من الاراضي المحتلة ، موحيا بذلك ان الاعتراض ليس على وجود اسرائيل ، بل على عدم انسحابها (٩) · وفي نفس الشهر ، القى الدكتور بطرس غالي محاضرة اكد فيها « ان مصر اظهرت للعالم قدرا كبيرا من حسن النية والرغبة في تحقيق السلام اذ ابدت استعدادها لان تعترف بالوجود الاسرائيلي ، بل وابدت استعدادها ايضا لان توقع اتفاقية سلام تنفيذا لاحكام القرار ٢٤٢ » (١٠) ·

وازاء هذه التنازلات العربية المتلاحقة لم تتخل اسرائيل عن صلفها وتصلبها واصرارها على عدم الانسحاب قبل اجراء مفاوضات مباشرة مع الدول العربية تنتهي بتوقيع معاهدة صلح تكرس شرعية وجودها في المنطقة ·

وجاءت حرب تشرين (اكتوبر) تخلط اوراق اللعبة وتدخل معادلات جديدة على الصراع القائم · وفي غمرة التهليل للانتصار العربي ، خشيت اسرائيل ان يتلاشى حلم الاعتراف من المخيلة العربية ، فلجأت الى مراكز التخطيط فيها وفي الولايات المتحدة تسالها العون · وكان الجواب واحدا : التخلي عن فكرة انتزاع الاعتراف من كل الدول العربية ، والتركيز على استدراج مصر واستفرادها وعزلها عربيا ، لان اعتراف مصر باسرائيل ، ان حصل ، يغني عن كل الاعترافات العربية الاخرى ·

وبدات اسرائيل ، بمساعدة كيسنجر ، بتطبيق الفكرة خطوة خطوة ، فكان اتفاق الكيلو متر ١٠١ ، واتفاق سيناء ، وتصريحات الرئيس السادات الذي راى في الصراع العربي الصهيوني صراع اجيال ودعا الجيل الحاضر الى ترويض النفس على الاعتراف باسرائيل باعتبارها « حقيقة قائمة لا مساس بحدودها » (١١) · وكانت زيارته للقدس المحتلة الخطوة الاخيرة على طريق الاعتراف ·

الزيارة والاعتراف المزدوج

وتعتبر الزيارة اول ثغرة في جدار الرفض العربي للوجود الاسرائيلي واول محاولة لتجاوز احكام القرار ٢٤٢ ، التي تحدثت عن الانسحاب قبل الاعتراف

ولم تشترط اجراء مفاوضات مباشرة بين الاطراف المتنازعة ·

والزيارة تشكل اعترافا مزدوجا : اعترافا بدولة اسرائيل واعترافا بحكومتها والاعتراف بالدولة ، في القانون الدولي العام ، هو اقرار بظهور دولة جديدة ، اما الاعتراف بالحكومة فاقرار بوجود سلطة سياسية شرعية قادرة على حفظ الامن والايفاء بالالتزامات الدولية · والاعتراف بالحكومة يتضمن دائما الاعتراف بالدولة ، ولكن الاعتراف بالدولة لا يستوجب دائما الاعتراف بالحكومة فهناك حالات كثيرة من الاعتراف بدول معينة دون الاعتراف بحكوماتها ·

والعرب ، شعوبا وحكومات ، قد رفضوا حتى الآن الاعتراف باسرائيل ، دولة و « حكومة » ، لان اي اعتراف بأي كيان اسرائيلي في فلسطين يعني الاعتراف بحق اليهود في امتلاك ارض عربية . ولان اي اعتراف باية حكومة اسرائيلية تبسط سيطرتها على الارض المحتلة يعني الاقرار بشرعية هذا الحكم والموافقة العلنية على كل ما صدر عنه من مخالفات وجرائم ·

والسؤال المهم الذي اثارته الزيارة على الصعيد القومي هو مدى التزام الامة العربية بالاعتراف الصادر عن الرئيس المصري · وقد اتيح لنا الاجابة عنه بقولنا ان المسألة المطروحة لا يمكن ان تبحث على صعيد قانوني بحت ، لان القانون الصرف يعجز غالبا عن استيعاب القضايا التي تتجاوز ، بابعادها واخطارها ونتائجها ، حدود التشريعات الوطنية او الدولية · فالنزاع القائم بين العرب والاسرائيليين ليس نزاعا عاديا بين دولة ودولة ، بل هو صراع قومي تمثل الامة العربية باسرها احد اطرافه · وهو ليس خلافا على حدود او تعويض ، بل هو وضع يتعلق بمصير الوجود القومي للامة · ولهذا فان اي تفكير في ادخال اي تغيير على هذا الوضع يجب ان يتم بموافقة الامة (١٢) ·

ولعل من محاسن الزيارة (ان كان لها من محاسن) انها هزت الضمير العربي ونبهت العرب الى خطر الاعتراف بالوجود الاسرائيلي · وعلى هذا الاساس اعتبر بيان قمة طرابلس الزيارة بانها « تشكل انتهاكا صارخا لمبادىء واهداف النضال القومي ضد العدو الصهيوني ، وتفريطا بحقوق الشعب العربي الفلسطيني ، وخروجا على وحدة الصف العربي ، وخرقا خطيرا لميثاق جامعة الدول العربية ومقررات مؤتمرات القمة العربية ، واخراجا لمصر العربية من جبهة الصراع مع العدو الصهيوني ···» (١٣) · غير ان الوثيقة التي اذاعها قادة فصائل الثورة الفلسطينية كانت اوضح من حيث مناهضتها « لجميع الحلول الاستسلامية الامبريالية الصهيونية الرجعية » ، ومن حيث تأكيد رفضها لقراري مجلس الامن ، ٢٤٢ و ٣٣٨ ، ولكافة المؤتمرات الدولية ، بما فيها مؤتمر جنيف ، التي تقوم على اساس هذين القرارين ، ومن حيث تركيزها على حق اقامة دولة فلسطينية مستقلة على اي جزء يتم تحريره من الارض الفلسطينية

في هذه المرحلة دون صلح او تفاوض او اعتراف (١٤) ·

ولنتذكر دائما ان السلام ، في المفهوم الصهيوني ، ليس غاية في حد ذاته، وانما هو وسيلة · وقد عبر بن غوريون بوضوح عن هذا المفهوم عندما قال : « ان الاتفاق مع العرب لا يستهدف احلال السلام في البلاد ··· السلام بالنسبة الينا وسيلة · الهدف هو التحقيق والتجسيد التام للصهيونية فقط · لاجل هذا هناك ضرورة للاتفاق ·· الشعب اليهودي لا يساهم ، ويجب الا يساهم ، باي اتفاق غير موجه لهذا الهدف » (١٥) ·

الحواشي :

١ ـ من كتاب قيد الاعداد للدكتور حسن الجلبي ، بعنوان : تسوية النزاع العربي الاسرائيلي طبقا لقرار ٢٤٢ ·

٢ ـ صحيفة الجمهورية (المصرية) في ٢٣ـ١١ـ١٩٧٢ ·

٣ ـ نقلا عن كتاب : النزاع الاسرائيلي ـ العربي ، للمفكر الفرنسي بيار ماري مارتان · باريس ١٩٧٣ ، ص ٢٣٧ ·

٤ ـ راجع دراسة د· عبد العزيز سرحان حول : تطور وظيفة معاهدات الصلح ، في دراسات في القانون الدولي ، المجلد ٣ ، منشورات الجمعية المصرية للقانون الدولي ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ·

٥ ـ هذا ما يؤكده ، مثلا الاستاذ الفرنسي شارل روسو في مؤلفه :
Droit international public , Dalloz 1965 , p. 356 .

٦ ـ الاهرام في ١٢ـ٨ـ١٩٧٠ ·

٧ ـ اذاعة صوت العرب في ١٦ـ٢ـ١٩٧١ ·

٨ ـ راجع تصريحه لصحيفة نيويورك بوست الاميركية ، الذي اذاعته رويتر في ١٦ـ٢ـ١٩٧١ ·

٩ ـ اذاعة لندن في ١ـ٤ـ١٩٧١ ·

١٠ ـ راجع نص محاضرته في دراسات في القانون الدولي ، المذكور ، ص ١٩ ·

١١ ـ صحيفة السياسة الكويتية في ١٥ـ٥ـ١٩٧٥ ·

١٢ ـ راجع ما كتبناه في السفير ، في ٢٤ـ١١ـ١٩٧٧ ·

١٣ ـ السفير في ٦ـ١٢ـ١٩٧٧ ·

١٤ ـ السفير في ٥ـ١٢ـ١٩٧٧ ·

١٥ ـ نشرة مؤسسة الارض ، عدد ١٧ ، تاريخ ٢١ـ٥ـ١٩٧٤ ، ص ٨ ·

نـزيـه أبو نضـال

السادات بين مواقف الادانة وقرار الفعل

قرار الادانة الذي اصدرته الجماهير العربية ضد انور السادات ، لارتكابه جريمة العصر ، يوم السبت الاسود ، يجب أن يكون الغطاء الشرعي **لفعل** التصدي بانزال **اقصى** العقوبة بالمجرم • وعدا ذلك فان كل ما حدث من مظاهر الادانة ليس اكثر من فورة غضب واحتجاج لا تلبث ان تطويها دورة النسيان ودورة اعادة العلاقات الشائعة والمعتادة •

قبل سنوات شاهدت فيلما سينمائيا ، يتحدث عن اغتيال لومومبا ، وقد جرى خلاله الحوار التالي بين السفير البلجيكي وتشومبي :

السفير البلجيكي : الحل الوحيد يكون بقتل لومومبا •

تشومبي : ولكن كيف ؟ هذه عملية خطيرة !!

السفير البلجيكي : لقد تم ترتيب كل شيء وستجري عملية اغتياله خلال ايام •

تشومبي : ولكن مثل هذه العملية ستثير الرأي العام العالمي وتؤلبه ضدنا •

السفير البلجيكي (بهدوء) : حسنا دعنا نحسب هذا الرأي العام العالمي :

ستتحرك بعض المسيرات والمظاهرات في عدد من العواصم العالمية • كما ستصدر عدة بيانات من بعض المنظمات والهيئات الدولية • والصحافة ستحرص ولمدة اسبوع على متابعة الموضوع الى ان يتحول الى خبر صحفي قديم فتبدأ بالبحث عن موضوعات اكثر اثارة • ولا شك ان بعض الصحف اليسارية ستفرد عددا من افتتاحياتها للتنديد بالجريمة وادانتها •

وقبل مرور عشرة ايام يكون كل شيء قد انتهى •

اليس هذا هو الراي العام العالمي ؟

السؤال الان من هو المجرم ؟ وكيف تمكن من تنفيذ جريمته علنا ، ومع سبق الاصرار والترصد كما يقول القانون الجنائي ٠

انور السادات ٠٠ كفرد ، يقتصر دوره على **الاسراع** بتنفيذ الجريمة ٠ وهنا بالضبط تكمن مسؤوليته المباشرة ، اما المناخ الذي هيأ لارتكاب الجريمة ، وساعد عليها ، **ومهد لها** ، فهو يتحمل مسؤوليته فيها بالتضامن والتكافل مع كل دعاة التسوية الامريكية ٠

والفرق بين **التمهيد** للجريمة و **الاسراع** بتنفيذها كالفرق بين الضغط على الزناد وانطلاق الرصاصة القاتلة ٠

نحن هنا لا نريد ان يتوزع دم الضحية على (القبائل) من اجل ان يضيع حق الدم ، **فالاسراع** بتنفيذ الجريمة والمشاركة في **التمهيد** لها يكفي لتنفيذ عقوبة الموت الف مرة ، لكننا نريد ان نسلط الضوء هنا على الجريمة المستمرة التي تمارس منذ سنوات ولا زالت ٠

وهذه هي الجريمة الحقيقية ، التي لا بد من التصدي لها وانزال العقوبة بمرتكبيها والمشاركين فيها ٠

لقد تراكمت خلال السنوات العشر الاخيرة مجموعة كبيرة من العوامل والمواقف والسياسات والمبادرات والبرامج والتي شكلت بمجموعها محصلة الوضع الحالي الذي افرز « السادات زائرا لاسرائيل ، وداعيا اياها لزيارة القاهرة » ٠ هذه المجموعة من المواقف والسياسات اختلط فيها تخطيط الاعداء مع ردات الفعل مع النوايا الحسنة والرديئة مع التخبط وانعدام الرؤيا ، بالمزاودات والمناقصات ٠٠ الخ ٠٠٠ الخ٠ لكنها جميعا تمت على قاعدة اختلال ميزان القوى العام في المنطقة لمصلحة التحالف الامبريالي الصهيوني ، كما اختل محليا لمصلحة القوى الرجعية وارتباطاتها الطبقية وتحالفاتها ضد قوى الجماهير وفصائلها الثورية والتقدمية والوطنية ٠

هذا الاختلال العام دفع مجرى الاحداث باتجاه تقديم مزيد من التنازلات المبدئية والسياسية لحساب التسوية الامريكية الصهيونية ٠

ان تحديد العناصر المختلفة في الفترة الزمنية السابقة والتي ادى تراكمها الى هذا التحول الكيفي الجديد الذي عبرت عنه زيارة السادات لاسرائيل ، لا يمكن ان يعني ان كل عنصر من هذه العناصر يساوي حجم جريمة السبت الاسود ٠

لكننا لا نستطيع ان نفهم بالضبط ما حدث يوم السبت ، دون ان نضعه في

سياقه الزمني والحدثي ، وبتحديد المهدات الاولية التي تراكمت باتجاه التحول الجديد ·· باتجاه الجريمة ·

مع حزيران ١٩٦٧ جاءت البذرة الشريرة ، وراحت تنمو على مهل ، ولكن باستمرار ·· الاختلال المريع في موازين القوى الذي اعقب الحرب فرض قرار ٢٤٢ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، والذي نص في أحد بنوده على « ان تنهي كل دولة حالة الحرب ، وان تحترم وتقر الاستقلال والسيادة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقها في ان تعيش في سلام في نطاق حدود مامونة ومعترف بها متحررة من اعمال القوة او التهديد بها » كما اكد القرار على « ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية في المنطقة » وعلى « ضمان حدود كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي عن طريق اجراءات من بينها انشاء مناطق منزوعة السلاح » ·

ولقد تمت هذه التنازلات المبدئية والسياسية والتاريخية في مقابل « انسحاب القوات الاسرائيلية من أراض احتلتها في النزاع الاخير »··

لقد جاء القرار بحجم الهزيمة وقطف المنتصرون ثمن انتصارهم كاملا غير منقوص ·

كانت تلك هي البداية فقط ·

هذه البداية لم تعبر بالضرورة عن مسار حتمي باتجاه السبت الاسود ، فقد جرت محاولات تطويقها سياسيا بلاءات الخرطوم الثلاثة : « لا صلح ·· لا مفاوضات ·· لا اعتراف » وعسكريا بحرب الاستنزاف على الجبهة المصرية ، وكانت عملية اعادة بناء الجيش المصري والسوري تضع الاساس المادي للتأثير على موازين القوى التي اعقبت حزيران وبالتالي تجاوز قرار ٢٤٢ ، ربما كانت هذه هي رغبة جمال عبد الناصر الذي اعلن « ان ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » ومضى يحضر نفسه عسكريا لهذه العملية ، الا ان الرغبات الفردية مهما كانت عظيمة ومخلصة لا تستطيع مجابهة الحقائق العنيدة التي بدأت تتشكل داخل مصر نفسها : العناصر الطفيلية التي نشأت على هامش القطاع العام وعلى حسابه ، بدأت تأخذ تعبيرها المادي الطبقي والسياسي داخل وظائف الدولة ومراكز القوى فيها الى جانب نشاط الاتجاهات اليمينية التي نمت على ارضية التضامن العربي مع الانظمة الرجعية ومساعداتها المالية ·

ولم يكن بالامكان مواجهة هذه الحقائق الا بالجماهير الثورية العمالية والفلاحية المنظمة ، وعبد الناصر بحكم انتمائه وايديولوجيته وموقعه في قمة السلطة ·· سلطة برجوازية الدولة لم يكن مهيأ لافلات هذه القوى الثورية المسحوقة والمستلبة من عقالها فهذا يتعارض جذريا مع الشعارات المحببة:«الثورة

البيضاء » و « القضاء على الفوارق بين طبقات الشعب سلميا » و « تحالف قوى الشعب العامل : العمال والفلاحين والراسمالية الوطنية » ٠

من هنا فان تجاوز نتائج هزيمة حزيران وفي مقدمتها قرار ٢٤٢ كان يتطلب حسم الصراع داخليا بالدرجة الاولى ٠ وعدم تحقيق ذلك وبغض النظر عن النوايا والرغبات بدفع الامور باتجاه القبول بمبادرة روجرز في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٧٠ ، وهذا يعني وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية ، ومحاولة وضع قدمين لقرار ٢٤٢ يتحرك عليهما روجرز الامريكي والتي نصت مبادرته على « تعيين ممثلين الى مباحثات تعقد تحت اشرافي حسب الاصول وفي الزمان والمكان الذي احدده ٠٠٠ » ★ ٠ المسافة الزمنية بين ٢٣ يوليو ٧٠ و٢٨ ايلول ٧٠ يوم وفاة عبد الناصر حوالي ثلاثة أشهر ، وهي على كل حال ليست كافية لاكتشاف النوايا العملية عند عبد الناصر لقبول مشروع روجرز ، هل هي خطة تكتيكية لتثبيت صواريخ سام ؟ ام هي موافقة مصرية على تنفيذ سياسي عملي على يد الولايات المتحدة باعتبار انها تملك وسائل الضغط والتأثير على الموقف الاسرائيلي، وهذا علما ان عبد الناصر كان يرى ان امكانية نجاح مشروع روجرز لا تتجاوز ١٪ رغم اعلان الموافقة الاسرائيلية عليه في ٣١ تموز ٧٠ ٠ نحن بالطبع لسنا بصدد البحث عن نوايا الافراد ، لكن طرح هذه الاحتمالات الافتراضية يظل قائما في تلك المرحلة ونحن نرى عاملين مؤثرين على مجرى الاحداث وتطوراتها ٠

الاول : الظرف الموضوعي الداخلي في مصر والذي كان يدفع الامور ضمن منطق التسوية واعطاء دور امريكي متميز ٠ ومثل هذا الموقف يتقاطع مع موقف اعداء الامبريالية الامريكية الذين يريدون (احراج) وكشف التواطؤ الامريكي ـ الاسرائيلي ٠

الثاني : شخصية عبد الناصر القومية والتاريخية وتحالفاته على صعيد المعسكر الاشتراكي ، وما يمكن ان يقود اليه في مواجهة فشل مبادرة روجرز من شن حرب تختلف باهدافها ونتائجها عن حرب تشرين التحريكية كما وصفها عبد الغني الجمصي في حينه ٠ ان السياق السياسي الذي تشن فيه الحرب سيعطي بالضرورة نتائج مختلفة ٠

نحن بالطبع ، مع تغليب العامل الموضوعي باعتباره حاسما في تحديد السياق اللاحق للاحداث ، لكن اغفال العامل الفردي وتأثيره يسقطنا في الفهم الميكانيكي لحركة التطور ويجعل من عبد الناصر مساويا للسادات بالنتيجة ٠

★ راجع النص الكامل لمبادرة روجرز ـ المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ـ مهدي عبد الهادي ص ٥٠٧ ـ منشورات المكتبة العصرية ٠

عبد الناصر يتحدد موقفه في تلك الفترة ، بالقبول بمبادرة روجرز الامريكية ولكن من موقعه كحليف للمعسكر الاشتراكي ، وفي نفس الوقت بالتحضير العسكري الجاد لحرب تحريرية حتى بحدود ١٩٦٧ · انور السادات ومن موقعه المتحالف مع الولايات المتحدة وظف الحرب لتحريك التسوية ، معلنا ان ٩٩٪ من اوراقها بيد امريكا · وهنا يكمن جوهر الفرق بين الرجلين ، وما يمكن ان يتفرع عن هذا الفارق من احتمالات ·

مع حرب تشرين عبر السادات القناة من الغرب الى الشرق فيما عبرها اريك شارون من الشرق الى الغرب ، وكان ثمن انسحابه من الضفة الغربية الذي سمي بفك الاشتباك الاول ، العبور الامريكي الى مصر والمنطقة ·

ومع توقيع اتفاقية سيناء الثانية كانت قد تمت اكبر عملية تجميل للامريكي القبيح في المنطقة العربية ، وتحولت الامبريالية الامريكية « العدو رقم (١) للشعوب » الى الصديق نيكسون والعزيز هنري ، واخيرا الى الاخ كارتر والرفيق فانس ، وهؤلاء جميعا ليس لهم هم سوى القيام بدور الوسيط لحل الخلاف بين افراد العائلة الواحدة · فنسارع جميعا الى تثمين المبادرات الامريكية وتوجيه آيات الشكر والتقدير لكرم كارتر وعطف فانس ، او للفتة اي ناطق باسم بيت السلام الابيض الامريكي والذي تحول الى قبلة جديدة للمظلومين والمضطهدين والمشردين !

واخذت عملية ترويض العقل العربي واخضاعه لمنطق التسوية والممكن تحت رعاية الولايات المتحدة ·· اخذت عملية الترويض هذه ، تحفر عميقا منهجها اليومي في الحياة السياسية العربية ، ولتصبح السلعة الوحيدة الرائجة في سوق المطالب والشروط والبرامج ·ان جوهر هذه المنهجية السياسية يعتمد في مقدماته واسسه على المرتكزات التالية :

١ ــ الفصل بين الامبريالية الامريكية من جهة وبين الحركة الصهيونية وقاعدتها الاسرائيلية من جهة ثانية · وهذا الفصل ينسجم مع مصالح البرجوازية المصرية المرتبطة بالسوق الرأسمالية العالمية ، كما ينسجم مع ايديولوجية هذه الطبقة اليمينية والمعادية للمعسكر الاشتراكي وحركة التحرر العالمي ·

٢ ــ التكريس اليومي للنهج الاقليمي في الحياة الفكرية والسياسية في مصر، ومثل هذا التكريس ينسجم بدوره مع الطبيعة الخاصة للبرجوازية الكمبرادورية المصرية التي اكتمل اندماجها مع برجوازية الدولة · وهذه الطبيعة مناقضة لدور البرجوازية المنتجة التي تدفعها مصالحها باتجاه توسيع السوق القومية وتوحيدها ·

(قفزت الصادرات الامريكية الى مصر في الاشهر الستة الاولى من عام ٧٤

بنسبة ٨٥٪) ★ هذه النسبة تابعت صعودها في السنوات اللاحقة ٠

هذا الاتجاه الاقليمي يتغذى من منطق التسوية الامريكية ومـــن الشروط الاسرائيلية المتشددة « في عقد صفقات الصلح بصورة منفردة مع كل طرف من الاطراف العربية » ٠ كما اكد دايان في ١ـ١٢ـ١٩٧٧ بكل حسم ووضوح ٠ ومثل هذا الاتجاه سيقود حركة السادات السياسية في المرحلة القادمة ٠٠٠ وبحجة (عداء العرب لمصر) ٠ واستطرادا نقول ان اصواتا عربية سترتفع قريبا لتنصح بعدم مقاطعة السادات حتى لا يذهب الى نهاية الشوط ٠

٣ ـ والمرتكز الثالث الذي تنهض عليه منهجية السادات السياسية يتجاوز حدود مصر ومصالح البرجوازية المرتبطة فيها ، الى المنطقة العربية حيث يقيم امتـن التحالفات مع انظمتها الرجعية ، وحيث هناك موقف يدعو الى قبول التسوية على الطريقة الامريكية ، مما جعل مختلف الساحات العربية توالي انسجامها مـــع مبادرات السادات ومواقفه ، بتردد احيانا وبتحفظ في احيان اخرى يعقب الرفض والتشدد ، حتى باتت العملية بمجموعها تشبه « الاواني المستطرقة » ٠ وان حافظ كل اناء منها ـ مؤقتا ـ على لونه الخاص ٠

ولقد انطلق السادات في خطوته الاخيرة من هذا المزاج العام السائد ، مع تقديره المسبق بما سيواجهه من معارضة ٠ الا انه وعلى طريقة «السفير البلجيكي» يمكن قياس الرأي العام العربي مسبقا وحدود معارضته ثم لا تلبث ان تعود المياه الى مجاريها كما حدث بعد « اتفاقية سيناء » كما اعلن السادات نفسه ذلك في مؤتمره الصحفي في اسرائيل ٠

٤ ـ ولقد اسهم في تثبيت مرتكزات التسوية واشاعة مزاجها العام ضعف وتفكك القوى الثورية الجذرية على امتداد الساحة العربية ، كما اسهم فيها مخطط القمع والارهاب ومصادرة كل اشكال الحريات الديمقراطية في الوطن العربي ، مما الجم ردود الفعل طوال المرحلة الماضية وقزمها بحجم وحدود المعارضـــة الرسمية السائدة واتجاهها العام في اطار التسوية ، واوهامها ومراهناتها على الجهود الامريكية ٠

على هذه الارضية ٠٠ وهذه المرتكزات حقق منطق التسوية سيادته شبــه المطلقة على الحياة السياسية العربية ، منذ حرب تشرين الى يوم السبت الاسود٠

وفي هذا الاطار تم توقيع اتفاقات فك الارتباط ٠ ثم جاءت النتيجة المنطقيـة الاولى لكل ما تقدم في توقيع « اتفاقية سيناء » التي اعلنت في مادتها الاولى على

★ النهار البيروتية ٢٦ـ١٠ـ٧٤ ٠

« ان النزاع بينهما (مصر واسرائيل) وفي الشرق الاوسط لا يتم حله بالقوة المسلحة وانما بالوسائل السلمية » كما نصت مادتها الثانية على تعهد الطرفين « بعدم استخدام القوة او التهديد بها او الحصار العسكري في مواجهة الطرف الاخر » · « والامتناع عن اي اعمال عسكرية او شبه عسكرية » ويكون التتويج المادي للدور الامريكي في التسوية بأن نصت الاتفاقية على وجود خبراء امريكيين في سيناء وعلى حقهم في الرقابة العسكرية الجوية والبرية ·

انور السادات لم يكتف بانهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ولكنه اعلن انهاءها في الشرق الاوسط أيضا ، فهو يرى في اطار الوضع العام السائد ، بأنه مخول باعلان ذلك ، والتوقيع عليه ، ليس على مستوى الانظمة الرسمية فقط ، وانما على مستوى الثورة الفلسطينية ايضا ، لان بنود الاتفاق تنص على **انهاء حالة الحرب وشبه الحرب في الشرق الاوسط** ·

لقد كانت المعارضة التي واجهت « اتفاقية سيناء » كبيرة على الصعيد الشعبي والرسمي ، الا انها لم تلبث بمرور الاشهر والاحداث ان تسربت وغاصت في رمال النسيان والتضامن العربي ، وعادت العلاقات تكرر دورتها الشائعة والمألوفة ، وليس السبب بالطبع هو التسامح العربي المشهور ، ولا القدرة على التجاوز والعض على الجرح ··· الى اخر قاموس المصطلحات (الاخلاقية) التي يحلو للكثيرين تردادها في المناسبات والاعياد القومية او المصائب القومية ، انما يكمن السبب أساسا في عقلية التسوية ومزاجها العام والمنهجية السياسية التي تفرض حقائقها وشروطها وسيادتها شبه المطلقة على المنطقة العربية ·

في اطار هذا المناخ العام ·· هذه العقلية السائدة ، يكون من الطبيعي ان تنتهي رحلة قطار التسوية الامريكي في الكنيست الاسرائيلي · الا ان السؤال هنا : هل وصل السادات في الوقت المحدد للرحلة ام انه قفز بطريقة بهلوانية بين عربات القطار وصولا للعربة الاولى ؟ وهل مثل هذه القفزات الخطرة والمغامرة ستسرع بالتسوية ام ستعرضها لاحتمالات مفاجئة قد تدفع البعض الى مغادرة قطار التسوية نهائيا مما سيعني اعادة خلط الاوراق وترتيبها بصورة جديدة ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تتطلب اولا تحديد اثر زيارة السادات ونتائجها على مواقع ومواقف القوى المختلفة ذات الصلة المباشرة بالتسوية ·

ان زيارة السادات لاسرائيل تعبر من الوجهة السياسية عن الاعتراف الكامل في تكريس الوجود الصهيوني في فلسطين · وهو لم يكتف بذلك بل اعلن في خطابه امام الكنيست :

١ ـ الاعتراف السياسي الكامل باسرائيل باعتبارها احدى دول المنطقة ضمن حدود آمنة مع كافة الضمانات المطلوبة ·

٢ ـ اعتبار القدس مدينة حرة ٠ وهذا يعني قانونيا تدويل مدينة القدس ٠

٣ ـ الاستعداد لاقامة كافة اشكال العلاقات الدبلوماسية والتجارية والسياحية ٠٠٠ الخ ٠ وعلى غرار العلاقات الطبيعية القائمة بين مختلف دول العالم ، وهذا يعني انهاء حالة الحرب الى الابد ٠

وهذا كله مقابل :

١ ـ انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ ٠

٢ـ اقامة دولة فلسطينية ٠ (السادات لم يتطرق الى ذكر منظمة التحرير الفلسطينية) ٠

فماذا كان الجواب الاسرائيلي رغم الاهمية « التاريخية » للزيارة ، ورغم التنازلات التي قدمها السادات وتجاوزت الحد الاقصى ، وفوق كل ذلك رغم التنبيهات الامريكية بعدم تفشيل زيارة السادات حتى لا ينهار نظامه كما قال كيسنجر ؟

قال مناحيم بيجن :

١ ـ ارض فلسطين هي ارض اسرائيل ، وحل مشاكل الفلسطينيين العرب يكون فقط في اطار دولة اسرائيل ٠

٢ ـ القدس عاصمة اسرائيل ، ونرحب بسفير لمصر فيها ٠

٢ ـ لا نقبل الانسحاب الى حدود ٦٧ مقابل اية ضمانات كانت ، ان الحدود الامنة التي يمكن الدفاع عنها هي الضمان الوحيد بالنسبة لنا ٠ ولا بد من التسليم بهذا كحق لنا ٠

٤ ـ مفاوضات ثنائية لحل القضايا المعلقة بين الطرفين ومن بينها تحقيق بعض (التنازلات) الاقليمية ٠

اما شمعون بيريز فقد اعلن :

١ ـ ان حل مشكلة الفلسطينيين يكون في اطار العلاقة مع الاردن ، ولا يمكننا القبول بدولة ثالثة بين اسرائيل والاردن ٠

٢ ـ اسرائيل على استعداد لتقديم (تنازلات) اقليمية في اطار بحث كافة القضايا وعلى طاولة المفاوضات ، ولكن لا انسحاب الى حدود ٦٧ ٠

هذا الحزم القاطع في الموقف الاسرائيلي وما اتصف به من صلف بالغ هو الرد الوحيد الممكن والذي تضمن اقصى حدود التهذيب الاسرائيلي ٠

فماذا كان رد السادات ؟

لقد سارع فور وصوله للقاهرة الى القول بان الزيارة قد نجحت منةبالمئة . ثم قام باغلاق مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية والثورة الفلسطينية وطـــرد ممثليها ، اضافة الى طرد عدد كبير من الكتاب والطلبة ، كما قام باغلاقة اذاعة صوت الثورة الفلسطينية .

ثم اعلن دعوته للاسرائيليين لعقد مؤتمر القاهرة . كما اعلن انه يتحدث باسم شعب مصر وجيش مصر ، وليس من حق اي زعيم عربي ان يفرض ارادته عليه ، كما انه لا يسعى لفرض ارادته على احد .

ومثل هذا الطرح كما هو واضح ينسجم مع الشروط الاسرائيلية في عقـد مفاوضات ثنائية ويمهد لعقد مصر لصلح مـــع اسرائيل ، وهو الامر الـــذي سبق للسادات ان نفاه امام الكنيست .

ان الحقيقة الاساسية التي كشفتها زيارة السادات ونتائجها لاسرائيل يمكن تلخيصها بجملة واحدة :

ان اقصى اشـــكال الركوع والاستجداء والتنازلات لن تحقـق شيئا للشعب الفلسطيني . ولا لسوريا الا بحدود طفيفة جدا ، فقط يمكن تحقيق انسحاب كبير من سيناء ، وحيث لا توجد اطماع اسرائيلية للبقاء فيها ، وذلك في مقابل اخراج مصر من المعركة العربية ، وتكريسها كأداة امريكية في القارة الافريقية .

هذه الوضعية تطرح افتراضا موضوعيا ، وبغض النظر عن نوايا ومواقف الافراد والانظمة بالكف عن مراهنات التسوية والجهود الامريكية ، وتدعو كل اولئك الذين شاركوا او توهموا بتحقيق بعض المكاسب الوطنية بمغادرة قطار التسوية .

ان مقاومة التسوية لا يمكن ان تتم من مواقع التسوية كما ان مجابهة خطوات السادات الاخيرة لا يجوز ان تخضع لعقلية المعارضة التي واجهت « اتفاقيـــة سيناء » . وعلى من يريد مجابهة السادات مجابهة فعلية ان ينتقل الى الخندق المواجه للسادات .. الخندق المواجه للتسوية . والتسوية كما بينا هي منهـــج وعقلية هي مقدمات ومرتكزات ومواقف وبرامج وممارسات ، وكل ما عدا ذلك لا يعدو كونه مناقشات حادة داخل قطار التسوية نفسه ، وحيث سيجد الجميـــع انفسهم في النهاية امام اعتاب الكنيست .

لا نريد هنا ان نطرح اشكال واساليب المواجهة والمجابهة ولا ان نتحدث عن جبهات الرفض والتصدي الرسمية او الشعبية ، فالذين يفكرون بتحقيق ذلـــك والمسؤولون عن تنفيذه ليس ما ينقصهم هو معرفة الاشكال والاساليب ولكن الى ان يتحقق ذلك او بعضه ، وقبل ان يتحقق وبعد ان يتحقق فان كل اشكال الادانة الشعبية التي واجهت جريمة السبت الاسود لا يجوز ان تعبر فقط عن رأي عام عربي على طريقة حسابات « السفير البلجيكي » .. هذه الادانة يجب ان تكون الغطاء الشرعي الشعبي لفعل التصدي بايقاع اقصى اشكال العقوبة بالمجرم .

جيروم شاهين

حول السّياسة الخارجيّة لليسار الفرنسي والقضيّة الفلسطينيّة

في أواخر ربيع ١٩٧٧ كان اليسار الفرنسي قد وصل الى قناعة بان استلامه للسلطة بعد عام ، قد اصبح شبه مؤكد · ذلك لان مسيرته الوحدوية عبر « البرنامج اليساري المشترك للحكم » ، أدت به الى الحصول على اكثرية المقاعد في الانتخابات البلدية العامة التي جرت في ربيع ١٩٧٧ ، حيث حصل اليسار على نسبة ٥٢٪ من الاصوات · لكن بعد ذلك التاريخ عصفت الازمات بالوحدة اليسارية الفرنسية وصدعت اسس التحالف الاشتراكي ـ الشيوعي ـ الراديكالي · وفي اعتقادنا ان القطيعة التي حلت ما بين الاحزاب اليسارية هذه تبدو نهائية · لا سيما ان الاسباب الكامنة وراء الاختلاف هي اساسية وهامة ، وان الحملات الهجومية المتبادلة ما بين الشيوعيين والاشتراكيين تتسع يوما بعد يوم وتعمق الهوة ما بين الحزبين ، وتبعد ، بالتالي ، احتمال تحالف جديد ، ولو انتخابي ·

غير انه برغم دلائل جدية القطيعة اليسارية ، لا تزال القوى المحافظة في فرنسا تبدي شكوكا واضحة حول ما يجري . ولا تزال تضع في حسابها عودة اليسار الى التحالف مجددا ولو بنسبة « واحد الى خمسة » التي اعتمدها اخيرا ريمون مارسيلين وزير الداخلية السابق · هذا الاعتقاد تشارك فيه ، من منطلقات مختلفة طبعا ، اوساط غاستون دوفير محافظ مدينة مرسيليا الاشتراكي، كما يشارك فيه الشيوعيون السابقون الذين يرون ان الحزب الشيوعي ، على رغم كل الملابسات ، لن يستطيع تحمل النتائج المترتبة على الهزيمة الانتخابية المقبلة ·

فكما تطرقنا في المقال السابق (١) الى تحديد الاطـار السياسي والاقتصادي العام الذي يدور فيه صراع المحاور السياسية الفرنسية الرئيسية ، ومن ثم الـى تحليل طبيعة تحالف اليسار الفرنسي ، وصولا الى كشف النقاط التـي يلتقـي عندها والنقاط التي يختلف حولها والى كشف الاسباب التي أدت الى تفجيـر الازمة داخل الاتحاد اليساري ، نتوقف هنا على **تحليل السياسة الخارجية لـدى اليسار الفرنسي ونتائج هذه السياسة على القضايا العربية ، وأهمها قضيـة التحرر العربي عبر القضية الفلسطينية** ٠

ان معرفة انعكاسات المشروع اليساري الفرنسي على السياسة العربيـة أمر مهم ، سواء وصل هذا اليسار الى السلطة ام لم يصل ٠ يكفي ان هذا اليسار يجمع حوله نصف فرنسا سواء كان في المعارضة أم لا ٠ ويكفي ان الحـزب الاشتراكي الفرنسي هو اهم الاحزاب على الساحة الفرنسية ، ومـن الممكن ان يلعب دورا هاما جدا في السياسة الفرنسية بسبب أهميته ، وبفضل التحالفات التي يمكن ان يقوم بها في المستقبل ٠ لذلك سنركز ، في هذا البحث ، علـى موقف الحزب الاشتراكي في سياسته الخارجية اكثر منه على الحزب الشيوعـي علما بان الحزبين قد توصلا اثناء مناقشتهما لمسألة « عصرنة وتحديث البرنامج اليساري المشترك للحكم » الى شبه اتفاق تام حول السياسة الخارجية ٠

وننطلق في بحثنا عن السياسة الخارجية لدى اليسار الفرنسي ونتائج هـذه السياسة على القضايا العربية من مسألتين : **مسألة « وحدة أوروبا » وموقـف اليسار الفرنسي منها** ، لارتباط هذه المسألة بالامبريالية الاميركيـة وسياسة المحاور الكبرى ، **ومسألة موقف اليسار الفرنسي من القضية الفلسطينية** ٠

الاشتراكية الفرنسية وموقفها من الامبريالية

التراث الاشتراكي عريق ٠ انه يعود الى ما قبل عام ١٩٠٥ ٠ غير انه فـي ذلك التاريخ تأسس « القسم الفرنسي للاممية العمالية » (SFIO) التابـع للاممية الثانية ٠ وأتت الاممية الثالثة لتشطر الاشتراكيين الفرنسييـن الـى شطرين : الشطر الذي قبل بشروط البلشفيك التي وضعوهـا للانضمـام الـى الاممية الثالثة وانشىء بذلك « الحزب الشيوعي الفرنسي » عام ١٩٢٠ ، والشطر الذي رفض تلك الشروط ، وكان بقيادة ليون بلوم ، والذي آل الى ما هو عليـه اليوم « الحزب الاشتراكي الفرنسي » ٠ وحتى يومنا هـذا مـا زال اليسار الفرنسي يتأرجح ما بين الخطين اللذين كانا سائدين ما قبل ١٩٢٠ ، اي مـا بين خط ماركسي ـ لينيني متصلب ، وخط ماركسي ينتمي الى « الاشتراكيـة ـ الديمقراطية » الدوليـة ويصب ، في النهايـة ، فـي مصب الاصلاحييـن المتنورين ٠

اليوم ، الحزب الاشتراكي الفرنسي يقع على يسار جميع الاحزاب الاشتراكية في اوروبا الغربية ، وهذا ما يجعله في طليعة الاحزاب غير الشيوعية التي تنادي بازالة المجتمع الرأسمالي وبالنضال ضد الامبريالية · لكنك تراه تارة يتمسك بالاستراتيجية التي ترسخت لديه عام ١٩٧١ ، اي عام توحيد فصائل الاشتراكيين في فرنسا تحت لواء الحزب الموحد الجديد بزعامة فرنسوا ميتران ، ويصرح عن عزمه ، انسجاما مع هذه الاستراتيجية ، على مقاطعة نظام الرأسمالية الاقتصادي والاجتماعي ، وفي بناء اشتراكية ديمقراطية غير اصلاحية ، وفي توثيق الصلات لا بل التحالف السياسي لا الانتخابي وحسب ، مع الحزب الشيوعي الفرنسي · وتراه طورا يتراجع عن مواقفه الجذرية ليلتحق بركاب الاممية الاشتراكية التي هو عضو فيها ، كما يشغل فيها سكرتيره الاول ، فرنسوا ميتران ، منصب نائب الرئيس ·

اما الحزب الشيوعي الفرنسي فهو ايضا يتأرجح ما بين سياسة تابعة بالكلية للاتحاد السوفياتي ، وسياسة مستقلة تحمل اطروحات التغيير الاشتراكي مع ضمانة الحريات الديمقراطية ، والملكية الفردية · ولقد بلغ لاشهر خلت ذروة التعبير عن خطه الجديد المنسجم مع المعطيات الفرنسية متخذا، عبر مواقفه ، وجها وطنيا ، ومتخليا عن بعض الاطروحات الماركسية ـ اللينينية التقليدية ، « كديكتاتورية البروليتاريا » ، وناقدا سياسة الاتحاد السوفياتي تجاه الحريات الشخصية ، وطارحا شعار « مد اليد للمسيحيين » ، ومن ثم شعار « وحدة شعب فرنسا » ، ومن ثم شعار « الاشتراكية بالوان فرنسا » ، ومغيرا مواقفه بالنسبة لمسألة « وحدة اوروبا » وبالنسبة ايضا لمسألة « القوة النووية الفرنسية » · غير ان الحزب الشيوعي الفرنسي ، بعد فشل تحالف اليسار ، عاد ـ او هكذا يبدو ـ الى خطه الارثوذكسي بتمسكه بما يعتبره شروطا اساسية ، على المستوى الاقتصادي والاجتماعي ، للتحول الاشتراكي الجذري · لكنه على مستوى السياسة الخارجية ، يبقى في معظم مواقفه ، متفقا مع الاشتراكيين الفرنسيين ·

لذلك سنحاول التركيز في تحديد الخطوط الكبرى للسياسة الخارجية لدى الحزب الاشتراكي ، مشيرين الى النقاط التي قد يختلف حولها هذا الحزب عن حليفه السابق ·

ان سياسة الحزب الاشتراكي الفرنسي الخارجية تتميز بالتباس واضح ، مما حدا بالحزب الى الانكباب على بلورة بعض المعطيات الاساسية التي ترسو عليها سياسته الخارجية وتحديد هذه المعطيات تحديدا اكثر وضوحا ·

المعطيات هذه تدور حول مفاهيم ثلاثة :

١ ـ تحديد مضمون الاممية الاشتراكية ·

٢ ـ بلورة تحليل مفهوم الامبريالية ٠

٣ ـ التوصل الى تصور واضح لمسألة بناء اشتراكية أوروبية ٠

اذا ما تتبعنا مسار الحزب الاشتراكي نرى ان هذا الاخير ، بمقدار ما يتجه نحو التجذر في مواقفه اليسارية ، يقتبس المقولات « الديغولية » على صعيد السياسة الخارجية ٠ وذلك بالرغم من انه كان دائما معارضا دون هوادة لحكم الجنرال ديغول وللخدمات الديغولية فيما بعد ٠ وبعبارة أوضح : نلاحظ ان الاشتراكيين كلما وقفوا كقوة ضاغطة ومعارضة للنظام القائم وحملوا لذلك اطروحات تغيير النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الفرنسي ، كلما لجأوا الى المفاهيم ، والشعارات ، والهواجس « الديغولية » فيما يتعلق بالسياسة الخارجية ٠

غير ان الاشتراكيين بعد تأرجح طويل توصلوا الى اعتماد خط عريض لسياستهم الخارجية بتحديدهم سياسة خاصة تسعى لبناء « **دولية جديدة** » ٠ هذه السياسة بنيت على رفض **النماذج الثنائية** التقليدية التي تشكل أساسا للمفاهيم القائمة حول العلاقات الدولية ، وعلى محاولة اعتماد نموذج جديد في هذه المسألة ٠

لقد رفض الاشتراكيون ، اولا ، الاطروحات التقليدية للحركة الشيوعية الدولية التي كرر تبنيها مؤتمر موسكو الدولي عام ١٩٦٩ ٠ خلاصة هذه الاطروحات ان هناك معسكرين يتصارعان ، **المعسكر الامبريالي** الذي تخترقه التناقضات ، و **المعسكر المعادي للامبريالية المؤلف** من الدول الاشتراكية ومن تحالف العالم الثالث والاحزاب الاشتراكية في الدول غير الاشتراكية ٠

كما ان الاشتراكيين يرفضون ، ثانيا ، النموذج الغربي التقليدي المنبثق خاصة عن الحرب الباردة والمرتكز هو ايضا على التصور الثنائي التالي : **المعسكر الغربي** ، او « العالم الحر » المتمسك بالاقتصاد الليبرالي وبالديمقراطية التقليدية ، و **المعسكر الاشتراكي** الذي يهيمن عليه الاتحاد السوفياتي والمبني على الماركسية اللينينية وعلى اقتصاد الدولة والسلطة المطلقة ٠

هذا النموذج الاخير تبنته الاشتراكية الفرنسية ابان عهد الـ *SFIO* ، اي ما قبل عام ١٩٧١ ٠ فما هو موقف الحزب ، اليوم ، من هذه المسألة ؟ ٠

بالامكان القول ان الحزب الاشتراكي راح منذ عام ١٩٧٢ يبتعد شيئا فشيئا عن النموذج الاخير المذكور وهو اليوم في مرحلة انتقالية : فالاشتراكية الفرنسية لم تعد تقبل بالاطروحات التقليدية التي ما زالت تعتمدها الاممية

الاشتراكية التقليدية ، ولكنه ، مع ذلك ، يرفض ان يتبنى اطروحات الاممية الثالثة فيما هو راغب في الوقت نفسه بالبقاء في الاممية الثانية · ان هذا الوضع دقيق ومحرج ولكنه يبقى ميزة مرحلة الانتقال ·

فما بين الرفضين يحاول الحزب الاشتراكي ان يرسم صورة للمجتمع الدولي تقترب ، بعض الشيء من النموذج اليوغسلافي : اي رفض اعتبار الحركة الشيوعية الدولية على انها التعبير لمجمل القوى الاشتراكية ، ورفض الامبريالية الاميركية رفضا تدريجيا · هذان الرفضان يفضيان الى معارضة كل ما من شأنه تدعيم المحورين وتدعيم قدرة وتأثير القوتين العظميين · هذا وان الحزب الاشتراكي الفرنسي ، دون انكار الفوارق العميقة وحتى التناقض الحاصل ما بين القوتين العظميين ، ودون ان يوافق بصراحة على فرضية الحكم الثنائي للقوتين ، يظهر متأثرا بفرضية تواطؤ الجبارين · غير ان هذا التواطؤ هو من نوع خاص اذ انه يرتكز على « الانفراج الصراعي » وعلى المضاربة ·

المجتمع الدولي المالي المحكوم بوجود الدولتين الكبريين اللتين تستعملان قوتهما ، ووسائلهما سواء للمضاربة ، ام للتعاون ، ام للحفاظ على مواقعهما وعلى الوضع العائم السياسي ـ الجغرافي : هذه هي النظرة العامة التي يعتمدها الحزب الاشتراكي ولو ببعض الغموض ·

ما هي الاستراتيجية التي يقترحها الاشتراكيون الفرنسيون لتحقيق هذه « الدولية الجديدة » ؟

هناك اتجاهات عديدة تتراوح ما بين اعتماد الخط الالماني الغربي ، اي سلوك طريق الاممية الاشتراكية في كل مظاهرها ، وبالتالي البقاء في المعسكر الغربي بشكل كامل ، وبين سلوك النهج الاشتراكي الراديكالي بمناهضة الامبريالية وبتحويل المجتمع الرأسمالي الفرنسي الى مجتمع اشتراكي أملا بخلق نموذج اشتراكية فرنسية اوروبية غربية جذرية يكون مثالا ودافعا لسائر الحركات الاوروبية الاشتراكية الغربية · الا ان الاتجاه الذي ساد هو الاتجاه الواقع ما بين الخط الاصلاحي والخط الثوري · فارتكازا على المعطيات الراهنة ، محليا وعالميا ، اعتمد الاشتراكيون على **تفضيل الاتجاه نحو اقامة توازنات جديدة** · هذه التوازنات تأخذ بعين الاعتبار الاطار المفروض على فرنسا وتحاول ، ضمن هذا الاطار ، العمل بجدية وبعزم ثابت على تنمية علاقات دولية منسجمة مع اهداف الاشتراكية انها « خطوات صغيرة » تراعي المعطيات القائمة والاهداف المنشودة في آن معا ، وتسعى لتحقيق ثلاثة اهداف أساسية :

١ ـ بناء فرنسا اشتراكية في العالم الغربي ·

٢ ــ بناء فرنسا نشيطة في سبيل ضمانة الامن الاوروبي ٠

٣ ــ بناء فرنسا تقدمية في المجتمع الدولي ٠

السؤال الذي يتبادر الى الذهن عند تفحصنا هذه الاهداف هو : كيف تستطيع الاشتراكية الفرنسية تحقيق مثل هذه الاهداف فيما هي عليه من غموض في الرؤيا النظرية لمسألة التحول نحو المجتمع الاشتراكي ، ومن تعددية ايديولوجية وطبقية في صفوفها ، وفي الظروف الدولية ، ولا سيما ارتهان اوروبا الغربية لاميركا واستشراس الهجمة الامبريالية على العالم ؟

للاجابة على مثل هذا السؤال لنأخذ مسألة « **وحدة أوروبا** » ،ولنر كيف راجه اليسار الفرنسي ويواجه هذه المسألة :

اليسار الفرنسي ومسألة « وحدة اوروبا »

ان المقياس الذي تقاس به ثورية هذا او ذاك الحزب ، هو ، من جهة ، قربه أو بعده ، تحالفه او مناهضته للرأسمالية التي أصبحت نمط انتاج على المستوى العالمي ٠ والوسائل العملية في انتهاج استراتيجية فعالة تحقق مثل هذه الاهداف من جهة ثانية ٠ هذا وان العمل الثوري نحو الافق الاشتراكي اصبح العمل لتغيير المجتمع الوطني الرأسمالي ولرفض ومكافحة الامبريالية في آن معا ٠

واحدى الميزات الرئيسية للامبريالية هي استخدامها وسيلة الشركات المتعددة الجنسية لتوزيع العمل والانتاج توزيعا رأسماليا يبقي شعوباتحت الاستغلال ، بينما يعطي هذه الشعوب البرقع الانمائي ليثبت دعائم سيطرته عليها ٠ هذا وان معظم هذه الشركات هي أميركية ٠ فمن اصل /٧٠٠/ اضخم شركة عالمية هناك /٥٢/ أميركية او معظمها يعمل في حقل (الالكترونيك والذرة والنفط) ٠ وهذه الشركات لها ، اليوم ، اكثر من ثمانية الاف فرع في العالم ٠ ولا مجال هنا لاعطاء الارقام التي تبرهن كيف ان هذه الشركات ، في اوروبا ، تمنح اميركا سيطرة اقتصادية ، وبالتالي سياسية على المجتمع الاوروبي الغربي كله ٠

على ضوء هذه المعطيات يجب النظر الى مسألة توحيد أوروبا ، ومن ثم الى مسألة البرلمان الاوروبي حسب النسبة المئوية العددية لدول اوروبا الغربية ٠

فمن خلال صراع القوتين الجبارتين الاميركية والسوفياتية للهيمنة على العالم ، نشأت محاولات عديدة ، ومشاريع ، ومؤسسات ، ومعاهدات ، كلها تقع في محور الهيمنة ، او توزيعها ، او الاستئثار بها او بحصة منها او محاولة التخلص منها ، من اتفاق يالطا (شباط ١٩٤٥) ، الى اعلان مخطط مارشال

(٥ حزيران ١٩٤٧) الذي قبلت به دول اوروبا الغربية (تموز ١٩٤٧) ، ومقابله مشروع الكومنفورم (تشرين الاول ١٩٤٧) المعنية به اوروبا الشرقية ، الى قيام الحلف الاطلسي (٤ نيسان ١٩٤٩) ، وما استتبعه من اعلان جمهورية المانيا الفدرالية من جهة ، واعلان جمهورية المانيا الديمقراطية ، الى قيام الاوتان (كانون الاول ١٩٥٠) ، ودخول المانيا الفدرالية فيه (ايار ١٩٥٥) وقيام معاهدة فرصوفيا (٤ أيار ١٩٥٥) كردة فعل ·

هذه الاشارات ، ان دلت على شيء ، فهي تدل على ان الجبارين العالميين ما زالا يتحكمان باوروبا ، وان اوروبا الغربية في محاولتها المستمرة لبناء وحدتها ، انما تسعى لبناء قوة اقتصادية عسكرية تعطيها استقلالية سياسية ، علما بان الهيمنة السوفياتية على اوروبا الشرقية لا يمكن وضعها بنفس المنزلة، وبنفس الطبيعة لما هي عليه الهيمنة الاميركية ·

ان توحيد اوروبا كان ، وما زال هدفا وامنية · فبالرغم من ان هناك مؤسسات تربط ما بين بلدان اوروبا ، كالسوق المشتركة مثلا ، فان « اوروبا ــ القوة العسكرية ــ الموحدة » غير موجودة حتى الان · و « اوروبا ــ القوة السياسية ــ الموحدة » ايضا غير موجودة · وعلى كل حال فالمشاريع التي طرحت ، وما زالت مطروحة لم تفض بعد الى حل نهائي · فمنذ سنة ١٩٥٨ حتى سنة ١٩٦٦ كانت هناك عدة تصورات لاوروبا السياسية ، اهمها :

ــ تصور الجنرال ديغول الذي يحمل تناقضات في داخله : استقلالية اوروبا عن الولايات المتحدة ، فيما تبقى بالرغم من كل ذلك حليفة هذه الاخيرة ــ التقرب من الاتحاد السوفياتي ، وفي الوقت نفسه نقد الاشتراكية بشكل عام ــ الدفاع عن حقوق العالم الثالث ازاء الدول الكبرى ــ طرح علاقة متجانسة بين السياسات الوطنية (او القومية) ، ولكن لم يحدد بالمقابل مدى ومفهوم السيادة القومية ·

ــ التصور الثاني : يشتمل على صورة اوروبا موحدة (صورة غامضة المعالم وبالاحرى صورة كانت ردة فعل للتصور الديغولي ترتكز خاصة على الامانة للاوتان بنوع رئيسي ، وثانيا على قومية شاملة *Supranationalité* بمقدار ما كان ديغول يشدد على الاستقلال القومي) ·

منذ عام ١٩٦٩ حتى اليوم لم تعد المسألة بهذه الحدة ، بل اخذت لها السوق الاوروبية المشتركة كطريق تنفذ منه الى مسألة الوحدة · غير ان السوق المشتركة باتخاذها القناة الاقتصادية دعمت ورسخت طرق الانتاج الرأسمالية في اوروبا وليس العكس · بالطبع ، هناك ، بفضل هذا السوق ، تسهيل للتبادل الحر بين الدول المنتمية اليه ، وبمجملها مع سائر الدول الرأسمالية · غير ان هذه التسهيلات جاءت لصالح اميركا اذ دعمت اقتصادها

وثبتت هيمنتها بواسطة القوة الاقتصادية على أوروبا ٠

وكان قد وقع خلاف ما بين الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الاشتراكي بشأن مسألة اوروبا ، لا سيما ان المشروع الذي كان مطروحا هو انتخاب برلمان اوروبي بواسطة الاقتراع الشامل ٠ كان الشيوعيون يرون في ذلك خطرا على التوجه الاوروبي نحو الاشتراكية ودعما للرأسمالية بواسطة سلطة سياسية عليا تؤثر على السياسات الاقتصادية ، ان لم تقررها وتتحكم بها ٠ اما الاشتراكيون فيقولون : نحن امام الامر الواقع ٠ اي ان القرار بانشاء برلمان اوروبي لم نقرره نحن ، سواء شئنا ام ابينا ٠ لذلك فالواقعية ، اولا ، تفرض علينا ان ننطلق من هذا الامر الحاصل ونعمل ما استطعنا لكي نجعل من هذه المؤسسة وسيلة لبعث الروح الاشتراكية ،ولاخذ سلسلة من المبادرات التي تساعد على خلق بنى اشتراكية ليس فقط في فرنسا بل في اوروبا كلها ٠

لكن يجب الاخذ بعين الاعتبار : اولا ، ان فرنسوا ميتران قد صرح اكثر من مرة بانه يريد ان يحافظ على علاقات ودية مع المانيا الفدرالية ، وكذلك مع الولايات المتحدة ، وثانيا ، ان ميتران هو نائب رئيس الاممية الاشتراكية ، اي هو في اتحاد الاحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية التي تضم الحزب الاشتراكي الالماني ، والحزب العمالي البريطاني ، والحزب العمالي الاسرائيلي وغيرهما من الاحزاب ٠

وتصريحات ميتران عديدة بهذا الشأن ، فهو دائما يؤكد ان فرنسا لا يمكنها الا ان تنسجم مع موقعها الجغرافي والتاريخي ، وبالتالي الاقتصادي والسياسي ٠ « قبل كل شيء ، يصرح فرنسوا ميتران ، لنر اين تقع فرنسا ٠ وهل من حاجة الى ان اصف موقعها الجغرافي والتاريخي ؟ بالتأكيد لا ٠ ففرنسا تنضم لاوروبا الغربية بجغرافيتها وبالنسيج الذي خيط به تاريخها ٠ وعليها اذن ان تبقى أمينة لاوروبا » ٠ (٢)

كما نراه ، بعد ايام من تصريحه السابق يحدد علاقته بالمعسكرين (٣) : « ان علاقات ودية ومثمرة تربط فرنسا بالاتحاد السوفياتي لهي ضرورة لضمانة التوازن الاوروبي ٠ وهذا ، على كل حال ، يتطابق مع واقع الديبلوماسية الفرنسية خلال عصور ٠ وهذا الاتفاق الضروري لا يتناقض مع الابقاء على العلاقات القائمة مع الحلف الاطلسي » ٠ (٤)

لم تكن مسألة « وحدة اوروبا » ومسألة « البرلمان الاوروبي » امرا اختلف حوله اليسار الفرنسي في الازمة الاخيرة التي عصفت بصفوفه وادت الى انقسام وحدته ٠ ففي اواخر حزيران الماضي صوت البرلمان الفرنسي على مشروع « البرلمان الاوروبي » واصبح المشروع بالتالي مقبولا من الجبهة الفرنسية ٠ واثناء المناقشات ، ولدى الاقتراع امتنع الشيوعيون عن رفض

المشروع أو تأييده وايده الاشتراكيون ولم يمانعه بشدة الا الديغوليون ٠ وهكـذا وقف اليسار ، في النهاية ، من مسألة اوروبا موقفا منحازا للمعسكر الغربي ، وبالتالي ، موقفا يتناقض مع مشروع الاشتراكية الجذريـــة التـــي تناهض الرأسمالية وتناضل ضد الامبريالية ٠

اليسار الفرنسي والقضية الفلسطينية

ان موقف اليسار من القضية الفلسطينية يحتوي على كثير مـن الغموض ، ولدى بعض الفئات على تناقض سافر ٠ واذا ما راجعنا مواقـــف مختلـــف الفرقاء بشأن هذه القضية فانه بامكاننا اختصار المواقف على الشكل التالي :

١ ـ الموقف الاكثر جذرية ، والاكثر انصافا للعرب وللفلسطينييـــن فـــي استرجاع ارضهم المغتصبة والحصول على حقهم السليب ، نجده لـدى الفئات الفرنسية الموجودة في اليسار الاقصى ٠ غير ان هذا اليسار ليس في الساحـــة الفرنسية ، ويتعامل معه الملتزمون العرب والفلسطينيون بارتياح ويقبلون عليه مع ان الاتصال بالجماهير الفرنسية ، وخاصة بالقوة السياسية الفاعلة فـــي الساحة الفرنسية ، لا يمر اطلاقا عبر هذه القناة ٠

٢ ـ الموقف الاكثر « تقدمية » بشأن القضية الفلسطينية هو ، نسبيا ، لـدى الحكومة الفرنسية ، في موقفها الرسمي والمعلن ٠ فبالرغم من يمينيته ورجعيته وارتهانه للسياسة الاميركية ، فقد عبر الحكم الفرنسي عن موقفه بالنسبة للقضية الفلسطينية بوضوح وهو :

أ ـ الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ٠

ب ـ الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للفلسطينيين ٠

ج ـ حق الفلسطينيين بالعودة الى وطنهم بما فيه اقامة دولة فلسطينية ٠

٣ ـ الحزب الشيوعي الفرنسي يمكن القول عن مواقفه بانها متطابقة مـــع موقف الاتحاد السوفياتي ٠ ونعني بذلك الموقف الرسمي على الاقل ، بما فـــي ذلك من التحولات والغموض وفقا للمراحل والاوقات والظروف الراهنة ٠ وهـــو يتركز حول ضرورة الانسحاب الاسرائيلي وتطبيق قـــرار مجلس الامـــن ، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني باقامة دولته المستقلة ٠

٤ ـ اما الموقف الاشتراكي فهو دون الموقف الاميركي ، اي انه يساند بالكلية اسرائيل ٠

هذا وان الاحزاب اليسارية الثلاثة ، اثناء مفاوضاتها الاخيـــرة حـــول « البرنامج اليساري المشترك » في قمة ٢٢ ايلول الماضي قد وقفت ازاء القضية

الفلسطينية على الشكل التالي :

الشيوعيون : الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني بوطن وانشاء دولة وطنية مستقلة ·

الاشتراكيون : موقفهم بقي غير واضح وعبروا عنه بكثير من الحذر ·

الراديكاليون : مع اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية تكون في اتحاد فدرالي مع المملكة الاردنية ·

غير ان الموقف الذي يتميز بخصوصية ، ويتخذ اهمية كبرى ، نسبيا ، هو موقف الحزب الاشتراكي الفرنسي من القضية الفلسطينية · وسنعرض هذا الموقف بايجاز :

١ ـ بشكل عام ، يقف الحزب حيال العرب موقفا مشابها لموقف معظم الفرنسيين (ما عدا اعضاء الحزب الشيوعي والاحزاب اليسارية الثورية وبعض الديغوليين القدماء) · والموقف هذا يتسم بطابع العداء للعرب ، وبالعنصرية · (٥)

٢ ـ والشيء الذي يلفت النظر هو ان الحزب الاشتراكي الفرنسي لم يضع في برنامجه للسياسة الخارجية خاصة بالدول العربية الا مؤخرا · ففي الاصل، هناك امانة سر وطنية تهتم بالسياسة الخارجية وتهيء خطوط هذه السياسة لتقررها المؤتمرات الوطنية للحزب · ونلاحظ ان في باب السياسة الخارجية لا تتضمن جميع مستندات وقرارات الحزب اي شيء يذكر عن « **سياسة عربية** »، بل تعالج مسألة « السياسة ازاء العالم الثالث » (وحتى هذا الباب ، باب العالم الثالث لم يبدأ به الا عام ١٩٧٤ في مؤتمر (بو) حيث انشأ المؤتمر امانة سر سميت « أمانة سر للعالم الثالث ») ·

عام ١٩٧٥ فقط انشىء « **فريق عمل** » يعالج قضايا العالم العربي بشكل مباشر · ويدير هذا الفريق استاذ جامعي في الحقوق (درس في احدى جامعات بيروت لمدة عامين) وهو جاك هونتزينغر ·

٣ ـ فيما يختص **بمسألة النزاع العربي ـ الاسرائيلي** ، فان مواقفه الحزب واضحة : فبينما ان القضية الفلسطينية تلقى تأييدا من الحزب الشيوعي نرى ان الاشتراكيين يساندون اسرائيل بطريقة واضحة وثابتة وغير مشروطة ·

ـ **السبب الاول** لهذا الامر يعود الى ان للحزب الاشتراكي قاعدة انتخابية يهودية صهيونية لا يستهان بها · يقدر عدد اليهود في فرنسا ، اليوم ، بحوالي /٩٠٠/ الف شخص · ويقدر عدد المقترعين منهم بحوالي /٣٠٠/ الف

شخص ، واذا علمنا ان اكثرية هؤلاء الساحقة تقترع الى جانب الحزب الاشتراكي ، وان مقدار /٣٠٠/ الف صوت قد ترجح الكفة في الانتخابات تيقنا من أهمية ربح هذه الاصوات اليهودية ·

ـ السبب الثاني يعود الى انه ابان خلق دولة اسرائيل لعب الاعلام الصهيوني دورا كبيرا في صفوف الفرنسيين عامة ، والاشتراكيين خاصة ، اذ صور لهم قيام دولة اسرائيل وكأنه امر عادل ، من جهة ، ينصف حقوق شعب يهودي اضطهد ابشع الاضطهاد كما نعلم ، ومن جهة اخرى ، بشكل مشروع خلق دولة « اشتراكية ديمقراطية » · وحتى في السنوات الاخيرة ، حيث تجلت اكثر للعالم حقيقة اسرائيل وعنصريتها ولا ديمقراطيتها ولا اشتراكيتها ··· لم يتغير موقف الحزب الاشتراكي من التأييد المطلق لدولة اسرائيل ·

لكنه ، بعد ان نالت « منظمة التحرير الفلسطينية » اعترافا دوليا ، خطا الحزب بعض الخطوات الخجولة لتفهم اكبر للمسألة الفلسطينية · فهناك ، مثلا ، علاقات بينه وبين منظمة التحرير الفلسطينية ، لكنها تبقى على مستوى غير رسمي · (٦) كما ان الحزب يدعم في مواقفه الرسمية مقررات هيئة الامم المتحدة المتعلقة بحل النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، لا سيما قرار مجلس الامن ، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ رقم ٢٤٢ ·

ولكن ، تبقى الاولوية لديه ليست في انصاف الفلسطينيين والعمل لاعادة حقوقهم المسلوبة ، بل في دعم قيام وتثبيت اسرائيل كدولة في حدود آمنة وثابتة وبشروط تكفل لها الديمومة ، وخاصة باعطائها الوسائل اللازمة لفرض بقائها كدولة · اما « حقوق الشعب الفلسطيني » فهذا يبقى مسألة ثانوية وغير محددة على كل حال ينادون بها (وكيف باستطاعتهم الا ينادوا بها ككل الاحزاب والكتل الفرنسية ، حتى تجمع اليمين) ·

وعلى كل حال فان المواقف الرسمية ، حتى هذا اليوم ، تؤكد تواطؤ الحزب مع اسرائيل ونكتفي بتصريح واحد رسمي يتعلق بموقف الحزب من اسرائيل ، نأخذه من وثيقة صادرة عن قسم العلاقات الخارجية للحزب ، وتتضمن مجموعة التصريحات الرسمية حول الموقف في العلاقات الخارجية · ففي صفحة ٢٧ من هذه الوثيقة نجد نصا اخذ من ندوة صحافية عقدها فرنسوا ميتران في ١٤ كانون الاول عام ١٩٧٦ ، يقول فيه حرفيا :

« ان موقفنا تجاه اسرائيل هو الاعتراف بدون حد بحقها في الوجود » ·

« هذا الحق يفترض وجود الوسائل : وسائل الحياة الاقتصادية ، القوة العسكرية ، والواقع الجغرافي · والحال ان اسرائيل قد بنت دولة ، وجمعت شعبها ، واعترفت بها معظم دول هيئة الامم المتحدة · فلقد مر التاريخ ، ووصل

الى هذا الحد · غير ان شعوبا اخرى ، و كما حدث غالبا ، وجدت نفسها متنقلة من مكانها » ·

« فهل بالامكان حل هذا التناقض بين شعوب عديدة تطالب بنفس الارض فيما هذه الشعوب نفسها لا تريد ان تتوزع على نفس هذه الارض ؟ »

« فعلى الاخرين ان يجدوا مكانا لهم في الخارج لان اسرائيل هي موجودة اليوم على هذه الارض · ومن جهة اخرى ، فيما يختص بالاراضي المحتلة يجب ان يعاد النظر بأمر حدود يتفق عليها » ·

« والحزب الاشتراكي يعتقد ان حق هؤلاء الفلسطينيين كشعب منظم ضمن دولة يجب ان يعترف به يوما ما » ·

« اسرائيل تريد ان تحصل على ضمانات عسكرية ، هذا طبيعي لدى دولة صغيرة تشعر انها مهددة » ·

« والدول الكبرى الاربع ، الولايات المتحدة الاميركية ، وفرنسا ، والاتحاد السوفياتي ، وبريطانيا ، وكذلك منظمة الامم المتحدة ، لم تنجح في حل هذه المشكلة · ولم تصل الا الى سياسة جزئية عبر اتفاق مرحلي كالاتفاق الذي حصل بين مصر واسرائيل » ·

« مع هذا فاننا ننوي الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع الدول العربية · فسياسة الحزب الاشتراكي واضحة ، وهي : الاعتراف بحق الوجود لدولة اسرائيل · وفي الوقت نفسه نتمنى ان تعطي اسرائيل معنى ومضمونا حقيقيين للواقع الفلسطيني » ·

خلاصة

ان اليسار الفرنسي قد تعثر في مسيرته الوحدوية عندما اقتربت منه السلطة، او بالاحرى عندما تبين له ان باستطاعته ان يصل الى الحكم · عندها انكشفت لاعين الفرقاء اليساريين نتائج التحالف في سبيل السلطة · كما تبين لكل واحد منهم مقدار القيود التي يفرضها عليه الوضع الراهن · وبالتالي فان اختلاف الاحزاب اليسارية الفرنسية في نظرتها الى مسألة التحول الاشتراكي ، لا سيما عن طريق تغيير البنى الاقتصادية ، قد أدى الى تفسيخ الوحدة اليسارية · ذلك ان هشاشة التحالف لم تكن أمرا واضحا ولا هاما في السنوات الاخيرة الماضية ·· المسألة الملحة كانت بالنسبة للاحزاب الثلاثة كسب المزيد من الانصار ومن الاصوات الانتخابية حتى ولو كان هذا الامر على حساب الوضوح في

الرؤيا والصدق في المسلك الثوري التغييري · هذا ويمكننا ان نعتبر ان الرؤيا في السياسة الخارجية لدى الإحزاب الفرنسية اليسارية تتحكم فيها ، الى حد كبير ، النظرة الاقتصادية ، وبشكل عام النظرة في مسألة تحول المجتمع الرأسمالي الى مجتمع اشتراكي · فكما ان الرؤيا الاقتصادية جاءت اصلاحية ولم تتعد الحد الادنى الذي بدونه لا يمكن اقامة مجتمع اشتراكي ناجح في المجتمع الاوروبي الغربي ، كذلك الرؤيا السياسية الخارجية أتت هي ايضا غامضة تتأرجح ما بين الارتهان للمعسكرات القائمة وبين الاستقلالية وعدم الانحياز · أما على صعيد السياسة العربية فان التحالف اليساري لو اعطي له ان يستمر ثم ان يصل الى الحكم لما كان بدل شيئا يذكر من السياسة الفرنسية الحالية بالنسبة لمجمل القضايا العربية ، وخاصة لقضية فلسطين · لربما وحدها « الشيوعية ــ الاوروبية » اذا رأت النور وترسخ خطها قد تبدل في موازين القوى التقليدية فيتسنى للعرب ان يدخلوا من هذا الباب ليبدلوا الموقف الاوروبي الغربي بالنسبة لاهم قضاياهم المصيرية ·

١) الهوامش :

(١) راجع « شؤون فلسطينية » العدد ٧٢ . تشرين الثاني « نوفمبر » ١٩٧٧ : « اتحاد اليسار الفرنسي والصراع على السلطة » ص · ٦٧ ــ ٨١ ·

(٢) فرنسوا ميتران في مؤتمره الصحافي المنعقد في ٢ ايار (مايو) ١٩٧٤ ·

(٣) فرنسوا ميتران في حديث لمحطة اذاعة « اوروبا رقم ١ » في ١٤ ايار ١٩٧٤ ·

(٤) بشأن تصريحات ومواقف فرنسوا ميتران من السياسة الخارجية للحزب الاشتراكي، ومن مسألة « وحدة اوروبا » يمكن مراجعة : الخطاب الذي القاه في الجلسة الختامية لمؤتمر (غرينبول) في حزيران (يونيو) ١٩٧٣ ــ وخاصة مداخلاته في مؤتمر (بانيوليه) حول « مسألة اوروبا » المنعقد في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ ــ وتصريحاته ابان خوضه معركة الانتخابات الرئاسية في فرنسا عام ١٩٧٤ ·

(٥) ان احد الامثلة الاكثر وضوحا عن عداء الغرب للعالم العربي نجده في ردات الفعل عند النواب الفرنسيين في مختلف اتجاهاتهم السياسية عقب حرب تشرين ١٩٧٣ · للاطلاع على مختلف المواقف راجع نصوص مناقشات مجلس النواب الفرنسي ، المنشورة في « الجريدة الرسمية » الفرنسية ، لا سيما نصوص مناقشات جلسة ١٧ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٣ وما بعد هذا التاريخ مباشرة ·

(٦) يدعو الحزب الاشتراكي الفرنسي سائر الاحزاب الاشتراكية في العالم ليرسلوا ممثلا عن كل منهم لحضور المؤتمر الاشتراكي الفرنسي السنوي · والاحزاب العربية التي دعيت لحضور مؤتمر عام ١٩٧٧ (الذي انعقد في حزيران (يونيو) الماضي في مدينة «نانت») بصفة مراقب ، هي جبهة التحرير الوطنية الجزائرية ، والحزب الاشتراكي اللبناني ، والبعث

(العراق وسوريا) ، والاتحاد الاشتراكي المصري • ولقد دار نقـــاش طويـــل بيـــن المسؤولين في الحزب قبل انعقاد المؤتمر حول مسألة دعوة « منظمة التحرير الفلسطينية » وانتهى النقاش باتخاذ قرار عدم دعوة المنظمة المذكورة •••

٢) المراجع :

— La revue : « Politique Etrangére » 2 (1975) : Jacques HUNTZINGER : La Politique étrangère du Parti Socialiste » PP. 177 - 199 .

ـ سلسلة مقالات في جريدة (اللوموند) الفرنسية بتاريخ ١٤ و ١٥ ايار (مايو) ١٩٧٤ تحت عنوان « اليسار الفرنسي والسياسة الخارجية » •

ـ «مساهمة فكرية» تقدمت بها «لجنة السياسة الخارجية» في الحزب الاشتراكي الفرنسي ونشرت في مجلة الحزب : La Nouvelle Revue Socialiste , décembre , 1974

ـ قرارات المؤتمرات الوطنية السنوية للحزب الاشتراكي الفرنسي ، لا سيما قـــرارات مؤتمر « بو » الذي انعقد في شباط ١٩٧٥ •

ـ المراجع المدرجة في اخر المقالتين السابقتين والمشار اليهما في الهامش رقم (١) مـــن هذه المقالة •

ـ عن الشركات المتعددة الجنسية راجع :

Kari Levitt , Silent Surrender . Tornato , Macmillan Co. of Canada 1970

ـ عن مسالة « اوروبا الموحدة » راجع مقالة :

« L'Europe : carcan ou tremplin » pp. 8 — 11

في مجلة : Politique Hebdo , No 266 , 1977

ـ عدد خاص حول « مسالة وحدة أوروبا » من مجلة الحزب الاشتراكي الفرنسي :

La Nouvelle Revue Socialiste , Avril , 1977

ـ كتاب : Jean - Denis BREDIN : Les Français au Pouvoir , Paris , 1977

جـــان دايـــه

مجـلة "العـالم الاسـرائيلي" البـيروتيـة

مساء الخميس في ١ ايلول ١٩٢١ صدر العدد الاول من مجلة « العالم الاسرائيلي » في مدينة بيروت حيث تم توزيعه في سائر المدن اللبنانية والسورية والفلسطينية والمصرية وغيرها من المدن العربية ·

تحت ترويسة العدد الاول من « العالم الاسرائيلي » وضع تعريف بالمجلة على النحو التالي : « مجلة علمية أدبية اخبارية تصدر مؤقتا مرة في الاسبوع ·· الرسائل لا ترد نشرت او لم تنشر ·· الاشتراك يدفع سلفا : في بيروت ٢٠٠ غرش سوري او ٦٠ فرنك ، الخارج ٢٥٠ غرش سوري أو ٧٠ فرنكا ·· المكاتبات باسم صاحب المجلة سليم الياهومن·· الاعلانـات تفاوض الادارة بشأنها ·· مركز الادارة : مطبعة النجـاح شارع جـورج بيكو ·· المدير المسؤول سليم الياهو من ·· بيروت صندوق البوسطة نمرو ٣٧٥ » ·

وفي العدد الاول صفحة عن تيودور هرتزل واخبار صغيرة ورواية بعنوان « الغرفة الحمراء » وافتتاحية مدروسة لا بأس من اعادة قراءة اهم ما جاء فيها · بعد جولة غير قصيرة في نتائج الحرب العالمية الاولى على المنطقة وسائر مناطق العالم وخاصة بالنسبة للامم الصغيرة يدخل سليم الياهومن الموضوع قائلا : « نرى كل طائفة من الطوائف لها وسائل نشرية تؤدي لها هذه الخدمة وتوافيها بما يفيدها في شؤونهـا الاجتماعية والاقتصادية ما عدا الطائفة الاسرائيلية في بيروت فهي مع حرصها على تعـرف شؤون اخوانها في الاقطار ورغبتها ان يكون لها ما لاخوانها من المدن الاقـل عمرانـا مـن النشرات السياسية والادبية التي تنهض بهم وتحفزهم على التقدم · ومع كل ذلك فهـي لا تزال كأنها في منتبذ عن مثار الحركة القلمية والادبية والاجتماعية ·· فكاشفني كثيـر من ابنائها الغيورين على مصلحتها واشاروا الى ان حرمانهم من مجلة او جريدة تقـوم لهم بهذه الغاية مما لا يغتفر في الاونة الحاضرة واستحثوني لتملئة هذا الفراغ » · ويذكر كاتب الافتتاحية ان فكرة اصدار المجلة قد راودته كثيرا ولكنه تريث بانتظار التأكد مـن وجود القراء ·· « اما وقد تحققت الان ان الشعور الادبي الحي منبث في الطائفة ، وهـو علامة الرقي والنهوض ، ولما كانت البلاد ترتع في بحبوحة أمن وسلام وحرية كاملة بفضل

الحكومة المنتدبة ورجالها العظام ، لم ار لي عذرا في التربص والامهال ، فلبيت طلبهم ايفاء للواجب ، وانشأت هذه الرسالة بشكل مجلة، اخترت ان اسميها «العالم الاسرائيلي» اضمنها فوائد علمية ومباحث اجتماعية وشذرات انتقادية وحوادث اخبارية » · وباعتبار ان رخصة المجلة غير سياسية ، فان سليم الياهومن يشير في افتتاحيته الاولى الى ان « مسلكها وخطتها علمية ادبية اخبارية انتقادية وتنقل من حوادث السياسة وأقوال اساطينها في الشرق والغرب ما له تعلق بالطائفة لا غير » · ثم يضيف « وما لم يكن ضمن هذه الدائرة فلا تتعرض له ولا تخوض فيه وأظن تلك الدائرة متسعة فسيحة الاطراف فيها مندوحة لا نشعر معها بحاجة الى الخروج منها » · لماذا ؟ « لان الطائفة منبثة في كل الارجاء والبقاع تكفينا حوادثها مؤونة الالتجاء الى غيرها » · ويختتم الافتتاحية بتحديد قيمة الاشتراك وموعد الصدور حيث يتألف كل عدد من « ٨ صحايف مزدانة احيانا بأشهر الرسوم » ·· مع الابتهال الى الله ، على عادة جميع كتاب الافتتاحيات الاولى في هاتيك الاعوام ، لكي « يوفقنا لما به نفع الامة والوطن ويأخذ بيدنا في عملنا فعليه اعتمادنا وهو السميع المجيب » ·

طبعا ، لم يتقيد صاحب « العالم الاسرائيلي » بمضمون الترخيص لمجلته حتى منذ العدد الاول · والذي يقرأ بين سطور افتتاحيته ، يدرك تماما ، ان سليم الياهومن ، اليهودي البيروتي الثري ، يستهدف من مطبوعته شيئا يتخطى الادب بل وحتى اخبار الطائفة في بيروت وغيرها · وهو ، على كل حال ، ارتكب المخالفة منذ العدد الاول ، حين نشر صفحة بكاملها عن هرتزل · ولكن التغطية حاضرة : فهرتزل يهودي ، وما كتب عنه كناية عن خبر كبير الحجم !

بعد أسبوع ، وبالتحديد في مساء الخميس ٨ ايلول ١٩٢١ ، صدر العدد الثاني من هذه المجلة « الادبية » وليس فيها من الادب سوى العبارة التالية : « ارجو من اخوان الادب الذين يكاتبوني ان يبعثوا برسائلهم لي الى رئاسة تحرير هذه المجلة » وهي موقعة باسم صحافي مغمور اسمه الياس الظاهر · عدا ذلك فجميع موضوعات المجلة كانت سياسية وخاصة افتتاحيتها التي عالجت « الموقف الحاضر بين اليونانيين والاتراك » ·

أما العدد ٣ الصادر في ١٥ ايلول ١٩٢١ فيمكن اعتباره العدد الاول خاصة بالنسبة لافتتاحيته التي تضمنت عدة مسائل ، كانت وما زالت ، من أهداف الحركة الصهيونية البعيدة · كتب الافتتاحية « محرر جريدة الشعب » ولكن في اطار « حديث مع الموسيو روبرت دمكه » اضافة الى العنوان التالي : « المناسبات بين سورية وفلسطين » ·

يستهل محرر جريدة « الشعب » الافتتاحية بقوله : « انتهزت فرصة وجودي في بيروت فقابلت الموسيو روبرت ده كه القائم حينئذ مقام المفوض العالي ، وكان الموضوع الذي دار حوله الحديث في تلك المقابلة هو المناسبات المستقبلة بين سورية وفلسطين » ·

ويؤكد كاتب الافتتاحية ان دمكه ابدى له سروره « من سنوح الفرصة له ليشرح وضعيته امام العالم الاسرائيلي » ثم قال له : « لا يوجد اقل معارضة او مخالفة من جهتنا لتشكيل الوطن القومي لليهود في فلسطين ولكن ينبغي ان لا تنسوا ان اهالي البلاد التي تريدون ان تجعلوها بلادكم اكثرهم ضد هذه الفكرة ونحن هنا لا يمكننا ان تمنع أحدا من ان يعترض على مشروعكم او ان ينتقده · فان للاهالي شعورا وطنيا يقتضي ان تحلوه محله من الاعتبار وان كنتم لا تخشونه الان لاحتلال الجيش البريطاني في فلسطين » ·

وسأله مندوب « العالم الاسرائيلي » بالاعارة سؤالا يستدعي تأملا عميقا : « ما رأيكم في نهر الليطاني واليرموك وهلا ترينا اثر انعطافها نحو فلسطين اليهودية » ؟ واجـاب دهكه : « نحن نعتبر منذ آماد طويلة حماة لسورية ولبنان اللتين لنا فيهما مصالح اقتصادية وتاريخية وأدبية وقد اعطتنا معاهدة سان ريمو حق الوصاية على سورية فعلينا ان نستعمل ذلك الحق فنحافظ على مصالحها · اما الليطاني فهو نهر سوري محض · ينبوعه ومصبه في اراضي سورية · أفلا يكون ظلما منا ان نترككم تحرمون لبنان من اهم انهاره التي ليست في ارض فلسطين ؟ اما رأيي الخصوصي فهو ان ليس للصهيونيين اقل داع للتذمر · واظن انكم لا تقدرون اهمية القومسيون الذي نفحكم باراضي الحولة التي ، مع الزمن ، وقليل من الاعتناء ، قد تصير اخصب كل البلاد المجاورة · ان اراضي الحولة ، هي ذاتها على ما أعلم ، جزء من حكومة لبنان وكنت قبلا راجعت المسيو كليمانصو حتى لا يحرم سورية من هذه الاراضي » · وعاد المفوض السامي الى الكلام عن الليطاني واليرموك من موقع عملي مغاير للموقع المبدئي الذي انطلق منه ، فقال : « اما بخصوص نهر الليطاني واليرموك فلكم نوع من الاستئجار والحكومة الانكليزية يجب ان تستشار بأي عمل يمكن ان يجري على اي شاطىء من شواطئها » · واضاف عن الليطاني وحده « اما الليطاني فلم نكن نقدر أن نمنحكم الامتياز فيه لان مرافق هذا النهر هي ضرورية للاراضي التي يمر بها · ومع ذلك فمن صالحنا ان نسمح لكم باستخدام القوى الانكليزية التي قد تستحصل من هذا النهر » ·

وطرح مندوب « الشعب » سؤالا ثانيا من شأنه ، مع السؤال الاول ، ان يفسر تماما ما يحصل اليوم ، أي بعد ٥٦ سنة من تاريخ صدور هذا الحديث ـ الافتتاحية · السؤال هو : « هل الحكومة الافرنسية مستعدة لاجراء التسهيلات اذا اراد اليهود استعمار الاراضي الواقعة شمالي حدود فلسطين » ؟ وأجاب المفوض السامي الفرنسي : « كلا ، لا اقول اننا نساعد مثل هذا الاستعمار ، اننا كمحافظين على سورية الجديدة لا يمكن ان نسمح باسكان شعبكم في أرض تتمنون التوطن فيها · انما لا يمكننا ان نمنع اليهود من دخول سورية افراديا » ·

وعاد الصحافي يطرح سؤاله الاساسي الشامل على الوجه التالي : ما هو فكركم الذاتي بشأن مطالبنا الوطنية اليهودية ؟

أما جواب دهكه فكان مزيجا من الدبلوماسية والحقائق الناقصة التي اشتهر دبلوماسيو الغرب بالنطق بها رغم تعاطفهم مع الحركة الصهيونية · قال دهكه : « انا ممن يعطفون شخصيا على الصهيونية وارى ان الخبرة والتجربة هي مفيدة للغاية ولكن لا ينبغي ان تستاؤوا اذا نظرت الى الاشياء بغير نظركم · انتم أخذون في ايجاد أمر لم يفكر فيه احد قبل الان · بعد نحو الفي سنة تريدون ان تعودوا الى بلاد تركتموها من قبل بين أيدي الفاتحين · فلا تظنوا ان الذين يقيمون فيها الان يستقبلونكم بالترحيب · انا درست هذه المسألة بدقة واني لاشك في امكان حل المسألة اليهودية بواسطة الحركة الوطنية اليهودية بل لاخشى ازدياد العداء ضد اليهود في بعض الاماكن » ·

وفي العدد نفسه بدأ الصهيوني الشهير الياس ساسون يراسل « العالم الاسرائيلي » من دمشق حيث عرب حديث جريدة هآريتس عدد ٦٤١ « مع ريموند بوانكاريه رئيس جمهورية فرنسا سابقا واحد اركان سياستها اليوم » ·

وبدءا من العدد الثالث ، كرست « العالم الاسرائيلي » منبرا اعلاميا في بيروت ينطق

مداورة بلسان الحركة الصهيونية · وقد استمر كذلك على طول الاعداد التسعين التي تسنى لنا الاطلاع عليها · ويمكن القول انه لم يطرأ اي تغيير على « العالم الاسرائيلي » طوال هذه الفترة سوى ان بدل الاشتراك فيها قد خفض من ٣٠٠ غ·س· أو ٦٠ فرنك في الخارج الى ٢٥٠ غ·ش· او ٥٠ فرنك بدءا من العدد ٥٢ ·

أما كيف تحولت « العالم الاسرائيلي » من مجلة « أدبية » حسب رخصتها ، الى جريدة سياسية صهيونية من غير اي تدخل من الرقابة ؟ فالجواب في غاية البساطة : صدرت « العالم الاسرائيلي » بعد عام من سقوط الحكم الفيصلي في دمشق ، وبعد عامين من سقوطه في بيروت ، تحت وطأة الدبابات الافرنسية بقيادة الجنرال غورو · ومنذ انزال العلم العربي عن سرايا بعبدا ، والرقابة الصحافية الافرنسية تحصي أنفاس كل صحيفة وطنية وكل قلم وطني يخط كلمة فيها · ولعل جريدة « الحقيقة » التي كانت تعتبر جريدة الحركة الوطنية في بيروت عهد ذاك ، قد نالت حصة الاسد من مضايقات الرقيب · ويستدل من النسخ المراقبة ـ وقد احتفظ بها صاحبها كمال عباس ـ ان الرقابة الافرنسية كانت تمنع نشر اي شيء يمس الحركة الصهيونية ومخططاتها واعمالها في المنطقة · وخير مثال على ذلك افتتاحيتان كتبهما أنيس الخوري المقدسي حول الحركة الصهيونية ، وقد حذفهما الرقيب كليا · كانت الافتتاحية الاولى تحمل عنوان « الصهيونية : اساسها الواهي ، غايتها ، الصهيونية لا تتحقق ، كيف يجب مقاومتها » ومما قاله المقدسي في افتتاحيته المراقبة : « يجب الاتحاد التام بين جميع الطوائف لمقاومة هذه الحركة الاجنبية بالمال والعلم والقوة ان احتجنا لذلك ، ولا شك ان مواطنينا اليهود يساعدوننا على ذلك » · (الحقيقة ـ ٢٥ شباط ١٩١٩ ـ العدد ١٠٤٠) ·

في العدد ١٠٤١ الصادر في ٢٦ شباط ١٩١٩ ، حذف الرقيب الافتتاحية الثانية التي كتبها المقدسي بعنوان « بين مالطة والصهيونيين » وقال فيها : « لا تعجب ايها القارىء من هذا العنوان الغريب فانك اذا تذكرت المثل العامي الذي يقول « اذا وقعت البقرة كثر الذباحون » زال العجب · في كل يوم نسمع اقتراحا جديدا عن مستقبل فلسطين ونحن باهتون لا نبدي حراكا حتى يقوم الغريب ويدافع عنا · فالى متى هذا السكوت ؟ مسكينة فلسطين لا تدري ما يخبىء لها المستقبل » ؟

وعندما تمنع السلطة الفرنسية نشر اية كلمة تنتقد الحركة الصهيونية ، خلافا لما قاله المفوض السامي دمكه ·· فهل من شك في انها سوف ترعى صدور « العالم الاسرائيلي » وانتشارها في كل اقطار العالم العربي حيث كانت فرنسا وبريطانيا يستعمرانه بصورة مباشرة ·

ويبدو ان استمرار صدور هذه الجريدة الصهيونية البيروتية وانتشارها لم يواجها اية عقبة قانونية قبل عام ١٩٣٨ · ففي أواخر هذا العام صدر « مرسوم رقم ٢٤٧٢E C بتوقيف مجلة عن الصدور » وهذا نصه : «·ان رئيس الجمهورية اللبنانية ، بناء على الدستور اللبناني الصادر بتاريخ ٢٣ ايار سنة ١٩٢٦ والمعدل بموجب القانونين الدستوريين الصادرين في ١٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٧ و ٨ ايار سنة ١٩٢٩ ، بناء على القرار رقم ٢٤٦٤ المؤرخ في ٣١ ايار سنة ١٩٢٤ ولا سيما المادة التاسعة منه ، ولما كان صاحب مجلة « العالم الاسرائيلي » قد تعهد بان لا يبحث في مجلته سوى المواضيع العلمية الادبية ، ولما كان بالرغم من هذا التعهد ومن التنبيهات العديدة التي وجهت اليه لا يزال ينشر مقالات سياسية لا تسمح له صفة مجلته العلمية الادبية بالبحث فيها ، بناء

على اقتراح وزير الداخلية ، وبعد استماع رأي مجلس الوزراء ، يرسم ما يأتي : المادة الاولى : توقف مجلة « العالم الاسرائيلي » عن الصدور الى ان تدفع التأمين المالي المنصوص عليه في المادة التاسعة من القرار رقم ٢٤٦٤ المتقدم ذكره · المادة الثانية : ينشر هذا المرسوم ويبلغ حيث تدعو الحاجة الى ذلك · بيروت في ٢١ ت٢ سنة ١٩٣٨ الامضاء اميل اده · صدر عن رئيس الجمهورية ، رئيس مجلس الوزراء الامضاء عبد الله اليافي ، وزير الداخلية : خليل كسيب » · (الجريدة الرسمية اللبنانية ـ عدد ٣٦٣٣ تاريخ ٨ـ٢ـ١٩٣٨ ـ ص ٣٢٣٧) ·

والظاهر ان قرار التوقيف قد صيغ بصورة يفسح لالياهومن ان يستأنف اصدار جريدته حال دفعه « التأمين المالي » وبصرف النظر عن التزامه بصفة مجلته « العلمية الادبية » ! وبالفعل عاد وأصدرها بدليل ان السلطات السورية منعتها من دخول أراضيها بعد ٨ سنوات من تاريخ ايقافها من قبل السلطة اللبنانية · وجاءت حيثيات المنع على الوجه التالي : « بموجب المرسوم رقم ٤٧٩ تاريخ ٤ـ٥ـ٩٤٦ ، تمنع مجلة العالم الاسرائيلي الصادرة في بيروت لصاحبها سليم الياهو المن من دخول البلاد السورية وتصادر اعدادها لنشرها مقالات وانباء تعرضت فيها لموظفي الحكومة السورية ودوائرها الرسمية » · (الجريدة الرسمية السورية العدد ٢٠تاريخ ١٦ـ٥ـ١٩٤٦ـ ص ٧٢٢) ·

ولكن قرار المنع جاء متأخرا جدا ·· وهو صدر بعد خروج الفرنسيين بسنوات ·· ولم تتضمن حيثياته ولو اشارة الى مضمون الجريدة الصهيوني ·· فهل كانت الحكومة السورية تسمح لجريدة « العالم الاسرائيلي » بدخول أراضيها لو لم تتعرض « لموظفي الحكومة السورية ، ودوائرها الرسمية » ؟

مهما يكن من أمر ·· فالقرار اللبناني يؤكد على استمرار « العالم الاسرائيلي » بالدعاوة للحركة الصهيونية حتى اواخر ١٩٣٨ اي زهاء ١٧ سنة ·· فيما يؤكد القرار السوري على ان « العالم الاسرائيلي » استمرت بالصدور ٢٥ سنة على الاقل · وهذا ، بالطبع ، يستعجل طرح السؤال التالي : ماذا عن مضمون « العالم الاسرائيلي » التي يؤكد ناشرها في العدد الاول على انها « اول مجلة اسرائيلية انشئت في بيروت سنة ١٩٢١ مسيحية وسنة ٥٦٨١ موسوية » ؟

لنستعرض الاعداد التسعين الاولى المتوفرة حتى الان من « العالم الاسرائيلي » علنا نظفر بالحد الادنى من الاجابة المطلوبة على السؤال الانف ·

لم تعلن رئاسة التحرير عن صهيونية « العالم الاسرائيلي » ، لاسباب تكتيكية · ولكن ذلك لم يمنعها من تحويل معظم صفحات المجلة الى منبر سافر للدعاوة الصهيونية · واذا كان الياس ساسون هو أبرز المحررين الصهاينة في « العالم الاسرائيلي » ، ان من حيث عدد الدراسات التي كتبها ، او لجهة المستوى والنوعية وما يتناسب معهما من نشر كتاباته في الصفحة الاولى وفي حيز الافتتاحيات ·· فان ما كتبه الياس ساسون يعتبر الاكثر تعبيرا عن « العقيدة » الصهيونية وتحركها العملي ·

تحت باب « اليهودية والصهيونية » كتب الياس ساسون سلسلة دراسات قصيرة وذلك في مطلع عهد المجلة · يطرح الكاتب في الحلقة الاولى الاسئلة الاساسية التالية : « ما هي الصهيونية ؟ آمالها ؟ طرقها ووسائطها » ؟ وقبل ان يجيب على اسئلته يضع مقدمة صغيرة يضمنها اهمية تلك الاسئلة واضطراره الى اعطاء اجوبة مختصرة بسبب ضيق المجال ،

فيقول : « هذه الاسئلة صغيرة المبنى ولكنها كبيرة المعنى يتعين على من يود الجـواب عليها ان يمر على التاريخ الاسرائيلي من يوم خراب بيت المقدس الثاني · وبما ان المجال هنا ضيق ساكتفي بتلخيص الصهيونية ببعض كلمات لا مختلقة مني ، بل مقتبسة من مقالات وكتب زعماء الصهيونية بالامس ، ومن خطب وجرائد اقطابها اليوم » · ثم يجيب ساسون في الحلقة الاولى الصادرة في العدد ٧ تاريخ ١٣ تشرين ١٩٢١ : « ان الصهيونية حركـة قديمة العهد متوطنة في قلب القسم الاكبر من الشعب الاسرائيلي وهي آمال تولدت في هذا القلب الطاهر من يوم انكسار الشعب الاسرائيلي في حرب الرومانيين اي منذ الفي سنة · ولقائل اين كانت مختبئة تلك الحركة الصهيونية بل هذه الروح اليهودية الوطنية مدة الفـي سنة ! وما الباعث على ظهورها الان ؟ اصغ الي ايها القائل واسمع هذه الكلمات المقدسة التي يردد صداها ثلاث مرات في كل يوم ملايين من اليهود منذ الفي سنة حتى اليوم : ربنا الذي في السموات انفخ في بوق كبير روح حريتنا وارفع علما يجمع مشتتينا واجمعنـا سوية من اربع زوايا الارض لارضنا · مبارك انت يا رب الجامع مبددي شعب اسرائيل · أعد قضاتنا كما في الاول ومشيرينا كما في الابتداء ، وأزل عنا الكدر والتنهد ، واملـك علينا عاجلا · انت يا رب وحدك برحمة وعدل وحكم مبارك ، انت يا رب ملك يحب العدالة والحلم » ·

ماذا كان تاثير تلك الصلوات على اليهود اولا وعلى حركتهم الصهيونية فيما بعد ؟ يجيب ساسون في الافتتاحية نفسها انه « في ترديد صلوات كهذه ، عاشت الامة الاسرائيلية مدة من الزمان ليست بوجيزة ، ولكن شروط الحياة العصرية اليوم علمتها انه لا يمكن لامـة تطلب حياة مستقلة ان تعتمد على الصلوات وحدها بل عليها ان تعمل وتجد ، ليس فـي المساجد ، بل في عالم السياسة بين رجال الامم وأركان الدنيا · وهكذا تأسست فـي السنين الاخيرة جمعية مؤلفة من أشخاص عركهم الدهر وحنكهم وعلمهم كيف تكـون الحرية الانسانية الصادقة ، فرفعوا العلم اليهودي ونادوا اخوانهم للانضمام تحت لوائـه بعد ان اثاروا فيهم تلك الروح الهادئة والكامنة في صدورهم · ولم يكد هذا الصوت يرن في آذان سامعيه حتى لباه اليهود من مراقدهم ووثبوا وثبة الاسد ناشدين ضالتهـم : الارض الوطنية والحياة اليهودية الحرة » ·

طبعا « الارض الوطنية » بالنسبة لساسون هي فلسطين ·· وبالتالي فان « الحيـاة اليهودية الحرة » لن تكون الا فيها ! ويقول ساسون ان نداء الحركة الصهيونية قد فعـل فعله بصورة عجائبية في اوساط اليهود « فمنهم من ترك مسكنه وعائلته وأمواله وأعمالـه وأم فلسطين الصحراء ليعمل بما في طاقته في سبيل اعادة شعبه واحيائه حياة وطنيـة حرة ·· ولم تمض اربعون سنة بدون معونة احد ولا مساعدة حكومة حتى شيد في فلسطين المحبوبة أربعين كولونية · أجل ان هذه الجمعية الصغيرة وهذه الكولونيات صيروا مـن العدم وجودا وكونوا حجر الزاوية الاول لحركة الصهيونية اليومالتي رددتصداها امم الدنيا اجمع واعجبت بنجاحها الباهر جميع شعوب الارض لقيام دعاتها بأعمال لم يسبق لغيرهم عملها الا وهي : توحيد الدين والوطنية · »

قبل الوقوف على ابرز ما أورد ساسون في الحلقة الثانية لا بد من الاشارة الى ثـلاث مسائل ملفتة : الاولى ان الاقلام الصهيونية في « العالم الاسرائيلي » لم تكن تطلق عـلى فلسطين اسم « اسرائيل » بل « فلسطين اليهودية » ، وهذا واضح ، ليس فقط مـن خلال كتابات ساسون ، بل من سائر الكتابات التي سوف ترد نماذج عنها في السياق · الثانيـة ان كيبوتزات اليوم كانت تسمى كولونيات اي مستعمرات ، وهي تسمية اكثر انطباقـا

عليها من التسمية الحالية . المسألة الثالثة أنه في الوقت الذي كانت أمم الدنيا بقيادة أحزابها وحركاتها العقائدية متجهة نحو فصل الدين عن الوطنية بصورة كاملة ، كانت الصهيونية تسير بعكس السير من أجل « توحيد الدين والوطنية » على حد تعبير ساسون .

في تلك الفترة برز يهودي يدعى مورغنتو معلنا رفضه لفكرة ان الصهيونية واليهودية هما توأمان لا ينفصلان . فما كان من ساسون الا ان رد عليه بافتتاحية ثانية ضمنها المزيد من شروحاته التي تصب في وحدة الدين اليهودي والحركة الصهيونية السياسية . قال ساسون : « ان الصهيونية ليست الا اليهودية ، وهذه ليست الا الصهيونية . ولم يكد هرسل يرفع العلم الصهيوني وينادي اخوانه للانضمام تحت لوائه حتى تحولت الفكرة الصهيونية أو بالحري اليهودية الى وطنية ، ولبست الامة الاسرائيلية ثوبا جديدا ، ثوبا سياسيا ادهش الاصحاب والاعداء معا » . وأضاف ساسون ملمحا الى مورغنتو « وجد من قال ـ حتى من اليهود ـ هل هذا ممكن ان فكرة بنت يومها ظهرت فجأة تقوى وتنجح رغم الصعوبات والموانع التي تعتري كل أمة تنشد الحياة وتبتدع فكرة سياسية تسيرها في طريق الاستقلال الحيوي ؟ أليس هذا برهان وثيق بان العظام تحيى للمرة الثانية ، وان تكن أصبحت رميما ؟ أوليس الدكتور هرسل مبتدع هذه الفكرة الصهيونية اليوم هو روح موسى كليم الله بالامس ؟ من هنا يتضح للقارىء الكريم ان فكرة « رجوع بني اسرائيل الى ارض اسرائيل » وان تكن فكرة جديدة وغريبة في أعين ناظرها اللايهودي ولكنها قديمة العهد ذو شرش غميق قوي التملك في قلب الامة » . هنا ينتقل ساسون من التلميح على مورغنتو الى التصريح في نهاية افتتاحيته التي نشرها في العدد ١٢ الصادر في ١٧ تشرين الثاني ١٩٢١ : « ان مطامع وآمال الامة اليهودية بالرجوع الى مقتنيات اجدادها ليست دينية فقط ، وان الثوب الذي ألبسته الجمعية الصهيونية لهذه الامة ليس بديني أيضا ، وانما هو تاريخي . رغم ما يزعمه احد المنكرين على الصهيونية حركتها ـ المستر مورغنطو ـ ورغم ما يؤتيه المسيو سيلفان لفي من الوثائق والبراهين ، لان الجمعية الصهيونية بحركتها اليوم لا تنشد الدين (وقد مضى على تشتت الامة اليهودية ألفا سنة لا تزال معتصمة بدينها ولا تستطيع قوة على وجه الارض ان تنزع الدين من رجال الدين) » .

ويقول ساسون لمورغنتو في السطر الاخير لهذه الحلقة : « اما قولك ان الصهيونية واليهودية كلمتان لا يمكن ان يوحدا ، فأرجيء الجواب عليه في مقالتي الثالثة » .

قبل البدء باعادة قراءة الحلقة الثالثة من سلسلة « الصهيونية ـ اليهودية » لا بد من لفت النظر الى ان هدف « العالم الاسرائيلي » وساسون من الاكثار من الكتابات في هذا الموضوع ليس سلبيا بمعنى انه يستهدف دحض آراء مورغنتو او غيره من المفكرين اليهود ـ وغير اليهود ـ الذين رفضوا الصهيونية وخططها السياسية ، بقدر ما هو ايجابي يستهدف اقناع يهود بيروت وسائر مدن العالم العربي بالعقيدة الصهيونية حيث يفترض أنهم يشاركون رأي مورغنتو ازاءها بصرف النظر عما اذا كانوا اطلعوا عليه أم لا . ولتحقيق هدف الاقناع بهذه الحركة السياسية ـ « العقدية » التي تسير بعكس اتجاه سير التاريخ ، كان لا بدلمذيعها ، امثال ساسون ، ان يتوسلوا الدين دعما لفكرتهم ، لما للدين من تأثير فعال على الانسان . ولقد ساعدهم على ذلك كون الحركة الصهيونية تستمد بالفعل روحها وخططها من الاساطير الدينية اليهودية .

يقول الياس ساسون اليهودي الدمشقي الذي أصبح يعرف باسم الياهو ساسون في رده على مورغنتو : « ان الصهيونية مشتقة من كلمة ، صهيون وهو اسم عبراني معناه

« ارض اسرائيل » · الصهيونية مركبة « دينا وحقا » من كل يهودي يعتقد بتاريخه المسطر، ليس على صفحات الكتب فقط ، بل على قلبه ايضا والقائل : « ان ارض اسرائيل لبني اسرائيل ·· ومن كل اسرائيلي يؤمن ان لا بد للشعب اليهودي من الحياة والاستقلال أسوة ببقية الشعوب وعملا بحقوق الاقليات وتطبيقا لوصايا التوراة » ·

ويضيف ساسون في افتتاحية العدد ١٥ الصادر في ٨ كانون الاول ١٩٢١ حول التوراة ودوره الاساسي في مضمون الفكرة الصهيونية : « التوراة كتاب اليهود المقدس ·· مؤكدة ومثبتة ما للشعب الاسرائيلي في صهيون من حقوق الارث ، ومعلنة عن عودتهم ثانية الى ارض الميعاد وعن عودة ملكهم اليها · واليهودي الذي يحق له ان يحمل هذا الاسم (يهودي) عليه ان يقوم بوصايا التوراة شعار اليهودية ، ويفيها حقها ، ان لم يكن من الوجه الديني ، فمن الوجه الوطني ، والا فاليهودية بريئة منه » ·

ومن المقدمات التوراتية يصل ساسون في افتتاحية « العالم الاسرائيلي » الى النتائج الصهيونية كالاتي : « من هنا يتبين للقارىء ان اليهودي الذي يطلب اعادته الى صهيون هو صهيوني ، اراد ام لم يرد ، علم ام لم يعلم ، وان اليهودي الذي ينكر الصهيونية ليس بيهودي لانه ينكر دينه وتوراته وحقوقه · او ينكر الصهيونية لانه لا يدري معنى الصلوات التي يتفوه بها ثلاث مرات في اليوم · ولانه اعتاد على حياة العبودية · ومن هنا يتبين ان اليهودية هي الوجه الديني والصهيونية هي الوجه الوطني ، وليست الوطنية الا ثمرة الدين ، وليست الصهيونية الا ابنة اليهودية او اليهودية نفسها » ·

بعد محاولة اقناع يهود العالم العربي بالحركة الصهيونية ببعديها الايديولوجي والسياسي ·· تنتقل « العالم الاسرائيلي » الى اقناع العرب بالصهيونية · ولكن كيف تستطيع هذه المجلة الصهيونية ان تقنع البيروتي والدمشقي والمصري والبغدادي · وكل من هو غير يهودي وخاصة الفلسطيني بان فلسطين هي أرض ميعاد اليهود او وطن كل يهودي سواء كان يعيش في فلسطين أو أي بلد عربي أو حتى في اي بقعة من العالم ؟

لم يصعب على محرري « العالم الاسرائيلي » الجواب ، اسوة بالخارجية البريطانية حين « اقنعت » الشريف حسين بأن وعد بلفور لا يتناقض والوجود العربي في فلسطين · وهكذا بدأت « العالم الاسرائيلي » بسلسلة افتتاحيات ومقابلات صحافية حاولت فيها اقناع العالم العربي بان خطة الحركة الصهيونية لا تستهدف طرد الفلسطينيين من فلسطين واحلال يهود العالم مكانهم ·· وانما هدفها ان يعيش اليهود والعرب في فلسطين اخوة متضامنين متحابين !

ستار الاتحاد

لنستعرض حلقات « العالم الاسرائيلي » الداعية الى « التفاهم العربي ـ الاسرائيلي » تباعا حسب التسلسل الزمني ·

تحت عنوان « مؤتمر كارلسباد بين اليهود والعرب » كتب الياهومن صاحب المجلة ورئيس تحريرها في الافتتاحية يقول : « لقد اختتم مؤتمر كارلسباد جلساته في التاسع عشر من الشهر المنصرم ، وانه قام بقرارات جليلة لمستقبل شعبنا لا مجال لذكرها جميعها ومنها قرار واحد يفوقها كلها من حيث النتائج الكثيرة الفوائد ونعني به القرار المختص بعلائق اليهود مع عرب فلسطين وهو هذا : ان المؤتمر ليتمنى الاتفاق بين اليهود والعرب، ومن أجل امانيه ان تصبح فلسطين وطنا مشتركا للعنصرين ، وان المؤتمر يكلف المرجع التنفيذي لعقد اتفاق مع العرب على قاعدة تصريح بلفور ، ما دام استعمار اليهود

لفلسطين لا يجحف بصوالح العرب » · ويعلق الياهومن على القرار بايجابية منكرا بانه كان السباق الى الفكرة فيقول : « وكما يشهد لنا قراؤنا اننا كنا دائما نعلـن ضرورة التعاضد الوثيق مع عرب فلسطين ، ولئن كنا بعيدين عن كل رغبة في الادعاء لا يسعنا هنا الا الاشارة الى اصابة رأينا · وكل من له المام في شؤون العرب واحوالهم يدرك ان السياسة الحكيمة الواجب اتباعها في فلسطين لا تقوم الا بهذا الاتحاد النزيه المخلص مع اخواننا المسيحيين والمسلمين على ان يكون متبادلا بين الطرفين » · ويضيف الياهومن بما يكشف عن حقيقة الصراع بين يهود اوروبا « البيض » ويهود الشرق « الملونين » فيؤكد على « ان انتخاب الوسطاء لا يمكن الا ان يكون من يهود الشرق الوطنيين ولا سيما يهود مصر · ولسنا نرغب في ان يحكم حكما سابقا على هؤلاء ، غير اننا نعرف فيهم الكفاءة انهم من أشد اليهود اخلاصا وحمية وغيرة على القضية اليهودية ، فان اختارهم المرجع التنفيذي فنعما والا فعبثا يشتغلون للتوفيق بين اليهود والعرب » · (العالم الاسرائيلي ــ الافتتاحية ــ عدد ١٤ ــ ١ ك١ ١٩٢١) ·

في ١٦ شباط ١٩٢٢ يصدر العدد ٢٥ من « العالم الاسرائيلي » وفيه مقالة « الى بعض الصحافيين » من المحرر الرئيسي الياس ساسون · ومن خلال مضمون « النداء » يستنتج القارىء ان الكاتب يرد على بعض الصحافيين الفلسطينيين والسوريين الذين ينتقدون الحركة الصهيونية ويفضحون اعمالها ومخططاتها في فلسطين · ولكن ساسون بدلا من أن يرد على الانتقاد بلغة سلبية هجومية ، آثر الرد الايجابي المنسجم مع خط « الوفاق العربي اليهودي » الذي تتكتك عليه المجلة · قال ساسون في رده : « لقد وجد القلم ليوجد التفاهم بين الناس ، لا ليوغر الصدور ويثير الاحقاد ويلقي الفساد · ولكن ، يا للاسف ان في قاموس بعض رجال الصحف السورية والفلسطينية سلاح يقاتلون به الشعب الاسرائيلي ، سلاح التعصب الذميم والعياذ بالله · ان القلم وحده لا يجعل المرء كاتبا ما لم يكن الكاتب ذا نفس صالحة مستقيمة · انت أدرى ايها الشعب العربي بحالة أخيك الشعب الاسرائيلي فدع هذه الصحف وشأنها وادخل معي باب التفاهم والسلام على من اتبع الهدى » ·

وفي ٢٧ نيسان ١٩٢٢ نشرت « العالم الاسرائيلي » ما يمكن ربطه بتوصية الياهو من على ان يكون مهندسو « الوفاق العربي ــ اليهودي » من يهود الشرق ومن مصر بالذات : فقد طالع القراء في العدد ٣٣ من المجلة الصهيونية الناطقة باللغة العربية « نداء الى أهالي فلسطين من الحركة الماسونية في مصر » · ويقول النداء « يا أهل فلسطين تذكروا ان اليهود اخوتكم وابناء عمومتكم قد ركبوا متن الغربة فأفلحوا ونجحوا ، ثم هم اليوم يطمحون للرجوع اليكم لفائدة وعظمة الوطن المشترك العام بما احرزوه من مال وما اكتسبوه من خبرة وعرفان · ان العربي والعبري صنوان من شجرة ابراهيم ، أبوهما اسحق واسماعيل ، فمتى وضع أحدهما يده في يد الاخر انتفعا جميعا بما لديهما من الوسائل المختلفة وكان في تعاونهما تمام وكمال البركة باذن الله » ·

ويضيف الماسونيون المصريون في ندائهم الذي لا بد أن يكون يهود مصر قد شاركوا في صياغته : « اسمعوا وعوا هذا الصوت الذي تناشدكم به مصر شقيقتكم الكبرى ، انها تدعوكم الى السلام والوئام لصلحتكم ولمصلحة الشرق وهي فوق كل مصلحة · اسمعوا هذا الصوت الذي يدعوكم الى الحكمة وسبيل الرشاد ، هذا الصوت المنبعث عن ارض تفاخر وتباهي بصلاح الدين ، ذلك الملك الجليل الذي اعجب به العالم طرا بما كان له من تسامح لا زال كوكبه الوضاح في جبين الشرق والغرب » · وتجدر الاشارة هنا الى ان الماسونيين العرب ظلوا ينشطون بما يخدم هدف الصهيونية منذ صدور هذا النداء ، بل

وقبله ، حتى العام ١٩٧٧ حيث صدر عن العرب ما يحذر من الماسونية والماسونيين في دنيا العرب ٠

وباعتبار ان عملية اقناع الفلسطينيين وسائر ابناء العالم العربي هي أصعب واجدى العمليات التي كانت الحركة الصهيونية بصدد تنفيذها في تلك المرحلة ٠٠ فقد توالت الافتتاحيات والتعليقات التي تصب في هذا الاتجاه ٠ فمثلا ، صدرت افتتاحية « العالم الاسرائيلي » العدد ٥٦ الصادر في ٥ تشرين الاول ١٩٢٢ وهي تحمل هذا العنوان المثير : « الاسرائيليون والعرب ووجوب اتفاقهم » ٠ وتتضمن هذه الافتتاحية مقدمة طويلة تمهد لبيت القصيد الذي هو اتفاق اليهود والعرب في فلسطين ٠ يقول الياهو من في مقدمة افتتاحيته ان « زعماء الشعب الاسرائيلي » قد وجدوا اثناء حرب الـ ١٤ الفرصة سانحة « للمطالبة بالاراضي المقدسة التي هي ارض ابائنا واجدادنا لا سيما ونحن من جملة الشعوب المظلومة المسلوبة حريتها » ٠ ويضيف ان مطلب زعماء الحركة الصهيونية قد لاقى قبولا لدى بريطانيا وحلفائها ، فكان وعد بلفور « الذي عرفه الخاص والعام » ٠ عند ذلك ، يقول الياهو من ، « تهجم كل واحد على اليهود وعلى الصهيونيين بكل الطرق الغير المشروعة ٠ فرموهم بكل سيئة ، واسندوا الى ذلك الشعب كل نقيصة ، وانكروا عليه فلسطين اصلا » ٠ ويتساءل صاحب « العالم الاسرائيلي » بمرارة : « افيدونا اخبرونا فقد عيل صبرنا ؟ اتنكرون اننا من فلسطين اصلا وفلسطين وطننا ، ولنا فيه تاريخ مجيد ؟ اتقولون بانه يجب ان نباد ونحن شعب لنا الحق في الحياة تحت القبة الزرقاء كما هو شان كل الشعوب على وجه البسيطة » ؟ ويتابع الياهو من كلامه ردا سلفا على الذين يتهمون الحركة الصهيونية بانها تخطط وتعمل لاجل ابادة الشعب الفلسطيني الذي له ايضا « الحق في الحياة تحت القبة الزرقاء كما هو شان الشعوب على وجه البسيطة » ، فيقول : « رويدكم ايها النافخون في النار لغاياتكم الشخصية ومنفعتكم الذاتية. مهلا ايها المتهجمون على الصهيونيين والذين تشيعون الاباطيل تضليلا للشعوب العربية وتتهموننا بالاعتداء على الاماكن المقدسة وانتهاكنا حرمة الدين وتزرعون بذور الشقاق والتفريق والبغض بين ابناء الوطن الواحد ، كل ذلك لتخدموا مصالحكم الشخصية ومآربكم الاشعبية ٠ فان عقلاء العرب وقادة الرأي العام في الامة العربية هم اكبر من ان يصدقوا اقوالكم ويسمعوا كلامكم ٠ فنحن ابناء الامة الاسرائيلية نحب ونرغب من كل قلوبنا ان نعيش مع كل ابناء فلسطين من مسلمين ومسيحيين وغيرهم بسلام ومحبة واخاء كل في عبادته وديانته لا يضر احد أخاه ٠ نحب ان نعيش كابناء عائلة واحدة في بيت واحد نعمل جميعنا لاحيائه وانهاضه بروح الاخاء وروح الاخلاص وروح المحبة فلتحيا الامة العربية ٠٠ ولتحيا الامة الاسرائيلية ٠٠ ولتحيا بلادنا الفلسطينية » ٠

ويبدو أن حملة الحركة الصهيونية لاقناع الفلسطينيين ، عبر « العالم الاسرائيلي » وغيرها من الصحف الصهيونية التي كانت تصدر في بعض العواصم العربية ، قد بدأت تعطي ثمارها ٠ كيف لا ورئيس « الجمعية الاسلامية الوطنية في حيفا » يخطب في مأدبة يكون أبرز الحاضرين فيهاالدكتور وايزمن نفسه ! وسرعان ما تنشر « العالم الاسرائيلي » مقالا اخباريا ليعقوب يهوشع من القدس تحت عنوان « صباح الاتحاد » في العدد ٧١ الصادر في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٣ ٠

يقول يهوشع بلغة حماسية فرحة : « ابتدانا نرى في افق فلسطين الدامس بعض خطوط لامعة تبشرنا ببلوج انهار (انهار الاتحاد) ٠ لقد بتنا نحن سكان فلسطين مدة طويلة من الزمان متنافرين متباعدين/ بعضا عن البعض الاخر متباغضين متشاكسين ، وهذا لا

شك قد عاد علينا وعلى وطننا بالخسائر الفادحة » • بعد هذه المقدمة القصيرة يدخل يهوشع في صلب الموضوع بقوله : « طالعت الخطبة التي ألقاها رئيس الجمعية الاسلامية الوطنية في حيفا في مأدبة حضرها زعيم الحركة الصهيونية الدكتور وايزمن ، فانشرح فؤادي وقرت عيني سرورا لقراءتي تلك السطور الذهبية التي تعلن بزوغ شمس السعادة والهناء ، شمس الاتحاد والتضمان في كل ارجاء وانحاء فلسطين » • ويستشهد يهوشع بما قاله « زعيمنا المحبوب الدكتور وايزمن ان يوم الاتحاد قريب ، وبعد زمان قصير يظهر الاتحاد بيننا وبين اخواننا العرب » • ويؤكد يهوشع ان مثل هذا الكلام ردده وايزمن في المأدبة حين قال بان « اليهود هم طلاب الاتحاد ، واتيقن بان الاتحاد التام سيأتي اليوم او غدا ، وانني لاغتنم هذه الفرصة لاجابة الذين يزعمون بان اليهود يريدون ان يبنوا بيوتهم القومية على ظهور غيرهم بان قولهم هذا عار عن الصحة • ولدى الكثير من الادلة والبراهين على صحة ذلك » • ومن البراهين والادلة التي نقلها يهوشع عن وايزمن « انه منذ اليوم الذي اعلنت فيه الهدنة قد بذل اليهود في ارض فلسطين ثماني ملايين ليرة انكليزية ، ولا يزال حتى اليوم يبذلون في كل سنة للمؤونة والاجار وغيرها اكثر من مليوني ليرة » •

ويقفل يعقوب يهوشع مقاله الاخباري بهذه الجملة التفاؤلية التي اثبتت الايام عكس مضمونها تماما : « ان الله سبحانه وتعالى قد استجاب دعاءنا بتسليط الاتحاد بين الشعبين الشقيقين ، وها ان اليوم نبتدي ان نرى بعض خطوط لامعة في أفق فلسطين المتلبد بالغيوم الكثيفة ونأمل بان الخطوط ستصبح شمس الاتحاد والهناء متمثلين بقول الشاعر العربي الذي قال :

واذا رأيت من الهلال نموه	ايقنت ان سيصير بدرا كاملا

ومن القدس الى اليابان • فها هو الصهيوني رفائيل مويال يكتب « رسالة اليابان » من مدينة يوكوهاما فيقول في العدد ٧٣ الصادر في ١ شباط ١٩٢٣ : « مهما نادى الغلمان في الشوارع : معركة بين اليهود والعرب في القدس لينفقوا جرائدهم ، فلا تبالوا بندائهم •• بل دعوا التقادير تجري في اعنتها » • يضيف مويال بلغة المفرد المخاطب : « انبذ التعصب ايها الاسرائيلي •• وابتعد عنه ايها المسلم •• وتجنبه ايها المسيحي » • ثم يخاطب الجميع بالجملة : « اقتربوا جميعكم من بعضكم بعضا وسيروا سوية على طريق الديمقراطية وانسوا هذه الكلمات : لماذا ؟ ولم ؟ واين ؟ ومتى ؟ » ويعلل روفائيل مويال طلبه في ختام مقاله الذي عربته له الادارة عن الانكليزية : « ما أنتم الا اخوان يجب ان تعيشوا وتعلموا بمحبة واخلاص ومودة وأخوة لخير فلسطين وسوريا ولبنان »•

وتحت عنوان « تعالوا الى كلمة سواء أو الى الاتحاد ايها الشعب » يكتب يعقوب يهوشع مرة اخرى عن هذا الموضوع الذي يبدو ان ضعف الحركة الصهيونية ، خاصة في فلسطين ، هو الذي اضطرها الى الاكثار في خوضه • قال يهوشع فيما يعتبر ردا غير مباشر على أحد الصحافيين اللبنانيين • « ان الاتحاد مع اخواننا العرب في فلسطين مبدأنا وغايتنا الوحيدة فتعالوا ايها الاخوان نتفاهم معا • لي مدة وانا أطالع جريدة « المقطم » وقد رأيت فيها المقالات المدبجة عن حالة الحركة الصهيونية ، فقلت في نفسي : ماذا تكون نتائج هذه المسابقة والمنازعة الكتابية فأجدر بكتابنا وعلمائنا ان يوقفوا يراعهم لخدمة اتحاد الاخوين الشقيقين » • ويردد يهوشع بعض العبارات التي وردت في مقاله الصحافي اللبناني : « ليس لكم وطن ! ولا تؤلفون أمة ! ولكم عشرون قرنا تشتغلون من أجل فلسطين،

فحقوقكم تشابه حقوق العرب في الاندلس او حقوق الرومان في العالم » · يقول تعليقا على العبارات اللاصهيونية : « حينما أسمع أو أقرأ مثل هذه اللهجات اصرخ متألما يا رب : أخلق الله شعبا بلا وطن ؟ فاسمعوا ايها الاخوان الاعزاء : اتينا الى فلسطين وغايتنا المنشودة والوحيدة معا ترقية البلاد بالمعنى الاقتصادي والعلمي · فلكي نستطيع ان نحقق مبادئنا هذه الحقة طلبنا ونطلب وسنطلب دائما الاتحاد مع اخواننا العرب في فلسطين، لاننا من الذين يدركون ويعلمون علم اليقين بأن الاتحاد ضروري وهو السعادة الابديـة لنا ولكم ولوطننا فلسطين · فالى الاتحاد ايها الاخوان » · (العالم الاسرائيلي ـ يعقوب يهوشع ـ العدد ٨٦ ـ ١٠ ايار ١٩٢٢) ·

بعد أسبوعين صدرت المجلة وفي صدر صفحتها الاولى افتتاحية بعنوان « تعالوا نتفاهم » ومضمونها بلا شك من وحي مقال يهوشع ومن ضمن سلسلة المقالات التكتيكية التي يوحي ظاهرها وكأن الصهاينة يرغبون من اعماقهم بالتقرب من العرب ، في حين يقف هؤلاء ، وخاصة صحافيوهم المواقف السلبية · يستهل الياهو من قائلا : « تعالـوا نتفاهم وأنا الضمين لكم بالنجاح · تعالوا بنا الى كلمة سواء · انها كلمة رددتها « العالم الاسرائيلي » وترددها الصحافة الضاربة على أوتار الوطنية الصحيحة · انها لقبلة البلاد الفلسطينية ومتوجه افكار ابنائها الحقيقيين الذين يشاركون العربي منهم والصهيوني في الامور النافعة · انها لراية يمشي في ظلالها المسلم الى جانب المسيحي والموسوي فيصافح الشقيق منهم الاخر في رياض المحبة والوداد الصافي » · ومن لغة الادب والعواطـف ينتقل صاحب المجلة الى لغة التاريخ وعبره فيقول في العدد ٨٨ الصادر في ٢٤ ايـار ١٩٢٢ : « بل تعالوا الى التاريخ · انه لافضل استاذ يلقي علينا من على منابر الشعوب المختلفة مواعظ ودروسا لو تدبرناها ورجعنا الى الاتحاد والتضامن ونبذنا التنافـر والتقاطع ، علة شقائنا وأصل انحطاطنا · أليس في فرنسا وانكلترا واميركا يهود ونصارى واسلام ؟ فلما لا يقوم التباغض عند هؤلاء مقام التحاب ، ويحل الشقاق محل الوفاق ؟ أليس لانهم قرأوا تواريخ الامم وعلموا ان الدماء التي اريقت على مذابـح الطائفية ، لحمتها الجهل وسداها التعصب ؟ » ويضيف مختتما الافتتاحية : « اذا كان ذلك كذلك فلماذا لا ندرس التاريخ ؟ ارشدوا النافخين في ابواق التعصبالى هذه المدرسة واتحدوا يهودا ونصارى واسلاما في الوطن اتحادا صميما اكيدا لتنالوا الراحة السياسية والدينية والنفوذ والغنى برواج الزراعة والتجارة والصناعة والعلوم والمعارف الى غير ذلك من الفوائد التي لا يعرفها الا من تلقى دروسه الشعبية في مدرسة العالم الكبرى من على منبر الشعوب المختلفة في مدرسة التاريخ · فتعالوا نتفاهم ! »

ردود ·· وردود مضادة

والسؤال الان : من هو الصحافي اللبناني الذي كتب في «المقطم» منتقدا الصهيونية مما دفع بيهوشع الى الرد عليه تلميحا ؟ ان الاجابة على السؤال سوف تكون مدخـلا لمسألة اساسية اخرى لا بد لقارىء « العالم الاسرائيلي » ان يلحظها في هذه المجلـة الصهيونية البيروتية ، وهي : « الاقلام اللبنانية في العالم الاسرائيلي » ·

ان الصحافي اللبناني المشار اليه هو جبران تويني الذي كان يراسل « المقطم » اثـر انتقاله من مصر الى بيروت عبر فلسطين · كان تويني يكتب في المقطم تحت عنوان دائم هو « رسائل مسافر » · وبالفعل فانه كتب في الرسالة الثانية يقول بما حرفيته : « يدعي الصهيونيون ان فلسطين كانت لهم في ما مضى وهم يريدون العودة اليها الان · فهذا الادعاء لا يستقر على أساس تاريخي صحيح ··· فهم ليسوا أصحاب فلسطين وليسوا

بسكانها الاصليين ، بل هم قوم حلوا في هذا البلد بالسيف كما هبط العرب بلاد الاندلس ففتحوها بالسيف ثم خرجوا منها كذلك · فهل اذا ادعى العرب انهم اصحاب الاندلس كانوا على حق وصواب » ؟ ويضيف جبران تويني في « المقطم » العدد الصادر في ٢٠ نيسان ١٩٢٣ « كيف نفسر حركتهم الصهيونية سوى انها حركة سياسية ترمي الى تأسيس دولة دينية في القرن العشرين · في القرن الذي تقوم فيه الدول على أساس القوميات لا على أساس الاديان : ان هذا الاستعمار مخجل في عصر تسير فيه الانسانية الى حياة جديدة · وعسى أن يقتنع الصهيونيون بعد فشل تجربتهم ان قوة الحق فوق كل قوة وان للعمران سننا يتمشى عليها ، فمن شذ عنها اصيب بالفشل وباء بالخسران » ·

هذا الكلام كان قد اثار الياس ساسون قبل يعقوب يهوشع وجعله يرد على تويني بالتصريح لا بالتلميح ، وباسلوب حواري دراماتيكي · يستهل ساسون رده بقوله انه ما ان فرغ من تدبيج مقال لصحيفة اميركية بضرورة توحيد « الطوائف السورية الاسرائيلية » حتى طرق باب غرفته « طرقا عنيفا متواليا وصوت يصرخ من الخارج بربك افتح ! فبادرت بفتح الباب لارى ما الخبر ، فدخل علي رجل او بكلمة اخرى شاب من ابناء الطائفة الاسرائيلية البيروتية وبيده جريدة المقطم عدد ١٠٣٧٤ فطرحها امامي على المنضدة وقال بصوت يرتجف : بربك اقرأ ماذا يقول جبران التويني ·· ان لمن العار والشنار علينا ان نمر بالصمت على ما خطته أنامل هذا الكاتب ·· فقرات » · بعد القراءة سأل ساسون زائره عما يطلبه منه فأجابه: « أطلب الرد على ادعاء جبران التويني واظهار الحق لكل اذن تسمع وعين تنظر وأظنك لا تبخل علي بهذا الطلب » · وعلق ساسون على جواب الشاب الاسرائيلي البيروتي متسائلا : « ولكن لماذا اتيت لي ، ولم تطلب الرد مني ، وعندك بين رجال طائفتك أبطال مثل الدكتور سليمان تاجر والاستاذ سليم فندي هراري ، الاول حاخامباشي الطائفة والثاني من رجال الحقوق المشهورين وكلاهما من الرجال الذين اشتهروا بتمسكهم باسرائيليتهم وبالدفاع عن حقوقها · » وأضاف ساسون وهو يحاضر ويعظ الشاب الذي يبدو انه ابدى له صعوبة في مقابلة الرجلين ، فيقول له : « ان من يجاهد في قضية وطنية ، ومن يدافع عن شرف طائفته بل عن حقوق امته لا يصعب عليه المثول بين ايدي كائن من كان وخصوصا بين أيدي امثال هذين البطلين الصنديدين اللذين يضحيان كل مرتخص وغال في سبيل شرف طائفتهما واعلاء شأن امتهما خصوصا والرد الذي تطلبه هو فرض يتعين على كل اسرائيلي الهبوب من عرينه الى القيام به فكيف لا وجبران افندي بمقاله ينكر علنا ، وفي أعمدة ارفع جريدة عربية شرقية ، ما للأمة اليهودية من الحقوق والاثار والسلطة في فلسطين بلاد شعب اسرائيل وارض الميعاد » · ويقفل ساسون رده المنشور في العدد ٨٤ الصادر في ٢٦ نيسان ١٩٣٢ بقوله : « امسك قلمي في هذه المرة عن الرد على جبران افندي لافسح المجال لغيري ، فلكل رجل منا دوره في الحياة ، الى الميدان ايها الابطال » ·

قرأ جبران تويني رد ساسون ، فكتب في رسالته الخامسة المنشورة في « المقطم » العدد الصادر في ٣١ مايو ١٩٢٣ يقول : « قد أثارت المقالة التي كتبتها في المقطم عن فشل الصهيونية ثائرة الصهيونيين في دمشق فكتب في جريدة « العالم الاسرائيلي » كتابا الى الحاخاميين يطلب فيه منهم ادحاض اقوالي بهذا الصدد · فانا انتظر هذه الاجوبة لافند ما سيرد فيها من الحجج » · ويبدو ان الحاخاميين لم يستجيبوا لطلب ساسون ، وربما يكون يعقوب يهوشع قد اخذ مكانهم ورد مداورة على تويني · ذلك ان الاعداد التي تلت ، لم تتضمن اي رد على تويني باستثناء مقال يهوشع ·

لعل من اسباب عدم فتح معركة مع صحافي مسيحي لبناني اسوة بالمعارك التي تخوضها

« العالم الاسرائيلي » مع صحافيين سوريين وفلسطينيين وخاصة صاحب جريدة فلسطين ·· أن الحركة الصهيونية كانت تطمح في استقطاب زملاء جبران تويني في بيروت وذلك بتجنب نشر اي كلام يمكن ان ينفرهم · ولكن على الرغم من كل ذلك فالمجلة بشكل عام لم تتوقف في استكتاب عدد ملحوظ من غير الكتبة الصهاينة · بل انها في الواقع ، وخلال التسعين عدد الاولى ، لم يتسن لها سوى استقطاب كاتب مسيحي لبناني واحد اسمه جرجي نعمة الله الكفوري · ومع انه كتب اكثر من مرة في « العالم الاسرائيلي » ، فهو لم يكتب سوى مرة واحدة عن الحركة الصهيونية وبايجابية طبعا · يقول الكفوري تحت عنوان « الى الصهيونية » في العدد ٢٤ الصادر في ٩ شباط ١٩٢٢ مخاطبا الياهو من : « يا صاحب « العالم الاسرائيلي » كلما طالعت عددا من اعداد جريدتكم الغراء اقف به على بعض مقالات لفتيان الادب من الامة الصهيونية يحثون بها اخوانهم على النهوض والتقدم آملين بذلك ان يعيدوا مجد الصهيونية الغابر الذي شيده جدودهم على دعائم من الدم ··· فجميل بكم يا فتيان الصهيونية وأدباءها ان تنهضوا لمناصرة بعضكم بعضا وان تتشبهوا بمن تقدمكم من بقية الملل وانتم لا تفرقون عنهم بشيء · فاذا طلبتم ، فحقوقكم تطلبون · واذا نهضتم فالى العلى تنهضون · فما عليكم اذا الا ان تجمعوا آراءكم وتتقدموا الى الامام ، فان طرق الفلاح قد سهلت امامكم وتمثلوا بقول الشاعر :

اذا سهل الطريق امام ماش   فليس يصده الا القصور »

ويختتم الكفوري مقالته بالعبارة التالية : « وانا الكاتب المسيحي اللبناني امد اليكم يد المصافحة واشاركم في كتاباتكم وان يكن ذلك لا يعنيني ، انما واجب الوطنية الخالصة يدفعني الى ذلك » · وقد وفى الكفوري بوعده · وها هو ينشر قصيدة « بين لبنان وفرنسا » في العدد ٥٢ الصادر في ٧ ايلول ١٩٢٢ · وفي العدد ١٨ الصادر في ٢٩ كانون الاول ١٩٢١ ينشر قصيدة « مناجاة الوطن » حيث يناجي فيها وطنه لبنان ·

في تلك الفترة ، كان جرجي نقولا باز في طليعة الادباء الملتزمين للقضية القومية وللقضايا الاجتماعية حيث ابرزها لديه قضية تحرير المرأة وتعليمها · ولعل كتاباته في جريدة « الحقيقة »البيروتية عن الوحدة السورية التي تشمل جبل لبنان خير مثال على ذلك · ويبدو ان رئاسة تحرير المجلة قد طلبت اليه ان يكتب في « العالم الاسرائيلي » ، فلبى دعوتها وكتب مقالا واحدا تحت عنوان « شالوم » · ومن المؤكد ان الياهو من قد نشر مقالة باز مرغما وخجلا ، نظرا لمضمونها الذي يرفض بكياسة الدولة الصهيونية في فلسطين ، فيما يدعو اليهود الى الاشتراك في ورشة الدولة السورية الديمقراطية التي يجب ان يتساوى فيها كل انسان بصرف النظر عن الدين الذي ينتمي اليه او الكيان الذي يعيش فيه · ولنقرأ المقال بحرفيته والمنشور في العدد ١٩ تاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٢٢ ·

«أحييكم اخواني في صحيفتكم تحية اخ يرى لكم ما لملته في البلاد من الحق ، وعليكم ما عليها من الواجبات ، ناظرا اليكم نظرة الى كل الملل السورية على السواء ، عالما بما عندكم من المحاسن والمساوىء علمه بما عند الكل ، عارفا ان لا نجاحا لبلادنا ولا مجدا الا بالاستزادة التامة من مواهب ابنائها كافة على اختلاف مذاهبهم · وأسألكم علنا في هذه الصحيفة سؤال مواطن يتمنى خير سورية راجيا بلوغ الخير اذا ساعده الحظ بتجمع كلمة السوريين وطنيا انسانيا بلا فرق ولا تمييز بين الافراد والمجموع وبين الاديان والطوائف الا بالاستعداد والاهلية ، سائلا اياكم اثبات وجودكم في السياسة الوطنية والعمل على كلما فيه صالح البلاد أسوة بغيركم من مللها ·· ودا لو تتوسعون بجامعتكم الملية داخلين بها في الجامعة الامية ــ نسبة الى الامة ــ خدمة لكم ولسائر الملل ·

« زرت فلسطين حاجا من نحو ثلاثة اعوام ، وما زلت اذكر الى اليوم تأثري من سمع التأسف على مجد اسرائيل ومرأى البكاء على هيكل سليمان ، وما الطف رنة السلام في جبال اورشليم وشاطىء طبريا وساحل بحر الروم وتموج الهواء بها اخذا من افواه افئدة الشبان والصبايا : شالوم · ان في سلامكم وتأسفكم وبكائكم عاطفة حمية اذا وجهتموها نحو صالح الامة العام استفدتم وافدتم كثيرا جدا » ·

ونشرت « العالم الاسرائيلي » خلاصة للمحاضرة التي القاها الشاعر الزجلي حليم دموس في « النادي الادبي الاسرائيلي » كان موضوع المحاضرة « في المرأة وواجباتها الاجتماعية » · ويبدو ان الشاعر دموس اراد ان يدغدغ عواطف سامعيه حين استهل محاضرته بهذا البيت من الشعر : قل لمن ظن عهدها لن يعودا سيظل (القديم) عهدا (جديدا) · ولكن باقي محاضرته التي نشرتها له « العالم الاسرائيلي » في العدد ٧٦ لم يخرج عن اطار موضوعه الذي لا علاقة له بالحركة الصهيونية لا من قريب ولا من بعيد ·

وفي العدد ٨١ تاريخ ٢٩ اذار ١٩٢٣ نشرت المجلة بيان « جمعية لبنان الفتى » الذي يحمل توقيع « السكرتير العام حبيب جاماتي » · ويتضمن البيان خبر انتخاب هيئة الجمعية مع كلمة عن نشاطها في سبيل لبنان · وهذا البيان نشره في الوقت نفسه ، في جميع الصحف الصادرة انذاك ·

اما العدد ٧١ الصادر في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٣ ، فقد نشر تعليقا بعنوان « العلم الاسرائيلي في البرق » انطلاقا من سياسة المجلة الصهيونية في تجنب كل رد عنيف على اي حامل قلم مسيحي لبناني مهما قسى نقده · ويبدو ان الاخطل الصغير قد انتقد رئاسة تحرير « العالم الاسرائيلي » لاحتفالها بمناسبة شخصية تتعلق بهربرت صموئيل اول مندوب سامي بريطاني على فلسطين · ردت المجلة بقولها ان لها « الشرف ان تنتقدها البرق الجريدة اليومية الواسعة الانتشار الممتازة بأدب صاحبها الجم وبعد نظره في وضع ملحوظاته بقالب من الانتقاد لا يشوبه ما يشوب بعض الجرائدية الذين لا يحفظون أدب النقد الصحيح » · وبعد ان وافقت « العالم الاسرائيلي » البرق « ان عرس السر هربرت صموئيل الفضي مسالة شخصية بحتة لا تتجاوز دائرة الاصدقاء الحميمين » تساءلت عن سبب لومها « والمسالة عائلية بحتة اذا نحن هنأنا رجلا من سبطنا له مقامه السامي في قلوبنا » · ويبدو ايضا ان الذي جعل الاخطل الصغير ينتقد اشتراك يهود بيروت بحفلة صموئيل الشخصية ، كونه قد وجد هؤلاء فاترين في حبهم للبنان الكبير الذي كان صاحب البرق متحمسا لولادته الطازجة · رد الياهو من في العدد ١ تاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٢٣ بقوله : « يمينا لم يكن للعالم الاسرائيلي عندما علقت على الخبر ما خالج الرصيفة من امكان وجود فتور في المحبة التي تربطنا نحن المقيمين في لبنان الكبير بأبناء لبنان الكبير وقد نالنا في عهدهم ما نالنا من المكانة والراحة اللتين لم يكن لنا عهد بهما لبعض سنوات خلت · ولكن ماذا يمنع الرصيف اذا هو هنأ رئيسه الديني في عيده او مواطنه النابغ في اميركا لنبوغه واظهر له شعوره » · وهنا وقعت « العالم الاسرائيلي » في التناقض ، اذ هي حاولت اكثر من مرة ، في اعداد اخرى ، ان تؤكد بأن هربرت صموئيل غير منحاز لليهود لكونه يهوديا ، اذ انه يحكم فلسطين كمواطن بريطاني انتدبته حكومته لهذه المهمة ·

وقائع الحرب بين جريدة « فلسطين » و« العالم الاسرائيلي » ·

يبقى من « مجموعة » الاقلام اللبنانية في العالم الاسرائيلي قلم واحد باسم ميشال

سركيس الذي تقول عنه رئاسة التحرير انه « صاحب كتاب النهضة الاسرائيلية وتاريخها الخالد » . وميشال سركيس هذا نشر ردا على عيسى العيسى صاحب جريدة فلسطين تحت عنوان « القوة في الاتحاد » وذلك في العدد ٨٦ تاريخ ١٠ ايار ١٩٢٣ . هل يكون ميشال سركيس لبنانيا ؟ اذا كان كذلك فيكون اللبناني الثاني الذي كتب بايجابية عن الصهيونية في متبرها البيروتي . ولكن يصعب الجزم في ذلك خصوصا وان مقالته مذيلة بالعبارة الاتية : « يافا ــ ٥ ايار ١٩٢٣ » . ومهما يكن من أمر ، فمن المفيد الوقوف على بعض ما ورد في مقالة ميشال سركيس ، حيث يقول : « مضى الزمان الذي كان الدين فيه كل شيء . وجاء زمان الوطن وجعل المصلحة الوطنية فوق كل شيء . لقد اتحدت العناصر المصرية فتعانق الامام والقس والكاهن والحاخام . فهل يستطيع المتطرفون كعيسى العيسى صاحب جريدة فلسطين الذي جعل دأبه زرع بذور الشقاق بين العناصر الفلسطينية » . وبالمقابل يرى سركيس « اننا اذا القينا على الواقع نظرة لوجدنا ان الاسرائيليين في فلسطين هم الداعون الى الاتحاد والاخاء المنادون لاخوانهم العرب الكرام بوجوب التآزر القومي للمصلحة القومية العامة التي يتمتع بها الجميع على السواء » .

وهنا ايضا وقعت « العالم الاسرائيلي » في التناقض . ووقع معها ايضا الكاتب ميشال سركيس نفسه . ذلك ان الدين بالنسبة لتأكيدات الياس ساسون في عدة افتتاحيات هو « كل شيء » بالنسبة للحركة الصهيونية . في حين تنشر المجلة الصهيونية لسركيس مقالا يؤكد فيه ان القومية قد حلت محل الدين في اوائل القرن العشرين .

وعلى ذكر عيسى العيسى ، فان هذا الصحافي الفلسطيني القوي الذي كان يصدر جريدة فلسطين ، كان هدفا لانتقادات لاذعة ومستمرة في مجلة العالم « الاسرائيلي » . ولنأخذ على سبيل المثال اربعة ردود سلبية كتب احدها الياهو من صاحب المجلة وكتب الثاني « ايلي » ، وكتب الاثنين الباقيين كبير المحررين في « العالم الاسرائيلي » الياس ساسون ، ولنستعرضها حسب تسلسلها الزمني .

تحت عنوان « الى فلسطين الجريدة المتطرفة » ، كتب الياهو من في العدد ٣٠ تاريخ ٣٠ آذار ١٩٢٢ يقول : « في فلسطين جريدة استعارت اسمها من البلاد التي تقيم فيها لتموه على القراء وتظهر للناس انها صادقة في خدمة الوطن الذي اتخذت اسمه الجميل شعارا لها . هذه الجريدة الرصيفة لا تترك فرصة الا وتنتهزها في بث سمومها بالقضية الصهيونية . واخر ما بلغ من براهينها السفسطية عن ضعف الصهيونيين انهم يولمون الولائم ويؤدبون المآدب ولا تسفر النتيجة عن غير الاكل والشرب » . ويرد صاحب المجلة : « نعم اكلنا مريئا وشربنا هنيئا وحسونا كأس وطننا القومي الذي جاهر الحلفاء وجاهرت بريطانيا بحفظ تعهداتها لتنفيذ وعد وزيرها بلفور ، وابانت للملأ ان الوطن القومي لليهود لا يجلب الضرر على الوطنيين العرب بل يسهل لهم الرقي والانتفاع ، وقد اشتهر اليهود بالاجتهاد والعمل في سبيل التقدم . فليهدأ روع فلسطين الجريدة المتلبسة بشعار البلاد التي تصدر فيها ، فان الوطن القومي لليهود صائر رضيت ام أبيت ، ان شاء الله » . وفي العدد ٨٠ الصادر في ٢٢ اذار ١٩٢٣ يكتب ساسون ردا على عيسى العيسى وجريدته « فلسطين » ، يستهله قائلا : « يعلم الله اني كل ما أطالع جريدة فلسطين يرتعش جسمي ويجمد الدم في عروقي لما تحمل بين اعمدتها من الطعن في الامة الاسرائيلية عموما وفي الجمعية الصهيونية خصوصا . وفي كل مرة التمس لهذه الجريدة عذرا لتعرضها هذا ، حتى فرغت جعبة اصطباري ، ويسوءني جدا أن اجرد قلمي الضعيف لاذكر حضرة عيسى العيسى الصحافي الشهير بواجباته الصحافية ، وافهمه بأن تعرضه الدائم للامة اليهودية وتسلطه بمعارضاتها بآيات شريفة يذكرني بأيام مضت نود (هو وانا وكل رجل

شرقي) نسيانها ، ايام ما صدقنا ان انزل عليها الحجاب » ٠

ويضيف ساسون « ان يهود العالم اليوم يفوق عددهم خمسة عشر مليون نفس (فهل يسدينا حضرة العيسى بنصيحة نذكرها له الى الابد) ماذا على هؤلاء ان يعملوا وروسيا وبولونيا واوكرانيا تعمل في رقابهم السيف ، اذا لم يفكروا بانشاء وطن قومي لهم يعيشون فيه احرارا مستقلين آمنين على حياتهم التي وهبها لهم خالق السموات ٠ وبأية بقعة يقيمون هذا الوطن ؟ أبغير فلسطين تلك البقعة التي يقول عنها الكتاب المقدس ويأمر الحق سبحانه وتعالى ملك بني اسرائيل ؟ »

ويتابع ساسون انتقاداته على العيسى وجريدته بعد ان رد عليه الكاتب الفلسطيني بسبب انتقاداته السابقة مسديا له النصيحة المطلوبة ٠ هذه المرة، يستهل ساسون نقده ـ تيمة بعد أن كان يحاول جهده ان يظهر بمظهر الكاتب الموضوعي الرصين ٠ ٠يقول ساسون : « اني استميح حضرة الفاضل عيسى العيسى عذرا اذا انا طرقت بابه ثانيا لاقول له علنا وعلى سمع من الجميع ان رده على مقالي المندرج في جريدة « العالم الاسرائيلي » عدد ٨٠ وفي جريدته عدد ٥٦٨ ليس الا من قبل الافتراء والهذيان : امران أجل عنهما حضرته » ٠ ويتابع ساسون رده ولكن عبر حجة ضعيفة يحاول ان يصور فيها اليهودي نعجة والانسان الاخر ذئبا لتبرير التناقض الدائم والشامل بين اليهود وسائر الامم ٠ ويخاطب ساسون العيسى : « تقول ان اجماع الناس اليوم على النفرة من اليهود دليل على ان في طباعهم شيء لا يتفق مع طباع بقية البشر ، اذ لا يصح ان يرمى جميعهم بالقسوة في معاملتهم دون غيرهم وبدون اسباب جوهرية ٠ الجواب بسيط جدا : اذا قيل لك بما ان الاسود والذئاب وجميع الحيوانات الضارية تفترس وتأكل الغنم أليس هذا بدليل قاطع على ان في طباع الغنم شيء لا يتفق مع طباع بقية الحيوانات » ٠

ويبدو ان ردود العيسى متتابعة وقوية لدرجة انها أثارت « ايلي ـ ابن بيروت » الذي ادلى بدلوه في العدد ٨٥ من « العالم الاسرائيلي » الصادر في ٣ ايار ١٩٢٣ ٠ يخاطب ايلي العيسى متسائلا : « تسأل يا حضرة الكاتب لماذا لم نر بقعة اخرى فيالعالم تصلح لانشاء ذلك الوطن القومي سوى فلسطين ؟ ولم لا نرضى بغير فلسطين لانشاء هذا الملجأ ؟ ولم لا يقوم في شرقي أفريقيا الذي منحتنا اياه بريطانيا مقام فلسطين ؟ » ويأتي رد ايلي تقليديا بمعنى ان فلسطين هي الوطن واليهود في عودتهم الى فلسطين انما يعودون الى وطنهم ٠ ولكي يعزز رده يطرح على العيسى التساؤل التالي : « هل اذا هاجر رجل من لبنان الى الولايات المتحدة وبقي فيها ٢٠ سنة يفقد حقه في الحصول على مسكنه واراضيه اذا عاد الى بلاده بعد ذلك الوقت ؟ »

وتتابع « العالم الاسرائيلي » ، في غير مجال ، التأكيد على «يهودية» فلسطين لان هذا هو هدفها الرئيسي ٠ فيجتمع احد محرريها توفيق مزراحي بصبحي بركات رئيس مجلس الاتحاد السوري ويباحثه « في عدة شؤون تتعلق بالقضية السورية منها سؤال طرحه عليه هذا ماله : ما رأي فخامتكم بالقضية الفلسطينية والمسالة الصهيونية ؟ فخامة الرئيس : ان صلاحيتنا منحصرة في سورية الداخلية ولا نستطيع التجاوز الى سواها ، ولربما اتيح للمجلس الاتحادي الذي سينتخب انتخابا ان يبحث في هذه الشؤون اكثر منا ٠ على ان ذلك لا يمنعنا من اعتبار فلسطين قطرا عربيا وان نتمنى لاهله كل خير وفلاح » ٠ (العالم الاسرائيلي عدد ٧٣ ـ ١ شباط ١٩٢٣) ٠

وعن الموضوع نفسه يعقد الياهو من افتتاحيتين تحت عنوان « اسبانيا واليهود » يعلق فيهما على مساعي الدكتور انجلو يوليدو « اعظم محبي اليهود من الاسبانيول وعضو

مجلس الاعيان » لارجاع اليهود الى اسبانيا · يشكر كاتب الافتتاحية الدكتور الاسباني على مساعيه ، ثم يذرف الدموع على ضحايا « المذابح الهائلة التي جرت في كيتشنف سنة ١٨٨٤ » · ويعترف بأن اسبانيا « هي البلاد التي انكشفت فيها النفس الاسرائيلية واستفاد فيها عقلها وسمت فيها مداركها » ·· وهي « باعتبارنا (سفاراديم) اي البلاد التي نحلم ونتغنى بها في اشعارنا » · الا ان الكاتب يختم الافتتاحية الاولى المنشورة في العدد ٢٠ تاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٢٢ مستدركا بقوله : « ولكن ·· ولكن اسبانيا مهما كانت فانها لا تحل من قلوب اليهود محل وطنهم الحقيقي فلسطين التي هي ولا تزال مهد الشعب اليهودي ووطنه الحق · اسبانيا ! نعم اسبانيا ! ولكن ارض اسرائيل اولا » ·

والياهو من يضرب على الوتر ذاته في الافتتاحية الثانية المنشورة في العدد ٢١ الصادر في ١٩ كانون الثاني ١٩٢٢ ·

لا تكتفي « العالم الاسرائيلي » بالتركيز على عموم فلسطين بل انها تخص القدس بواحدة من افتتاحياتها التي تحمل عنوان « من يستلم الاراضي المقدسة » · وهذه الافتتاحيـــة كتبت على جزئين في العددين ٥٠ و٥١ الصادرين في ٢٤ و٣١ آب ١٩٢٢ · في الافتتاحية الاولى التي عربتها المجلة عن مجلة « الرفيواف رفيوز » الانكليزية لكاتبها هرلد شبستون الذي يتساءل في سياق مقالته : « من يستلم الاراضي المقدسة ؟ العرب ام اليهود ؟ » ولكنه بدلا من ان يجيب على تساؤله قال « العرب يصرخون بأن فلسطين لها حكومـــة صهيونية وهذا ابعد عن الحقيقة بكثير · نعــم ان المندوب السامي اسرائيلـــي صـــرح بشعوره الصهيوني ولكنه في اشغاله الادارية مسؤول تجاه الحكومة الانكليزية رأسا · فالصهيونيون ليس لهم حصة في الحكومة وادارة البلاد » · ولكن السؤال الذي لم يجب عليه الكاتب الانكليزي اجاب عليه الياهو من حين اكد في الافتتاحية الثانية بأن « المركز الجديد الذي يجب ان نأخذه بدلا هو القدس الشريف » · وعن علاقة الولايات المتحدة بالوطن القومي اليهودي يقول صاحب المجلة : « واتفاقنا مع الولايات المتحدة يربطنا جيدا بوعدنا باقامة الوطن القومي الاسرائيلي » ·

ونشرت « العالم الاسرائيلي » خبرا طويلا عن وصية يهودي عراقي من شانه ان يؤكد مساعدة الانكليز للصهيونيين عبر الحكومة البريطانية ومندوبها صموئيل في فلسطين · يقول الخبر انه « فتحت وصية مستر قادوري أحد اغنياء اليهود في شنغاي فوجدوا بها انه يوصي بمبلغ ١٢٠ الفا من الجنيهات لبناء مدارس يهودية في فلسطين ويعهد الى الحكومة الانكليزية القيام بهذا العمل وتنفيذ وصيته · فارسلت الحكومة البريطانية الى حكومة فلسطين تكلفها بهذه المهمة · وهذه الاخيرة الفت لجنة من ستة اعضاء ، ثلاثة من قبل الحكومة وثلاثة من الهيئة الصهيونية · وقد اجتمعت اللجنة لاول مرة وقررت ان تبني ثلاث مدارس في صيف هذا العام وهي مدرسة الجمناز في القدس ومدرسة تحكموني في يافا ومدرسة اخرى في طبريا » · (العالم الاسرائيلي ـ عدد ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٢)

وفي العدد ٣١ الصادر في ٦ نيسان ١٩٢٢ مقطع طويل لخطاب الدكتور وايزمن الذي القاه في الحفلة التي اقامتها الجمعية الصهيونية في جامعة اكسفورد في انكلترا · ومما قاله وايزمن في خطابه « ان الفكرة الصهيونية لم تظهر الى الوجود لظهور وعد بلفور كما يقولون · ولكنها ظهرت عندما قضى الرومانيون على السياسة الاسرائيلية فـــي فلسطين » ·

وتحت عنوان « فرنسا والصهيونية » كتب « بوزاكلو » مقالتين في العددين ١٠ و١١ الصادرين في ٣ و ١٠ تشرين الثاني ١٩٢١ · وقال الكاتب في الافتتاحية الثانية : « لقد

شوهد يهود غرباء يقطنون باريس بينهم الدكتور هرزل وهو يرسم مع الدكتور نورده ادق الخطط وأبدعها لتنظيم التشكيلات والتدابير المؤيدة اليهود في صيانة حقوقهم · ولا جدال انه في ارض فرنسا ، في احد بيوت باريس ولد ذلك الفكر ، فكر تحرير اسرائيل ··· ان تصريح بلفور قد خلد لحكومة لويد جورج اسمها · وان مؤتمر سان ريمو قد اضاف الى بلاد ميرابو ودانتون مجدا جديدا وفخرا مأثورا » · ويختتم بوزاكلو مؤكدا ان « لا مجال للقول بأن لا يمكن لكل يهودي يتباهى ويفتخر باسمه الا ان يكون صهيونيا لا يرفض مبدأ العودة الى الارض المقدسة » ·

وينشر قلم التحرير في العدد ٦٦ الصادر في ١٤ كانون الاول ١٩٢٢ اسماء النواب اليهود في البرلمان الانكليزي وهم : « السر فيليب ساسون ، الماجور برونل كوهن ، سر ولتر دي فرس ، المستر برسي هرس ، السر الفرد موند ، المستر ارثر لفر ، المستر استروس ، المستر صموئيل ، المستر صموئيل صموئيل ، المستر ليونل دي روتشيلد ، المستر امانويل شنول » · وأمل قلم التحرير من هؤلاء « بأنهم لا يتأخرون عن مساعدة ابناء طائفتهم في كل العالم » ·

ويهود تركيا لهم ايضا حصة في اخبار « العالم الاسرائيلي » · ففي العدد ٥٨ تاريخ ١٩ تشرين الاول ١٩٢٢ نشر خبر تحت عنوان « تبرع يهود أزمير وسلانيك للهلال الاحمر » · وينص الخبر بانه « على اثر الفضل العظيم الذي طوق به البطل الكبير مصطفى كمال باشا جيد الاسرائيليين من سكان أزمير حيث وقاهم من كل اعتداء ومنع ايدي رجاله من ان تمتد اليهم بسوء ، فقد وجب على الاسرائيليين ان يقابلوا الجميل بمثله ويعترفوا للبطل باليد التي اسداها اليهم · وقد اجتمعوا في سلانيك وازمير واكتتبوا بالاموال الطائلة اعانة للهلال الاحمر · هذا عدا التلغرافات التي لا تحصى والتي تتضمن عبارات الشكر الجزيل وقد ارسلت لدولة الغازي كمال باشا بطل تركيا العظيم » ·

اما في فلسطين فقد « احتج سيادة الحاخامباشي في القدس لدى السر هربرت صموئيل على اجبار العملة الاسرائيليين على العمل نهار السبت في سكة حديد حيفا » · (العالم الاسرائيلي ــ العدد ٥٧ ــ ١٢ تشرين الاول ١٩٢٢)·

بعد ذلك نصل الى اهتمامات « العالم الاسرائيلي » بيهود لبنان وسوريا من أجل تجييشهم في الحركة الصهيونية · وهذه المهمة قد لا تقل فعالية عن الدور الاعلامي الذي قامت به المجلة للهدف نفسه حيث اوردنا نماذج متنوعة عنه · ذلك ان دورها هنا كان عمليا بمعنى انها كانت تطرح فكرة المشروع ثم تتابعه الى ان يصبح حقيقة ملموسة ·

نبدأ بدمشق · تحت عنوان « مشروع علمي كبير في دمشق » نشرت العالم الاسرائيلي الخبر التمهيدي التالي : « الطائفة الاسرائيلية تشيد مدرسة عليا ··· الاقبال عظيم على المشروع · اقرأوا التفاصيل في العدد القادم » · (عدد ٧١ ــ ١٨ كانون الثاني ١٩٢٣)·

ولكن الخبر لم ينشر الا في العدد ٧٣ تاريخ ١ شباط ١٩٢٣ · ·وقد ورد في الخبر ان مجلس الطائفة اليهودية « وزع في هذين اليومين رقاع الدعوة على ذوات الطائفة ووجهائها للاجتماع في دار الفاضل الخواجه ابراهيم تركيه ، وللمناقشة في مشروع كبير له منافعه وفوائده التي لا تعد ولا تحصى · اما المشروع فهو بناء مدرسة جامعة كبيرة · وبعد ان استوفى المشروع حقه من المناقشة والتمحيص قر قرار الحاضرين على انتخاب لجنة من ثلاثة عشر ذاتا وهم : موسى الياهو طوطح ، موسى مواس ، ·

سليم عطار ، روبير حايموف ، داود حلبي ، جميل مزراحي ، سليم سقال ، مراد طوطح ، داود طوطح ، ابراهيم تركيه ، المسيو بورلا ، جوزف كهنوف ، مويز مزراحي ».

ويوجه الياس ساسون « كلمة الى الطائفة الاسرائيلية في دمشق » كي ترد عنها « حملات الصحف الدمشقية المتواصلة ك « جراب الكردي » الذي يحط بديانتك ، و « الف باء » بوطنيتك ، و « العمران » بشرفك وحياتك » . ويقول ساسون للطائفة : « قومي واعضدي الصحف اليهودية الوطنية تحت سماء سوريه ولا ترهبي ولا تخافي لان بجانبك حكومة فرنسا المنتدبة اول حكومة نشرت الوية الحرية وأعلنت حقوق الانسان » . (العالم الاسرائيلي ـ العدد ٦٤ ـ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٢) .

وعلى ذكر الياس ساسون ، فان المجلة في عددها ٥٢ الصادر في ٧ أيلول ١٩٢٢ ، نشرت له مقالة بعنوان « واجبات الكاتب وعلم الانشاء » متوجه برسمه والتعريف الاتي : « الكاتب البارع الياس افندي ساسون صاحب مجلة « الحياة » المحتجبة » .

ومن دمشق ننتقل الى بيروت حيث تنال الطائفة اليهودية حصة الاسد من اهتمام « العالم الاسرائيلي » وهذا أمر بديهي .

عن « المدارس الطائفية الاسرائيلية في بيروت » يكتب « ابن التوراة » مقالتين يشدد في الاولى على وجوب اعطاء الولد « التهذيب الاسرائيلي الحقيقي » ، هذا التهذيب الذي يستحيل حسب رأيه ان تعطيه اية مدرسة غير صهيونية . وكالعادة يدعم « ابن التوراة » رأيه بما جاء في أساطير اليهود حيث كانوا « يأخذون أولادهم ويلقونهم على صدر نبينا موسى عليه السلام ويقولون له يا ابن عمران ما هي التربية وما هي المعيشة التي أعددتها لهم ؟ فكان هو يأخذهم ويعلمهم التوراة » . ويختم الكاتب مقالته مستشهدا بعلماء التلمود الذين « قالوا انه عندما يأخذ الطفل في التكلم يلزم على والده ان يكلمه باللغة العبرانية ويعلمه التوراة ، واذا هو لم يفعل كذلك يكون كأنه قد دفنه حيا » . (العالم الاسرائيلي العدد ٢٢ ـ ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٢) .

أما في الحلقة الثانية ، فان « ابن التوراة » يشكر « حضرة المحسن الكبير عزرا افندي عنزروت الذي يساعد المدرسة بعشرين ليرة مصرية في الشهر » . والمدرسة اسمها تلمود تورا التي سوف يؤتى على ذكرها اكثر من مرة . (العدد ٢٣ ـ ٢ شباط ١٩٢٢) .

وحول الموضوع نفسه يعقد سليم الياهو من افتتاحية بعنوان « مدارس الاليانس في بيروت » يستهلها بالعبارة التالية : « لا يعجب قراء جريدتنا الكرام من اتخاذنا هذا الموضوع افتتاحية لعددنا هذا ، فانه من المواضيع المهمة الحيوية التي يجب ان نعالجها معالجة مستوفية ونبحث فيها بحثا مدققا » . ويستفظع صاحب المجلة ظاهرة تعليم اليهود لابنائهم في « المدارس الاجنبية » حيث يستحيل بنظره ان يتعلم هؤلاء « لغة ابائهم وأجدادهم وكتابهم المقدس أعني اللغة العبرية » . ويتساءل الياهو من في مقالته المنشورة في العدد ٥٨ تاريخ ١٩ تشرين الاول ١٩٢٢ : « اذا كان الولد لا يعرف لغته على الاصول وديانته كاللازم فكيف نطالبه بالقومية » ؟ ولكي يكون ابناء الطائفة عند حسن ظن الحركة الصهيونية ف « يجب ان يبقوا في المدارس الاسرائيلية ليتعلموا اصول الدين واللغة والتاريخ الاسرائيلي وتاريخ الانبياء الكرام » . وحتى يكون ذلك ممكنا ، فان الكاتب يقترح « على المسيو داتون الذي اجمعت القلوب على حبه ان ينظم صفوفا عالية في مدارسه تضارع الصفوف التي يدخلها اولادنا في المدارس الاجنبية وينتقي لها

أساتذة مشهورين بعلمهم وأدبهم » ٠

ومن المدرسة تنتقل المجلة الى النادي ٠ فيطلق « صيون ناديب كريم ـ نزيل بيروت » نداءه « الى الشبيبة الاسرائيلية البيروتية » كي ينهضوا « نهضة واحدة » ويثبوا « وثبة الرئبال » ويتحدوا ويتعاونوا على تأسيس ناد أدبي « على شكل نادينا في دمشق » ٠٠ (العالم الاسرائيلي ـ عدد ٨٤ ـ ٢٦ نيسان ١٩٢٣) ٠

جمعيات النساء

بعد النادي ، تقود المجلة عبر « استر » حملة من أجل تأليف جمعية نسائية بيروتية ـ يهودية ٠ في العدد ٧٣ ـ ١ شباط ١٩٢٣ « نداء من أستر الى السيدات والفتيات الاسرائيليات البيروتيات » ٠ ويقول قلم التحرير : « جاءتنا هذه الرسالة من حضرة الاديبة صاحبة التوقيع وهي أول رسالة جاءت بها علينا فتاة اسرائيلية وقد كنا نحب ان تضع اسمها الحقيقي ولكنها طلبت منا عدم وضعه فنحن عند طلبها » ٠ وتقول استر في ندائها انها « تتوجع لانها رأت السيدات والفتيات المسلمات والمسيحيات يؤلفن الجمعيات الخيرية والادبية وشقيقاتي بنات الطائفة الاسرائيلية لم يهتممن بهذه المسائل كأنهن لسن من بنات حواء ٠ فاليكن يا بنات جنسي اطلب ان تسرعن في تأليف جمعية نسائية لمدرسة تلمود توراه » ٠

ويبدو ان نداء استر قد فعل فعله بدليل ما نشرته هي في العدد التالي من ان « بعض السيدات والفتيات الكريمات قد عقدن اجتماعات تمهيدية لدرس المسألة من كل وجوهها »٠٠

ثم صدرت عدة اعداد من « العالم الاسرائيلي » من غير ان يكون للجمعية العتيدة اي ذكر ٠٠ مما أقلق الياس ساسون في دمشق فكتب في العدد ٨٢ ـ ١٢نيسان ١٩٢٣ تحت عنوان « أين أنت يا أستر » ؟ وبعد ان يسألها عن مصير الجمعية بلغة مؤنبة ، يقول لها ولسائر بنات جنسها : « يجب على فتياتنا ان يعلمن ان لا نهوض لهن الا باصلاح حالهن فليعملن ان كن في الترقي راغبات ويبادرن لتأسيس الجمعيات النسائية الخيرية ومساعدة المعاهد العلمية التي لا نهوض للامم الحية الا بها » ٠

وتجيب استر في العدد ٨٣ ـ ١٩ نيسان ١٩٢٣ تحت عنوان « استر لا تزال في عالم الوجود » قائلة : « أجل ان استر لا تزال في قيد الحياة تحت سماء العاصمة اللبنانية وقد طرأ عليها حادث بسيط جدا علمها ان لا تعتمد الا على نفسها في كل عمل او مشروع كان » ٠ وهنا تروي استر كيف ان نسيم تاجر نجل الحاخامباشي أبلغها بأن زوجته وعدة سيدات وفتيات يهوديات سوف يجتمعن في منزله لتحقيق فكرتها ٠ وتضيف بأن السيدات لم يجتمعن رغم الوعود المتكررة مما جعلها تقول لنسيم أفندي : « لم تشتغل انت ولم تدع غيرك يشتغل ، فاترك المسألة لي لاجرب حظي » ٠

وبالفعل فان استر « تمكنت من مقابلة بعض السيدات والاوانس الاسرائيليات في الثغر وتباحثت معهن في مسألة تأليف الجمعية النسائية لمدرسة تلمود توراه التي تفتقر الى مثلها الطائفة » ٠ كما جاء في العدد التالي من « العالم الاسرائيلي » ٠

يبقى ان « العالم الاسرائيلي » قد خصصت عددين بكاملهما لموضوع واحد عنوانه « فاجعة بحمدون في عالم القضاء » ٠ ويقول رئيس التحرير ان « هذا العنوان الذي نصدر به العالم الاسرائيلي اليوم طالعناه في صدر محكمة الجنايات التي مثل فيهما الجانيان على الاسرة الاسرائيلية في بحمدون شرف الدين منذر الصائغ وسليم يوسف

عدنان أمام المجلس العدلي العرفي فكان نصيبهما الاعدام جزاء ما جنته ايديهما الاثيمة ».

وتعطي المجلة في العدد ٨٩ وصفا مسهبا لوقائع المحاكمة التي رئسها نجيب ابو صوان ومثل الادعاء العام فيها سامي الصلح . والملاحظ ان « العالم الاسرائيلي » قد خصصت سامي الصلح بلفتة كريمة حين نشرت صورته في العدد التالي ومطالعته الطويلة كاملة وقد توجتها بالمقدمة التالية : « هذه هي المرافعة البليغة التي القاها سعادة سامي بك الصلح من على منصة النيابة العامة في المجلس العدلي فاسترعى انتباه الجماهير الغفيرة التي صفقت له اعجابا واحتراما . وقد رأينا ان نثبت رسمه الكريم في صدرها تقديرا للرجل الذي اجمعت الامة اللبنانية اسرائيليها ونصرانيها ومسلمها في فاجعة بحمدون على امتداح صفاته العالية التي تحلى بها ونزاهته التي تنم عنها عدالته في عالم القضاء » .

نبيل بدران

التنظيم الشعبي الفلسطيني

اعلنت الثورة الفلسطينية ان استراتيجيتها لتحرير فلسطين هي حرب الشعب طويلة الامد ، ومنح هذا الوضوح الاستراتيجي الاولي قوة وصمودا للجماهير جعلها تقدم التضحيات الكبرى وتتحمل ثقل الشدائد · ولم تؤثر ضخامة المؤامرات والاخطار التي تعرضت لها او تجابهها من ثقتها بالتحرير والعودة وتحقيق الوحدة العربية خلال مسيرة التحرير · واكتسبت الجماهير خلال نضالها الطويل وعيا متزايدا جعلها تشعر بخلل وقصور في الاشكال التنظيمية العاجز عن تعبئة كامل طاقاتها وتنميتها ، لتحقيق شروط مراحل حرب الشعب طويلة الامد ، وصد جميع الاخطار ، والخروج بعد ذلك من المعارك المتلاحقة بمزيد من الصلابة والقوة · وتشعر الجماهير ايضا ان النمط التنظيمي الحالي لا يساعد على تحديد كامل جوانب الاستراتيجية النضالية وتحديد جميع المهمات المرحلية وترابطها لتحقيق التقدم على طريق النصر النهائي ·

تراكمت عدة عوامل لتعيق من قدرة بلورة فكر ثوري متكامل ، يمتلك القوة الذاتية وديناميكية الحركة لتوجيه النضال والصمود القادرين على ضمان مسيرة الثورة وارتقائها النوعي والكمي · فالمستوى الاقتصادي الاجتماعي والثقافي للمجتمع العربي عامة والفلسطيني خاصة لم يعط الحركة الثورية الفلسطينية الخبرة الاجتماعية لبلورة نشاط نضالي متكامل يمتاز بشمولية التحليل والتخطيط والتنظيم · كما ان شراسة المعركة مع العدو الصهيوني وتعاظم القوى العربية الانهزامية تجعلان اسلوب النضال معقدا ، اذ تتداخل المعارك مع العدو الصهيوني مع المعارك ضد هذه القوى الانهزامية · ونتيجة لهذه العوامل الذاتية والموضوعية تشكك الجماهير بقوتها الذاتية ، فيصيبها نمط من التشاؤم ويتكر هذا المسلك مما يعيق النمو الذاتي لقوى الثورة ·

وبسبب هذا القصور الفكري وجدلية التعامل والتناقض مع الانظمة العربية ، تغلب اسلوب التكتيك السياسي على مجمل تفكير الثورة واسلوب عملها · وجرى التركيز على شعارات براقة دون تحديد معناها الدقيق وتحديد شروط تحقيقها · فنتج عن هذا الوضع جمود فكري يحتمي خلف هذه الشعارات وافراغ للاطر التنظيمية المختلفة من معناها الجماهيري ·

قدمت الجماهير الفلسطينية التضحيات الكبرى دفاعا عن حقها في التحرير والعودة وطورت من اساليبها القتالية في حربها مع العدو الصهيوني ، الا ان هذه الجماهير باتت تشعر بحاجة الى غرس الثقة الكاملة بنفسها وبناء شروط النصر في ظل استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد · وتنظر هذه الجماهير الى ديناميكية وشمولية نضالها ، كونه طليعة النضال العربي ومحور التقاء فكري ونضالي مع القوى التقدمية العربية ·

اضحى مستقبل النضال العربي الفلسطيني وابعاده العربية مرتبطا بتحديد اكثر شمولية ودقة لاستراتيجية سياسية ـ عسكرية ـ اجتماعية شاملة ، وانطلاقا من هذه الاستراتيجية تحقيق قفزة نوعية واضحة في الهيكل التنظيمي لقوى وجماهير الثورة الفلسطينية · واهم سمة للمرحلة القادمة يجب ان تكون وضوح في الشعارات واتباع ممارسات صادقة تحقق هذه الشعارات ، وذلك بهدف ايقاظ ديناميكية داخلية توضح الجوانب التقدمية والثورية المتكاملة للثورة الفلسطينية ·

يتطلب هذا التطور النوعي والاساسي في فكر وممارسة الثورة العربية الفلسطينية مساهمة جادة من الجميع في طرح كافة المواضيع الاستراتيجية والمرحلية والتنظيمية توفيرا للوضوح المطلوب · ويشترط في الحوار اتباع ثلاثة اساليب في التفكير ، اولا تحديد الظروف السياسية بابعادها المختلفة ، ثانيا تحديد جميع شروط حرب الشعب طويلة الامد وتطبيقها الفلسطيني ، وثالثا تقييم التجربة الفلسطينية بجميع ابعادها ومنها تقييم شامل للوضع الاجتماعي الفلسطيني في مواقع التجمعات الفلسطينية داخل وخارج الارض المحتلة ·

وما يعنينا في العرض الحالي هو العودة الى تحديد شروط حرب الشعب من الناحية الجماهيرية التنظيمية والتنويه ببعض ظواهر الشخصية العربية الفلسطينية تلمسا لفهم اوضح حول اهمية التنظيم الشبيبي ونشاطاته المختلفة في اطار تعبئة القوى وبناء الانسان الجديد ·

ليست حرب الشعب طويلة الامد فقط نمطا من تثبيت وتجميع القوات العسكرية لتحقيق النصر ، ان هذا التثبيت والتجميع هو انعكاس للتعبئة البشرية والمادية للجماهير الواسعة ، وما العمليات العسكرية في البدء الا وسيلة اساسية لتحريض وتنظيم وتعبئة الجماهير · فحرب الشعب هي اذن تنظيم الجماهير وتعبئتها لتحقيق انتصارات متتالية فعملية النضال الطويل هي عملية تربوية ترسخ لدى الجماهير الثقة بالنصر وبالذات وتجعلها تطور من قيمها ومسلكها لتقدم كامل طاقاتها الفردية والجماعية لتحقيق النصر ، وتوفير الاسباب الموضوعية لمهمة البناء بعد التحرير ، فجدلية التفاؤل والثقة تجعل من الجماهير سلاحا رهيبا لا يقهر ·

فعملية التعبئة الشاملة عملية منظمة مبرمجة ، تتطلب وجود اطر تنظيمية قادرة على استقطاب الجماهير وتحريكها والارتقاء بقدراتها الفردية والجماعية · يتولى هذه المهمة حزب طليعي ومتماسك يمتاز كادر هذا التنظيم بصفة القدوة للجماهير ومحركها يتعلم من هذه الجماهير ويشترك معها في تحليل التجارب واستنتاج العبر · فالعمل الجماهيري هو محصلة عمل فسيفسائي ويجمع خبرات وممارسات الكوادر في المواقع المختلفة ضمن تصور استراتيجي موحد ويزود هذا النمط من الممارسة التصور خبرة وتخطيطا يعزز من قدرة التعبئة الجماهيرية ·

ومن الخطا الاعتقاد ان الاطر التنظيمية الجماهيرية مثال المنظمات الفئوية والمهنية عملية شكلية ، تخدم الاعلام الخارجي ، فعملها الداخلي مهم جدا لقدرته الى الوصول الـى قطاعات واسعة من الجماهير والتصدي للامور الاجتماعية والاقتصادية الملحة والتـي ترهق كاهل الحركة الثورية ، اضافة الى ذلك تعتبر المنظمات الجماهيرية بوتقة لتربيـة العنصر ، تعوده على النشاط الاجتماعي والسياسي ، خارج نطاق العلاقات العائليـة، وترسخ لديه ارادة المساهمة الفعالة في العمل الثـوري ، وتطوير الـذات للارتقـاء بقدراتـه العمليـة ٠

وتمثل المنظمات الشبيبية نموذجا واضحا للتعبئة الشاملة والتربية الهادفة ٠ وتعبـر العناية المركزة بالجيل الجديد عن الثقة الكاملة بالنصر ، وتعبر ايضا هذه العنايـة عن وضوح التفكير الاجتماعي وفهم للعلاقة بين التفاؤل الوطني بالمستقبل وتفاؤل العائلة بمستقبل اولادها ٠ واخيراً فان العناية بالنشاط التربوي عامة والشبيبي خاصة يعبر عـن وضوح الرؤية حول تطوير جميع جوانب الحياة الجماهيرية وتحميل المسؤولية لكل فـرد وفي موقع عمله ، ومتابعة مجمل الحياة الجماهيرية لتوجيهها حسب مقتضيات النضال٠

كما ان وجود نشاط شبيبي واسع ومنظم ينال اهتمام الكوادر ، ويحظى بالعطـف الجماهيري ، يحرك التفكير العام حول مستلزمات تربية الجيل الجديد ، فيخلق مناخـا لطرح قضية مستوى التعليم الحالي وطبيعته وجدواه ، ومع تنظيم هذا الحوار وبلـورة قوة ضغط وارادة تغيير قد نصل الى تحسين الوضع التربوي وتوفير امكانيات جديـدة من تأهيل مهني للجيل الجديد ٠

ان هدف البحث الحالي هو توضيح الاسس التربوية والتنظيمية التي تساهم في انجاح النشاط الشبيبي المطلوب والتحدث عن النتائج العملية لجميع جوانب هذا النشاط ، وذلك على مستوى كل من الحركة الثورية ، وتربية الفرد ، وتراكم الخبرات لدى الكـادر المشرف والموجه واثر هذه الخبرات على قدراته ومسلكه ٠

١ ـ اهمية تنظيم الشبيبة خلال مسيرة النضال

ليست التربية عملية عشوائية بل هي عملية منظمة يمارسها المجتمع الانساني ٠ فعملية تهيئة الطفل لدخول مجتمع الكبار هي عملية منظمة يفرضها الوضع الاجتاعي ـ المادي٠ وتاتي بعد ذلك الرقابة الاجتماعية للسيطرة الدائمة على مسلك الفرد خدمة لاهـداف المجموعة الانسانية التي يرتبط بها اجتماعيا وسياسيا ٠ ولم يشذ المجتمع البرجوازي عن هذه القاعدة ، ولكنه خلافا للتربية في المجتمع العشائري او الاقطاعي التقليدي ، فانـه يستخدم ، بالاضافة الى الاطر العائلية ، اطرا اجتماعية اخرى ، نتيجة النظرة الجديدة للانسان ، غير ان التربية في هذا المجتمع غير قادرة على السيطرة الكاملة على توجيـه تفكير وقيم ومسلك الافراد بسبب حركية المجتمع نتيجة التطور الدائم للنمط الانتاجـي وتطور علاقات الانتاج ٠

في البدء ورثت المدرسة البرجوازية في اوروبا تقاليد مدرسة النخبة التي كانت قائمة في العصر الاقطاعي ، والتي كانت تتولى تربية الفرد بدلا من العائلة من خلال اقامتـه شبه الدائمة في المؤسسة ٠ ولكن مع انتشار التعليم وتطوير اساليبه تضاءلت ساعـات التعليم ارتؤي ادخال نشاط شبيبي خارج الصف اخذ شكل الحركة الكشفية ونـوادي مدرسية ومراكز شباب ٠٠ وكان بود البرجوازية توجيه كامل مسلك الجيل الجديد ضمانا

لانضباطه واخلاصه في الانتاج ، الا ان ايديولوجية الاقتصاد الحر كانت تمنع التوسع في نشاط الدولة خوفا من نتائجه الاقتصادية من استثمارات واسعة في المنشاءات والتجهيزات والاختصاصيين ، والتزام تخطيط التوجيه المهني والعمالة · ولكن البرجوازية الكبيرة الاحتكارية مارست سيطرتها بواسطة الفاشية بتوجيه الاجيال الصاعدة · فأنشأت حركة شبيبية قوية في كل من ايطاليا الفاشية والمانيا النازية ·

مع تطور المجتمع وقاعدته الاقتصادية ، اضحت العائلة العربية غير قادرة على تنمية الكفاءات الذهنية واليدوية للجيل الجديد · لقد بدأ المجتمع العربي يعرف مهنا جديدة تتطلب اعدادا خاصا ، كما تضاربت القيم نتيجة التطور الاجتماعي الاقتصادي وتأثير العوامل الخارجية على مسلك الفرد · اضافة الى ذلك ، فان المدرسة العربية المنسوخة عن المدرسة البرجوازية وبشكل مشوه ، تفتقر الى اسس التربية الشاملة والمنهجة ، فهي مؤسسة للتلقين والترهيب · تقوم بدورها التربوي من خلال الانظمة المدرسية والوعظ ومن خلال الايديولوجية الضبابية للكتب المدرسة ، التي تتجاهل الوضع الاجتماعي القائم وتهاب النظر الى المستقبل وتنمي المواقف الفردية الانانية · تتداخل عدة عوامل في تنشئة الفرد ، العائلة والمدرسة وكل من المسلك والرأي العام ، ويتأثر العاملان الاخيران في مجتمع الخدمات والاستهلاك بالقيم الاستعمارية المغروسة ووسائل الاعلام التجارية ، التي تكون الثقافة المشوهة · فعملية التنشئة في الوطن العربي عملية متناقضة تدخل فيها القيم التقليدية من ايجابية وسلبية وقيم استهلاكية استعراضية وقيم ايجابية من وطنية وانتاجية ، ناتجة عن نمو الشعور الوطني والارادة بالتحرر والتطور الاجتماعي · غير ان قيم المجتمع الاستهلاكي المعززة بالقيم العشائرية تجرف في المحصلة الاخيرة مسلك الفرد · لقد ادركت العديد من الحركات التقدمية في العالم ان ضمان تنمية الحركة التقدمية والثورية في بلدها مرتبط بتربية الجيل الجديد وتوجيه مسلكه وقدراته، لتخفيف اثر القيم العشائرية والبرجوازية الاستهلاكية التي تعيق من تطوره الى مناضل واع وايجابي · ولذا اهتمت هذه الحركات والاحزاب بمراقبة وتوجيه المدرسة ، ووظفت كامل طاقاتها لانشاء حركات شبيبية مع دعم اشكال اخرى من النشاطات الشبيبية بهدف توجيه الجيل الجديد وتنظيمه · فاعتمدت كل من الثورة الفيتنامية والكوبية على الجيل الجديد واعتنتا بتربيته · غارسين لدى الجيل الجديد روح التفاؤل والاصرار الثوريين ، ويتعمق هذا التفاؤل من خلال نشاط الفرد وتعاونه مع رفاقه ، يقود هذا التفاؤل الى حب الشعب والايمان المطلق بحتمية النصر والتحرر السياسي والاقتصادي والاجتماعي ·

واستمدت كل من التجربة الفيتنامية والكوبية ممارستهما من تجارب ثورة اوكتوبر والثورة الصينية ، وما اكدتهما من اهمية التوجيه الشامل لتربية الجيل الجديد · واغنت الثورتان علم التربية وازاحت العديد من الاوهام حول النمو الذهني والعاطفي للطفل · وابرزتا تفوق الناحية الاجتماعية في تنشئة الطفل · ويوجد الان العديد من خبراء التربية خصوصا خبراء الاونيسكو الذين توصلوا الى نتيجة مهمة جدا وهي انه لمن المستحيل تحقيق **ثورة تربوية تقضي على ازمة التعليم ، دون تحقيق تغير سياسي يوفر** ارادة **التغير والاصرار على تحقيق الاهداف الاجتماعية الجديدة ،** تبعث الحماس لدى الجماهير من اجل تحقيق الانجازات الشاملة والسريعة والفعالة · اي ان الوضوح السياسي وارادة التغير ومعايشة تطور اجتماعي جذري تخلق جميعها **الشروط الاساسية لانجاز قفزة نوعية في السياسة التربوية والنظام التربوي · فتصبح عملية تنشئة الجيل الجديد عملية واضحة الاهداف والاساليب ·**

تحتاج الثورة الفلسطينية الى عمل جاد في تنشئة الاجيال الصاعدة وتهيئتها لمتابعة مسيرة النضال · وتاتي هذه الحاجة ايضا من الظروف الاجتماعية الاقتصادية للشعب العربي الفلسطيني المشتت وحيث تعمل الاكثرية الساحقة من قواه العاملة في قطاع الخدمات اذ يولد هذا النشاط الاقتصادي الذاتية المغلقة والاعتباطية والفهلوية ، فظروف العمل لا توفر القدرة على التحليل والتخطيط وبرمجة التنفيذ والقيام بعمل جماعي لتحقيق التنفيذ · ومن هنا نرى مقابل الوعي السياسي والوطنية الصادقة فردية في المسلك ، وتشكيكا بالقدرة الجماعية على الارتقاء بالتعبئة الجماهيرية ·

ومن اثر انعكاس قيم المجتمع الخدماتي الاستهلاكي والفاقد لديناميكية الجماعة الواعية ، بروز الشعارات الهادفة للاستهلاك المحلي او العالمي ، دون الاهتمام بتحديد علاقتها بمراحل النضال · اي ليس هناك وعي لخلق قناعات لدى الافراد تزيد من ايمانهم بالنصر وارادتهم بعمل منظم وتضحية مثلى ·

اذن ليست عملية التربية عملية تقنية معزولة تأخذ شكل خدمات للجماهير ، بل هي تجسيد واضح لوعي سياسي متقدم وارادة بتحقيق النصر · واتباع تنمية اجتماعية ـ اقتصادية سليمة بعد التحرير · فينظر الى الاجيال الجديدة بفئاتها المختلفة على انها اساس مقومات النضال والتغير المستقبلية ، مع توفيرها لامكانيات بشرية واسعة يتطلب الاستفادة منها حاضرا ، لذا تتضمن التربية المنشودة الاسس التالية :

- توجيه قيم ومسلك الفرد سياسيا واجتماعيا ·
- بناء قدرات الفرد الذهنية واليدوية ·
- تربية عملية للفرد تحقق الهدفين السابقين من خلال الممارسة والعمل ·
- جعل الممارسة والعمل مشاركة فعلية للجيل الجديد في الجهد الثوري ·

ان تحقيق هذه الاهداف وتكاملها يتم بشكل جيد مع السيطرة على التعليم وحرية التصرف في الدول العربية المضيفة ، ولكن مع بقاء العوائق المفروضة ، يستحسن اتباع مرونة في تحقيق هذه الاهداف ، فتعطى أهمية خاصة للنشاط الشبيبي ، ويجري التركيز على اوجه خاصة من هذا النشاط ملاءمة مع الظروف المحلية ، شرط اتباع اسلوب منهجي دقيق يوفر مجالات لتأثيرات ايجابية لدى الجيل الجديد تتعلق بالاهداف غير البارزة مرحليا ·· ويجب الاستدراك دائما بان تربية الاجيال الصاعدة الفلسطينية هي مسعى واع لتربية عربية جديدة · فلذا يجب ان لا تنعزل التربية الفلسطينية عن المحيط العربي ، تتفاعل معه وتستفيد من بعض تجارب الدول العربية عامة ، كما تقوم بدورها بالتأثير على التربية في هذه الدول وعلى التربية العربية عامة ·

ولا ينفصل التنظيم الشبيبي او التنظيمات الشبيبية المختلفة عن التنظيم السياسي والمنظمات الجماهيرية ، كون التنظيم السياسي هو الذي يحدد الاهداف السياسية ـ الاجتماعية للتنظيم الشبيبي ، ويقدم له الامكانيات البشرية والمادية ، ويرعاه من خلال تجنيد كامل الطاقات لانجاح نشاطاته المختلفة ، مما يخلق اللحمة الفعلية بين الجيل الجديد والاجيال الراشدة · كما يجب ان تكون العلاقة مع النقابات العمالية والاتحادات الفلاحية ، وثيقة من اجل المساهمة في عمل هذه المنظمات من اجل خدمة قطاعاتها والشعب عامة · كما ان لهذه المنظمات مصلحة في العمل مع الشبيبة ، من اجل الهدف المشترك في توجيه الشباب العامل او الشباب الفلاحي ، ومساعدة غير المؤهلين علميا على

التخصص المهني ، وتطوير مستوى هذه الفئة من الشباب عامة · وتساهم ايضا المنظمات الشبيبية في اعداد الجيل الجديد للعمل في الحقل النقابي والاجتماعي الاقتصادي عامة·

٢ ـ الاسس التربوية للتنظيم الشبيبي ·

ليس للنشاط الشبيبي فلسفة تربوية خاصة به ، فهو يستمد اهدافه وتصوراته من الفلسفة التربوية لمجتمع معين · وفي الظروف الطبيعية لمجتمع ما ، اي مجتمع مستقر ومستقل ومحدد الاهداف الاجتماعية والاقتصادية ، تتوحد الاسس التربوية لكل من التربية الصفية والتربية الشبيبية ، مع التركيز على بعض الاسس والاساليب في كل نشاط (صفي او شبيبي) تبعا للاهداف التربوية المطلوبة ، ونشاهد في الدول الاشتراكية تنسيقا شديدا بين هذين النشاطين ، ويجري اتباع اساليب تربوية متشابهة في العديد من المجالات ، مثل اعتماد مبدأ المجموعة في النشاط الصفي ، او تنظيم الصف على اساس وحدات الطلائع ، او الدقة في منهجة النشاط الشبيبي الخاص بحركة الطلائع · ويطلب من النشاط الشبيبي دعم النشاط المدرسي ، واكمال دور المدرسة نسبة للشباب العامل والمتسرب باكرا من المدرسة · غير ان مبدأ دعم النشاط المدرسي يتجاوز المساعدة الجانبية ليصبح تعزيزا وترسيخا للاهداف التربوية المحددة في فلسفة التربية او في المبادىء الاساسية ·

لقد قام مركز التخطيط الفلسطيني وبعد حوار واسع مع خبراء ومثقفين ملتزمين وكوادر سياسية ـ عسكرية بوضع فلسفة تربوية للشعب العربي الفلسطيني اصدرها في عام ١٩٧٢ ، وهي بمجملها تحدد اسسا ايجابية لنشاط تربوي واع · ولكن مع تطور بعض التجارب التربوية الفلسطينية وتطور الوعي التربوي الشامل ، ظهرت بعض الثغرات في هذه الفلسفة ، خصوصا بما يخص عدم وضوح الاسس التربوية لحب العمل وربط عملية التعلم بالعمل والانتاج · ولم توضح هذه الفلسفة فهمها للنشاط اللاصفي او الشبيبي ، وما نتج عن هذا الخلل من اهمال لتحديد الاسس التربوية للعلاقة المنهجية والتأثرية بين هذين النمطين من النشاط ·

واهملت ايضا هذه الفلسفة ، ابراز الفحوى الجماهيرية للتربية من خلال جدليتها اي توجيه التربية لخدمة الجماهير ، والاهتمام الجماهيري المنظم والتلقائي بدعم التربية مضمونا ونشاطا ، والمساهمة المادية والبشرية في توفير الامكانيات المطلوبة ·

سنرتكز في عرضنا للاسس التربوية الى فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني الموضوعة من قبل مركز التخطيط الفلسطيني والى الاسس الاخرى المنوه عنها اعلاه · ولكننا نريد التنويه مسبقا الى تداخل هذه الاسس · فعملية التربية عملية متداخلة · لان القيم والمسلك تتولد من القناعات ، التي بدورها تتعزز بالممارسة والتقييم ، وكلاهما يحتاجان الى قدرات ذهنية ويدوية ·

١ ـ توجيه قيم ومسلك الفرد سياسيا واجتماعيا :

في غياب قناعات داخلية واضحة ، يصعب على الجيل الفلسطيني الجديد ، تقديم التضحية المثلى والابداع واظهار الارادة في تجاوز جميع الصعوبات · فعملية التوجيه هذه عملية متعددة الجوانب ، اهمها ربط النظرية بالعمل والوصول الى النظرية من النماذج الجماعية

والفردية للشعب الفلسطيني والعربي من نماذج الشعوب الاخرى . فالقيم التي نريد ترسيخها لدى الجيل ليست شعارات ترفع ، بل هي امثلة حية لتجارب عامة وشخصية تزوده بالقناعات الاساسية . وهذه بدورها تحرك مسلكه بشكل تلقائي . ولذا نستطيع القول ان القيم ليست منفصلة عن النماذج الطليعية التي يشاهدها الجيل الجديد ، وعن تجارب ذاتية يقوم بها لتؤكد صحة هذه القيم .

ان الاعتماد على الامثلة النضالية الجماعية للشعب عامة وللعناصر الطليعية خاصة والحديث عن أهداف العمل الوطني تهدف جميعها الى التأثير على الناحية العاطفية في سيكولوجية الطفل والجيل الجديد عامة . واما استنفار الوعي الذهني فيأتي من خلال الحوار وتعدد التجارب الفردية للطفل او الشاب . وتتطلب عملية الترسيخ استعمال وسائل تربوية عدة وتنظيم انشطة متكاملة ، وتطبيق منهج تقييم موحد لمختلف النشاطات تعتمد اساسا اسلوب النقد والنقد الذاتي من قبل الجيل الجديد . فيستفاد من هذا الاسلوب لتطوير نمط العمل الفردي والجماعي .

بعد هذا المدخل السريع نتطرق الان الى القيم والمسلك المطلوبة اعتمادا على فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني .

اولا - غرس وتنمية القيم التالية في نفوس النشء :

أ - حب واحترام الوالدين والزملاء والمسنين . ب - حب الشعب والثقة به . ج - حب الوطن والثورة وبالثقة بالنصر . د - حب الروح الجماعية وتعميقها والاعتماد عليها والكفاح من أجلها . هـ - حب العمل والانتاج لخدمة الثورة والشعب . و - المبادىء والقيم الوطنية والثورية والتحرر من العصبية ومن القيم الفردية والقيم التقليدية السلبية .

ز - الشعور بالمسؤولية والانضباط وتقوية الصلابة والمناعة في الخلق ضد الازمات والقوى المضادة للثورة والتهيئة للمشاركة الفعلية في قضايا المجتمع . ح - الثقة في المستقبل والاعتماد على النفس لدى الافراد والجماعات ، وتنمية القدرة على مجابهة التحدي بمختلف اشكاله ومستوياته . ط - روح التفاؤل الثوري وروح حب المستقبل في النفوس . ي - الجراة وروح التحدي والمخاطرة المسؤولة في اطار العمل الجماعي

ثانيا - ضرورة التحلي بالصفات الثورية مثل الصدق والاخلاص والمواطنية والشجاعة والخلق والتواضع والكتمان ومقاومة الانتهازية والوصولية والاغتياب والدس والنفاق والكذب .

وهناك ثلاثة شروط اساسية ملازمة لتحقيق ترسيخ وتعزيز قيم ومسلك جديدين يحققان الانسان العربي الفلسطيني الجديد والقادر على الارتقاء نوعيا بالنضال الثوري وصولا الى التحرير والعودة والبناء الثوري .

الشرط الاول : ربط متين بين النظرية والممارسة ، اي عدم اتباع اسلوب الخطابة والوعظ لترسيخ قيم ومسلك جديدين ، بل جعل الفرد يمارس هذا المسلك ، ويطبق اسلوب النقد والنقد الذاتي الايجابيين ، اي ضمن ظروف علاقات رفاقية .

الشرط الثاني : الامتناع عن فرض مسلك على الفئات العمرية المختلفة ، يتجاوز قدراتها الذهنية والجسدية ، لان اي تقصير او عجز في استيعاب القيم وتحقيق المسلك المطلوب ، يولد مسلكا معاكسا .

الشرط الثالث : لا يقتصر ترسيخ القناعات الاساسي لدى الطفل على نمط تجاربه ومسلكه هو ورفاقه ، بل يتاثر ايضا بالمسلك العام (العائلة والمسؤولين والمجتمع ككل) اي ان المسلك الوطني الثوري يعزز من قناعات الطفل وقيمه ومسلكه · فالتربية الشبيبية تتلازم مع المد الثوري العام ، اي مع التعديل في مسلك الافراد وما ينتج عنها من بطولات وانجازات جماعية وفردية · تقدم له نماذج حية يتمثلها ·

يشكل تطبيق هذه الشروط ، عملية تصاعدية في تنشئة الجيل الجديد · يساعد المناخ الثوري على وضع اسس سليمة لنشاط شبيبي جيد · والتقيد مع مستلزمات الشرط الاول والثاني يحقق قفزة نوعية في تنشئة الجيل الصاعد · فيقدم النشاط الشبيبي افواجا جديدة من العناصر والكوادر ، تطور جميعها المناخ الثوري ، وترتقي بالتعبئة الجماهيرية المولدة لمزيد من الامكانيات المادية والبشرية ، تدعم النشاط الشبيبي ·

ب ـ بناء قدرات الفرد الذهنية واليدوية

لا تنفصل عملية الاعتماد على النواحي العاطفية والعقلية للطفل لترسيخ القناعات الاساسية ، عن عملية تنمية قدراته الذهنية واليدوية · فعملية الاقتناع بالمبادىء الثورية هي عملية اكتشاف واختبار فردية وجماعية · ومع تنمية قدراته المختلفة تزداد كفاءة الطفل في الاكتشاف والاختبار ·

تشمل القدرات الذهنية المطلوبة ، المنهجية في التفكير والمعرفة والتذوق · فترسيخ منهجية التفكير اساسية ، كونها تشمل القدرة على التحليل والتفكير الشمولي والنقدي مما يؤهله للتقييم والتعبير الواضح والتخطيط وتنظيم التنفيذ ·· وتتعمق هذه المنهجية مع المعرفة النظرية والعملية · اما تنمية القدرة على التذوق لدى الجيل الجديد ، فتهدف الى جعله يتحسس المأثورات الشعبية ، ويتذوق الابداع الفني الانساني القديم والجديد ، ويستجيب لابداع رفاقه ويبادر ذاتيا للمساهمة في الابداع الفني والادبي · فالتذوق الجمالي يحرك احساس الفرد ويزيد من علاقته بشعبه ورفاقه ويعمق لديه معنى التحرر الوطني والاجتماعي ، اي معنى بناء مجتمع جديد متحرر من الاستغلال والفقر ، مجتمع العمل والطموح الفردي والجماعي والرفاهية ·

وتشمل القدرات اليدوية المطلوبة ، المهارات التقنية والعملية في استعمال الادوات المختلفة ، والتحلي بمزايا معينة تلازم العمل اليدوي من دقة في العمل ومثابرة · وتهيىء المهارات التقنية الفرد لمعالجة بعض الاحتياجات التقنية والحرفية مثل اصلاح او تجهيز بعض الاشياء من كهربائية او ميكانيكية او نجارة وحدادة ، وعلى اكتساب هوايات خاصة في بعض الحقول التقنية والحرفية · وتشمل المهارات العملية ايضا معرفة البيئة الطبيعية والاستفادة منها ·

ج ـ تنظيم تربية عملية للفرد تحقق الاساسين السابقين وذلك من خلال الممارسة والعمل

فالتنظيم الشبيبي هو في جوهره ممارسة لانه صورة عن التنظيم السياسي · والمنظمات الشبيبية ، تخضع لنفس الاسس التنظيمية : الديموقراطية المركزية والتنظيم الهرمي » وتحديد اهداف مرحلية والتخطيط لها وتنفيذها · وتتحقق التربية في هذا النطاق من خلال النشاط والمسؤولية · ويهدف التوجيه فقط الى تقديم المشورة في كل من تحديد الاهداف

المرحلية والتخطيط لتنفيذها · ويتولى التنظيم الشبيبي ذاتيا مراقبة الافراد وتقييم عملهم ·

ولذا يجب توفير كل شروط العمل الديمقراطي ، اي حرية انتخاب المندوبين وتشجيع الاجتماعات القاعدية واللجان المسؤولة والمتخصصة وترسيخ حرية النقاش حسب اللوائح الداخلية والرضوخ لقرار الاكثرية · كما يجب اتباع الديموقراطية المركزية لفئة عمر ١٣ وما فوق ، اي تنظيم مؤتمر عام كل سنتين ، يسبقه تهيئة على مستوى القاعدة والفروع ويجري تقييم العمل السابق في هذا المؤتمر ، وتحدد اهداف المرحلة القادمة ، وتناقش النتائج على مستوى القاعدة ، ويبرمج تنفيذ الاهداف ·

فخطوات التحليل والتقييم والنقاش تساعد جميعها على ترسيخ التفكير النقدي والشمولي وتطور من معارف الانسان وقدراته المسلكية والذهنية · وتتنمى القدرات التخطيطيـة والتنظيمية خلال عملية ترجمة الاهداف المرحلية الى مهام ، وتحويل هذه المهام الى خطط عمل تحدد المقومات البشرية والمادية وتسلسلها الزمني · ثم ياتي التنفيذ الذي يعـزز القدرات اليدوية للافراد ويرسخ القدرات الذهنية والمعرفـة واخيرا القناعات والقيـم والمسلـك ·

والى جانب النشاط الخاص المتعلق بتحقيق الاهداف المرحلية ، يجري تشجيع الشباب على الانتساب لنواد وحلقات علمية او ادبية او فنية او رياضية او علوم عسكرية ·· وتساعد هذه النواد او الحلقات على القيام بتجارب عملية ووضع برامج زمنية على شكل مشاريع ، تساهم في تعميق المعرفة وتكاملها ، وابراز نشاط جماعي يعرض خـلال المناسبات العامة ، وذلك على كل من المستوى المحلي والقطري والعام ·

ويلتقي مبدأ تشجيع روح البحث والمعرفة وتنمية الناحية الابداعية لدى الجيل الجديد مع مبدأ توجيه الممارسة لدى الشعب الفلسطيني ولدى الشعوب الفقيرة عامة لخدمـة الجماهير · وتصبح الممارسة مفيدة اجتماعيا عندما يجري تنظيمها على شكل مشاريع ، مثل صنع وسائل تربوية تستخدم في النشاط الشبيبي نفسه او في المدارس ، او انجاز مشاريع تخدم المجتمع المحلي والثورة عامة · ويقوم الشباب ايضا باصلاح المنشات والاجهزة والتجهيزات في المدارس ومراكز الشباب والنوادي ·

ويدخل ضمن العملية التربوية تنظيم مشاركة الشباب في العمل المنتج ، تعميقا للمعرفة العلمية ومساهمة في الانتاج الوطني · وتنظيم مثل هذا العمل المنتج له فوائد تربوية اخرى ، فهو يمثل حافزا قويا لتطوير مسلك الافراد والمجموعات · لكون الممارسة في اطار اهداف واضحة ومفيدة وضمن اطر رفاقية منظمة تعزز المسلك الايجابي ويثير حب المعرفة والاستعداد لتطوير العمل اداريا وتقنيا · وتلزم كل من الممارسة المفيدة اجتماعيا والعمل المنتج التنسيق بين الجهات المختلفة واجراء تخطيط دقيق ، تفرضان بدورهما حد أدنى من القدرات الذهنية واليدوية ·

د ـ جعل الممارسة والعمل مشاركة فعلية للجيل الجديد في الجهد الثوري :

المطلوب اولا هو ترجمة شعار دعم النضال الثوري الى ممارسات واعمال تدخل فـي نطاق المجهود العام · ويدخل ايضا ضمن مبدأ دعم الجهد الثوري الاقتصاد في التكاليف تخفيفا من العبء المادي الملقى على عاتق الثورة · ويتحقق الحل الامثل في حال اتبـاع وسيلة التمويل والتجهيز الذاتيين · كما يطلب من التنظيم السياسي والمنظمات الجماهيرية

على المستوى الوطني والقطري والمحلي تحديد مهمات نضالية للتنظيم الشبيبي ، لتصبح قسما من ممارسته وعمله وتدخل جميعها في اطار خطة تعبوية شاملة ٠

تولد المشاركة في الجهد الثوري حماسا لدى الجيل الجديد وشعورا بالمسؤولية ، يسرعان في ترسيخ وتعزيز القناعات وتحقيق مسلك ايجابي ٠ ويتسنى للشباب خصوصا فئة عمر (١٢ ـ ١٥) الاتصال بالعناصر الطليعية في مواقعها المختلفة ٠ فيتلمس معنى العمل المنظم والانضباط والتضحية ، ويتعرف الى البطولات الجماعية والفردية ٠ كما يتدرب القادة من فئة الشباب على تنظيم تنفيذ المهمات التي يجري تحقيق قسم منها في ظروف قاسية تفرض سرعة الانجاز ٠

٣ ـ الهيكلية التنظيمية حسب الفئات العمرية :

نستنتج من الاسس التربوية اهمية التوجه الواعي تجاه الجيل الجديد ٠ ونعني بالعمل الواعي الادراك العلمي لنمو الطفل وسيكولوجيته في المراحل العمرية المختلفة ٠ وتطوير اساليب تربوية تراعي النمو الجسدي والعاطفي ـ العقلي للاطفال ٠ وانطلاقا من هذه الخصوصيات يجري توزيع الاطفال على فئات عمرية مختلفة ٠ ويهدف اعتماد هذا التوزيع تحقيق تجانس بين الفئات العمرية المختلفة ، اساس ديناميكية الجماعة ٠ كما يساعد هذا التوزيع على تحديد حجم المتطلبات المطروحة على كل فئة عمرية والتي تتلاءم مع قدراتها الجسدية والعقلية والعاطفية ٠

وتبلور مبدأ التوزيع هذا خلال مسيرة نشوء وتطور الحركات الشبيبية ٠ فالحركة الشبيبية الحديثة انطلقت من مصدرين مختلفين ، مصدر التنظيم الشبيبي للنقابات ، ومصدر الحركة الكشفية ٠ فمع نمو الحركة النقابية وتثبيت هيكلها التنظيمي وجد من الانسب تنظيم حلقات خاصة بالعمال الصغار وتهيئتهم للعمل النقابي المستقبلي ٠ وبما انهم قسم من الطبقة العاملة ويشاركونها النضال ، فقد جرى تنظيمهم على نمط التنظيم الرئيسي ٠ واعتمدت الاحزاب الاشتراكية هذا الاسلوب لاحقا وطورته ٠

وبرزت من ناحية اخرى فعالية الحركة الكشفية واهمية بنائها الهرمي ٠ فاعتمد هيكلها التنظيمي نسبة لحركة الطلائع اي للاطفال من عمر ٦ الى ١٢ او ١٤ سنة ، واعتمد قسم من اساليبها التربوية ، ولكن اعطي لحركة الطلائع مفهوم سياسي واضح ٠

ومع الفصل الشكلي بين حركة الطلائع وحركة الشبيبة جرى التركيز على بناء المجموعة داخل حركة الطلائع ، وافساح مجال التعبير والخلق امامها انطلاقا من ديناميكية داخلية متحررة من سلطة الكبار ٠

تقدم حركة الشبيبة الكوادر والقادة لحركة الطلائع ومهمة هؤلاء التنشيط والارشاد ؛ وطريقة القيادة هذه تجسد اسلوبا تربويا جيدا لاعداد الشباب على نمط من القيادة يمتاز بالقدرة على تنشيط العناصر ، ودعوتها للمشاركة في أخذ القرارات والحماس في تنفيذها ٠

ويلعب تنظيم الشبيبة والذي يضم الشباب من عمر ١٣ وما فوق دورا مهما في تعبئة الطاقات وتحويلها الى قوة ضخمة في خدمة الوطن والتطور الاجتماعي ـ الاقتصادي ٠ وتزداد هذه الطاقة حجما وفعلا خلال مسيرة اعداد الشباب مسلكيا وفكريا ويدويا ، ويتركز محور تربية عناصر منظمة الشباب على تطبيق ممارسة مفيدة اجتماعيا ، تستثير

حماسهم ، ويجسدونها في انجازات طليعية تعزز قناعاتهم وتشد حماس الجماهير الواسعة وتبهر عناصر حركة الطلائع ·

مع نمو الثورة الفلسطينية بعد عام ١٩٦٧ ظهرت حركة الاشبال وشملت فتيان وفتيات من عمر ٦ حتى ١٥ سنة · وكان مركز النشاط معسكر الاشبال والذي يمثل نقطة الارتكاز ومكان التجمع · وطغت فكرة عسكرة الجيل الجديد ، ومن منظار ضيق ، اي تدريب الاشبال والزهرات على السلاح · وجرت بعض المساعي الدؤوبة لتطوير الاسلوب التربوي، غير ان هيمنة الشكل التنظيمي التقليدي ، اي اعتماد الطابور اساسا للتنظيم وحصر النشاط بالتدريب العسكري ، وقف عائقا أمام تطور حركة الاشبال تنظيما واسلوبا · وعكس هذا الموقف تخلف المفاهيم التربوية ، باتباع الاسلوب المدرسي الطاغي ، المميز باسلوب التلقين والترهيب ·

وأبرز التعامل مع الجيل الجديد اللاعلمية التي سادت الكثير من أوجه النشاط الثوري والتي تجنبت تحديد اهداف واضحة من تربية الجيل الجديد ، تستمد مقوماتها من الاهداف الاستراتيجية والمرحلية للشعب العربي الفلسطيني · وكان من اثر التعرف على حركات الشبيبة في الدول الصديقة خصوصا حركة الطلائع في الدول الاشتراكية ، ان بدأ يظهر وعي فلسطيني لتطوير حركة الاشبال · ويزيد هذا الوعي عمقا عملية تقييم تجربة الاشبال والنقاش الدائر حول نمط تنظيم وتربية الجيل الجديد ·

وظهرت الحركة الكشفية الفلسطينية الجديدة منذ عام ١٩٧٠ ، واعتمدت في انطلاقتها على تراثها القديم لدى اوساط الشعب الفلسطيني ، وعلى وجود حركات كشفية في الدول العربية المختلفة · واعتمدت ايضا على وجود عدد من القادة الفلسطينيين من حاملي الشارة الخشبية ، موزعين على الدول العربية · ومع انبعاث الحركة الكشفية الفلسطينية الحديثة ، بدأ النقاش حول أهدافها واساليبها التربوية · وبرز اتجاه قوي يدعو الى تطويرها لخدمة اهداف الثورة الفلسطينية ·

لكن الاهمية الخاصة التي تعطيها الحركة الكشفية للرموز الشكلية ، يعيق نموها ويبقي على التطورات التربوية التقليدية ، فما يزال رونق الثياب الاكثر تأثيرا ، مما يعيق انتشار الحركة الكشفية في اوساط الطبقة الكادحة ، لعدم قدرة الاهل على توفير الثياب والتجهيزات المطلوبة · وبالرغم من طلب المشرفين على الحركة الكشفية الفلسطينية بتجاوز الجماليات الشكلية ، الا ان الصورة التقليدية ما تزال هي المسيطرة · وما تزال الحركة الكشفية اسيرة تقاليدها الرومنسية ، فحياة الخلاء تمثل جوهر وكامل نشاطها مما يحصر فترة الالتقاء الى موعد اسبوعي ونشاط خلوي لبعض الايام او الاسابيع في السنة · بينما المطلوب فعلا دعم النشاطات الفكرية والفنية والجسدية واليدوية وجعل اللقاءات بعد ساعات الدراسة عاملا مهما في تربية العناصر والتنسيق مع المدرسة والتحضير للحياة الخلوية المتكاملة · وهكذا تتحول المخيمات الى معسكرات عمل ، الى جانب التدريب والترفيه والنشاط العلمي ·

المطلوب حقا هو انشاء حركة شبيبة تشمل أكبر عدد من الذكور والاناث من عمر ٦ سنوات حتى ١٢ سنة ، وترتبط بمنظمة التحرير من خلال المجلس الاعلى للشباب ·· وتتمتع هذه الحركة بالليونة الكاملة لتأخذ اشكالا متنوعة حسب الظروف الموضوعية في كل منطقة تحتوي على تجمعات فلسطينية ·

ويتطلب تحقيق الاهداف التربوية المطلوبة تنظيم نشاطات لحركة الطلائع تشمل الاكثرية

الساحقة من فئات الاعمار المختلفة · ويمتاز تنظيم هذه الحركة ونمط الممارسة بديناميكية ذاتية ، تساعد على تحريك كل نشاط وتطويره · ان ارتباط حركة الطلائع بمنظمة التحرير يعبر عن معنيين ، المعنى الاول بروز منظمة التحرير الفلسطينية كحركة سياسية لهــا استراتيجيتها وأهدافها وقادرة على اعطاء البعد السياسي الاجتماعي لحركة الطلائع ، والمعنى الثاني ، رفض فئوية النشاط الشبيبي للاطفال دون الثالثة عشر من العمر · اذ ان انماء روح التحزب الفئوي لديهم يمثل عائقا مهما امام تطور النضال الفلسطيني وذلك بانتقال اسلوب التعصب العشائري الى الحركات السياسية · لذا فان حصر النشـــاط الشبيبي للاطفال دون الثالثة عشر مع المجلس الاعلى للشباب يحقق جو تآلف حقيقي ، ويهيىء السبل لنشاط لا صفي مرتكز على الصفوف والشعب في المدرسة ·

وجاء تحديد السن الاقصى لعناصر الطلائع بعمر ١٢ سنة ، انطـــلاقا من الوضـــع الفلسطيني الذي يستقطب الجيل الجديد سياسيا وعسكريا من عمر ١٣ سنة · ومـــع تشجيعنا لحركة شبيبة موحدة ، الا اننا نرى ان الظروف الحالية لا تسمح بنشاط موحد ، ولذا نقترح تمديد العمر الاقصى للطلائعيين بـ ١٢ سنة ، وقبول تعدد الحركات الشبيبية لافراد الجيل الجديد من عمر ١٣ سنة وما فوق · ويترك لكل تنظيم سياسي انشاء او تطوير التنظيم الشبيبي الخاص به ، مع السماح للمجلس الاعلى لرعاية الشباب · الابقاء على الحركة الكشفية لفئة عمر ١٢ وما فوق · على ان ينشأ مجلس أعلى للحـــركة الشبيبية يضم المنظمات الشبيبية في التنظيمات والكشاف والاتحادات الطلابية وجمعيــة قادة الطلائع · وذلك بهدف صياغة النشاطات المشتركة من تدريـــب الكوادر تربويا ، واقتراح البرامجالتربوية والاجتماعية والنشاطات العامة ، وتوفير كوادر عاملة مـــع حركة الطلائـــع ·

وعلى المجلس الاعلى للشباب رعاية انشاء نواد مدرسية تشمل ايضا فئة عمر ١٣ وما فوق وضمان عدم محاربتها من قبل التنظيمات او السعي للهيمنة الضيقة عليها · وذلك بهدف تشجيع انماط من العمل الوحدوي يضم الشباب ويتجاوز التحزب الضيق · ومن هذا المنطلق ايضا يشجع انشاء النوادي الاجتماعية والرياضية والثقافية ، وضمان نموها ضمن نمط تنظيمي داخل المجلس الاعلى للشباب · ومع وضوح الرؤية التربوية يسعى الى تطوير العلاقة •بين الحركات الشبيبية والكشاف والنوادي وجمعية قادة الطـلائع ، لتكوين مؤسسة موحدة ، تراعي بعض الظروف الذاتية ·

وتستطيع الكوادر الشبيبية دون عمر الـ ٢١ والعاملة مع حركة الطلائع انشاء جمعية خاصة بها · ويكون من أهداف هذه الجمعية تحقيق نشاطات خاصة باعضائها ، تهدف الى تدريبهم للعمل مع الطلائع وتبادل الخبرات · ولا يمنع انتساب بعضهم الى الحركـات الشبيبية الحزبية او الى الكشاف · وتتبع هذه الجمعية المجلس الاعلى للشباب وتشارك معه ومع الجهات التربوية الفلسطينية الاخرى في اقتراح النشاطات والبرامج لحـــركة الطلائـــع ·

ان البناء الهرمي للحركات الشبيبية مهم جدا · لما يوفر من فعالية تنظيمية ومحـــاور نشاط · ولذا يجري توزيع عناصر الطلائع ونسبة الى الجنسين الى ثلاث اقسام اساسية :

- عنصر طليعي مبتدىء (٦ ــ ٩ سنوات) ·
- عنصر طليعي (٩ ــ ١٠ سنوات) ·

ـ عنصر طليعي متقدم (١١ ـ ١٢ سنة) ٠

ويتجاوب هذا التنظيم مع خصوصيات كل فئة عمرية ، ويعطي حافزا لاجيال الطلائع ٠ فيشعر الطليعي ان التقدم من فئة الى اخرى يتطلب جهدا وعملا دؤوبين ، وابراز مستوى من الكفاءة والمسلك المرغوبين ولا يمنع ولاسباب سيكولوجية بشكل استثنائي انتقال بعض العناصر من فئة الى اخرى (النمو الجسدي مثلا) ٠ واما مبدأ الطرد من حركة الطلائع فغير مرغوب به لا يطبق الا في حالات استثنائية جدا ، كون هذه الحركة مؤسسة تربوية يفرض عليها استعمال وسائل تربوية مختلفة لاعادة تربية العناصر الشاذة ومن المعلوم ان مسلكها هذا ناتج عادة عن اوضاع عائلية صعبة ٠ واخيرا تقتبس حركة الطلائع من التنظيم الكشفي تنظيم العناصر مجموعات وفصائل وفرق ٠

واما التنظيم الشبيبي لفئة عمر (١٣ حتى ٢١) فيقسم الى قسمين :

ـ قسم الشبيبة المبتدئة (من ١٣ الى ١٥ سنة) ٠

ـ قسم الشبيبة المتقدمة (من ١٦ الى ٢١ سنة) ٠

يجري تمديد انتساب العناصر القيادية الشابة حتى عمر ٢٦ سنة ، والتي يجري انتخابها واعادة انتخابها لمسؤوليات قيادية على المستوى الاقليمي او الوطني ٠ يأخذ شكل تنظيم العناصر الشبيبية المبتدئة اسلوب تنظيم العناصر الطليعية المتقدمة ٠ أما فئة العناصر الشبيبية المتقدمة فتأخذ شكل الهيكل التنظيمي الحزبي ٠ ولذا يأتي تمثيل فئة عمر (١٣ ـ ١٥) أقل من فئة الاقدم سنا في المؤتمرات العامة والمجالس المركزية والمحلية٠

نلاحظ ثغرتين في هذا التنظيم المقترح : تتعلق الثغرة الاولى بتحديد السن الاقصى للعنصر الطليعي باثنتي عشر سنة بدلا من ١٤ أو ١٥ سنة ، وتكرار النمط التنظيمي الخاص بالطلائع على فئة عمر (١٣ ـ ١٥) داخل التنظيم الشبيبي ٠ ٠واما الثغرة الثانية فتتعلق بفقدان العناصر القيادية المكلفة من قبل التنظيم الشبيبي بالاشراف على مجموعات وفرق الطلائع كقسم من النشاط الشبيبي ٠ وجاءت هذه الثغرة نتيجة الفصل بين حركة الطلائع والتنظيم الشبيبي ، او التنظيمات الشبيبية ٠

انها ثغرات مبدئية ، فهذه التشكيلات التنظيمية تتلاءم والظروف الموضوعية ٠ ويعطي هذا النسق من التنظيم ليونة كبيرة ، فبارتباط حركة الطلائع بالمدرسة واستغلال ابنيتها لصالح النشاطات المختلفة ، يمنح الحركة القدرة على التكيف مع الظروف السياسية المحلية ، شرط الحفاظ على المبادىء التربوية الاساسية ٠ ومن هذه المبادىء تكوين الجماعات المتجانسة ، وتعويد الطلائعيين الكبار على تحمل المسؤولية ، واستقطاب الشباب والكفاءات لمؤازرة المربين في تنظيم وتنشيط حركة الطلائع ٠

٤ ـ كادر التنظيمات الشبيبية :

يرتبط الكادر بعملية التوجيه السياسي والاجتماعي والتربوي للجيل الجديد واعداد وتأهيل كوادر كل من تنظيم الطلائع والتنظيمات الشبيبية ، فكفاءة الكوادر ومسلكها الطليعي شرط اساسي لتنشيط الطلائعيين والشباب عامة ، وتوفير البرامج المختلفة ، وتحقيق الاهداف التربوية المطلوبة من كل مؤسسة وكل فئة عمرية ٠

وقبل الحديث عن موقع الكوادر وتأهيلها يتوجب تحديد مفهومنا للكادر في النشاط الشبيبي · انه الشخص المسؤول عن تنظيم العناصر وتوجيه النشاط وتحمل مسؤولية تنفيذ البرامج والمهمات · وينطبق هذا التحديد على العناصر المنتخبة من الشباب انفسهم وعلى العناصر الشابة المنتدبة والمتطوعة للعمل مع حركة الطلائع · وعموما تشمل صفة كادر جميع الاشخاص المتخصصين والمتفرغين لاعداد البرامج والمناهج والموجهين التربويين والشباب المنتخب او المعين لمهمات قيادية ·

ويجب التميز بين كادر الطلائع وكادر التنظيم الشبيبي او التنظيمات الشبيبية · فكادر الطلائع عنصر من خارج فئة عمر (٦ ــ ١٢) ، بينما كادر التنظيم الشبيبي عنصر من داخل التنظيم نفسه ، برز خلال العمل وانتخب من قبل رفاقه لقيادتهم · ويسمح عادة للشباب الذين تجاوزوا ٢١ سنة البقاء في التنظيم الشبيبي ان هم انتخبوا لمهمات على المستوى الاقليمي او الوطني ، تقديرا لخبراتهم ومزاياهم القيادية ، ويتوقف انتسابهم بعد سن ٢٦ · وقد يتولى بعض كوادر التنظيم السياسي مسؤولية موجهين سياسيين للكوادر الشابة على ان لا يتجاوز عملهم توضيح الاهداف السياسية والبرامج المرحلية للتنظيم السياسي ·

بما ان الهدف الاساسي لحركة الطلائع هو توجيه تربية الجيل الجديد وتنمية قدراته فهي تحتاج الى استقطاب تربويين ، والى اعداد الشباب تربويا لقيادة الطلائعيين ·· ويتألف مجموع كوادر حركة الطلائع من العناصر التالية :

ــ كوادر مخططة ، تضع الخطط وبرامج النشاطات ومناهج تدريب الكوادر المسؤولة··

ــ كوادر موجهة تربويا وميدانيا للكوادر القائدة لفصائل ومجموعات الطلائع (الكوادر المذكورة لاحقا) ·

ــ كوادر من المعلمين والمسؤولةعن فصائل الطلائع ·

ــ كوادر من الشباب من عمر ١٤ وما فوق ومسؤولة عن مجموعات الطلائع ·

ذكر سابقا العلاقة المثلى المرغوبة بين حركة الطلائع ومنظمة الشبيبة ، حيث تنتدب الاخيرة عناصر لقيادة مجموعات الطلائع · ويكون نشاطهم هذا قسما من التزامهم بالتنظيم ، وتعبيرا عن ممارستهم في نطاق الخدمة العامة · ولكن ارتؤي فصل حركة الطلائع الفلسطينية عن تنظيمات الشبيبة حاليا لارتباط الاخيرة بالتنظيمات السياسية · ولكن من الممكن تطبيق هذا المبدأ ضمن تنظيم الشبيبة حيث ينتدب شباب لتولي ، ارشاد العناصر الشبيبية المبتدئة · ولا يمنع من جهة اخرى دعوة منظمة الشبيبة لعناصرها للتطوع والعمل في نطاق حركة الطلائع · ويأتي هذا التطوع فرديا وليس على شكل انتداب رسمي يأخذ شكل تكتل · ان الالتزام بهذا المبدأ قد يشجع مستقبلا دمج فئة عمر (١٣ ــ ١٤) مع حركة الطلائع ·

واضافة الى الشباب العامل مع الطلائع يجري ابراز عناصر من الطلائع نفسها تساعد في النشاط مع عناصر الطلائع المبتدئة والوسطى اي فئتا عمر (٦ ــ ٨) و (٩ ــ ١٠) ويجري الاعتماد على العناصر المنتخبة من فئة الطلائع المتقدمة لتشارك في مسؤولية القيادة · وتصبح وظيفة الكوادر ارشادية وفنية نسبة لهذه الفئة · وتنظم دورات اعداد خاصة بهؤلاء الطلائعيين القادة ·

ان تنوع فئات الكادر ناتج عن اهمية توفير تنظيم قاعدي واسع وهرمي يحقق الاهداف

الاجتماعية والتربوية · ولما كانت حركة الطلائع ومنظمات الشبيبة مؤسسات جماهيرية تربوية ، فهي تحتاج الى منهجية في عملها ، مما اوجب التاكيد على ضرورة وجود كوادر مخططة ومتخصصة تضع البرامج التفصيلية ، وتختلف اهمية الكوادر المخططة والموجهة نسبة لكل من حركة الطلائع ومنظمة الشبيبة ، يتولون في الاولى دورا قياديا ، بينما يتولون في الثانية دورا ارشاديا ·

فعملية كسب مؤازرة عناصر متخصصة تربويا ومهنيا مهمة جدا لتطوير النشـــاط الشبيبي ومنحه بعده المنهجي ، فتكون عملية البناء عملية واضحة المعالم · كما ان نشاط هذه الفئات ضمن حركة الطلائع ، اي ضمن عمل تربوي ، يعتمد النشاط والممارسـة اصلا ، يساعد الجميع على التحرر من ثقل التقليد الاعمى في التعليم المدرسي ، والتشجيع على طرح تساؤلات حول الاهداف التربوية من التعليم المدرسي وناتجه واساليبه · ونطرح هنا بعض الاستنتاجات التربوية التي قد تطرح امام المعلمين خلال العمل مع حركة الطلائع ومع فئة الشبيبة المبتدئـة ·

ا ـ اهمية النشاط في عملية الادراك ·

ب ـ أهمية تكامل المواد العلمية في عملية تعميق الادراك وترسيخ المعلومات والاستفادة منها في الحياة اليوميـة ·

ج ـ أهمية وجود المجموعات الطلابية التعاونية كعنصر ايجابي في تعميق الادراك ، الى جانب ما يمثله هذا العمل الجماعي من وسيلة لترسيخ قيم اجتماعية وعلمية مهمة اساسية لتطوير القدرات البشرية والمادية للمجتمع ·

واما نسبة الكوادر الشبيبية العاملة على مستوى حركة الطلائع وتنظيم الشباب ، فنشاطها وسيلة مهمة لتطوير قدراتها القيادية · وتحتاج الثورة والمجتمع الحديث عامة الى اعداد كبيرة من العناصر القادرة على تحمل المسؤولية والابداع · فالحياة الحديثة تتطلب تعدد القياديين او الكوادر عامة من (سياسية وعسكرية واجتماعية وتقنية ـ مهنية) ويفهم تحت صفة القدرة القيادية : الكفاءة المهنية والتخصص والاستعداد للعمل الجماعي والسرعة في أخذ القرارات المناسبة ·

ويوفر التنظيم الشبيبي للفئات العمرية المختلفة مجالا للتحلي ببعض الصفات القيادية ·· يتحقق ذلك من خلال تحمل المسؤولية · والحصول على تأهيل وتدريب ملائمين · وهكذا يتمرس الشباب على العمل الجماعي وعلى التنظيم والتخطيط وبرمجة التنفيذ وتوزيـع الادوار وانجاز التنفيذ وتقييمه بعد ذلك ·

لا تكفي الممارسة وحدها لاعداد القادة من الشباب فهم يحتاجون الى منهجية في التفكير تساعدهم على اكتساب المهارات اللازمة · ويحصلون عليها بواسطة التدريب والتأهيـل ويشمل هذا التدريب ، دورات تمهيدية واساسية ولاحقة ودورات فنية او تقنية متخصصة· كما يجري تنظيم حلقات لقاء وحوار وتقييم تشكل جميعها مجال توجيه تربوي للكوادر الشابة ·

ويشمل التأهيل ايضا اعداد المعلمين من مسؤولي فصائل الطلائـــع ، فيتبعون نفس الدورات او يلتحقون بدورات خاصة بهم · ويستحسن عموما ادخال مواد تتعلق بالنشاط الشبيبي او النشاط اللاصفي كما يسمى في النطاق المدرسي في مناهج اعداد المعلمين قبل او خلال الخدمة ·

٥ ـ تنظيم مشاركة الشبيبة في الثورة :

خلال عرضنا للاسس التربوية ، جرى التاكيد على أهمية الممارسة بالنسبة لمشاركة الجيل الجديد في العمل الاجتماعي والثوري · توضح هذه الممارسة صفات المناضل ودوره الطليعي · ·فلا بد اذن من تنظيم هذه الممارسة ، وادخالها في نطاق النشاط الثوري الدوري والاستثنائي · ويشمل وعي هذا الوضع الجديد النقاط التالية :

أ ـ مفهوم المباشرة لترسيخ القيم والمسلك اي القناعات الاساسية ·

ب ـ مفهوم الممارسة من أجل ان يعتاد الجيل الجديد على الجهات والادوار المستقبلية ·

ج ـ مفهوم الاستفادة من الحشد البشري للشباب المنظم ، الذي يمتاز باطار دقيق وحماس للعمل ضمن نشاطات متعددة ، من الممكن توظيفها في المهمات الثورية المختلفة ··

والذي يطرح مجددا ، الشرط اللازم لتوفير مثل هذه الديناميكية ، هو وجود استراتيجية واضحة ، تحقق تعبئة جماهيرية ملازمة لاحتياجات مراحل النضال · وكما ذكرنا سابقا نفهم بالتعبئة الجماهيرية تحقيق حشد الامكانيات الجماهيرية البشرية والمادية المتوفرة · تستطيع هذه الاستراتيجية الواضحة والشاملة تحريك الكوادر السياسية والاجتماعية وجعلها تسترشد بالبرامج النضالية المرحلية · وهذا الوضع يمثل الحالة المثلى المطلوب الوصول اليها من خلال تطوير الوعي والتنظيم ·

وتتطلب مشاركة الشبيبة في الثورة والحياة العامة تنظيم نشاطات دائمة تدخل ضمن التعبئة العامة ، مثل تجنيد مجموعات وفصائل الشباب في وحدات الميليشيا وفي فروع الدفاع المدني · ويكون دور الشباب دون السادسة عشر مساندا ، ولكنه قد يصبح اساسيا في بعض المراحل ، مما يتطلب تدريب الجميع لتحمل كامل المسؤولية · ولا بد من التنويه هنا الى ضرورة مساهمة الجنسين ، ولكن وانسجاما مع وضع اجتماعي معين يجب توجيه الفتاة نحو مهمات جديدة ، دون التخلي عن هدف التنظيم السياسي والمنظمات الجماهيرية في تطوير وعي الجماهير وتحريرها من قيم تعيق الارتقاء بمستوى التعبئة الجماهيرية ·

وفي حال تطبيق التدريب العسكري والدفاع المدني في المدارس يطلب من منظمات الشباب دعم هذا التدريب ·

وفي نطاق الاستفادة من التنظيم الشعبي ، يطلب من مجموعات الشباب القيام ببعض المهمات العسكرية ، الا انه يجب الانتباه الى عدم تركيز النضال الثوري على مهمات عسكرية محددة وانتظار ورودها ، والوقوع هكذا في حالة جمود اثر انحسار هذا العمل فمتابعة التدريب والحراسات والاستنفار في نطاق الميليشيا او الدفاع المدني ، أمر حيوي تربويا وثوريا · كما ان الدفاع المدني متعدد الجوانب والفروع ، يستعان بقسم منه في اوقات السلم ·

وأمام الطلائعيين من مختلف الاعمار ، مهمات واسعة في حقل التحريض السياسي والتثقيف والترفيه الموجه · فالاستعراضات الجماعية الواسعة المحددة الشعارات تساهم كثيرا في عملية التحريض الجماعي · فيجري توجيه النشاطات الفنية والرياضية لتحضير هذه المهرجانات والاستعراضات والعروض المختلفة · فهي جميعها تقدم اشكالا عديدة من مؤثرات التحريض مثل الرقص والغناء الشعبي ، والتمثيليات والمعارض الفنية ·

لذا من المفيد جدا ترسيخ الوظيفة الاجتماعية والثورية للابداع الفني ، لدعم كل من التحريض والتعبئة ·

وتمتلك الثورة الفلسطينية تجارب عديدة لعمق تأثير النشاط الفني الملتزم للجيل الجديد على الجماهير الفلسطينية والعربية عامة · لكن يجب التنويه الى ان هذا النمط من النشاط يجب ان يكون تعبيرا عن نشاط داخلي واسع ، يهدف اساسا الى تنمية قدرات ومواهب الشباب · فهو اذا نقيض النشاط الشكلي الذي يتوجه صوب عدد ضئيل من الاطفال او الشباب ، يبرزهم اعلاميا · فمثل هذا المسلك سيء لتناقضه مع الاسس التربوية الداعية الى تثبيت القناعات الاساسية لدى الجيل الجديد ·

ويجري توجيه الطلائع والشباب لخدمة الجماهير كجزء من الانتماء للثورة · ويتم هذا ، عبر العمل على تطوير الوضع الاجتماعي ـ الاقتصادي للجماهير ·· من مقومات التعبئة الجماهيرية · ويدخل ضمن هذا النشاط مجموعة من الاعمال الجماعية لتطوير وضع التجمعات السكنية الفلسطينية (قرى ، مدن ، مخيمات) ، وذلك من نواحي المرافق والتهجيزات العامة والصحة ، والمساهمة في اعمال اقتصادية وانتاجية مثل اصلاح الاراضي ، حصاد ، سدود ، اقنية ، تشجير ، والقيام ايضا بمهمات فردية مثل رعاية اسر الشهداء والمشاركة في محو الامية ، والتطوع لترفيه الاطفال الصغار ومساعدة معلمات رياض الاطفال ·

ان التفاعل بين الكوادر السياسية والاجتماعية وبين مجموعات الطلائع والشباب يساعد على تجنيد هؤلاء للقيام ببعض الاعمال من خدمات او انتاج تخفف من الاعباء المادية الواقعة على عاتق الثورة · ولكن يتطلب من هذه الكوادر اتباع الاسلوب العلمي في العمل من حيث تحديد الاحتياجات وبرمجة الحصول على هذه الاحتياجات · فتوضع المواصفات وتحدد الكميات المطلوبة على مستوى مؤسسة او جهاز واحد ، وعلى مستوى عدة مؤسسات او اجهزة · فتجري دراسات حول تخفيض التكاليف ، وتحدد نمط اشتراك مجموعات الطلائع والشباب في انجاز هذه الاحتياجات من سلع او انشاءات ، ونمط تدريب هذه المجموعات لتحقيق المستوى الانتاجي المطلوب ، والذي بدوره يثير حماس الشباب ويزيد من اهتمامهم ·

ومن الاعباء المهمة المطلوبة حاليا من الفئات العمرية المختلفة ، توفير ادوات تعليمية ووسائل ايضاح ومواد مرافقة والعاب تربوية لجميع المراحل التعليمية ابتداء من الروضة حتى المرحلة الثانوية · وهذه المهمة ملحة لافتقار مدارس وكالة الغوث الى هذه الاشياء نتيجة سياسة الوكالة المالية وحتما ستتقلص الميزانية الفعلية للوكالة مع متابعة صعود التضخم المالي العالمي · وتهيىء هذه الممارسة ظرفين مهمين ، وهما التنسيق الفعلي مع النشاط المنهجي المدرسي وتشجيع عدد اكبر من المعلمين للاشتراك في النشاطات التربوية التابعة للنشاط الشبيبي · ومن خلال هذين الظرفين يجري تحسين الاساليب التربوية في كل من التعليم المدرسي والنشاط الشبيبي ، ومن الجدير ذكره ايضا ، ان انتاج ادوات ووسائل التعليم المختلفة من قبل الطلاب يجعلهم يحافظون عليها ، صيانة لانتاجهم او انتاج زملائهم ، مما يعزز المسلك المنشود من قبل التنظيم الشبيبي ، والداعي الى الحفاظ على التجهيزات العامة والانضباط الذاتي والجماعي ·

٦ ـ العلاقة بين الحركات الشبيبية والمدرسة :

ان التنشئة الهادفة للجيل الجديد هي عملية متكاملة ، تستمد وضوحها من ديناميكية المجتمع ومن طموحاته الاجتماعية والاقتصادية ، اي من ارادة التغيير والبناء ٠ وتشمل التربية المدرسية والعائلية والشبيبية والاعلام الموجه للجيل الجديد ٠ وذكرنا سابقا أهمية الحماس الجماهيري والديناميكية العامة كعوامل تطوير الكبار واشراكهم في تحقيق الاهداف التربوية ، واعطائهم مثلا صالحا للجيل الجديد ٠

ولذا يعول كثيرا على وعي الكوادر والجماهير عامة لاهمية توجيه التربية ، وما يتولد عنه من دعم متناهي للنشاط الشبيبي ، ويتجه ايضا هذا الوعي صوب التربية المدرسية ، ليطرح تساؤلات حول فعالية التعليم الحالي ٠

فكل اهمال لدور المدرسة هو ايضا تقييد للنشاط الشبيبي ، وبالتحديد نسبة للفئات العمرية حتى الخامسة عشرة ٠ فوظيفة النشاط الشبيبي دعم واكمال دور المدرسة ، والتي بدورها توفر المستوى العلمي المطلوب لتحقيق بعض النشاطات الشبيبية ٠ ومن هذا المنطلق ايضا جرى اقتراح فصل نشاط حركة الطلائع حتى عمر ١٢ سنة عن التنظيمات وربطها بالمدرسة ٠ ولا يعني ذلك سيطرة المدرسة كمؤسسة على نشاط الطلائع ، فالهدف هو الانطلاق من مجموعات التلاميذ في المدرسة وتنظيمهم بمؤازرة كوادر من داخل وخارج المدرسة ٠

ان اعتماد مجموعات التلاميذ في المدرسة يفرض مراعاة الظروف الموضوعية ، بحيث يحرص احيانا على عدم ابراز الصفة السياسية للتنظيم واعطائه صفة خاصة أقرب الى النوادي المدرسية والكشاف ، من التمسك بمبدأ ادخال النشاط اللاصفي في المدرسة واستعمال ابنيتها وتجهيزاتها كأندية في العطل الاسبوعية والسنوية ٠

فالاصرار على تنظيم النشاط الشبيبي الطلائعي في اطار المدرسة يهدف ايضا الى اجتذاب بعض التربويين من الجهاز التعليمي في المدرسة ، وحثهم على اكتشاف عمق عملهم التربوي وما يفرض من ابداع ٠ وخصوصا ان الاتجاه التربوي الحديث يعتمد على النشاط كأسلوب مفيد في التعليم المنهجي ٠ ومن خلال التنسيق مع النشاط اللاصفي تترسخ اهمية اسلوب النشاط ، وتتحقق المعادلة السليمة بين المعرفة والادراك ، والتي تساهم في تطوير شخصية الطالب ٠

ولتحقيق هذه الاهداف ، يجري تنظيم النشاط الشبيبي بشكل يخدم النشاط المنهجي المدرسي ٠ فتنظم مجالات ومواضيع النشاطات انطلاقا من تسلسل المعلومات المنهجية المدرسية ٠ والشرط الاساسي لتوفير اسس نجاح هذا التنسيق ، تكامل عرض المواضيع المدرسية ٠ والشرط الاساسي لتوفير اسس نجاح هذا التنسيق ، تكامل عرض المواضيع العلمية على شكل وحدات يساعد في تنظيم نشاطات تعمق من فهم الظواهر والقوانين المحيطة بالطالب ٠ وهنا تبرز القدرة الابداعية لدى المعلمين وكادر حركة الطلائع في الاستفادة الكاملة من هذا التنسيق لتطوير المادة الدراسية ، وتنظيم النشاطات بشكل يسمح بالاستنتاج المباشر من مشاهدة البيئة المحلية او بالتطبيق المفيد ٠

وتساهم النشاطات الفنية واليدوية في تصنيع الوسائل التربوية وتجميل المدرسة وتنظيم الحفلات المختلفة داخل وخارج المدرسة ، لاجتذاب الاهل والمشاركة في حملات الترفيه وتعبئة المجتمع المحلي ٠

ولحركة الطلائع دور اضافي في المدرسة . كونها تستطيع توفير الانضباط الداخلي ، اي ربط مسلكية الافراد والمجموعات بواجبات الطلائعي وتوفير جو المنافسة الخلاقة بين مجموعات الطلائع · ويستفاد من هذه الحركة لتشجيع التعاون بين الاطفال في الدراسة ، فتساعد المجموعة العناصر المقصرة من افرادها ، كما يساعد الطلائعيون الكبار الطلائعيين الصغار · وهدف هذه المعاضدة رفع مستوى الصف ، مما يزيد الحماس التربوي للمعلم وحماس التلميذ للتعليم ، فيتقلص حجم التسرب · ويتدنى هذا التسرب ايضا في حال اهتمام حركة الطلائع والمدرسة والمعلمين بحل المشاكل العائلية التي تسبب ايضا ترك التلامذة للمدرسة ·

وتطرح هنا قضية مهمة وهي انتشار طريقة المنافسة الفردية وتشجيع ذوي الطالب لها ، وانطلاقا من مفاهيم سيكولوجية واجتماعية خاطئة · وهي منافسة مضرة لنمو التلميذ ، اذ يخضع للارهاق الجسدي والنفسي . كما ينظر الى زملائه كأعداء · ان الاهداف التربوية المقترحة لبناء الانسان الجديد تكافح هذا الاتجاه لانه يبرز الانانية والفردية ويشجع كسل المعلمين ، ومن هنا فان نشاط حركة الطلائع عامل اساسي في تحقيق العمل الجماعي·

وابتداء من عمر ١٠ سنوات يبدأ انشاء النوادي العلمية والفنية داخل المدرسة ، وتتجاوب هذه الدعوة مع نوايا الطلائعيين ولا نتحدث عن اتجاهات وهوايات ، فهي لم تتركز بعد ، فهدف النوادي ايجادها وتنميتها ، وتتجاوب هذه الدعوة ايضا مع بروز القدرة على التركيز الذهني والمتابعة ونمو الاستعداد للمشاركة وتحمل المسؤولية · وتشجيع تحديد الاهتمامات يتجاوب مع تشجيع بوادر القدرة على الادارة الذاتية والاستعداد لحياة ديموقراطية وهذه الاستعدادات وتنميتها تهيىء الطلائعيين للنشاط مستقبلا ضمن منظمة الشبيبة ·

ويطلب من منظمات الشبيبة ان تتبع في نطاقها نفس الاسلوب خصوصا فيما يتعلق بالشباب من عمر ١٢ حتى ١٥ ، مع اعطاء المشاريع صبغة اكثر ابداعية واكثر التصاقا بهوايات واهتمامات الشباب · والاختلاف الوحيد مع النشاط السابق ، ان هذه النوادي تقع خارج النطاق المدرسي ، في المعسكرات او النوادي او مراكز هذا التنظيم · ويطلب رأي المعلمين والجامعيين والفنيين حول بعض التساؤلات او المعضلات ·

ومن الخطأ تنظيم النشاطات العلمية والفكرية بمعزل عن الاسترشاد بالمواد العلمية ، وذلك خوفا من الاستخفاف بالدراسة والمواد الدراسية ، خصوصا وان عوامل الاستخفاف كثيرة : سخافة الكتب ، كسل المعلمين ، انعدام الوسائل التربوية ·· ومع الاسترشاد بالمواد المدرسية الحالية يجري الطلب والعمل على وضع مناهج ومواد جديدة ·

٧ ـ علاقة التنظيم الشبيبي بالتربية العائلية :

اردنا الحديث سابقا عن العلاقة مع المدرسة ، لابراز عمق وشمول الصلة بين النشاط الشبيبي او اللاصفي والنشاط المنهجي المدرسي · والهدف من هذا الابراز توضيح الدور المحوري للمدرسة والتأكيد على خطأ تجاوزها · يقودنا بحث مسألة المدرسة الى دراسة علاقة التربية المدرسية الحالية مع التربية العائلية · فالعلاقة بينهما غير واضحة وتتسم بشبه انفصال تام · فلقد وضل الوضع الحالي للمدرسة ان اضحت تهتم فقط بالتعليم كعملية تلقين ، مهملة عملية تربية التلميذ ، فسعيها الاوحد ينصب على تحقيق انسجام

التلميذ مع الانظمة المدرسية غير مبالية للآثار السلبية التي تقع على شخصية هذا التلميذ· ونتيجة هذا الفهم الوظيفي الضيق اخذت المدرسة تهمل نسج علاقة مع ذوي التلميذ ، مدعية عدم اهتمام هؤلاء بالمستوى التعليمي لاولادهم · وهذا التـدبير يحتوي على قسط من الحقيقة ، فالاهل خصوصا من الاوساط الشعبية ترى ان المعلم اقدر على تقييم وتعليم اولادهم ، فليس من الجائز التدخل في شؤونه · وجاء هذا الموقف كتكملة لموقف سابق حيث كان الاهل يسلمون اطفالهم للمعلم ، الذي يتقن القراءة والكتابة ·

مطلوب من المدرسة تقييم مسلكها واتباع نهج جديد من العلاقة مــع ذوي الطالب ، انسجاما مع وظيفتها الاساسية ، وهي التربية · وعلى الحركة الشبيبية ايلاء هذه العلاقة وهذا التنسيق الاهتمام الكامل ومنذ بدء نشاطها · خصوصا وان الهدف الاساسي للحركة الشبيبية هو بناء الشخصية الايجابية للجيل الجديد· ومن هذا المنظور فهي ملزمة بالتنسيق الكامل مع التربية العائلية · ويتحقق هذا التنسيق من خلال التعاون مع الاهل وتوعيتهم بالاهداف والاساليب التربوية المختلفة ، ودعوتهم لتطوير نمط تربيتهم لابناءهم ، وتوجيه الطفل لفهم ذويه ومساعدتهم ··

فالخطوة الاولى المطلوبة هي القيام بحملة توضيح لاهداف الحركة الشبيبية واسلوب نشاطها ، وتوضيح أهمية هذه الاهداف وهذه الاساليب في بناء الانسان الجديد وتعزيز معارفه وادراكه وتوجيهه مسلكيا وعلميا ومهنيا · وتستعمل جميع وسائل الاتصال لتحقيق الوعي المطلوب · ويجري التركيز على التوعية داخل التنظيمات السياسية والمنظمات الجماهيرية · والنتائج المرجوة من هذا الوعي هي :

أ ــ تشجيع الانتساب الى حركة الطلائع ومنظمات الشباب · ب ــ التنسيق بين التربية العائلية والتربية المدرسية والشبيبية · ج ــ مؤازرة حركة الطلائع والشباب ودعمها ماديا وبشريا ·· د ــ الاشتراك في مجالس الاهل او في اللجان التربوية · هـ ــ الاهتمــام الجماعي بحركة الطلائع ومنظمات الشباب وتقديم الاقتراحات بتطويرها وتوفير المنـاخ الملائم والتنسيق اللازم لدعوتهما لخدمة الثورة والجماهير ·

لن يأتي التنسيق عفويا ، انه يحتاج الى حوار دائم بين الاهل وكادر الطلائع · ويجري بتنظيم اللقاء اما مباشرة (فرديا وجماعيا) او من خلال نشاطات للطلائع تستقطب اهتمام وحماس الاهل · ومطلوب ايضا من الكادر زيارة المنازل لمعرفة سبب غياب بعض الطلائعيين او اهمالهم ، مما يفسح المجال امامهم لمعرفة الوضع العائلي ، ويطلب ايضا من كوادر اجتماعية تعمل مع العائلات والجماهير كافة ، تشجيع التنسيق بين العائلة وحركة الطلائع والمدرسة ، وشرح ميزات هذا التنسيق ·

٨ــ النشاط الشبيبي واثره على التوجيه المهني والعلمي

ابرزنا سابقا أهمية ترسيخ مبدأ حب العمل والعمال لدى الجيل الجديد ، وذلك بهدف تضامن فعلي مع الجماهير العريضة واحترام عملها ونضالها ·· فهذا الموقف الايجابي يساعد الطلائعيين على النمو في جو من الحماس للعمل اليدوي والعمل عامة ، واعتبار الابداع في العمل اساس النجاح الاجتماعي ، بدل المركز والمردود المالي · ·مع الاستدراك ان الكفاءة المهنية تمنح الانسان مكانة في المجتمع ومكافأة مقبولة ··

وذكرنا ايضا اهمية الممارسة والعمل في عملية استيعاب كل من القوانين العلمية والبيئة

المحلية . فمن خلال هذا النشاط يتحقق تآلف الجيل الجديد من العلم والتكنولوجيه .. ويشعر بقدرته على فهمها والاستفادة منهما للمصلحة الخاصة والعامة . ويزداد هذا التآلف مع ترسيخ هوايات علمية ويدوية تجعل الشباب يتجاوز مرحلة التقليد ليصل الى مرحلة التجديد (الاختبار والاكتشاف) . وتسهل عملية التآلف مع توضيح مبدأ تطور الاكتشافات . فيدرك ان الاكتشافات ليست عملية خارقة للطبيعة . بل هي عملية نمو وتطوير . ولفهم عملية الانتاج يجري تنظيم مشاريع عمل جماعية تبرز أهمية التخصصات المختلفة ، وفائدة التنسيق فيما بينها لانجاز هذه المشاريع ، كما يستفاد من الزيارات لمواقع الانتاج المختلفة للاطلاع على نوع التخصصات المختلفة .

ويطلب من النشاط الشبيبي المساهمة الفعالة في توجيه الفرد مهنيا عند بلوغه اخر المرحلة الاعدادية او المتوسطة . فيجري مساعدته على اكتشاف رغبته المهنية . ويأتي هذا الاكتشاف كما ذكر سابقا من العوامل الثلاث التالية :

- حب العمل والعمال .

- معرفة المهن المختلفة واهميتها الاقتصادية والمستقبلية .

- بروز قدرات لدى الفرد يسعى الى تثبيتها من خلال هواية مستمرة تشده الى اختيار تخصص ملائم .

ونعلم يقينا ان الوضع الفلسطيني والعربي عامة لا يوفر كامل الامكانيات لتحقيق الرغبات المهنية للجيل الجديد . فما يزال عدد معاهد التأهيل المهني قليلة ، كما لا تتوفر اقنية اخرى لتأهيل مهني حديث . مع العلم ان نمط التأهيل المهني السائد في الدول العربية يتناقض واهداف التنمية الاجتماعية - الاقتصادية وللاسباب التالية :

- نظري ولا ينطلق من الظروف المحلية .

- ينغلق على مادة التخصص ، ولا يساعد على تنمية القدرات العلمية والعملية للطالب ، اي لا يساعده على التطور العلمي بعد التخرج .

- اسلوب خاطىء لانه يتطلب امكانيات مادية كبيرة ، غير متوفرة لمعظم الدول العربية ، وعلى الاخص للثورة الفلسطينية .

وفي هذا الاطار يستطيع التنظيم الشبيبي ان يتولى دورا مهما في الاعداد المهني ، مرتكزا على الاتجاه التربوي الحديث الداعي الى ارفاق التعليم الاكاديمي بنشاط يدوي تكنولوجي يوجه التلامذة ويمنحهم قدرة على العمل بعد الانتهاء من الدراسة الثانوية . ونوهت فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني بهذا الاتجاه : « ادخال مواد فنية او مهنية او تكنولوجية ذات محتوى اكاديمي وعملي يفوق مثيلاتها في المدارس الصناعية مما ينوع مؤهلات المتخرجين ويجعلها اكثر تجاوبا مع متطلبات الحياة المعاصرة » . .

لكي تقوم المدرسة العربية عامة والفلسطينية خاصة بهذه المهمة يفترض تطوير مناهجها ، مما يحتم تحديد استراتيجية واضحة . ويأتي هذا الطرح الان سابقا لاوانه، لاشتراطه وجود تيار تربوي واسع مدعم بتأييد القوى السياسية والجماهيرية .

ويقوم التنظيم الشبيبي بمهمته في حقل التوجيه المهني والعلمي من خلال النشاطات الخمسة التالية :

اولا : تنظيم نشاطات يدوية وعلمية لترسيخ المهارات لدى الطلائع والشباب ·

ثانيا : تشجيع ممارسة نشاطات متقدمة ضمن النوادي العلمية ، تتطلب تطوير المهارات السابقة (كهرباء ، نجارة ، حداده) ··

ثالثا : تنظيم العمل الانتاجي بشكل يوطد المهارة اليدوية والذهنية للجيل الجديد · ويجب التنويه هنا بان تنظيم مثل هذا العمل المبرمج يتطلب معرفة دقيقة بالشروط الاقتصادية والتقنية ·

رابعا : اعداد برامج تأهيل مهني خلال العطل الصيفية ·

خامسا : تنظيم دورات تأهيل مهني للمتسربين من المدرسة قبل انتهاء المرحلة الاعدادية (وسنتحدث عن هذه النقطة في الفقرة القادمة) ·

ومن الجدير ذكره ان بعض مدارس وكالة الغوث تحتوي على مشاغل لحصص الاشغال اليدوية ، والتي كانت قسما من نظامها التربوي ، الا انها تخلت عن تعميمه ، وتقلص عدد المدارس التي تحتوي على مثل هذه المشاغل · ان هذه التجربة جديرة بالدراسة والتقييم والعمل على احيائها ، والسعي للاستفادة من المشاغل في نشاط النوادي وخلال العطل المدرسية الطويلة ، خصوصا عطلة الصيف ·

٩ ـ النشاط مع الشباب المتسرب باكرا من المدرسة ومع الشباب العامل عامة ·

ان توضيح العلاقة المفروضة بين حركات الشبيبة والشباب العامل خصوصا تلك الفئة التي تركت المدرسة سابقا ولم تحصل على تأهيل مهني منظم ، يتوخى ايضا ابراز ظاهرة خطيرة يعيشها النشاط الشبيبي الفلسطيني . وهي اقتصار الحركات الشبيبية الحالية على التلاميذ او الطلاب ، مثل الكشاف او الاشبال · ولم يكن هناك وعي واضح لاجتذاب الشباب العامل خصوصا من فئة عمر (١٣ ــ ١٦) ، برزت ظاهرة سيئة جدا وهي اصرار الاتحاد العام للطلاب الفلسطينيين على تمثيل الشبيبة الفلسطينية خارجيا ، فدخل في معارك مع المؤسسات الفلسطينية الاخرى مثل المجلس الاعلى لرعاية الشباب او الاشبال · ومع اعترافنا بميزة خاصة به وهي شموله للطلاب الفلسطينيين من داخل وخارج الارض المحتلة · الا ان تمسكه بتمثيل جميع الشباب ، يطمس نسبة حجم فئة الطلاب الى مجموع الشباب ، وذلك على مستوى نفس فئة العمر او على مستوى مجموع الشباب من عمر ١٢ الى ٢٤ سنة ·

ان موقف الاتحاد العام لطلاب فلسطين وموقف جميع المنظمات والمؤسسات العاملة مع الشباب ناتج عن تصور خاطىء وهو انتساب جميع الشباب من عمر ٦ الى ١٨ الى المدارس ، وانتساب الشباب من عمر ١٩ وما فوق الى الجامعات · ونتج هذا التصور من تضخيم قضية اهتمام الشعب العربي الفلسطيني بالتعليم والتخصص ، كما ان الحديث الدائم عن ضخامة اعداد الكفاءات العليا يرسخ هذه الاسطورة · وهكذا جرى طمس ظاهرة التسرب من المدرسة والحجم الحقيقي للشباب من فئة عمر (١٣ ــ ٢٤) خارج مراحل التعليم وانواعه · فحسب الكتاب الاحصائي السنوي لدائرة التربية في وكالة الغوث لعام ١٩٧٢ ــ ١٩٧٣ ، بلغت نسبة الطلاب من فئة عمر (٦ــ١١) ٦ر٨٢ بالمائة نسبة الى هذه الفئة ، ونسبة الطلاب من فئة عمر (١٢ ــ ١٤) ١ر٦٩ بالمائة ، ونسبة الطلاب من فئة عمر (١٥ ــ ١٧) ٣ر٤٠ بالمائة ، اي ان من فئة العمر الاخيرة يوجد

٥٩٫٧ بالمائة من الشباب خارج نطاق المدارس والمعاهد الفنية ٠

ان قضية التسرب من المدارس ما تزال مرتفعة نسبة لفئة عمر (١٥ ـ ١٧) وبل فئة عمر ١٤ وما فوق اضافة الى تسرب قبل هذا العمر ٠ وقسم من هذا التسرب عادي ، اي ان قسما من الطلاب يتوقف عن الدراسة بعد الاعدادية ، وهو اتجاه طبيعي ، لان التعليم الالزامي او الاساسي المفروض يكتفي بـ ٩ سنوات دراسة (المرحلة الابتدائية + المرحلة الاعدادية) ، بل ان ٨ سنوات من التعليم الاساسي المنظم يكفي لتهيئة الجيل الجديد للتاهيل المهني ، غير ان المشكلة الحالية هي ترك الشباب للمدرسة وهم غير مؤهلين علميا ومهنيا ، اذ ان المستوى العلمي يتدنى وباطراد ، وليس المجال هنا للحديث عن الاسباب ، كما لا يتوفر المجال لمعظم هؤلاء الشباب للانتساب الى معاهد مهنية ٠

وبسبب ضيق مجال التأهيل المهني جرى التمييز في العنوان بين الشباب العامل عامة وبين الشباب المتسرب من المدرسة ، كما ان هذه الفئة من الشباب تعيش فترة عاطلة عن العمل بسبب المنافسة القوية في اليد العاملة غير الفنية ، وعدم وضوح اتجاه توظيف كفاءتهم وجهدهم ، وهم ايضا معرضون دائما للبطالة ، ولكن هذا الاهتمام الخاص لا يهمل الدعوة الى شمول جميع العمال من الشباب ، وخصوصا ان قسما منهم وقد تعلم مهنة عن طريق معاهد وكالة الغوث او معاهد اخرى او استحصل على هذا التاهيل المهني عن طريق التعليم الميداني ، فهذه الفئة من الشباب تتميز بمدخول لا بأس به ، يجعلهم يخصصون قسما منه لرفاهيتهم الخاصة ، ومعظم هذا الترفيه غير صالح اجتماعيا ، لوقوعه في حلقة الاثارة الاعلامية التجارية ٠ فيوفر التنظيم الشبيبي الترفيه المفيد ويغرس لديهم حماسا يوظف اوقات الفراغ للنشاطات التي تفيده وتفيد المجتمع ٠٠

فاي نشاط شبيبي يهمل هذه الفئات من الشباب ويتهرب من تحمل مسؤولية مساعدتهم على التطور العلمي والمهني هو عمل غير تربوي ، شكلي ، يبتغي الاعلام الرخيص وتبرير الذات بنشاط شبيبي مبتور والاستفادة منه لنيل امتيازات خاصة (مثل السفر) ٠٠ ولا يخفى ان مثل هذه الاشكال التنظيمية فارغة من الانشطة التربوية وتهمل تحديد الاهداف التربوية الاستراتيجية والمرحلية ، تستفيد من شطر بسيط من استعدادات الجيل الجديد وتبرزها ٠ فلقد اصبح من الملح وطنيا واجتماعيا اعطاء الاهتمام الخاص بالشباب العامل او الشباب غير الطلابي ، وابراز الحركة الشبيبية كمؤسسة لاستيعاب وتوجيه هؤلاء الشباب ، وتنظيم جو تفاعل بين الشباب العمالي والشباب الطلابي ٠

ولا يكفي استقطاب الشباب من عمر ١٥ سنة للنشاط السياسي كدليل على الاهتمام المركز بالشباب ، فان قبول انتسابه الى احد التنظيمات السياسية دون مروره بفترة نشاط شبيبي ، عمل غير تربوي ، اذ يحرم هؤلاء الشباب من اهتمام خاص ، يتطلبه نموهم السيكولوجي ، ويخضعهم مباشرة لسيطرة الكبار ، وجميعها عوامل سلبية في تربية الكوادر المستقبلية ٠

وتجاوبا مع اوضاع الشباب العامل ، تنظم الحركات الشبيبية نشاطات تتفق واوقات فراغهم ، فتجذبهم ، كما تتحرر الحركة من اغراءات تفضيل تعمل مع الطلاب بسهولة استقطابهم المختلفة وفي اوقات مريحة للكادر المسؤول ، ومع تطبيق مبدأ الادارة الذاتية والديموقراطية تتوفر عناصر اثبات الظروف والمصالح الخاصة ، واجراء تنظيم عدد كبير من النشاطات تتجاوب والاهداف التربوية والاهتمامات الفردية والجماعية ٠ ومن الجدير ذكره ان الشباب العامل عامة والمتخصص منه خاصة قادر على تجاوز النقص في

تجهيزات معينة · فيعمن فرديا وجماعيا على توفيرها ، وقد يجري استغلال مشاغل عمله او ادوات العمل لانجاز التجهيزات المطلوبة · كما يستطيع الشباب العامل تقديم دعـــم او قرض لمجموعاتهم ، يساعدها على تحقيق برامجها وتنويع النشاطات وتحقيق دخـــل يغطي الديون ·

مع اهمية تنظيم نشاطات مشتركة بين الطلاب والشباب العامل ومع أهمية الاستفـادة من مهارات العمال في نشاط مشترك والاطلاع على اوضاع هؤلاء العمال ، يتوجب أحيانا تنظيم حلقات خاصة بالشباب العامل يتحدثون خلالها عن مشاكلهم المهنيـة والمعيشية ، ويطلب من الاتحاد العام لعمال فلسطين عامة والنقابات القطاعية خاصة ارسال مندوبين لحضور هذه الحلقات للاستماع والارشاد وتحديد مهمات مشتركة · فوجود نقابيـيـــن واهتمامهم بالشباب العامل يزيد من وعيهم الاجتماعي ـ السياسي والنقابي ، ويؤهـــل الشباب لتحمل مسؤوليات نقابية او اجتماعية ·

ان التفاعل بين الشباب الطلابي والشباب العامل يمثل امتدادا للزمالة في نطـــاق المدرسة والتي قد تكون قد تراجعت مع الانتقال الى مواقع العمل ، ويساهم تفاعلهما في تطوير وعيهما السياسي والاجتماعي ، كما تحظى الحركة الشبيبية بعناصـــر فنية ، متحمسة لتوصيل معارفها ومهارتها الى جميع الفئات العمرية ، فتعمل تارة ككادر مرشد او موجه في حركة الطلائع او لدى الشباب المبتدىء (١٢ـ١٥ سنة) ، وتعمل طورا كعناصر ضمن مجموعات النوادي العلمية ، تشارك في الاختبارات العلمية ، موظفة خبرتهـــا العلمية والمهنية ومستفيدة لتطوير معرفتها النظرية والعلمية · ويدعونا هـذا العـرض الى تأكيد اهمية كسب حماس العمال الفنيين في النشاطات اليدوية والعلمية لجميع فئات الشباب والاعتماد على هذه الفئة لتنظيم تأهيل مهني واسع ، ويدخل ضمن تشجيعهـــم للعمل مع الشباب منحهم مكافآت تشجيعية ، وتعيين قسم منهم مسؤولين عن المشاغـل التقنية في مراكز الشباب او في المراكز المتعددة النشاطات وفي مشاغل المدارس ·

وعلى الحركة الشبيبية تحمل مسؤولية تنظيم تعليم وتأهيل الشباب المتسرب باكـرا من المدرسة وغير المؤهل مهنيا ، وتنظيم برامج رفع المستوى العلمي للشباب · وقد تقوم الحركة الشبيبية منفردة بتنظيم هذه البرامج او قد تنسق مع الاجـــــهزة الرسمية او الاجتماعية · ويجري تنظيم نوعي من التعليم :

ـ تعليم عادي لرفع المستوى العلمي ·

ـ تعليم مهني او تطوير مهني ·

ينظم للشباب المتسرب باكرا من المدرسة برامج تعليمية تؤهل لمستوى اخر سنة المرحلة الاعدادية او المتوسطة مع التشجيع على تقديم الامتحانات الرسمية · واما الاســاليب المطلوب اتباعها خلال هذا النمط من التعليم فهي مستمدة من اساليب تعليم الكبار ، لان معظم افراد هذه الفئة من الشباب هم من كبار السن نسبيا ، وقد لا يتحمسون للتعلـــم عن طريق الاسلوب المدرسي التقليدي ، بينما استطاع تعليم الكبار ايجـــاد اساليـــب تربوية تتجاوب وحماس الشباب ، وتدعوهم للمثابرة والاجتهاد تحقيقا لطموحهم · واهـــم اسلوب في تعليم الكبار وضع مواد علمية تستفيد من خبراتهم اليومية ، وتشجعهم علـى الحوار والتفكير والتحليل ·

ومن المؤسف حقا ان الثورة الفلسطينية ، المعبرة عن نفسها كحركة جماهيرية تهـدف

الى رفع الغبن اللاحق بالجماهير الفلسطينية وذلك من خلال التحرير والعودة ، تهمل قضية رفع مستوى الشباب علميا ومهنيا ، وباتباع سياسة تعليم الكبار ، ستحصل الثورة على عناصر وكوادر اكثر اطلاعا وكفاءة ، وثقة في نفسها وتتحلى بمنهجيـــة لتعميـق معارفها وكفاءتها العسكرية والسياسية ·

تتطلب عملية تعليم الكبار ، تحقيق توافق بين شرطين :ـ

ـ مركزية تنظيم اسس تعليم الكبار وربطه بمراحل التعليم العادي ·

ـ قبول حد من اللامركزية في تحديد المواد والمواضيع والبرامج دعما لجذب الشباب، وتشجيعا لمشاركتهم الفعلية ، من خلال عرض خبراتهم ومعارفهم ، وتوظيف الناتج العلمي في تحسين الكفاءة المهنية لهؤلاء الشباب ·

وفي الحالتين يجب التنسيق مع جهاز مركزي لتعليم الكبار يحدد الاسس والعلاقـات ويؤهل الكوادر العاملة في حقل تعليم الكبار ويساعدها على وضع البرامج الملائمـــة والظروف المحلية · والى حين اعتماد هذا التنظيم وهذا التنسيق ، يطلب من التنظيـم الشبيبي تشجيع تجارب محددة ودعوة المربين والاختصاصيين لانجاح هذه التجارب ·

ويجب ان لا يحول ادخال بعض مواد تأهيل مهني ضمن نشاط الشبيبة دون تنظيـم برامج خاصة ومركزة للفئات المختلفة ، وحسب ظروفها الخاصة · وتتفاوت مدة البرنامج حسب المستوى المطلوب واوقات فراغ الشباب المعني ، ويجري التركيز في المرحلة الاولى على الشباب دون الثامنة عشر ، الذي يكون قد حصل على ٦ سنوات تعليم على الاقل وهم فئتـان من الشباب :

ـ الفئة الاولى وتمثل الشباب الذي اكتسب مهنة من خلال العمل وينقصه المعرفـــة العلمية المكملة لتأهيله المهني ·

ـ الفئة الثانية وتمثل الشباب الذي ترك المدرسة ولم يحصل على اي تأهيل ومعظـم افراد هذه الفئة شبه عاطلين عن العمل ·

فينظم للفئتين تأهيلا مهنيا ملائما · يتضمن الارتقاء بالمستوى التعليمي ليصل الـى مستوى ٩ سنين دراسة · مما يستدعي تنظيم تعليم عادي للفئات التي لم يصل مستواهـا الى الحد المطلوب ·

ويجري تنظيم برامج التأهيل المهني حسب ظروف الشباب ، من برامج مكثفة للعاطلين عن العمل او للمتحمسين لتطوير وضعهم المهني في اقرب فرصة ممكنة ، وكذلك تنظيـم برامج بطيئة حسب وضع ورغبات الشباب ، تدوم فترة طويلة ·

الخاتمــــة :

توخى العرض السابق الى ابراز اهمية التنظيم الشبيبي والممثل في حركة الطلائـــع ومنظمة الشبيبة او المنظمات الشبيبة في تنشئة الجيل الجديد الفلسطيني حسب الاهداف الوطنية والاجتماعية للثورة الفلسطينية · واكد هذا العرض على المضمون التربــــوي المتكامل للتنظيم الشبيبي ، وما ينشده من توجيه لقيم ومسلك الفرد من خلال الممارســة والعمل ، وما يبتغيه من تطوير لقدرات الفرد الذهنية واليدوية وتوظيفهـا في ترسيـــخ

القناعات وتفجير الابداع · وتمثل الحركات الشبيبة (خصوصا منظمة الشباب) اطـارا منظما لتعبئة وتوجيه قدرات وحماس الشباب لدعم العمل الثوري ·

وسعى العرض ايضا الى تطوير « فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني » والمقترحة من قبل مركز التخطيط ، لكي تصبح هذه الفلسفة واضحة الاهداف نسبة لتكامل العمـــل التربوي وتفاعله مع الجماهير مضمونا ونشاطا ·

وبهدف تسهيل استنتاج صورة موضوعية للنشاط الشبيبي الفلسطيني جرى اعتمـــاد دليل تحليل يبرز تكامل الاهداف التربوية وانماطها وشروطها ، ويمثل هذا الدليـــــل الصورة المثلى لتحقيق تربية واضحة الاهداف والنتائج · غير ان العرض لاحظ الظروف الفلسطينية الخاصة ، واهمها عدم السيطرة على التعليم المدرسي ، تشتت الشعب العربي الفلسطيني ووجود نصفه في فلسطين المحتلة · وطالب العرض وبالحاح بالعمل على توجيه التربية المدرسية ، ورأي ان النشاط الشبيبي الطليعي سيمثل عامل ضغط مهم لتطويـــر التربية المدرسية والنظام التربوي عامة · لان المعضلة التربوية بنظرنا لا تنحصر فـــي الاشراف غير الفلسطيني على المدارس ، وفي قمع الشخصية العربية الفلسطينية وقمـع الطموح الوطني ، بل تكمن المعضلة ايضا في هيمنة تفكير وتقاليد جامدة وبالية علـــى التربية المدرسية وافتقارها الى أهداف واضحة ، واضحت المدرسة مؤسسة تخدم الجهـاز التعليمي اكثر من خدمتها للطلاب · وان حسنت النوايا احيانا ، الا ان النظرة الجزئيـة للتعليم تفشل كل تطوير نوعي ملموس · ويتوقع مع نمو الوعي للدور التربوي المتكامـل للنشاط الشبيبي ، وتبني كل من منظمة التحرير والتنظيمات السياسية والجماهيريـــة للحركات الشبيبية ، وبروز حماس من كوادر هذه المؤسسات المختلفة ، ظهور اهتمـــام تربوي يتحول مع الممارسة الطليعية الى ارادة بتطوير التربية المدرسية ، وتحقيق تكامل في النشاطات التربوية ·

وبالرغم التطلع الى حركة شبيبة مرتبطة بقيادة سياسية واحدة ، وتتبع اسلوب تنظيم يحترم القدرات الجسدية والذهنية للفئات العمرية المختلفة ، الا انه يجب اخذ الظـروف المرحلية بعين الاعتبار ، مما يتطلب الاقرار بتعدد منظمات الشبيبة (١٢ سنة وما فوق) انطلاقا عن تعدد التنظيمات السياسية ، مع رفض مبدأ تعدد حركات الطلائع او الاشبـال والزهرات دون الثالثة عشر ، للنتائج التربوية العكسية لمثل هذا التشتت واهمال تطوير نشاط لا صفي يشمل الاكثرية العظمى من الاطفال ما بين ٦ و ١٢ سنة · فتنشأ حركـــة طلائع واحدة تتبع منظمة التحرير ، حيث يعترف بها ولها حرية الحركة · واما فـــي الاراضي المحتلة وفي الاقطار العربية المقيدة لنشاط منظمة التحرير فيجري تنظيم نشاطات تربوية تعزز القسم الاكبر من الاهداف التربوية والوطنية ، تتلاءم والظروف المحلية ·

المطلوب اولا قيام المجلس الوطني الفلسطيني باصدار وثيقة توضح اهمية الاهتمـــام بالاجيال الصاعدة وتؤكد على فعالية النشاط الشبيبي وتحدد الاهداف التربوية والاسس العملية المرغوبة ، خصوصا مبدأ وحدة تنظيم الاطفال دون الثالثة عشر من العمـــر في حركة طلائع تتبع المجلس الاعلى للشباب ، ويجري تحديد مهمات لهذا المجلس ، تهيئه لتحقيق الاهداف التربوية من خلال النشاطات المختلفة ، فيطور من هيكليته وينشيء اقساما جديدة ، تتولى التدريب ووضع البرامج وتوجيه ودعم النشاطات التربوية المختلفـــة · ويتطلب هذا التطوير اغناء المجلس بكوادر تربوية ومهنية قادرة على تحمل المسؤوليات الجديـــدة ·

ولانجاح مهمة المجلس الاعلى يجب تنظيم تنسيق مع المجلس الاعلى للتربية والثقافة ومع الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين شرط تطوير هذا الاتحاد وجعله اداة فعالة لتطوير الفكر التربوي والاساليب التربوية ، وذلك من خلال الحوار المنظم والمطبوعات ودورات التأهيل ، فيصبح هذا الاتحاد تنظيما مهنيا الى جانب مهمته النقابية · واخيرا تنظيم تنسيق مع جميع الاجهزة العاملة في الحقل التربوي والاجتماعي · وهدف جميع انماط التنسيق هذه توفير الشروط والامكانيات اللازمة لتحديد اطر واساليب العمل واعداد النشاطات والبرامج التربوية المختلفة ·

حسان حلاق

موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني الدولي ١٨٩٧ - ١٩٠٤

في الفترة الممتدة من ٢٩ آب (اغسطس) الى اول ايلول (سبتمبر) عام ١٨٩٧ عقدت « المنظمة الصهيونية العالمية » اول مؤتمر صهيوني في مدينة بال بسويسرا ، وقد دعا الى عقده د· ثيودور هرتزل ود· ماكس نوردو · وكان من أهم مقرراته استيطان فلسطين واتخاذها وطنا قوميا للشعب اليهودي · وقد ألقى هرتزل في المؤتمر خطابا تحدث فيه عن الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ورأى انه لو تم ارسال عشرة الاف سنويا اليها ، فان ذلك لا يمكن ان يؤدي الى تأسيس دولة يهودية فيها نظرا لوجود تسعة ملايين يهودي في العالم او اكثر ، وان عمليات التسرب والهجرة على هذا النحو ستبقى مئات السنين « دون ان نحصل على هدفنا » · ورأى هرتزل انه لا بد من الحصول على « ميثاق دولي » من أجل انشاء الدولة اليهودية ، كما انه لا بد من موافقة الدولة العثمانية وسلطانها الذي يحارب الهجرة اليهودية ، « فمما لا شك فيه ان الحكومة التركية ستعيد فرض قوانين منع الهجرة رأسا ، ولا نستطيع ان نعارض هذه الخطوة ابدا · فمن يعتقد انه باستطاعة اليهود التسلل الى ارض اجدادهم فهو يخدع نفسه ، كما انه يخدع الآخرين ··· كما انه ليست من مصلحتنا ان نذهب الى هناك قبل نضوج الفكرة » · واضاف هرتزل بأن حل مسألة الشرق الاوسط والمسألة اليهودية في آن واحد سيكون له تأثير على العالم المتحضر بأسره · ولم يكتف هرتزل بعرض هذه الامور بل اراد استمالة الدول الاوروبية في تنفيذ الفكرة الصهيونية لان

★ اجزاء من رسالة جامعية تقدم بها الكاتب للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث من جامعة بيروت العربية ، بعنوان موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ _ ١٩٠٩ ·

« تحسن وضع اليهود سيساعد على تحسين وضع مسيحيي الشرق » ٠ (١) ومن اجل ذلك كان الاهتمام الصهيوني يتركز للحصول على وثيقة من السلطان عبد الحميد الثاني بجعل فلسطين دولة يهودية بضمانات دولية واعتبر لبنان مثالا لذلك ٠ (٢)

والواقع ان الزعيم الصهيوني هرتزل ، ابدى منذ البداية ضرورة اقامة « بنك صهيوني » فبدأت جهوده لتحقيق هذا الغرض منذ منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٨٩٧ ٠ واوضح انه بدون هذا البنك يغدو الامل الصهيوني في الحصول على وثيقة للهجرة والاستيطان في فلسطين املا صعب التحقيق ٠ وتعبيرا عن اهتمامه بانشاء البنك عين هرتزل دافيد ولفسون (D. Wolfhson) المتمول اليهودي والزعيم الصهيوني ، رئيسا للجنة خاصة سميت « لجنة البنك » (Bank Commission) ٠ (٣)

وفي هذه الفترة من عام ١٨٩٧ بدأ النشاط الصهيوني – الدولي لبذل المساعي من اجل انجاح عمليات التمويل الصهيوني لامتلاك فلسطين ، فسعى هرتزل للاتصال بكبار المموليـن الاوروبيين ومنهم اليهود بالتأكيد امثال : بوزنانسكي ، الثري البولوني ، وسيلجمان اليهودي – الانجليزي ٠ واتصل ايضا باللورد روتشيلد من كبار الاغنياء اليهود ٠ ويظهر من خلال الاتصالات التي اجراها هرتزل مع كبار الرأسماليين الدوليين واليهود معا ، بأن الحركة الصهيونية ليست حركة جماهيرية تنبع من ارادة الجماهير اليهودية ، ولكن يمكن اعتبارها حركة رأسمالية استعمارية لان مرتكزاتها كانت تنطلق وتعتمد على تلك الاسس ٠

وكان على هرتزل ان تتجه جهوده الدبلوماسية نحو السلطان العثماني والحكومة التركية وبعض المسؤولين الاوروبيين ايضا وقداسة البابا ٠ وفي ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٩٧ ارسل هرتزل رسالة الى قيصر المانيا يطلب مساعدته لاقامة شركة يهودية تحت الحماية الالمانية تهتم بأمور الهجرة اليهودية ، ويطلب منه بذل جهوده مع السلطان لاقناعه باستيطان يهودي في فلسطين ليكون ذلك موضوعا من الموضوعات الهامة التي سيثيرها القيصر مع السلطان العثماني عند سفره الى الاستانة ٠ (٤)

وفي الوقت الذي كانت الجهود الصهيونية تبذل مع الدول الاوروبية الكبرى لانجاح استيطان يهودي فلسطيني يضمنه القانون العام ، كانت لا تزال موجات من الهجرة اليهودية تصل الى الاراضي المقدسة وتعمل على شراء الاراضي فيها ٠ (٥) ونظرا لهذا الواقع فقد زادت شكوك السلطان عبد الحميد الثاني في نشاط الحركة الصهيونية ، فاتخذ وسائل للحد من الاطماع اليهودية في فلسطين ، فارسل بعض اعضاء امانة السر الخاصة به في قصر يلدز لتولي حكم متصرفية القدس بدلا من الموظفين الذين تدرجوا في سلك وظائف الادارة

العثمانية · وكان اول من وصل الى القدس توفيق بك الذي كان امينا وصارما في تطبيق نصوص القانون · (٦)

وفي ٤ شباط (فبراير) عام ١٨٩٨ اجتمع هرتزل بالسفير العثماني في المانيا ، احمد توفيق ، لبذل وساطته من اجل تحقيق المشروع الصهيوني مقابل القروض المالية اليهودية . فأخبره السفير العثماني صعوبة امتلاك فلسطين ، واشار عليه بامكانية توطين اليهود في مناطق اخرى من آسية الصغرى ، شرط ان يكون اليهود كغيرهم من المواطنين العثمانيين غير مستقلين عن الدولة · وانتهى الاجتماع برفض هرتزل لهذا العرض ·

وبعد نشر الآراء الصهيونية والاوروبية حول استعمار يهودي لفلسطين ، اشارت صحيفة « المقتطف » عام ١٨٩٨ الى معارضة الدولة العثمانية للهجرة اليهودية الى فلسطين ، واوضحت ان « ··· نقل اليهود الى فلسطين وابتياع الارض من الحكومة ومن اصحابها اصعب من نقلهم الى الارجنتين · ولذلك نستبعد نجاح الصهيونيين . ونحسب ان السعي لدى حكومات روسيا ورومانيا والبلغار في اصلاح شأن اليهود فيها اقرب منالا ، لا سيما ان طلب كفالة الدول الاوروبية وحمايتهن [حمايتها] لليهود الذين يراد نقلهم الى فلسطين عقبة كبيرة في سبيل هذا الغرض لان الدولة العثمانية لا ترضى به » · (٧) وتكرس ذلك عمليا عندما اصدر السلطان عبد الحميد الثاني قوانين جديدة ، (٨) في حزيران (يونيه) عام ١٨٩٨ منع فيها اليهود الاجانب من دخول القدس ، على ان هذه القوانين لقيت معارضة من القنصليات الاجنبية ، فأبرق متصرف القدس الى الباب العالي يطلب منه تعليمات دقيقة ومحددة حول القوانين الجديدة · (٩) فجاء الرد بعد شهرين وبالذات في ٢٥ آب (اغسطس) عام ١٨٩٨ ـ اي قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني بثلاثة ايام ـ يطلب الصدر الاعظم تنفيذ قوانين الهجرة الخاصة باليهود · وقد اكد القنصل البريطاني ديكسون (Dickson) هذا الواقع فذكر في تقرير بأن متصرف القدس قد بعث له برسالة مع سكرتيره يعلمه فيها « انه تلقى تعليمات من الباب العالي لتطبيق الانظمة المرعية لدخول اليهود الاجانب الى القدس ـ كل اليهود الاجانب ـ دون تمييز في جنسياتهم ، وبالتالي ان تطبق هذه الانظمة على اليهود البريطانيين ، وان الانظمة المذكورة تنص على انه لا يسمح ليهودي اجنبي بدخول فلسطين الا بعد تعهده بدفع التأمين وبمغادرة البلاد خلال ثلاثين يوما · (١٠) ولقد بلغ تشدد السلطات العثمانية في تنفيذ هذه القوانين انها منعت نائب القنصل البريطاني في انطاكية من الدخول ما لم يقدم التعهد المطلوب باعتباره يهوديا · (١١)

وفي نفس الفترة وصل تقرير من السفارة البريطانية في القسطنطينية الى ديكسون ردا على رسالته حول موقف الدولة

العثمانية من مسألة تسجيل الاملاك التي طلب « الاتحاد الانجلو ـ يهودي » (Anglo - Jewish Association) شراءها في القدس · فأوضح السفير البريطاني انه لا بد من التهرب من القوانين العثمانية ومن اجل ذلك « فانني احيطكم علما بأنني اقترحت على سكرتير صاحب الجلالة الاول للشؤون الخارجية ، العمل بنصيحة الاتحاد الانجلو ـ يهودي بوضع اسم شخص او اشخاص ممن لا تستطيع الحكومة العثمانية الاعتراض على ان يكونوا مشترين للاملاك » · (١٢)

وفي عام ١٨٩٨ استمرت القوانين العثمانية تحد من الهجرة اليهودية حيث كانت السلطات العثمانية المحلية في فلسطين تنجح في طرد القادمين اليهود ، وقد اكدت التقارير الواردة من الاراضي المقدسة ان السلطات هناك عاملت اليهود بقسوة ، مما اضطر السفير البريطاني وقنصله في القدس الى تقديم الاحتجاجات على هذه المعاملة · ولكن متصرف القدس ، توفيق بك ، اكد في رده على القنصل « ان سلطات حيفا قامت بالفعل بمنع العائلات اليهودية من النزول الى رصيف الميناء لانها لم تستطع ان تقدم تعهدا وضمانة بالعودة بعد زيارة البلاد تبعا للانظمة المرعية ، ومن اجل ذلك اعيدوا الى الباخرة » · (١٣)

هذا وقد طلبت السفارة البريطانية في القسطنطينية من قنصلها ديكسون ان يستفسر عن السبب في اخراج اليهود البريطانيين ، وان يقوم نائب القنصل امزالاك (Amzalak) بمساع لمنع الاخراج القسري للرعايا البريطانيين المزودين بجوازات سفر بريطانية رسمية · وقد ارسل ديكسون تقريرا الى السفير البريطاني في الاستانة يعلمه فيه بأن امزالاك حصل على وثيقة خطية موقعة من شاهدي عيان يهود حول المعاملة التركية غير اللائقة لليهود البريطانيين · ويبدو ان اليهود البريطانيين قد عذبوا بالايدي لارغامهم على العودة الى الباخرة · (١٤) وبناء على هذه المعلومات قدم اوكنر (O'Conor) ـ السفير البريطاني في الاستانة ـ احتجاجا على الموقف العثماني من اليهود البريطانيين ، كما اعتبرت وزارة الخارجية البريطانية ان منع اليهود من الدخول الى فلسطين مخالف للاتفاقيات الدولية ، « وان على الامبراطورية العثمانية ان تعيد النظر في هذه الانظمة المطروحة على البحث الآن ، لانها تتعارض مع حقوق الانسان » · (١٥)

وكانت الاوضاع التي يعاني منها المهاجرون اليهود ، تزيد اصرار قادة الحركة الصهيونية وفي مقدمتهم هرتزل على ضرورة تأمين التأييد الدولي للمشروع الصهيوني · ويمكن القول انطلاقا من ذلك ، ان عام ١٨٩٨ اعتبر العام الصهيوني ـ الالماني نظرا للمحاولات المكثفة التي قامت بها الحركة الصهيونية لاقناع القيصر الالماني غليوم الثاني ، بالتوسط لدى السلطان العثماني في رحلته الى الاستانة في خريف ١٨٩٨ · وبالفعل فقد لحق هرتزل

بالقيصر الالماني الى الاستانة ، وهناك اراد الاجتماع به ليعطي لنفسه صفة المفاوض الدولي والمتحدث الرسمي عن يهود العالم ٠ وبعد اجتماعهما في ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٩٨ لم يحصل هرتزل على اي قرار من القيصر تأييدا للمشروع الصهيوني ٠

وفي ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٨٩٨ وصل القيصر الالماني الى القدس بعد ان غادر الاستانة ، وقد حرص هرتزل على اللحاق به ايضا وتقديم المطالب الصهيونية في الاراضي المقدسة ٠ وفي القدس حرص اليهود على استقبال القيصر وزوجته استقبالا مميزا ، ونصبوا لهما النصب والقبب المزدانة ، واصطف هرتزل مع كبار الحاخامين وتلامذة المدارس العبرية الذين انشدوا لهما نشيدا ترحيبيا بالالمانية يقول : (Heil Dir in Siergerkrana)

(١٦) ٠ ولكن رغم هذا الترحيب ورغم تقديم المطالب الصهيونية واجتماع هرتزل بالقيصر الالماني ، الا انه من الثابت ان جوابه كان غير مشجع حيث اشار الى ان المسألة تحتاج الى دراسة كما « ان مجيئي الى القدس الشريف لم يكن مبنيا على غايات سياسية ، بل لانني كنت اميل الى زيارة هذه المدينة المقدسة التي مات فيها السيد المسيح » ٠ (١٧)

والواقع ان الزعيم الصهيوني لم ييأس نتيجة لفشله مع القيصر الالماني ، بل استمر في نشاطه لكسب التأييد الدولي الاستعماري ، فقد اتجه نحو بريطانيا وبدأت مفاوضاته مع وزير المستعمرات البريطانية جوزيف تشمبرلن (J. Chamberlin) لتحقيق مشروع اسكان اليهود في شبه جزيرة سيناء واقامة دولة يهودية تحت الوصاية البريطانية ٠ ولم يقتصر نشاط هرتزل على بريطانيا ، بل حرص في عام ١٨٩٩ على نيل تأييد القيصر الروسي ، لان الصهيونية مفيدة لروسيا على حد قول هرتزل ، لانها تشكل حاجزا في وجه القوى الثورية المناهضة للقيصر ، وهي ايديولوجيا ضد النظام الاشتراكي « ولا ننسى اننا اليوم وفي كل مكان نحارب الثوريين ، واننا نعمل على ابعاد الطلاب والعمال اليهود عن الاشتراكية والفوضوية » ٠ (١٨) وبالرغم من هذه العروض المغرية ، فان الزعيم الصهيوني لم يلق تجاوبا من القيصر الروسي ٠

وبعد ذلك ، اتجه هرتزل نحو اميركا محاولا كسب تأييدها لان الصهيونيين الامريكيين يعطفون على مشروع استيطان اليهود في فلسطين ، وكان السفير الامريكي الصهيوني — في الاستانة ـ ستراوس ممن بين هؤلاء المؤيدين ، وهو الذي تدخل كثيرا لدى الدولة العثمانية من اجل انجاح المشروع الصهيوني ٠ وفي اواخر عام ١٨٩٩ ، قابل هرتزل السفير ستراوس في النمسا ، واتفقا على التعاون « من أجل تقديم المساعدة لشعبنا » ، كما اتفقا على استمرار المراسلة بينهما على ان يوقع السفير رسالته باسم مستعار هو « مسيو تامبكس » ٠ وقد طلب هرتزل منه متابعة المساعي مع الاوساط العثمانية وتوسيط أرتين افندي

الموظف في الباب العالي ولكن ستراوس حذره من هذه الفكرة وقال له : لا ارتين ولا غيره يؤثر كثيرا او قليلا على السلطان ٠ وافهمه « ان السلطان عبد الحميد رجل حاذق داهية ، وانه هو الذي يحكم نفسه بنفسه وليس لانسان عليه نفوذ » ٠ (١٩)

وفي ١٧ حزيران (يونيه) عام ١٨٩٩ اجتمع هرتزل بنوري بك ممثل الدولة العثمانية في مؤتمر السلام الذي كان يعقد في لاهاي ٠ وحاول الزعيم الصهيوني رشوته لقاء التوسط لدى السلطان بقبول اليهود في فلسطين ، فابتسم نوري بك بسخرية ، مما دعا هرتزل لان يقول : « اوحت الي ابتسامة سعادته الخبيثة بأن هذا لن يكون اكثر من حلم » ٠ (٢٠) واشار نوري بك الى الموقف العثماني الرسمي بقوله : « نقبل اليهود ، تركيا واسعة ٠٠٠ وسوف يكون اليهود تحت حماية القانون التركي محميين من الاضطهاد ٠٠٠ ولكن الاماكن المقدسة لا يمكن تسليمها لهم ٠ فحتى قوانين تركيا تمنع الجماعات اليهودية من التركز هناك ٠٠٠ » (٢١) وفي نفس الوقت كان متصرف القدس يتشدد ويمنع بيع الاراضي للمهاجرين اليهود ، كما كان يرفض ان يقوموا ببناء مساكن لهم ٠ (٢٢)

وفي عام ١٩٠٠ بدأت الحركة الصهيونية تلاقي تأييدا واسعا في الاوساط الرسمية البريطانية لدرجة ان حوالي ستين مرشحا لمجلس العموم البريطاني اعلنوا تأييدهم للصهيونية ومبادئها ، كما ازداد عدد الجمعيات الصهيونية في بريطانيا من ١٦ جمعية الى ٣٩ جمعية ٠ (٢٣) وقد حاول هرتزل ان يستثمر هذا التأييد البريطاني في الضغط على السلطان العثماني الذي كان عنيفا في كرهه للانجليز ، والذي كان ينسب اليهم معظم مشاكله مع الاقليات في الامبراطورية٠ (٢٤) وكانت سياسته تجاه الانجليز تعرف باسم (Anti - British)

ويلاحظ ان المهاجرين اليهود استغلوا كل ثغرة وجدوها في الحكم العثماني المحلي ، فبعد نقل متصرف القدس توفيق بك المشهور بتشدده حيال الهجرة اليهودية في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٠٠ ، وجدنا ان اليهود وجهوا انظارهم مرة ثانية الى المتصرفية ، لان المتصرفين الثلاثة الذين خلفوه في المنصب لم يكونوا مثله من حيث الامانة والاخلاص ٠ (٢٥) ولكن الحكومة العثمانية اصدرت في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٠٠ « القوانين المتعلقة بالزوار اليهود للاراضي المقدسة » حيث الغت قانون تأمين الخمسين ليرة تركية وتحديد الاقامة بـ (٣١ يوما) الصادر عام ١٨٨٧ وما يليه ويسمح لكل يهودي اجنبي يزور فلسطين الاقامة فيها مدة ثلاثة شهور مقابل تسليم جوازه واعطائه بدلا منه جوازا احمر خاصا مقابل تعرفة رسمية هي غرش واحد ٠ وقد احتوى القانون الجديد اربعة بنود تضمنت التعليمات الخاصة بالمهاجرين اليهود ، وذكر بانه على جميع اليهود الزائرين لفلسطين سواء قدموا من الخارج

او من باقي الولايات العثمانية ان يكونوا مزودين بتذكرة او جواز مرور يعين مدة الزيارة والهدف من الرحلة ، وانه يتوجب على هؤلاء اليهود لدى وصولهم الى اي ميناء في ولاية بيروت او متصرفية القدس ، ان يقدموا التذكرة او جواز المرور للموظف المسؤول عن الميناء ، ويدفع كل منهم غرشا واحدا ويعطى بالمقابل تذكرة سفر او تذكرة اقامة مؤقتة تسمح لهم بالتنقل او البقاء في فلسطين مدة ثلاثة شهور · (٢٦) وبعد انقضاء المدة يطردون بالقوة من البلاد ـ اذا لزم الامر ـ ويكون ذلك بمعرفة القنصلية ذات العلاقة · (٢٧)

والواقع ان الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل رأى انه لا بد من السفر الى الاستانة محاولا الاجتماع بالسلطان عبد الحميد الثاني بواسطة الجاسوس والمستشرق الهنغاري اليهودي ارمينيوس فامبري (A. Vambery) · وفي ٣. ايار (مايو) عام ١٩٠١ توجه هرتزل الى العاصمة العثمانية ـ وكانت هذه ثالث زيارة له بعد زيارته الاولى عام ١٨٩٦ والثانية عام ١٨٩٨ ـ وقد استطاع الحصول على موعد بمقابلة السلطان ولكن ليس على اساس انه زعيم للصهيونية بل كصحافي بارز · (٢٨) وقد حذره فامبري قبل الاجتماع من الانجراف في آراء مضادة لما يفكر به السلطان وقال له : « اياك ان تحدثه عن الصهيونية · انها فانوس سحري ، القدس مقدسة لهؤلاء الناس مثل مكة » · (٢٩) الا انه اوصى اليه ان الصهيونية جيدة مع ذلك ضد المسيحية ، لهذا كان هرتزل ينطلق في مفاوضاته على اساس ان اليهود هم الحلفاء الطبيعيون للمسلمين ضد النصارى على حد زعمه ·

وفي ١٨ ايار (مايو) عام ١٩٠١ جرت المقابلة بين السلطان وهرتزل بحضور الحاخام موسى ليفي ـ حاخام اليهود في تركيا ـ وفي الاجتماع بدأ هرتزل ممالأة واستعطاف السلطان ـ بواسطة مترجم القصر الخاص ابراهيم بك ـ وقال له : « اني اكرس نفسي لخدمته لانه يحسن الى اليهود ، واليهود في العالم كله مدينون له بذلك · واني بشكل خاص مستعد لتأدية اية خدمة له وخاصة الخدمات الكبيرة ··· » (٣٠) واشار الى الخدمات المالية لاصلاح الاقتصاد العثماني المتدهور وتصفية الديون المقدرة بمليون ونصف المليون جنيه ، وعرض توسطه لايقاف حملات صحف « تركيا الفتاة » في اوروبا · ثم لمح الى ان الحركة الصهيونية تهدف الى ايجاد « ملجأ لليهود » في الاراضي المقدسة · وبعد اخذ ورد قال السلطان عبد الحميد : « ··· ان بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء اجدادنا ··· لا يمكن ان نفرط بشبر منها دون ان نبذل اكثر مما بذلناه من دماء في سبيلها » · (٣١) واضاف السلطان : « اني احب تطبيق العدالة والمساواة على جميع المواطنين ، ولكن اقامة دولة يهودية في فلسطين فلا » · (٣٢)

، وامام هذا الواقع فقد صدم الزعيم الصهيوني وقرر العودة الى اوروبا

وقال : « لقد تأثرت بأقوال السلطان التي تتسم بالحقيقة والفخر ، بالرغم من انها تضع في الوقت الحاضر نهاية لكل آمالي » · (٣٣) وقبل سفره اتصل بابراهيم بك ـ سكرتير القصر ـ وبعزت بك ـ احد المسؤولين الاتراك ـ وقد طلب محاولا اقناعهما تحقيق المشروع الصهيوني ، الا ان عزت بك اجابه ـ بلهجته الفرنسية الركيكة ـ « بامكان الاسرائيليين ان يأتوا ، لكن عليهم ان يوافقوا على ان يصبحوا رعايا عثمانيين ··· ليس عليهم ان يصبحوا رعايا اتراك فقط بل ايضا ان يتخلوا عن ولاءاتهم السابقة وان يصدقوا رسميا من قبل الحكومات المعنية على تخليهم » · ويعتبر هذا الموقف العثماني ادراكا عمليا وسياسيا للاخطار التي يمكن ان تنجم عن استيطان اليهود في فلسطين مع استمرارهم على جنسياتهم وولاءاتهم الاوروبية والاميركية السابقة ، لان معنى ذلك استفحال خطر الامتيازات الاجنبية وتزايد تدخل الحكومات التي كان اليهود يعيشون في ظل سيطرتها ·

وبعد التداول بهذه الآراء قال ابراهيم بك ـ متابعا آراء عزت بك ـ « وعليهم ان يؤدوا الخدمة العسكرية اذا دعاهم جلالته الى الجندية » · ويلاحظ بأن هذا الشرط هو من ضمن الشروط التعجيزية ، ذلك ان لا اليهود يقبلون بتنفيذ هذا الشرط ، ولا القوانين العثمانية تسمح باستخدام غير المسلمين في الجندية العثمانية · وانهى عزت بك الموضوع بأنه « تحت هذه الشروط قد نسمح بدخول الاسرائيليين من كل بلد ··· امر آخر ، يجب ان لا يجري الاستعمار في جماعات كبيرة · بدلا من ذلك لنقل خمس عائلات هنا وخمس عائلات هناك موزعين بدون اتصال » · فقال هرتزل في داخله ـ بعد سماعه الرأي الاخير ـ « حتى تنهبوهم وتذبحوهم بسهولة اكثر » · (٣٤) ثم انتهى هذا الاجتماع على غرار غيره بدون اية نتيجة ·

والحقيقة ان تيودور هرتزل رأى ضرورة الاتصال بدوائر الحركة الاستعمارية البريطانية للوصول الى مخرج دبلوماسي ومالي يقنع الدولة العثمانية بما يريد ان يحققه لليهود فاتصل بسيسل رودس (S. Rhodes)للافادة من ماله وتجاربه الاستعمارية وطالما ان السيطرة على فلسطين امر استعماري ـ على حد قول هرتزل ـ فلا بد اذن من الاتصال برودس · فأرسل اليه رسالة بتاريخ ١٠ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٢ يعرض عليه المشروع الصهيوني ويطلب منه تأييده · ولكن هرتزل مني بصدمة كبرى اثر تلقيه خبر وفاة سيسيل رودس في آذار (مارس) عام ١٩٠٢ ·

وفي ١٢ شباط (فبراير) عام ١٩٠٢ سافر تيودور هرتزل الى استانبول في زيارة رابعة ولكنه لم يستطع في هذه المرة مقابلة السلطان ، غير انه اجتمع مجددا مع ابراهيم بك وعزت بك · وفي هذا الاجتماع انكر ابراهيم بك ما اشيع من ان السلطان سمح بالهجرة اليهودية الى فلسطين لتاسيس دولة يهودية ·

ثم كرر الشروط السابقة التعجيزية ، وتظاهر هرتزل بالقبول شرط ان يختار اليهود مناطق الهجرة واعداد المهاجرين دون قيد او تحديد · ولكن الجانب العثماني رفض هذه الشروط واعلن ان الدولة هي التي ستعين المناطق التي سيسكنها اليهود كالعراق وآسيا الصغرى باستثناء فلسطين ، فما كان من هرتزل الا ان اظهر امتعاضه مبررا ان اللجنة الصهيونية العليا لم تمنحه صلاحيات تخوله ارتجال سياسة من هذا النوع، وقد لا تتفق هذه العروض مع « برنامجنا » ·

وبالرغم من تحركات هرتزل الفاشلة مع الدولة العثمانية ، فقد راح يتصل بالمسؤولين البريطانيين يحثهم على انشاء دولة يهودية في فلسطين او العريش وسيناء ، فاجتمع في حزيران (يونيه) عام ١٩٠٢ باللورد جيمس دي روتشيلد، وفي ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) من نفس العام يحظى باجتماع مع وزير المستعمرات تشمبرلن ، ثم يجتمع بعض مضي يومين بوزير الخارجية اللورد لانسداون لاقناعه بمشروعه لان الدولة اليهودية ستكون قاعدة لبريطانيا « وسيكون لانجلترا عشرة ملايين عميل من اجل عظمتها وسيطرتها · وهذا الولاء لا بد ان يكون على الصعيدين السياسي والاقتصادي » · (٣٥)

وفي ١٢ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٣ اجتمع هرتزل باللورد روتشيلد في لندن لتأمين مبلغ ثلاثة ملايين جنيه من « جمعية الاستعمار اليهودية » على ان يؤمن بقية المبلغ من اثرياء اليهود ، وذلك لتسهيل تنفيذ المشروع الصهيوني ، وبالفعل فقد اتفق الزعيم الصهيوني مع البريطانيين على ارسال مجموعة من الخبراء الانجليز اليهود الى مصر وفي مقدمتهم : ليوبولد كسلر ، وجولد سميد ، وجرينبرج ، وذلك لدراسة امكانية قيام الدولة اليهودية في سيناء والعريش · وبالفعل فقد سافرت البعثة ولحق بها في ٢٣ آذار (مارس) عام ١٩٠٣ ، وهناك اجتمع مع بطرس غالي واللورد كرومر ، ولكن تبين له صعوبة تحقيق المشروع لان بريطانيا ـ حتى تلك الفترة ـ لم تكن مستعدة لمواجهة السلطان العثماني ، كما ان الحكومة المصرية رفضته رسميا · (٣٦) الامر الذي دعا هرتزل لان يفكر بأوغندا او موزامبيق ·

وكان هرتزل في هذه الفترة من عام ١٩٠٣ يعاود اتصالاته بالاوساط العثمانية حيث عرض في ثلاث رسائل ـ احداها الى السلطان والثانية الى الصدر الاعظم والثالثة الى ابراهيم باشا ـ مسألة القروض اليهودية للدولة العثمانية وانه على استعداد لتأمين مبلغ مليون ليرة تركية مقابل تنفيذ مطالبه · واقحم في هذا الموضوع بعض الشخصيات المقربة من السلطان عربية وتركية على السواء فأرسل برسالتين احداها الى عزت باشا العابد والاخرى الى تحسين باشا لبذل مساعيهما في تحقيق المشروع الصهيوني في فلسطين او على اجزاء منها مثل حيفا وعكا ملحقتين بالعراق · وفي الوقت نفسه واصل نشاطه

مع الرأسمالية الصهيونية لشراء بعض املاك اللبناني الياس سرسق الذي رفع اسعار اراضيه للمتاجرة بها « والان يطلب السيد سرسق ٢٥ فرنكا للدونم الواحد ، بينما تقول تقاريرنا انه لا يساوي اكثر من ١٥ ـ ١٨ فرنكا » ٠ (٣٧) وقد استطاعت الحركة الصهيونية بأساليبها الملتوية شراء هذه الاراضي وغيرها في سهل مرج ابن عامر من عائلة سرسق ، الامر الذي ادى الى اثارة وسخط الفلاحين الفلسطينيين لان معنى ذلك طردهم من الاراضي التي كانوا يعملون بها ٠ وكان عام ١٩٠٣ يشهد تسللا يهوديا الى فلسطين ، وقد ساعد في ذلك الخلل والرشوة في الادارة العثمانية ، وقد اتسمت هذه الموجة من الهجرة بتدفق الطبقات المتوسطة اليهودية من روسيا وبولندا ورومانيا ٠ (٣٨)

وفي اوائل عام ١٩٠٤ يتجه هرتزل نحو البابوية ويقابل في روما وزير خارجية الفاتيكان الكاردينال ميري دي فال الذي اكد له ان الاراضي المقدسة يجب ان لا تكون بأيدي اليهود ٠ فيتجه في ٢٣ كانون الثاني (يناير) من نفس العام لمقابلة ملك ايطاليا الذي ابدى عطفه على المشروع الصهيوني ٠ وصرح انه لا يميز بين اليهود والايطاليين وقال لهرتزل : « فلسطين ستكون لكم ويجب ان تكون ٠ المسألة فقط تحتاج الى وقت ٠ انتظروا حتى يصبح عددكم هناك نصف مليون » ٠ فأبدى هرتزل تذمره من الموقف العثماني وقال : « ان اليهود ممنوعون من الدخول يا سيدي ٠ » فرد الملك : « كل شيء يمكن ان يكون بالبخشيش » ٠ (٣٩)

والجدير بالذكر ان هرتزل طلب من الدوائر الرسمية الايطالية التوسط لدى الباب العالي على ان يراسل الملك الايطالي نفسه السلطان العثماني للتوصية باستعمار فلسطين ولكن السلطان عبد الحميد الثاني ظل على موقفه المعارض للحركة الصهيونية ، وقد افهم السلطان وسطاء هرتزل بتبليغه رفضه تحقيق مشروعه في فلسطين وقال :

« انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع ٠ اني لا استطيع ان اتخلى عن شبر واحد من الارض ، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي ٠ لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الارض ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود ببلايينهم ٠ اذا مزقت امبراطوريتي فعلهم يستطيعون آنذاك ان يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، ولكن يجب ان يبدأ ذلك التمزيق اولا في جثثنا ، واني لا استطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن على قيد الحياة » ٠

ومن الاهمية بمكان ان هذا الاعلان العثماني اثر تأثيرا مباشرا على المنظمة

الصهيونية ، بل وعلى الدول الاوروبية حيث رأت ان السلطان عبد الحميد الثاني لم يغير مواقفه من الاستيطان اليهودي في فلسطين . وهذا مما يؤثر على تطلعاتها مباشرة ، وللدلالة على ذلك ما اتخذته الحكومة البريطانية من موقف معارض ومستمر للقوانين العثمانية الخاصة بالهجرة اليهودية ، فقد اوعزت الى قنصلها في القدس في نيسان (ابريل) عام ١٩٠٤ بأن الحكومة البريطانية لن تقبل قوانين الهجرة، ومن اجل ذلك لا يمكن ارغام اليهود الانجليز على مغادرة البلاد٠(٤٠) ولكن الحكومة العثمانية تمسكت بقرار منع بيع الاراضي والعقارات في فلسطين الى اليهود من جميع الجنسيات . لان معظم اليهود الاجانب كانوا يأتون الى فلسطين بغرض شراء الاراضي والاقامة الدائمة ٠(٤١)

وتذكر بعض المصادر الصهيونية انه نتيجة للموقف العثماني الرسمي حيال المشروع الصهيوني ان عرض القنصل العام للدولة العثمانية في فينا علي نوري بك – وهو غير نوري بك – على تيودور هرتزل مشروعا غريبا لتحقيق استيطان يهودي واقامة الدولة اليهودية . وبدونه لا يمكن ان تنال الصهيونية ما تريد في فلسطين . وهو ان يبحر هرتزل الى البوسفور في سفينتين وينسف قصر « يلدز » ليتاح للسلطان عبد الحميد فرصة الهرب او القبض عليه ، ومن ثم تعيين سلطان آخر بدلا منه ، ولكن قبل ذلك يجب اقامة حكومة مؤقتة تعطي اليهود امتياز الاستيطان في فلسطين ٠

ورغم غرابة القصة فقد درسها هرتزل وقدر تكاليفها وفكر بعواقب فشلها ، وقد طرحت الفكرة في ٢٤ شباط (فبراير) عام ١٩٠٤ . وقرر هرتزل اللجوء اليها اذا فشلت مساعيه الاخيرة السلمية في استانبول . لكنه ابرق الى علي نوري بك في ١٩ نيسان (ابريل) من نفس العام معتذرا عن عدم قبول الاقتراح بسبب خشية هرتزل من قيام مذبحة هائلة يمنى بها اليهود في الدولة العثمانية اذا فشل المشروع ٠ (٤٢)

والواقع ان هرتزل ظل حتى آخر ايامه ينشط من اجل تحقيق مشروع « الدولة اليهودية » في فلسطين . وقبل وفاته بايام قليلة اتصل بالكونت غولوشوفسكي وزير خارجية امبراطورية النمسا – المجر الذي وعده بتقديم المساعدات والتوسط لدى الدولة العثمانية – اذا سمحت الظروف – بالتخلي عن بعض المناطق في فلسطين لاستيطان عدد من اليهود يتراوح بين ٥ – ٦ ملايين نسمة ، على ان يتبع ذلك استعمار اليهود لسنجق عكا ليكون ايضا منطقة للاستعمار والاستيطان ونقطة للتوسع صوب المناطق المتاخمة ٠

وفي ١٦ ايار (مايو) عام ١٩٠٤ فقدت الحركة الصهيونية زعيمها فطويت بوفاته صفحة نشطة من التحرك الصهيوني ٠ ويقول سوكولوف بصدد وفاته : « لقد تركنا وكان متأكدا باننا سنسلك نفس الطريق . ولكن عاش فينا للابد كمثل النجمة التي تضيء وتسير ويبقى ضوءها مؤثرا في الآخرين » ٠ (٤٣)

هـــوامش :

١ ـ انيس صايغ واخرون ، **الفكـرة الصهيونيـة ـ النصـوص الاساسيـة** (بيروت مركز الابحاث ـ ١٩٧٠) ، فقرات من خطـاب تيودور هرتزل عام ١٨٩٧ ، ص ١٢٦ ·

٢ ـ مكسيم رودونسن ، **اسرائيل واقع استعماري** ، ترجمة احسـان الحصني ، مراجعة انطوان مقدسي . عمان منشورات وزارة الثقافة (عمان ١٩٦٧) · ص ٢٩ ·

3 — A. Bein , *Theodor Herzl* .. *A biography* (Philadelphia - The Jewish Publication Society of America , 1940) , P. 267 .

..4 — *Ibid* , P. 280 .

٥ ـ للمزيد من التفصيلات حول الهجرة واوضاع اليهود في فلسطين انظر ، **المشرق** كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٩ ، العـدد ٢٣ · انظر ايضا ، **النشرة الاسبوعية** ، كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٧ ، العـدد ١٦٦٤ ، محمد رفيق ومحمد بهجت ، **ولاية بيروت ـ القسم الجنوبي** ، جـ١ ، (بيروت ١٣٣٥ هـ ـ ١٩١٧ م) ، ولايت مطبعسـة سي ص ٣٥٧ ·

6 — N. Mandel , *Turks , Arabs and Jewish Immigration into Palestine 1882 - 1914* , St. Antony's Papers , No. 17. M. E. A. No. 4 . ed. by Albert Hourani (Oxford 1965), P. 90 .

٧ ـ **المقتطف** ، الاول من نيسان (ابريل) ١٨٩٨ ، م ٢٢ ، جـ٤ ، انظر ايضا ، **المنار** ٩ نيسان (ابريل) ١٨٩٨ ، م ١ ، جـ٦ ·

٨ ـ جاء في بنود القوانين الجديدة :

أ ـ لا يسمح لليهودي الاجنبي زيـارة الاراضي المقدسة الا بداعي الزيارة الدينية

ب ـ يتوجب عليه دفع تأمين مالي اثناء دخوله البلاد ·

جـ ـ يتعهد بمغادرة البلاد خلال ثلاثين يوما ·

9 — Dickson (Report) , 23 Juine 1898 , No. 33 , in F. O. 195/2028 .

10 — Dickson to Bunsen , 25 Aug . 1898 , No. 41 , in F. O. 195/2028 .

..11 — Dickson to Bunsen , 25 Aug. 1898 , No. 41 , in F. O. 195/2028 .

12 — B. E. in Constantinople to Dickson , 25 Aug . 1898 , No. ? in F. O. 195/2026 .

١٣ ـ من رسالة توفيق بك الى ديكسون في ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨ نقلا عـن :

A. Hvamson , *The British Consulate in Jerusalem in relation to the Jews in Palestine 1838 — 1914 , Vol. II* (London 1939 — 1941) , P. 528 — 529 .

14 — Dikson To British Embassador Constantinple , 7 oct. 1898 , No. ? in F. O. 195/2028 .

15 — F. O. To O'Conor , 24 Dec. 1898 , No. 276 , in F. O. 78/4579 .

١٦ ــ يعني هذا الترحيب بالعربية : تحية لك ايها المظفر الذي يكلل رأسه الاكليل .

١٧ ــ ابراهيم الاسود ، **الرحلة الامبراطورية في الممالك العثمانية** ، (بعبدا لبنان المطبعة العثمانية ــ ١٨٩٨) ، ص ١٢٨ .

١٨ ــ **يوميات هرتزل**، ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٩ ، اعداد انيس صايغ ، ترجمة هيلدا صايغ (بيروت ــ مركز الابحاث ١٩٧٣) . ص ٧٨٣ (الترجمة العربية ص ١٢٢) .

١٩ ــ فرانك مانويل ، **بين اميركا وفلسطين** ، ترجمة يوسف حنا (عمان منشورات وزارة الثقافة) ، ص ٣٩ .

٢٠ ــ **يوميات هرتزل** ، ١٧ حزيران (يونيه) ١٨٩٩ . ص ٨٧٣ (ت . ع . ص ١٠٠) .

٢١ ــ نفس المصدر السابق .

22 — N. Mandel , *Op . cit* , P. 83 .

23 — I. Cohen , *Theodor Herzl Founder of Political Zionism* , (New York — London 1959) , P. 228 .

٢٤ ــ ارنست رامزور ، **تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨** ، ترجمة صالح احمد العلي مراجعة نقولا زيادة (بيروت دار مكتبة الحياة ــ ١٩٦٠) ص ١٥٤ . :

25 — N. Mandel , *Op , cit* , P. 90 .

٢٦ ــ القانون الخاص بالزوار اليهود الى فلسطين . تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٠ ، انظر ،

F. O. 78/5479.

27 — Dickson To O'Conor , 21 Dec. 1900 , No. 71 , in F. O. 195/2084 .

٢٨ ــ انظر حول هذا الموضوع :

A. Chouraqui , *Theodor Herzl Inventeur de l'Etat d'Israel* (Paris 1960) , P. 374 , I. Cohen *Op . cit* P . 230 , A. Bein , *Op . cit* P. 352.

٢٩ ــ **يوميات هرتزل** ، ٨ آيار (مايو) ١٩٠١ ، ص ١٠٩٢ (ت . ع . ص ١٧٢) .

٣٠ ــ المصدر نفسه ، ٨ ايار (مايو) ١٩٠١ ، ص ١١١٢ (ت . ع . ص ١٧٣) .

٣١ ــ جواد رفعت اتلخان ، **الخطر المحيط بالاسلام الصهيونية وبروتوكولاتها** ترجمة وهبي عز الدين (بغداد مطبعة الجاحظ ١٩٦٥) ، ص ١٢١ . والجدير بالذكر ان تلخان كان قائدا تركيا معاصرا للسلطان عبد الحميد الثاني ، ويملك معلومات هامة جدا حول العلاقات العثمانية ــ الصهيونية .

٣٢ ــ جواد رفعت اتلخان ، **الاسلام وبنو اسرائيل** ، ترجمة يوسف اورا الكيراي (انقره بدون تاريخ) ص ١٥٢ . وهو كتاب غير منشور وغير مجلد . مطبوع باللغة العربية على الالة الكاتبة .

وهـــو من بين مجموعـــة مفتي فلسطين المرحوم الشيخ امين الحسيني ، ويضـم وثائق وفرمانات سلطانية خاصة باليهود وفلسطين · وقد توصلت اليه بواسطـــة السيد توفيق حوري امين عـــام الشؤون الثقافية · .

33 — A. Chouroqui , *Op . cit* , P. 148 .

٣٤ ـ انظر يوميات هرتزل ، ايـــار (مايو) ١٩٠١ ، ص ١١٢٣ (ت· ع· ص ١٨٠) ·

٣٥ ـ يوميات هرتزل، ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢ ، ص ١٣٦٤ (ت· ع· ص ٢٥٠) ·

36 — N. Sokolow , *History of Zionism 1600 — 1918 , Vol . 1* , (London 1919) , P. 296.

٣٧ ـ يوميات هرتزل ، حزيران (يونيو) ١٩٠٣ ، ص ١٥٠٤ (ت· ع· ص ٢٩٠)·

38 — I. S. Sitton , *Immigration et Croissance* , (Paris 1963) P. 37 .

٣٩ ـ انظر ، يوميات هرتـــزل ، ٤٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ ، ص ١٥٩٦ (ت· ع· ص ٢١٨ ، ٢١٩) ·

40 — Dickson To O'Conor , 17 Apr. 1904 , No. 20 , in F. O. 195/ 2106 .

41 — Dickson To O'Conor , 12 Oct. 1904, No. 64 , in F. O. 195 /2175 .

٤٢ ـ انظر تفصيلات هذا المشروع في يوميات هرتزل ، ٢٤ شبـــاط (فبراير) ١٩٠٤ ، صـــ ١٦١٤ ، ١٦١٩ ، ١٦٢١ (ت· ع· ص ٣٥٦ ـ ٣٥٩) · انظر ايضا N. Mandel *Op . cit* . P. 105 .

43 — N. Sokolow , Zionism , *Problems and Views* , (London 1916) , P. 37 .

عبد الحفيظ محارب

ســـور وبـــرج

خلال النصف الثاني من الثلاثينات اشتد التناقض بين حركة التحرر الوطني الفلسطيني من جهة وبين الحركة الصهيونية ممثلة في اليشوف اليهودي في فلسطين من جهة اخرى · ولاحظ الطرفان ان نتيجة التناقض بينهما ، وتفجره ، سيكون لها أثر عميق ، يترك بصماته على مجرى تطور الاحداث في فلسطين ، ليس لفترة قصيرة كما كان يحدث في السابق ، وانما لفترة طويلة ، اذ تمحور الصراع بين النقيضين حول امر اساسي وجوهري : ما هو الطابع المستقبلي لفلسطين ؟ وعلى الرغم من ان فلسطين حتى ذلك الحين كانت تقطنها اكثرية عربية ، وبالتالي تحمل طابعا عربيا ، فان العرب اخذوا يدركون اكثر من اي وقت مضى ، مدى الخطورة التي اخذ يشكلها التجمع الاستيطاني اليهودي في عملية قضم وطمس الطابع العربي بواسطة سلاحيه الاساسيين الهجرة والاستيطان · كما وان اليشوف اليهودي بدوره اخذ يدرك بانه قادم على فترة صراع لم يسبق لها مثيل مع السكان الاصليين ، حول مسألة حسم الطابع المستقبلي لفلسطين · ومن خلال ادراك الطرفين لطبيعة الصراع في تلك المرحلة، لجأ كل منهما الى سلاحه ، حيث لجأ الطرف العربي الفلسطيني الى سلاح الاحزاب والمقاطعة والكفاح المسلح ، بهدف الحفاظ على الطابع العام لفلسطين ، واصطدم كما هو الحال اليوم !! بغض النظر عن تغيير الشكل والرمز ، باطراف عدوة ، تمثل في الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني والانظمة العربية التي كانت خاضعة بشكل تام للاستعمار الاجنبي · وقد تعامل مع العدوين الاولين باشكال نضالية مختلفة ، منها الاضرابات والكفاح المسلح ، اما الطرف العربي فقد كان مؤثرا في مجرى سير الاحداث في فلسطين اكثر مما يكون متأثرا منها ، ولعل نهاية الاضراب العام الذي قام بـه الشعب الفلسطيني في عام ١٩٣٦ والذي يعتبر من اطول الاضرابات في التاريخ ، كانت قد تأثث بفضل

عوامل من بينها تدخل بعض الدول العربية !

ولسنا هنا بصدد دراسة الثورة الفلسطينية التي تفجرت في عـــام ١٩٣٦ وامتدت حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وانما بصدد القاء الضوء علـــى السلاح الذي اشهرته الحركة الصهيونية ، في تلك الفتـــرة اي بين ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، في وجـــه الشعب الفلسطيني ، ويسمى في الادب* الصهيوني « سور وبرج » متحالفة في تحقيقه مع الاستعمار البريطاني ، ومستعينة في تجسيده بيهود الشتات واموالهم ، في ظل واقع عربي مريح بالنسبة لها ٠

ولعل الحافز الذي دفعنا للكتابة حول هذا الموضوع ، ندرة تناوله في الادبيات العربية ، والرغبة في مقارنته بالاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة ٠ بيد ان هذا الحافز اصبح واجبا عقب السابع عشر من ايار الماضي حين وصـــل الليكود الى سدة الحكم في اسرائيل ، واصبحت المناطـــق العربية المحتلـــة بمفهومه ليست مناطق مدارة او مناطق محتفظ بها كما يزعم حزب العمل ، بل مناطـــق محـــررة !

سور وبـــرج :

كأي مجتمع مهاجرين ، اعتمد اليشوف اليهودي حتى عام ١٩٣٦ اقامـــة المستوطنات في فلسطين في اماكن استهوته ، وخاصة في الاماكن الجميلة فـــي السهل الساحلي الفلسطيني ٠ وعند اندلاع الثورة الفلسطينية ومجيء اللجنة الملكية بعد ذلك الى فلسطين ، ووسط الحديث عن توصياتها بالتقسيم ، اخذت الحركة الصهيونية ممثلة بالوكالة اليهودية وهي بمثابة حكومـــة اليشـــوف اليهودي ، بانتهاج خطة استيطانية مدروسة ، تعتمد على سياسة فرض الامـــر الواقع ، واقامة المستوطنة بين عشية وضحاها ، اي خلال ليلة واحدة ، وفـــي أماكن معينة ومحددة ، دون اذن من السلطات ، محاطة بالاسلاك الشائكـــة ، ويبرز في وسطها سور وبرج ، يطل من فوقه الحراس المستوطنون ، ليعلنوا ان هذا الامر الواقع هو الذي سيحدد الخريطة المستقبلية للدولة اليهودية ، وليس توصيات اللجنة الملكية او اية هيئة دولية ٠

كان من نتيجة تخوف الوكالة اليهودية من مقاومة السكان العرب لعمليـــة اقامة المستوطنة التي تستغرق في الايام العادية اسابيع واشهر ، ان فكـــرت بغرس الامر الواقع ، وسط المحيط العربي ، خلال ساعات من اليوم ٠ ولا شك بأن هذا الامر كان بمثابة عملية عسكرية محدودة ، وقد تأتي عن ذلك اكساب الكيبوتس في تلك المرحلة الخصائص العسكرية ، وبقيت تلك الخصائص قائمـــة حتى قيام اسرائيل ، ثم اخذت بعد ذلك تتلاشى ببطء دون ان تزول تماما ، وكان لها تأثير كبير على نفسية سكان الكيبوتس وقيمه ٠

وتذكر المصادر الاسرائيلية أن اول من فكر بهذا النوع من المستوطنات هو شلومو جرزوفسكي عضو كيبوتس « تال عمال » ، فقد اقترح اقامة سور مصنوع من الاخشاب المليئة بالحصى ، على شكل مربع ، ضلعه ٣٥ مترا ويحتوي بداخله على اربعة منازل بسيطة ، ويقام عند كل زاوية منه موقع عسكري ، ويحاط السور من الخارج باسلاك شائكة • ويقام في وسط السور برج عال يحتوي على كشاف يشغل بواسطة مولد كهربائي •

ولم يكن من الضروري التقيد بعرض وطول السور والبرج او عدد البنايات ، فقد كان الامر يختلف بين مستوطنة واخرى ، وانما الالتزام باتمام العملية خلال ساعات من النهار كان امرا ضروريا لتفادي احباط العملية على يد السكان العرب •

كانت جميع الاستعدادات تتم قبل بروز النقطة الاستيطانية على الارض بشكل سري في احدى المستوطنات القريبة من المكان المستهدف • وفي اليوم المعين ومع بزوغ الفجر كانت تنطلق قافلة تتكون من عشرات الشاحنات التي تنقل مواد البناء الجاهزة وادوات العمل والاطعمة ، يصحبها مئات من المستوطنين اليهود، معظمهم من سكان المستوطنات المجاورة ، للمساعدة في العمل ، حيث يتم هناك بناء حائطين متوازيين مصنوعين من الخشب المحشو بالاسمنت • لكي يكون بوسع السور صد العيارات النارية • ثم يجري العمل داخل السور في بناء البرج ، وعلى راسه غرفة مراقبة يطل من فوقها كشاف يرسل اشعته خلال الليل حول المنطقة لمعرفة ما يجري هناك • ويحاط البرج بعدد من المباني البسيطة للمستوطنين الجدد الذين يأتون عادة مع القافلة ، وسط حراسة افراد الهجناه الذين كانوا يؤمنون النقطة الجديدة بجهاز لاسلكي « غير شرعي » للاتصال مع سائر النقاط الاخرى • كما ان حكومة الانتداب كانت تقوم بنصيبها وتزود النقطة الاستيطانية الجديدة بـ « نقطة حراسة » من اليهود • وهكذا ، وخلال ساعات معدودة من النهار يبرز في المكان الذي تختاره الوكالة اليهودية، وسط منطقة عربية ، « سور وبرج » مزود بوسائل الدفاع والهجوم ، ويمهد الطريق لاقامة « سوز وبرج » آخر • ومن هنا اتت تسمية الاستيطان الاسرائيلي خلال الاعوام الثلاثة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ بهذا الاسم ، الذي يعني بالاساس ، فرض معالم جديدة فوق الاراضي الفلسطينية لها مفعول قوي جدا على مصيرها السياسي مستقبلا • ولا نبالغ اذا قلنا ان « سور وبرج » قد حدد سلفا خريطة الدولة اليهودية في فلسطين قبل عشر سنوات من قيامها •

بنفس الحرص على دقة التخطيط والتنفيذ ، حرصت الوكالة اليهودية على اختيار المناطق التي تقام فيها الوقائع الجديدة بشكل يمكنها من اقتطاع اكبر قدر من الاراضي الفلسطينية في حال فرض التقسيم ، والعمل باستمرار على تغيير الطابع العام لفلسطين لصالح الحركة الصهيونية • ومن هنا كان حرصها

على اقامة نقاط استيطانية في اماكن « لم يسبق لقدم يهودية ان وطئتها » ووجهت جهدها لاستكمال الترابط الاقليمي بين ما تقيمه ، او ما هو قائم في مناطق نائية . وبين مناطق التجمع اليهودي في السهل الساحلي الفلسطيني ٠

واجه الجزء الشمالي من فلسطين النصيب الاكبر من هذا النمط الاستيطاني فقد برزت في تلك الفترة البسيطة على شكل « سور وبرج » نقاط استيطانية في غور بيسان على الحدود الاردنية ، ومنطقة الحولة على الحدود السورية ، وفي الجليل الاعلى مقابل الحدود اللبنانية ٠ كما ودعم مرج ابن عامر وجبال نابلس الشمالية بنقاط شبيهة ، وشهد سهل عكا هو الآخر نشاطا من هذا النوع لتثبيت التواجد اليهودي في منطقة خليج حيفا وتعزيزه واحداث سيطرة على شاطىء البحر المحاذي للجليل الغربي ٠ ولم يخل السهل الساحلي وخصوصا المناطق المتاخمة للشاطىء ، وكذلك المناطق الجنوبية من هذا النشاط ، وان كان بمقدار اقل ٠

ومن الجدير بالذكر ان سرعة وكرة استيطان سور وبرج كانت تلائم نفسها مع تكاثر الحديث حول التقسيم ، ففي شهر تموز من عام ١٩٣٧ عندما اعتزمت « اللجنة الملكية » اصدار توصياتها بشأن تقسيم فلسطين برزت خلال اسبوع واحد ثماني مستوطنات على شكل سور وبرج ، وذلك استباقا للتوصيات والتأثير عليها ٠ وخلال شهر ايار من عام ١٩٣٩ وعشية صدور « الكتاب الابيض » انشئت على جناح السرعة ١٢ مستوطنة منها سبع مستوطنات خلال يوم واحد فقط !

كتلخيص لما سبق ، يمكن القول ان اليشوف اليهودي في فلسطين اخضع الاستيطان اليهودي في الاعوام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، بشكل محكم ومدروس ، لمتطلبات سياسية واستراتيجية ، واعتبره هذه المرة ليس هدفا بحد ذاته بمقدار ما هو سبيل لاحتلال سياسي للبلاد ٠واقام خلال هذه الفترة ٥٥ مستوطنة ذات طابع عسكري في مراحلها الاولى ، تعيد الى الاذهان صورة استيطان الغرب الاميركي بشكل او بآخر في فرض « الامر الواقع » ٠

ولعل سياسة « الامر الواقع » قد برزت في هذه المرحلة باجلى صورها ، واحيطت بهالة من القدسية ، وتركت بصماتها على الاجيال اللاحقة ٠ ويحدثنا ابراهام هرتسفيلد احد الشخصيات الفاعلة في مشروع « سور وبرج » عن مدى تقديس « الامر الواقع » في سياق سرده لقصة بناء مستوطنة بيت يوسف في عام ١٩٣٩ في غور بيسان : « عندما سنحت الفرصة لاستملاك منطقة تبلغ مساحتها ٤٠٠ دونم ، لم نفوتها ، وفور الانتهاء من الترتيبات الرسمية برزنا على الارض ، وعند انتهاء العمل ، وقبل وصول القطار من حيفا الى صفد ، الى النقطة الاستيطانية الجديدة القريبة من خط سكة الحديد ، خرجنا جميعا شيبة وشبانا بغرض ايقاف القطار ، والقول لسائقه انه من الآن فصاعدا ستكون

هنا محطة جديدة واسمها بيت يوسف · علقنا لافتة تحمل اسم بيت يوسف · وقبل مجيء القطار بثوان، تنظمنا ووقفنا على الخطين لكي نرغمه على التوقف في المكان المنوي تحويله الى محطة · وفي اعقاب صفارات كثيرة مشفوعة بالصراخ لم يكن هنالك خيار امام السائق الا التوقف · ومع خروجه من غرفته استمر في كيل الشتائم ولم يهدأ الا بعد ان احضرنا نبيذا واشياء طيبة ، وقلنا له ، انـــه يتوجب عليه من اليوم فصاعدا ايقاف القطار في هذا المكان ، سواء كان القطار قادما من حيفا الى سمخ او من سمخ الى حيفا · وردا على ادعائه بأنه لـــم يتلق امرا من قبل السلطات العليا ، قلنا له انه لا يوجد امر اسمي من الامـر الواقع : بالامس لم تكن هنا مستوطنة ، ولذا لم تكن محطة ، امـا مـــن الآن فصاعدا فهنالك مستوطنة ، لذا ينبغي ان تكون هنالك محطة » ·

العلاقة مع سلطات الانتداب :

يحاول عدد كبير من المؤرخين الصهيونيين الايحاء بان استيطـــان « سور وبرج » تم في معظم الاحيان رغم انف سلطات الانتداب البريطاني او علـــى الرغم من « الرياح الشريرة التي تهب من لندن » كما يحلو لبعض هؤلاء القول· بيد ان هذا الايحاء والذي يراد منه تصوير اليشوف اليهودي بأنه بنى استقلاله بقواه الذاتية دون الاعتماد على الاستعمار البريطاني بل وبالنضال ضـــده ، تدحضه الوقائع ، والموجودة في المراجع الصهيونية بالذات · فعلى الرغم من ان اقامة منزل عربي في فلسطين يخضع الى الموافقة المسبقة من جانب الحكومـة المنتدبة ، فان هذه السلطة المنتدبة ، اعفت « سور وبرج » من تلـــك الموافقة ، واطلقت يد الوكالة اليهودية في اقامة المستوطنات حيثما شاءت في الاراضـــي الفلسطينية وخاصة المأهولة منها بالسكان العرب ، ولم يكن اصطدامها معهـا في بعض الاحيان يعود الى جوهر فكرة اقامة المستوطنات داخل التجمعـــات العربية ، بل يعود بالاساس الى حسابات تتعلق بالاعباء العسكرية المفروضـــة على السلطة المنتدبة لحماية المستوطنة ·

ومن ناحيتها ، حرصت الوكالة اليهودية على امرين : الاول ، عدم تقديـــم طلب لسلطات الانتداب – ليس بسبب مناصبتها العداء بل من خلال الدالـــة والتقاء المصالح – لاقامة مستوطنة باعتبار ان ذلك من صلب شؤونها الداخلية ! والثاني ، الاصرار على ان تتحمل حكومة الانتداب نصيبها من تكاليف الحراسة، حيث كانت الحكومة ترسل الى كل نقطة استيطانية نقطة حراسة تتشكل مـــن عناصر يهودية ، وتزودها بالسلاح والذخيرة وتدفع مرتبات افرادها ·

وقد استمر هذا الوضع قرابة عامين ، وفي عام ١٩٣٨ طلبت حكومة الانتداب من الوكالة اليهودية استشارتها قبل اقامة اية مستوطنة متذرعة بأنها تمر في ازمة مالية ، وان قيام اية مستوطنة جديدة يثقل من عبئها المالي ، الا ان الوكالـة

اليهودية رفضت الالتزام بذلك ، خشية ان تؤثر الموافقة على استمرار المشروع الاستيطاني ، وتتسرب المعلومات الى اسمـــاع الموظفين العرب في الحكومة · ولكنها وجدت حلا وسطا حيث وافقت على ابلاغ السلطات عن اعتزامها اقامة أية نقطة استيطانية جديدة ، ولكن دون الاعتراف بحق السلطات بمنع او تأخير اقامة اية نقطة استيطانية · واستمرت الوكالة في اقامة مستوطنات سوروبرج مع تغاضي الحكومة عن ذلك · وحدث اول صدام عندما اعتزمت الوكالة اليهودية اقامة مستوطنة حنيتا في شمال·فلسطين بالقرب من الحدود اللبنانية · ونصحت حكومة الانتداب الوكالة بعدم الاقدام على اشادة المستوطنة ، الا ان الاخيرة رفضت التوصية ، وانكرت حق الحكومة في التصدي للمشروع ، واستطاعت الحكومة تأجيل العمل هناك مرات عدة ، الا انها في نهاية الامر خضعت للوكالة اليهودية واستجابت لطلباتها ، وزودتها بالسلاح المطلوب ، مع توجيه تحذير بأنها غير مسؤولة عن النتائج المترتبة على تحقيق المشروع ، ومن الجدير بالذكر ان المجاهدين العرب هاجموا في الليلة الاولى لمجيء المستوطنين مستوطنة حنيتا حيث احاط بها قرابة مئتي مجاهد ، والحقوا خسائر في الممتلكات والارواح بين صفوف المستوطنين ، كما وقاموا بعد ذلك بمهاجمة رجـال المستوطنة وقتلوا خمسة منهم · ويبدو ان تحفظ سلطات الانتداب من اقامة مستوطنة حنيتا ناجم قبل كل شيء عن حسابات تتعلق بالجبهة العسكريـة ، يتوجب على سلطـات الانتداب بذلها لتوفير الحماية للمستوطنة بعد قيامها وسط منطقة عربية جبليـة يتحصن بها المجاهدون العرب ·

كما حدث صدام آخر في غور بيسان ، عندما صحا قائد سلاح الحـــدود الكولونيل كريستل من نومه صبيحة ٢٥ـ١١ـ١٩٣٨ ليجد مستوطنتين قد برزتا على الارض هناك ، هما كفار روبين ونفيه ايتان بدون اذن من سلطات الانتداب ، فتوجه برفقة ثلاثة من الضباط العرب الى المستوطنتين ، وحالما وصل اليهما قابله الحراس اليهود المزودون بأسلحة بريطانية · واحتج الضابط البريطاني علـى اقامة المستوطنتين بدون اذنه ، وهدد باتخاذ الاجراءات اللازمة لازالتهما ، بيـد ان التقاء المصالح العليا بين التجمع الاستيطاني والاستعمار البريطاني اقوى بكثير من ارادة ذاك الكولونيل البريطاني الذي وجد شرفه قد خدش في غـور بيسان ، فقد تدخلت الوكالة اليهودية ، وكفت السلطات عن عرقلة الاستيطان هناك ·

ولعل السياج الامني المعروف باسم « سور تيجارت » خير شاهد على مـــدى التعاون بين السلطة المنتدبة وبين التجمع الاستيطاني ، وطبيعة العلاقة بينهما · فمع تعاظم نشاط مجموعات المجاهدين العرب في منطقة الجليل عبر الحـدود مع كل من سوريا ولبنان ، فكر السير شارلز تيجارت في بناء سياج امني على امتداد الحدود مع لبنان في محاولة لوضع حد لاعمال المقاومة عبر هــذه الحدود وتعهدت الوكالة اليهودية بتحقيق رغبة السير شارلز ، والتي تلتقي عندها مصالح

الطرفين ، وتعزز العلاقة بينهما • وقد انجز هذا المشروع عمال يهود ، جلبتهم الوكالة اليهودية تحت حراسة الجيش البريطاني • ومن الجدير بالذكر ان الوكالة اليهودية دست مجموعة من المستوطنين وسط العمال اليهود على أساس انهم سيساعدون اخوتهم في اقامة السياج الامني • وغافلت تلك المجموعة رجال الامن البريطاني ، واقامت مستوطنة هناك وفق اسلوب « سور وبرج » خلال بضع ساعات • وعندما ادرك الضباط الانجليز « الخدعة » احتجوا وهددوا بازالة المستوطنة، الا ان سرعة تحرك الوكالة اليهودية وكذلك المصالح المشتركة، بخرت الغضب الفردي ، وابقت مستوطنة « سور وبرج » دعما لسور السير شارلز •

ومن هنا يمكننا القول ان المصالح المشتركة بين السلطة المنتدبة واليشوف اليهودي قد حددت طبيعة العلاقة بين الاستعمار البريطاني والوكالة اليهودية ، وتميزت هذه العلاقة اكثر من اي وقت مضى بأكبر قدر من التعاون والتنسيق بين الطرفين ، خاصة وانهما واجها في هذه الفترة ــ وهي فترة سور وبرج ــ عدوا مشتركا يتمثل في الحركة الوطنية الفلسطينية التي اختارت في تلك الفترة طريق الكفاح المسلح ضد العدوين معا • ولا يمكن الاخذ بمقولات المؤرخين الصهيونيين التي تحاول ابراز اليشوف اليهودي وكأنه فرض نقاط سور وبرج وسط المناطق المأهولة بالسكان العرب او البعيدة عن التجمعات اليهودية ، والتي كان لها فضل كبير في خريطة الدولة اليهودية فيما بعد ، رغما عن العرب ، ورغما عن « السياسة البريطانية » كما يزعم الكثيرون منهم • ان في ذلك نصف الحقيقة وتجن عليها • فاستيطان سور وبرج تم بالفعل رغما عن ارادة العرب ، الا ان وجوده اساسا وظهوره على الخريطة الفلسطينية لم يكن ليتم لولا وجود الاستعمار البريطاني الذي كان له باع طويل في حماية تلك المستوطنات ، حيث كان يمدها بالرجال (اليهود) والعتاد والمال • وبالاضافة الى تعاطفه مع المشروع الصهيوني في فلسطين ، فانه اعتبرها بمثابة قلاع تدعم جيوشه التي وصل عددها في تلك الفترة قرابة مئة الف جندي ، والتي حشدها بهدف القضاء على الثورة الفلسطينية •

ولعلنا لا نبالغ ابدا ، وربما نكون متواضعين في قول الحقيقة ، اذا قلنا ان طبيعة العلاقة بين منفذي سياسة سور وبرج والسلطة المنتدبة ، شبيهة الى حد كبير من جوانب عدة ، بطبيعة العلاقة القائمة بين المجموعات الاستيطانية المتطرفة المنضوية اليوم تحت لواء جوش ايمونيم وبين حكومة الليكود ، الا انها تتميز عنها بخلوها من التوترات الحقيقية كالتي حدثت بين جوش ايمونيم والتجمع العمالي ، والقائمة اليوم بشكل اخف بينه وبين الليكود •

سور وبرج والثوار الفلسطينيون :

تمتاز الثورة الفلسطينية ماضيا وحاضرا ، وربما مستقبلا ايضا ، عن معظم ،

ان لم نقل جميع الثورات الوطنية في العالم بتنافس العناصر التي تتشكل منها الجبهة العدوة وبتكالبها في الوقوف والتصدي للثورة بهدف القضاء عليها ٠ وبسبب كون هذا التنافس والتكالب متساويا تقريبا عند اطراف الجبهة العدوة ، فان الفارق بين التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي بسيط جدا ومتأرجح ، وفي بعض الاحيان يتحول التناقض الثانوي الى تناقض رئيسي لفترة معينة ، وفي فترات متباعدة يذوب التناقض الثانوي في التناقض الرئيسي خاصة عندما يكون العامل الزمني يتلاءم ومصالح الاطراف في القضاء على الثورة ٠ حدث ذلك في الماضي ولا زال يحدث في الحاضر ٠

ولا غرابة اذن ان نجد الثوار الفلسطينيين في اواخر الثلاثينات يجهدون انفسهم في موضوعة التناقض ، فقد دارت نقاشات واسعة بين صفوفهم حول مسألة : ايهما يشكل التناقض الرئيسي مع الثورة ، الاستعمار البريطاني أم التجمع الاستيطاني الصهيوني ؟ ومن الطبيعي ان يخرج الثوار ، بسبب الفارق البسيط المتذبذب والمتأرجح بين التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي ، ولواقع هجمة الطرفين العدوين الخطرة على الحركة الوطنية الفلسطينية ، بتوجيه الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني ممثلا في القوات البريطانية ، والحركة الصهيونية ممثلة بالتجمع الاستيطاني اليهودي الذي يتوسع يوما بعد يوم على حساب الاراضي الفلسطينية على شكل عمليات عسكرية هجومية ٠ فبالاضافة الى المعاني السياسية التي تحملها عملية « سور وبرج » فانها كانت تعتبر ايضا بمثابة عملية عسكرية هجومية ٠ ولا يغير في الحقيقة في شيء نظرة المؤرخين الصهاينة ووصفهم لها بأنها عملية عسكرية دفاعية ، باعتبار ان اقامة المستوطنات وسط المناطق المأهولة بالسكان العرب وفي الاماكن النائية والاستراتيجية حماية لليشوف اليهودي ٠ ولسنا هنا بصدد مناقشة هذا الزعم ، فقد اتسمت جميع اعمال سور وبرج بخصائص وصفات اية عملية هجومية ، حيث يصحو السكان العرب او حتى الجنود الانجليز ، ليشاهدوا مستوطنة قد برزت على شكل سور وبرج ، تتوفر لها جميع وسائل الدفاع والهجوم ، ومن بين الاهداف التي توختها تلك « العمليات العسكرية » عزل قواعد المجاهدين العرب الواقعة في منطقة نابلس عن القواعد في منطقة الجليل بواسطة عازل من نقاط الاسوار والابراج في مرج ابن عامر ، وكذلك عرقلة تحرك المجاهدين في منطقة بيسان عبر نهر الاردن ٠

لسنا هنا بصدد دراسة نشاط الثوار الفلسطينيين ضد مشروع « سور وبرج » لان دراسة هذا النشاط تندرج تحت موضوع اخر : ثورة ١٩٣٦ ، وانما نحن بصدد التطرق اليه بغرض استكمال دراسة موضوعنا ، ولذا فاننا بذكر بعض العمليات ـ على سبيل المثال لا الحصر ، التي قام بها الثوار الفلسطينيون في غور بيسان والجليل الاعلى ، ومن بينها عملية تيرات تسفي٠ ففي ٢٨ـ٢ـ١٩٣٨ هاجمت مجموعة من المجاهدين بقيادة الشيخ عطية مستوطنة تيرات تسفي في

غور الاردن الشمالي ، وتمكن المجاهدون خلال ساعة ونصف من القتال الليلي من احداث ثغرة في السور وتدمير الكشاف المطل من فوق البرج ووصفت المصادر الاسرائيلية بداية العملية بقولها « لقد تمكن العرب من الوصول الى حفرة قريبة من الموقع دون ان يشعر بهم احد ، وحينذاك شاهد الحراس حركة مشبوهـة بالقرب من الموقع · وسألوا من هناك ؟ وطمأنهم احد افراد العصابة بكلمـات عبرية ·· !! وقد استنجدت المستوطنة نتيجة ضغط الهجوم بالمستوطنات القريبة وبمحطة الشرطة !!

ومن الجدير بالذكر ان الجنرال ويل قائد الجيش البريطاني في فلسطين هنأ موشيه شرتوك (شاريت فيما بعد) بنجاح الدفاع عن تيرات تسفي · كمـا ان المندوب السامي « وكوب » بعث ببرقية تهنئة بهذه المناسبة الى الوكالة اليهودية·

وعند فجر ١٠ـ١٠ـ١٩٣٨ قاد المجاهد عبد الرحال مجموعة تتشكل من ٢٥ عنصرا ، وهاجم مستوطنة معوز في منطقة بيسان · وجرت معركة عنيفة اوشكت خلالها مستوطنة سور وبرج على السقوط ، مما دفع حراسها لطلب نجدة قوات الحدود البريطانية ، وبالفعل قدمت قوات من سلاح الحدود مدعومة بطائرة · وسقط في هذه المعركة شهيدا قائد المجموعة عبد الرحال ، كما واصيب الضابط البريطاني قائد مجموعة سلاح الحدود بجراح · وتعترف المصادر الاسرائيليـة بـ « تراجع » قوات سلاح الحدود بعد اصابة القائد ، نتيجة ضغط هجـوم المجاهدين ·

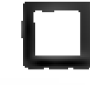
وقد جرت عمليات اخرى في تلك المنطقة سقط في احداها حاييم شطورمـان احد قادة اليشوف اليهودي في المنطقة الشمالية من فلسطين ·

وفيما يتعلق بمنطقة الجليل ، فقد كان الثوار هنـاك على اهبة الاستعـداد لمباغتة « سور وبرج » قبل ان يفاجأوا · وكان هذا هو السبب الاساسي من وراء نصيحة سلطات الانتداب للوكالة اليهودية بعدم اقامة نقطة استيطانية في الجليل الاعلى لان من شأن ذلك اضافة عبء عسكري على سلطات الانتـداب نفسها · فقبل بروز مستوطنة حنيتا على شكل سور وبرج في الجليل الاعلى ، قام الثوار بمباغتة المستوطنين بهجوم قوي ومنظم ، ووصفته المراجع الاسرائيلية بالقول ان « الهجوم اتسم بالجرأة وقدرة استراتيجية عظيمة » فقد قدم يوم انشاء المستوطنة حوالي ٤٠٠ مستوطن ، ومن بينهم ١١٠ من الحراس وافراد « سرايا الميدان » الذين جرى تجميعهم من جميع ارجاء اليشوف اليهودي في فلسطين · وقاد هؤلاء يتسحاق ساديه ، يساعده ضابطان شابان هما موشيه ديان ويجال آلون ، تدعمهم طائرة استكشاف ، وعند حلول الظلام ، وخلال فترة تبادل الحراسة في المواقع التي أقيمت حال وصول المستوطنين ، فوجىء المستوطنون بهجوم يقوم بـه المجاهدون بواسطة ثلاث مجموعات ، تمكنت احداها من احتلال موقع · ودارت معركة عنيفة بين الطرفين اسفرت عن اصابة عدد كبير من المستوطنين وقتـل

قائدين هما يعقوب بارغر ويهودا برنر ٠

وبعد ذلك تعرضت حنيتا ومستوطنات اخرى لعدد من الهجمات كانت تصد بمؤازرة القوات البريطانية وخاصة تلك التي كان يقودها الضابط البريطاني وينجت ٠

كما ان سور تيجارت الذي تعهدت ببنائه الوكالة اليهودية لحساب القوات البريطانية تعرض لهجمات عدة من قبل الثوار الذين كانوا ينشطون على طرفي الحدود الفلسطينية اللبنانية ، وتمكنوا في ليلة واحدة من تدمير السور على امتـداد ١٤ كم ٠



في العام ١٩٦٧ وجدت اسرائيل نفسها تسيطر على مناطق عربية جديدة ، تعتبر وفق جميع الخرائط الصهيونية لمفهوم « ارض اسرائيل » ملكا وارثا لها ٠ وخلال الاشهر الاولى من الاحتلال كانت اسرائيل تعيش تحت وطأة صدمـــة الانتصار الذي فاق كل تقديراتها ، وتحت وطأة الرغبة في اشهار الســـلاح الاساسي الذي يعتمده مجتمع المهاجرين والمستوطنين ٠ وبين صدمة النصر ، والرغبة في اشهار السلاح ، تأخرت عملية خلق وقائع جديدة في المناطق العربية لمدة شهور عدة ، حتى انه بدا للكثيرين ان اسرائيل على استعداد للانسحاب من جميع الاراضي المحتلة حديثا مقابل سلام حقيقي يمنحها الاعتراف الرسمـي العربي ٠

الا ان هذا التصور لم يدم طويلا ، حين اخذت شهوة التوسع وتكـريس الاحتلال تتعاظم وتفوق شهوة الاعتراف مقابل الانسحاب الكامل ٠ وعند هـذه النقطة التي بدأت تتضح معالمها في اواخر ١٩٦٧ ، وتتضح اكثر فيما بعد ، اخذت اسرائيل بتطبيق السلاح الاساسي لاي مجتمع مهاجرين ومستوطنين ، وبدأت بخلق وقائع جديدة وطمس معالم قديمة من خلال الاستيطان ، وتمكنت خلال فترة العشر سنوات الماضية ، اي خلال عهد حزب العمل ، من اقامة قرابة ٧٠ مستوطنة في الاراضي المصرية والسورية والفلسطينية ، تحتضن ما يقارب سبعة الاف مستوطن ٠

وما يهمنا هنا ، مقارنة استيطان العشر سنوات في المناطق المحتلة حديثـا ، باستيطان الاعوام الثلاثة في الجزء الثاني من الثلاثينات في فلسطين، واستشفاف مسيرة الاستيطان المستقبلية التي يقودها الليكود ٠٠ لقد اتصف النشــاط الاستيطاني خلال فترة حكم « التجمع العمالي » بسمات بارزة من أهمها :

١ ـ تعدد وكثرة المشاريع الاستيطانية : من المعروف ان هنالك لجنة وزارية لشؤون الاستيطان ، مسؤولة عن تخطيط الاستيطان في المناطق العربية المحتلة ، الا ان هذه اللجنة لا تعمل وفق تخطيط شامل وواضح ، يتم تنفيـــذه في فتـرة

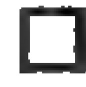
محددة ، بل تخضع التخطيط لاعتبارات سياسية واقتصادية في بعض الاحيان ٠ وبسبب عدم وجود تصور عام وواضح لدى اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان ـ بحكم التباين في وجهات النظر عند اعضائها ـ وقيامها بين الفينة والاخرى باقامة مستوطنة هنا وهناك ، فقد اخذت المشاريع الاستيطانية المطروحة في اسرائيل تبرز خلال هذه الفترة بشكل يفوق ربما بروز المستوطنات على الارض ، ومن بينها مشروع ألون الذي خطر في ذهن صاحبه عقب حرب حزيران ١٩٦٧ وهو يطير في طائرة هليكوبتر فوق الاراضي المحتلة حديثا ، ثم بلوره فيما بعد ، ويدعو الى اقامة شبكة من المستوطنات على مرتفعات الجولان ، وفي غور الضفة الغربية متحاشيا مرتفعاتها المشرفة على الاغوار ، وفي جبال الخليل ، وشمال سيناء وقطاع غزة ، وكذلك مشروع ديان الداعي الى تركيز الاستيطان في المرتفعات الجبلية من الضفة الغربية ، وليس في الغور المحاذي لها ، ومشروع بيرس المعروف بمشروع الاقاليم الذي يقسم « ارض اسرائيل » الى عدد من الاقاليم ، ومشروع رعنان فايتس الشبيه بمشروع بيرس ، ومشروع البروفيسور فوخمان ، المعروف بمشروع « العمود الفقري المزدوج » الذي يتفوق على المشاريع آنفة الذكر ، ويدعو الى تركيز الجهد الاستيطاني على امتداد السهل الساحلي الفلسطيني من جهة ، وعلى خط يبدأ من جبل الشيخ في الشمال مرورا بالاغوار ووادي عربة حتى شرم الشيخ في الجنوب ، من جهة اخرى ٠ ويتصور فوخمان في حال تطبيق مشروعه وجود ملايين من اليهود يملأون ارجاء « الدولة اليهودية » التي تمتلك عمودين فقريين ، وتشكل القدس حلقة الوصل بينهما ٠ بالاضافة الى ذلك هنالك تصورات كثيرة حول الاستيطان سواء عند المسؤولين او الكتاب ، زد على ذلك ان لكل حزب برنامجه وتصوره لاستيطان المناطق المحتلة ٠ وهذا الامر لم يكن قائما في فترة سور وبرج ٠ لقد كانت تلك المرحلة تتسم بالتطبيق لمشروع واحد ، محدد ٠

٢ ـ التباين في التطبيق : بسبب عدم وجود خطة واضحة ومعتمدة من قبل اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان ، فان اقامة المستوطنات لم تجر جميعها وفق طريقة واحدة مدروسة ٠ فقد درجت اللجنة على اعداد الارض للمستوطنة الجديدة واعداد النواة لها والبدء بعد ذلك باشادة المستوطنة ، الا انها في كثير من الاحيان تجد نفسها مرغمة على الاعتراف بمستوطنة اقامها غلاة المستوطنين حسب طريقتهم ، مثلما حدث في كريات اربع بالقرب من الخليل والخان الاحمر بالقرب من القدس وألون موريه في منطقة نابلس ٠ وبعض المستوطنات في الهضبة ٠ وفي بعض الاحيان النادرة لجأت السلطات المسؤولة عن الاستيطان الى اسلوب سور وبرج ، كما حدث في قرية عقوبة في الجنوب الشرقي لمدينة نابلس حين استيقظ الفلاحون العرب ليجدوا حقولهم قد اتلفت بواسطة طائرة انقضت عليها واحرقت الاخضر واليابس بواسطة السموم التي رشتها على المنطقة ، وليروا مستوطنة قد برزت على الارض محاطة بالسياج ! تحمل اسم

جتيت · وكما حدث ايضا في جوش عتسيون حين اقيمت مستوطنة جديدة هناك بين ليلة وضحاها على اراضي الفلاحين العرب ·

ان طريقة واسلوب اقامة الوقائع الجديدة في المناطق المحتلة تختلف اختلافا كليا عن طريق سور وبرج الا فيما ندر · وذلك لاختلاف الظرف ، وربما الهدف ايضـا ·

الاختلاف في الهدف : من الملاحظ ان الحماس الذي ابداه الجمهور الاسرائيلي تجاه الاستيطان خلال الاعوام العشرة الماضية ، وتفاعله معه ، أقل بشكل عام ، عن حماس اليشوف اليهودي تجاه سور وبرج وتفاعله معه ، ويعود ذلك الـى اسباب اهمها الاختلاف في هدف كل منهما ، ذلك ان سور وبرج كان يهدف الى **تحقيق الدولة** على اكبر قدر من الاراضي الفلسطينية بينما يهدف استيطـان الاعوام العشرة الى **توسيع الدولة** لتبسط ظلها على اكبر قدر من الاراضي العربية وهنالك فرق بين تحدي « تحقيق الدولة » وبين تحدي « توسيع الدولة » ·



ربما تتبادر الى الاذهان تساؤلات عدة : هل اشهرت سلطات الاحتلال سلاح الاستيطان عقب حرب حزيران واقامت ما أقامت من وقائع جديدة ، لدفع الطرف العربي للجلوس على مائدة المفاوضات تخوفا من تغيير معالم الارض وتغيير طابعها العربي ، وتحصل من وراء ذلك على الاعتراف العربي الرسمي بما كان قد حققه سور وبرج ؟ وهل سيحصل الطرف العربي مقابل موافقته على اي نـوع من السلام تريده اسرائيل ، على حسر ظل الاستيطان من جميع المناطق المحتلة ؟ واذا كان الامر لا يحتمل كلمة « جميع » فهل تنحسر ظلالـه لتغطي مناطـق « التعديلات الطفيفة » على الحدود ؟ وما هي حدود « التعديلات الطفيفـة » ؟ وهل من شروط الحدود الامنة ، وجود استيطان اسرائيلي على امتدادها ؟

الحقيقة ان هذه التساؤلات كانت تطرح بشكل او بآخر ، قبل السابع عشر من أيار الماضي ، مع تكاثر الحديث حول التسوية ، على الرغم من ان محاولـة الاجابة عليها كانت تتيه في الضباب السميك المحيط بالموقف الاسرائيلي · ذلك ان موقف « التجمع العمالي » الحاكم تجاه الاستيطان لم يكن محددا واضحا · حيث كانت تتصارع داخله جملة من المواقف لتيارات مختلفة تؤيد جميعهـا الاستيطان ، بيد انها تختلف حول : الحجم والمكان والزمان · ومن الجـدير بالذكر ان دعاة « الحجم الصغير » يقفون الى جانب « الحجم الكبير » بعـد تحقيقه على الارض ، كما ان معارضي « المكان » يأخذون بتقديسه بعد ان تشاد فوقه مستوطنة ، واما معارضو « الزمان» فان الزمن كفيل بازالة اثار معارضتهم!

ولا غرابة في ذلك ، فهؤلاء جميعا أبناء مدرسة « سور وبرج » المعتمدة على تقديس سياسة الامر الواقع ٠

ويمكن القول ان الموقف الاسرائيلي خلال العشر سنوات من النشاط الاستيطاني يمكن العثور عليه عند نقطة ما بين مواقف التيارات المختلفة التي يتشكل منها التجمع العمالي وبين مواقف الاحزاب المشاركة في الائتلاف الحكومي ، اي ان محصلة مجموعة هذه القوى المتباينة المواقف ، مع الاخذ بعين الاعتبار الرأي العام في اسرائيل ومعادلة القوى في الصراع والاعتبارات الدولية ٠ زد على ذلك ان هذا الموقف ـ اذا تم العثور عليه بوضوح ـ ليس جامدا ، بل متحرك لجهة التشدد في استيطان المناطق العربية المحتلة ، بحكم عامل التقادم علـى الاستيطان ٠ فموقف اسرائيل تجاه الاستيطان في عام ١٩٧٠ مثلا هو غيره في عام ١٩٧٢ او عام ١٩٧٥ ٠ ومن هنا فان اية اجابة ، حتى ولو كانت شبه دقيقة ، فانها تخضع دائما للمتغيرات التي تطرأ على الموقف الاسرائيلي ٠

أما بعد السابع عشر من أيار الماضي ، فان اية اسئلة من هذا النوع تبدو باهتة امام صورة الواقع الجديد ، المؤطرة بعامل التقادم وفلسفة بيجن ، والتي اذا امعنا النظر فيها جيدا ، وبنظر سليم ، فاننا سنشاهد فيها بيجن يعتلي « سورا وبرجا » في الاراضي المحتلة حديثا ! يتطلع ويبتسم ٠٠ لانه يرى على البعـد في الافاق الرحبة من حوله اسوارا اخرى مختلفة ، ذات مهام مغايرة ، يقف على رأسها ٠٠ ويئن من خلفها ٠٠٠

بيد ان هذه الصورة يمكن ان تهتز وتسقط الى الابد ، اذا استحال الانين الى صرخـة ٠

مراجع « سور وبرج » (بالعبرية)

١ ـ كتاب تاريخ الهجناه « ب » القسم الثاني ٠ المحرر الرئيسي : البروفسور بن تسيون دينور ـ المكتبة الصهيونية ـ معرخوت ١٩٦٤ ٠

٢ ـ تاريخ الاستيطان الصهيوني ـ الكس باين ـ مساده ١٩٧٠

٣ ـ الحركة العمالية في ارض اسرائيل ـ موشيه بارسلفسكي ـ الكيبوتس الموحد ٠

٤ ـ من الشتات الى الدولة ـ يوسف اوليتسكي ـ احي اساف ٠

٥ ـ تاريخ حركة العمال في ارض اسرائيل ـ تسفي بن شوشان ـ عام عوبيد ١٩٦٣ ٠

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ١/١١ - ١٤/١٢/٧٧

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعهـــــا	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر قتيـل
١	٣١ـ١١ـ٧٧	١٢ر٤٥	القدس ـ احد باصات شركة ايجد	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـــ
٢	٤ـ١١ـ٧٧	٧ر٠٠	القدس ـ كريات موشي محطة الباصاتالمركزية لشركة ايجـد ٠	تفجير	عبوات موقوتة	ـــ
٣	٤ـ١١ـ٧٧	١٠ر١٥	مار الياس ـ طريق القدس ـ الخليل ٠ محطة الباصات ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة شديدة الانفجار	غير محدد
٤	٧ـ١١ـ٧٧	٧ر٣٥	بتاح تكفا ـ تل ابيب قسم الحجز في محطة الباصات المركزية ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد
٥	١٠ـ١١ـ٧٧	٨ر١٥	مطار اللد ـ الساحة الرئيسية	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـــ
٦★	١١ـ١١ـ٧٧	١٢ر٠٠	كريات جت ـ تل ابيب المحطة الرئيسية لشركـة ايجـد ٠	تفجير	عبوات موقوتة شديدة الانفجار	غير محدد
٧	١١ـ١١ـ٧٧	٢١ر٠٠	نابلس ـ ميدان الساعـة	هجوم	قنابل يدوية واسلحة فردية	ـــ
٨★	١٣ـ١١ـ٧٧	١٠ر٠٠	القدس ـ بنك هابوعليم	تفجير	عبوات ناسفة شديدة الانفجار	٢
٩	٢١ـ١١ـ٧٧	١١ر٠٠	القدس ـ ـ باب الخليل ـ طريق القدس ـ الخليل ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	٣
١٠	٢٥ـ١١ـ٧٧	١٥ر٠٠	عسقلان ـ محطة الباصات ٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد
١١	٢٨ـ١١ـ٧٧	٥ر٠٠	بتاح تكفا ـ تـل ابيب ورشة تابعـة لمشروع الخشب المصفح	تفجير	عبوات ناسفة حارقة موقوتة	غير محدد
١٢	٢٧ـ١١ـ٧٧	١١ر١٥	يتفي يعقوب ـ القدس المجمع الاستهلاكي التابع للجيش ٠	تفجير	عبوات ناسفة	
١٣	٢٨ـ١١ـ٧٧	٨ر٥	الطريق الترابية الممتدة بين قريتي بيـت اولا ودورا ـ قضاء الخليل	تفجير	الغام مزروعة	غير محدد
١٤	٣ـ١٢ـ٧٧	١٣ر٠٠	بوابة يافا ـ شرق القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد
١٥	٤ـ١٢ـ٧٧	ـــ	بوابة يافا ـ القـدس	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد

٦★ اعترف العـــدو في نشرتـــه الاخبارية الساعة ١٤ر٠٠ بوقوع انفجار في محطة ايجد في كريات جات واعلن عن اصابة ولد بجراح خفيفة وان الشرطـة بدأت بالتحقيق ٠ (رصد اذاعة اسرائيل السبت ١٢ـ١١ـ١٩٧٧ ، العدد رقـــم ١٣٤١ ، ص ١٤٢) ٠

٨★ اعترف العدو في نشرتـــــه

العدو البشرية	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة			المصدر / البلاغ العسكري	
جريح		شهيد	جريح	مفقود	رقم	تاريخ
—	- اكتشفت العبوات اثناء توقف الباص على احد حواجز التفتيش .	—	—	—	٧٧-١٣٢	١-١١-١٩٧٧
٦	- اصابة مكتب ضابط المحطة باضرار بالغة وتحطم جميع محتوياته .	—	—	—	٧٧-١٣٣	٥-١١-١٩٧٧
غير محدد	- تدمير واعطاب ما لا يقل عن (٣) باصات . - اصابة مبنى المحطة والمكتب الرئيسي باصابات بالغة . - قتل وجرح عدد من جنود العدو ومستوطنيه ممن كانوا داخل المحطة .	—	—	—	٧٧-١٣٤	٥-١١-١٩٧٧
غير محدد	- اصابة عدد غير محدد من افراد العدو . - تحطم زجاج الابنية المجاورة لمكان الانفجار.	—	—	—	٧٧-١٣٥	٧-١١-١٩٧٧
—	- اكتشفت العبوات اثناء التفتيش وتمشيط المنطقة . - ادى الانفجار الى تحطيم زجاج بعض واجهات المطار وتضرر السيارات المجاورة .	—	—	—	٧٧-١٣٦	١٠-١١-١٩٧٧
غير محدد	- تدمير اجزاء من مبنى المحطة واعطاب احد الباصات . - قتل وجرح عدد من المستوطنين الصهاينة .	—	—	—	٧٧-١٣٧	١٢-١١-١٩٧٧
٣	- اندلاع النيران في سيارة الجيب . - اصابة ثلاثة من افراد العدو بجراح مختلفة.	—	—	—	٧٧-١٣٨	١٢-١١-١٩٧٧
٥	- مقتل اثنين من الصهاينة . - جرح خمسة اخرين . - الحاق اضرار بالغة بالمبنى	—	—	—	٧٧-١٣٩	١٤-١١-١٩٧٧
غير محدد	- مقتل اثنين من جنود العدو واصابة اخرين. - انفجرت عبوة بين يدي خبير المتفجرات وهو يحاول تفكيكها فادت الى مقتله واصابة عدد من افراد شرطة العدو المرافقين له . - تم اكتشاف عدد كبير من العبوات التي لم تنفجر .	—	—	—	٧٧-١٤٠	٢٢-١١-١٩٧٧
غير محدد	- ادى الانفجار الى اعطاب احد الباصات . - تدمير اجزاء من مبنى المحطة . - مقتل وجرح عدد من افراد العدو .	—	—	—	٧٧-١٤١	٢٦-١١-١٩٧٧
غير محدد	- اصابة عدد من افراد العدو العاملين داخل الورشة . - اتت النيران على كامل محتويات الورشة . - تقدر خسائر العدو بانها كبيرة جدا .	—	—	—	٧٧-١٤٢	٢٩-١١-١٩٧٧
	- مقتل النقيب عيدين دقيدسون والمفتش يعقوب جور اثناء محاولة تفكيك العبوات . - اصابة احد افراد حرس الحدود المتواجدين هناك . - اصابة المجمع الاستهلاكي باضرار بالغة واتلاف بعض محتوياته .	—	—	—	٧٧-١٤٣	٣٠-١١-١٩٧٧
غير محدد	- تدمير السيارة تدميرا تاما . - جرح جميع من فيها .	—	—	—	٧٧-١٤٤	٣٠-١١-١٩٧٧
غير محدد	- قتل وجرح عدد من افراد العدو . شوهدت سيارات الاسعاف تقوم بنقلهم .	—	—	—	٧-١٤٥	٤-١٢-١٩٧٧
غير محدد	- اسفر الانفجار عن سقوط عدد كبير من افراد العدو بين قتيل وجريح .	—	—	—	٧٧-١٤٦	١٤-١٢-١٩٧٧

الاخبارية الساعة ٧٫٠٠ بوقوع انفجار في حارة النصارى في القدس القديمة ، قرب مدرسة اسبانيول ، وقد اسفر الانفجار عن مقتل شخص واحد واصابة ثلاثة بجروح

مروان حميد

جراح احدهم بالغة . (رصد اذاعة اسرائيل ، الاثنين ١٤-١١-١٩٧٧ ، العدد ١٣٤٢ ، ص ١٥٤) .

ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة
ملف تلك الزيارة

ملف

تلك الزيارة

تلك الزيارة ، وهذا الصراع : هيئة التحرير

المواقف

فلسطينيا	: ١ ـ المقاومة الفلسطينية ، عبد الحفيظ محارب ، ٢ ـ المناطق المحتلة ·
عربيا	: غازي الخليلي ·
اسرائيليا	: صبري جريس ·
دوليا	: سمير كرم ·
شعبيا	: حسين ابو النمل ·
اليمين اللبناني	: جوزيف سماحة ·

الاصداء

الصحافة البريطانية والاميركية	: ناشي طه ·
الصحافة الفرنسية	: جاكلين فرهود ·
الصحافة المصرية	: فيصل دراج ·

الوثائق

: خطاب السادات في مجلس الشعب · بيان بيغن للمصريين · دعوة بيغن للسادات · قبول السادات للدعوة · خطاب السادات امام الكنيست · خطاب بيغن امام الكنيست · البيان الاسرائيلي عن الزيارة · بيان اللجنة التنفيذية لـ م·ت·ف · البيان السوري ـ الفلسطيني المشترك · وثيقة الوحدة الوطنية الفلسطينية · بيان قمة طرابلس · بيان المؤتمر الشعبي ·

تلك الزيارة ، وهذا الصراع

ليست زيارة السادات الى الكيان الصهيوني هي المفترق · هي عنوانه الصارخ ، العاري ، والنهائي · والمفترق هو مجموعة من التفاصيل والاجراءات والممارسات التي تشكلت داخل مسار عام هو التسوية الاميركية الامبريالية ، قفز بها السادات « بقوة الدفع » من التردد الى الفضيحة · هل كان من المحتم ان يقود هذا المسار رئيس اكبر دولة عربية الى الكنيست ؟ ان المزايا الشخصية لمثل هذا الرئيس اعطت للكرامة الوطنية ادنى الاعتبارات · ان هذا المسار يرمي السائر فيه الى الهزيمة والاستسلام ، ولكن ليس حتميا ان يكون الكنيست هو المقر ·

انهيارات ونهوض ، هذا هو العالم الثالث في علاقاته بانهيار الامبريالية · وحين يدق الانهيار ، تغرق الرجعية في التفاصيل وتحاول ان توحي بأن تفاصيل انهيارها هي تفاصيل الواقع :

« تلك الزيارة » ليست نهاية الصراع بين الامة العربية وبين الصهيونية والامبريالية ، انها تجدد الصراع بطريقة معقدة حين نرى للطرف المعادي امتدادا في الداخل العربي ، فتعلن فلسطين ـ بمعانيها الكثيرة ـ بعدها الاجتماعي ·

وهذا الملف يجمع التفاصيل او اكثرها اهمية من أجل ان يقول ان الصراع ليس على التفاصيل ، لكن التفاصيل تشير الى ايقاع السقوط ـ سقوط الذين انتهى دورهم التاريخي ·

تلك الزيارة ـ لهم ·

وهذا الصراع لنا ،

وهو صراع على الافق الذي يسده الوحش الاميركي بالحديد والمواد الاستهلاكية· الهزيمة لحظة · لكن السياق التاريخي يصنعه البديل التاريخي ·

هيئة التحرير

فلسطينيا

١- المقاومة الفلسطينية

قبل ان يعلن السادات عن استعداده لزيارة الارض المحتلة ، كانت الاوساط الفلسطينية لا تشعر بالارتياح الى الموقف المصري · وكانت هذه الاوساط تخشى ان يذهب السادات بعيدا في محاولته الالتفاف على مسألة التمثيل الفلسطيني لضمان عقد مؤتمر جنيف في أقرب وقت · ولقد ازدادت هذه الخشية مع ما راج من أخبار ومعلومات عن موافقة السادات على ورقة العمل الاميركية ــ الاسرائيلية · ولعل هذا ما يفسر لنا زيارة الاخ ابو عمار الى القاهرة قبل عقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، اذ ان الدبلوماسية كانت تحاول ان تستشف ابعاد الموقف المصري لترى اين تقف ، ولتحدد الاطار العام لحركتها وسط ما كان يجري من احداث ·

ولم تكن هذه الاوساط لتتصور ان السادات قد يذهب بعيدا الى هذا الحد للخروج من الطريق شبه المسدود الذي يواجههمؤتمر جنيف · ولذا فقد فوجئت كغيرها من الاوساط العربية باعلان السادات · الا ان المفاجأة ، على الرغم من ثقلها ، لم تدفع منظمة التحرير الفلسطينية الى رمي القفاز في وجه السادات فورا · فانتظرت بعض الوقت لدراسة ابعاد هذا الاعلان ومدى الجدية فيه ·

لقد كانت جملة من الامور تدفع المنظمة الى التريث في اعلان موقف رسمي · منها ، ان الاخ ابو عمار كان لا يزال في القاهرة ، وانه لم يبق على عقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب الا يومين · اضافة الى ان السادات اعلن انه سيزور سوريا قريبا ويلتقي الرئيس الاسد · ان التريث الرسمي لم يمنع الامور من ان تتفاعل على الصعيد الشعبي فقد تفاعل الاعلان عن الزيارة بسرعة في الاوساط الشعبية الفلسطينية ، وفي اوساط بعض المنظمات الفلسطينية · وقد تبلور هذا التفاعل بمواقف شعبية أدانت الزيارة واعتبرتها خيانة قومية ، وبيانات وتصريحات صدرت عن اكثر من منظمة فلسطينية ، صيغت بلهجة متشددة، أدانت الزيارة واستنكرتها ودعت الى مواجهة الموقف الجديد بصلابة وحزم ·

- لقد واجهت القيادة الفلسطينية اسبوعا من القلق قبل ان يصدر موقف رسمي من م·ت·ف· بادانة الزيارة واستنكارها · وفي هذا الاسبوع لم تكن الزيارة وابعادها ، هي التي شغلت القيادة الفلسطينية ، بل كانت مسألة الاحداث في جنوب لبنان ، والتي شكلت هما اخر وكبيرا للقيادة الفلسطينية · لقد جاء الاعلان عن الزيارة في وقت كان فيه جنوب لبنان يتعرض لاعتداء اسرائيلي وحشي ، وفي وقت بدا فيه ان ضغوطا عربية تمارس على الثورة الفلسطينية للانسحاب من الجنوب ·

لقد اجتازت القيادة الفلسطينية هذا الاسبوع من القلق ، وخرجت منه بموقفين واضحين من الزيارة ، ومن مسألة الانسحاب من الجنوب ·

فبالنسبة لمسألة الانسحاب من الجنوب ، حددت القيادة الفلسطينية موقفها كما اعلنه

مصدر مسؤول في م٠ت٠ف٠ في ١١/١١ ، فقد اكد هذا المصدر « التزام القيادة الفلسطينية الكامل والفوري بتطبيق اتفاق القاهرة حسب ما نصت عليه البنود الاجرائية في لقـــاء شتورا » ٠

وبالنسبة للزيارة ، فقد حدد التحرك الشعبي أبعاد الموقف الفلسطيني وهو الموقف الذي انعكس في بيانات رسمية صدرت عن العديد من المنظمات الفلسطينية خلال هذا الاسبوع ، ومنها البيان الذيصدر مساء ١١/١٧ عن اللجنة المركزية لحركة « فتح » وجاء في البيان « ان فتح ومن خلال موقفها النضالي ترفض هذه الزيارة التي تعتبر انعطافا خطيرا تضع الشعب الفلسطيني وثورته في موقف خطير امام العدو الصهيوني » وتوجه البيان الى السادات للعدول عن الزيارة ٠ كما أكد التزام فتح الثابت « بمنطلقات مجالسنا الوطنية ومقرراتها وبرامجها » ودعا الى التحرك الموسع في الساحة العربية والدولية على الاسس التالية : « أ ــ التمسك بقرارات قمتي الجزائر والرباط وتأكيد ان م٠ت٠ف٠ هي الممثـل الشرعي والوحيد ٠ ب ــ رفض أي حل لا يستند على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته الفلسطينية المستقلة ٠ جـ ــ تاكيد الحرص على التضامن العربي » ٠

وفي ١١/١٨ ، قال الاخ ابو عمار انه فوجيء بقرار السادات واضاف « ان ما ورد على لسان الرئيس السادات في خطابه أمام مجلس الشعب المصري لم يكن مكتوبا في نص الخطاب ، بل انه خرج على النص الاصلي عندما اعلن عزمه على زيارة الكنيست » ، واكد « ان هذا العمل الخطير الذي يقوم به السادات انما يقوم به منفردا » واضاف « وهذا الانفراد في اتخاذ هذا القرار الخطير يشكل منعطفا حادا وخطيرا في مجرى النضـــال العربي برمته » ٠

لقد حددت منظمات المقاومة الفلسطينية الاخرى مواقفها في بيانات رسمية صدرت قبل ان يبدأ السادات زيارته للارض المحتلة ٠

ففي ١١/١٦ ، أصدرت الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين بيانا استنكرت فيـــه الزيارة ، واعتبرتها تسليما من السادات بالشروط الاسرائيلية ــ الاميركية ، ودعت الجبهة في بيانها الى « استمرار النضال ضد محاولات طمس الشخصية الوطنية المستقلة للشعب الفلسطيني والالتفاف على منظمة التحرير ممثلا شرعيا وحيدا له ٠ ودعوة كافة فصائل المقاومة الى ادانة خطوات السادات الخيانية والتصدي لها » ٠

وكانت الجبهة الديموقراطية قد اصدرت بيانا في ١١/١٠ ، اعتبرت فيه اعلان السادات ارتدادا كاملا عن قرارات مؤتمري الجزائر والرباط ، و « تحللا كاملا من قبل نظام السادات من التزاماته تجاه حقوق شعبنا الفلسطيني وحقوق شعوبنا العربية والقومية » ٠

كذلك فقد أدانت طلائع حرب التحرير الشعبية ــ الصاعقة ، المواقف الساداتية ، وجاء في بيان أصدرته الصاعقة في ١٦ــ١١، ان هذه المواقف « لا تمثل فقط اعترافا بشرعية الكيان الصهيوني واغتصابه للاراضي العربية الفلسطينية ، بل انها تبدي استعدادا لاقامة علاقات حميمة مع ذلك الكيان على حساب مصالح وحقوق الامة العربية » ٠

وخلال الفترة نفسها ، اي ما بين ١٠ــ١١ ، ١٧ــ١١ ، اصـــدرت منظمات الرفض الفلسطينية بيانات استنكرت الزيارة وشجبتها ، كما أدانت مجمل نهج التسوية ، ودعت الى اعادة النظر في مجمل هذا النهج ٠ وقد تأكد هذا الموقف في البيان الذي صدر عن المجلس

المركزي لجبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية ، حيث أدان البيان الزيارة واعتبرها « خيانة صارخة لكل القيم النضالية القومية التحررية فـــي الوطن العربي » ۰ واضاف « ان الخطوة المصريةالجديدة لا يمكن ان تأخذ رغم خطورتها بمعزل عن الوضع العربي الرسمي وعن احتمال قيام انظمة رجعية واستسلامية اخرى بالاقدام عليها مـع بعض الفوارق المعروفة في الشكل وليس في المضمون او الجوهر » واكد البيان ان هذا الوضع الجديد « يجب ان يواجه بمسؤولية قومية وتاريخية عالية تضـــع كافة القوى والاحزاب والانظمة الوطنية والتقدمية أمام المحك الصعب والخيار الاصعب » ۰

لقد شكلت محصلة هذه المواقف الموقف الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية ۰ ففي ١٨ـ١١ وبعد اجتماع عدته اللجنة التنفيذية لـ م۰ت۰ف۰ وممثلو فصائل الثورة الفلسطينية ، صدر بيان شجب زيارة السادات ووصفها بأنها تنكر لدماء الشهداء ودعا جماهير الاراضـي المحتلة للاضراب والتحرك على أوسع نطاق لادانة الزيارة وافشالها ، وجاء في البيـان « ان القيادة الفلسطينية اذ تعلن رفضها لخطوة الرئيس السادات تؤكد على تمسكهـا بقرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دوراته المتعاقبة وبرامجه السياسيـــة ، وتدعو جماهير الامة العربية الى شجب وادانة هذا الموقف الخطير الذي يمس وجود امتنـــا ومستقبلها وشرفها ۰ كما تدعو سائر الاقطار العربية الى تحديد موقفها واسماع صوتها تجاه هذا الوضع » ۰

وفي ٣٠ـ١١ . اجتمع المجلس المركزي لـ م۰ت۰ف۰ في دمشق ، وصدر في اثر الاجتماع بيان اشار الى ان الزيارة « تشكل بحد ذاتها وبالنتائج التي أخذت تتوالى بعدها انتهاكا خطيرا لمبادىء النضال العربي ضد العدوان الصهيوني الامبريالي الذي بدأ في فلسطين منذ مطلع هذا القرن » ۰ واكد البيان « ان هذه السياسة الاستسلامية التي قادت الى الزيارة واتبعت بدعوة العدو الصهيوني الى اجتماع يعقد في القاهرة تشكل خطرا جديدا علـى الثورة الفلسطينية وخيانة عظمى للقضية الفلسطينية والعربية » وطالب البيـــان الدول العربية بتحديد موقف واضح من الزيارة ونتائجها وشجب « مواقف القلة من المسؤولين العرب التي حركتها الامبريالية الاميركية لتأييد السادات في سياسته الاستسلامية » ۰ وطالب « الامة العربية على المستويين الرسمي والشعبي بأن يكون حجم التصدي للمؤامرة مساويا لخطورتها » واكد « ان تمتين العلاقة الاستراتيجية بين م۰ت۰ف۰ والقطر العربي السوري وتلاحم كافة القوى والانظمة الوطنية العربية معهما لهو الحلقة المركزية فـي صمود الامة العربية في وجه المؤامرة الجديدة ، والتصدي لها واحباط نتائجها » ۰

بهذا الموقف انطلقت القيادة الفلسطينية في التصدي لخطوة السادات ولمجمل ما ترتب عليها من نتائج ، على جميع الاصعدة ، الشعبية ، والرسمية العربية والدولية ۰

شعبيا : جرى التنديد بالزيارة على أوسع نطاق شعبي ۰ ودعت جميع منظمات الثورة الفلسطينية ، الجماهير الشعبية الى التنديد بالزيارة واستنكارها والتصدي لها بكـل الوسائل الممكنة : تظاهرات ، بيانات استنكار ، مهرجانات شعبية ۰

رسميا : تابعت القيادة الفلسطينية تصديها للزيارة ولمجمل نتائجها ، ودأبت المنظمات على تحديد موقف من كل خطوة يخطوها السادات ۰ وتعاملت م۰ت۰ف۰ رسميا مع الزيارة وما تلاها من خطوات ونتائج ، وفق الخطوط التي حددها بيان اللجنة التنفيذيـة فـــي

١٨_١١_٧٧ ٠

في ١٩_١١ اعلن ابو اللطف « ان السادات لم يعد بأي حال من الاحوال مؤهلا للتحدث باسم شعبنا الفلسطيني او امتنا العربية ، وان اي عوض يقدمه السادات او اي اتفاق يصل اليه مع المعتدين الصهاينة مرفوض من أساسه من قبل الثورة الفلسطينية » ٠

وحول خطاب السادات امام الكنيست صرح مصدر مسؤول في م٠ت٠ف٠ في ٢١_١١ بقوله « ان التنازلات الهائلة الوطنية والقومية التي تضمنها خطاب السادات قد قابلها العدو الصهيوني بمزيد من التصلب والاصرار على ابقاء احتلاله للاراضي العربية والفلسطينية » ، واضاف المصدر « ان الثورة الفلسطينية ترفض بعناد واصرار هذا الموقف الموجه ضد نضالها » ٠

كذلك فقد علّق ياسر عبد ربه على الخطاب نفسه بقوله « ان كل ادعاء للسادات حول تمسكه بالمواقف العربية الوطنية لا يساوي شيئا بعد ان قدم اخر اوراق الاستسلام والركوع عندما قام برحلته » ٠ واضاف « ليس أمام الدول الوطنية في سوريا والعراق والجزائر وليبيا واليمن الديموقراطي الا العمل المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية من أجل فرض العزلة الكاملة حول الخائن ومقاطعته وتشكيل اوسع جبهة وطنية عربية ودولية حليفة لتطويق مشروعه الخياني وهزيمته » ٠

وجوبهت دعوة السادات الى م٠ت٠ف٠ للاشتراك في مؤتمر القاهرة ، برفض من كل منظمات الثورة الفلسطينية ، كما أكدت م٠ت٠ف٠ رفضها الدعوة ، واعلن مصدر مسؤول في م٠ت٠ف٠ ذلك في ٢٧_١١ وقال « ان خطاب السادات أمام مجلس الشعب المصري في ٢٦_١١ لم يأت بجديد ، وان اقتراحه لعقد مؤتمر في القاهرة يضم جميع الاطراف المعنية في النزاع في الشرق الاوسط لا يمكن قبوله » ٠

وفي ٣٠_١١ أدان ابو اللطف في كلمته أمام الجمعية العامة للامم المتحدة ، زيارة السادات ومجمل ما ترتب عليها من نتائج ، واوضح « ان الدعوة التي وجهتها حكومة مصر الى الاطراف المعنية بالصراع لعقد اجتماع تحضيري يمهد لمؤتمر جنيف ، والتي رفضتها سوريا ومنظمة التحرير ، تكشف بوضوح عن عقم هذا الطريق في دفع عجلة السلام الى الامام » ٠

عربيا :

أجرت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية اتصالات سياسية مع اكثر من دولة عربية لتنسيق المواقف ومواجهة الموقف الجديد ٠ كانت دمشق المحطة الاولى في التحرك السياسي عربيا ، فقد قام الاخ ابو عمار على رأس وفد من اللجنة التنفيذية بزيارة الى دمشق ، اجتمع خلالها الى الرئيس الاسد وعبد الحليم خدام ٠ وقد صدر عن هذا الاجتماع بيان سوري فلسطيني مشترك في ٢٣_١١ ، اكد وحدة الموقف الفلسطيني ـ السوري في مواجهة خطوة السادات وما سيتلوها من نتائج ٠

وكان السيد خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، والسيد محمد علي الحلبي ، رئيس مجلس الشعب العربي السوري ، قد وجها في ١٨_١١ برقية مشتركة الى

رؤساء المجالس البرلمانية في أقطار الوطن العربي دعوهم فيها الى استنكار زيارة السادات ورفضها وادانتها « لا بوصفها مسعى خاطئا وذليلا للسلام القائم على الاستسلام ، ولكن كذلك بوصفها خذلانا لارادة الشعب العربي في الكفاح ومحاولة لتمريغ كرامته وتشويه تاريخه النضالي وتهديم معنوياته واستباحة دماء شهدائه الابرار » ·

ثم جرى في ٢٦ـ١١ اجتماع سوري ، فلسطيني اخر بين عبد الحليم خدام واعضاء من اللجنة المركزية « لفتح » على رأسهم الاخ ابو عمار · وفي هذا الاجتماع تم بحث سبل التنسيق وتدعيم العلاقات الفلسطينية ـ السورية · كما جرى اجتماع اخر في ٣٠ـ١١ بين الرئيس حافظ الاسد والاخ ابو عمار بحضور الاخ ابو اياد ·

وكانت المحطة الثانية هي بغداد ، حيث وصل الاخ ابو عمار الى بغداد ومعه الاخ ابو اياد في ٢٨ـ١١ ، وأجرى خلال الزيارة التي استمرت يومين ، محادثات مع المسؤولين العراقيين حول الوضع الجديد وسبل مواجهته · أما المحطة الثالثة فقد كانت طرابلس حيث وصلها الاخ ابو عمار في ٣٠ـ١٢ على رأس وفد فلسطيني لحضور مؤتمر طرابلس ·

الى جانب ذلك فقد شاركت م·ت·ف· في المساعي التي قامت بها الجزائر وليبيا لضمان عقد مؤتمر طرابلس وتقريب وجهات النظر بين سوريا والعراق ·

ففي ٢١ـ١١ التقى في دمشق مع عبد السلام جلود ، الاخوة ، ابو مازن وعبد المحسن ابو ميزر ونايف حواتمة ومحمد زهدي النشاشيبي واحمد جبريل ، كما التقى ايضا في دمشق في ٢٥ـ١١ الاخوة ابو جهاد وأبو ماهر وابو ميزر ، مع الاخ طالب الابراهيمي مبعوث الرئيس ابو مدين الى سوريا والعراق ·

ودوليا ، كانت القيادة الفلسطينية حريصة على دراسة الموقف الجديد مع الاتحاد السوفياتي ، فقام الاخ ابو اللطف والاخ ياسر عبد ربه بزيارة الى الاتحاد السوفياتي استمرت يومين ، اجتمعا خلالهما الى غروميكو ، وفي ٢٨ـ١١ تسلم الاخ ابو عمار رسالة من القادة السوفييت ، كما سلم السيد سولداتوف رسالة منه الى القادة السوفييت ·

الوحدة الوطنية الفلسطينية ومؤتمر طرابلس

على الرغم من اتفاق جميع منظمات الثورة الفلسطينية على ادانة زيارة السادات واستنكارها ورفض كل ما قد يتولد عنها من نتائج فان الملاحظ ان هذا الاتفاق لم يلحم الشرخ الذي كان قائما في الجسم الفلسطيني بين جبهة الرفض وم·ت·ف· ولقد بدا من خلال البيانات التي أصدرتها المنظمات بصدد الزيارة ، ان هناك شعورا متزايدا لدى الجميع بضرورة لحم هذا الشرخ والوقوف بصلابة في مواجهة الوضع الجديد عبر تمتين الوحدة الوطنية الفلسطينية وتصليبها ·

كانت البداية في وحدة الموقف الفلسطيني ، هي توحيد الوفد الفلسطيني الى مؤتمر طرابلس ، وهو التوحيد الذي دفع قبل نهاية المؤتمر الى اتفاق جميع منظمات الثورة الفلسطينية على برنامج النقاط الست ، الذي شكل الاساس لوحدة الموقف الفلسطيني ·

وعلق المحرر السياسي لوفا على البرنامج فقال « ان الثورة الفلسطيقية بالتقاء جميع فصائلها على برنامج النقاط الست قد استوعبت بسرعة كافة المعطيات المستجدة ، وقدمت

ردها الثوري والفوري ليشد اللحمة بين القوى الوطنية في الساحة العربية لخلق الجبهة التقدمية العربية ، المناهضة والمقاتلة ضد الحلول الاستسلامية الامبريالية والصهيونية والرجعية وأدواتها في المنطقة العربية » .
غ . ا

٢ـ المناطق المحتلة

لكي نحيط بقدر الامكان بالمواقف المختلفة في المناطق المحتلة تجاه الحدث الخيانة ، المتمثل في زيارة رئيس اكبر دولة عربية الى اسرائيل . يجدر بنا التوقف قليلا عند القوى السياسية في المناطق المحتلة وموقف كل منها تجاه الحدث الخيانة . ليس من اجل المعرفة او التغطية فحسب ، بل من اجل دعوة الاطراف العربية الفلسطينية المتصدية لزيارة السادات لاتخاذ موقف عملي واضح تجاه الفريق المؤيد للزيارة . ولعل ذلك هو الامتحان الحقيقي لقدرة المقاومة على التصدي ، وجدية الاطراف العربية في التصدي . لاخطر حدث يواجه الامة العربية .

يمكن تقسيم القوى السياسية في المناطق المحتلة الى ثلاثة قوى :

١ ـ انصار سلطات الاحتلال ، وهم مجموعة من العملاء المستفيدين من الاحتلال .

٢ ـ انصار النظام الاردني ، وهم مجموعة من الشخصيات المرتبطة بالنظام الاردني مصلحيا ، وسبق لها ان شغلت مناصب وزارية او برلمانية او مناصب عليا في العهد الاردني .

ومن الجدير بالذكر هنا ان انصار السلطتين الاردنية والاسرائيلية . يحملون ولاء مزدوجا لكليهما ، يتفاوت عند كل شخصية بمقدار ارتباطها بهذه السلطة او تلك . ويفتقر هؤلاء الى اي رصيد شعبي ، وتكمن قوتهم في الدعم الذي يتلقونه من السلطتين ، ويمكن ان يطلق عليهم « علميا » اسم اصحاب الولاء المزدوج ، وتعبر صحيفة « القدس » عن مواقف هذا الفريق .

٣ ـ انصار م.ت.ف. ويتشكل هذا الفريق من العناصر الوطنية ومعظم رؤساء البلديات والمؤسسات الشعبية ، ويمتلك رصيدا شعبيا قويا ، وتسانده صحيفتا « الشعب » و « الفجر » .

وفيما يتعلق برؤساء البلديات ، تجدر الاشارة هنا الى ان هناك رئيسا واحدا فقط الياس فريج رئيس بلدية بيت لحم من انصار النظام الاردني ، وان رئيسين اثنين هما فهد قواسمة (الخليل) ورشادالشوا (غزة) يحاولات الجمع بين التأييد للنظام الاردني و م.ت.ف. مع الحرص على الاعلان عن تأييدهما لمنظمة التحرير .

عشية الزيارة

في الثامن من نوفمبر ، قبل الزيارة بيوم واحد ، عقد رؤساء البلديات والمؤسسات

والجمعيات الوطنية في مدينة بيرزيت مؤتمرا شجبوا فيه زيـــارة السادات لاسرائيل ، واكدوا في بيان اصدروه على ان « جماهيرنا في المناطق المحتلة تتطلع الى اقامة ســلام دائم وعادل مبني على الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وقيام دولتــه الوطنية المستقلة بقيادة ممثله الشرعي الوحيد م٠ت٠ف » ٠

ووقع على البيان كل من رؤساء بلديات : نابلس ، رام الله ، قلقيلية ، البيرة ، جنين ، طولكرم ، اريحا ، حلحول ، بيرزيت ، نورا ، وعدد من الشخصيات الوطنية ٠

واتخذ المؤتمرون قرارا التزموا فيه بعدم اداء صلاة عيد الاضحى في المسجد الاقصى في القدس بسبب اعتزام السادات اداء الصلاة فيه ، وقرروا اداء الصلاة في مسجــد آخر يحمل اسم جمال عبد الناصر في مدينة نابلس ٠

وسبق ذلك تحركات طلابية اخذت شكل التظاهرات ضد الزيارة ، ففي الثالث عشر من نوفمبر قامت الفتيات في مدارس مخيمات اللاجئين في منطقة رام الله بتظاهرات ، وكن يهتفن ضد السادات وقصف الطائرات الاسرائيلية لجنوب لبنان ، كما جرت تظاهرة فــي بيت لحم قام بها الطلبة هناك قبل وصول السادات بيوم واحد ، منددين بالزيارة ومطالبين رئيس البلدية الياس فريج تغيير موقفه ٠

ومن الجدير بالذكر ان تحديد موعد الزيارة جاء في وقت اغلقت فيه المدارس ابوابها بمناسبة عيد الاضحى ، ولم يتسن للطلبة التجمهر الا بعد انتهاء زيارة السادات ٠ ومع ذلك فقد اشارت الصحف الاسرائيلية الى ان عناصر « مجهولة » قامت بتوزيع مناشيــر في مدن الضفة الغربية منددة بزيارة السادات ، كمـــا وذكرت ان شوارع المـــدن ملئت بالملصقات والكتابات المنددة بالزيارة ، واتهمت « انصار م٠ت٠ف في الضفة بانهم يقفون وراء جميع هذه الاعمـــال » ٠

وفي هذا الجو عشية الزيارة رحب رئيس بلدية بيت لحم الياس فريج بالزيارة مركـزا على انه « يقف دائما الى جانب لقاء من هذا النوع بين زعماء اسرائيليين وزعمـــاء عرب » اما رئيس بلدية الخليل فهد قواسمة فذكر ان « قرار السادات يعكس جرأة سياسية غير عادية ، ونأمل جميعا بأن تؤدي زيارته الى احلال السلام في المنطقة » ٠ وافصح رئيس بلدية رام الله كريم خلف عن موقف مغاير اذ قال « لا يهمني شخصيا اذا ما جـــاء الى القدس جميع ملوك ورؤساء الدول العربية ، ولكن يهمني اذا لم يهتموا قبل ذلك للحصول على الاستقلال الوطني للشعب الفلسطيني » اما رئيس بلدية اريحا عبد العزيز السويطي فقد ندد بالسادات وقال انه لن يستقبله فيما لو وجهت اليه دعوة ٠ وكذلك رئيس بلديـة طولكرم حلمي حنون الذي قال : « نحن الفلسطينيين لسنا متحمسين للخطوات الاخيـرة للرئيس السادات » ٠

اما على صعيد الصحف الصادرة في المناطق المحتلة ، فقد رحبت صحيفة « القدس » بالزيارة وانتقدت منتقدي الرئيس السادات ، بينما انتقدت صحيفة الشعب الزيـــــارة

وصدرت صحيفة « الفجر » يوم عيد الاضحى وهي تحمل على صفحتها الاولى صورتيــن كبيرتين للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ورئيس م٠ت٠ف٠ ياسر عرفات ٠

ولعل اقرب وصف لحقيقة مشاعر السكان العرب في المناطق المحتلة قد جاء على لسان الصحفي الاسرائيلي داني روبنشتاين (دافار ١٨ـ١١ـ٧٧) حين قال « يشعر كل عربــي

يعيش تحت الاحتلال الاسرائيلي ويتعاطف مع الحركة الوطنية الفلسطينية ، بان الكابوس القديم المتمثل في الخشية من قيام الزعماء العرب ـ البعض او الجميع ـ بعقد اتفــاق مع اسرائيل على حساب المصالح الوطنية للفلسطينيين ، اخذ يراوده من جديد · وسني هذا الكابوس هي تقريبا نفس سني الصراع اليهودي العربي في المنطقة » ، وأضاف ان « الاحساس بالضيق في المناطق يرافق الخوف من حل عربي على حساب الفلسطينيين·· » وتنبأ روبنشتاين ان يصبح السادات خلال الاسابيع القادمة الشخصية المكروهة الاولــى في المناطـــق المحتلة ·

الزيـــارة

خلال فترة زيارة الرئيس السادات لاسرائيل ، التقى في المطار ثلاث شخصيات مــن المناطق المحتلة ، وفي صبيحة يوم الاضحى ادى « مهمة » صلاة العيد في المسجد الاقصى، والتقى بعد ذلك لمدة ربع ساعة في فندق الملك داوود بثماني شخصيات من المناطق المحتلة·

عندما هبطت طائرة السادات في مطار اللد ، وهبط الرئيس منها ، وجد امامه جميــع قادة مجتمع المهاجرين والمستوطنين واقفين تأهبا لاستقباله · ولم يسبق لاي رئيس دولة زار اسرائيل ان حظي بمثل هذا الاستقبال · ولم يجد ضمن هذا الحشد من شخصيات المناطق المحتلة الا ثلاث شخصيات تعتبر نموذجا حقيقيا لفريق الولاء المزدوج للسلطتين الاردنية والاسرائيلية ، وعصارة الخيانة الوطنية ، وهذه الشخصيات التي ارتسمت في عينــي السادات للحظات هي : الشيخ محمد علي الجعبري سيء الصيت الرئيس السابق لبلدية الخليل ، والقاضي نهاد جار الله الذي اخذ مؤخرا يسبح بحمد السلطتين ، ومصطفــى دودين الوزير السابق في حكومة الاردن التي نفذت المجزرة عام ١٩٧٠ والصديق الحميم لوصفي التل الذي لقي مصرعه امام احد فنادق القاهرة · ولعل الرئيس السادات كـــان يأمل ان يرى وجوها غير هذه الوجوه ! الا ان الامل شيء والواقع شيء اخر ، فالحــدث الخيانة لا تتناغم معه الا الرموز الخائنة ·

وفي صبيحة اليوم الثاني من الزيارة توجه الرئيس « المؤمن » نحو المسجد الاقصى لاداء صلاة عيد الاضحى ، وهنا واجه صدمة ثانية ، فقد قاطعت الشخصيات الوطنيـــة وجميع رؤساء البلديات الصلاة في المسجد الاقصى ، وادت صلاة العيد في مسجد آخر يحمل اسم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر · ولم يجد السادات حوله في المسجد سوى مجموعة من الشيوخ الطاعنين في السن ورجال المخابرات المصرية والاسرائيلية ·

سبقت زيارة الرئيس للمسجد ترتيبات امنية مشددة لم تشهد لها مدينة القدس العربية مثيلا في تاريخها ، فقد استمرت التدابير الامنية ثلاثة ايام اقامت خلالها قوات الامــن الاسرائيلية طوقا بشريا حول منطقة المسجد ، وغرست رجال امن في كـــل زاوية مــن المنطقة ، بالاضافة الى طائرات الهليكوبتر التي عملت ساعات متواصلة في مسح المنطقة من الجو · ووسط هذه التدابير الامنية سار الرئيس نحو المسجد الاقصى بخطوات ثابتة يحرسه وفق المصادر الاسرائيلية مظليون يرتدون القبعات الحمراء تابعون لفرقة المظلات التي كانت قد احتلت منطقة المسجد الاقصى في عام ١٩٦٧ ·

وقد بلغت التدابير الامنية حدا بعيدا من الشدة حين اقدم المسؤولون عن الأمن باغلاق ابواب المسجد قبل ساعة من بدء الصلاة ، وزج بعدد كبير من رجال المخابرات الاسرائيليين

وسط المصلين · وعندما بدأ المصلون باداء الصلاة ، شهد المسجد للمرة الاولى في تاريخه، منظرا غريبا يندر ان يجود التاريخ بمثله ، منظرا فرضته عملية السجود والركوع : قسم من الموجودين داخل المسجد يركع ويسجد ، وقسم آخر (رجال الامن اليهود) يقف هنا وهناك بدون حراك باستثناء النظرات ، ولم يكن هذا القسم قليل العدد ، الامر الذي خلق كما ذكرت الصحف الاسرائيلية تذمرا بين صفوف المصلين من « المبالغة » في الاحتياطات الامنية ·

وجاءت الصدمة الثالثة في آخر جملة من خطبة عيد الاضحى ·ومن الجدير بالذكر ان السلطات الاسرائيلية ، امتنعت وفق ما ذكرته الصحف الاسرائيلية عن التدخل في موضوع الخطبة عندما طلب حسن كامل مدير مكتب الرئيس السادات الذي وصل الى اسرائيل قبل وصول الرئيس السادات بيوم ، منها التدخل في هذا الموضوع ، فما كان من حسن كامل الا ان توجه الى خطيب المسجد وطالبه بـ « احترام الحدث ، ومباركة الرئيس السادات ، والتحدث باعتدال وحذر » ·

قرأ خطبة العيد الشيخ عكرمة صبري ، وبعد ان تحدث عن المعاني الروحية الكامنة في العيد ، تطرق الى الجانب السياسي وقال « ايها المسلمون في ارجاء المعمورة ، ان زيارة الرئيس السادات اتاحت لنا التحدث اليكم عبر الاثير وعبر محطات الاقمار الصناعية وعبر شاشات التلفزيون ، لنسمعكم صوت الاقصى المحزون ، صوت الشعب الفلسطيني المنكوب ، ولتشاهدوا آثار الحريق المشؤوم الذي اصاب هذا المسجد المبارك على ايدي اعداء الاسلام عام ١٩٦٩ ، واصبح منبر البطل صلاح الدين اثرا بعد عين » ·

ومضى الشيخ عكرمة قائلا « ··· ونذكر الرؤساء بان فلسطين عامة والقدس خاصة امانة في اعناقهم ، كما هي امانة في اعناقنا ، امانة الاجيال تلو الاجيال ··· »

واختتم الشيخ الخطبة بالقول « اللهم هيء من يوحد المسلمين ، ويحذو حذو صلاح الدين » ·

وربما كان اثر هذه الصدمة اخف وقعا على السادات ، لانها في الحقيقة ليست موجهة اليه وحده ·

بيد ان السادات صحا بعد ذلك على نغمة تفرحه وتفرح الكثيرين في هذا الشرق العربي ، فقد حدث بعد انتهاء القاء الخطبة ان اخذ البعض ممن في المسجد يهتفون «بالدم بالروح نفديك يا سادات » حدث ذلك في الداخل ، أما في الخارج فقد كان الوضع مختلفا تماما · فقد ذكرت الصحف الاسرائيلية ان الشباب العرب اخذوا يتجمهرون خارج المسجد بالقرب من الطوق الامني المفروض حول المسجد ، ويهتفون لفلسطين ويندددون بالسادات ، واوردت قصة طريفة بطلتها مذيعة التلفزيون المصري همت مصطفى التي سبق لها ان تغنت كثيرا بنضال « الصامدين » في الارض المحتلة · تقدمت المذيعة المحترمة الى مجموعة من الشباب العرب لتسجيل حديث تلفزيوني فتقدم شاب وتحدث على مسمع من جنود الاحتلال وقدم تحليلا للزيارة من منطلق وطني شاجبا صاحبها ، فما كان من المذيعة المحتشمة الا ان اندفعت ، نحو الشاب الفلسطيني واخذت تدفعه بكلتا يديها ، الامر الذي دفع قوات الاحتلال للتدخل وتهدئة روح المذيعة ، وافادت الصحف الاسرائيلية ان الرئيس السادات لم يشاهد هذا « المنظر » الذي حدث بالقرب من المسجد الاقصى ·

بعد انتهاء الصلاة في المسجد توجه السادات الى كنيسة القيامة ، تحت حراسة جنود المظلات ، واجمعت الصحف الاسرائيلية على ان التظاهرات المناوئة له خارج الكنيسة كانت اعنف من تلك التي حدثت بالقرب من المسجد الاقصى ، حيث اشتبك المتظاهرون مع قوات الامن التي قامت بتفريقهم ٠ بعد ذلك خرج الرئيس من كنيسة القيامة وتوجه الى فندق الملك داوود ، وتنفس رجال الامن الصعداء ٠

وفي الحادي والعشرين من نوفمبر عقد اجتماع في فندق الملك داوود بين السادات وثماني شخصيات من المناطق المحتلة استغرق ربع ساعة فقط ، والاشخاص الثمانية هم : حكمت المصري من نابلس رئيس البرلمان الاردني سابقا ، نعيم عبد الهادي من نابلس ، انور الخطيب حاكم قضاء القدس سابقا وسفير الاردن في القاهرة سابقا ، الياس فريج رئيس بلدية بيت لحم ، مصطفى دودين وزير سابق في الحكومة الاردنية ، المحامي ابراهيم ابو ستة من قطاع غزة ، سليمان العزيزة رئيس بلدية دير البلح والشيخ فرح مصادر ٠

واجمعت الصحف الاسرائيلية على ان الاحاديث التي جرت في هذا الاجتماع اتسمت بالمجاملة ، حيث اعرب عدد من الاعضاء عن اسفهم للحملة القائمة ضده في العالم العربي والمناطق المحتلة ، الا انها ذكرت ان المحامي ابراهيم ابو ستة الذي وصفته بانه متعاطف مع م٠ت٠ف ، القى كلمة امام السادات « اثارت حفيظته » ولعل هذه الكلمة تعتبر الصدمة الرابعة والاخيرة له في رحلته ٠ فوفق ما ذكرته الصحف الاسرائيلية اعلن ابو سته في كلمته ان م٠ت٠ف هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وطالب الرئيس السادات باعادة فتح اذاعة صوت الثورة الفلسطينية في القاهرة بعد ان امر السادات باغلاقها ، واوضح للسادات ان « التهجمات عليه لم تنبع من العداء تجاهه ، بل العكس من ذلك ، فقد نبعت من المحبة ، لان العالم العربي لم يرد له ان تتأثر مكانته وشرفه بسبب زيارته لاسرائيل »٠

وفي ختام كلمته طلب من السادات ان ينقل تحياته الى ياسر عرفات !! وذكرت الصحف ان السادات « كظم غيظه » ورد عليه بالقول « بصير خير » ٠

وخلال فترة الزيارة افادت الصحف الاسرائيلية ان تظاهرات جرت في مدينة نابلس هتفت ضد السادات ، واصطدم المتظاهرون مع قوات الشرطة التي قامت بتفريقهم ، كما وجرى في مدن وقرى عدة رسم شعارات على الجدران تدين زيارة السادات ، وحدث اضراب في مستشفى المقاصد في القدس . كما انفجرت في مدينة القدس شحنة من المواد المتفجرة قبل دقائق معدودة من المؤتمر الصحفي الذي عقده كل من السادات وبيجن ٠

في اعقاب الزيارة

عقب انتهاء زيارة السادات لاسرائيل ، وجه النظام المصري باسم حزب مصر العربي الاشتراكي الحاكم دعوة الى عدد من شخصيات المناطق المحتلة لزيارة القاهرة ، في محاولة منه للطعن بتمثيل م٠ت٠ف٠ للشعب الفلسطيني في جميع اماكن تواجده ٠ وقد انقسمت الاراء في المناطق المحتلة حول الدعوة ، فجماعة « الولاء المزدوج » ايدوا الدعوة بدون تحفظ وعلى رأس هؤلاء مصطفى دودين وبرهان الجعبري من الخليل والياس فريج

من بيت لحم ونهاد خير الله من القدس وعبد الرؤوف الفارس من نابلس، وهاشم الخوزندار من غزة ٠ وهنالك مجموعة ترهن تلبيتها للدعوة بموافقة م٠ت٠ف٠ ويقف على رأسها رئيس بلدية الخليل فهد قواسمه ورئيس بلدية غزة ، رشاد الشوا ، وحكمت المصري من نابلس ٠

اما انصار م٠ت٠ف المثلين في معظم رؤساء البلديات والمؤسسات الشعبية والشخصيات الوطنية والجماهير الشعبية ، فقد اعلنوا رفضهم المطلق للدعوة ، وعقدوا اجتماعا في السادس والعشرين من نوفمبر في جامعة بيرزيت حضره رؤساء بلديات نابلس ، رام الله ، بيرزيت ، اريحا ، حلحول ، بالاضافة الى عدد كبير من رؤساء المؤسسات الشعبية والشخصيات الوطنية ، واجمع المتحدثون على ان « السادات لا يملك حق تعيين مندوبين فلسطينيين وفق ما يرتأي » واكدوا على ان « م٠ت٠ف هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وهي التي تملك حق التحدث باسم الفلسطينيين وتمثيلهم » ودعا المتحدثون الى اقامة جبهة عربية موحدة لعزل السادات ٠

اما على صعيد التحرك الشعبي ، فقد اخذت الجماهير في الضفة الغربية ، تعبر عن موقفها يوميا تقريبا بعد اجتماع بيرزيت ، على شكل تظاهرات واضرابات في عدد من مدن الضفة الغربية ، شاجبة مشاريع السادات ومتصدية لقوات الاحتلال ٠

من ناحية اخرى عكس الصراع القائم بين انصار م٠ت٠ف وبين مجموعة الولاء المزدوج ، نفسه على الصحف الصادرة في المناطق المحتلة ، فقد امتدحت صحيفة القدس المبادرة المصرية بخصوص توجيه دعوات للزعامة التقليدية لزيارة القاهرة ، الا ان صحيفتا « الشعب » و « الفجر » ادانتا هذه المبادرة بشدة ، لانها تستهدف « تعيين فلسطينيين لتمثيل الشعب الفلسطيني بالتنسيق مع الحكم العسكري في المناطق المحتلة » ٠

وليس هنالك شك ان زيارة السادات قد انعشت بشكل قوي فريق « الولاء المزدوج » للسلطتين الاسرائيلية والاردنية ، وبثت فيهم روحا جديدة.بعد ان كانوا عاجزين قبيل الزيارة حتى عن عقد مؤتمر في الضفة الغربية ٠ وعبر الكاتب الاسرائيلي يهودا ليطاني (هآرتس ٧٧/١١/٢٤) عن هذا الانتعاش بالقول : « يعتقد انصار الاردن الذين يشكلون فريقا يعتبر معتدلا في المناطق المحتفظ بها والقدس الشرقية ، ان وقتهم قد حان الآن عقب زيارة السادات » ٠ وقال احد الاشخاص من انصار الاردن في الضفة الغربية عقب الزيارة : « انني متأكد الآن اننا نحن الاشخاص المعتدلين في الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة ، سنمثل الفلسطينيين في جنيف ، وبعد ذلك سنشكل عاملا حاسما في كل اتفاق تقبله الاطراف » ٠ وقال : « لن يكون في المستقبل القريب لمنظمة التحرير ما تقوله ، فقد حشرت الآن في الزاوية » ٠

ولكن ماذا يريد هؤلاء بعد « حشر م٠ت٠ف في الزاوية ؟ » ٠

لقد ادلى احد اركان هذا الفريق مصطفى دودين الوزير السابق في الحكومة الاردنية بتصريح نقلته عنه صحيفة عل همشمار (٧٧/١١/٣٠) افصح فيه عن الهدف حين قال : « يتوجب على سكان المناطق في اية تسوية سلمية في الشرق الاوسط ، الحفاظ على علاقة مع دولة اسرائيل على الاصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ٠٠ ويتوجب قبل ذلك

خلق علاقة كهذه مع الاردن ، وبعد ذلك التحول الى اتحاد فدرالي مع اسرائيل » ٠

ويبقى السؤال امام منظمة التحرير الفلسطينية : الى متى يبقى العملاء الفلسطينيون بضاعة رخيصة يتهافت عليها هذا النظام العربي او ذاك بالتعاون مع العدو الاسرائيلي ضد أقدس قضية عرفتها الامة العربية ؟٠

عبد الحفيظ محارب

عربيّاً

غازي الخليلي

في التاسع من شهر تشرين الثاني « نوفمبر » اعلن السادات في خطاب له امام مجلس الشعب المصري استعداده « لبذل اقصى الجهود من اجل السلام ومواجهة قادة اسرائيل ولو في الكنيست نفسه » ٠

الكثيرون الذين استمعوا الى كلمات الرئيس المصري هذه ، في العالم العربي وخارجه ، لم يصدقوا ما سمعوه ، ورددوا مذهولين : هذه مناورة من السادات ، هذه زلة لسان ٠ وصمت العالم العربي ، ودهشت الجماهير العربية ، هل تصدق ، هل تكذب ما سمعته ؟ كان العالم مشدودا الى تفاصيل ما يجري حول مؤتمر جنيف ، وكان السؤال هل يعقد مؤتمر جنيف قبل نهاية العام الحالي ، ام في اوائله ؟ وكانت ايام قليلة جدا باقية حتى يعقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب في تونس ، ليقرر الدعوة الى مؤتمر قمة عربي ٠ كثيرون ارتابوا في اصرار السادات على القذف بعيدا باحتمالات عقد مؤتمر قمة عربي في تاريخ قريب ٠ ولكن ريبتهم لم تكن لتدفعهم بعيدا الى ما يعد السادات من مفاجآت . باستثناء الذين كانوا على علم بالامر ٠

القى السادات قنبلته الموقوتة ، ولم ينتظر طويلا ، كان يريد للانفجارات ان تتوالى ، وللدوي ان يكون كبيرا ٠ وهكذا توالت الاحداث لتقطع الشك باليقين ٠ عشرة ايام فقط ما بين الاعلان عن الزيارة وبين البدء بها ٠ عشرة ايام قطعها السادات متوترا قلقا ، مضطربا ، عشرة أيام اراد بها السادات ان يطوي صفحة ثلاثين عاما من النضال الدامي والمرير ، ويقفز فوق التاريخ !

قال انه ذاهب لاداء صلاة العيد في المسجد الاقصى ٠ وهناك علموه ان الاقصى ليس صلاة ٠ هناك قالوا له : الاقصى لا يريدك ويخجل من استقبالك ٠

وتمت الزيارة ، فانه حقا يصدق القول ! قال انه سيذهب ، بالتأكيد سيذهب ، هكذا رد بعصبية على سائله في مؤتمره الصحفي الذي عقده في دمشق بعد انتهاء زيارته لها ٠ وليس اوقح من الخائن عندما يتمادى في الخيانة ٠ وليس اجرأ من الجماهير في مواجهة الخيانة ٠

قال انه اتخذ قراره بالزيارة منفردا ، دون التشاور مع احد من المسؤولين العرب ٠ قد يكون هذا صحيحا ، ولكن كل ما فينا من احساس وحدس ، ينطق بعكس هذا ٠ وحتى الوقائع التي عرفت حتى الان ، تكذب انفراد السادات ٠ فالخائن لا يخون منفردا ، والزيارة كحدث ، اكبر من الانفراد ، واكبر من ان تكون هاجس ايام او حتى اشهر قليلة ٠ ولا شك ان ما يأتي من الايام سيكشف الكثير الكثير من التفاصيل ٠ وعندها ، ما نراه حدسا يصبح وقائع ٠

كان الحدث ــ الخيانة ، اكبر من قدرة الجماهير العربية ان تراه دون دهشة ، ودون

غضب ٠ فالحدث يحاول ان يلغي ثقافة وتراث جيلين كاملين او اكثر ٠ عشر سنوات ، من التمهيد للغة جديدة وابجدية جديدة تلغيان مضامين الصراع ، لم تكن كافية لان تجعل من الحدث ـ الخيانة ، حدثا يمكن استيعابه ، او يمكن تبريره ـ على اقل تقدير ٠ نعم ، أراد السادات ان يكون الحدث صدمة ، تصدم ثقافة الجماهير ليدمرها ، لينهي هذه الثقافة الوطنية التي تربت عليها الجماهير اجيالا ٠ اراد ان يخترق الحاجز النفسي كما قال هو ، وكما نقول نحن ، اراد ان يخترق الثقافة الوطنية ، ان يدمرها ٠ قدم الخيانة مغطاة برغيف الخبز ، ليسهل على الجماهير الجائعة ابتلاعها ، ولكي تنسى وهي تسد بعض جوعها ، انها تخون ماضيها وتتنكر لمستقبلها ٠

ولكن ابجدية جديدة كانت الجماهير العربية قد خلقتها وكرستها ، عندما اعتبرت ان الوطن اكبر من الجوع ٠ لقد صاغت هذه الابجدية الجديدة ، الجماهير الفلسطينية ، لاول مرة ، عندما رفضت طيلة ثلاثين عاما البيت المريح والسكن المريح ، والرغيف الطازج ، بديلا عن الوطن ٠ عندما رفضت مشاريع الاسكان والتوطين خارج الوطن ، ولو في أرض عربية ٠ ،

هل نسي السادات هذه الابجدية ٠ ربما تناساها ، او حاول ان يتناساها ، ولكن الجماهير المنهكة والجوعى لم تنس ولا تنسى ٠ الجماهير العربية التي ما تخرج من معركة الا لتدخل في معركة ، ما تنتهي من مؤامرة ، الا لتواجه اخرى ، طيلة الثلاثين عاما الماضية ، لم تكن تملك الا ان تغضب وتصرخ ، على الرغم من كل القمع الذي يثقل كاهلها ، على الرغم من كل السجون المليئة بمناضليها ، وعلى الرغم من انه لم يبق من قواها الوطنية والتقدمية ، الا فلول تركض من معركة الى معركة ، وترفض ان تستسلم ٠

غضبت الجماهير ، والغضب كان تظاهرات وبيانات ومؤتمرات هنا وهناك ، المنظمات الوطنية ، الاحزاب الوطنية ، الاتحادات ، النقابات ، النساء والرجال ، الاطفال والشيوخ ، الامهات والارامل والثكلى ، كلهم غضبوا ، كلهم صرخوا ، كلهم لم ينسوا ان الوطن اكبر من الجوع ٠ ربما ان الغضب لم يكن بمستوى الحدث ٠ وربما انه لا يكفي أن نغضب ٠ لان الغضب لا يعيش ولا يبقى الامع الحدث الساخن ، وعندما يبرد الحدث ، يبرد الغضب ايضا ٠ ولكن الغضب ليس الا بداية ، قد يدفع مع الاحساس بالخطر ، الى ان تتكسر الكثير من القيود ، الى ان تطلق حرية الجماهير ٠٠ وعندها ، عندها فقط ، نقول غضبنا كان اعلانا بالثورة ، كان بداية لا تتوقف ، وسيرة ليس لها الا ان تتوج بالظفر ٠

شعبيا كانت الجماهير في حالة غضب ، تضغط ، وتحدد الشعارات والمواقف : وحدة وطنية فلسطينية ، وجبهة صمود وتصدي عربية ، رسمية وشعبية ٠

ورسميا كانت الحسابات اقل غضبا واكثر برودا ٠ دول عربية غضبت ، وسارعت باعلان الموقف باستنكار الزيارة وادانتها ، من مواقع مختلفة ، ولدوافع متفاوتة ، وان كانت كلها تلتقي ، في أن ما يجري اذا ما استكمل طريقه ، سوف يجرف الجميع ، وسوف يطال الجميع ٠ لا استثناء هذه المرة ٠ اما الانسجام الكامل مع الترتيبات الجديدة واما التصفية ٠ ودول عربية اخرى باركت وأيدت وهي قلة ، والدول العربية الباقية ، انتظرت ، تباكت على التضامن العربي ، بعضها كان يؤيد خفية ويلعب من داخل الدائرة وليس من خارجها ، وبعضها وقف على هامش الدائرة ، يراقب مسار الاحداث ، قبل ان يوجه بوصلته في اتجاه محدد ٠

حسابات ، تجري احيانا ببرود ، واحيانا تسري في الارقام مياه ساخنة ، تخربط بعض الحسابات ، وتعيد ترتيب الموازين من جديد · و « اللعبة » لم تنته بعد ، وسمحت فيما مضى من أيام للاعبين من خارج الدائرة ان يشاركوا دون اعلان او ان ينتظروا ، ولكن تسارع الاحداث سيلغي هذا الاستثناء قريبا ، وقريبا جدا ، حيث ستصبح الامور محصورة كليا في اتجاهين : اما الانسجام واما المواجهة ·

والعرض التالي الذي نقدمه عن مواقف الدول العربية ، موثقة كما حدثت ، او كما اعلنت ، دون تحليل او تدخل بكشف خلفيات المواقف وابعادها ، هذا العرض ، نعترف مسبقا انه ليس كاملا ، فالاحداث تتسارع ، وتسير بسرعة اكبر من صياغة الخبر نفسه ، فالمواقف لم تستقر بعد ، ولم تتحدد بشكل نهائي · لقد أردنا من هذا العرض ان نقدم صورة ، تتكامل مع العروض الاخرى الواردة في هذا الملف عن مواقف الاطراف المختلفة ، كي يرتسم الحدث امامنا بكل شموليته ، آملين في فهم اوضح واكثر وعيا للاتي من الاحداث ·

مصر

دأبت الصحف المصرية منذ الاعلان عن الزيارة ، على الاشادة باقتراح السادات ووصفت صحيفة الاهرام (١٦ـ١١) ما اسمته « مبادرة السادات » بانها « كسر الحلقة المفرغة من الحديث عن اجراءات مفاوضات السلام دون الدخول في جوهر عملية السلام»· واضافت « انها مبادرة سوف تثبت للعالم اجمع ان مصر ذهبت الى اخر الشوط وبذلت المستحيل ، بمعنى كلمة المستحيل ــ لكي تحصل على سلام عادل ، ويبقى على اسرائيل ان تتحمل عواقب ذلك كله امام شعبها وامام العالم وامام التاريخ » ولم يبد في البداية اي رد فعل من مؤسسات النظام المصري على ما اعلنه السادات ، وان كان عدم مرافقة اسماعيل فهمي للسادات في زيارته الى دمشق كانت تشير الى وجود معارضة للسادات · ولذا ما ان اعلن السادات موافقته على قبول الزيارة مساء السابع عشر من شهر تشرين الثاني « نوفمبر » حتى قدم اسماعيل فهمي ، نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية استقالته احتجاجا على ذلك ، واستقال بعده مباشرة محمد رياض ، الذي عينه السادات خلفا لفهمي ، فاضطر السادات الى قبول استقالة رياض ، وكلف بطرس غالي ، وزيرا للخارجية بالوكالة ·

وبهذه الحركة السريعة ، حاول السادات ان يلجم مسبقا أية معارضة لزيارته قد تبرز من داخل النظام نفسه ، وحرص السادات عشية توجهه للارض المحتلة ، ان يؤكد تضامن قيادة الجيش معه وتأييد مجلس الشعب المصري له · فأرسل له محمد عبد الغني الجمسي، وزير الحربية ، بمناسبة عيد الاضحى ، برقية تهنئة بالعيد ضمنها تأييد القوات المسلحة لمبادرته ، وجاء فيها « ان القوات المسلحة تدرك ابعاد الموقف الراهن ومسؤولياته ، وتترقب بكل ثقة خطواتكم الشجاعة في سبيل السلام القائم على العدل » · كذلك دعا سيد مرعي ، يوم توجه السادات الى الارض المحتلة ، مكتب مجلس الشعب المصري ورؤساء لجان وهيئات مكاتب المجلس ، الى اجتماع عاجل ، صدر عنه بيان بتأييد الزيارة ، جاء فيه « اننا كممثلين عن هذا الشعب والمعبرين عن ارادته ، نقف وراء الزعيم انور السادات صفا واحدا مباركين هذه المبادرة » · غير ان حزب التجمع الوطني الديموقراطي ، الممثل

بنائبين في المجلس ، اصدر بيانا حذر من الزيارة ومخاطرها ودعا السادات الى العدول عنها · كذلك فقد ذكرت مصادر صحيفة « السفير ٢٠-١١ » انباء عن وجود معارضة للسادات في القوات المسلحة المصرية وقالت « ان القوات المسلحة المصرية في حالة طوارىء منذ ١٢ يوما ، وانه احيل على التقاعد ١٣٠ ضابطا ، كما جرى تبديل معظم قادة الفرق المدرعة ، وان حركة تطهير واسعة نفذت في سلاح الطيران والدفاع الجوي »·

على صعيد الحكومة، باستثناء تصريحات بطرس غالي ، لم يصدر اي تصريح حول الزيارة الا يوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني ، اي بعد ان انهى السادات زيارته للارض المحتلة · فقد أصدر حزب مصر العربي الاشتراكي ، وهو الحزب الحاكم ، بيانا ايد فيه الزيارة ووصفها بالمبادرة الذكية والشجاعة ، واضاف « ان هذه المبادرة العربية تأتي في اطار الموقف الثابت لمصر » واكد « ان مصر وقد تحملت مسؤوليتها التاريخية في الدفاع عن امتها العربية ··· تتحمل اتخاذ القرارات المناسبة لتحقيق اهداف الامة العربية في الحرب وفي السلم » · وانتقد البيان معارضي المبادرة ، حيث اشار الى « ان اتجاه الرفض لهذه المبادرة يكشف عن مواقف القوى الخارجية التي ليس من صالحها حلول السلام بالمنطقة » · وفي ٣٠-١١ اصدر مجلس الوزراء المصري بيانا دافع فيه عن زيارة السادات جاء فيه « ان مجلس الوزراء يعلن للشعب المصري انه يقف مع الجماهير تأييدا للخطوات الشجاعة والجريئة للرئيس السادات ويحيي قدرته في وضع صيغ جديدة لدبلوماسية ثورية لا تتقيد بالاطارات التقليدية والتعقيدات الاجرائية ··· لقد كان قدر مصر ان تتحمل دائما النصيب الاكبر من التضحيات في الارواح والدماء بل والاقوات · كما اصبح قدرها ايضا ان تتحمل النصيب الاكبر في اقرار السلام القائم على العدل · وبهذا يتاكد للعالم ان مفتاح السلام او الحرب هو دائما وسيبقى بيد مصر » ·

وكي يؤكد السادات تضامن كل مؤسسات النظام معه وتأييدها له ، فقد كان في استقباله لدى عودته من الارض المحتلة ، كل من حسني مبارك ، وسيد مرعي وممدوح سالم والفريق محمد عبد الغني الجمسي ، كما تم تنظيم استقبال شعبي له ·

. بعد انتهاء الزيارة والاطمئنان على تأييد مؤسسات النظام لها · تحرك النظام المصري رسميا باتجاهات عدة :

(١) مواجهة المعارضة العربية لخطوته ، بانتقاد المعارضين بشدة ، وقد شارك في هذا الانتقاد السادات نفسه بتصريحاته العنيفة والمتشنجة ، اضافة الى الكثيرين من المسؤولين المصريين ، والصحافة المصرية التي جندت كل الاقلام للدفاع عن السادات ، واظهار خطوته ، بانها تحمل السلام والرخاء لمصر ·

(٢) التاكيد على ان السادات في زيارته لم يقدم تنازلا لاسرائيل وان مصر لا تزال تلتزم بالموقف العربي العام من حيث الانسحاب الاسرائيلي من جميع الاراضي المحتلة وتامين الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وان مصر لا تنوي عقد تسوية منفردة مع اسرائيل · وقد عبر عن هذا الموقف بطرس غالي في اجتماعه مع سفراء الدول العربية المعتمدين في القاهرة ، وكذلك سفراء الدول الافريقية وذلك في ٢٣-١١ ، واعلن بطرس غالي بعد الاجتماع ، انه ابلغ السفراء موقف مصر الذي حدده بالنقاط التالية : (١) قضية فلسطين هي القضية الاولى الاساسية ولا حل لمشكلة الشرق الاوسط الا بحل هذه

القضية · (٢) مصر ترفض كل حل جزئي ولا تقبل الا الحل الشامل الكامل (٣) مصر تتمسك بالتضامن العربي (٤) مصر لم تتغير من اهدافها ومبادئها وان التطور الذي حدث هو ثورة ايجابية في اسلوب المواجهة الدبلوماسية القائمة على اساس الاتصال المباشر ·

(٣) عدم الوقوف عند الزيارة . واستمرار الحركة المصرية باندفاعها ، وبهذا الخصوص فقد تحركت الدبلوماسية المصرية بالاتجاهات التالية : ·

أ ـ حصر الهجوم الاعلامي بالدول العربية المعارضة . والواضحة في معارضتها ومحاولة تفهم مواقف الدول التي صمتت على الزيارة او وقفت على الحياد · مع ابراز موقف الدول التي أيدت الزيارة وباركتها كالسودان والمغرب ·

ب ـ حث اسرائيل على تقديم مبادرة تدعم موقف السادات عربيا ودوليا ، وقد عبر عن ذلك السادات في الكثير من تصريحاته بعد زيارته ·

هـ ـ التقدم خطوة اخرى بعد الزيارة تدعمها وتبقي على زخمها ، وقد جاءت هذه الخطوة باعلان السادات في السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني « نوفمبر » عن دعوته لعقد مؤتمر في القاهرة تحضره اطراف النزاع ورئيسا مؤتمر جنيف للسلام والسكرتير العام للامم المتحدة · وقد قام بطرس غالي في اليوم التالي بتوجيه الدعوة الى كل من اسرائيل وسوريا والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والامم المتحدة ، محددا تاريخ الاجتماع في موعد متفق عليه اعتبارا من ٣ـ١٢ـ ١٩٧٧ · ووضح غالي في الدعوة الموجهة الغاية من الاجتماع بقوله « هذا الاجتماع هدفه التحضير لمؤتمرجنيف وضمان نجاحه ، ويهدف الى التوصل الى تسوية عامة لنزاع الشرق الاوسط ، للوصول الى سلام عادل ودائم في المنطقة » ·★

أثارت دعوة السادات الى هذا الاجتماع ردود فعل مختلفة ، ادت الى ان يؤجل الى ١٤ـ١٢ـ١٩٧٧ ، وان يكون على مستوى أقل من مستوى وزراء الخارجية ، ولم تعلن عن استعدادها لحضوره الا اسرائيل والولايات المتحدة والامم المتحدة ، اضافة الى مصر صاحبة الدعوة ·

وفي ١ـ١٢ ، اعلن مراد غالب سفير مصر لدى يوغوسلافيا استقالته من منصبه احتجاجا على الزيارة ·

اتخذت السلطات المصرية سلسلة من الاجراءات ضد الاطراف التي عارضت الزيارة ·

في ١٨ـ١١ ، اوقفت السلطات المصرية اذاعة صوت فلسطين التي تبث من القاهرة . بعد ان اذاعت بياني حركة فتح واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بخصوص زيارة السادات الى الارض المحتلة ·

في٢٣ـ١١ ، ابعدت السلطات المصرية ثلاثة من المسؤولين الفلسطينيين في مصر ، وهم جمال الصوراني ، مدير مكتب م·ت·ف ومندوبها لدى الجامعة العربية ، ربحي عوض ممثل فتح في مصر ، وصخر بسيسو رئيس اتحاد طلبة فلسطين في مصر ، كما اغلقت

★ لم تدع المنظمة كطرف ، بل دعيت لارسال وفد عنها للتشاور مع المسؤولين المصريين حول التمثيل الفلسطيني في المؤتمر ·

مركز الاعلام الفلسطيني الموحد ، ومكتب فتح في القاهرة ، وقامت بطرد عدد كبير من الطلبة الفلسطينيين والعرب ·

في ٢٤ـ١١ ، اعلن ناطق باسم شركة مصر للطيران ان الشركة اوقفت جميع رحلاتها الى ليبيا والجزائر ·

في ٢٧ـ١١ قامت السلطات المصرية بطرد عبد العادل الصكبان ، امين مجلس الوحدة الاقتصادية بالجامعة العربية ومن التابعية العراقية ، باعتباره شخصا غير مرغوب فيه ·

اضافة لذلك ، فقد وجه حزب مصر العربي الاشتراكي في ٢٤ـ١١ دعوة لمن اسماهم بالزعماء الفلسطينيين المقيمين في الارض المحتلة لزيارة القاهرة ، « للاجتماع هناك بالمختصين ولمناقشة الموقف الذي ترتب على زيارة السادات للقدس » ·

وفي ٥ـ١٢ اعلنت الحكومة المصرية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع كل من سوريا · والجماهيرية العربية الليبية والجزائر واليمن الديموقراطية والعراق ، واعطت وزارة الخارجية المصرية سفراء هذه الدول والعاملين فيها مهلة ٢٤ ساعة لمغادرة الاراضي المصرية ·

سوريا

لم يصدر عن سوريا رد فعل فوري على اعلان السادات استعداده لزيارة الارض المحتلة، وانتظرت سوريا زيارة السادات لها على أمل ان تثنيه عن زيارته · ولما فشلت في ذلك اعلنت موقفها الرافض للزيارة ونتائجها بعد ان انتهت زيارة السادات لدمشق مساء السابع عشر من شهر تشرين الثاني « نوفمبر » · وقبل اعلان هذا الموقف لم تشر وسائل الاعلام السورية الى الزيارة لا كخبر ولا كتعليق · باستثناء اشارتين غير مباشرتين الاولى ، وردت في تعليق لصحيفة « الثورة ، ١٣ـ١١ » انتقدت فيه التهافت على السلام فقالت « استعجال السلام والمطالبة به والرغبة فيه شيء وامكان تحقيق السلام او القدرة على فرضه شيء اخر » وتساءلت لماذا كل هذا الاستعجال لانعقاد جنيف « ان السلام لا يتحقق من خلال اظهار الرغبات به والالحاح على تحقيقه ،والسفر اليه هنا وهناك او استعجال الوصول اليه او الحرص العربي على عقد مؤتمر جنيف » ·

اما الاشارة الثانية فقد وردت في البيان الذي صدر عن القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي (١٥ـ١١) في ذكرى الحركة التصحيحية ، حيث حذر البيان من الحلول الثنائية والمنفردة لازمة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، ودعا الى استخدام كل الوسائل والامكانات العربية المتاحة لارغام اسرائيل على تحقيق السلام العادل في الشرق الاوسط ·

لقد تحدد الموقف السوري رسميا عندما أعلن الرئيس حافظ الاسد في مؤتمر صحفي بعد انتهاء زيارة السادات لسوريا ، عن فشل سوريا في اقناع السادات العدول عن زيارته للارض المحتلة ، واكد رفض سوريا لهذه الزيارة · ومساء اليوم نفسه صدر في سوريا بيان باسم كل من القيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي والجبهة القومية والتقدمية والحكومة السورية · وحدد البيان موقف سوريا بكل ابعاده ، وجاء فيه « ان قرار رئيس جمهورية مصر العربية واصراره على القيام بزيارة اسرائيل يعتبر ضربة موجعة ومؤلمة للامة العربية وخروجا على ارادتها وتفتيتا لتماسك اقطارها ··· ان الامة العربية التي ترى في الصراع ضد الوجود الصهيوني في فلسطين صراعا

تحرريا قوميا لن تغفر لاي مسؤول عربي ان يقدم على اية خطوة تساهم في ترسيخ العدوان وتؤدد استمراريته وتسبغ الشرعية على احتلاله الارض العربية . وطالب البيان ، العرب جميعا ان يتحملوا مسؤولياتهم القومية في مواجهة الاخطار التي يسببها ذهاب حاكم عربي ، الى اسرائيل ، كما دعا ، الاشقاء العرب في الوطن الكبير الى العمل لاحباط المخاطر المتوقعة وتطويقها والبحث عن الصيغ التي تعيد للامة العربية متانتها وتماسك اقطارها لتستطيع التصدي لمشاريع العدو الصهيوني » .

وفي اليوم التالي ، ١٨ـ١١ ، اجتمع الاسد الى القيادة المركزية للجبهة القومية والتقدمية حيث جرت خلال الاجتماع مناقشة عامة للعواقب المترتبة على زيارة السادات . واصدرت الجبهة اثر الاجتماع قرارا بان يكون يوم السبت ١٩ـ١١ . والذي يصادف بدء زيارة السادات للارض المحتلة يوم حداد وطني في الجمهورية العربية السورية .

مع بدء زيارة السادات للارض المحتلة ، تحركت الدبلوماسية السورية باتجاهات عدة متجاوبة مع تحرك الدول العربية الرافضة للزيارة ، ومحددة لخطوط عملها المقبلة .

(١) مباشرة حملة اعلامية واسعة ضد زيارة السادات على جميع الاصعدة .

(٢) تمتين تحالفها وعلاقاتها مع منظمة التحرير الفلسطينية ، فقام وفد من اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف برأسه الاخ ابو عمار بزيارة لدمشق يومي ٢١ و ٢٢ـ١١ واجرى الوفد محادثات مطولة مع الفريق حافظ الاسد وقيادات حزب البعث العربي الاشتراكي . وصدر في اثر هذه المحادثات بيان سوري فلسطيني مشترك (٢٣ـ١١) محددا خطوط العمل المقبلة . وقد اكد البيان ان الاتفاق تم على عدة نقاط منها : (١) الادانة التامة لهذه الزيارة والاستعداد لوضع كل الطاقات لاسقاط نتائجها وتوجيه نداء الى شعب مصر وجيشها للتصدي لهذه الخيانة . (٢) دعوة سائر الدول العربية الى ادانة زيارة السادات ، والتأكيد على ان الموقف من كل دولة عربية ، يتحدد في ضوء موقف تلك الدولة من الزيارة وما يتبعها من تحركات واتصالات » . (٣) الدعوة لقيام تضامن حقيقي في مواجهة مؤامرة السادات ودعم موقف م.ت.ف وسوريا . (٤) التحرك عالميا لفضح سياسة السادات واخطارها . (٥) الدعوة لعقد مؤتمر شعبي للاحزاب والمنظمات والاتحادات النقابية والمهنية العربية ، وتشكيل لجنة تحضيرية لذلك .

(٣) رسم بعض الشكوك حول احتمالات عقد مؤتمر جنيف بعد زيارة السادات ، وبهذا الخصوص بدت الدبلوماسية السورية حذرة بعض الشيء ، ففي حين ذكرت مصادر صحيفة « النهار » ٢٤ـ١١ ان مصادر سورية مأذون لها صرحت بأن سوريا لا تزال مع المساعي المبذولة لاحلال سلام عادل ودائم وعقد مؤتمر جنيف ، الا انها تقف بقوة ضد زيارة السادات وترفض نتائجها ، قال عبد الرحمن خليفاوي في تصريح له نقلته صحيفة « الرأي العام » الكويتية (٢٤ـ١١) ان سوريا لم تقرر بعد اذا كانت ستذهب الى جنيف ام لا في حال انعقاده . وذكرت السفير (٢٦ـ١١) ان مصدرا سوريا مسؤولا علق على امكان عقد مؤتمر جنيف بقوله « لا شك ان زيارة السادات لاسرائيل قد وضعت مؤتمر جنيف في ثلاجة حتى اشعار اخر » .

(٤) التجاوب مع المساعي العربية لعقد مؤتمر قمة عربية للدول العربية الرافضة لزيارة السادات . ففي (٢١ـ١١) استقبل الرئيس الاسد عبد السلام جلود ، وذكرت السفير

(٢٤_١١) ان الاسد ابلغ جلود انه مستعد من جانبه لحضور القمة المصغـــرة وانـــه مستعد لطي صفحة الماضي مع العراق وتجاوز الحساسيات والخلافات الحزبية والسياسية

تدعيما لقدرات المواجهة ٠ واعلن الاسد في (٢٨_١١) حول احتمالات المصالحة بيـــن العراق وسوريا ، ما يفيد استعداد سوريا لذلك بقوله « هناك خطر داهم . ونحن جميعـا نسعى لمواجهة هذا الخطر الداهم . وكل ما تتطلبه مواجهة هذا الخطر الداهـــم نحـــن مستعدون له » ٠ وبناء على ذلك . فقد دعمت سوريا دعوة ليبيا لعقد مؤتمر قمة عربـــي للتصدي والصمود ، الذي حدد موعده في١_١٢_١٩٧٧ في طرابلس . وشاركت في هــــذا المؤتمر بوفد يرأسهالفريق الاسد ٠ ورفضت سوريا حضور مؤتمر القاهرة ، واعلن عبـد الحليم خدام (٢٦_١١) انه يستحيل على سوريا قبول الدعوة . ووصف المؤتمر بانـــه « غطاء للعلاقات المصرية _ الاسرائيلية الجديدة » ٠

لقد اوضح عبد الحليم خدام الموقف السوري في خطابه امام مجلس الشعـــب السوري (٢٧_١١) حيث قال ان المطلوب لمواجهة الظروف الطارئة . (١) تعبئة الراي العـام العربي تجاه المخاطر الجدية التي يتعرض لها مصيره القومي (٢) خلق موقف عربـــي متماسك حول خط عام يهدف الى : (أ) الحرص على تحقيق أوسع قاعدة للتضامن العربي حول هذا الخط (ب) التأكيد على قومية الصراع بيننا وبين العدو الاسرائيلي ٠

٥ _ تمتين العلاقات مع الاتحاد السوفياتي ٠ وبهذا الخصوص قام عبد الحليم خـــدام بزيارة للاتحاد السوفياتي في ٢٨_١١ ، جرى خلالها التشاور حول الوضع في منطقـــة الشرق الاوسط، كما جرى خلالها التفاهم على رفض الاتحاد السوفياتي الاشتراك فـــي مؤتمر القاهرة ٠ وقد استمرت زيارة خدام ثلاثة أيام التقى خلالها بالسيد بريجنيف حيث سلمه رسالة من الاسد ٠ وذكرت « تاس » ان الجانبين السوري والسوفياتي اتفقا عـــلى الردع الحازم لاي محاولات لتخريب الصداقة بينهما . واعربا عن العزم للسعي لبلـــوغ التسوية الشاملة في الشرق الاوسط في ظروف تستثني امكانية عقد الصفقات الانفراديـــة التي لا يزال يتشبث بها قادة بعض البلدان العربية ٠ واكدا وجوب السعي للتسوية الشاملة مع الاشتراك المتكافىء في الحقوق لمنظمة التحرير الفلسطينية ٠

الجماهيرية الليبية

انتظرت ليبيا عدة ايام قبل ان تحددموقفا رسميا من اعلان السادات استعداده لزيـادة الارض المحتلة ، وبدأ التحرك الليبي الرسمي ضد الزيارة اعتبارا مـــن ١٦_١١ ، وقـــد اتخذ التحرك الليبي الاتجاهات التالية :

(١) تحديد موقف محدد من الزيارة برفضها ، ففي ١٦_١١ ، اعلن في طرابلس ان مؤتمر الشعب العام اوقف مناقشة جدول اعماله العادي وعقد جلسة طارئة استعرض فيهـــا تدهور الموقف في منطقة المواجهة ، في الوقت الذي شهدت فيه طرابلس تظاهرات شعبيـــة ضد الزيارة ٠ وفي اليوم نفسه علقت وكالة انباء الجماهيرية الليبية علـــى « خطـــوة السادات » فوصفتها بانها اوجدت انهيارات مؤسفة ودرامية في موقف المواجهة العربـــي مع العدو الصهيوني ٠ وفي اليوم ذاته انتقد منصور الكيخيا ، مندوب ليبيا فـي الامـــم المتحدة « زيارة السادات » واعتبرها تطورا خطيرا ، قد يثير ردود فعل عنيفة في المنطقـة وفي مصر ٠

وفي ١٧ـ١١ ، صدر عن المؤتمر الشعبي العام بيان استنكر زيارة السادات ووصفها بانها جريمة في حق الامة العربية ، واشار البيان الى ان المؤتمر اتخذ عدة مقررات منها :

(١) وضع كافة امكانات الجماهيرية السياسية والعسكرية تحت تصرف سوريا والمقاومة الفلسطينية ٠

(٢) دعوة الجماهيرية للوقوف وراء سوريا في موقفها الصلب ٠

(٣) سوف تسحب الجماهيرية اعترافها بشرعية الدولة المصرية ، كما سوف تطالب باخراجها من جامعة الدول العربية ونقل مقر الجامعة من القاهرة فورا ، وذلك اذا اصر السادات على السفر الى الاراضي المحتلة ٠

٤ ــ دعوة ياسر عرفات لزيارة فورية الى ليبيا ٠

وفي ١٨ـ١١ استدعى العقيد القذافي السفراء العرب المعتمدين في ليبيا ، ووجه عبرهم رسائل الى رؤساء الدول العربية طالبا اليهم ان يحددوا موقفا واضحا من خطوة السادات ٠ وأبلغهم قرار الجماهيرية بسحب اعترافها بالحكومة المصرية ٠

وفي ٢٣ـ١١ اصدرت الحكومة الليبية بيانا اعلنت فيه سحب اعترافها بالحكومة المصرية وتطبيق احكام مقاطعة العدو الصهيوني على مصر ، واقفال الاجواء والمطارات الليبية في وجه الطائرات المصرية ومنع البواخر التي تحمل علما مصريا من العبور في المياه الاقليمية الليبية والرسو في موانئها ، وايضا اقفال الاجواء والمطارات الليبية في وجه الطائرات التي تطير من مصر واليها ، وكذلك البواخر ٠

(٢) القيام باتصالات واسعة مع الدول العربية لدراسة الوضع واتخاذ الاجراءات اللازمة ٠

ففي ١٦ـ١١ ، بعث العقيد القذافي برسالة الى الفريق حافظ الاسد حملها احمد عبد السلام خيال ، رئيس مكتب العلاقات الليبي في سوريا ٠ وذكرت صحيفة « الثورة السورية ١٩ـ١١ » ان القذافي اقترح في رسالة الى الاسد اتخاذ أجراء مقاطعة ضد مصر اذا تمت الزيارة ، كما اقترح « اجراء اتصالات مع جميع الملوك والرؤساء العرب للاتفاق على خطوات تاريخية تحفظ الحق العربي وتكفل هزيمة العدو الصهيوني » ٠

وفي ١٨ـ١١ ، استقبل انور السادات المقدم الركن عبد الفتاح يونس من القوات المسلحة الليبية وسلمه رسالة من العقيد القذافي ، كما سلم مبعوث ليبي اخر رسالة من العقيد القذافي الي الرئيس النميري تدور حول التطورات الاخيرة والعلاقات الثنائية بين البلدين ٠

في ٢١ـ١١/٢٤ قام عبد السلام جلود بزيارة الى كل من سوريا والعراق والجزائر ، لدراسة الوضع الجديد ، وسعى جلود خلال زيارته هذه الى تقريب وجهات النظر بين سوريا والعراق ، وتأمين اشتراكهما في مؤتمر قمة يعقد في طرابلس ضد زيارة السادات ٠

كذلك بعث القذافي خلال الفترة نفسها ابو زيد دورده محملا برسائل منه الى السعودية وعدن وابو ظبي ٠

في ٢٨_١١ . وجهت امانة الخارجية الليبية دعوات الى الدول العربية لعقد مؤتمر عربي في طرابلس في ١_١٢_١٩٧٧ . وقال ناطق رسمي ليبي ، انه « اذا لم تفلح الجهود المبذولة لعقد اجتماع القمة الموسع فان عددا من الدول العربية التي تتحمل مسؤولية الصمود ودعم المقاومة الفلسطينية ستجتمع في طرابلس في الموعد المحدد · وذكرت « السفير _ ٢٩_١١ » ان ليبيا لا تمانع ان يكون اللقاء على مستوى وزراء الخارجية العرب اذا تعذر ان يعقد على مستوى القمة ·

وذكرت مصادر صحفية ان كلا من اليمن الديموقراطية وسوريا والجزائر.و م·ت·ف . وافقت على حضور مؤتمر قمة للتصدي والصمود في طرابلس في ١_١٢_١٩٧٧ ، وان المشاورات والاتصالات لا تزال جارية لتأمين حضور العراق ·

وصباح ٢_١٢ ، افتتح في قصر الشعب بطرابلس . مؤتمر الصمود والتصدي بحضور القذافي . والاسد ، وبومدين ، وياسر عرفات ، وحضر عن اليمن اليدموقراطية عبد الفتاح اسماعيل الامين العام للتنظيم السياسي الموحد ، الجبهة القومية ، وعن العراق ، وفد برئاسة طه ياسين رمضان ، عضو القيادة القومية وعضو مجلس قيادة الثورة العراقي · وقد ترأس المؤتمر العقيد القذافي . وعملت ليبيا على انجاح المؤتمر ما امكن ، والخروج منه بموقف موحد وجبهة متحدة للصمود والتصدي ·

استمرت جلسات المؤتمر اربعة ايام ، حيث صدر في ٥_١٢ . بيان عن المؤتمر وقعته جميع الاطراف المشاركة باستثناء العراق . وقد اعلن البيان عن قيام جبهة قومية للصمود والتصدي شاركت فيها الاطراف الموقعة على البيان . وترك الباب مفتوحا للدول العربية الاخرى للانضمام الى هذه الجبهة ·

وعلى هامش المؤتمر صدر في ٥_١٢ ، عن القذافي والاسد قرار بعزل السادات من رئاسة دولة اتحاد الجمهوريات العربية ، ونقل جميع مؤسسات دولة الاتحاد الى طرابلس·

العراق:

اوردت الصحف العراقية اعلان السادات استعداده لزيارة اسرائيل ، كخبر وبدون تعليق ، خلال الاربعة ايام الاولى · وفي ١٤_١١ ورد اول تعليق على الزيارة في صحيفة الثورة العراقية ، وجاء في التعليق ان ما ذكره السادات اثار استغرابا شديدا في الاوساط العربية ويعتبر امرا خطيرا جدا ويجب الوقوف عنده · وادان التعليق نهج التسوية بشكل عام وقال « ان هذا المسلك الذي يسلكه بعض المسؤولين العرب يعبر عن تصميم متواصل على الوقوع في المخطط الامبريالي _ الصهيوني والاستعداد للتفريط بأهم القضايا واعزها » ·

وفي ١٥_١١ اصدرت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي بيانا ضد زيارة السادات ، قالت فيه « انها تعتبر تصرف الرئيس السادات انحرافا خطيرا لا يجوز تجاوزه او السكوت عنه » وادان البيان سياسة التنازلات المتتالية التي تقدمها الانظمة العربية للعدو الصهيوني ولسيدته الامبريالية · وحذر من مغبة الاستمرار في هذه السياسات ، ودعا الى اعادة النظر فيها بصورة جذرية ومخلصة وشاملة ، والى انتهاج طريق التمسك بالحقوق العربية المشروعة » ·

وفي ١٩ـ١١ ، استدعت وزارة الخارجية العراقية رؤساء البعثات العربية المعتمدين في العراق ، واحاطتهم علما بصورة رسمية بموقف العراق من زيارة السادات ، وهو الموقف الذي عبر عنه بيان القيادة القومية ٠ كذلك وفي اليوم نفسه اصدرت الجبهة الوطنية والقومية التقدمية بيانا جاء فيه « ان خطوة الرئيس المصري الخيانية في التوجه الى الارض المحتلة ٠٠٠ تنذر بتطور خطير وسريع للاحداث في المنطقة » وتشكل « تحديا خطيرا لارادة ابناء شعبنا في مصر ولسائر ابناء الشعب العربي وبخاصة العربي الفلسطيني » وأشار البيان الى ان الزيارة تأتي « في سياق نهج كامل في التسوية الاستسلامية والارتداد عن مكتسبات شعبنا في مصر . ونهج الاستسلام والمساومة على مصائر حركة التحرر الوطنية العربية » ٠ ودعا البيان « الحكومات والاحزاب في الوطن العربي ان ترتفع الى مستوى مسؤوليتها القومية ٠٠٠ وشن نضال ظافر لمواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية » ٠

بهذا الشكل تحدد موقف العراق رسميا مع بدء زيارة السادات ٠ وبهذا الموقف تحركت الدبلوماسية العراقية لمواجهة نتائج الزيارة والتطورات التي رافقتها ٠ لقد كان على العراق ان يجيب على مسألتين اساسيتين مترابطتين ، وهما مصير ومستقبل علاقاته مع سوريا ، والاشتراك في مؤتمر القمة في طرابلس ٠

ربط العراق موقفه من سوريا ومن مؤتمر طرابلس ، بالموقف من التسوية بشكل عام ٠ فقد دأبت الصحف العراقية والاجهزة الاعلامية الاخرى على نقد نهج التسوية بشكل عام وهي تنتقد زيارة السادات . كما كان الهجوم الاعلامي على مصر يتضمن هجوما على سوريا ٠ واستمر هذا الموقف حتى اعلن العراق اشتراكه في مؤتمر طرابلس ، حيث توقفت اعتبارا من ٣٠ـ١١ ، الحملات الاعلامية ٠ وبالنسبة للاشتراك بمؤتمر طرابلس ، ظل الشك باحتمال اشتراك العراق في المؤتمر حتى لحظة اعلان العراق موافقته على الاشتراك فيه ٠ واستقبل العراق مبعوثين من القذافي ومن هواري بومدين . كما استقبل ياسر عرفات ، الذي اكد ضرورة اشتراك العراق في المؤتمر ٠ وفي ٢٨ـ١١ ، وبعد اجتماعين استثنائيين للقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي وللجبهة الوطنية والقومية التقدمية ، للبحث في مستلزمات مواجهة النتائج المترتبة على زيارة السادات ٠ تبنى العراق دعوة لعقد مؤتمر قمة في بغداد ، تحضره كل من العراق وسوريا واليمن الديموقراطية والجماهيرية العربية و م٠ت٠ف ، كما شملت الدعوة الامناء العامين لمنظمات الرفض الفلسطينية ، وحدد يوم ٥ـ١٢ ، موعدا للمؤتمر ، على ان يبحث المؤتمر في اصدار وثيقة قومية لجبهة قومية للصمود والتصدي ٠ وارسل البكر مبعوثين يحملون رسائل منه تتضمن الدعوة الى كل من رؤساء الجزائر واليمن الديموقراطي والجماهيرية الليبية ، واوكل الى السفير العراقي في سوريا تسليم الدعوة الى الرئيس الاسد ٠

كانت دعوة العراق تبدو متعارضة مع الدعوة الليبية ، ولم يكن مهما اين يعقد المؤتمر بقدر ما كان مهما عقد المؤتمر نفسه ، وبحضور العراق ٠ ولقد حسم العراق تردده حين اعلن في ٣٠ـ١١ ، في بيان صدر عن مجلس قيادة الثورة العراقي ، ان العراق قرر الاشتراك في مؤتمر طرابلس بوفد يرئسه طه ياسين رمضان عضو القيادة القومية ، عضو مجلس قيادة الثورة ، ويضم نعيم حداد ، عضو القيادة القومية ، عضو مجلس قيادة الثورة ، وعدنان حسين وزير التخطيط ، والدكتور سعدون حمادي وزير الخارجية ٠

واعلن ناطق رسمي عراقي ان دعوة العراق الى عقد مؤتمر قمة عربي في بغداد ما زالت قائمة ٠

ومع اعلان الاشتراك في مؤتمر طرابلس ، ارسل الرئيس البكر طارق عزيز مبعوثاً شخصيا له الى موسكو ٠ وغادر طارق عزيز بغداد في ١ـ١٢ ، حيث اجتمع هناك الى غروميكو وبريجنيف ، وذكرت « تاس ـ ٢ـ١٢ » انه تم خلال المحادثات « التأكيد على العزم لدى الطرفين على العمل لاحقا على تعزيز اواصر الصداقة بين كلا البلدين وتوسيع تعاونهما المثمر الشامل على الاساس المتين للمعاهدة السوفياتية ـ العراقية المعقودة العام ١٩٧٢ » ٠

اشتراك العراق في المؤتمر لم يؤد الى انضمام العراق الى الجبهة القومية للصمود والتصدي ٠ فقد رفض الوفد العراقي التوقيع على البيان الختامي للمؤتمر ، واعلن طه ياسين ان العراق لم يوافق على الوثيقة لانها لم تحقق شيئا ، واضاف « ان الوفد العراقي اقترح ان يعلن المؤتمر رفضه لقراري مجلس الامن الرقم ٢٤٢ و ٣٣٨ ورفضه لاي مفاوضات مباشرة او غير مباشرة » ٠

وفي رسالة من الرئيس البكر الى العقيد القذافي اوضح العراق موقفه ، وجاء في رسالة البكر « ان توجهنا صميمي لاقامة جبهة للصمود والتصدي على ان تكون مثل هذه الجبهة محدودة الاهداف والالتزامات وان يكون منطلقها التصدي للمؤامرات الامبريالية والصهيونية واساسها رفض الخط الاستسلامي التساومي الذي سارت عليه انظمة التسوية » ٠

الجزائر

بعد قطع اي شك باحتمال رجوع السادات عن قراره في زيارة الارض المحتلة ندد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائري في ١٩ـ١١ بزيارة السادات ، وقال « ان القرار المصري يتعارض مع قرارات مؤتمرات القمة العربية » واضاف « هذه سياسة جديدة ، انها تثير الحيرة وستكون لها ذيول خطيرة وعميقة ··· وليس من حق احد ان ينتهجها باسم الامة العربية » ٠

وفي اليوم نفسه علقت صحيفة « الشعب » الجزائرية على الزيارة فقالت : « ان زيارة السادات ليست فقط تحديا لتضحيات شهداء النضال العربي وانما استهانة واحتقار لمشاعر الامة العربية وامعانا في تعميق تمزقها » واضافت « ان مبادرة السادات ليست في الواقع الا نتيجة لسياسة العبور الامبريالي الى المنطقة بعد حرب تشرين » ٠ لقد شاركت الجزائر في الجهود التي بذلت لتقريب وجهات النظر بين سوريا والعراق وتأمين اشتراكهما في مؤتمر طرابلس ، ففي ٢٤ـ١١ بعث بومدين احمد طالب الابراهيمي ، وزير التربية الجزائري الى كل من دمشق وبغداد ٠ وفي ٣٠ـ١١ حثت صحيفة « الشعب » في تعليق لها « القوى التقدمية المناضلة في الوطن العربي الى تجاوز بعض الخلافات الثانوية للارتفاع الى مستوى مسؤولياتها التاريخية » وطالبت بدعم الجبهة الشرقية ، فقالت : « ان الرد العربي الحاسم على دعاة الاستسلام يمر بدعم الجبهة الشرقية وتحريك الجبهة العسكرية الفلسطينية » ٠ وقد شاركت الجزائر بوفد رأسه الرئيس بومدين ، وسعت لانجاح المؤتمر ٠

اليمن الديمقراطية

في ١٩ــ١١ ، اصدرت وزارة الخارجية بيانا شجبت فيه زيارة السادات ووصفتها بأنها تشكل خطرا وضررا على القضية الفلسطينية · وقد لبت اليمن الدعوة لحضور مؤتمر طرابلس دون تردد · وكان من المنتظر اشتراك اليمن بوفد يرأسه سالم ربيع علي ، غير انه في اللحظة الاخيرة اعلن ان الوفد سيكون برئاسة عبد الفتاح اسماعيل ، وقد ادى تأخر وصول الوفد اليمني ، الى تأجيل افتتاح مؤتمر طرابلس يوما ·

المغرب

كان الملك حسن الثاني من المبادرين في تأييد السادات ، وكان اول تعليق له على الزيارة قوله في ١٧ــ١١ ، انه يرغب ان يرى الشرق الاوسط وقد جمع « بين العبقرية الاسرائيلية والموارد العربية » · وفي ١٨ــ١١ اتصل الحسن الثاني بالسادات تليفونيا · ونقل اليه تقديره واعجابه بجهوده لتحقيق السلام · واشارت مصادر صحفية الى ان الحسن الثاني كان من الذين اشتركوا في ترتيب زيارة السادات ·

السودان

بادر جعفر النميري الى دعم السادات في خطوته · وفي ٢١ــ١١ ، ترأس النميري اجتماعا طارئا للمكتب التنفيذي للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي السوداني ولمجلس الوزراء ، وقد صدر عن الاجتماع بيان يشيد بالسادات وبزيارته ، وجاء في البيان « وقد رأى الاجتماع ان خطاب السادات جاء تأكيدا محددا وواضحا لمبادىء النضال العربي والتزاما قاطعا بأهدافه الرامية الى الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة والى كفالة الحقوق الاساسية للشعب الفلسطيني » · ورفض البيان كل تشكيك في قدرة مصر وشعبها وطالب بوضع حد لكل حملات التشكيك التي تكرس الانقسام ·

وقد بادر النميري للقاء السادات في الاسماعيلية فور عودته من الارض المحتلة واضعا كل ثقله مع السادات ، وفي ١ــ١٢ قام النميري بزيارة السعودية ، لتوضيح موقف مصر كما ذكرت بعض المصادر الصحفية · وفي حديث للنميري مع مجلة « المصور » المصرية بتاريخ ١ــ١٢ ، قال « ان زيارة السادات تمت في اطــار استراتيجية عربية متفق عليها سواء من حيث الوسيلة او الهدف » · وانسجاما مع هــذا الموقف فقــد طلبت وزارة الخارجية السودانية في ٢٥ــ١١ من م·ت·ف· ابعاد ممثلها في السودان الاخ ابو خير . لانه « شخص غير مرغوب فيه » ·

تونس

رحبت تونس في البداية بخطوة السادات ، وقد اعلن ذلك مصدر حكومي في تونس في ١٧ــ١١ ، وقد دأبت الصحف التونسية الموالية للحكومة وكذلك اجهزة الاعلام الرسمية

على الاشادة بموقف السادات وفي ١٨ـ١١ علقت صحيفة « العمل » التونسية على الزيارة فقالت « اذا اخذنا بمبدأ ان السكوت علامة الرضا فلا شك ان زيارة السادات لاسرائيل تحظى بتأييد اغلبية العواصم العربية ، وان المعارضات التي سجلت حتى الان كانت صادرة من جهات لم تبخل في الماضي على القيادة المصرية بانتقاداتها » · غير ان الحكومة التونسية سرعان ما صححت موقفها · فقد صرح الشطي ، وزير الخارجية التونسي منتقدا الزيارة ومؤكدا على موقف تونس في دعم منظمة التحرير الفلسطينية · ومن الدول العربية الاخرى التي ايدت السادات كانت عمان ، فقد اعلن قابوس بن سعيد في

رسالة الى السادات بتاريخ ١٩ـ١١ تأييده للزيارة ووصفها بأنها « خطوة شجاعة وجريئة تدفع بعجلة السلام الى الامام » ·

لبنـــان

كان لبنان الرسمي متخوفا وقلقا ازاء التطورات الجديدة · والتـزم لبنـــان بالصمت ازاء ما يجري ، وفي ٢٧ـ١١ ابدى وزير الخارجية اللبناني تخوفه من ان تكون للاوضاع العربية الراهنة انعكاسات مباشرة على ارض لبنان · وقال : ان الامور تتطور بسرعـــة ويأمل لبنان في ان لا تسيء التطورات المقبلة الى الاوضاع فيه ·

ومن هـذا المنطلق ، الصمت والحياد ازاء ما يجري ، اعتذر لبنان عن حضور مؤتمر طرابلس ، وكذلك مؤتمر القاهرة · وعلل اعتذاره حضور مؤتمر القاهرة ، بأنه ليس معنيا بالمؤتمرات التحضيرية بل بمؤتمر جنيف نفسه اذا ما دعي اليه ·

الاردن

الموقف الاردني الرسمي من الزيارة كان موقفا انتظاريا ، اتسم بالتردد ، فمن ناحية بدا الاردن مرتاحا للزيارة ورأى فيها خطوة شجاعة وجريئة ، ومن ناحية ثانية كان يبدو غير مستعجل في القاء ثقله وراء السادات · غير ان الموقف كان اكثر وضوحا على الصعيد الشعبي ، وعلى صعيد الصحافة · فشعبيا قوبلت الزيارة باستنكار شديد . وصحفيا ، بادرت الصحف الاردنية الى انتقاد الزيارة ووصفتها بأنها خطيرة وستؤثر على التضامـن العربي ·

لقد صمت الاردن رسميا على الزيارة في البداية ، وفي ١٩ـ١١ اصدر مجلس الوزراء الاردني بيانا بعد اجتماع طارىء للمجلس حضره الملك حسين ، وجاء في البيان « ان الاردن من منطلق مسؤولياته القومية كدولة مواجهة يهيب بالامة العربية جمعاء في الظرف الراهن الدقيق ان تتبصر في ردود فعلها تجاه المبادرة المصرية وتجاه مستقبل العلاقات العربية · اذ ان اعظم خطر يمكن ان تتعرض له القضية العربية يأتي من الصراعات الداخلية والتمزق والفرقة بسبب الانفعال والتسرع واتخاذ المواقف العرضية والسلبية » واكد البيان « ان الاردن يؤمن ان التضامن العربي ووحدة الصف المرتكزين على العقل والجرأة هما السبيل لتحقيق الاماني واقامة السلام العادل والمشرف في المنطقة » الا ان عدنان ابو عودة كان اكثر صراحة في توضيح ابعاد الموقف الاردني عندما صرح في ٢٢ـ١١ مشيدا بالزيارة ،

مدعيا انها حققت اهدافها وقال « انها حطمت الجليد وازالت الحاجز النفسي بين العرب والاسرائيليين واشاعت أملا جديدا بالنسبة لمؤتمر جنيف » ·

لقد كان الاردن عينا على القاهـرة وعينا علـى دمشق ، فهـو مـن ناحية يرغب أن تستكمل الزيارة ما قامت من أجله ، وهو من ناحية لا يرغب في ان يضع كل اوراقه في سلة السادات · ولهذا بعث الملك حسين برئيس وزرائه الى دمشق في ٢٤ـ١١ ، ليبحث الموقف مع سوريا · ومن هذا المنطلق اعتذرت الحكومة الاردنية عن حضور مؤتمر القاهرة وابدت في بيان لها استعدادها للمشاركة في مؤتمر القاهرة اذ حضرته جميع الاطراف العربية المعنية في نزاع الشرق الاوسط · ولم تتردد في قبول اقتراح فالدهايم الذي دعا الى عقد مؤتمر تحضيري في مقر الامم المتحدة يسبق عقد مؤتمر جنيف ويأتي عقب انتهاء مؤتمر القاهرة·

لقد بدا الاردن اكثر قربا للموقف المصري في الخطاب الذي وجهه الملك حسين في ٢٨ـ١١ من راديو وتلفزيون عمـان ، وجاء في الخطاب « ولئن كانت لنا تحفظاتنا في الجوهر والشكل على المبادرة المصرية فأننا نفهم الدوافع التي دفعت الرئيس السادات الى اتخاذ هذا القرار الذي يتطلب تجاوز الكثير من التقاليد والاعراف والحواجز النفسية التي بنينا عليها مواقفنا من اسرائيل واسلوب معالجة القضية الفلسطينية » ووصف حسين في خطابه مواجهة السادات العلنية لقادة اسرائيل بأنها « جرأة ومخاطرة وحماسة في اختراق الحواجز التي تعيق التسوية القادمة » وحذر من انقسام الوطن العربي انقساما لا رجعة فيه ، ودعا الى « تطويق الشرخ وترميم التضامن » ·

السعودية

السعودية كانت هي الطرف الغائب والحاضر في كل ما يجري ، فمع اعلان الســادات عن الزيارة ، ارتفع اكثر من سؤال حول الموقف السعودي · هل السعودية على علم بالزيارة؟ واذا لم تكن على علم مسبق ، هل ستعلن السعودية مواقفها ام تعترض · لقـد حسمت السعودية بعض هذه الاسئلة ، عندما اصدر الديوان الملكي السعودي في ١٨ـ١١ بيانا اعلن فيه مفاجأة السعودية بنبأ الزيارة ، ولكن دون تحديد موقف مع او ضد · قال البيان « لقد فوجئت المملكة العربية السعودية بعزم فخامة الرئيس محمد انور السادات عـلى زيارة اسرائيل ، وقد بادر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز في حينه ببعث رسالة الى فخامته اوضح فيها موقف المملكة العربية السعودية في هذا الشأن بطريقة صريحة لا تحتمل اللبس او الغموض · والمملكة العربية السعودية انطلاقا من مقررات القمة العربية التي لم تحـدد الاهداف فحسب وانما الوسائل الرامية الى تحقيق هذه الاهداف لتعتبر مبادىء التضامن العربي هي الاساس السليم والمنطلق الواجب الاتباع لاي جهد عربي مبذول في سبيل حـل القضية العربية · ومن هنا فان المملكة العربية السعودية تؤمن بأن اية مبادرة عربية في هذا الشأن يجب ان تنطلق من موقف عربي موحد » ·

لكن على الرغم من هذا البيان ، فان مصادر صحفية اجنبية اكدت اكثر من مرة ان السعودية تلقي بثقلها وراء السادات · فذكرت « الواشنطن بوست » في ٢٥ـ١١ ، انه على الرغم من عدم الارتياح المبدئي السعودي لزيارة السادات ، فان السعودية تلقي بثقلها وراء مبادرة السادات · وقالت الصحيفة ان قرار السعودية هذا كان لقطع الطريق على الجهود

السورية والدول العربية الاخرى لتكوين جبهة موحدة في معارضة السادات وابقائه معزولا وقد اشارت صحيفة « الاهرام » المصرية الى موقف سعودي كهذا . الا ان وكالة الانباء السعودية نفت خبر « الاهرام » واعادت التأكيد على الموقف السعودي كما جاء في بيان الديوان الملكي السعودي. غير انه على الرغم من هذا النفي ، فان ثمة اشارات وتساؤلات لا تزال تحيط بالموقف السعودي وابعاده ، ولا سيما بعد ان نفت السعودية ما ذكرت مصادر صحفية من ان السعودية بصدد وقف معونتها المالية الى مصر .

أما بقية الدول العربية فقد كانت مواقفها شبيهة بالموقف السعودي ، التأكيد على التضامن العربي والقلق عليه دون التطرق الى الزيارة كحدث وكنتائج .

فالكويت مارست رقابة صارمة على الصحف الكويتية وطلبت وزارة الاعلام الكويتية في ١٨ــ١١ من الصحف « ضرورة الالتزام بقانون المطبوعات الذي ينص صراحة على حظر نشر كل ما من شأنه المساس برؤساء الدول العربية » . وفي ٢٢ــ١١ ، اكد جاسم المرزوق ، كبير الناطقين الحكوميين بالوكالة اثر اجتماع استثنائي لمجلس الوزراء الكويتي ، اكد مجددا تمسك الكويت المعلن « بقرار القمة العربية المتعلق بالشعب الفلسطيني وضرورة الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي المحتلة والمحافظة على الصفة العربية للقدس » . وفي ٣٠ــ١١ ، اعلن وزير الخارجية الكويتي ، ان بلاده لن تحضر اي مؤتمر قمة عربي الا اذا حضرته جميع الدول العربية على ان يسبقه اعداد مسبق . واوضح « ان الكويت تهدف من وراء ذلك الى عدم زيادة الشقاق الموجود حاليا بين الدول العربية ورأب الصدع ودعم التضامن العربي » .

اما دولة اتحاد الامارات العربية فقد كانت اوضح في موقفها في البداية ، ثم نهجت النهج نفسه الذي اعلنته الكويت . ففي ١٩ــ١١ صدر عن مجلس الوزراء بيان حث الدول العربية على عدم المبالغة في معارضتها لزيارة السادات ، واوضح « اننا نشعر بأسف عميق للتناقضات الراهنة في المواقف العربية واتجاه بعض الدول العربية لاتخاذ مواقف لم تتفق عليها المجموعة العربية » . وفي ٢٩ــ١١ اصدر مجلس الوزراء بيانا اخر اكد فيه « تمسك دولة اتحاد الامارات العربية بالمبادىء الثابتة والمعلنة لسياستنا الخارجية والتزامها بالاهداف التي حددها الاجماع العربي في مؤتمرات القمة العربية والتي تؤكد على استعادة جميع الاراضي العربية المحتلة وعدم التفريط في الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني » .

وفي قطر ، قال الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، امام مجلس الشورى القطري في ٢٨ــ١١ « اننا هنا في قطر نؤمن انه ليس اخطر على هدفنا المشترك من ان ندع الانقسام يعصف بتضامننا لانه امضى اسلحتنا » واضاف « ان حملات التشكيك والاتهام لا تؤدي الا الى منعنا من الوقوف معا من أجل تحقيق التزامنا الجماعي والمقدس باستعادة الاراضي العربية المحتلة وخاصة القدس ، وتمكين الشعب الفلسطيني من استعادة حقوقه المشروعة » .

وفي البحرين ، اصدر مجلس الوزراء في البحرين بيانا في ٢٨ــ١١ ، اكد فيه تمسك البحرين بقرارات القمة العربي في كل من الجزائر والرباط وبخاصة القرارات المتعلقة بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والمحافظة على الطابع العربي لمدينة القدس والانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية .

اسـرائيـليـا

صبري جريس

زيارة السادات للقدس ، الهادفة ـ على حد تعبير الزائر ـ الى كسر « الحواجـز النفسية » الناجمة عن الصراع العربي ـ الاسرائيلي تمهيدا لاحلال « السلام » في المنطقة، لم تؤد ، كما يبدو ، الى اية تغييرات ملحوظة في « نفسية » الاسرائيليين · ويمكن القول، استنادا الى مختلف ردود الفعل التي صدرت عن الاسرائيليين ، زعماء وافرادا ، بعـد الزيارة الساداتية ـ واذا جاز لنا استعمال نسب تقديرات السادات لعوامل الصـراع العربي ـ الاسرائيلي ، على غرار قوله المأثور « ان ٩٩٪ من اوراق اللعبة هي في ايـدي اميركا » ، التي فقدت ١٤٪ منها بعد « الجرأة » الساداتية في زيـارة القدس ، فأصبـح مجموع ما تملكه ٨٥٪ فقط ـ ان تلك الزيارة لم تؤد الى زوال ٧٠٪ من عوامل الصراع . كما قدر السادات ، بل ٧٪ فقط ! فقد « دهش » الاسرائيليون فعلا ، خصوصا خلال الايام التي سبقت الزيارة واثناءها ، من اعلان السادات عن استعداده لزيارة القدس والتحدث امام الكنيست ، واثنى بعضهم على « جرأته » و « شجاعته » و « اقدامه » ، الا ان الزيارة لم تكد تنتهي حتى عادت النغمات الاسرائيلية الى سابق عهدها واتضح ، بما لا يـدع مجالا للشك ، ان مواقف الاسرائيليين ، حكومة وسكانا ، غير ناجمة عن عوامل نفسية ، بل تحركها عقيدة صهيونية متأصلة في النفوس واطماع توسعية ومخططات استراتيجيـة امبريالية ، لا تستطيع زيارة اي زعيم عربي لاسرائيل ان تلغيها · ويبدو ايضا انه لن يمر الا وقت قصير حتى يتضح للسادات نفسه خطأ خططه وتقديراته ، التي دفعته الى زيارة القدس واجراء « محادثات » مع الارهابي مناحم بيغن ·

قوة اسرائيل وضعف مصر قادا السادات الى القدس

خلافا لهذيان النظام المصري وكافة مسؤوليه واجهزة اعلامه ، الناجم عن العقدة التي خلفها « عبور » قناة السويس خلال حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، والادعـاءات القائلة ان اسرائيل اصبحت مستعدة للسلام ، من جراء ذكريات « خوفها » فقط من عملية « العبور » تلك ، ليس هناك اي دليل يثبت صحة هذه الادعاءات المصرية · بل علـى العكس من ذلك ، تكاد لا نرى اسرائيليان يختلفان فيما بينهما على ان قوة اسرائيـل وضعف مصر بالذات هما اللذان قادا السادات الى القدس ·

فخلال النقاش ، الذي ثار في اسرائيل حول دوافع الزيارة الساداتية ، اعلنت ـ مثلا ـ النائبة غيئولاه كوهين من ليكود ، العضوة السابقة في منظمة ليحي (شتيرن) الارهابية والمقربة من مناحم بيغن حاليا ، والمعروفة بضيق افقها ومنطلقاتها الفاشية ، ان وجـود رجل صلب وعنيد كمناحم بيغن على رأس السلطة في اسرائيل هو الذي دفع السادات الى

زيارتها ، ولذلك ليس هناك من طريقة اخرى للحفاظ على مصالح اسرائيل الا المزيد من التصلب و « الصمود » · أما النائب يهودا بن ـ مئير ، زعيم كتلة الحزب الديني القومي (المفدال) في الكنيست ، واحد ابرز الصقور في معسكر المتدينين العنصريين ، فقد اعلن في مقابلة صحفية : « ان ارض ـ اسرائيل هي روح اليهودية والصهيونية · واعتقدت وزملائي ان موقفا صلبا [متفقا] مع هذه العقيدة سيقربنا من السلام اكثر من اقتراحات التنازلات التي ستجر طلبات اخرى أكثر تطرفا · وها قد اتضح انه بوجود حكومة صلبة ، اتخذت موقفا حازما ··· حدث التغيير الكبير لدى ··· السادات والشعب المصري » (١)·

كما ان رأي المتحدثين باسم المعارضة المعراخية ، في هذا الصدد ، لا يختلف كثيرا عن رأي مؤيدي الحكومة · فقد اعلنيغئال آلون وزير الخارجية السابق في مقابلة صحفية: « ان المعراخ يستطيع ان يسجل لصالحه ، ان سياسة السلام والامن التي اتبعها هي التي خلقت وضعا مكن الرئيس السادات من ان يفضل ، في هذه المرحلة ، الخيار السياسي على العسكري » (٢) · وكتب احد المعلقين المعروفين في صحيفة « دافار » الهستدروتية ، الناطقة الان باسم المعراخ المعارض ايضا : « لا شك في ان الاتفاقيات المرحلية التي وقعت بين كل من مصر واسرائيل في عهد رابين [وهي الاتفاقيات التي عارضها ، في حينه ، بيغن وليكود] قد خلقت ارضية مكنت السادات من التقدم نحو الوضع الحالي · ان فتح قناة السويس واصلاح مدن القناة واستلام آبار النفط ··· قد جعل طريق السلام مربحا للسادات ، وذلك نتيجة للوضع الداخلي في مصر » ايضا (٣) · ولذلك لو بقيت حكومة رابين في السلطة ، لحدث الشيء نفسه ·

وانطلاقا من الاسس نفسها ، كتب احدهم مشيرا الى عوامل القوة الاسرائيلية التي دفعت السادات الى زيارة القدس ، بقوله : « لا ينبغي ان ننسى ان السادات حضر الى القدس فقط بعد فشل مصر في اربع حروب وفي حرب الاستنزاف ، ثم فشل المقاطعة العربية ، وكذلك بعد توطين مشارف رفح [واقامة مدينة] ياميت [على الاراضي المصرية في شمال غرب سيناء] ، وبعد صمودنا العنيد امام الضغط الاميركي خلال عشر سنوات ··· سنتذكر دائما ان زيارة السادات للقدس سببها محاربو النقب وسيناء، ومستوطنات المهاجرين التي صمدت امام هجمات الفدائيين في قطاع غزة ، وعابرو القناة ومستوطنو النقب ، وبناة بئر السبع وايلات » (٤) · كما انه « ليس صدفة ان السادات حضر لمقابلة بيغن وغولده مئير ، وليس غولدمان او اليساف [المعروفين بمواقفهم الحمائمية] · والسلام سيحل نتيجة لتعاظم قوتنا ، لا تقزيمنا » ، ولذلك ، لا بد من العمل كثيرا لاستيعاب [المزيد] من المهاجرين ، وبناء قوتنا واقامة مستوطنات في كل انحاء البلد · لقد اتضح لنا اخيرا انهناك اجرا للعناد والعمل والضحايا ، رغم ان الطريق لا تزال طويلة » (٥) · وأجرى احد الصحفيين الاسرائيليين مقابلة مع المستوطنين في الجولان ، فاتضح له ان معظمهم قلق من مبادرة السادات السلمية ودعوته الى الانسحاب الاسرائيلي من كافة المناطق المحتلة ، لان اكثريتهم لا تنوي ترك تلك المنطقة (٦) ·

ويرى بعض الاسرائيليين ان هناك ايضا دوافع اخرى للزيارة الساداتية للقدس ، منها عداء السادات للسوفييت ثم« يأسه » من الاميركيين · فقد اعلن ، مثلا ، الدكتور موشي شارون ، مستشار بيغن للشؤون العربية ، في مقابلة صحفية « ان الدافع الاخير الذي حرك السادات نحو القدس كان ··· الاتفاق السوفييتي ـ الاميركي بشأن جنيف » (٧) ، مؤكدا ان السادات ، يكره الاتحاد السوفييتي » · وعبر احد المعلقين الاسرائيليين عن رأي

مفاده « ان توجه ادارة كارتر نحو استراتيجية حل شامل [لازمة الشرق الاوسط] سلبت مصر مكان الصدارة في العالم العربي » ، ولذلك « رأي الرئيس المصري نفسه مضطرا الى ان يقوم بمبادرة دراماتيكية ، تشد الاميركيين قبل الجميع ، ومن ثم العرب ، واخيرا اسرائيل » (٨) · واضاف آخر ان تعثر المباحثات حول كيفية عقد مؤتمر جنيف قد وضع أمام السادات صورة لوضع قاتم « اعادت الى ذهنه كل ما حدث حتى اللحظة التي اضطرته الى اتخاذ قرار الحرب [في تشرين] » ، وذلك اثر فشل مهمة المبعوث يارينغ التي استمرت « ثلاث سنوات واسرائيل تماطل في « المباحثات » ، دون ان تتنازل عن اي شيء جوهري » (٩) ،بحيث خشي السادات من ان يتكرر هذا الوضع ثانية ، نتيجة للنقاش حول اوراق العمل المختلفة · كذلك يبدو ان السادات « عندما اعاد حساباته ، توصل الى تقييم واقعي للوضع : بعد عام ، اي في ١٩٧٨ ، سينتهي مفعول الاتفاق المرحلي مع اسرائيل ، الذي وقع سنة ١٩٧٥ ، وسيجابه بالسؤال ما اذا كان عليه ان يجدده او يتنصل منه » (١٠) ، ولذلك رأى انه قد يكون من المفيد القيام بزيارة اسرائيل لـ «تحريك» الوضع ·

وعزا البعض دوافع الزيارة الساداتية الى عوامل اقتصادية ، ناجمة اساسا عن تدهور الاقتصاد المصري · ففي مقابلة صحفية اعلن البروفيسور الياهو كنوفسكي ، الباحث في معهد شيلواح التابع لجامعة تل ابيب ، وهو المعهد الذي يزود - كما يبدو - مختلف الاجهزة الاسرائيلية بالتحليلات الاكاديمية لما يجري في العالم العربي ، ان مصر تملك مقومات اقتصادية لا بأس بها ، قادرة على بناء اقتصاد سليم ، لو احسن استغلالها ، ولكن البلد « ينقصه المدراء الجيدون والقوى البشرية [الملائمة] · كذلك تنقصه سياسة اقتصادية تدفع الى تقوية الانتاج ، بدلا من العمل على ازدياد عفنه ، كما يحدث اليوم ·· المشكلة هي في السياسة الاقتصادية ··· والبيروقراطية المجيفة التي تجمد كل مبادرة وكل نية حسنة » (١١) · واضاف كنوفسكي : « لدى مصر طبقة كبيرة من المثقفين من الناحية العددية ، ولكنها غير متوازنة من الناحية الاقتصادية · ففي مهن معينة (الحقوق) هناك زيادة كبيرة في المثقفين ، اما فيما يتعلق بالمهن التقنية فهناك نقص كبير في القوى البشرية » · ثم ان السادات بحاجة الى « ثورة داخلية شاملة ، قد يكون عقد حلف مع اسرائيل اسهل عليه من القيام بها ··· ان نظامه يستند على طبقة [منتفعة] ، جاءت نتيجة لتعيينات سياسية ، تستغني من « حلب » الصناعة المصرية وتمنع تطويرها · واذا حاول [السادات] التخلص من هذه الطبقة - فسيفقد حكمه · ومما يلفت النظر انه في الثورة الناصرية سنة ١٩٥٢ قضت مجموعة الضباط على طبقة ملاك الاراضي الفاسدين ، الذين كانوا في الحكم · واما اليوم ، مع الجيل الثاني لهذه الثورة ، فالنظام المصري يستند ثانية الى طبقة ··· فاسدة من مدراء الشركات الحكومية ، الذين يستغنون على حساب مصر · وهؤلاء ، بالاضافة الى ضباط الجيش ، هم اعمدة النظام · وهم ، في النهاية ، احد العوامل غير العلنية التي دفعت السادات » للمجيء الى اسرائيل (١٢) · يضاف الى ذلك ان السادات فشل فيجذب رؤوس اموال كافية لتوظيفها في مصر ، وعندما

طلب منه المولون الاجانب التخفيض في نفقات الحكومة رأى ، بعد الاضطرابات التي حدثت في كانون الثاني (يناير) الماضي اثر خفض المعونات الحكومية للسلع الاستهلاكية الاولية ، انه لا مناص من التخفيض في نفقات الجيش ، وبالتالي التخلي عن اللجوء الى استعمال القوة مع اسرائيل ·

الزيارة الساداتية مكسب كبير لاسرائيل

لا يكاد يختلف اسرائيليان فيما بينهما على ان مجرد وقوع الزيارة الساداتية للقدس هو مكسب كبير و « ربح صاف » لاسرائيل · بل ان المسؤولين والمعلقين الاسرائيليين يتبارون فيما بينهم للتدليل على اهمية تلك الزيارة من وجهة النظر الاسرائيلية · فقد علقت احدى الصحف الاسرائيلية على ذلك الحدث بقولها ان مجرد حدوثه يعني « كسر·· طوق المقاطعة التي فرضها العالم العربي علينا حتى الآن ، [وهذا] بمثابة اعتراف ، ليس بحقيقة وجودنا فحسب ، وانما بحث وجود الدولة اليهودية كدولة ذات سيادة وكواحدة من دول المنطقة · ويبدو لنا ، من تصريحات السادات ، انه على بينة من معنى هذه الحقيقة لزيارته » (١٣) · واضاف أحد المعلقين الاسرائيليين : « ان مجرد الزيارة هي بمثابة اعتراف واقعي بأسرائيل ··· ان المعنى التاريخي يكمن في مجرد زيارة [السادات] لدولة هو في حالة حرب معها ، وكذلك في كسر الحصار حول اسرائيل منذ انشائها ، وفي المحادثات المباشرة والودية مع حكومتها ، واخيرا في الاتفاق الذي تم مع رئيس الحكومة « لا سفك دماء بعد اليوم » ، « لا حروب بعد اليوم » (١٤) · ولاحظ آخر « ان السادات قد اعطى اسرائيل في زيارته الحد الاعلى مما يمكنه تقديمه تقريبا ــ ليس فقط الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود ، وانما بعدالة وجودها · وتعتبر زيارته لمؤسسة « ياد فاشيم » [لتخليد ضحايا النازية اليهود] ذات مغزى كبير ، اذ لا تعني فقط الاعتراف بالحقيقة الموضوعية لوجود اسرائيل وعدم المقدرة على هدمها والقاء سكانها في البحر ، وانما تعني ايضا اعترافا بالعقيدة الصهيونية التي عملت على قيامها » (١٥) · واكد ثالث : « ان السادات قدم ، من طرفه ، تنازلات كبيرة وفورية · فقد اعترف باسرائيل واعترف بالقدس عاصمة لها ، وحتى بالجذور القومية لدولة اسرائيل كدولة يهودية وصهيونية ــ كان هذا هو المعنى التاريخي للزيارة التي قام بها لكل من الكنيست وياد فاشيم ···لقد غير هذا التنازل طابع النزاع العربي ــ الاسرائيلي، ومنح اسرائيل شيئا ما كانت تصفة طيلة السنوات الماضية على انه احد اهدافها الرئيسية ــ الاعتراف والمفاوضات المباشرة · وليس مجرد مفاوضات مباشرة ، وانما مفاوضات في القدس وعلى اعلى المستويات » (١٦) ·

واكد نائب رئيس حكومة اسرائيل ، يغئال يادين ، على « ان الاهمية الاساسية في زيارة السادات هي ان المفاوضات المباشرة بين اسرائيل وبين اكبر دولة عربية قد بدأت · وهذا ما اردناه سنين طويلة » (١٧) · اما فيما يتعلق بتصرف السادات اثناء زيارته للقدس ، فقد لاحظ احدهم ان تلك « الزيارة للاماكن الاسلامية والمسيحية المقدسة [تمت] برفقة رئيس بلدية القدس تيدي كوليك ، وهو ما لم يفعله وزير المالية الاميركي ، الذي رفض [قبل بضعة اسابيع من زيارة السادات] القيام بزيارة للقدس الشرقية برفقة رئيس البلدية » · ولم يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل « ان السادات نفسه هو الذي طلب ان يقوم كوليك بمرافقته ، وزارا سوية الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية » ، وهذا اعتراف منه « بأن القدس موحدة ويرئسها احد الاسرائيليين » (١٨) ·

اما محرر معاريف ، شالوم روزنفيلد ، فقد وصف الزيارة بانها « ترخيص عقائدي واخلاقي لعقد لقاءات مشابهة في المستقبل ، منح من قبل زعيم اكبر دولة عربية ، السادات » ، وهو الرجل الذي « تخوله خلفيته السياسية وايمانه الديني ومكانته الدولية

صلاحية لان يكون « اماما » لـدى قطاع كبير من الـرأي العـام العربي في بـلاده وخارجها » (١٩) · واضاف روزنفيلد « ان تلك الزيارة ستترك اثرا كبيرا بالنسبة لمواقف دول العالم الثالث والعالم الشيوعي تجاه اسرائيل ··· اذ ، في النهاية ، ما الـذي سيخشاه الان زعيم افريقي او شرق – اوروبي من ان يعقد لقاءات مكشوفة وعلنية مـع قادة اسرائيل ، ما دام السادات قد فعل ذلك ؟» (٢٠) ·

ويبدو ان هذه المكاسب الضخمة التي جنتها اسرائيل مجانا نتيجة للزيارة الساداتية قد اثرت في « نفسية » بعض الاسرائيليين ، وازالت « الحواجز » التي ازعجت السادات ، فراح بعض الاسرائيليين ينتقد الحكومة ويحثها على تقديم « شيء ما »للسادات · فقد لاحظ احدهم « ان اسرائيل لا تزال مدينة لمصر ، وانه كلما تأجل تسديد هذا الدين فانـه سينمو ويكبر » ، مؤكدا « ان هذا العصر الجديد يتطلب ان تتم التنازلات الاسرائيليـة من الآن وصاعدا لمصر ، وليس للوسطاء الاميركيين » (٢١) · وفي مجال تقديم النصح للحكومة الاسرائيلية للقيام ببعض « التنازلات » للسادات ، طالب احدهم حكومة اسرائيل « بأن تعلن ··· عن اطلاق سراح قسم كبير من آلاف السجناء الامنيين العرب المعتقلين لدينا ··· وهذه البادرة الطيبة ليست موجهة الى مصر بالذات ، وانما الى العالم العربي بأسره ، وبصورة خاصة تجاه جيراننا العرب الفلسطينيين »(٢٢) ، بينما اقترح آخر ان تتمثل تلك « التنازلات » في « ضمان مكانة دولية داخل القدس، عاصمـة اسرائيل ، للاسلام والمسيحية واعتبار الرئيس المصري هو المؤتمن على تنفيذ كافة هذه التعهـدات واجراء المفاوضات بشأن تفاصيلها » (٢٣) · اما اوري افنيري ، محرر مجلة « هاعولام هازيه » ومن كبار الداعين الى التقارب العربي – الاسرائيلي ، فقد طالب بان تمنـح اسرائيل السادات « على الاقل حق اختيار الممثلين الفلسطينيين الذين سيدعون الـى جنيف ، حتى وان كانوا اعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية ، او ان يقول كلمة ··· في موضوع الحدود ، او المشكلةالفلسطينية» (٢٤) ·

غير انه على الرغم من هذه الاقتراحات ، هناك من يعتقد ، من ناحية ثانية ، انه « لا يتحتم علينا ان ننظر الى زيارة السادات لاسرائيل كفضيلة تلزمنا بالتنازل عن معطيات امن حيوية » ، لان تلك الزيارة ليست الا « بداية لتصحيح جريمة بشعة ارتكبتها مصـر بحق اسرائيل ، ولا تزال مستمرة منذ ثلاثين سنة ، ابتداء من الغزو المصري لاسرائيـل في ايـار (مايو) ١٩٤٨ » (٢٥) ·

المصالح الاسرائيلية اولا

يبدو ، كما اشرنا ، ان الزيارة الساداتية لاسرائيـل لم تؤثر على « نفسيـة » الاسرائيليين ولم تزل « الحواجز » بينهم وبين العرب ، بقدر ما دفعت العديد منهـم للدعوة الى ضرورة التمسك بالمواقف التي يعتقد انها تخدم مصلحة اسرائيل ، وعـدم الانجرار وراء العواطف الساداتية · وقد قام عدد من المسؤولين الاسرائيليين باطلاق التحذيرات الهادفة الى التذكير بالفلسفة الكامنة وراء المواقف الاسرائيلية والمصالـح الاستراتيجية للكيان الصهيوني · فقد علق ، مثلا ، النائب زلمان شوفال على الزيـارة الساداتية بقوله : « اننا نريد قطعا ان نؤمن بأن نوايا ··· السادات صادقة · ولكـن علينا ان نتذكر ان شبكة العلاقاتبين الدول لا تقوم على حب او كره ، ولكن على المصالح واعتبارات القوة » · ولذلك « علينا ان نحذر من ان تتحول رحلة السلام الى رحلـة

تنويم ، فحتى بعد الزيارة ··· لا يزال الضمان الوحيد للامن والسلام هو قوة الجيش الاسرائيلي وقدرتنا على الدفاع عن انفسنا » (٢٦) · اما النائب والوزير السابق جاد يعقوبي فقد اعلن « ان السلام يعني واقعا آخر جديدا ··· يستند الى شبكة جديدة من العلاقات السياسية والاقتصادية والانسانية ··· والحدود المفتوحة والعلاقات التجارية والتعاون والعلاقات الدبلوماسية · وهذا واقع ستكون الشعوب والافراد والحكومات معنية باستمراره ··· ومن الضروري ان تتطور العلاقات تدريجيا ، في اطار السلام ، الى سوق مشترك ··· وتعاون في مجالات تطوير الاقتصاد والتكنولوجيا والطاقة والمواصلات » · وفي حالة سلم كهذه يمكن ان ترى « اسس الامن » الاسرائيلية التي ينبغي ان تستند الى « حدود يمكن الدفاع عنها ومناطق واسعة مجردة من السلاح واجهزة انذار » (٢٧) · وحذر يعقوبي من تقديم تنازلات الى الانظمة الدكتاتورية العربية ، التي يمكن ان تتغير سياستها بسقوط الرجل القوي فيها ·

كما انبرى غلاة التوسعيين الصهيونيين للتحذير من خطوة السادات ، مشككين في نواياه · فقد حذر ، مثلا ، البروفيسور العجوز بنيامين اكنسين ، احد اعرق مفكري الجناح اليميني الصهيوني ورفيق جابوتينسكي سابقا وبيغن لاحقا ، من ان السادات قد ينضم اخيرا الى جبهة الرفض العربية ، حتى اذا قدمت له اسرائيل بعض التنازلات · كما اشار اكنسين الى ان السادات لم يقترح اقامة علاقات كاملة ، اقتصادية وثقافية وسياسية ، مع اسرائيل ، التي لا ينبغي عليها ، في مثل هذا الوضع ، اتخاذ قرارات مصيرية ملزمة (٢٨) · أما الدكتور اهرون بن - عامي ، احد زعماء حركة ارض - اسرائيل الكاملة ، فقد حذر بشدة من الوقوع في « فخ » السادات ، مؤكدا « ان مجرد المطالبة بانسحاب اسرائيلي الى حدود الخامس من حزيران ١٩٦٧ في الجنوب والشرق والشمال - رغم الاتفاقيات والضمانات وتجريد المناطق من السلاح - لا يعني الا ان تحارب اسرائيل في اوضاع وظروف سيئة ، لا تمكنها من الدفاع الذاتي » (٢٩) · واضاف بن - عامي : « ان من يطلب هذا الانسحاب يعرف ان النتيجة الحتمية لذلك ستكون دولة فلسطينية على ضفتي الاردن ، اي على ٨٠٪ من ارض الانتداب الاصلية ، على مرمى المدفعية من القدس وتل - ابيب وحيفا · وهو يعرف ايضا ان خروج الجيش الاسرائيلي من سيناء سيحيد سلاح الجو الاسرائيلي ، وان ذلك سيضع اكثرية قواعدنا الجوية تحت مرمى الصواريخ التي تستطيع الحيلولة دون اقلاع الطائرات · ان الانسحاب الشامل [من المناطق المحتلة] سيفتح الطريق امام هجوم على اسرائيل من كافة الجبهات، على غرار يوم الغفران » (٣٠) ·

وكانت اكثر من جهة اسرائيلية قد انتقدت السادات بسبب خطابه « المتصلب » في الكنيست ، والطلبات التي تقدم بها · فبعد عودة السادات الى مصر ، اثر انتهاء زيارته، كتبت صحيفة « هآرتس » معلقة على نتائج الزيارة بقولها : « لقد بقيت التناقضات [بين اسرائيل ومصر] في المسائل الاساسية قائمة على ما كانت عليه » ، خصوصا بالنسبة لموضوعي الحدود والفلسطينيين (٣١) · واوضحت الصحيفة نفسها ، في مناسبة اخرى ، ان اسرائيل لا تستطيع قبول طلبات السادات والعودة الى حدود لم تستطع العيش ضمنها خلال ٢٩ سنة (٣٢) · ولم يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل ان بعضهم نوه حتى « باعتدال » بيغن في مقابل « تصلب » السادات ، لان « رئيس حكومة اسرائيل اقترح ان يخضع للمفاوضات كل موضوع وكل منطقة وكل مسألة مختلف عليها » ، بينما

« تشبث السادات بان لا شيء قابل للمفاوضات ، لا مسألة الحدود ولا المشكلة الفلسطينية ولا حتى مكانة القدس » (٣٣) · وأثنى آخرون على بيغن ، الذي لم يشر في رده على خطاب السادات ، الى «الاستعداد الاسرائيلي لتسوية اقليمية » ، لان السادات رفض ذلك و « التسوية يجب ان تكون متبادلة » · ثم ان اسرائيل « لم تتسلل الى المناطق المحتلة كسارق ليل ، اذ ان تلك المناطق انتقلت اليها في حرب حزيران ١٩٦٧ التي فرضتها مصر وسوريا والاردن باعتدائها علينا » ، وهي الحرب التي « اثبتت ان خطوط الهدنة لسنة ١٩٤٩ لا يمكن ان تكون حدود امن لاسرائيل ، سواء من الجنوب او الشرق او الغرب او الشمال » ،· ولكن من اجل « السلام » فان اسرائيل مستعدة للتسوية ، ضمن الشروط التالية : « هناك مناطق نكون مستعدين لاخلائها لانها غير ضرورية لمتطلبات امننا ··· وهناك مناطق نكون مستعدين لاخلائها لكي لا نضطر للسيطرة على قطاع كبير من السكان العرب ··· وهناك مناطق يتحتم علينا ان نضمها ضمن حدود الدولة لاسباب امنية حيوية بالنسبة لنا » · اما بالنسبة للمناطق التي ستخليها اسرائيل، فيجب ان « نصر على ان تكون منزوعة من السلاح » (٣٤) ·

وكان موشي دايان ، وزير الخارجية الاسرائيلي ، قد اعلن ايضا عن تحفظه من مفاهيم السادات السلمية ، اذ اعلن في احدى تصريحاته « ان مفهوم السلام لدى السادات مخالف لمفهومنا نحن · فالسادات يفهم السلام بشكله الاجرائي ، ووفقا للتعريفات في معاهدات الامم المتحدة ، التي لا تلزم بالضرورة اقامة علاقات ثقافية وسياسية » (٣٥) · اما كتلة الاحرار في تجمع ليكود اليميني الحاكم فقد عقدت اجتماعا، اثر انتهاء الزيارة الساداتية ، للبحث في انعكاساتها على الاوضاع الداخلية في اسرائيل· وقد انتقدوا وزير المالية الاسرائيلي ، سمحا ارليخ ، خلال الاجتماع اولئك الذين طالبوا بتقديم تنازلات للسادات ، لانه « مع احترامنا للرئيس المصري ، فأنه لم يقدم لنا الا برنامج الحزب الشيوعي الاسرائيلي · آمل ان يتنازل عن تلك الاقتراحات ، ولكنه حتى الآن لم يقم بذلك · اما المنافسة على تقديم التنازلات من جانب واحد ، فلا يمكن ان تؤدي الا الى الاضرار بالمفاوضات التي ينبغي ان تبدأ قريبا » (٣٦) · وأما دافيد شيفمان ، نائب رئيس بلدية تل – ابيب ، فقد اشتكى من « ان الحمائم قد يعودون الى رفع رؤوسهم » ، بعد الزيارة الساداتية ، ولذلك ينبغي على الحكومة ان تحرص على الاهتمام بالاعلام لشرح وجهة نظرها (٣٧) · وايد شوفمان ، في رأيه هذا ، النائب زلمان شوفال ·

ويلاحظ ، من ناحية ثانية ، ان بعض الدوائر الاسرائيلية قد شككت بشكل واضح في قدرة السادات على احلال « السلم » في المنطقة وجر الدول العربية الاخرى وراءه · فقد علق احدهم على قدرة مصر على اتخاذ القرارات المنفردة بقوله : « ان العرب لا يستطيعون شن حرب ضد اسرائيل بدون مصر ، ولكن مصر ايضا لا تستطيع عقد السلام دون الدول العربية » (٣٨) · ثم انه من الصعب معرفة « ردود الفعل لدى السادات ، لانها معقدة ومتشعبة » · واضاف آخر : « ان السادات ليس الناطق الآن بلسان الدول العربية · انه يستطيع ان يعرض مطالب سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ولكنه لا يستطيع ان ياخذ على عاتقه اي تعهد بأسمها · انهما لم يعدا بانه لن تكون حروب بعد الآن في منطقة الشرق الاوسط ، ولم يقوما بأية خطوة من شأنها ان تفسر كأعتراف باسرائيل وتسليم بحقها في الوجود ··· ومن الواضح اننا سندخل في مرحلة انتظار جديدة ··· لردود الفعل العربية على خطوة السادات ، حتى يتضح لنا بأسم من

يتكلم » (٣٩) · أما الكاتب موشي شامير احد كبار التوسعيين الصهيونيين المعروف بمواقفه العرقية المناهضة للعرب ، فقد علق على الزيارة الساداتية بقوله · «لكي يسترجع المصريون سيناء ، فانهم يحتاجون لموافقة اسرائيل فقط · اما لكي تحصل اسرائيل على السلام ، فانها تحتاج الى موافقة ست دول عربية على الاقل ، وعلى رأسها السعودية والعراق في المرحلة الاولى · وهذا دون التطرق الى العنصر غير المطروح ، والذي لا يمكن ان يطرح (وغير المعروف ، والذي لا يمكن ان يعرف) المتعلق بالمنظمات » الفلسطينية · وانتقد شامير الاعلام الاسرائيلي الرسمي الذي يركز على ان اسرائيل تسعى الى السلام فقط بقوله : « لنا مطالب اخرى غير السلام ، وهذا مبدأ اساسي يلزم غالبية الشعب في صهيون ··· هناك المسألة الجغرافية ـ السياسية ، حيث توزيع الثروات الطبيعية هي مسألة حياة او موت لكل دولة او مجموعة دول · ولذلك يتحتم على اسرائيل ان تعد خطة سياسية وامنية واقتصادية بعيدة المدى ، تحتل فيها متطلباتنا في سيناء ، مكانا مركزيا ··· ويجب ان تكون المسؤولية الامنية الشاملة في سيناء في ايدي اسرائيل ··· التي ينبغي ان تكون شريكة في كل عمليات التطوير » في تلك المنطقة· كذلك ينبغي « التوصل الى فصل المفاوضات الاسرائيلية المصرية عن مشاكل الشرق الاوسط ، وهذا مبدأ لا بد لاسرائيل من ان تتمسك بامكانيته وشرعيته » (٤٠) ·

ويبدو ان عرض المواقف المتصلبة على هذا الشكل من الوضوح احبط عزائم «الحمائم» الاسرائيليين ، فعلق احدهم على هذا الوضع بقوله ان في اسرائيل سياسيين وسياسيين سابقين لا يستطيعون حتى تغيير طريقة كلامهم ، بل يغيرون مواقفهم السابقة لمنع حلول السلام (٤١) · بينما أعرب آخر عن شكه في ان يجرأ كثيرون من السياسيين الاسرائيليين على اعادة النظر في مواقفهم المسبقة (٤٢) ·

غير انه على الرغم من ذلك هناك من يبدي تفاؤلا بقرب حلول السلام ، في اعقاب الزيارة الساداتية · ووصف الدكتور بوعز عفرون ، الاستاذ في جامعة تل ـ ابيب ،تصوره للعلاقات السلمية بين اسرائيل والعرب والرخاء الذي سيعود على الكيان الصهيوني بسببها بقوله : « ان المبالغ الضخمة التي يدرها البترول ، والتي تبحث لها عن مجالات للاستثمار ، ستبدأ في التدفق الينا · وان المقاولين ورجال الاعمال والفنيين والعمال المهنيين من اسرائيل سيذهبون للعمل في السعودية والكويت ومصر والسودان والاردن· ومع اختفاء خوف الحرب والتخفيف من الضغط الاقتصادي ستتدفق الاستثمارات اليهودية وغير اليهودية ايضا من اوروبا ومن الولايات المتحدة · وعندها ستبدأ الهجرة اليهودية الحقيقية ، دون الحاجة الى مبعوثي الوكالة [اليهودية] من أجل تشجيعها · كما ان النزوح سيتوقف » (٤٣) · واضاف عفرون : « لماذا سينزح الاسرائيليون الى نيويورك ، للبحث عن مأمن من الحرب او عن فرص اقتصادية ، اذا توفر هنا الامن وزال خوف الحرب ، وكذلك توافرت الفرص امام المواطنين هنا في المنطقة · وسينجم عن ذلك زخم في البناء · كما سيتم بناء الجيش الاسرائيلي على اساس التطوع ، كما هي الحال بالنسبة للجيش البريطاني او الاميركي · ولن نضطر للخوف دائما على ابنائنا الذين يخدمون في الجيش · وباستطاعتنا ان نقضي عطلة نهاية الاسبوع في مصر وزيارة الاهرام ، او زيارة زحلة في لبنان · وسيكون باستطاعتنا ايضا السفر الى اوروبا بالسيارة عن طريق لبنان ، سوريا ،تركيا ومضيق البوسفور » (٤٤) · ولكن مستشار بيغن للشؤون العربية استبعد امكانية هجرة الاسرائيليين الى الدول العربية ، بعد حلول السلام ، الا انه طالب على الرغم من ذلك « بمجابهة الشباب بتحديات جديدة،

وتقوية العلاقة مع العالم اليهودي ··· وعدم التخلي عن شؤون الامن ، والبقاء دائما بالمرصاد » (٤٥) · وحذر الدكتوريسرائيل بيليد ، رئيس بلدية تل ابيب ، من « خطر الذوبان ··· الذي سيواجه اسرائيل عند فتح الحدود » ، ومن تحولها الى دولة « شرق اوسطية » (٤٦) · اما استاذ الاقتصاد البروفيسور كانوفسكي فقد حذر « من تضخيم منافع السلام الاقتصادية بالنسبة لكل من اسرائيل او مصر » (٤٧) ·

حل شامل أم منفـرد ؟

مع دعوة السادات ، بعد اسبوع على عودته من اسرائيل ، الى عقد مؤتمر في القاهرة بحضور كافة الاطراف المعنية بأزمة الشرق الاوسط ، تركزت ردود الفعل والتعليقات الاسرائيلية حول طبيعة النتائج التي يمكن ان يؤدي اليها مثل ذلك المؤتمر ، في حال عقده · ويلاحظ ان عددا لا بأس به من المسؤولين الاسرائيليين ، سواء من المؤيدين للحكومة او الذين يقفون على رأس المعارضة ، قد عبروا عن رأيهم (وامنيتهم) في نجاح المحاولات الهادفة الى عقد اتفاق صلح منفرد بين اسرائيل ومصر ·

فرئيس حكومة اسرائيل مناحيم بيغن اعرب ، في اكثر من مناسبة استعداده للتوقيع على اتفاق منفصل مع مصر · اما وزير خارجيته ، موشي دايان ، فلا يقل حماسا عنه ، في هذا الصدد ، وكان قد شدد مرارا على صعوبة الوصول الى حل شامل ، املا ان ينشأ بسبب ذلك وضع يدفع مصر الى الموافقة على توقيع اتفاق صلح منفرد · ويبدو ان هذا هو ايضا موقف الكتل الاخرى المشتركة في الائتلاف الحكومي · ففي مقابلة صحفية ، اعلن الدكتور يهودا بن مئير ، رئيس كتلة المفدال المشاركة في الائتلاف : « من المهم للغاية ان لا نقوي الانطباع بأن اسرائيل تعمل لدق اسفين بين مصر وباقي الدول العربية · ولكن لا يقل أهمية عن ذلك ان يدرك الشعب المصري بأنه من الممكن حل المشاكل المعلقة بيننا وبينه ، وان حل القضية الفلسطينية اكثر صعوبة · وربما تكون النتيجة المشتركة : دعونا اذن نحاول التقدم بالنسبة للمشاكل المعلقة فيما بيننا · حسنا ، لن نوقع على اتفاقية ، ولكن سنصل الى اقامة علاقات طبيعية بيننا · يبدو لي ان هناك امكانية لذلك » (٤٨) ·

أما على صعيد المعارضة ، فقد اعلن رئيس حكومة اسرائيل السابق يتسحاق رابين : « بحسب رأيي ستبذل في (مؤتمر) القاهرة كل الجهود للوصول الى اتفاق شامل على كل الجبهات · وفي اللحظة التي يتضح فيها ان السادات يفضل اتفاقا شاملا علينا ان نتعاون معه · ولكن اذا كان من الصعب الوصول الى اتفاق شامل ، واذا استمرت الدول العربية متشبثة بموقفها الرافض ، فلا ينبغي ان نسقط من الحسبان [عقد] اتفاقية منفصلة بين اسرائيل ومصر » (٤٩) · وأما وزير الخارجية السابق يغئال الون فقد اعلن ، في مقابلة صحفية ايضا : « اذا كان الرئيس السادات قد سلب من دمشق وطرابلس حق الفيتو على زيارته للقدس ، فانه لم يسمح لهذه المراكز العقيمة بفرض فيتو ايضا على تحركات القاهرة السياسية التي لا تهدف الى خدمة المصلحة العربية العامة فقط ، بل المصلحة المصرية ايضا · انني لا استبعد ، خلال سير المفاوضات السياسية ، امكانية تقديم اقتراحات بديلة ، كاتفاقية منفصلة او انهاء حالة الحرب كمرحلة اخيرة قبيل عقد اتفاق السلام » (٥٠)

غير انه على الرغم من هذا التفاؤل لدى الزعماء الاسرائيليين بشأن امكانية توقيع اتفاق منفصل بين مصر واسرائيل ، يلاحظ ان اكثرية المعلقين الاسرائيليين ترى عكس ذلك.

وتستبعد مثل ذلك الاتفاق بسبب المضاعفات والتعقيدات الناجمة عن القضية الفلسطينية · فقد أبدت ، مثلا ، احدى الصحف الاسرائيلية اغتباطها لان « مصر تسعى الان الى خلق ممثلين اخرين للفلسطينيين ، واذا نجحت في جهودها لبلورة بديل لـ م·ت·ف· او ، على الاقل ، لاضعاف مكانتها بين الفلسطينيين فان فرص التسوية ستزداد ويعود ذلك بالخير على كل من مصر واسرائيل » (٥١) · ولكن معلقا اخر سارع الى الاجابة : « ان السادات قد يكون مستعدا للتوصل الى تسوية سياسية دون موافقة سوريا ، ولكن من خلال اشتراك الاردن و- م·ت·ف· اذا ما ارادت المنظمة الوصول الى اتفاق مع اسرائيل » (٥٢) · واذا رفضت المنظمة ذلك « فان السادات سيكون على استعداد للتخلي عن شطر [منها] ، اذا ما ابدت اسرائيل استعدادا للوصول الى تسوية معقولة في الضفة الغربية مع الاردن وجهات فلسطينية معتدلة » ، بل « ربما يكون السادات مستعدا لان يضغط على العناصر المعتدلة في م·ت·ف· لكي تعترف باسرائيل » (٥٣) ·· واشار أحدهم الى ان السادات لم يذكر فعلا اسم م·ت·ف· اثناء زيارته للقدس · « لانه يعرف جيدا بأن ثمة اشياء كان من الافضل له ان لا يأتي على ذكرها في اسرائيل ، و - م·ت·ف هو واحد منها ،بل والاكثر حساسية في هذه المرحلة على الصعيد السياسي » · ولكن هذا « لا يعني بأن السادات سيكون مستعدا لعزل م·ت·ف· عن الاتصالات السياسية · من الممكن ان نعتقد ، وبحذر شديد ، بأنه لن يشجع على اشتراك مباشر لـ م·ت·ف· في جنيف · ولكنه ، وبالقياس نفسه ، سيحاول تنسيق خطواته مع م·ت·ف· على الصعيد الفلسطيني » (٥٤) · واضاف معلق اخر :·« مهما تكن نتائج الصراع العربي الان ·· لا نستطيع ان نفترض ان السادات يستطيع او على استعداد الان للتوقيع على اتفاق سلام منفرد مع اسرائيل ، من خلال اهمال المسألة الفلسطينية ··· كما ان اتفاقية مع [مصر] وحدها لن تؤدي الى سلام دائم » (٥٥) ·

اما الوزير السابق (من حزب مبام) مردخاي بنطوف فقد علق على ما يعتبره اسس التضامن العربي بقوله : « رغم الخلافات والشتائم المتبادلة بين الدول العربية ، فانها جميعا تخضع لاطار ضغوط المعركة العربية الشاملة · ونتيجة لذلك (أ) لا تستطيع اية دولة عربية عقد حلف عسكري مع اية دولة عربية ضد دولة عربية اخرى · (ب) لا تستطيع اية دولة عربية ان تتورط في حرب ضد اية دولة عربية اخرى ، عدا حالات التدخل في الحروب المدنية الداخلية ، وحتى هذا يتم باسم « المصلحة العربية العليا » (كما حدث في اليمن ولبنان) ، (جـ) لا تستطيع اية دولة عربية عقد اتفاق سلام منفصل مع اسرائيل ، (د) لا تستطيع اية دولة عربية اهمال الموضوع الفلسطيني ، كائنا ما كان تفسيرها « للقضية الفلسطينية » · ولذلك يبدو لي ان اليهود الذين يأملون في « سلام منفرد » ، او اهمال يهودا والسامرة [الضفة الغربية] وغزة من قبل اية دولة عربية ، يعيشون في امانيهم وليس في الواقع » (٥٦) ·

« الحل الوظيفي » للقضية الفلسطينية : مستعمرة اسرائيلية في الضفة الغربية باشتراك الاردن ، وتجاهل الفلسطينيين في المهاجر وتصفية منظمة التحرير الفلسطينية ·

بعد الزيارة الساداتية ، عادت مشاريع الحلول للضفة الغربية خصوصا وللقضية الفلسطينية عموما تطرح على كافة المستويات · وكان اول من بادر الى دراسة هذا الموضوع مجددا حزب العمل الاسرائيلي المعارض ، فعقدت كتلته في الكنيست اجتماعا خاصا لاعادة النظر في موقفها من الحلول المطروحة للضفة الغربية · ووصف أحدهم

نتيجة المباحثات في ذلك الاجتماع بأنها « ثورة صغيرة في التفكير السياسي للمعراخ » ، وذلك نتيجة « لتبنيه » مشروع تسوية سلمية [وظيفية] ممكنة ، كان قد عارضها بشدة ، حتى قبل أقل من سنة ، معظم زعماء حزب العمل ومبام · فقد كان المؤيدون للتقسيم

الوظيفي في يهودا والسامرة ، حتى الان ، هم ·· شمعون بيريس ·· وموشي دايان ·· وفي مواجهتهم وقفت جبهة عريضة وصلبة عارضت ذلك الاتجاه في التفكير بكل قوة ·· وضمت ·· غولده مئير ·· ويتسحاق رابين ·· ويغئال الون · وقد طالب اولئك الثلاثة ومعظم الوزراء الاعلان صراحة عن ان حزب العمل يؤيد تسوية اقليمية على الجبهات الثلاث » (٥٧) · أما « الفرق الاساسي بين التسوية الوظيفية ، وتلك الاقليمية فهو ان الاخيرة تطالب بسلطة كاملة على جزء من المنطقة [الضفة الغربية] (الذي لن يعاد للاردن) ، بينما تعني التسوية الوظيفية سلطة محدودة جدا على المنطقة بأسرها (يهودا والسامرة) · وتعتبر هذه التسوية بالنسبة للحمائم مريحة ، لانها محددة بزمن معين ، وستؤدي قطعا ، بحسب رأيهم ، الى تقوية العلاقة بين سكان الضفة الغربية وبين الاردن ، وان لن ينجم عن ذلك قيام دولة فلسطينية مستقلة · أما بالنسبة للصقور في حزب العمل ، فان هذه التسوية تعتبر صيغة معقولة للامتناع عن السيطرة على نحو مليون عربي (في الضفة الغربية وقطاع غزة) والحفاظ على الخيارات الامنية [الاسرائيلية] في الضفة الغربية » (٥٨) ·

أما سبب الاهتمام والتهليل الكبيرين للتغيير في موقف حزب العمل واتجاهه نحو قبول التسوية الوظيفية في الضفة الغربية فيعود الى أمل البعض بأن تحظى مثل هذه التسوية برضى « الزعيم » بيغن ، الذي يصر على عدم التنازل عن « السيادة الاسرائيلية » على اي جزء مما يسمى « أرض ــ اسرائيل » · وكان يغئال ألون قد وصف موقف بيغن في هذا الصدد بقوله : « ان موقف رئيس الحكومة من أرض ــ اسرائيل الكاملة يتجاوز أية علاقة سياسية ·· ان السيد بيغن ، حتى الان ، ليس على استعداد لاخذ المعادلات السياسية والاستراتيجية بالاعتبار » (٥٩) بالنسبة للضفة الغربية ·

أما يتسحاق رابين فقد وصف تصوره للحل في الضفة الغربية بقوله انه ينبغي ان يبقى مستندا الى « منطلقات المعراخ الاساسية : تسوية اقليمية ، تعيين حدود دائمة تستجيب لمتطلبات امننا ، ·· ولا تكون متطابقة مع حدود ٤ حزيران [١٩٦٧] ، وبالاضافة الى ذلك السيطرة على اكثرية سكان (الضفة الغربية) وعلى المناطق التي يقطنون فيها ، كجزء من الدولة الاردنية ــ الفلسطينية ، التي يستطيع الفلسطينيون ان يجدوا فيها تعبيرا عن هويتهم الذاتية · والمعراخ لم يشجب ، في اطار تسوية مرحلية ، توزيع المهام بيننا وبين المملكة الاردنية وباشتراك الفلسطينيين سكان المناطق · وبحسب هذا التقسيم ستهتم الحكومة الاردنية بالمشاكل المعيشية العادية ، بينما تسيطر اسرائيل امنيا على تلك المناطق ، وكذلك تمنح حرية الحركة وحق الاستيطان من خلال اتفاق متبادل » (٦٠) · واضاف رابين : « انني مقتنع حتى الان ان معارضتنا للمفاوضات مع م·ت·ف· واقامة دولة فلسطينية هو موقف ينبغي علينا الاستمرار في التشبث به · ونحن ملزمون ، في هذا الظرف بالذات الذي يتضح فيه ان السادات لايعلق أهمية كبرى على م·ت·ف· ويؤكد على علاقة الاردن بالحل ، بالاصرار على موقفنا هذا » (٦١) ·

وكان الدكتور يهودا بن ــ مئير ، رئيس كتلة المفدال في الكنيست قد أعرب عن رأيه ، في مقابلة صحفية ، بأن كتلته قد تؤيد حلا وظيفيا في الضفة الغربية ، بقوله : « يبدو لي ان

هذه الفكرة ستحظى بالقبول من قبل المفدال · ان [سبب] نقاشنا الكبير مع حزب العمل [هو] ان الاحاديث عن تقسيم او تسوية اقليمية في [الضفة الغربية] غير [واقعية] ليس بالنسبة لنا فقط وانما بالنسبة للعرب ايضا » · وفسر بن ـ مئير مفهومه للتسوية الوظيفية بقوله : « ينبغي المحافظة على العلاقة بين دولة اسرائيل [والضفة الغربية]

والواضح ان « الحل الوظيفي » ينبغي ان يتم بتعاون بعض الاشخاص من الضفـــة وعلى حق اليهود للعيش هناك ، ومن الضروري ان يكون الجيش الاسرائيلي مسؤولا ، بشكل او بآخر ، عن الامن [في تلك المنطقة] · هذا هو الجوهر · وباعتقادي ان المفدال سيكون مستعدا للمرونة بكل ما يتعلق بالنواحي الشكلية ، التي قد تكون مهمة للعـرب ـ كالاعلام وجوازات السفر والاسماء والقضايا الاخرى · وهنا توجد امكانات عديدة ومـن الممكن التنازل للعرب · وهذا كان قصدي عندما قلت للرئيس السادات اننا على استعداد لملاقاته في منتصف الطريق او اكثر · ومن غير المهم ماذا سيكون مكتوبا في جواز سفر عرب [الضفة الغربية] · ما يهمني هو ان يكون باستطاعة اليهود العيش [في تلك المنطقة] ، وان يبقى اولئك اليهود مواطنون في دولة اسرائيل ، التي تبقى مسؤولة عن ادارة شؤونهم ، وان يهتم الجيش الاسرائيلي بأمنهم » (٦١) · ولاحظ بن ـ مئير بسرور ، اثناء مقابلته « ان الرئيس السادات لم يذكر [خلال زيارته لاسرائيل] كلمة الاستيطان ولو مرة واحدة » ، مما يدل على عدم معارضته لاستمرار الاستيطان الاسرائيلي فـي المناطق العربية المحتلة ، حتى بعد حلول « السلام » ·

اما يغئال الون ، صاحب المشروع المعروف باسمه لحل مشكلة الضفة الغربية (الداعي ، باختصار شديد ، الى تقسيم الضفة واعادة القسم المأهول منها بكثافة عربية الى الاردن ، وضم الجزء الباقي الى اسرائيل والاحتفاظ بمراكز اسرائيلية عسكرية استراتيجية على طول نهر الاردن) فقد عاد واعلن ، في مقابلة صحفية ايضا ، عن تمسكه بمشروعه · ودلل ألون على محاسن مشروعه بقوله : « انه معقول تماما ويستند على ثلاثة معطيات اساسية : جغرافية وسكانية واستراتيجية · ومنذ اصدرت هذا المشروع ، في تموز (يوليو) ١٩٦٧ ، لم تطرأ تغييرات تذكر على المعطيات الثلاثة · فالجغرافيا بقيت على ما كانت عليه منذ أيام سيدنا ابراهيم ، بينما تغير الوضع السكاني في غير صالحنا · اما التطور التكنولوجي لوسائل القتال فانه يدعم اسس [المشروع] الاستراتيجية · ان المشروع مناسب ايضا لانه ينم عن تفهم للمصالح الاقليمية للدول العربية ، ويجيب بشكل بناء على بقايا القضية الفلسطينية ويستجيب بالطبع لمتطلبات اسرائيل الامنية ، ولا أرى له اي بديل ، الا اذا ارادت اسرائيل الاتكال على ضمانات اجنبية كبديل لقوتها في الدفـــاع الذاتي . وهو ما احذر منه » (٦٢) · وعندما سئل الون عما يعنيه بقوله « بقايا القضية الفلسطينية » ، أجاب انه يختار كلماته بعناية فائقة · ثم فسر قصده من استعمال هذه العبارة بقوله : « ان شرق الاردن ، المعروف اليوم باسم المملكة الاردنية ، يشكل نحو ثلثي

ارض ـ اسرائيل التاريخية ·والشعب القاطن هناك ، اذا كان من السكان المحليين او من اولئك الذين انضموا اليهم من الضفة الغربية ، على مر السنين ، ينتمي ، عرقيا ودينيا وتاريخيا ، الى تلك المجموعة من السكان العرب الذين يعيشون في المناطق المحتفظ بها · وليس هناك من مبرر لحل القضية الفلسطينية بواسطة تأسيس دولتين فلسطينيتين ، واحدة الى الشرق من نهر الاردن وثانية الى الغرب منه · وفي كل حال لن تستطيع دولة ثانية حل المشاكل الانسانية الناجمة عن القضية الفلسطينية ، مثل مشكلة اللاجئين ، التي تستطيع

حلها فقط دولة فلسطينية ـ اردنية موحدة ، واسعة وذات قدرة كبيرة على الاستيعاب »(٦٣)

وكان الون قد أعلن في اكثر من مناسبة عن معارضة لما يسمى « الحل الوظيفي » في الضفة الغربية · ونسب بعضهم اليه وصفه ذلك الحل بأنه « صيغ مختلفة لمفاهيم جنوب افريقيا [بشأن التمييز العنصري] » (٦٤) · **وبلغة اخرى ، يعني الحل الوظيفي قيام بانتوستان فلسطيني في الضفة الغربية ، تابع لاسرائيل ، لا حول له ولا قوة ·**

والواضح ان « الحل الوظيفي » ينبغي ان يتم بتعاون بعض الاشخاص من الضفة الغربية والاردن ، وذلك دون أية علاقة لمنظمة التحرير الفلسطينية او للفلسطينيين في المهاجر به · وكان وزير الخارجية الاسرائيلي موشي دايان قد اعلن عن رأيه في هذا الصدد بقوله : « بالنسبة للفلسطينيين ·· ليست لنا أية علاقة مع اساتذة جامعيين [من أصل فلسطيني] يقطنون في الولايات المتحدة ، او مع فلسطينيين اخرين يسكنون في المانيا او أية بلدان اخرى · من المحظور على اي شخص ان يعتقد اننا على استعداد لمفاوضة فلسطينيين من غير سكان المناطق [المحتلة] · ولقد وافقنا على ان نتفاوض بشأن الضفة الغربية مع الاردن ، وبشأن غزة مع مصر ، ونحن على استعداد ايضا لبحث ذلك مع العرب الفلسطينيين ، ولكن ليس مع مهاجرين ولا مع م·ت·ف· الا مع اولئك الذين يقطنون في المناطق المحتلة » (٦٥) ، وذلك لبحث طريقة « العيش المشترك » معهم ، اي كيفية حكم اسرائيل لهم ·

وعلق أحدهم على محاسن « الحل الوظيفي » المقترح للضفة الغربية بقوله : « ان احدى المحاسن الرئيسية لتسوية مرحلية في يهودا والسامرة يكمن في تقديمها مناسبة اخرى لحل مشكلة منظمة التحرير الفلسطينية ، بواسطة حلها وتصفيتها · ان مجرد وجود م·ت·ف· اصبح عقبة رئيسية أمام السلام وحل القضية الفلسطينية ·· ان الدول العربية هي التي انشأت [م·ت·ف·] ، وهي التي يجب ان تصفيها وتتجاهلها وتسلبها الاعتراف بها كممثلة للشعب الفلسطيني » · أما الدكتور موشي شارون ، مستشار بيغن للشؤون العربية ، فقد اعلن ، في مقابلة صحفية ، عن ارتياحه « لان السادات استطاع خلال يومين من زيارته لاسرائيل تقزيم منظمة التحرير الفلسطينية ، وهو ما لم نستطع القيام به حتى الان » · كما دعا الى قطع المساعدات عن المنظمة تمهيدا لتصفيتها ·

هوامش

(١) من مقابلة مع ملحق دافار ٢ـ ١٢ـ١٩٧٧ ·

(٢) من مقابلة مع عل همشمار ، ٢ـ ١٢ـ١٩٧٧ ·

(٣) دانيئيل بلوخ في دافار ، ١٨ـ١١ ـ١٩٧٧ ·

(٤) يهودا هرئيل في معاريف ، ١ـ١٢ـ ١٩٧٧ ·

(٥) المصدر نفسه ·

(٦) مناحم راهاط في المصدر نفسه ·

(٧) من مقابلة مع ملحق هآرتس ، ٢ـ ١٢ـ١٩٧٧ ·

(٨) عيدان ديسنتشيك في معاريف ، ١٨ـ١١ـ١٩٧٧ ·

(٩) يوسف حاريف في المصدر نفسه ·

(١٠) المصدر نفسه ·

(١١) هاتسوفيه ، ٢ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠
(١٢) المصدر نفسه ٠
(١٣) افتتاحية في هآرتس ، ١٣ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠
(١٤) مردخاي اورن في عل همشمار ، ٢٣ـ١١ـ١٩٧٧ ٠
(١٥) دانيئيل بلوخ في دافار ، ٢٠ـ١١ ١٩٧٧ ٠
(١٦) حفاي اشد في المصدر نفسه ٠
(١٧) في مقابلة مع معاريف ، ٢٢ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠
(١٨) حفاي اشد في دافار ، ٢٣ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠
(١٩) معاريف ، ١٨ـ١١ـ١٩٧٧ ٠
(٢٠) المصدر نفسه ٠
(٢١) حفاي اشد في دافار ، ٢٥ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠
(٢٢) داني روبينشتاين في المصدر نفسه٠
(٢٣) حفاي اشد في دافار ، ٢٠ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠
(٢٤) هاعولام هازيه ، ٢٣ـ١١ـ١٩٧٧٠
(٢٥) غرشوم شوكن في هآرتس ، ٢٥ ـ١١ـ١٩٧٧ ٠
(٢٦) يديعوت احرنوت ، ٢٤ـ١١ـ١٩٧٧
(٢٧) المصدر نفسه ، ١ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠
(٢٨) جروزاليم بوست ، ٢ـ١٢ـ١٩٧٧
(٢٩) يديعوت احرونوت ، ٢٠ـ١١ـ١٩٧٧٠
(٣٠) المصدر نفسه ٠
(٣١) افتتاحية في هآرتس ، ٢٢ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠
(٣٢) افتتاحية في المصدر نفسه ، ٢٩ـ ١١ـ١٩٧٧ ٠
(٣٣) افتتاحية في معاريف ، ٢٢ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠
(٣٤) جرشوم شوكن في هآرتس ، ٢٥ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠
(٣٥) هآرتس ، ٢٣ـ١١ـ١٩٧٧ ٠
(٣٦) يديعوت احرونوت ، ٢٨ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠
(٣٧) المصدر نفسه ٠
(٣٨) يعقوب ادلشتاين في هاتسوفيه ، ٢٣ـ١١ـ١٩٧٧ ٠
(٣٩) افتتاحية في معاريف ، ٢٢ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠
(٤٠) معاريف ، ١٨ـ١١ـ١٩٧٧ ٠
(٤١) ليفي يتسحاق هيروشلمي في المصدر نفسه ، ١ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠
(٤٢) دافيد شوحام في « يديعوت احرونوت » ، ٢٨ـ١١ـ١٩٧٧ ٠
(٤٣) بوعز عفرون في المصدر نفسه ، ٢٠ـ١١ـ١٩٧٧ ٠
(٤٤) المصدر نفسه ٠
(٤٥) موشي شارون في مقابلة مع ملحق هآرتس ، ٢ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠
(٤٦) يديعوت احرونوت ، ٢٨ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠
(٤٧) في مقابلة مع جروزاليم بوست ، ٢ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠
(٤٨) في مقابلة مع ملحق دافار ، ٢ـ ١٢ـ١٩٧٧ ٠
(٤٩) في مقابلة مع دافار ، ٢ـ١٢ـ ١٩٧٧ ٠
(٥٠) في مقابلة مع عل همشمار ، ٢ـ ١٢ـ١٩٧٧ ٠
(٥١) افتتاحية في دافار ، ٢٥ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠
(٥٢) دانيئيل بلوخ في دافار ، ١٨ـ ١١ـ١٩٧٧ ٠
(٥٣) المصدر نفسه ، ٢٠ـ١١ـ١٩٧٧ ٠
(٥٤) ماتي غولان في هآرتس، ٢٢ـ١١ـ ١٩٧٧ ٠

(٥٥) يتسحاق رونكين في حوتام ، ٢ـ ١٢ـ١٩٧٧ ·

(٥٦) من مقال في المصدر نفسه ·

(٥٧) امنون برزيلاي في هآرتس ، ٢ـ ١٢ـ١٩٧٧ ·

(٥٨) المصدر نفسه ·

(٥٩) في مقابلة مع عل همشمار ، ٢ـ ١٢ـ١٩٧٧ ·

(٦٠) في مقابلة مع دافار ، ٢ـ١٢ـ ١٩٧٧ ·

(٦١) في مقابلة مع ملحق دافار ، ٢ـ١٢ ١٩٧٧ ·

(٦٢) في مقابلة مع عل همشمار ، ٢ـ ١٢ـ١٩٧٧ ·

(٦٣) المصدر نفسه ·

(٦٤) امنون برزيلاي في هآرتس ، ٢ـ ١٢ـ١٩٧٧ ·

(٦٥) عل همشمار ، ٢ـ١٢ـ١٩٧٧ ·

(٦٦) مقابلة مع ملحق هآرتس ، ٢ـ١٢ ١٩٧٧ ·

دوليـــا

سمير كرم

مسلمات اساسية

عندما نتناول البعد الدولي لانعكاسات رحلة انور السادات الى اسرائيل ينبغي ان ننطلق من عدة مسلمات اساسية . بعضها يتعلق بالموقف الدولي ـ المتعدد الجوانب ـ من الصراع العربي الاسرائيلي عامة . ومن ازمة الشرق الاوسط في صورتها الحاليـــة بصفة خاصة ، وبعضها يتعلق بواقع الزيارة نفسها باعتبارها عنصرا مفاجئا اضاف الى هذا الصراع ، والى الازمة ، عامل تغيير اعتبرته بعض الاطراف الدولية عاملا ايجابيا ، بينما اعتبرته اطراف دولية اخرى عاملا سلبيا ، والتزمت اطراف ثالثة « اللاموقف » انتظارا للنتائج ٠

● **مسلمة اولى هي ان مشكلة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ـ وازمة الشرق الاوسط بصورتها الراهنة ـ كانت قد بلغت بالنسبة لاطراف دولية حدا من الالتهاب يستوجـــب نشاطا لمنع الالتهاب من التحول الى انفجار ٠ وهذه الاطراف الدولية هي بالتحديد الدول الراغبة في استمرار اوضاع الشرق الاوسط كما هي ، اذا لم يكن السير بها نحو حل سلمي امــرا يكاد يبلغ درجة المستحيل في صعوبته ٠ وهذه الاطراف بالتحـديد هي الدول صاحبة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية (بما فيها النفطية) التي تخشــى ان يؤدي انفجار الوضع الى حرمانها ، ولو لفترة زمنية من التدفق النفطي او المــالي او السلعي في الاتجاهين ، نحو دول الشرق الاوسط العربية ، او نحو هذه الدول التـــي نعنيها (الولايات المتحدة ، واوروبا الغربية ، وكندا ، واليابان) ٠**

● مسلمة ثانية هي ان المشكلة ـ والازمة ـ كانت عندما « فرقعت » انباء الزيارة قد اصبحت مصدر ارباك لتقديرات اطراف دولية لها مواقف مبدئية من هذا الصراع ، ولهــا جهود محددة ، ودور محدود ، في محاولات السير بالمشكلة ـ والازمة ـ نحو حـــل « متوازن » ٠ وكان السبب الرئيسي لهذا « الارباك » عائد الى « مفارقات » ، وبالاحرى « تناقضات » السياسات والممارسات العربية ، مع المصالح العربية في هذا الصراع ، الامر الذي جعل من الصعب للغاية على تلك الاطراف الدولية ـ مهما كانت مواقفهـــا ايجابية من القضية العربية ـ ان تؤدي دورا ايجابيا وفعالا في صف الجانب العربـــي ومصالحه الاساسية ٠ هذه الاطراف الدولية هي دول المعسكر الاشتراكي (وينطبق معنى هذه المسلمة على الاتحاد السوفياتي بالذات اكثر مما ينطبق على غيره) ٠ و « الارباك » الذي تعنيه هذه المسلمة هو ان هذه الدول وجدت نفسها تؤيد جانبا في الصراع ـ وفـي الازمة ـ يتجه الى هزم ذاته اكثر مما تهزمه الظروف والعوامل الموضوعية الفاعلة فـي الازمة ٠

● مسلمة ثالثة مؤداها ان المشكلة ـ والازمة ـ كانت قد بلغت حدا ـ بالنسبة لاطراف

اخرى ـ لا يترك الا الشعور بالضجر الذي يجعل الاختيار الباقي امام هذه الاطـراف الدولية ـ بحكم بعدها الجغرافي والسياسي والاستراتيجي عن حقل الغام الشـرق الاوسط ـ هو موقف « اللامبالاة » ٠ فقد كانت مساعي الجانب العربي في الصراع لدى هذه الاطراف الدولية قد اتسمت في الفترة الاخيرة بسمة « اللامبالاة » ، وهي سـمة « بعدية » خاصة اذا كانت « العدوى » من الجانب صاحب المصلحة ونعني بهذه الاطراف الدولية التي تتناولها هذه المسلمة دول العالم الثالث ، وبصفة اكثر تحديدا دول عـدم الانحياز الرئيسية وذات الثقل في العمل السياسي الدولي ٠ ونعني باللامبالاة التـي اصابت مواقفها تقلص دورها الى حدود تقديم اصواتها في المنظمات الدولية (الامـم المتحدة اساسا) بصفة تلقائية في تأييد « قرارات » و « توصيات » معظمها لا يختلف عما « اعتادت » المنظمات الدولية اصدار مثيل له على مدى سنوات « الازمة » ، ومعظمهـا لا يكاد يتقدم نحو حل للازمة او الصراع خطوة واحدة ٠

● **مسلمة رابعة هي ان نظرة الاطراف الدولية الى التوازن العسكـري العربي ـ الاسرائيلي في فترة ما بعد حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ كانت قد بلغت ـ وقت وقوع « مفاجاة » الزيارة ـ حد اليقين بان اسرائيل تمكنت من تحقيق تفوق عسكري يمكنها من الزام الجانب العربي مواقع الخوف من تحولات نحو اسلوب القوة ، بعد ان طال الجمود والانتظار ٠ وهو خوف وجه سياسة الجانب العربي ـ بصورة تكاد تكون كلية ـ نحو شراء أرصدة رضاء « الرأي العام العالمي » ٠ (والمقصود بـ « العالمي » هو دائما الاميركي والاوروبي ـ اي الغربي دون غيره) ، على اساس ان هذه الارصدة كافية لمنع اسرائيل من استخدام تفوقها العسكري استخداما فعليا بدلا من الاكتفاء باستخدامه استخداما نظريا ٠ وقد استخدمت الاطراف الدولية ـ على اختلاف مواقفها من المشكلة ـ عـامل التفوق العسكري الاسرائيلي كل وفق ما يمليه موقفه في المشكلة ، اي وفق ما تمليـه مصالحه مع جانبي الصراع الشرق اوسطي ، خلال الفترة القصيرة السابقـة للزيارة مباشرة ٠ وبين جميع تلك الاطراف فان الولايات المتحدة ـ وهي مصدر هـذا التفوق العسكري الاسرائيلي ـ لا بد ان تكون استثمرته في اتصالاتها مع أطراف من الجـانب العربي كاداة ردع نظرية للحصول على ما حصل عليه الجانب الاميركي ـ الاسرائيلي من تنازلات سبقت الزيارة ، وجاءت بعد حرب ١٩٧٣ ٠**

● مسلمة خامسة هي ان بين مواقف الاطراف الدولية على اختلاف اتجاهاتها ، تقوم علاقات تأثير وتأثر متبادلة فيما يتصل بالصراع العربي ـ الاسرائيلي وازمة الشرق الاوسط ، وان كانت « المفاجآت » اقدر من الاحداث العادية المتوقعة على فرز مواقف الاحزاب الدولية بصورة اقل صعوبة ٠ بمعنى ان هنـاك تأثيرا وتأثرا بين الموقفيـن السوفياتي والاميركي ـ مثلا ـ من المشكلة ، الامر الذي أفرخ ـ على سبيل المثال ـ فـي الايام السابقة مباشرة للزيارة ذلك البيان السوفياتي ـ الاميركي المشترك الذي حدد خطوطا متفقا عليها بين الدولتين الاكبر بوصفهما رئيستي مؤتمر جنيف ٠ كما ان هناك بالمثل تأثيرا وتأثرا بين الموقف الاميركي والموقف الاوروبي الغربي ، حيث لا تزال اوروبا الغربية تتصرف ازاء الازمة باعتبار ان اوروبا الغربية جزء من كتلة اطلسية اكثر من كونها كتلة متمايزة ذات علاقات بالشرق الاوسط أقرب من علاقات الكتلة الاطلسية في مجموعها بهذه المنطقة ، وهكذا ٠ وقد استطاع عامل « المفاجأة » في زيارة السادات لاسرائيل ان يصنف المواقف بصورة اوضح مما كانت عليه قبيل تلك الزيارة ، ولكن تبقى لمقولة التأثير والتأثر فعاليتها في تحليل المواقف ما بعد الزيارة ٠٠ اي في رؤية معاني ردود الفعل ، وما بعد

ردود الفعل من اتجاهات · وتبدو هذه الفعالية حتى عندما تحاول اطراف دولية ان تطمس ـ او تقلل من اهمية ـ التمايز بين المواقف بعد الزيارة ، فهذه المحاولة ينبغي ان ترى باعتبارها جزءا من موقف للطرف الدولي الذي يمارسها ·

على خلفية من هذه المسلمات ينبغي ان توضع محاولة فهم وتحليل مضامين المواقف الدولية التي انتجتها الزيارة ·· ابتداء من ردود الفعل الاولية الى الاستجابات المتأنية المستندة الى ادراك للابعاد الاخرى ـ المحلية والدولية ـ والمكونات الاخرى للوضع فـي الشرق الاوسط الذي خلقته « الزيارة » ···

الولايــات المتحــدة

لعل الولايات المتحدة هي الطرف الدولي الوحيد الذي لا بد من التساؤل ازاءه عما اذا كانت الزيارة قد شكلت بالنسبة له « مفاجأة فعلية » او على الاقل ما مدى حدة تلك المفاجأة · ذلك ان الاجابة على هذا التساؤل تسهم بقدر ، في ايضاح اتجاه الدور الاميركي في تطورات الازمة ·

والملاحظ انه لم يصدر عن اي مصدر رسمي اميركي تصريح يفيد اذا كانت الولايـات المتحدة قد فوجئت او كانت على علم مسبق بخطوة السادات · تبقى تصريحات السادات نفسه هي السند الوحيد للاعتقاد بانه « لم يبلغ احدا ولم ياخذ راي احد » · وصحيح ان التاييد السريع من جانب الولايات المتحدة ـ على لسان رئيسها كارتر ووزير خارجيتها فانس وعلى السنة كل مسؤول اميركي ـ لا يشكل عنصرا مفاجئا في ذاته ، الا ان سرعة تصرف الولايات المتحدة بوضع تسهيلاتها الدبلوماسية والاستخباراتية والاعلامية في خدمة الزيارة تشكك في امكان ان تكون الخطوة قد شكلت مفاجأة « كاملة » للولايات المتحدة ·

ولكن من ناحية اخرى ، فان مواقف الولايات المتحدة ازاء ما تلا الزيارة من خطوات من جانب السادات ، ومن جانب معارضي الزيارة ، تكشف عن « تردد » ظهرت اعراضه على الدبلوماسية الاميركية ، وخاصة ازاء دعوة السادات لمؤتمر القاهرة ، وانكشاف حقيقة انه لن يحظى باستجابة من غير مصر واسرائيل وحدهما من الاطراف المباشرة في الازمة · واذا كان هذا التردد ينبيء عن شيء فلا بد من رؤيته ازاء الاحتمالين : احتمال ان يكون السادات قد خطا الى القدس المحتلة دون علم مسبق من واشنطن ، واحتمال ان يكون السادات قد فعلها بتنسيق مع ادارة كارتر · · في الحالة الاولى تكون حسابات واشنطن السابقة التي ادت الى صدور البيان السوفياتي ـ الاميركي المشترك (في ١ـ١٠ـ١٩٧٧) قد افلتت من بين يديها ، وان يكون في اتجاه لا يؤذي النفوذ الاميركي بل يدعمه، ويدعم رغبة الولايات المتحدة في تقليص الدور السوفياتي · وفي الحالة الثانية تكون واشنطن قد عملت عمدا على قلب الموائد عن طريق هذه الخطوة ، ويكون ترددها اللاحق اما نابعا من مبالغة من جانب السادات في الاندفاع الى خطوات تالية للزيارة ـ مثل مؤتمر القاهرة (الذي تدخلت الولايات المتحدة لتؤجله) ، او نابعا من رغبة الولايات المتحدة نفسها في ان تبدو اكثر وعيا بأهمية الوجود العربي غير المصري ضمن اطار التطورات الجديدة ، الامر الذي يعطيها فرصة التعاطي مع بعض الاطراف العربية المعارضة للزيارة ، استمرارا لدور النفوذ الاميركي في المنطقة ·

وهكذا فان محاولة تحليل الموقف الاميركي تجد نفسها امام تصورين متناقضين : امـا

ان الولايات المتحدة تقوم بلعبة ارادية كاملة ، تحكم خطواتها قصدية محددة ومرسومة ومخططة مسبقا ، واما ان الولايات المتحدة وجدت نفسها امام موقف جديد يضطرها الى محاولة رأب الصدع الذي يمكن ان ينتج عن اندفاع مفاجيء من جانب السادات يخل (وفقا لبعض التصورات) بالوفاق الاميركي ـ السوفياتي ، ويدفع اطرافا كانت قد انضمت الى صفوف « المعتدلين » في السنوات الاخيرة ، الى مواقف « متطرفة » او « متصلبة » ، وهذا ما لا يلائم حسابات الولايات المتحدة ، سواء التي تتصل بمصالحها في المنطقة ، او بحدود قدرتها على الحركة على المسرح الدولي ٠

ولكن تتبع شريط الاحداث التالية للزيارة (وتصريحات المسؤولين الاميركيين نعتبرها جزءا من هذه الاحداث) يؤدي بنا في الاغلب الى اقتناع بأن الديبلوماسية الاميركية هي ـ في الواقع الفعلي ـ في مجرى وسط بين الوضعين اللذين يحددهما هذان التصوران المجردان ٠ حيث نجد في الموقف الاميركي جوانب ثابتة وجوانب مهزوزة ٠ فمما لا شك فيه ان الولايات المتحدة ـ سواء فوجئت بالزيارة او لم تفاجأ بها ـ قد أيدت خطوات السادات ، « وصلى » الرئيس كارتر من أجل نجاحها ٠ ولكنها من جانب اخر لم تكن واثقة من طبيعة النتائج التي يمكن ان تسفر عنها ، وما اذا كانت هذه النتائج ستأتي ايجابية لمسعى التسوية ، او ايجابية لمركز السادات نفسه ، او ايجابية للمحور الاميركي في التسوية ٠ وعندما تأكدت الولايات المتحدة ـ بعد قدر من التردد ـ من احتياج السادات الى دعمها فانها لم تتردد في الوقوف وراءه بكل ثقلها ، ربما اعتقادا منها بأن هذا يكفل له قدرا من قدرة التأثير في الصعيد العربي ويجبر اطرافا عارضته على ان تعتدل في معارضتها على الاقل ٠

● في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ، اي في اليوم السابق مباشرة على الزيارة قال سايروس فانس وزير الخارجية الاميركي في لقاء مع وفد يمثل « العرب الاميركيين » (اي الاميركيين من أصل عربي) ـ ان الولايات المتحدة تعتقد ان زيارة الرئيس السادات لاسرائيل « دقيقة جدا » (والكلمة الانجليزية التي استخدمها فانس يمكن ان تعني ايضا « حرجة جدا ») ، وقال انه « لا يستطيع التكهن بما سينتج عن هذه الزيارة » ، وان الولايات المتحدة تتطلع الى نتائج المبادرة « لعلمها كم هي حساسة » ٠

ولم يكن هذا هو الجانب الوحيد من تصريحات فانس مع « الاميركيين العرب » ، فقد حرص على التأكيد بأن واشنطن ستدعم الرئيس السادات ٠ اي ان « المخاوف » التي تبديها الولايات المتحدة من دقة او حرج خطوة السادات لم تدفعها الى اتخاذ موقف الترقب والانتظار ، انما احتفظت الولايات المتحدة وحرصت على موقف التأييد لخطوته ، وكأن ذلك يتم بصرف النظر عن النتائج ٠ وكان مجرد الاعراب عن تلك المخاوف عاملا سلبيا خفض من قيمة التأييد الاميركي لخطوة السادات ، وان لم يسلبه تماما ٠

● في ١٨ـ١١ ايضا وجهت ادارة كارتر رسالتين الى السعودية والاردن حثتهما فيهما على تأييد خطوة الرئيس المصري ، وكان ذلك بداية ادراك الولايات المتحدة لخطر ظهور السادات معزولا محروما من التأييد في العالم العربي ٠

● في ١٨ـ١١ كذلك اعلنت مصادر البيت الابيض الاميركي « ان الولايات المتحدة تحاول ، ضمن طاقتها ، تطمين العرب الى ان دعمنا للزيارة لا يعني بشكل من الاشكال تراجعا عن هدفنا المعلن وهو تحقيق تسوية شاملة » ٠ وقالت هذه المصادر ان مستشاري كارتر اشاروا عليه بالاتصال شخصيا بعدد من القادة العرب ليوجه عبرهم تطمينات الى العالم العربي ٠

وكانت هذه التصريحات ـ بدورها ـ انعكاسا لادراك الولايات المتحدة لوجود خطر بان تنعكس اثار رحلة السادات لاسرائيل سلبيا على النفوذ الاميركي في الوطن العربي ·

● في ١٩ـ١١ ـ في يوم « الزيارة » نفسه قال الرئيس كارتر « ان آمال جميع الاميركيين وصلواتهم هي مع السادات وبيغن في محاولتهما السير قدما نحو السلام لشعوب الشرق الاوسط ، وبالطبع للعالم كله » ·

وهنا كان كارتر يؤكد على الدور الإسرائيلي ـ الى جانب الخطوة الاستثنائية للسادات ـ معتبرا ان المسعى الجديد هو مسعى مشترك ينبغي ان ينسب الى الاثنين معا وليس الى السادات وحده · وكان ذلك بمثابة مؤشر الى رغبة تبديها الولايات المتحدة بأن تشارك اسرائيل في صنع نتائج ايجابية لزيارة السادات لها عن طريق تقديم تنازلات تجعله لا يعود « خاوي الوفاض » · وهذه نقطة بدورها تثير ـ من جديد ـ النقاش حول ما اذا كانت هناك « استقلالية » كاملة للموقف الاسرائيلي عن الموقف الاميركي ، اي ما اذا كان بامكان اسرائيل ان تنتهج سياسة خاصة بها لا تلتقي التقاء كاملا مع رغبات الولايات المتحدة · وعن هذه النقطة ايضا لا بد من تسجيل تحول عن مطالبة الولايات المتحدة ـ عربيا ـ بالضغط على اسرائيل ، الى تجاوز هذا الطرف الدولي نفسه وطلب التنازل من اسرائيل مباشرة ، مع تحول دور الطرف الدولي الى مجرد « التوجيه » او « الامل » في ان تدرك اسرائيل أهمية تقديم « تنازل » ما · وهكذا لا تعود الولايات المتحدة تواجه مفارقة الضغط العربي (النفطي او غير النفطي) والضغط الصهيوني (الداخلي والعالمي) ما دام الجانب العربي لا يطلب منها الضغط على اسرائيل ، وما دام الجانب الصهيوني يجد اسرائيل تتعامل مباشرة مع خصمها الاتي اليها بنفسه ·

● في ٢٠ـ١١ ـ يوم خطاب السادات في « الكنيست » قال الرئيس الاميركي ان خطابي السادات وبيغن « يتسمان بروح الوفاق ويساهمان في تحقيق السلام في الشرق الاوسط »· وقال انه يرى ان « زيارة الرئيس السادات لاسرائيل ستدعم احتمالات السلام في الشرق الاوسط مهما تكن نتائج هذه الزيارة » ·

لقد طبعت تصريحات الرئيس الاميركي عن خطاب السادات ـ الذي كان أهم بند في جدول اعمال الزيارة ـ بطابع باهت نشأ من حقيقة ان خطاب السادات لم يكن شيئا غير عادي كالزيارة نفسها ، انما كان تكرارا للمقولات نفسها التي سبق ان عبر عنها السادات مرات عديدة خلال سنوات منذ ١٩٧٣ · فلم يكن من غير الطبيعي ان تتجه التصريحات نحو الزيارة وردود فعلها اكثر مما اتجهت نحو تحليل خطابي السادات وبيغن · ·

وفي هذا اليوم الذي كانت فيه ردود الفعل العربية الرافضة في ذروتها قال كارتر « ان الرئيس الاسد الذي ندد بزيارة السادات لاسرائيل يريد السلام ، لكنه اصبح بطريقة غريبة ناطقا باسم الراديكاليين العرب » · واستطرد قائلا « اعتقد ان زيارة الرئيس المصري للقدس قد تزيل العقبات ، ان السادات لا يريد ترك سوريا خارج المفاوضات » ·

وبدأ يظهر جانب اخر من الموقف الاميركي في تصريح لكارتر في اليوم نفسه ـ ٢٠ـ١١ ـ يقول فيه انه لا يعتقد ان مصر واسرائيل ستتوصلان الى معاهدة سلام منفصلة، وهو يعتقد على اي حال ان ذلك يجب الا يجري · وقد تكررت هذه النغمة على ألسنة المسؤولين الاميركيين بعد ذلك ، والى الوقت المحدد لانعقاد مؤتمر القاهرة ، وبصفة اكثف اثناء انعقاد « مؤتمر الصمود والتصدي » في طرابلس ·

بماذا يمكن تفسير هذا الالحاح الاميركي على عدم وجوب حدوث اتفاق منفصل بين مصر واسرائيل ؟

لقد بدت الولايات المتحدة اكثر الحاحا على هذه النقطة حتى من الجانب المصري نفسه ، الذي ـ رغم تأكيداته المتكررة ايضا بهذا المعنى ـ سرب تصريحات من نوع ما اطلقه وزير الخارجية المصري بالوكالة بطرس غالي بأن السادات قد لا يجد امامه طريقا الا الاتفاق المنفصل مع اسرائيل ، اذا أصر العرب الاخرون على موقفهم ضد مبادرته السلمية · فلماذا تكون واشنطن حريصة الى هذا الحد على ابداء موقف معارض لاتفاق منفصل مصري ـ اسرائيلي ؟ الاحتمال الاول ان الولايات المتحدة لا تريد فعلا مثل هذا الاتفاق لانه يعزل مصر ـ والتيار الذي تمثله في ظل حكم السادات ـ ولانه يكتل باقي الدول العربية المناهضة للتسوية على طريقة السادات ، ويطيل في أمد الصراع ويعمق خطورته ، ويقلص النفوذ الذي استطاعت الولايات المتحدة تحقيق مستوى عال منه في الوطن العربي في ظل مشاركتها في المساعي الى « حل شامل » · وهو امر يهدد ـ في الوقت نفسه ـ بعودة نمو الدور السوفياتي في المنطقة من أبواب تأييد الدول والقيادات العربية المناهضة لسياسة السادات ·

أما الاحتمال الثاني فهو محاولة الولايات المتحدة ـ بهذا الالحاح على عدم تحبيذها اتفاقا منفصلا بين مصر واسرائيل ـ الايحاء بأن حدوث مثل هذا الاتفاق ـ اذا حدث ـ هو نتيجة طبيعية لتطورات الامور ، وليس محصلة ضغط او تخطيط اميركي · الامر الذي يخدم ايضا هدف التغطية على اتجاه تطورات الاتصالات المصرية ـ الاسرائيلية بعد الزيارة نحو هذه النتيجة بالذات ·

ويلاحظ انه حتى هذه المرحلة لم تكن الولايات المتحدة قد أبدت اهتماما بالابتعاد عن الطريق المؤدي الى مؤتمر جنيف ، وهو ما كشفت عنه تطورات الايام التالية ، ويجدر بالملاحظة ان هنري كيسنجر وزير الخارجية الاميركي السابق كان اول الاميركيين اتجاها نحو التقليل من أهمية جنيف ، اذ صرح (في ٢٠ـ١١) وضمن حديث عقب فيه على خطابي السادات وبيغن في الكنيست ـ بأن « مؤتمر جنيف وسيلة وليس هدفا · يمكن ان يكون هناك جنيف بعد ، بيد انه من الصعب الاعتقاد بأن مثل هذا المؤتمر يمكن ان ينجز ما لم يستطع هذا الاجتماع التاريخي والدراماتيكي ان يحققه » ·

وقد كشف كيسنجر في هذا الحديث ـ الذي نشرته صحيفة « نيويورك تايمز » ـ انه اجرى اتصالا هاتفيا مع بيغن والسادات وتمنى لهما التوفيق ، وانه عرض لبيغن والسادات الايجابيات التي تشكلها زيارة الرئيس المصري وكذلك الاخطار التي تمثلها هذه المبادرة · وقال ان اول هذه الاخطار هو ألا يحرز السادات وبيغن اي تقدم في محادثاتهما الخاصة ، وثاني الاخطار يتمثل في الاطاحة بكامل الحكم المصري اذا غادر الرئيس المصري القدس خاوي اليدين ·

وترجع أهمية تصريحات كيسنجر الى ما ذكرته صحيفة « نيويورك تايمز » في اليوم نفسه (٢٠ـ١١) من ان « الوسيط الحقيقي الذي فتح الطريق أمام السادات وبيغن هو هنري كيسنجر » · وربما يمكن اخذ تصريح كيسنجر عن اتصاله تليفونيا بالسادات وبيغن على انه تلميح لدوره هذا · وربما كان دور كيسنجر كوسيط بين السادات وبيغن هو الوجه

المرئي من الدور الاميركي في هذه التطورات ٠

● في ٢٣ـ١١ بدأت المحاولات الاميركية لتطويق ردود الفعل العربية الحادة ضد زيارة السادات لاسرائيل ، وفي الوقت نفسه لدعم موقفه ٠ فقد اعلن توم ريستون المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الاميركية ، ان ادارة كارتر تنتظر اكتمال التقارير التي ترد اليها حول زيارة الرئيس السادات للقدس لتقييم الموقف في الشرق الاوسط ، كما ذكر ان الولايات المتحدة ستقوم بالاتصال بالحكومات العربية « لتهدئة المشاعر » ولتبديد المخاوف من ان مصر واسرائيل تنويان توقيع اتفاق سلام ثنائي ٠ (ولعل هذا اول تصريح يمهد لقيام سايروس فانس بزيارته لعواصم المنطقة التي بدأت يوم ١٠ـ١٢) ٠

وقال ريستون ان الولايات المتحدة كانت على اتصال بالاطراف المختلفة بهدف استئناف مؤتمر جنيف في أسرع وقت ممكن ٠

والامر الواضح ان الولايات المتحدة تعتقد ان التلويح بجنيف يمكن ان يهدىء مشاعر الدول العربية الرافضة لمبادرة السادات ، باشعارها بأن الخط الاساسي المتفق عليه مع الولايات المتحدة ، قبل زيارة السادات ، لا يزال هو خط السياسة الاميركية الاساسي ٠

وتأكيدا لهذا اعلن « دبلوماسي اميركي كبير » ــ في تصريح نقلته وكالة رويتر ــ في اليوم نفسه ــ « ان حكومة الرئيس كارتر تعارض اي صفقات منفردة بين البلدين (مصر واسرائيل) لا تشمل الجبهات العربية الاخرى التي تقف ضد اسرائيل » ٠ ومنذ ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة لا تزال تحتفظ بأمل اشتراك الاتحاد السوفياتي في التطورات الجديدة ، فقد دافع وارين كريستوفر القائم بمهام وزير الخارجية الاميركي فانس (اثناء غيابه في اجتماعات اطلسية) عن دور الاتحاد السوفياتي كرئيس مشترك ــ مع الولايات المتحدة ــ لمؤتمر جنيف ، في الوقت نفسه الذي انتقد فيه كريستوفر مهاجمة موسكو لزيارة السادات لاسرائيل ٠ وذكر ان الولايات المتحدة « لا تستخف بالالتزامات السوفياتية التي تضمنها البيان الاميركي السوفياتي المشترك الذي صدر في أول تشرين الاول الماضي » ٠

● في ٢٤ـ١١ ــ وفي الاتجاه نفسه للتأكيد بأن الولايات المتحدة لم تغير خطها السياسي الرئيسي المتمثل في العمل على « حل شامل » من خلال مؤتمر جنيف ــ قالت مصادر اميركية مطلعة ان الولايات المتحدة لا تزال تعتقد ان من الضروري عقد مؤتمر جنيف ، كما تعتقد ان انقاذ المؤتمر من الفشل يمكن ان يتم في وجود اي انطباع عن مفاوضات مصرية ــ اسرائيلية منفصلة ٠ وقالت المصادر نفسها ان الولايات المتحدة تجري اتصالات مع عدد من الدول العربية ، خصوصا سوريا ، سواء في واشنطن او في دمشق ، وان هذه الاتصالات تهدف الى تأكيد السياسة الاميركية التي رسمتها ادارة كارتر والقائلة بضرورة ايجاد حل شامل للصراع العربي ــ الاسرائيلي عن طريق مؤتمر جنيف٠

وقالت مصادر دبلوماسية في واشنطن ان الولايات المتحدة تجري اتصالات مع السعودية لكي تتخذ هذه موقفا يستطيع ان يؤمن نوعا من الغطاء العربي للموقف المصري ، ويتيح في الوقت ذاته امكان قيام دور سعودي في التقريب بين مصر وسوريا ٠

في اليوم نفسه ذكرت انباء صحفية من واشنطن انه « برزت في بعض الاوساط الاميركية معارضة تدعو الى عدم تدخل الولايات المتحدة في مجرى الاحداث الجديدة ، خصوصا فيما يتصل بالعلاقات المصرية ــ الاسرائيلية » ٠ كما ان ثمة « كلاما كثيرا الان في العاصمة

الاميركية عن ان الدور الاميركي اصبح دورا جانبيا بعد زيارة السادات لاسرائيل ، لكن مصادر مطلعة اكدت ان الولايات المتحدة لا تزال تلعب دورا اساسيا خصوصا على صعيد المساعي المبذولة لعقد مؤتمر جنيف » ٠

وتكشف هذه التصريحات ـ غير المنسوبة في معظمها ـ عن استمرار الولايات المتحدة في مجاولة جذب اطراف عربية اخرى غير مصر الى الطريق الذي سار فيه السادات ، في الوقت نفسه الذي تترك لنفسها فرصة التبرؤ من فشل يمكن ان ينتهي اليه السير على هذا الطريق ٠

● في ٢٩ـ١١ ـ بعد أربعة ايام من اعلان اقتراح الرئيس السادات عقد مؤتمر في القاهرة يمهد لاجتماع مؤتمر جنيف ـ اعلنت الولايات المتحدة رسميا انها ستلبي هذه الدعوة ٠ اذ اعلن هودنغ كارتر الناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية ان الولايات المتحدة وافقت على الدعوة التي وجهتها مصر الى الدول المشتركة في مؤتمر جنيف لحضور الاجتماع التمهيدي ٠ واوضح ان التمثيل الاميركي سيكون في مستوى الخبراء ، وكانت تلك اشارة الى ان الاجتماع لن يكون على مستوى وزراء الخارجية كما كانت بيانات القاهرة قد أوضحت ٠

وقال الناطق الاميركي ان الولايات المتحدة ستذهب الى اجتماع القاهرة لانها تعتقد انه سيكون « مفيدا وسيعطي املا في التغلب على الصعوبات وفي التوصل الى اتفاق حول المواضيع التي ستؤدي الى الحل الشامل » ٠

وقد فسر الناطق الاميركي تاخر الولايات المتحدة في اعلان تلبيتها لدعوة السادات بأنه كان بسبب استمرار واشنطن في مشاوراتها مع الاطراف المعنية ٠

واضاف ان الولايات المتحدة مدعوة الى الاجتماع بصفتها احد رئيسي مؤتمر جنيف ٠ ويكشف هذا الخبر ، من التصريح ان الولايات المتحدة كانت حتى ذلك الوقت ـ ورغم وضوح انتقاد موسكو لمبادرة السادات ـ تأمل ان يشترك الاتحاد السوفياتي في اجتماع القاهرة بهذه الصفة نفسها ، اي بصفته احد رئيسي مؤتمر جنيف ٠ وان كان المتحدث الاميركي قد عاد فقال « ان حضور الولايات المتحدة اجتماع القاهرة دون الاتحاد السوفياتي لا يعتبر خرقا لروح مؤتمر جنيف » ٠

وسئل المتحدث : هل تحضر الولايات المتحدة الاجتماع في حال حضور منظمة التحرير الفلسطينية فأجاب : « اذا قررت اسرائيل الذهاب في وجود منظمة التحرير الفلسطينية فعلينا عندئذ ان نراجع سياستنا السابقة » ٠

والحقيقة ان تردد واشنطن في اعلان تلبيتها لدعوة السادات لاجتماع القاهرة اثار تكهنات عديدة ، اولها ان واشنطن فوجئت باقتصار التلبية على اسرائيل وبالاضافة الى مصر صاحبة ، الدعوة ـ الامر الذي جرد الاجتماع من اي صفة تجعله تمهيدا لمؤتمر جنيف كما كان القصد منه في الدعوة ٠ ويبدو ان الولايات المتحدة اعتقدت ـ طوال ايام ترددها ـ ان الاتحاد السوفياتي سيفضل ان يحضر على ان يغيب عن اجتماع القاهرة، حتى لا يكون هذا بداية « عزل » له عن جهود التسوية ، فكانت تريد للرد على دعوة السادات ان يكون اميركيا ـ سوفياتيا في التوقيت على الاقل ٠ ومن ناحية اخرى ذكرت مصادر واشنطن ان ادارة كارتر كانت ترغب في شرح موقفها لجميع الاطراف المدعوة

لاجتماع القاهرة لاقناعها بالاشتراك فيه ٠

والواقع ان معظم هذه التفسيرات لا يبدو منطقيا ، فان الولايات المتحدة لا تستطيع ان نقنع الاخرين بالحضور حين تتردد هي نفسها في اعلان تلبيتها الدعوة ، والامر الاكثر منطقية هو ان الولايات المتحدة كانت مترددة فعلا في الحضور دون الاتحاد السوفياتي ، ودون الاطراف العربية الاخرى ، وعندما رأت ان ذلك يضع القاهرة في محنة شديدة قدمت حضورها كدعم للدعوة ولتعطي الاجتماع ثقلا ما كان يمكن ان يكون له اذا اقتصر على مصر واسرائيل ٠ وهنا لا بد من القول ان واشنطن ربما فوجئت بتسرع السادات في الدعوة الى هذا المؤتمر دون ان يكون قد امن حدا كافيا من التأييد ٠ وفي الوقت نفسه ارادت واشنطن ان تحتفظ بصورة الدولة المتمسكة باللوازم الثلاثة : الحل الشامل (لا الانفرادي بين مصر واسرائيل) ، مؤتمر جنيف كسبيل الى هذا الحل الشامل ، و« المبادىء الثلاثة » لحل النزاع وهي الحدود الآمنة ، وطبيعة السلام ، وموضوع « الفلسطينيين »٠

ويلاحظ ان تردد الولايات المتحدة في تأييد اجتماع القاهرة قد اثار غضب دوائر عديدة في واشنطن معروفة بتأييدها لاسرائيل ، ومعروفة بعلاقاتها الصهيونية ٠ وعلى سبيل المثال ـ وتعبيرا عن آراء هذه الدوائر ـ فقد كتبت صحيفة « نيويورك تايمز » (في ٢٩ـ١١) ان رد الفعل الاميركي المتسم بالتردد « كان مزيجا من الانزعاج والتحفظ البارد اللذين لا يليقان بالولايات المتحدة التي يفترض فيها ان توافق في حرارة وان تشجع اي بادرة اعتدال في الشرق الاوسط » ٠ وقالت الصحيفة الاميركية ان الخوف من احتمال فشل الرئيس المصري هو العنصر الوحيد الذي يجب ان يؤخذ في الاعتبار ـ عند تفسير الحذر الاميركي ـ ولاحظت ان هذا الخوف له ما يبرره ، « الا انه يجب ان يحث على مزيد الاخطار وليس على الفرص في مبادرة السادات ٠ وهي تتردد حتى الان في قبول دعوته الاخطار وليس على الفرص في مبادرة السادات ٠ وهي تردد حتى الان في قبول دعوته
الى اجتماع القاهرة ، مفضلة التشاور مع الاتحاد السوفياتي والاطراف الاخرى دون ان تقدم اي مساعدة للاطراف العربية « المعتدلة الممزقة حاليا ، بين قوى متنازعة » ٠ ودعت « نيويورك تايمز » الولايات المتحدة الى ان تقف الى جانب مصر واسرائيل « حتى يمكن لمسعاهما النبيل التقدم ٠٠٠»

وكمثال اخر على الانتقادات الاميركية لتردد ادارة كارتر في الاستجابة لدعوة السادات ما قاله السناتور الصهيوني هنري جاكسون « ان ترددنا يضعف موقف السادات » ٠

● في ٢٠ـ١١ بدأت الولايات المتحدة تبرز في المقدمة بدور اكثر ايجابية واقل تخفيا في تأييد السادات ، وبدأت تظهر ملامح اولية لعدم التمسك بمؤتمر جنيف ٠

فقد اعلن الرئيس كارتر في مؤتمر صحفي ان مؤتمر القاهرة سيعقد في ١٤ كانون الاول (وكان هذا تأجيل اعلنته الولايات المتحدة ، ولم تعلنه القاهرة صاحبة الدعوة !) وان الفرد أثرتون مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط سيمثل الولايات المتحدة فيه ٠ وقال كارتر ان ابرام معاهدة منفصلة بين اسرائيل ومصر يعد امرا غير مستحب في الوقت الراهن ، وذكر انه طالمايوجدامل في تسوية شاملة في الشرق الاوسط فان الولايات المتحدة لا تحبذ الاتفاقات المنفصلة ٠ غير انه اضاف قائلا انه « اذا لم يقبل الاردن او سوريا او لبنان ، في وقت لاحق ، السلام مع اسرائيل فان اتفاقا مصريا ـ

اسرائيليا يمكن وضعه » ·

واعرب كارتر في المؤتمر الصحفي نفسه عن اعتقاده بان السادات يتحدث بقدر ما تسمح به امكانياته باسم العالم العربي ·

كانت هذه اول جرعة ـ قدمتها الدبلوماسية الاميركية لقبول التخلي عن جنيف او لعقد اتفاق منفصل بين مصر واسرائيل ····

● في اول كانون الاول قال سايروس فانس وزير الخارجية الاميركي انه يتعين على « الولايات المتحدة » ان تركز جهودها على « مؤتمر القاهرة » وفي اليوم نفسه صرح هودينغ كارتر المتحدث باسم الخارجية الاميركية بأن الولايات المتحدة لم تعد تبني آمالا كثيرة على فرص اشتراك وفود جديدة في مؤتمر القاهرة · وقال ان الولايات المتحدة لم تطلب من مصر تأجيل اجتماع القاهرة ، وان كانت قد طلبت مهلة ايام قليلة للحصول على موافقة دول أخرى على الاشتراك في الاجتماع · وأوضح ان الجهود الاميركية في هذا المجال قد فشلت ·

في الوقت نفسه نشرت صحيفة « نيويورك تايمز » رواية مؤداها ان واشنطن وجهت الى الرئيس المصري قبل ساعات من اعلانه اقتراح عقد اجتماع تمهيدي لمؤتمر جنيف في القاهرة رسالة تدعوه فيها الى التخلي مؤقتا عن هذه الفكرة · وأضافت انه بناء على اصرار الادارة الاميركية التي كانت تخشى ردود فعل العواصم العربية الاخرى والنتائج التي قد تترتب على اقتراح السادات بالنسبة الى احتمالات استئناف اعمال مؤتمر جنيف وافق الرئيس المصري على تأجيل اجتماع القاهرة الى ١٣ كانون الاول :

واوضحت « نيويورك تايمز » انه في ٢٥ تشرين الثاني الماضي ـ اي عشية القاء السادات خطابه في مجلس الشعب ، ـ الذي احتوى على الدعوة للاجتماع التمهيدي ـ علمت الخارجية الاميركية بالطرق الدبلوماسية بمبادرة الرئيس المصري الجديدة ، وبعدما اعطى الرئيس كارتر موافقته وجهت الى القاهرة رسالة عاجلة في محاولة لاقناع السادات بالتخلي عن فكرته · وبعد فشل هذه المبادرة « حاول الاميركيون تأجيل الاجتماع الى ١٤ كانون الاول ، وبذلوا في الوقت نفسه جهودا استمرت اربعة ايام لاقناع السوفيات بالاشتراك في الاجتماع · وخلصت الصحيفة الى القول ان الجهود الاميركية فشلت ، مما حمل واشنطن في ٢٩ـ١١ على تعيين الفرد اثرتون ممثلا لها في اجتماع القاهرة ·

● في ٣ـ١٢ صرح كيسنجر ـ قبيل اجتماع له مع وزير الخارجية فانس ـ بأنه يؤيد عقد اتفاق مصري ـ اسرائيلي منفصل بعد مؤتمر القاهرة المقبل بالرغم من انه يفضل التسوية الشاملة مع كل اطراف النزاع ·

وهكذا يلاحظ ان كيسنجر انما كان يعبر عن وجهة النظر الاميركية التي عبر عنها كارتر نفسه وغيره من المسئولين الاميركيين في الآونة الاخيرة ، والتي تعطي جرعات محسوبة من تمهيد الاجواء لاتفاق مصري ـ اسرائيلي ، كنتيجة ممكنة لمبادرة السادات · ويدعم هذا اعتقاد يتردد في واشنطن بان سياسة كيسنجر لا تزال هي في خطوطها الاساسية واهدافها السياسية التي تنتهجها الولايات المتحدة حتى الآن ·

● في ٥ـ١٢ اعلنت الولايات المتحدة خطوات للتحرك النشط لدعم مبادرة السادات :

فانس يزور منطقة الشرق الاوسط ، ويسبق ذلك تحرك آخر يقوم به فيليب حبيب لـــدى موسكـــو ٠

وقد أعلنت واشنطن ان التحرك الجديد يرمي الى دعم المحادثات المباشرة بين تل ابيب والعرب ٠ وان فانس سيقوم بجولته في الشرق الاوسط للتحضير لاجتماعات اخرى بيـن تل ابيب والدول العربية ٠ وقال الناطق باسم الخارجية الاميركية ان بلاده مهتمة بعقـــد مباحثات مباشرة في اي مكان ، « ونحن نعتقد ان افضل وسيلة لحل القضايا الاساسية هي المحادثات وجها لوجه » ٠

وقال ان فانس لن يحمل معه اية اقتراحات جديدة ، ولكنه سيؤكد ويوضح الدعم الاميركي للمشاورات الاسرائيلية المصرية المباشرة ٠

وكان يسيرا على وكالات الانباء والصحف التي نشرت تصريحات المتحدث الاميركي ان تعقب بانه لم يذكر شيئا عن مؤتمر جنيف ، واكتفى بالاشارة الى « المحادثات التي تدعمها الولايات المتحدة في منطقة الشرق الاوسط » ٠

● في ٦ـ١٢ اعلن سايروس فانس في مؤتمر صحفي ـ ولاول مرة بصورة صريحة ـ انه « من الممكن تحقيق تسوية دون مؤتمر جنيف » ٠ وشدد على ان الهدف من جولته فـي الشرق الاوسط هو دعم خطوات ومبادرات السادات ، وقال ان زيارة السادات لاسرائيل « بدأت عملية لا تقبل الرجوع الى الوراء » ٠ وشن فانس هجوما شديدا على الاتحـــاد السوفياتي بسبب موقفه من مبادرة السادات الاخيرة ، الامر الذي اعتبر بمثابة تأكيـــد لتخلي واشنطن بصفة شبه نهائية عن جنيف ٠

في اليوم نفسه غادر فيليب حبيب (الرجل الثالث في وزارة الخارجيـــة الاميركية) موسكو بعد محادثات دامت يومين دون ان يحقق اي تقدم نحو اقناع الزعماء السوفيـات بالمشاركة في اجتماع القاهرة ٠

ولعل من المناسب ان نذكر تحليلا لوكالة الصحافة الفرنسية من واشنطن عن جولـــة فانس وعن مؤتمره الصحفي ٠ فقد ذكرت في هذا التحليل ان واشنطن قررت بايفادهـــا وزير خارجيتها الى الشرق الاوسط الآن ان تخف الى نجدة الرئيس السادات ، في وقت يجد فيه نفسه معزولا اكثر من اي وقت مضى وسط عالم عربي في اوج غليانه ٠ وتخشى حكومة كارتر ان يؤدي ذلك الى تعريض نظام حكم السادات للخطر ٠ وقالت الوكالـــة الفرنسية ان واشنطن تخشى ان تزول فرص التسوية الشاملة ، وان ينشب نزاع مسلـح جديد ، ولكن ليس هذه المرة بين اسرائيل وجيرانها ، وانما بين مصر وليبيا ٠

وفي الاتجاه نفسه كان تحليل صحيفة « نيويورك تايمز » التي رجحت احتمالات نشوب حرب عربية ـ عربية جديدة ، وبخاصة بين مصر وليبيا ٠

وهكذا شيئا فشيئا تتضح خطوط سير الدبلوماسية الاميركية في مرحلة ما بعد رحلـة السادات لاسرائيل ٠ (١) وضع مصر على طريق لا يتصور ان تلتقي عليه الدول العربيـة الاخرى ـ وخاصة دول المواجهة ـ دون ان يكون هذا الالتقاء بمثابة استسلام عربـــي شامل لشروط اسرائيل ٠ ويعني هذا عمليا عزل مصر بثقلها الاستراتيجي والسياســي عن الدول العربية وعن القضية العربية ٠ (٢) ابعاد الاتحاد السوفياتي عن جهود التسوية بالابتعاد اصلا عن صيغة مؤتمر جنيف التي يتمثل فيها الحضور السوفياتي في تلك الجهود

مع استمرار ابعاد الاتحاد السوفياتي سياسيا عن المنطقة واظهاره بمظهر المسؤول عن عرقلة « جهود السلام » . (٣) التركيز على نموذج التعامل المباشر بين العرب واسرائيل، الذي تمثل في زيارة السادات ، وفي اجتماع القاهرة الذي لا يكاد يخرج في التحليل النهائي عن كونه محادثات ثنائية مصرية اسرائيلية ، يدخل فيها الاسرائيليون القاهرة رسميا لاول مرة ليصبح ذلك – فيما بعد – نمطا مقبولا ، وتنطبق عليه قاعدة « ان ما حدث قد حدث » التي طرحت ضمن التبريرات المقدمة للخطوات الفجائية غير المحسوبة .

● في ٨–١٢ كتب جيمس ريستون كبير معلقي « نيويورك تايمز » يقول ان احد اهداف جولة فانس في الشرق الاوسط « ان واشنطن تحاول ان تقنع السادات انه ذهب بعيدا جدا وسريعا جدا ولكن علنيا جدا ، وانه بحاجة – لان يبطىء . فحتى اكثر الهتافين لسياسة السادات التصالحية مع اسرائيل مشوشون وقلقون الآن ، وذلك بسبب دبلوماسيته التلفزيونية العلنية » .

● في ٩–١٢ بدأ فانس جولته بمحادثات في القاهرة مع السادات . وقد صرح قبل وصوله الى القاهرة (في بروكسل) بان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في نزاع مباشر حول اجتماع القاهرة ، وان الاتحاد السوفياتي يرغب في التوصل الى تسوية شاملة وهدفه لا يزال مؤتمر جنيف . ولكنه اضاف قائلا انه يعتبر اجتماع القاهرة « خطوة مفيدة الى الامام » وان المشتركين فيه يتطلعون الى تسوية شاملة لا جزئية . « القاهرة لا تلغي جنيف في النهاية » .

● في ١٠–١٢ بعد انتهاء محادثات السادات – فانس صرح الاخير في مؤتمر صحفي مشترك بينهما بقوله : « لا يزال هدفنا هو تحقيق تسوية شاملة وتوجد امور عديدة يجب ان تنجز لتمهيد الطريق نحو عقد اجتماع نهائي يمكن فيه التوصل الى تسوية شاملة » . وسئل فانس : ما هو الدور الاميركي في الخطوات المقبلة في المستقبل سواء في جنيف او في التسوية النهائية ، ما هي الالتزامات الاميركية ؟ فأجاب : اننا سنقوم بدورنا المساند للمبادرة التي اتخذت من جانب الرئيس السادات ورئيس الوزراء بيغن .

في اليوم نفسه ، وبعد ان انتقل الى اسرائيل ، صرح فانس بان الولايات المتحدة تقدم دعمها الكامل « لمبادرات السلام المصرية – الاسرائيلية » ، وقال انه جاء الى الشرق الاوسط لان الولايات المتحدة تريد المساعدة في المحافظة على هذا الزخم باتجاه التسوية الذي بدأته اسرائيل ومصر . واضاف « ان السادات في محادثاته اكد رغبته باجراء حوار مباشر بين الاطراف ، وهو ما ندعمه من كل قلبنا ونود ان نفعل كل ما باستطاعتنا للمساعدة على تقدمه . وبتحركنا الان الى الامام بحثا عن السلام ، اريدكم جميعا ان تعلموا اننا نشارك بالآمال نفسها ، وانكم تتمتعون بالدعم الكامل وبصداقة الولايات المتحدة » .

وفي واشنطن قال الرئيس الاميركي كارتر – في حديث مع رؤساء تحرير عدد من الصحف الاميركية – انه يأمل ويتوقع من اسرائيل ان تبدي تجاوبا مع مبادرة الرئيس السادات ، وان تقدم ردا ايجابيا على سياسة الانفتاح التي تتبعها مصر .

واعرب كارتر – من ناحية اخرى – عن امله في ان تواصل السعودية مساندتها لمصر، وان تؤيد – ولو بطريق ضمني – مبادرات الرئيس المصري .

● في ١١–١٢ – في تل ابيب بعد انتهاء محادثاته مع الاسرائيليين – قال فانس ان

مؤتمر القاهرة سيبحث في المسائل الاجرائية والاساسية معا · وكرر القول بأن الولايات المتحدة تأمل في الوصول الى تسوية شاملة في الشرق الاوسط · كما قال ان الاحتمال وارد بان تحضر الدول التي رفضت تلبية الدعوة الى اجتماع القاهرة في وقت لاحق ، « علينا البدء بمحادثات القاهرة ثم نرى ما قد يحدث » ·

واضاف فانس « ان الاتحاد السوفياتي بصفته الرئيس المشارك لمؤتمر جنيف يتحمل مسؤولية جدية ، الا اني لا اريد ان اعلق على دوره · اما دور الولايات المتحدة في المستقبل فهو دعم محادثات القاهرة » ·

على وجه العموم فقد تشابك الموقفان الاميركي والسوفياتي كثيرا على نحو يكشفه اكثر عرض تطورات ردود الفعل السوفياتية والمواقف التي اتخذتها موسكو منذ الزيارة· ويمكن بعد ذلك تقديم تحليل لهذا التشابك وما اسفر عنه من اتجاهات متضادة ·

الاتحاد السوفياتي

على الرغم من ان زيارة السادات لاسرائيل تشكل حلقة من سلسلة المفاجآت غير السارة التي صعقت الدبلوماسية السوفياتية في الشرق الاوسط ، وخاصة من جانب النظام المصري على مدى السنوات السبع الماضية (سنوات حكم الرئيس انور السادات) ، الا ان هذه المفاجأة بالذات لها طبيعة نوعية خاصة تختلف بها عن المفاجآت العديدة السابقة ، طرد الخبراء والفنيين السوفيات (١٩٧٢) والهجوم على الاتحاد السوفياتي بعيد حرب تشرين (اكتوبر) مباشرة (١٩٧٣) ، وتوقيع اتفاق فصل القوات الثاني في سيناء ، وما تضمنه من امتيازات استراتيجية ودبلوماسية للولايات المتحدة (١٩٧٥) ، والغاء معاهدة الصداقة والتعاون المصرية ـ السوفياتية (١٩٧٦) ·

معظم تلك المفاجآت السابقة كان خاصا ـ الا بالاحرى موجها الى الاتحاد السوفياتي، في اساسه · ولم يكن هناك ـ الى ان اعلن السادات عن عزمه على زيارة اسرائيل ـ شيء يوحي بان تلك المفاجآت يمكن ان تكتمل بمفاجأة التوجه الى اسرائيل مباشرة ·

كذلك لا بد من ان يوضع في الاعتبار ان مفاجأة « الزيارة » وضعت الاتحاد السوفياتي امام صعوبة معينة ، ترجع الى انه طوال سنوات « الازمة » دافع عن فكرة « الحل السلمي » ـ وان لم يدافع عن « المفاوضات المباشرة » · الا ان وقوف الاتحاد السوفياتي بقوة وراء مبدأ الحل السلمي جعل لجوء السادات الى شعار صنع « السلام » كمبرر لخطوته المفاجئة يبدو كانه يلتقي مع سياسة سوفياتية دائمة · فضلا عن انه جعل الاتحاد السوفياتي ـ في حال معارضته « مبادرة السادات السلمية » يظهر كانه يقف ضد مبادىء عزيزة عليه دافع عنها باستمرار في سياسته الخارجية هي مبادىء السلام والتعاون الدولي وحل المشكلات العالمية بالطرق السلمية ·

وكان الشيء المشترك بين مفاجأة « الزيارة » ومسلسل المفاجآت غير السارة السابقة عليها انها سحبت البساط مرة اخرى من تحت أقدام الاتحاد السوفياتي بعد ان كان قد حدث تهيؤ عالمي شبه كامل لعملية البحث النهائي عن حل شامل ، من خلال مؤتمر جنيف الذي يشارك الاتحاد السوفياتي الولايات المتحدة في رئاسته ، ويمثل من خلال هذه المشاركة الكابح لجماح الاندفاع الكامل للسياسة الاميركية في تأييد مطالب اسرائيل وشروطها ·

ولعل من المهم ان نضيف الى هذا وذاك ان الاتحاد السوفياتي ربما فوجيء بانخفاض

حدة رد الفعل العربي ، ــ على مستوى الشمول ــ عما يمكن ان يكون متوقعا ، الامر الذي يجعل تقدير حسابات الموقف السوفياتي اصعب مما لو كان رد الفعل العربي في شموله في مستوى حدة « الانحراف » الذي وجهت الزيارة نحوه التطورات · ولقد كان الاتحاد السوفياتي دائم الاهتمام بالتنبيه الى اهمية عامل التضامن العربي ووحدة الموقف العربي في مواجهة اسرائيل والصهيونية والامبريالية الاميركية · ولهذا فان وقوف موسكو ــ بعد « الزيارة » ــ مع « جبهة » ضد « جبهة » في الوطن العربي لا بد قد شكل صعوبة اخرى امام الدبلوماسية السوفياتية بعد الزيارة · وقد سهل ذلك فعلا على الاطراف المؤيدة للزيارة ــ وبالتحديد على السادات نفسه ــ اتهام الاتحاد السوفياتي « بشق الصف العربي » و « العمل ضد تضامن الامة العربية » ··· الخ ·

وصحيح ان « الزيارة » اسهمت في تعميق ازمة قائمة بالفعل بين موسكو ونظام السادات ، الا انها عمقت بالقدر نفسه وللسبب نفسه « معاناة » الدبلوماسية السوفياتية من تطورات ازمة الشرق الاوسط · لانها تقلل من قدرتها على الحركة ما دامت مضطرة لالتزام موقف الدفاع في مواجهة الدول العربية الاثقل وزنا ، فالدبلوماسية السوفياتية تجد نفسها مضطرة لتأييد طرف في ازمة الشرق الاوسط ــ هو الطرف العربي ــ لا يعينها على تأييده ، بل يضع العراقيل ويذهب الى حد نسف الدور السوفياتي · وبعد الزيارة فان اتجاه التطورات يشكل بالنسبة للدبلوماسية السوفياتية اختبار قوة ربما لم تواجهه من قبل منذ تحولها الى التأييد الشامل للقضية العربية الذي تكرس في حرب السويس (١٩٥٦) واستمر ثابتا لا يتجه بأي قدر نحو مصالحة او حتى مهادنة مع الصهيونية او اسرائيل من وقتها للان ·

ويمكن القول ان اهم ملامح هذا الاختبار ان الدبلوماسية السوفياتية تجد الآن اطارا للعمل اقرب الى المنظمات الجماهيرية والثورية منه الى اطار نظم الحكم العربية ، وهو عكس الوضع الذي اعتادت هذه الدبلوماسية على العمل فيه طوال عشرات السنين الماضية · وهذا الوضع ــ بدوره ــ يفرض مصاعب جديدة نظرا لظروف العمل الجماهيري والجبهوي المعروفة في الوطن العربي على اختلاف انظمة الحكم في اقطاره المختلفة · ولا يخفف من هذه المصاعب الا عامل الاستقطاب الذي ادت اليه « الزيارة » في الوطن العربي ، حيث تكتلت بوضوح دول عربية معينة ضدها ونشطت في العمل لمقاومة الاتجاه الذي تمثله ، وان لم تستطع ــ للان ــ ان تتكتل بالوضوح نفسه دول عربية ربما تضمر تأييدا للزيارة ومغزاها وتنتظر ان يهدأ غبار ردود الفعل « الانفعالية » الاولية · ففي وضوح اهداف التكتل « الرافض » ما يمكن الاتحاد السوفياتي من رسم سياسته واتخاذ قرارات تجعل لدوره فاعلية اكبر في المرحلة التالية ، بما لتلك الفاعلية من اهمية للمصالح السوفياتية والعربية على السواء حيثما التقت هذه المصالح ·

● في ١٨ــ١١ كان اول هجوم عنيف وصريح من الاتحاد السوفياتي على « مبادرة » السادات ، حيث ركزت صحيفة « برافدا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفياتي على « حملة الاحتجاجات التي اثارتها مبادرة رئيس النظام المصري » في العالم العربي · وأبرزت « برافدا » بشكل خاص موقف سوريا ودعوتها للاشقاء العرب الى اتخاذ مبادرات تسمح باحباط النتائج الخطيرة للقرارات المصرية ، والى البحث في التدابير التي تعيد الى الامة العربية قوتها ووحدتها كي تستطيع التصدي للمشاريع الصهيونية ·

وفي اليوم نفسه كتبت صحيفة سوفياتية اخرى ، تعد اقل تعبيرا عن وجهة النظر الرسمية من برافدا ــ هي صحيفة « الصناعة الاشتراكية » ــ تعليقا اكثر وضوحا في

معارضة « مبادرة » السادات · اذ كتبت مقالا بعنوان « الى احضان الاستعمار » اكدت فيه ان الزيارة ستشق العالم العربي وتجعله العوبة في ايدي الامبريالية الغربية · واضافت قائلة : « لا شك في ان بعض الدوائر لا تخفي رضاها عن الصفقة بين السادات ومناحيم بيغن لان التفاهم الحبي بين الرجلين لبدء مفاوضات منفصلة تخدم الامبريالية · ان قوى الامبريالية والرجعية تخاف من وحدة الدول العربية ، التي تهدد مخططاته في الشرق الاوسط ، لكن الكلمة الفصل ستبقى لشعوب الدول العربية » ·

وذكرت الصحيفة ، بان اسرائيل سعت طويلا الى استبدال جنيف بعقد الاتفاقات المنفصلة مع الدول العربية كل على حدة · ان ذلك يتم لان اسرائيل تريد شق وحدة الدول العربية ومنع تحقيق مطالب الشعب العربي في فلسطين ·

وهكذا نجد ان ردود الفعل السوفياتية السابقة مباشرة على اليوم الاول للزيارة اتسمت بالتركيز على الاسباب العربية لمعارضة الزيارة ، اكثر منها على الاسباب السوفياتية او الدولية ، ومن بين هذه الاسباب التركيز على خطر شق الصف العربي · فلم تورد الصحف السوفياتية شيئا عن خطر محاولات ابعاد الاتحاد السوفياتي نفسه عن التسوية · بمعنى ان رد الفعل السوفياتي الاول كان ابراز رد الفعل العربي باعتباره رد الفعل المباشر والمشروع ، او ان رد الفعل العربي كان واجهة رد الفعل السوفياتي ·

● في ١٩_١١ ــ اليوم الاول للزيارة ــ ظهر اول اتهام سوفياتي للسادات بأنه يسعى الى توقيع اتفاق منفصل مع اسرائيل ، وقد جاء هذا الاتهام في مقال لصحيفة هي ايضا اقل تعبيرا عن وجهة النظر الرسمية من برافدا ــ هي صحيفة « الحياة الزراعية » التي وصفت زيارة السادات لاسرائيل بانها « حج » قد يؤدي الى « اضعاف القوات المصرية المسلحة » · بل أضافت ان حكومة مناحيم بيغن رئيس وزراء اسرائيل « تهدف بوضوح الى اعداد وشن نزاع مسلح جديد في الشرق الاوسط · ان تل ابيب تعتمد على ان السياسة القصيرة النظر التي تنتهجها القيادة المصرية قد اضعفت الكفاءة القتالية للقوات المسلحة المصرية · وحكومة بيغن تقوم باستغلال ذلك في محاولة لعقد صفقة منفصلة مع مصر مبعدة اياها عن الجبهة المشتركة للدول التي تقاوم العدوان الاسرائيلي ثم تقوم بعد ذلك بتسديد ضربة اساسية الى سوريا » ·

وفي هذا التعليق بدأت ملامح تحليل سوفياتي للاهداف والنتائج المحتملة لزيارة السادات لأسرائيل · ولكن عدم صدور هذا التحليل مباشرة عن « برافدا » او في بيان رسمي يعطي مؤشرا الى ان موسكو لا تعتبر هذا التحليل نهائيا ، او الى ان موسكو لا تعتبر « التوقيت » ملائما حتى ذلك الوقت لاعلان هذا التحليل بصفة رسمية حكوميا او حزبيا ·

اما الموقف الرسمي فقد عكسته وكالة « تاس » السوفياتية في اليوم نفسه حين وصفت « الزيارة » بانها احد مظاهر « سياسة الاستسلام » ، وقالت « ان اعمال الرئيس المصري هي من صنع الولايات المتحدة وبعض الدول البورجوازية التي حثت القاهرة بكل الوسائل على اجراء مفاوضات منفصلة من وراء ظهر العرب » · ولاحظت « بأسف » ان السادات « قام برحلته على الرغم من اعلان رئيس الوزراء ــ الاسرائيلي ان تل ابيب ليست مستعدة للتفاوض حول الانسحاب من كامل الاراضي العربية المحتلة واقامة دولة فلسطينية » ·

وهكذا فان التعليق الاكثر رسمية من جانب موسكو يرى ان الولايات المتحدة هي صانعة

قرار السادات بزيارة اسرائيل ، وان الهدف الرئيسي منها هو تسوية منفصلة بين مصر واسرائيـــل ٠

في اليوم نفسه ـ ١٩ـ١١ ـ بعث الرئيس السوفياتي بريجنيف برسالة الى الرئيـــس الاميركي كارتر ـ هي الثانية بينهما خلال ١٠ ايام ـ وتوصي اناتولي دوبرينين السفيـر السوفياتي في واشنطن تسليم الرسالة خلال اجتماعه بكارتر « للبحث في قضايا الشـرق الاوسط » ٠ ولم يذع شيء ، من الجانب السوفياتي (ولا الاميركي) عن مضمون تلـك الرسالـــة ٠

● في ٢٤ـ١١ بعد اربعة ايام من خطاب السادات امام « الكنيست » ورد بيغن عليـه كان خط التحليل السوفياتي مستمرا في التركيز على ان الزيارة هي « محاولة للعمل مـن وراء ظهر العرب » ، وقالت صحيفة «موسكو فسكايا برافدا » (الناطقة بلسان الحـزب الشيوعي لمنطقة موسكو) في مقال على هذا العنوان نفسه : « بعد ان ذهب البريـــق صار من الواضح ان محادثات السادات مع مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي كانت حوار طرشان » ٠ واضافت « أن السادات وبيغن تجاهــلا المشكلات الرئيسيـة للشـرق الاوسط في خطابيهما أمام الكنيست الاسرائيلي ٠٠٠ وبعبارة اخرى فانهمـا يبحثان في كيفية تقرير مشكلاتهما على انفراد » ٠

وجاءت اول اشارة من جانب الصحافة السوفياتية الى تعارض اتجـــاه مبـــادرة السادات مع الاتجاه السابق عليها نحو عقد مؤتمر جنيف لتحقيق تسوية شاملة في تعليق لصحيفة « برافدا » (٢٤ـ١١) كتب بهدف الرد على تحليلات الصحف ووسائل الاعـلام المصرية لزيارة السادات ٠ لقد قالت « برافدا » ان الصحف المصرية ادعت ان زيـــارة السادات ستمهد الطريق امام استئناف مؤتمر جنيف ، « ولكن بحكم الانباء الاسرائيلية فان زيارة السادات ينظر اليها في اسرائيل على اساس انها بدايـــة اتصالات ثنائيـــة منفصلـــة » ٠

● في ٢٩ـ١١ جاء اعلان اول موقف سوفياتي عملي ضد تداعيات زيـــارة السادات وآثارها عندما اعلن الاتحاد السوفياتي رفضه الدعوة الموجهة اليه من القاهرة لحضـور اجتماع القاهرة التمهيدي ٠

والامر الجديد بالملاحظة ان اعلان الموقف السوفياتي من دعوة القاهرة جاء بعد زيارة وزير الخارجية السورية عبد الحليم خدام لموسكو ومحادثاته مع المسؤولين السوفيات ٠ مما يؤكد ان موسكو كانت بحاجة الى الاطمئنان الى موقف عربي واضح ومحدد ضـــد مبادرة السادات لكي تستند اليه في اتخاذ موقف سلبي من تلك المبادرة ٠

فبعد محادثات مطولة بين خدام ووزير الخارجية السوفياتي غروميكو اعلن الاخير ان الاتحاد السوفياتي « لا يستطيع ان يؤيد مبادرات الرئيس السادات نحو اسرائيـــل » ٠ وقال انه مع ذلك ليس ضد البحث عن تسوية سلمية في الشرق الاوسط ولكنه يقف ضد محاولات شق العالم العربي ٠ وقال غروميكو ان الاتحاد السوفياتي يعمل باستمرار لايجاد تسوية سلمية في المنطقة بالتعاون مع دول المواجهة العربية بما يضمن مصالح الـــدول العربية ككل ، وان الاتحاد السوفياتي لا يستطيع ان يؤيد مبادرة فردية كمبادرة السادات التي تمثلت في زيارته لاسرائيل وقيامه باتصالات منفردة مع زعمائها ، وكذلك دعوته الى اجتماع تحضيري في القاهرة تمهيدا لعقد مؤتمر جنيف ٠

وتابع وزير الخارجية السوفياتي قائلا : « انني لا ارغب في ان اصـــدر احكاما او استنتاجات مسبقة بالنسبة لمصير مؤتمر جنيف ، الا ان المرء يستطيع ان يقول ان خطط الرئيس المصري وضعتنا في موقف اكثر صعوبة من ذي قبل وان الصعوبات امام عقـــد هذا المؤتمر قد تضاعفت ، ودعونا ننتظر ونرى » ٠

ويمكن القول بان رفض الاتحاد السوفياتي حضور اجتماع القاهرة التمهيدي بعـــد انتقاده لزيارة السادات لاسرائيل كان نقطة فاصلة في التطورات الدولية التي احاطـــت بالزيارة وتداعياتها ٠ لا تقل اهمية ـ ان لم تفق ـ قرار الولايات المتحدة بالموافقة علـــى المشاركة في ذلك المؤتمر ، ذلك ان رفض موسكو الاشتراك في هذا الاجتماع قد جرده ـ الى حد كبير ـ من صفته كاجتماع تمهيدي لمؤتمر جنيف ٠ ومن ناحية اخرى فان انتقال موقف « الرفض » السوفياتي لمبادرة السادات من حيز السياسة الاعلامية الى حيز الموقـــف الرسمي والعملي كان له تأثير مشجع بالنسبة لموقف « الرفض » العربي الذي يتبلور في طرابلس ٠

ومن الجدير بالملاحظة ان موافقة الولايات المتحدة على حضور اجتمـــاع القاهرة ، ورفض الاتحاد السوفياتي له ، جاءا في يوم واحد ، مما يمكن ان يوحي بان كلا مـــن الطرفين كان ينتظر معرفة موقف الاخر حتى آخر لحظة ممكنة ٠ وكما ان الولايات المتحدة حتى آخر وقت تحتفظ بالامل في اقناع السوفيات بالموافقة على حضور الاجتماع ، فـأن السوفيات كانوا يحتفظون بتصور بان رفضهم يمكن ان يؤثر على الموقف الاميركي بحيث يدفع واشنطن للوقوف بعيدا عن اجتماع القاهرة تمسكا بما تم بينهما من اتفاق على ان يكون جنيف هو الطريق ٠

وقد اكدت التعليقات التالية للصحافة السوفياتية ان موسكو وجـــدت في موافقـة واشنطن على حضور الاجتماع تصرفا غير متوقع بدرجة ما ، وفي الوقت نفسه نبهت الى ان حضور واشنطن يتنافى مع جنيف ٠

● في ١ـ١٢ انتقد الاتحاد السوفياتي بشدة قبول الولايات المتحدة حضور اجتمـــاع القاهرة ٠ وقالت مجلة « الازمنة الحديثة » السوفياتية . ان هـــذا الموقف الاميركـي يشكل نوعا من الضغط على الدول العربية ، حيث ان معظم هذه الدول يعارض حضـــور هـــذا الاجتمـــاع ٠

● في ٢ـ١٢ اذاعت وكالة « تاس » بيانا عن محادثات اجراها طارق عزيز الممثـــل الشخصي للرئيس العراقي مع الرئيس بريجنيف ، وجاء فيه « ان اهتماما خاصا قد أعير الى الوضع في الشرق الاوسط » واضافت ان الجانبين اكدا على اهمية مشاورات القوى التقدمية في العالم العربي على الاساس المعادي للامبريالية ، والتوطيد للتعاضد مـــع حلفائها الطبيعيين ، الاتحاد السوفياتي والدول الاخرى للمنظومة الاشتراكية ٠ كما ذكرت « تاس » انه « تم الاعراب كذلك عن التأييد الثابت للنضال البطولي الـــذي يخوضـه الشعب العربي الفلسطيني من اجل حقوقه الوطنية المشروعة والاستعداد لمواصلة تقديـــم المساعدة الى حركة المقاومة الفلسطينية ، احدى الفصائل الطليعية لحركـــة التحـرر الوطنـــي العربيـــة » ٠

في اليوم نفسه حذر يوري فوكين ممثل الاتحاد السوفياتي في الامم المتحدة من ان اي توقيع لاتفاقيات سلام منفردة بين اسرائيل ومصر من وراء ظهر بقية البلدان العربية يؤدي الى نسف مؤتمر جنيف ٠ وقال : « اذا ما فشل مؤتمر جنيف من جراء هذه المؤامـــرات

فان المسؤولية تقع على من كانت لهم اليد الطولى في ذلك » ٠

وواصلت « تاس » تحميل الولايات المتحدة مسؤولية هذا الاتجاه فقالت ان تاييد الولايات المتحدة « لتعميق الاتصالات المصرية ـ الاسرائيلية المنفصلة عن طريق الاشتراك في مؤتمر القاهرة يقوي الانقسام في صفوف الدول العربية » ٠ واضافت ان واشنطن لعبت دورا رئيسيا في اقامة هذه الاتصالات واكدت ان الرغبة في فرض حل منفصل وتحاشي جنيف سيزيدان صعوبة تحقيق السلام في الشرق الاوسط ٠

وقد ألحت موسكو على هذا التحليل في صحفها بصورة يومية منذ ذلك الوقت مؤكدة على مسؤولية الولايات المتحدة عن التطورات الجديدة ، متوقعة ان تؤدي الى تسويات منفصلة والى نسف مؤتمر جنيف والى استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية ٠و « بث الفرقة والانقسام داخل جبهة الشعوب العربية » (صحيفة « سيلسكايا جيزن » وهي صحيفة ناطقة باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ـ في ٣ـ١٢) ٠

● في ٤ـ١٢ خطت موسكو خطوة اخرى عملية باعلان تاييد واضح وقوي لمؤتمر طرابلس للزعماء العرب المناهضين لسياسة السادات ٠ وقالت صحيفة « برافدا » ان هذا المؤتمر دليل على تعزيز القوى « لمصلحة تسوية عادلة وشاملة » ٠

وقالت « برافدا » ـ في الوقت نفسه ـ ان المحادثات التي جرت في موسكو خلال الاسبوع الماضي بين الزعماء السوفيات ومسؤولين من سوريا والعراق واظهرت بوضوح ثبات السياسة السوفياتية في شؤون الشرق الاوسط ٠ واضافت ان موقف الاتحاد السوفياتي بصدد مسالة الشرق الاوسط لا يزال غير قابل للتغيير ، اي ايجاد تسوية شاملة للنزاع الاسرائيلي واستبعاد امكانية اجراء مفاوضات من اجل سلام منفرد واشتراك كامل للممثلين الشرعيين للشعب العربي الفلسطيني ٠

● في ٨ـ١٢ ـ عشية بدء وزير الخارجية الاميركي فانس جولته في عواصم الشرق الاوسط ـ اعلنت موسكو ان تصريحات فانس الرامية الى استبدال مؤتمر جنيف بمؤتمر القاهرة « متناقضة بصورة مباشرة مع البيان السوفياتي ـ الاميركي » الذي كان قد صدر في ١ـ١٠ـ١٩٧٧ ٠ وقالت ـ في بيان لوكالة « تاس » ـ ان دوائر محددة في الادارة الاميركية تحاول ان تضغط على دول المواجهة العربية لحملها على حضور اجتماع القاهرة ٠

وكان البيان السوفياتي ـ الاميركي المشار اليه قد نص على انه يتوجب عقد مؤتمر جنيف قبل نهاية هذا العام وباشتراك كافة الاطراف المعنية في سبيل حل المشكلة بشكل شامل ٠

● في ١١ـ١٢ اكدت « برافدا » ان الذين يحاولون نسف مؤتمر جنيف « سيتحملون مسؤولية كبيرة » ٠ واوضحت ان الاتحاد السوفياتي مصمم تصميما شديدا على تحقيق تسوية شاملة للنزاع العربي ـ الاسرائيلي باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية ، الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، وذلك وفق شروط تستبعد مفاوضات السلام المنفصل ٠

واشارت « برافدا » الى ان الرئيس بريجنيف شدد ـ خلال محادثاته مع عبد الحليم خدام وطارق عزيز ـ على ان الاتحاد السوفياتي سيبقى الى جانب قوى الحرية والتقدم التي تناضل في الشرق الاوسط ٠

موقفـــان متشابكان

يتعين بعد هذا التتبع الانتقائي للاحداث والمواقف والاقوال التي صدرت عن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ان نتجه نحو محاولة لتلمس الاتجاهات التي تشكل حصيلـة هذه الجزئيات · ذلك ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي هما الاشد تاثيرا فـي اتجاهات التطورات ، خاصة عندما يبرز الخلاف بينهما الى المقدمة ، ولا يعود الخـلاف في خلفية المشهد · كذلك لان التطورات التي اعقبت زيارة السادات لاسرائيل تمحـورت ــ من منظور دولي ــ حول محورين : (١) جنيف وتسوية شاملة بحضور كل الاطـراف بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية ، (٢) او تمهيدات ثنائية بين اسرائيل ومن يرغـب (مثل السادات) من الدول العربية تمهد لاتفاقات نموذجية ثنائية تحتـذى من غيـر الراغبين فيما بعد ، وقد تمهد لمؤتمر جنيف ، اذا ما امكن جذب مزيد من الاطراف نحـو هذه التمهيدات لتصبح اوسع من ثنائية واضيق من شاملة · والمحور الاول يتبناه بوضوح الاتحاد السوفياتي · والمحور الثاني تتبناه بالمراوغة الولايات المتحدة ·

ونلاحظ ــ فوق مستوى الجزئيات التي استعرضناها ان الولايات المتحدة ــ برغم كـل الحرص الدعائي على التمسك بجنيف والتسوية الشاملة ــ اتجهت نحو الاستغناء عـــن جنيف ، وهو معادل للاستغناء عنه ــ او بالاحرى التخلص منه ــ المشكلات المزمنـة التي رافقت مساعي عقد مؤتمر جنيف ، وعلى رأسها مشكلة التمثيل الفلسطيني · فالولايـات المتحدة تتمسك باستبعاد منظمة التحرير الفلسطينية وتبحث بكل جهد عن ممثـــل بديـل للفلسطينيين ، وفي الموقف الذي خلقته زيارة السادات فان الاتجاه الاميركي يعني نتيجة واحدة هي تسوية مصرية ــ اسرائيلية منفصلة ، مهما قيل في المرحلة الحالية انهـــا « غير مرغوب فيها » فانه يمكن ان يقالبعد ذلك انها الممكن الوحيد في وجه « الرفض » العربـي والدولي ·

وبالمقابل حافظ الاتحاد السوفياتي على تمسكه بمؤتمر جنيف بكل ما يعنيه · وذلـــك تمسكا بالجانب الفلسطيني · وبموقف عربي متحد · وبدور سوفياتي في محاولات التسوية الشاملـــة للازمة ·

فهل تستطيع الولايات المتحدة ان تدفع التطورات في اتجاه التخلص مـــن الجانب الفلسطيني والدور السوفياتي وتفتيت الموقف العربي ؟ يمكن ان ترتفع حدة الخوف من مثل هذا الموقف اذا نجحت في دفع اسرائيل الى تقديم تنازلات جوهرية لمصر في اتفاق ثنائي·· الامر الوحيد الذي يخلق اغراء لاطراف عربية اخرى ، وان لم يؤد ــ عمليا ــ فـــي النهاية الى تقديم مثل هذه التنازلات بعد ذلك لتلك الاطراف التي ستأتي الى الحلبـــة متأخرة · فضلا عن ان شواهد الموقف الاسرائيلي لا توحي للان باستعداد لهذا النوع من التنازلات في اي الاحـــوال ·

ثم هل يستطيع الاتحاد السوفياتي ان يدفع التطورات في اتجاه العودة الى نقطة مـــا قبل « الزيارة » ؟ ام ان وقوع حدث « الزيارة » نفسه يخلق حتمية تغيير نحو موقـــف سوفياتي « رافض » في المعنى نفسه الذي يحمله « الرفض » العربي الراهن ؟ ان الاتحاد السوفياتي يستند في دبلوماسيته الان الى موقف عربي اصلب اقتناعا باهمية الـــدور السوفياتي عما كان عليه هذا الاقتناع قبل « الزيارة » ، وربما كان هذا هو مصدر القوة الاساسي للدبلوماسية السوفياتية في المرحلة الراهنة ، ويتعين على الاتحاد السوفياتـــي في هذه المرحلة ان يعطي كل شعور لكل العرب ــ قابلين ورافضين ــ بان « الوفاق » مع

الولايات المتحدة ليس الاولوية الاولى لسياسته العالمية ، وانه قادر على استخدام ثقله الدولي ، في غير الاتجاه الذي تدفع فيه الولايات المتحدة الاحداث . ومن المؤكد ان التأييد العلني الذي قدمته موسكو لمؤتمر طرابلس مؤشر جيد الى هذه القدرة ، واذا كان التأييد غير العلني الذي قدمه الاتحاد السوفياتي بالاتصالات المباشرة اقوى حتى من ذلك فان هذا يعطي اطمئنانا اكثر للقوى العربية الرافضة لمبادرة السادات .

اوروبـــا الغربيـــة

يمكن القول دون خشية التهوين ان موقف اوروبا الغربية من « الزيارة » والاحـــداث التالية لها هو موقف هامشي بالمقارنة الى موقف الولايات المتحـــدة وموقف الاتحـــاد السوفياتي ، وذلك لاسباب تقليدية اولها موقف التبعية الاوروبية الغربية للدبلوماسيـــة الاطلسية ــ التي تكاد تخضع كلية لنفوذ الولايات المتحدة ، الا فيما يمس مباشرة المصالح الاقتصادية لاوروبا الغربية حين تتعارض او تتنافس مع المصالح الاقتصادية الاميركية .

يضاف الى هذا ان اوروبا الغربية لم تكن قد نجحت ــ رغم رغبة بعض اعضائها ــ قبل زيارة السادات لاسرائيل ــ في ان تؤمن لنفسها دورا في مؤتمر جنيف الى جانب الدولتين الاكبر ، ولهذا فهي لا تستطيع في مرحلة يتمحور فيها الصراع الدولي حـــول « جنيف او لا جنيف » ان تقفز الى دور مؤثر في تطورات الشرق الاوسط .

وتبقى الملامح الاساسية لموقف اوروبا الغربية بعد « الزيارة » كما كانت قبلها . ميل الى التظاهر بدور حيادي ، مع حرص على المصالح الاوروبية (شراء النفط وبيع الاسلحـــة اساسا) مع الدول العربية ، مع حرص على التعاطف الدبلوماسي مع اسرائيل . وربمـــا يمكن القول ان التأييد الذي اظهرته دول اوروبا الغربية ــ كل على حدة ــ لخطوة السادات يرجع الى ان هذه الخطوة كانت خطوة على النمط الاوروبي . وقد ترددت في اوروبـــا الغربية كثيرا مقارنة زيارة السادات لاسرائيـــل بسياسة « الانفتـــاح على الشرق » (الاوستبوليتيك) التي انتهجها المستشار الالماني السابق فيلي برانت ، والتي كانت بمثابة قبول للامر الواقع الذي انتهت اليه الاحوال في اوروبا الغربية ــ وخاصة المانيا ــ فـــي نهاية الحرب العالمية الثانية .

وكانت هذه هي الشرارة التي اوقدت فكرة منح السادات جائزة « نوبل » على اســـاس انه ينتمي الى تلك الفئة من « الاشخاص الفائقين .. الذين يعرفون بقلوبهم ما ينبغي على اممهم ان تريد ولا يترددون في السير في هذا السبيل » (على حد تعبير ثيو سومر رئيس تحرير « دي زايت » الالمانية الغربية .

لقد رات اوروبا الغربية في السادات تحقيقا لعدة مباديء دافعت عنها باستمرار فـــي مواقفها ازاء ازمة الشرق الاوسط وازاء الصراع العربي ــ الاسرائيلي ككل : (١) مبـــدأ قبول « الامر الواقع » ، (٢) مبدأ التخلي عن استخدام القوة ، (٣) مبدأ الامتنـــاع مـــن جانب كل الاطراف على « طلب الحد الاقصى » ، (٤) مبدأ توسيع نطاق الانفراج ليتعدى حدود العلاقات الرسمية ليشمل الناس جميعا .

وهكذا فان كثيرا من ساسة اوروبا الغربية يرون ان السادات قد حقق بزيارتـــه وما اعلنه فيها ما كانوا يدافعون عنه انفسهم خلال سنوات طويلة ، وبطبيعة الحال فان هذا لا يشكل الا نظرة اوروبية غربية الى مشكلة ليست اوروبية غربية ، لا بطبيعتها ولا بظروفها

ولا بتاريخهـــا ٠

واذا كان هناك تمايز دقيق ين مواقف دول اوروبا الغربية الفردية ـ غير بيانـــات المجموعة الاقتصادية الاوروبية والسوق الاوروبية المشتركة ، كالتمايـــز بيـــن موقـف بريطانيا وموقف فرنسا مثلا ، او موقف الاخيرة وموقف المانيا الغربية ، فالحقيـــقة ان هذا التمايز غير ذي دلالة مهمة او مغزى له انعكاسات دولية على تطورات المشكلـــة ٠ ولكن ردود الفعل الاعلامية الاوروبية الغربية تكشف في الحقيقة معرفة ادق بواقع العالم العربي ، وخلفياته التاريخية وسيكولوجيته ، اكثر مما تكشفه اطراف دوليـــة اخرى ٠ وربما كان ذلك راجعا الى حقيقة قرب اوروبا الغربية الجغرافي من المنطقة ، وقربهـــا التاريخي من جذور المشكلة (وخاصة بريطانيا وفرنسا) ٠

● في ١٨ـ١١ قال ديفيد اوين وزير الخارجية البريطاني ان قرار السادات بزيـارة اسرائيل « بادرة جريئة بعيدة النظر » ، واعرب عن امله في « ان تمهد الطريق امـــام استئناف مؤتمر جنيف » ٠

لقد التزمت بريطانيا بالموقف الاميركي تماما على مدى الفترة منـــذ الاعلان عـــن « الزيارة » الى موعد انعقاد اجتماع القاهرة ٠

ولكن الصحافة البريطانية ــ من جانب اخر ـ اجمعت على ان « الزيارة » تنطوي على مخاطر هائلة بالنسبة للسادات ٠ وكتبت صحيفة « الديلي تلغراف » (ذات الاتجاهات اليمينية المؤيدة كثيرا للصهيونية) تقول « ان السؤال الوحيد الذي يجدر طرحه هو معرفة ما اذا كان السادات سيعود من القدس صفر اليدين بعد كل المجازفات التي يكون قـــد اقدم عليها »٠

وأضافت : « اذا عاد السادات مذلولا بالمعنى السياسي للكلمة ، فـــان ذلك سيعنـــي سقوطه في صورة شبه مؤكدة كذلك احتمال حرب جديدة » ٠

وحذرت « الغارديان » من انه اذا قرر السادات حقا التحدث في الكنيست ، وذلـــك في اول لقاء رسمي بين زعماء صهاينة وعرب منذ الاجتماع بين الملك فيصل وحاييــــم وايزمان ، فانه « يهدد باثارة موجة استنكار في العالم العربي يمكن ان تعجل بسقوطه »٠

في اليوم نفسه ، في تل ابيب ، قال ادوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا السابق وزعيم المعارضة المحافظة ان الموقف الدبلوماسي بين اسرائيل ومصر قد تبدل تماما نتيجة هذا القرار ٠ وأضاف « ان مشاعر الحذر والخلافات والالام المتوارثة لا يمكن ان تتبدد بيـــن عشية وضحاها » ، كما قال ان السادات وبيغن ابديا شجاعة فائقة لانهما راهنا بالفعـل على مستقبلهما السياسي ٠

في بون ـ قبل « الزيارة » بيوم واحد ايضا ـ اعلن الناطق بلسان حكومة المانيا الغربية ان حكومته « تحبي كل مايمكن‌ان‌يساهم في خلق ظروف ملائمة لاستئناف مؤتمر جنيف »٠

● في ١٩ـ١١ ذكرت وكالة الصحافة الفرنسية من بروكسل (مقر السوق الاوروبيـــة المشتركة) ان دول السوق التسع لم تنجح في التوصل الى اصدار بيان يعبر عن ارتياحها لزيارة الرئيس المصري لاسرائيل ، وذلك بسبب معارضة فرنسا ٠ وقالت الوكالة ـ نقلا عن مصدر اوروبي ـ ان وزارة الخارجية الاميركية كانت قد بذلت مساع بهذا الشان لدى بلجيكا التي ترأس السوق الاوروبية المشتركة في الوقت الحاضر ٠

رغم هذا فان الترحيبات الفردية توالت من دول اوروبا الغربية : بلجيكا وهولندا وايطاليا ، وكذلك الفاتيكان ·

● في ٢٣ـ١١ اتجه الموقف الفرنسي نحو التأييد بصورة لا تختلف عن مواقف دول اوروبا الغربية الاخرى · فاعلن الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان ان مبادرة السادات تخلق مسؤولية تاريخية تحتم علينا الا نخيب الامال التي فجرتها ·

وفي اليوم نفسه اعلنت الحكومة الفرنسية عن استعدادها للمساهمة في الجهود السلمية في الشرق الاوسط ، وقالت ان زيارة السادات الى اسرائيل وضعت حدا نهائيا للعداء وانعدام الثقة بين البلدين · وقد اعلن هذا في بيان صدر عقب الاجتماع الاسبوعي العادي لمجلس الوزراء الفرنسي ·

من جهة اخرى قال رئيس وزراء فرنسا الاسبق منديس فرانس ـ الذي كان عائدا من تل ابيب ، وكان موجودا فيها وقت زيارة السادات « ان بدء حوار اسرائيلي ـ مصري مباشر ، وتعهد كل من الدولتين بعدم شن حروب بعد الان هما تطوران من الدرجة الاولى ، ويجب ان يؤديا الى السلام الحقيقي » ·

● في ٢٤ ـ١١ اعلن وزير الخارجية الفرنسي دو غيرنغو ـ قبيل بدء زيارته لدمشق ـ انه سيحاول اقناع القادة السوريين بان السادات ، لم يتخل عن شيء في زيارته لاسرائيل ، بل انه هدم حائط الحذر وحقق تقدما في مجال السلام ·

الا ان الوزير الفرنسي لاحظ ان«مبادرة الرئيس السادات لم تحظ بتأييد كل الدول العربية ، وانها ادت الى شق العالم العربي » · واكد ان الاهتمام الاول يجب ان يتركز على اعادة الوحدة الى المعسكر العربي من اجل التفاوض مع الاسرائيليين ·

وقال دو غيرنغو ان سبب صمت الحكومة الفرنسية حيال زيارة السادات لاسرائيل هو رغبتها في عدم احراج السادات خلال محادثاته مع الزعماء الاسرائيليين ·

يلاحظ ان فرنسا تحاول ان تتلمس لها دورا ، اولا بمعارضة اتخاذ موقف اوروبي غربي جماعي مؤيد « للزيارة » ، لان ذلك قد يسفر عن نتائج عكسية من جانب الدول العربية الرافضة التي تحرص فرنسا او اوروبا الغربية عموما ، على علاقاتها الاقتصادية معها (وخاصة العراق وليبيا) . وبعد ذلك من خلال محاولة الاشتراك في جهود اقناع العرب بقبول الواقع الذي تم واعادة لم شملهم حول هذا الواقع ، ونحو الهدف نفسه الذي ترمي اليه « مبادرة » السادات · وينطوي هذا على محاولة من الدبلوماسية الفرنسية للتوفيق بين المصالح الفرنسية واتجاهات الدبلوماسية الاميركية في الشرق الاوسط ·

● في ٢٩ـ١١ قالت وكالات الانباء الغربية من بون ان المانيا الغربية ابلغت وزير الخارجية الاسرائيلي دايان ـ اثناء زيارته لها ـ انها تعتبر مستقبل الفلسطينيين القضية الرئيسية في الشرق الاوسط ، واكدت له ان المجموعة الاقتصادية الاوروبية متفقة على ضرورة اشراك الفلسطينيين في اي تسوية شاملة في الشرق الاوسط ·

في باريس قالت صحيفة « لوموند » ـ في مقال بعنوان « مخاطر السلام المنفصل » ان المفاوضات حول جوهر قضية الشرق الاوسط يمكن ان تأخذ اتجاهين : « الاول ان تؤدي الى خطوة بين مصر واسرائيل توصلهما الى سلام منفصل · والثاني ان يتوسع الحوار

المصري ـ الاسرائيلي ليصبح حوارا عربيا ـ اسرائيليا ٠

وقالت « لوموند » انه « من الواضح ان بيغن يريد السلام المنفصل الذي يسهل تحقيقه نسبيا مع مصر ، ذلك ان سيناء ليست حيوية بالنسبة الى اسرائيل التي تستطيع ان تحصل في مقابل التخلي عنها على تحييد اكبر قوة عسكرية عربية » ٠ واعربت عن اعتقادها بأن « مثل هذا السلام لن يحل القضية الاساسية ٠ فالشعب الفلسطيني سيبقى مستعمرا او منفيا ، وستحرق الاحقاد العالم العربي ٠ وبعد فترة من اليأس والهدوء سيصبح الشرق الاوسط ما هو حاليا : برميل بارود جاهز للانفجار ٠ وهذا على الاقل هو رأي الحكومة الفرنسية ٠٠٠ » .

واكدت « لوموند » ان « الحكومة الفرنسية غير مقتنعة بأن الرئيس المصري اتخذ قرارا نهائيا ٠»

● في ١١/٣٠ قال وزير الخارجية الفرنسي انه « اذا لم تحقق الحكومة الاسرائيلية توقعات الرئيس السادات فان بادرته سوف تتعرض للادانة من الدول العربية ، وسيصبح الرئيس المصري معزولا اكثر من اي وقت مضى ٠ ولكن اذا كان بالامكان بدء مفاوضات صادقة حول المشكلات الاساسية في الاسابيع المقبلة سواء في القاهرة او في غيرها ، فانني اعتقد ان الدول العربية التي تصغي لصوت العقل ستنضم الى مصر في المفاوضات ٠

في الوقت نفسه واصلت الصحافة الفرنسية مساندتها لخطوات السادات ٠ وقالت صحيفة « كوتيديان باري » (المستقلة) ان مبادرة الرئيس المصري كانت بمثابة صفعة قوية لجميع العادات التقليدية ، ولكن هناك خطر من ان نجد مصر واسرائيل تسيران في طريق الحوار المنفرد واجراء المفاوضات » ٠

● في ٣ـ١٢ قال الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان ان زيارة السادات لاسرائيل كانت بادرة شجاعة ، ولكنه اضاف « لن يمكن ايجاد حل عادل لازمة الشرق الاوسط الا عن طريق احترام ثلاثة عناصر اساسية هي : جلاء اسرائيل عن الاراضي المحتلة ، وقيام وطن فلسطيني مستقل ، وحدود آمنة معترف بها لجميع دول المنطقة »٠

● في ١٢/٧ كان الوضع في الشرق الاوسط موضوعا رئيسيا في جلسة عقدها رؤساء حكومات دول السوق الاوروبية المشتركة في بروكسل ٠ وقالت مصادر اوروبية ان هؤلاء الزعماء اعربوا عن تأييدهم لتسوية شاملة لنزاع الشرق الاوسط ، كما اعربوا عن معارضتهم لتسوية جزئية بين اسرائيل ومصر ٠

وقد قرر زعماء السوق المشتركة عدم اصدار اي بيان عن النزاع العربي ـ الاسرائيلي، وذلك تلبية لنداء وجهه اليهم ـ من لندن ـ مناحيم بيغن ٠

● في ١٢/٩ ـ على العكس من موقف « الامتناع » الذي اتخذ من جانب المجموعة الاقتصادية الاوروبية ـ اصدر وزراء خارجية دول الحلف الاطلسي بيانا اعلنوا فيه تأييدهم « للتطورات الاخيرة في الشرق الاوسط » واملهم في ان تؤدي الى اقامة سلام عادل ودائم تقبله كل الاطراف المعنية مباشرة بالنزاع العربي الاسرائيلي ٠

وقالت مصادر في بروكسل (مقر الحلف) ان وزراء خارجية حلف الاطلسي اتفقوا على ضرورة حل مشكلة الشرق الاوسط باقامة سلام شامل ، لان اي سلام منفرد لن يعتبر حلا للنزاع القائم في المنطقة ٠

ويبقى الموقف الفرنسي متميزا بصفة خاصة عن باقي المواقف الاوروبية بسبب تفسور فرنسا – رغم كل شيء – من محاولات الولايات المتحدة فرض مواقف معينة على اوروبا الغربية · ومع ذلك فان فرنسا التي اوقفت بغضب محاولة اميركية لاملاء « رسالة اوروبية مشتركة » الى السادات لتأييده ، عادت فتبنت بيان تأييد للسادات – دون ضغط اميركي هذه المرة ، ولكنها وضعت فيه تأكيدا على ان مسؤولية الخطوة التالية تقع على عاتق اسرائيل ·

رومانيـــا

برز اسم رومانيا – ربما اكثر من اية دولة اخرى من الدول التي لا تعتبر اطرافا مباشرة في الصراع العربي – الاسرائيلي او اطرافا مباشرة في محاولات تسوية هذا الصراع – وراء زيارة السادات لاسرائيل ·

بعد نفي غير متحمس ، ثم امتناع عن الافصاح ، خرجت من اكثر من مصدر ، بينهم الرئيس السادات نفسه ، معلومات تفيد ان الرئيس الروماني تشاوشيسكو قام بدور هام في نقل اقتراح اميركي للسادات بان يقوم بزيارة اسرائيل ، وقام بدور اهم في اقناعه بقيمة الاقتراح ·

وتفيد محصلة ما نشر في هذا الصدد في الصحافة العربية والعالمية ، وما صرح به السادات نفسه في احاديث صحفية جرت معه بعد الزيارة ، ان رئيس رومانيا تحمس لاقتراح عرضه الرئيس الاميركي كارتر بترتيب زيارة يقوم بها السادات لاسرائيل · ووعد تشاوشيسكو ببذل الجهود لانجاح هذا الاقتراح اثناء زيارتي بيغن والسادات لرومانيا (وكانتا زيارتين متعاقبتين ، وان لم يلفت ذلك وقتها نظر الكثيرين) ·

وروت مصادر مختلفة ان تشاوشيسكو قال للسادات ان الرئيس الاميركي يريد ان يظهر العرب كصانعي سلام وكطلاب سلام ، وان يظهر الاسرائيليون كصانعي حرب وكطلاب حرب · لان هذه الصورة ستساعد الادارة الاميركية في معالجة الرأي العام داخل الولايات المتحدة ، وتسهل عليها اتخاذ بعض القرارات التي يصعب اتخاذها في الوضع الداخلي الراهن في اميركا ، حيث يسود تأييد شبه كامل لاسرائيل ·

وذكرت المصادر نفسها ان الرئيس السادات تردد في البداية ، ولكنه عاد فاقتنع بعد مناقشات مستفيضة مع رئيس رومانيا ، ووافق على القيام بالزيارة بشرطين : ضمانة اميركية في صورة وعد من الرئيس كارتر بانه سينجز تسوية سياسية ثمنا للزيارة ، وضمانة اسرائيلية يتعهد فيها بيغن بان يكون ايجابيا مع السادات · واتفق على ان يسلم الرد الايجابي على هاتين الضمانتين الى الرئيس الروماني نفسه ليصبح شاهدا عليها · وقد اجرى تشاوشيسكو اتصالات مع واشنطن وتل ابيب وحصل على الضمانتين وابلغهما للسادات ، مع اتفاق بين جميع الاطراف على ابقاء الامر كله سرا ·

وقد اعترف بيغن بدور تشاوشيسكو في الترتيب للقائه بالسادات ، في حديث ادلى به للاذاعة الاسرائيلية يوم ١١/١٨ ، وقال انه ارسل برقية شكر الى تشاوشيسكو على قيامه بهذا الدور · وقال « لقد زرت رومانيا (في ايلول الماضي) وجرت بيننا محادثات طويلة ، واثرنا احتمال ان اجتمع شخصيا مع السادات ، واطلعني الرئيس تشاوشيسكو على معلومات معينة حول هذا الاحتمال · وبعد ذلك قام السادات بزيارة رومانيا (في

اوائل تشرين الثاني) واني اعلن ان شاشيسكو اطلع السادات على مضمون محادثاتنا »· وختم بيغن حديثه بقوله : « لقد قوبلت الامور بارتياح من جانب الرئيس السادات ، وقدم شاوشيسكو خدمة كبرى لعقد هذا اللقاء »·

في اليوم نفسه (١١/١٨) اعلنت مصادر دبلوماسية في بوخارست ان الرئيس شاوشيسكو « كان يعمل منذ شهرين على الاقل في حث اسرائيل ومصر على حوار مباشر » ·

وفي ١١/٢٥ خرجت رومانيا عن صمتها الرسمي بشأن « الزيارة » ورحبت بها صحيفة الحزب الشيوعي الروماني « سينتينا » باعتبارها « خطوة كبرى نحو تحقيق السلام في الشرق الاوسط » ·

ولوحظ ان الصحف الرومانية لم تورد شيئا عن الانتقادات الموجهة للزيارة سواء من جانب الدول العربية « الرافضة » او من جانب دول اوروبا الشرقية الاخرى التي تماثل موقفها مع موقف الاتحاد السوفياتي · انما قالت « سينتينا » ان « التوصل الى تسوية سلمية عن طريق المفاوضات هو الاختيار الوحيد بالنسبة الى الدول المنغمسة في النزاعات » ·

وكانت مناسبة زيارة شاوشيسكو لبلغراد ومحادثاته مع الرئيس اليوغوسلافي تيتو بمثابة تذكير بموقف رومانيا الاساسي من حل ازمة الشرق الاوسط بصرف النظر عن ما يدخل عليها من تطور نتيجة لزيارة السادات لاسرائيل · فقد قال بيان مشترك عن تلك المحادثات ان تيتو وشاوشيسكو طالبا باستئناف عقد مؤتمر جنيف بشأن الشرق الاوسط مع اشتراك جميع الاطراف المعنية ، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية · واتفق الرئيسان على ضرورة انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧، وعلى الاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ، بما فيها حقه في تكوين دولته المستقلة ، وحق كل دولة من دول المنطقة في التطور الآمن والمستقل ·

واعلن الرئيس شاوشيسكو ــ في بيان استعرض فيه السياسة الخارجية في خلال مؤتمر للحزب الشيوعي الروماني (١١/٨) ــ رأيه مباشرة في زيارة السادات لاسرائيل اذ قال : « ان المفاوضات المباشرة تقدم ضمانا يركن اليه بأن التسوية التي يتم التوصل اليها في الشرق الاوسط قابلة للتطبيق وتؤدي الى احلال سلام دائم » · واضاف « ان رومانيا تحبذ دائما تسوية القضايا المتنازع عليها عن طريق المفاوضات المباشرة » · وقال « ان زيارة الرئيس السادات لاسرائيل كانت عملا له اهمية خاصة في تاريخ تلك المنطقة المضطربة » ·

ويمكن القول ان رومانيا لا تجد تناقضا بين اعلانها الالتزام بضرورة جلاء اسرائيل عن الاراضي المحتلة ، وضرورة الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني ــ من ناحية ــ وممارسة دبلوماسية نشطة لا تنطوي على اي ادانة للطرف الذي يحتل اراضي الغير والذي يسلب الحقوق الوطنية الشرعية لشعب فلسطين · ولا يختلف موقف رومانيا من زيارة السادات لاسرائيل ، ودور رئيسها في التمهيد لها ، عن الموقف نفسه الذي اتخذته منذ البداية حينما احتفظت بعلاقاتها الدبلوماسية والقنصلية والتجارية والثقافية والفنية ، بعد العدوان الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ خارجة بذلك عن اجماع القوى الاشتراكية ، بينما اعلنت انها ضد انتزاع المكاسب الاقليمية بالقوة ، وصوتت باستمرار في صف

القرارات الدولية ضد استمرار الاحتلال الاسرائيلي ومع تاكيد حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ٠

ومن الواضح ان الدافع الرئيسي لرومانيا على استيعاب ـ او احتمال ـ هذا التناقض هو رغبتها القديمة والمستمرة في القيام بدور دولي يتجاوز حدود الكتلة الاشتراكيــة ويجعلها في موقع تتخاطب فيه مع العالم الغربي ، وخاصة مع الولايات المتحدة ٠ وقــد وجدت رومانيا في ازمة الشرق الاوسط البؤرة النموذجية لممارسة هذا الدور ، اكثــر مما وجدته في اي مشكلة دولية اخرى ٠

وربما يثير ذلك تساؤلا عما اذا كانت رومانيا بذلك تعمل « حياديا » بين الكتلتين ، او راسي الكتلتين ـ الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ـ او انها تعمل لحساب او بميـل نحو احد هذين الطرفين ؟٠

وبالنسبة لزيارة السادات لاسرائيل ، فان دور رومانيا ورأيها فيها يثير تساؤلا عمــا اذا كانت رومانيا قد نسقت دورها مع الطرفين الدوليين الكبيرين ، ام مع طرف واحـد فقط ، وهو ما اكدته الانباء المتسربة علنا عن هذا الدور السري ؟٠

ونعود فنؤكد ان الدور الروماني يتميز بالتفرد والاختلاف عن موقف دول المجموعــة الاشتراكية ، وليس هناك ما يوحي بتنسيق بين رومانيا وبين هذه الدول فيما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط بالذات ٠ وليس من المتصور ان تضحي هذه الدول بوحدة مواقفها لحساب وجود دولة تلعب دور ضابط اتصال مع الغرب ٠ وقد سبق لرومانيا عدة مرات ـ وبسبب الصراع العربي ـ الاسرائيلي ـ ان شقت وحدة الموقف الاشتراكي ازاء العــدوان الاسرائيلي وازاء استمرار احتلال الارض العربية ٠ ففي ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ رفض شاوشيسكو التوقيع على البيان المشترك للاجتماع الطارىء لزعماء دول اوروبا الشرقيــة في موسكو والذي تعهد فيه هؤلاء الزعماء بأن « يبذلوا كل ما بوسعهم لمساعدة البلدان العربية على رد المعتدي وحماية حقوق العرب المشروعة » ٠

وبدلا من هذا اصدر شاوشيسكو بيانا منفصلا (١٩٦٧/٦/١٠) طالب فيه « بالوقف الفوري للاعمال العدوانية في الشرق الاوسط » ، ودعا الى « مفاوضات بين الاطــراف المشتركة في الصراع » ٠ ودعا ايضا الى « انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة ، وانسحاب كل القوات الى حدود ما قبل القتال » ٠

كذلك امتنعت رومانيا (١٩٦٧/٦/١١) عن حضور اجتماع في بودابست عقــده زعماء احزاب وحكومات اوروبا الشرقية لاجراء مزيد من المفاوضات حول تطــورات الموقف في الشرق الاوسط ٠ وعندما صدر بيان هذا الاجتماع حذفت منه اجهزة الاعلام الرومانية الجزء الذي يتحدث عن « سياسية الغزو التي تنتهجها اسرائيل متحدية القوى المحبة للسلام في العالم كله » ٠

وفي شهر تموز ١٩٦٧ عاد شاوشيسكو للدعوة الى « مفاوضات بين الاطــراف المتحاربــة » ٠

وفي العام التالي (١٩٦٨) انسحب وفد رومانيا من اجتماع بودابست الاستشــاري للاعداد لمؤتمر الاحزاب الشيوعية العالمية بعد ان رفض المجتمعون التنديد بما وجهــه مندوب الحزب الشيوعي السوري من انتقادات للسياسة الخارجية الرومانية ٠

هذه نماذج من الماضي ··· ولكنها شواهد على سياسة رومانيا الخاصة في هذا الموضوع · وهي سياسة تفرضها على رومانيا مصلحة وطنية خاصة بها ، ولم تفرضها جالية يهودية محلية قادرة على ان تفرض قرارا على الدولة او الحزب الشيوعي الروماني ، انما تفرضها فقط اعتبارات سياسة خارجية او دبلوماسية « متميزة » سعت رومانيا دائما الى انتهاجها ، مما لا يبدو معه موقف رومانيا من اسرائيل ، وآخره دورها في ترتيب زيارة السادات ، متسقا مع ملامح اخرى في السياسة الخارجية لرومانيا ، بل الواقع ان موقف رومانيا من اسرائيل هو نموذج مكثف لهذه السياسة ·

ماذا تكسب رومانيا ؟ هذا سؤال ذو طبيعة اقتصادية خالصة ، وكذلك الاجابة عليه ·

يوغوسلافيا

على انه يكفي للحكم على « ميل » الدبلوماسية الرومانية فيما يتعلق بالصراع العربي ـ الاسرائيلي ، مقارنتها باتجاه الدبلوماسية اليوغوسلافية فيما يتعلق بهذا الصراع نفسه ، على الرغم من اوجه الشبه الكثيرة بين موقع رومانيا وموقع يوغوسلافيا على الخريطة السياسية للكتلتين ·

فقد ابدت يوغوسلافيا قلقا واضحا على مصائر الموقف العربي نتيجة لرحلة السادات · وقالت صحيفة « بوربا » الناطقة باسم حزب « رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف » ـ بعد اجتماع عقده المجلس الرياسي اليوغوسلافي يوم ٢٢ـ١١ ـ انه « ربما كانت اهم خصائص الرحلة انها لم تكن تتمشى مع الحقائق السياسية » · واضافت قائلة : « لا شك ان زيارة القدس كانت خطوة كبيرة للرئيس السادات ، لكنها تبدو وكانها كانت ايماءة معبرة عن حسن النيات اكثر منها خطوة في اتجاه عملية تفاوض بين جميع الاطراف المعنية وهو امر لا يزال بعيدا حتى الان » ·

وقالت صحيفة « نوفوستي » اليوغوسلافية في اليوم نفسه : « ان المخاطرة تكمن الان في السؤال عما اذا كان الحوار المصري ـ الاسرائيلي او لم يكن هو البداية لعملية ينبغي ان يكون الحل في نهايتها هو الاعتراف بحق الفلسطينيين في دولة مستقلة والانسحاب الاسرائيلي من جميع الاراضي العربية المحتلة »·

بالاضافة الى هذا فان الدبلوماسية اليوغوسلافية تصرفت منذ اعلان السادات عزمه على زيارة اسرائيل على نحو ينطوي على حرص واضح على الا يربط بينها وبين مساعي اتمام تلك الزيارة ، حتى انها اعتذرت عن اتمام زيارة كان من المقرر ان يقوم بها السادات لبلغراد في ذلك الوقت ·

الصين

التزمت الصين صمتا تاما ازاء زيارة السادات لاسرائيل ، حتى انها لم تذع شيئا عنها على الاطلاق حتى يوم ١١/٢٦ حينما اذاعت النبا وكالة انباء الصين الجديدة · واكدت الوكالة في الوقت نفسه « حق جميع دول الشرق الاوسط في العيش في سلام داخل حدود آمنة ومضمونة » · وهي صيغة استخدمتها الصين لاول مرة فيما يتعلق بالصراع العربي ـ الاسرائيلي ، لانها تنطوي على اعتراف باسرائيل · وهذا ما دفع المراقبين

المتابعين للشؤون الصينية إلى تفسير التعليق الصيني بأنه « يعني ان بكين تتبع خط مصر ضد الدول العربية المتشددة » ·

ويكاد يكونْ من البديهي ان بكين انتظرت لمعرفة تطورات الموقف بعد الزيارة ولتحديد اين يقف الاتحاد السوفياتي من هذه التطورات ، ثم بادرت ـ بطريقة مباشرة ـ الى الوقوف مع التيار المعادي للسوفيات · وهذا الموقف ، وان لم يكن جديدا بالنسبة للدبلوماسية الصينية ، التي توجه جهودها في الشرق الاوسط ـ كما في مناطق العالم الاخرى ـ لمحاربة النفوذ السوفياتي كهدف اول بين اهدافها الخارجية ـ الا ان زيارة السادات وضعت بكين لاول مرة في تاريخ دبلوماسيتها في الشرق الاوسط وضعا علنيا في صف معارض لتوجه الثورة الفلسطينية · وهو تطور له خطورته الاكيدة وتداعياته لا بد آتية في الفترة التالية ·

فيتنـــــام

وعلى النقيض من الموقف الصيني فان فيتنام اتخذت موقفا في صف القوى « الرافضة » بوضوح · وقالت صحيفة « نهان دان » ـ وهي الصحيفة الرسمية للحزب الشيوعي الفيتنامي ـ (١١/٣٠) ان المبادرات الاخيرة للرئيس السادات تمثل « تعقيدا » للموقف في الشرق الاوسط ·

وكان التحليل الفيتنامي لمبادرة السادات واضحا في قول الصحيفة « ان الولايات المتحدة وعملاءها المحليين (ولم تذكر اسماءهم) يشتركون في النوايا الخطرة للامبرياليين » ·

واكدت « نهان دان » تأييد فيتنام للثورة الفلسطينية ، وحذرت من ان الولايات المتحدة واسرائيل تأملان من الدول العربية الاخرى ان تحذو حذو مصر وعزل المقاومة الفلسطينية وحرمان منظمة التحرير الفلسطينية من انصارها ·

شعبـــــياً

حسين ابو النمل

تنوعت ردود الفعل الشعبية على رحلة انور السادات للقدس ، بعد ان افاقت الجماهير من الذهول الذي اصابها ٠

عبرت الجماهير عن غضبتها ، بالمظاهرة السلمية احيانا وبالمواقف العنيفة احيانـــا اخرى ، ضد المؤسسات المصرية في الخارج ٠ وفي كثير من الاماكن ، لم تتمكن مـــن التعبير عن نفسها سوى من خلال الصمت والوجوم ، حيث لم تسمح الانظمة الحاكمة ٠ واتخذت من الاجراءات الوقائية ، ما يمنع الجماهير من قول كلمتها ٠

خطوة السادات ، لم تكن خطوة مفاجئة ، ولم يعلم بها احد ٠٠ حتى كارتر ! « كمـا حاولت أجهزة الاعلام أن تروج ، بل سبقها اعداد دقيق جدا ، بهدف ضبط ردود فعـل الشارع المصري خصوصا والشارع العربي عموما ٠٠ ولاجهزة القمع خبرة ممتازة على هذا الصعيد ٠٠ خبرة تعود الى ١٩٤٨ ٠٠ ويوم اتخذت اللجنة السياسية لجامعة الـدول العربية في ١٣ أيار ١٩٤٨ قرارا بـ « اعلان الاحكام العرفية وقمع الحركات الهدامـــة وفرض الرقابة على الصحف (!) » والذين ارخوا للحياة السياسية المصرية يقولـــون « وفرضت الاحكام العرفية لتفرض حكمة الحديد والصمت على الاحرار جميعا من كافـة الاتجاهات السياسية ٠٠ وفي اليوم السابق لدخول الحرب كان اكبر اجهزة السلطة وهو وزارة الداخلية تستعد لحملة اعتقالات واسعة ٠٠ (٢) »

موقف الحكومة المصرية هذا ، الخائف من تحرك الجماهير ، كان لانها تعرف حقيقـــة الموقف ، فمنذ ١٩٤٥ كانت قد بدأت حوادث عنف ضد المنشآت الاجنبية وبالذات الصهيونية في مصر ، ورغم ان جماهير مصر كان لها قضاياها المحلية ، [الاستقلال والسودان ، والديمقراطية] ٠٠ « ولكن الذي حصل انحراف الانتباه الشعبي العام ، فجأة وبسرعـــة بالغة الى ما يجري في الجمعية العامة للامم المتحدة بالنسبة لتقسيم فلسطين ، وما ان تصاعدت الازمة الى هذا المدى في اواخر عام ١٩٤٧ حتى اجتاح الجماهيـــر سخـــط عـارم ٠٠٠ (٣) » ٠ الامر الذي يؤكد ان علاقة جماهير مصر بالقضية ، ليست مفتعلـــة او طارئة ، او مرتبطة فقط بالحقبة التالية لبناء ثورة يوليو !!

ما حدث في ١٩٤٨ ، حدث في ١٩٧٧ ، وما حدث في مصر ، حدث في اكثر من قطـر في هذا الوطن ٠٠ والاحكام العرفية التي انتظرت سنة ١٩٤٨ قرارا من اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ، لكي تعلن ٠٠ يعيشها هذا الوطن منذ زمن طويل ٠٠ لماذا ؟

لاكثر من سبب ، سياسي واجتماعي ولكي يعد الرأي العام العربي لقبول التسوية ،فمنذ زمن ليس بقصير ، واجهزة الاعلام موظفة بشكل كامل لانجاز اكبر عملية غسيل دماغ ، وتزوير للتاريخ والسياسة والمفاهيم والقيم ، ولكن يسود اللون الرمادي ، ويضيع المواطن وحين تطالب الجماهير بموقف ، بردة فعل ، لا بد لنا من ان نسأل كثيرا من هـؤلاء

المطالبين ، ماذا فعلتم بهم ؟!

ان الموقف من زيارة السادات للقدس ، هو موقف من الناس ، من حق هؤلاء في التنظيم والديمقراطية ، وفي ردود الفعل الضيقة لجماهيرنا على زيارة السادات بارقة امل ·· ولكن الامل كل الامل هو عندما يقول كلمتهم ، اولئك الذين لم يسمح لهم سوى بالصمت ! ·

وفيما يلي ابرز الاحداث التي اعلن عنها ، مرتبة حسب تسلسلها التاريخي :

دمشـــــق :

بعد ٦ ساعات من مغادرة الرئيس انور السادات دمشق ، هز النفجار عنيف مبنى السفارة المصرية في العاصمة السورية ·

وتبين ان كمية كبيرة من المتفجرات وضعت في مرأب للسفارة · (٤)

بيـــروت :

في تاريخ ١٨ـ١١ـ١٩٧٧ ، وعند الساعة التاسعة والربع مساء ، تعرضت سفارة جمهورية مصر العربية لقذيفة صاروخية اطلقت عليها من مسافة بعيدة ·

نتج عن ذلك مقتل احد حراس السفارة المصريين وجرح اربعة عناصر من قوة الردع العربية المكلفة حراسة السفارة · كذلك اصيب البناء باضرار مادية (٥) · وذلك حسب ما جاء في بيان لقوات الردع العربية ·

وكان مكتب الطيران المصري في بيروت قد تعرض لحادث القاء متفجرة على مبناه احدثت اضرارا مادية ·

اثينـــا :

احتل عدد من الرجال المسلحين السفارة المصرية في العاصمة اليونانية ، واصيب عدد من موظفي السفارة بجروح ، فيما قتل حارس السفارة بعد ان جرى تبادل لاطلاق النار ، وبلغ مجموع الجرحى ثمانية اشخاص ·

وقال ناطق بلسان الشرطة اليونانية ان السلطات استدعت العربات المصفحة ووضعت قوات مدربة تدريبا خاصاً على اهبة الاستعداد لاقتحام السفارة ·

واعلنت مصادر الشرطة التي طوقت المنطقة ان احد الرعايا الاردنيين الذين قبض عليهم صرح بأنه ذهب مع مجموعة من المواطنين الاردنيين (حوالي ثلاثين شخصا) الى مبنى السفارة للاحتجاج على زيارة السادات لاسرائيل ، وان النار اطلقت عليهم من داخل مبنى السفارة لحظة وصولهم اليها ·

لنـــدن :

احتل ثلاثون طالبا فلسطينيا بعد ظهر اليوم مكتب جامعة الدول العربية في العاصمة البريطانية احتجاجا على زيارة السادات لاسرائيل · وقال متحدث باسم الاتحاد العـام للطلبة الفلسطينيين ان المتظاهرين يعتزمون مواصلة اعتصامهم في المكتب حتى ظهر السبت على الاقل · (٦)

وفي ١٩ـ١١ـ١٩٧٧ اتسعت موجة الاحتجاجات :

في الجزائر : استمرت التظاهرات ضد الزيارة لليوم الثالث على التوالي وحـاول المتظاهرون احتلال مبنى السفارة المصرية الا انهم فشلوا بعد تصدي الحراس لهم · ولـم يشر الى وقوع اصابات واعتقالات ·

طرابلـــس :

اضرم المتظاهرون النار في مكتب العلاقات المصرية ، وحالوا دون وصول رجـال الاطفاء اليه واصيب بعض المتظاهرين بجروح خلال دخولهم المبنى بسبب تحطم الابواب والنوافـذ ·

تونـــس :

قالت مصادر قريبة من السفارة المصرية ان ٧٠ متظاهرا هاجموا مبنى السفارة بالقنابل اليدوية ولكن لم تقع اصابات · واطلق الحراس النار على المتظاهرين لمنعهم من الدخول مما ادى الى اصابة شخص في معدته فنقل الى المستشفى ·

طهـــران :

هاجم ما يزيد على ١٠٠ متظـاهر مكاتب شركة « العـال » الاسرائيلية للطيران · ويذكر ان السلطات الايرانية اتخذت تدابير امنية مشددة حول السفارة المصرية بناء على طلب الاخيرة ·

باريـــس :

دخل متظاهرون مكاتب جامعة الدول العربية وسلموا مدير مكتب منظمة التحريـــر الفلسطينية السيد عز الدين قلق بيانا يستنكرون فيه الزيارة · وتسبب حريق امام مدخـل المركز الثقافي التابع للسفارة المصرية في اضرار مادية ·

اثينـــا :

نتج عن عملية اخلاء السفارة المصرية مقتل طالب فلسطيني وجرح ١٨ بينهم ٣ يونانيين· وقال ناطق رسمي ان الجرحى اصيبوا خلال اقتحامهم السفارة مساء الجمعة · واوقـف ٣٦ طالبا للتحقيق معهم اثر اكتشاف قنابل مولوتوف ادخلها المتظاهرون الى المبنـــى ·

وذكرت مصادر ان ١٢ طالبا اربعنا من بين الموقوفين سيطردون من اليونان على طائرة خاصة في حين سيطلق الاخرون ·

روما :

احتل طلاب عرب مكتب جامعة الدول العربية واعلنوا الاعتصام فيه ·

لندن :

دعا اتحاد طلبة فلسطين الى تظاهرة سلمية امام مبنى السفارة المصرية كما استمر ٦٠ طالبا في احتلالهم مكاتب جامعة الدول العربية · ولم تجر اعمال عنف او اعتقالات ·

بون :

قالت الشرطة ان اكثر من ١٠٠ طالب عربي تظاهروا امام السفارة المصرية ولم تشر الى وقوع اعمال عنف ·

استوكهولم :

تظاهر المئات امام السفارة المصرية بدعوة من اتحاد الطلاب المغربيين واتحاد الطلاب العرب ولجنة التضامن الاسوجي ـ الفلسطيني ، وسلموا السفارة المصرية بيانا يستنكرون فيه الزيارة ·

مدريد :

تظاهر طلاب عرب ومؤيدون لمنظمة التحرير الفلسطينية امام مبنى السفارة المصرية ومكاتب جامعة الدول العربية ·

بوخارست :

اقتحم المتظاهرون مبنى السفارة المصرية وحطموا الزجاج وتولت قوى الامن الرومانية تفريقهم واعتقلت عددا منهم ·

نيودلهي :

احتل نحو ٧٠ طالبا عربيا مكاتب جامعة الدول العربية · وصرح ناطق باسم اتحاد طلبة فلسطين في الهند ان الاحتلال تم من دون اعمال عنف وان الاعتصام سيستمر الى اجل غير مسمى ·

كرانشـــي :

ذكرت الشرطة ان متظاهرين عربا اضرموا النار في مكاتب السفارة المصرية · وتولى رجال الامن في السفارة اطفاء الحريق · ولم تشر الى اعتقالات بين المتظاهرين ·

داكـــا :

احتل ١٥ فلسطينيا السفارة المصرية لمدة ٤ ساعات واحتجزوا السفير السيد وفـــا حجازي داخل غرفته ، وقال حراس المبنى انهم لم يمنعوا الطلاب من الدخول لان القانون يسمح لاي عربي بدخول السفارة · ولم يعتقل احد من الطلاب ، وامتنع السفير عن الادلاء بأي تصريح الى الصحافيين ·

ســـيدني :

دعت « الاحزاب التقدمية والقوى الوطنية العربية الموحدة » الى تظاهرة امام السفارة المصرية · وقدم وفد من المتظاهرين رسالة الى السفير المصري السيد عثمان حســـين نوري تتضمن استنكارا للزيارة · (٧)

في دمشق وفي التاريخ نفسه اصدرت القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية قرارا بأن يكون يوم السبت الذي يصادف بدء زيارة السادات الى اسرائيل « يوم حداد وطني في الجمهورية العربية السورية وتعبيرا عن غضب شعبنا العارم ضد هذه الزيارة التي تعتبر خروجا على ارادة الامة العربية واساءة الى كرامتها وشرفها ومستقبلها » حسب ما جاء في البيان ·

وقالت وكالة (و·س·ا) ان حركة السير في جميع ارجاء سوريا ستتوقف الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم ولمدة خمس دقائق وسيتوقف العمل والنشاط والحركة في الوقت نفسه ·

كما ستقرع اجراس الكنائس وتتعالى اصوات المؤذنين في سوريا « تعبيرا عن الحزن والالم » لقرار السادات بزيارة اسرائيل وتعبيرا عن الغضب العربي الشديد ضد هـــذه الزيـــارة ·

وستنكس الاعلام في كل انحاء سوريا طيلة هذا اليوم ·(٨)

وفي مصر جرت مظاهرة في جامعة عين شمس واصدر الطلاب مجلة حائط نـــددوا فيها بالزيارة وكان رد السلطة حملة اعتقالات شملت مجموعات من الطلاب ·

أما حزب التجمع الوطني التقدمي فقد وصف زيارة السادات بأنها تقوض التضامن العربي وتضفي الشرعية على الاحتلال الاسرائيلي للقدس القديمة وتزيد الغرور والصلـــف الاسرائيليين ·

جاء ذلك في بيان اصدره امس الحزب الذي يحتل مقعدين في مجلس الشعب ويرئســه خالد محي الدين احد « الضباط الاحرار » الذين قادوا الثورة المصرية ·

وحث البيان الذي صدر صباحا السادات على الغاء الزيارة « التي تشكل تنــازلا لاســرائيل » ٠

وقال : « ان هذه الزيارة لن تؤدي الا الى تقويض وحدة الموقف العربي وتقوية الغرور والصلف الاسرائيليين » ٠

واشار البيان الى تصريحات رئيس وزراء اسرائيل مناحيم بيغن حول رفضه الانسحاب من الضفة الغربية المحتلة واقامة دولة فلسطينية ٠ وقال : ان هذه التصريحات هــي « سبب كاف لجعل رئيس الجمهورية يلغي خطته » ٠

وقال : « ان كون الزيارة تتم في القدس القديمة المحتلة يعطي طابعا من الشرعية لهذا الاحتلال في وقت ترفض كل الدول بما فيها اميركا ، الاعتراف بهذا الاحتلال » ٠

وفي معرض رفضه حجج السادات بأن الزيارة تهدف الى تجاوز الحواجز النفسية قال البيان « ان صراعنا مع الصهيونية ذو ابعاد قومية واقتصادية وثقافية وان مجموعــة من التضليلات النفسية لا يمكن تجاوزها بزيارة تقارب » ٠

من جهة اخرى ذكرت وكالة الانباء الالمانية الغربية (د٠ب٠ا) ان الطلبة اليساريين المصريين والاتحاد العام لطلبة فلسطين قاموا بزيادة نشاطهم امس في توزيع المنشورات المعادية لرحلة السادات ٠

وقالت الوكالة « وتصف هذه المنشورات مبادرة السادات بأنها خطوة غادرة تتضمـن اعترافا عربيا بالعدو الصهيوني وانها ضربة قوية للشعب المصري » ٠

واضافت الوكالة : وقد طالبت هذه المنشورات بموقف موحد لجميع القوى التقدمية والعربية لوقف هذه المؤامرة واحتباطها وحذرت من ان السكوت والتردد يخدمان هــذه المؤامرة ٠

وتابعت : « واقام اتحاد طلاب فلسطين مؤتمرا شعبيا خاصا في القاهرة بعد ظهر امس في مقر الاتحاد لمناقشة الموقف » ٠ (٩)

وفي الارض المحتلة ، عقد رؤساء البلديات والمؤسسات والجمعيات الوطنية فــي الاراضي المحتلة اجتماعا في بلدية بيرزيت واتخذ فيه المجتمعون قرارا بان تكون صلاة عيد الاضحى اليوم مسيحيين ومسلمين في جامع جمال عبد الناصر في مدينة البيرة ٠

واصدر المجتمعون بيانا الى الرأي العام العربي والدولي نددوا فيه بزيارة السادات الى اسرائيل واعتبروها نتيجة حتمية للنهج التراجعي الذي بدأ منذ التوقيع على اتفاق الكيلومتر ١٠١ ٠

وقال البيان « في ظل الظروف الراهنة التي تمر بها قضية الصراع العربي الاسرائيلي على المستوى الدولي وتفهما لحقيقة الصراع بين حركة التحرر العربي والحركة الصهيونية التي ادانها المجتمع الدولي كحركة عنصرية ٠٠٠ جاءت زيارة السادات لاسرائيل نتيجـة حتمية للتنازلات التي بدأها النهج الساداتي بالارتماء في احضان الامبريالية » ٠

وذكر البيان ان هذا النهج بدأ بضرب الحركة الوطنية وتصفية كافة المكتســـبات

الاشتراكية داخل المنطقة العربية والمشاركة في محاولات تصفية حركات التحرر العربية والافريقية وفي مقدمتها الثورة الفلسطينية كما بدأ هذا النهج عندما اخذ السادات يقطع جسوره مع المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفياتي الحليف الطبيعي لحركة التحرر العربية » ·

وقال البيان ان زيارة السادات تأتي « لتبارك الاجراءات الاسرائيلية القمعية ضد ابناء شعبنا ولتبادل المزيد من الاستيطان والقمع والضغط على المؤسسات الوطنية ومحاولة السلطات العسكرية الصهيونية والقوى الانعزالية ضد الحركة الوطنية والثورة الفلسطينية في جنوب لبنان » ·

واكد البيان « ان جماهيرنا في المناطق المحتلة تتطلع الى اقامة سلام دائم وعادل مبني على الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وقيام دولته الوطنية المستقلة بقيادة ممثله الشرعي الوحيد منظمة التحرير الفلسطينية » ·

واضاف البيان « ان تحقيق هذه الاهداف يتطلب حشدا كفاحيا لطاقات الامة العربية لمواجهة التعنت الاسرائيلي وتجاهله لحقوق شعبنا الوطنية واعتباره المناطق المحتلة مناطق محررة » ·

وخلص البيان الى القول ان الجماهير العربية ستبقى « هي صاحبة الكلمة الاولى والاخيرة في مثل هذا الصراع وهي قادرة على التصدي لكل من يقف ضد امانيها وتطلعاتها » ·

ووقع البيان رؤساء كل من بلدية نابلس ، بلدية رام الله ، بلدية قلقيلية ، بلدية البيرة، بلدية جنين ، بلدية طولكرم ، بلدية اريحا ، بلدية حلحول ، بلدية بيتونيا ، بلدية بيرزيت ، بلدية دورا ، نائب رئيس بلدية بيت لحم وعدد من المؤسسات والجمعيات الوطنية · (١٠)

هذا وقد القي القبض على عشرات المواطنين كاجراء احترازي بينما كانت طائرات الهليكوبتر تقوم بدوريات متواصلة على كل الجبال المحيطة بالمدينة خاصة في مواجهة المسجد الاقصى وفندق الملك داوود ·

وفي البلدة القديمة من القدس قامت قوات الامن باخلاء المنازل السكنية المحيطة بالمسجد الاقصى بعد ان وجهت الى ساكنيها انذارات باخلائها ·

كما بدأت سلطات الاحتلال منذ صباح أمس الباكر (السبت · ١٩ـ١١) بفرض طوق على الحرم الشريف وقامت بتفتيش الاقصى وساحة الحرم شبرا شبرا ·

وقد ترددت انباء مفادها ان قوات الامن الصهيونية ستمنع المسلمين من اداء الصلاة يوم العيد ولن تسمح الا لمن يحمل تصريحا خاصا من سلطات الاحتلال ·

وفي غضون ذلك اغلقت البلدة القديمة كلها رغم مصادفة ذلك في اليوم الذي يسبق حلول عيد الاضحى الا انه ارتفعت الاعلام السوداء على عديد من المنازل فيها ·

وقامت سلطات الاحتلال بمطاردة اصحاب المحلات التجارية الذين اضربوا صباحا واغلقوا احتجاجا على زيارة السادات وكانت المخابرات الاسرائيلية قد قامت باعتقال عدد من اصحاب المحلات في شارع صلاح الدين في القدس عرف منهم خالد الدنتشي ·

كما وجهت المخابرات تحذيرات لاصحاب المحلات بمصادرتها اذا لم يبادروا بفتحهـــا صباح السبت الا ان كثيرا منهم لم يستجب للتحذيرات ·

وقد ظهرت على جدران المنازل والشوارع في القدس وغيرها شعارات تندد بالاحتلال وبالزيارة الساداتية ·

هذا وقرضت الرقابة لليوم الرابع على صحيفة « الفجر » المقدسية حيث خرجت امس بعناوين فقط من دون تفاصيل ·

وفي مدينة الخليل ظلت الدوريات المسلحة تجوب الشوارع منذ الصباح · وكال حال الخليل هو حال رام الله والبيرة وغيرها من مدن الضفة الغربية · وقد خرجـت مظاهرات في قرية « ترقوميا » قرب مدينة الخليل فهرعت قوات الامن وطوقت القرية ·(١١)

في مدينة بيروت : افاقت بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية على اضراب وحركة عمل فاترة · فمعظم الطرق الرئيسية والفرعية قطعت بالحجار ودواليب المطاط المشتعلة ، وطافت فرق حزبية على المحلات التجارية تدعو اصحابها الى الاقفال فأقفلت ولم تستثن سوى الافران · قرابة الحادية عشرة بدأ التجمع للتظاهرة التي دعت اليها « الحركة الوطنية » في ساحة ٢٣ نيسان ، وكانت تظاهرات فرعية صغيرة تطل من متفرعات كورنيش المزرعة وتأخذ مكانها · وفي الحادية عشرة والربع انطلقت التظاهرة تواكبها عناصر من « قـوة الردع » تتقدمها سيارتان لـ « المرابطون » مجهزتان بمكبرات للصوت وصورتان للرئيس جمال عبد الناصر ولافتة كبيرة كتب عليها : « عبد الناصر : لا صلح لا اعتـراف لا مفاوضة · السادات : نعم للصلح نعم للاعتراف نعم للخيانة » ، تتبعها اخرى : « تاريخ امتنا المجيد لا يكتبه المتآمرون بل تصنعه بنادق الثوار » ·

وفي محلة ابي شاكر توقفت التظاهرة لتنضم اليها صفوف طويلة من الكشافـة والمتظاهرين من مختلف فصائل المقاومة ، خصوصا « جبهة الرفض » و « الصاعقة » و « الاتحادات الشعبية الفلسطينية » و « اللجان الشعبية » ، فضلا عن عشرات اللافتات الجديدة ابرزها : « نطالب منظمة التحرير بموقف واضح وصريح من خيانة السادات » و « عبد الله دفع الثمن ··· السادات لن يهرب » و « الله اكبر يا عرب ، السادات في اسرائيل » · (١٢) ·

وتابع قسم من التظاهرة سيره نحو مستديرة الكولا فالملعب البلدي ، واحتلت التظاهرة معظم الملعب وعلت الهتافات · وبعد ذلك القى ممثلو المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وعدد من الخطباء كلمات تندد بالزيارة وبصاحبها ·

وقامت اضرابات وتظاهرات مماثلة في مدن طرابلس وصيدا وصور وبعلبك وعدد من قرى الشمال والجنوب والبقاع ورافق ذلك حملة بيانات تدين « الخطوة الاستسلامية » وتدعو الى الرد عليها بتعزيز التضامن العربي ودعم الكفاح من اجل تحريـر الارض المحتلـة · (١٣)

وفي دمشق : توقفت كل مظاهر العيد ليسود الغضب · واذا كان الغضب « المانشيت » العريض الذي يعبر عن رأي الناس بزيارة السادات الى اسرائيل فان الصمود هـو

الشعار الذي فرض نفسه كرد فعل فوري لذلك القرار الخطير ٠ (١٤)

هذا وقد توقف العمل كليا في جميع مرافق الدولة والمصانع واصاب التوقف حركة الملاحة الجوية والبحرية والسير في الشوارع مدة خمس دقائق ، وذلك في الساعة الثانية عشر ظهر امس ، تعبيرا عن الاستنكار الشديد لزيارة السادات لاسرائيل ٠

وقد نكست الاعلام السورية فوق دور الحكومة والدوائر الرسمية طوال يوم امس ، فيما كانت اصوات المؤذنين في المساجد تتعالى واجراس الكنائس تدق استنكارا للزيارة ٠

ووصف يوم امس رسميا في سوريا بأنه يوم « حداد وطني اسود للتعبير عن ذروة الغضب والانفعال ضد زيارة السادات لاسرائيل » ٠

وفد غضون ذلك جرت تظاهرات ضخمة في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين القريبة من دمشق كما انطلقت مسيرات طلابية وعمالية في شوارع دمشق تستنكر الزيارة وتندد بها ٠

وقام ممثلون عن الاتحادات النقابية والمنظمات الشعبية في سوريا بتسليم مذكرة الى جمال منصور رئيس مكتب العلاقات المصري في دمشق كما سلموا صورا عن هذه المذكرة الى رؤساء البعثات الدبلوماسية المعتمدين لدى العاصمة السورية ٠ (١٥)

وفي **بغداد** ، اعتصم الطلبة المصريون في مقر شركة مصر للطيران في بغداد في حين انطلقت مظاهرات الاحتجاج على الزيارة في جميع انحاء العراق ٠

وفي **الجزائر** ، طافت مظاهرات جماهيرية واسعة في العاصمة الجزائرية تستنكر زيارة السادات وتندد بها وتحذر من نتائجها الخطيرة ٠ واتجهت المظاهرات الى السفارة المصرية في الجزائر ٠ الا ان حراس السفارة المصريين اطلقوا النار على المتظاهرين ومنعوهم من اقتحام السفارة ٠

وفي **عدن** ، قامت مسيرة حافلة انطلقت من مقر منظمة التحرير الفلسطينية وتوجهت الى السفارة المصرية ، وقد شارك فيها مئات المواطنين من الجالية الفلسطينية ٠

وعند باب السفارة المصرية القى ممثل المنظمة كلمة وتم تلاوة بيان صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير عمان ، كما القى شابان مصريان كلمة ادانا فيها تصرف السادات ووصفاه بالخيانة ، وقالا ان شعب يومي ١٨/١٩ يناير قادر كما حمى مصر ان يلقي بحكم السادات الى الجحيم ، وكانت الهتافات بسقوط السادات متواصلة ٠ (١٦)

وفي مدينة عاليه في لبنان ، شلت الحركة التجارية تماما واقفل وسط المدينة والاحياء باستثناء بعض المحال الصغيرة وتوقفت المدارس بينما طافت الشوارع منذ الصباح الباكر سيارات تحمل مكبرات للصوت وملصقات للشهيد كمال جنبلاط والحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية وتدعو الى الاضراب الشامل والتعبير بمختلف الوسائل عن غضبتهم واستنكارهم ضد زيارة السادات ٠

وفي الحادية عشرة والنصف عقد مهرجان طالبي في ثانوية عاليه الرسمية شارك فيه طلاب من مدرسة الجامعة الوطنية والمدارس الاخرى في عاليه ٠

في بشامون وعين عنوب شارك الاهلون في الاضراب واقفلت المدارس والمحال العامة ٠

وفي الشويفات وخلده كان الاضراب شبه شامل على الصعيد العمالي والطلابي ٠

فقد اقفلت معظم المؤسسات الصناعية في المنطقة وكذلك الثانويات والمدارس الابتدائية والتكميلية ٠

وفي منطقة كفرشيما الحدث انخفضت انتاجية المصانع في حدود الـ ٥٠ في المئة بسبب مشاركة اعداد كبيرة من عمالها في الاضراب ٠

وفي المتن الاعلى اعلنت كل القرى الاضراب باستثناء حمانا ٠ (١٧)

وحين كان السادات يصلي في الاقصى بحراسة الجنود الصهاينة كانت صلاة العيد في العواصم العربية مناسبة لتعبر الجماهير عن غضبها على خطوة السادات ٠

ففي **دمشق** خرجت الجماهير من الجامع الاموي الكبير وهي تهتف بأصوات حانقة : « خائن يا سادات »٠ (١٨)

واتسعت موجة الاستنكار لتشمل عواصم غير عربية . ففي **موسكو** قام ٢٠٠ طالب من الدول العربية بينها مصر قاموا باحتجاج استمر ساعة في السفارة وسلموا السفير بيانا يندد بزيارة السادات ٠

وفي **نيودلهي** جرح نحو ٣٠ طالبا فلسطينيا واصيب ١٥ شرطيا بجروح خلال تظاهرة نظمها الطلاب العرب امام السفارة المصرية احتجاجا على زيارة السادات لاسرائيل ٠
وقد اشتبكت الشرطة الهندية مع المتظاهرين اثر اقتحامهم السفارة وتحطيمهم اثاثها ٠ واعتقل ٧ متظاهرين ٠ (١٩)

في **نواكشوط** عاصمة موريتانيا تظاهر نحو مئة شخص في شوارع العاصمة الموريتانية احتجاجا على زيارة السادات وهتفوا بسقوط الرئيس المصري الا ان الشرطة تدخلت في سرعة لتفريق التظاهرة واعتقلت عددا من المتظاهرين ٠ (٢٠)

واستمرت عمليات الاستنكار في **المدن اللبنانية** ، وكانت **صيدا** قد عبرت عن رفضها الشامل للزيارة بتظاهرات شعبية جابت شوارع صيدا صبيحة اليوم الاول للعيد بعد تأدية الصلاة التقليدية في جامع البحر ٠ وكان ممثلو الاحزاب والقوى الوطنية التقدمية قد شاركوا في الصلاة التي خطب فيها الشيخ احمد الزين قاضي شرع صيدا مهاجما زيارة السادات الذي اعترف بهيمنة الصهاينة على المسجد الاقصى ٠

واجمع خطباء المساجد في الجنوب . صبيحة العيد ، على ادانة خطوة السادات وارتفعت في صيدا ملصقات ويافطات على الجدران وفي الشوارع مؤكدة رفضها للزيارة الخائنة ٠ (٢١)

وفي هذا الوقت كان عرب الارض المحتلة ١٩٦٧ يعبرون عن غضبتهم بتفجير مزيد من القنابل اذ انفجرت في القدس القديمة عبوة صغيرة عند بوابة دمشق ٠ وقد وقع الحادث في الوقت الذي كان الرئيس السادات ورئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن يعقدان مؤتمرا صحافيا مشتركا في مسرح القدس الذي يقع على مسافة كيلومترين من بوابة دمشق ٠ (٢٢)

في هذا الوقت كان قد وصل من مصر بيان حزب التجمع التقدمي في مصر ، والذي

يدين زيارة السادات ، والذي كان قد اصدره في ١٦ـ١١ـ١٩٧٧ يقول البيان :

اولا : ان موقف حزبنا من الحل السلمي ـ كما هو مبين في مشروع برنامجه ـ ليس ضد الحل السلمي من حيث المبدأ ، ولكنه يرى لمثل هذا الحل شروطا تتلخص في استرداد الاراضي العربية المحتلة والحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ٠

ثانيا : ان تحقق مثل هذا الحل السلمي رهن اساسا ببناء القوة الذاتية العربية التي تستطيع ارغام اسرائيل على قبول شروطه ٠

ثالثا : ان زيارة السيد رئيس الجمهورية لاسرائيل ، والتي جاء طلبها مفاجأة تامة لشعب مصر والشعب العربي بأسره ، لا تضيف الى عناصر القوة العربية ، بل على العكس تضعف من الموقف العربي ، وتهيء لاسرائيل فرصة الاستفادة منها في تعزيز موقفها المتشدد وذلك للاسباب الاتية :

١ ـ ان اسرائيل بما تلقته منذ حرب اكتوبر من دعم عسكري اميركي لم يسبق له مثيل ، وبعد ان تولت مقاليد السلطة فيها كتلة ليكود التي تمثل اكثر العناصر الصهيونية تعصبا وعدوانية وتطرفا في التمسك بأهداف الصهيونية التوسعية ، والتي يتزعمها مناحم بيغن جزار مذبحة دير ياسين المعروفة ، لم تكن في يوم من الايام اكثر تشددا وانكارا للحق العربي مما هي الان ٠

٢ ـ ان هذه الزيارة تتم في وقت لم تكتف اسرائيل فيه بتصريحات زعمائها المتشددة ورفضهم لاية مقترحات تقترب من حدود الحل السلمي ، بما فيها المقترحات الاميركية والسوفياتية ـ الاميركية المشتركة ، وانما تؤكد موقفها هذا عمليا من خلال عدوانها المتكرر وقصفها المستمر لجنوب لبنان ، واستمرارها المتبجح في تهويد الضفة الغربية والقدس ٠

٣ ـ ان رد بيغن على رغبة السيد رئيس الجمهورية غير المشروطة في الزيارة باعلان شروط اسرائيلية مسبقة لقبول الزيارة تتضمن رفضا صريحا للجلاء عن الضفة الغربية ولقيام دولة فلسطينية ، كان في حد ذاته كافيا لان يعدل السيد رئيس الجمهورية عن هذه الزيارة ٠

٤ ـ ان اتمام هذه الزيارة للكنيست في مدينة القدس المحتلة يضفي شرعية على اعتبار اسرائيل مدينة القدس عاصمة لها في الوقت الذي ترفض فيه جميع الدول ، بما فيها اميركا حامية اسرائيل ، الاعتراف لها بهذا الحق ٠

٥ ـ ان هذه الزيارة التي تعزز ما تحاول اسرائيل فرضه من قيام ما تسميه بعلاقات طبيعية مع الدول العربية قبل اقرار السلام تعتبر تنازلا من مصر بلا مقابل او وعد بمقابل ٠

٦ ـ ان مصر ليست في حاجة لان تضيف بمثل هذه الزيارة دليلا جديدا على رغبتها الصادقة في السلام بعد ان ادرك المجتمع الدولي كله صدق هذه الرغبة التي لم تقابل من جانب اسرائيل الا بمزيد من التعنت ادى الى تعثر كل الجهود المبذولة من اجل انعقاد مؤتمر جنيف ، ولن تزيد هذه الزيارة اسرائيل الا صلفا وغرورا وبالتالي تعنتا اكثر ٠

٧ ـ ان صراعنا مع الصهيونية هو صراع مصيري ذو أبعاد قومية واقتصادية وحضارية دام اكثر من نصف قرن وسقط فيه عشرات الالوف من الشهداء العرب وتشرد

فيه الملايين وليس مجرد اوهام سيكولوجية يمكن ان تتبدد من خلال زيارة ودية ٠

٨ ـ لقد ظلت اسرائيل منذ انشائها تسعى الى اية صورة من صور الاعتراف بهـا وكان الموقف العربي صامدا في رفض ذلك حتى في احلك النكسات وتاتي هذه الزيارة على اعلى مستوى لتقدم لاسرائيل نوعا من الاعتراف الكامل على المستوى الدولي دون مقابل او وعد بمقابل ٠

رابعا : ويرى حزبنا ايضا ان اتمام هذه الزيارة سيؤدي الى اخراج اسرائيل مـن عزلتها الدبلوماسية ، اذ سيؤدي الى الا يجد عدد من الدول التي قطعت علاقاتها مـع اسرائيل مبررا لاستمرار قطع هذه العلاقات بعد قيام رئيس اكبر دولة عربية هي في نفس الوقت دولة المواجهة الرئيسية مع اسرائيل بزيارة لاسرائيل ٠ وايضا فان انفراد مصر بهذه الخطوة ـ حسب تصريح السيد رئيس الجمهورية لوفد الكونجرس الاميركي ـ دون تشاور مع دول حلف اكتوبر وبقية الدول العربية ، ربما سيؤدي الى تصدع الصـف العربي وسيدفع اسرائيل الى مزيد من التشدد ٠

لهـذا ،

فان حزبنا يسجل بهذا البيان اعتراضه على اتمام هذه الزيارة التي يرى انها لـن تؤدي الا الى اضعاف وحدة الموقف العربي واذكاء تناقضاته ، وبالمقابل الى تعزيز صلف اسرائيل وتعنتها ٠ ويهيب بالسيد رئيس الجمهورية ان يعدل عنها ٠ (٢٣)

في **بودابست** بالمجر عقد الطلبة العرب الذين يتلقون علومهم في هنغاريا اجتماعا هنا يوم امس لمناقشة الاثار المترتبة على الزيارة التي نفذها انور الســادات لفلسـطين المحتلـة ٠

وشجب المجتمعون في برقية بعثوها الى الامين العام للجامعة العربية الزيـارة الاستسلامية التي تعتبر تحديا لعواطف جماهير الامة العربية وقضيتها العادلة وتآمـرا فاضحا على حقوق الشعب العربي الفلسطيني ٠ واكدوا ان هذه الزيارة تأتي استكمالا لتمرير المخطط الامبريالي الصهيوني الرجعي على المنطقة العربية ودعوا الاقطار التقدمية الى تشديد النضال من اجل تحرير فلسطين ٠ (٢٤)

في **الرباط** قالت مصادر الطلبة في جامعة محمد الخامس ان الطلبة هناك دعوا الـى اضراب مدته ٤٨ ساعة احتجاجا على زيارة الرئيس المصري لاسرائيل ٠ (٢٥)

وقالت الحركة النقابية العربية كلمتها ، فقد قرر قادة الحركة النقابية العربية عقـد اجتماع طارىء للمجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب في طرابلـس بالجماهيريـة العربية الليبية في ٢٩ تشرين الثاني الحـالي لمناقشة خطوة السادات الاخيـرة ٠

وكانت قيادة الاتحاد العام لنقابات العمال في مصر قد قررت امس الاول قطع علاقاتها بالنقابات العمالية في سوريا والعراق والجماهيرية بسبب تنديدها بزيارة السادات ٠

وقد عقد عدد من قـادة الحركة النقابية العربية لقاء عاجلا في بيروت بحضـور الامين العام للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ومنظمات العراق وسوريا وفلسطيـن والجماهيرية والاردن ولبنان اصدروا على اثره البيان التالي :

تم في اللقاء بحث الخطوة الخيانية التي اقدم عليها انور السادات والنتائج الخطيرة التي ستنجم عنها ، من تهديد لمستقبل القضية الفلسطينية وتثبيت الوجود الصهيوني التوسعي على ارضنا العربية وتمكين القبضة الاستعمارية الامبريالية من احكام سيطرتها على وطننا ومقدراته وما يشكله ذلك من خطر محدق على مستقبل شعبنا العربي وتطلعاته نحو الوحدة واستكمال تحرره وامتلاك مقدراته · بالاضافة الى البلبلة والارتباك الذي ستحدثه هذه الخطوة لدى الرأي العام والمجتمع الدولي الذي بدأ يتفهم طبيعة الصراع العربي الصهيوني ·

وتأكيدا لضرورة التصدي الحاسم لهذه المؤامرة الشرسة وتوفير سبل افشالها من خلال دفع النضال الشعبي العربي الى مستوى مجابهتها وخلق جبهة صمود منيعة انطلاقا من الاقطار الرافضة وتدعيم المسيرة الكفاحية للشعب الفلسطيني وتوفير مستلزمات الصمود للقطر العربي السوري بلد المواجهة الاول مع العدو الصهيوني ، فان المجتمعين اذ ينظرون بالتقدير والدعم للخطة السورية الفلسطينية التي عبر عنها البيان المشترك وانهم يؤكدون ان التلاحم الاستراتيجي بينها وبين القوى التقدمية العربية الرافضة للمؤامرة خصوصا العراق وليبيا والجزائر واليمن الديموقراطي ، هو القاعدة الصلبة لتحطيم افشال المخطط الامبريالي الصهيوني الرجعي ، ووضع برنامج التحرير موضع الممارسة العملية الفعالة ·

والحركة النقابية العربية ستجند كل امكانياتها لتصليب وتعميق هذه المواقف واكسابها المحتوى الشعبي الشامل · (٢٦)

في هذا الوقت ، وفي حين كانت اجهزة الاعلام الرسمية المصرية تركز على « التأييد الشعبي لبطل السلام ، المؤمن بالديمقراطية » كانت وكالات الانباء العالمية تتناقل من القاهرة الخبر التالي :

تابعت السلطات المصرية اليوم عمليات الاعتقال والابعاد ضد العناصر الوطنية المعادية لزيارة السادات الى القدس المحتلة ·

وقالت مصادر الشرطة في القاهرة ان « عددا من الشيوعيين قد اعتقل بينما كان يعد منشورات تهاجم انور السادات ، وهم اعضاء منظمة سرية ، لم يتم الكشف عن اسمها » · (٢٧)

ورغم التعتيم الاعلامي على نشاط المعارضة المصرية لزيارة السادات ، فقد كان واضحا ان المعارضة لزيارة السادات لم تقتصر على نائبين في مجلس الشعب ، بل هنالك نواب يصنفون انفسهم مستقلين اتخذوا موقفا معارضا ، ولم تشر لموقفهم هذا وكالات الانباء ، والاشارة الى موقفهم المعارض والمؤثر في الوقت نفسه ، ورد عرضا من خلال موقف اجهزة الاعلام المصرية التي هاجمتهم ، الامر الذي يشير الى حجم وتأثير موقفهم ؟ والا لما اضطرت وسائل الاعلام للتدخل ·

وفي هذا المناخ فان الشيء الطبيعي هو ان تزدهر الحركات السرية ، والتي امتدت الى الجيش المصري ، فقد اشارت الانباء الى قيام السلطات المصرية باعتقال ضابط طيار و ٤٠ ضابطا من قوات الصاعقة اضافة الى ضابطين برتبة لواء · واوضحت نقلا عن مصادر مطلعة في القاهرة ان السادات لجأ الى هذه الخطوة قبل ذهابه الى اسرائيل تحسبا لموقف هؤلاء الضباط بعدما هاجمت صحيفة « الجرس » السرية التي تصدرها

القوات المصرية زيارة الرئيس المصري للقدس ٠

ونقلت وكالات الانباء عن مصادر مصرية ان عمال مصانع حلوان اعلنوا الاضراب اعتبارا من الخميس الماضي احتجاجا على زيارة السادات وقرر المجلس التنفيذي لعمال مصر قطع العلاقات مع الاتحادات النقابية في العراق وليبيا ٠

وفي الكويت احتل اكثر من ٣ آلاف طالب حرم جامعة الكويت احتجاجا على زيارة السادات لاسرائيل ٠

ونظمت هذا الاعتصام الامانة الدائمة لاتحاد الطلاب الجامعيين التي استنكرت الزيارة في شدة ٠ وقال ممثل عن الجمعية الوطنية للطلاب انه جرى اعتقال طلاب في جامعة عين شمس في القاهرة لمعارضتهم سياسات السادات ٠ واعرب عن تضامن الطلاب الكويتيين مع زملائهم المصريين ٠ ورفع الطلاب لافتات تدين الزيارة وتدعو الى اقامة جبهة عربية معارضة للرئيس المصري ٠ (٢٨)

وقد شهدت العاصمة السورية مسيرة كبرى انطلقت من مخيم اليرموك - في الوقت الذي كان فيه السادات يلقي خطابه في مجلس الشعب المصري ٠ (٢٩)

وقال الشعب العربي في السودان كلمته بلسان المعارضة السودانية ، اذ وجه شريف الهندي رئيس الحزب الديمقراطي ونائب رئيس الجبهة الوطنية السودانية النقد مساء اليوم الى الزيارة التي قام بها الرئيس السادات لاسرائيل والتي « حطمت الوحدة العربية » ٠

وقال شريف الهندي خلال مؤتمر صحفي عقده في اثينا ان « السادات لا يستطيع أن يزعم انه يمثل الشعب العربي في مجموعه وان زيارته للقدس تشكل هزيمة سياسية » واضاف قائلا : « انه يتعين تطبيق قرار منظمة الامم المتحدة ويتعين ان تذهب جميع الاطراف المعنية بتسوية المشكلة الفلسطينية المؤلمة الى جنيف ، فلا سلام بدون الفلسطينيين ٠

وذكر شريف الهندي فيما يتعلق بالسودان باسم الجبهة السودانية الوطنية التي تناضل منذ اكثر من ثماني سنوات من اجل اقرار الديمقراطية في البلاد انه يتعين قبل اي شيء ان تصدر الحكومة الحالية عفوا عاما قبل استئناف المفاوضات مع حركات المعارضة لنظام الحكم ٠ (٣٠)

في المخيمات الفلسطينية في لبنان استمرت حركات الاحتجاج والاستنكار لزيارة السادات ، واقيم مهرجان حاشد في مخيم شاتيلا تحدث به الدكتور جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حيث دعا الى وحدة وطنية فلسطينية على اساس رفض التفاوض والصلح والاعتراف ومؤتمر جنيف والقرار ٢٤٢ ومهادنة الرجعية ٠ وقال ان جبهة القوى الرافضة مستعدة لضرب تحية انضباط لمنظمة التحرير الفلسطينية على هذا الاساس ٠

كما دعا لاقامة اوثق التحالفات مع سوريا خارج اطار التسوية ، وقال ذلك سيعني فعلا وعمليا بناء قلعة صمود عربية في وجه الامبريالية والصهيونية والرجعية ٠ (٣١)

في غمرة هذه الاحداث ، ولان السادات الحاكم لا يفرق بين معارضة اليمين او اليسار ، كما هو حال حكومة فاروق قبل قيام الثورة ، فقد اصدرت محكمة عسكرية

احكاما بالاعدام على ٥ اعضاء في جماعة « التكفير والهجرة » الاسلامية المتطرفة بعدما ادينوا بالاشتراك في خطف وزير الاوقاف المصري السابق الشيخ محمد حسين الذهبي وقتله وبالاتصال بليبيا للقيام بأعمال تخريبية في مصر ·

وفور اعلان الاحكام صرح احد المحكوم عليهم الاعدام وهو ماهر بكري الذي يعتبر منظر الجماعة : « انكم جميعا حلفاء الشيطان · انكم اصدقاء دايان » · ووجه كلامه الى هيئة المحكمة قائلا : « اذهبوا الى اسرائيل يا خدم بيغن وعملاءه · اذهبوا الى الاسرائيليين وقبلوا اقدامهم » · (٣٢)

في هذا الوقت كانت الارض المحتلة تعارض على طريقتها ، فقد ادى انفجار قنبلة في القدس المحتلة يوم ٣ـ١٢ـ٧٧ الى اصابة ستة اشخاص بجروح ، بينهم المانيان ، في الوقت الذي اندلعت فيه التظاهرات في نابلس ضد السادات والاحتلال الاسرائيلي ·

وقالت الشرطة الاسرائيلية ان قنبلة انفجرت على بعد امتار قليلة داخل بوابة يافا في القدس وقت الظهيرة حيث يكون المكان عادة مكتظا بالزوار والسياح ·

واضافت ان قوى الامن قامت بتفتيش المنطقة خشية وجود قنابل اخرى فيها ، الا انه لم يتم العثور على شيء ·

وفي مدينة نابلس ، هتف مئات الطلاب بسقوط السادات واحرقوا الدواليب وسدوا الطرقات بالحجارة احتجاجا على خطوات السادات ·

وقد تصدى حرس الحدود الاسرائيليون الذين تعززهم السيارات المدرعة للمتظاهرين وفرقوهم بالقوة · ولكن لم تذكر السلطات الاسرائيلية شيئا عن نتائج المجابهة بين المتظاهرين وحرس الحدود ·

وقال شهود عيان (ي·ب ، و·ص·ف) ان مظاهرة نابلس كانت « عنيفة للغاية » · (٣٣)

في لندن ، حيث كان يقوم مناحيم بيغن بزيارة لها ، بعد ان كان قد اجلها بسبب « استضافته » للسادات قام حوالي ٥٠٠ شخص بينهم كثير من الطلبة الفلسطينيين بمسيرة في قلب لندن اليوم احتجاجا على الزيارة التي يقوم بها لبريطانيا مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي

ومرت المسيرة على مقربة من مبنى السفارة المصرية والمقر الرئيسي لرئيس الوزراء البريطاني (١٠ داونينغ ستريت) حيث قام زعماء الطلبة العرب بتسليم رسائل احتجاجية·

ووصف الطلبة الفلسطينيون بيغن في بيان لهم بانه « ذلك الارهابي الذي لعبت جرائمه ضد الفلسطينيين بعدا بارزا في طردهم القسري الذي بلغ حد الابادة عام ١٩٤٨ من ديارهم الموروثة عن الجدود في فلسطين » · وكان عشرات من رجال البوليس يرافقون المسيرة غير انه لم تقع اية حوادث ·

وابلغ حسن العلياوي رئيس اتحاد الطلبة الفلسطينيين وكالة « رويتر » الرسالة المرسلة الى جيمس كالاهان رئيس الوزراء البريطاني والتي تطالب بالغاء اسرائيل واقامة دولة علمانية فلسطينية مكانها ·

وكان المتظاهرون يحملون شعارات تهاجم زيارة بيغن والزيارة التي قام بها السادات

لاسرائيل . وكان بعض الشعارات يعيد الى الاذهان زعامة بيغن للمنظمة اليهودية المتطرفة « ارغون تسفائي ليؤمي » التي قامت بأعمال ارهابية ضد الانتداب البريطاني على فلسطين.

وقبل ان يبدأ المتظاهرون مسيرتهم عقدوا اجتماعا حاشدا في هايد بارك بالقرب من فندق تشرشل حيث يقيم بيغن واستمع المتظاهرون الى متحدثين عرب ويهود من غير الصهاينة وهم يتعدون بزيارة بيغن ومباحثاته مع السادات في القدس المحتلة . (٣٤)

وأما في **الشارقة** فقد انفجرت في ساعة مبكرة من صباح اليوم قنبلة في مكتب شركة مصر للطيران ولم يسفر الحادث عن أية اصابات في الارواح حيث كان المكتب مغلقا وقت وقوع الانفجار .

وقد حطم الانفجار واجهات المكتب الزجاجية وقسما من اثاثه كما نتج عنه تحطيم واجهة بنك الشارقة المجاور للمكتب . (٣٥)

واستمرت المظاهرات في **الارض المحتلة** ، ورد العدو باعتقال ١٨ من طلبة المدارس في نابلس على اثر مظاهرات معادية لمبادرة الرئيس السادات اخذت طابع العنف بعد ظهر اليوم .

وقد جرت مظاهرات مماثلة في رام الله .

وفي المدينتين اشعل الطلبة النار في اطارات سيارات وتحرشوا ببعض السيارات المارة رافضين الامتثال لقوات الامن التي كانت تحاول تفريقهم . (٣٦)

في **الكويت** منعت الشرطة مهرجانا خطابيا طلابيا اقيم في جامعة الكويت الاسبوع الماضي ردا على زيارة السادات للقدس المحتلة ، واعتقلت ثلاثين طالبا تم الافراج عنهم في وقت لاحق باستثناء طالب واحد .

وقد اعتصم الطلاب في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت احتجاجا على الزيارة الا ان الشرطة ألقت قنابل مسيلة للدموع بهدف وقف الاعتصام الا ان الطلاب العرب والكويتيين تمكنوا من عقد مهرجان لهم امام مكتب المنظمة واصدروا بيانا مشتركا نددوا فيه بزيارة السادات . (٣٧)

وفي **كراكاس** ذكر البوليس اليوم ان قنبلة انفجرت خارج السفارة المصرية هنا الليلة الماضية غير انه لم تقع اي اصابات ، ووردت انباء عن حدوث اضرار بسيطة فقط . (٣٨)

وفي **برلين الشرقية** قالت مصادر مطلعة اليوم ان السفارة المصرية في برلين الديمقراطية تلقت تهديدا بوجود قنبلة فيها يوم الاثنين الماضي من متحدث مجهول بالهاتف ، يعتقد انه يحتج على زيارة السادات لاسرائيل .

وقالت المصادر ان المتحدث كان يتكلم بلغة المانية متقنة واضاف ان القنبلة ستنفجر بعد خمس دقائق . وقد تم اخلاء السفارة الا ان الوقت مضى من دون وقوع اي حادث .

وجاء هذا التهديد في أعقاب مظاهرة جرت قبل ثلاثة اسابيع خارج السفارة احتجاجا على زيارة السادات . (٣٩)

وفي **باريس** كانت مناسبة اخرى لكي تقول مصر الشعب كلمتها ، حيث عقدت الاحزاب والمنظمات السياسية والطلابية العربية في العاصمة الفرنسية مهرجانا حاشدا ظهر ٨-١٢-

٧٧ في باريس نددت فيه بخطوات السادات الاستسلامية ودعت الى توحيد الطاقات الثورية العربية في اطار برنامج تصد واضح ٠

وتحت يافطة كتب عليها « في مصر تحسم الامة العربية معركتها مع اعدائها » ، تحدث الشاعر المصري المعروف احمد عبد المعطي حجازي ، فقال ان « زيارة السادات للقدس المحتلة تشكل بكل بساطة اعترافا كاملا بالكيان الصهيوني واعترافا بالتالي بسيطرة المصالح الاستعمارية والامبريالية التي يحميها هذا الكيان » ٠

اضاف « ان خطوة السادات هي جزء من مسلسل خطوات الرجعية في مصر » ، واعاد الى الاذهان زيارة احمد صبحي السيد الذي ذهب الى اسرائيل في عهد حكومة صدقي باشا ، وقال « ان المعركة الان في مصر ٠ واذا اردتم ان تكسبوا مصر فعليكم ان تقفوا الى جانب جماهير مصر » ٠

وتحدث بعد الشاعر حجازي مندوب الحزب الشيوعي المصري الذي أدان بشدة الخطوة التي أقدم عليها السادات وقال « انها حلقة من حلقات الردة ٠ وكما سبقتها خطوات فستليها اخرى وعلينا الا نقف عند حدود الادانة ، فالاسلوب الصحيح لمواجهة الموقف هو ان تتحد القوى الثورية حول اساليب واضحة للنضال » ٠

وتابع يقول « ان هذه المرحلة تتطلب العمل بأعصاب هادئة وان نتجاوز الانفعال الى العمل المحدد ، وفي رأينا ان البرنامج المرحلي للعمل المشترك ينبغي ان يكون مرنا وملائما » ٠

واضاف « فلنعمل بدأب من أجل تصفية نظام السادات (٠٠٠) ودعم نضال الشعب الفلسطيني البطل » ٠

كما تحدث في المهرجان ممثلو منظمات سياسية وطلابية عربية اخرى بينها ، منظمة ٢٣ مارس المغربية ومنظمة الاختيار الثوري المغربية ايضا ، ومنظمة العمل الشيوعي في لبنان ومنظمة الطليعة العربية التونسية وجبهة التحرير العربية وجمعية طلبة شمال أفريقيا في فرنسا والاتحاد الوطني لطلبة العراق في فرنسا ٠ (٤٠)

وردا على سياسة السادات القائمة على خلق زعامات عميلة ، او بديلة ، تدين له بالولاء وتدافع عن سياسته ، وللمشاركة في مؤتمر القاهرة اعلن رؤساء الضفة الغربية رفضهم الاشتراك في مؤتمر القاهرة والمحادثات المصرية الاسرائيلية الجارية ٠
جاء هذا الاعلان عقب اجتماع عقده رؤساء واعضاء بلديات نابلس ، رام الله ، والبيرة واريحا ، وحلحول ، وبير زيت ، وطولكرم ، في جامعة بير زيت ٠

وياتي هذا الاجتماع في اعقاب الحديث عن دعوات وجهها وسيوجهها النظامان الاردني والمصري اضافة الى اسرائيل لعدد من الشخصيات ورؤساء البلديات في الضفة الغربية لحضور مؤتمر القاهرة وتمثيل الشعب الفلسطيني ٠

ويذكر ان اجتماعا مماثلا عقده رؤساء البلديات المذكورة في بير زيت رفضوا خلاله زيارة السادات الى الكيان الصهيوني بل ادانوها ٠ (٤١)

وقد عبرت تلك القيادات عن موقفها منخلال المذكرة التالية والتي تقول : « في الوقت الذي تواجه فيه قضيتنا الفلسطينية بأبعادها الثلاثة الوطنية والقومية والانسانية مرحلة حاسمة لا يقصر اثرها على حياة شعبنا الفلسطيني ووحدته الوطنية بل على الامة العربية

عامة ، وبعد ان اكتسبت قضيتنا اهتمام العالم نتيجة نضال الشعب الفلسطيني وصموده في مخيماته وفي المناطق المحتلة وفي اماكن تواجده ، وتشرده في مختلف انحاء العالم ونتيجة نضالات الشعوب العربية ضد التحدي الصهيوني والامبريالي فوجئنا بزيـــارة الرئيس السادات لاسرائيل بتاريخ ١٩ـ١١ـ١٩٧٧ بما تنطوي عليه هذه الزيارة من محاذير ٠

اننا نعلن عدم ارتياحنا لهذه الخطوة التي قام بها الرئيس السادات للنتائج والمخاطر المحتملة والمترتبة عليها ٠ كذلك لاغفاله منظمة التحرير في خطابه امام الكنيست كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ٠ ونعلن كذلك ان لمنظمة التحرير كامل الحق والواجب في اتخاذ الموقف الذي اتخذته من هذه الزيارة وانها في موقفها هذا تعبر بوضوح عن رأي وموقف الشعب الفلسطيني ولكننا ومن منطلق المسؤولية نسجـــل على الرئيس السادات التزامه بعدم اللجوء الى حل منفرد مع اسرائيل وأعلانه عن تمسكه بعروبة القدس وضرورة انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة وعودة اللاجئين الى ديارهم واعطاء الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصير وانشاء دولته المستقلة ٠

واذ نعيد الى الذاكرة التزام العالم بقرارات الامم المتحدة وخاصة قرار الجمعية العامة رقم ٣٢٣٦ الصادر بتاريخ ٢٢ـ١١ـ١٩٧٤ وقراري مؤتمري القمة في الجزائر والربـاط اللذين اعتبرا منظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني اينما كان ، فاننا نعلن تمسكنا بهذه القرارات ونؤكد التزامنا بقرارات المؤتمر الوطني الفلسطيني الثالث عشر المنعقد بالقاهرة ونطالب جميع الجهات احترام التزام شعوب العالم ومـن ضمنها شعبنا الفلسطيني ونشجب اي محاولة للمس بحقوق شعبنا الشرعية وفي مقدمتها حقه في تقرير مصيره ٠

وعليه فاننا من جميع هذه المنطلقات نؤكد المبادىء التالية :

اولا : اننا في الوقت الذي نعلن فيه موقفنا هذا من زيارة الرئيس السادات لاسرائيل نؤكد ايماننا بدور مصر وتضحياتها من أجل القضية الفلسطينية وقضايا النضال العربي ونؤكد على عمق التحالف بين شعبنا والشعب المصري وايماننا الذي لا يتزعزع بالدور المركزي الذي تحتله مصر في معركة التحرير العربي ونحيي نضال شعبها وتضحياتـه الكبيـرة ٠

ثانيا : ان شراسة المعركة في ظل الهجمة الامبريالية الحالية على مكتسبات شعبنـــا والشعب العربي تستدعي اقامة جبهة عربية عريضة تضم جميع الدول العربية الرافضـة لكل اشكال الهجمة الامبريالية على المنطقة وتضم كذلك المنظمات الشعبية العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية وتجنيد جميع الطاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية للوقوف امام هذه الهجمة ووضع حد للتآمر على جميع المكتسبات الوطنية في الارض العربية وتعميق تحالف هذه الجبهة مع جميع القوى المناهضة للامبريالية والصهيونية ٠

ثالثا : ان شعبنا الفلسطيني في الاراضي المحتلة يؤكد بوضوح تام ايمانه بوحدة الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج ويؤكد كذلك وحدة التمثيل الفلسطيني ممثلا بمنظمة التحرير الفلسطينية وهي الجبهة الوحيدة المخولة بالتكلم باسم هذا الشعب وتشجب اي محـاولة لاقامة قيادة بديلة او موازية ٠

رابعا : ان حقوق شعبنا الفلسطيني والتي اكدتها قرارات الامم المتحدة المختلفة هي حقوق غير قابلة للمساومة ٠ وفي مقدمة هذه الحقوق حقه المشروع في تقرير مصيره على ارضه

بحرية تامة وعليه فنحن نرفض اي صورة واي شكل من أشكال الحلول التي تنتقص من استقلالية هذا الشعب واستقلالية ارادته ونرفض بالتالي اي ربط قسري للدولة الفلسطينية مع اي جهة اخرى ما دام هذا الاتجاه يتعارض مع حرية شعبنا في تقرير مصيره ٠

خامسا : اننا من الاراضي المحتلة نحيي نضال جميع شعوبنا العربية ونحيي كـذلك جميع القوى التي قدمت التأييد لنضالنا العادل ونحيي قبل كل هذا وذاك نضال شعبنـا في الخارج بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وندعو الى الوقوف بحزم ضد كل محاولات زعزعة التضامن العربي القائم على ارادة الامة العربية في التخلص من الهجمة الامبريالية والعدوان الصهيوني » ٠ (٤٢)

١ ــ اوراق الهيئـــة العربية العليا ، محفوظات مركز الابحاث ٠
٢ ــ طارق بشري ، الحركة السياسية في مصر ، ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ١٩٧٢، ص٢٦٩٠
٣ ــ المصدر نفسه ص ٢٥٩ ٠
٤ ــ النهار ، يوم ٧ــ١١ــ١٩٧٧
٥ ــ النهار ١٩ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٦ ــ السفير ١٩ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٧ ــ النهار ١٩ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٨ ــ السفير ١٩ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٩ ــ السفير ٢٠ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
١٠ ــ السفير ٢٠ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
١١ ــ السفير ٢٠ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
١٢ ــ النهار ٢٠ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
١٣ ــ النهار ٢٠ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
١٤ ــ السفير ٢٠ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
١٥ ــ السفير ٢٠ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
١٦ ــ السفير ٢٠ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
١٧ ــ السفير ٢٠ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
١٨ ــ السفير ٢١ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
١٩ ــ النهار ٢١ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٢٠ ــ النهار ٢٢ــ١١ــ١٩٧٧
٢١ ــ السفير ٢٢ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٢٢ ــ النهار ٢٢ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٢٣ ــ السفير ٢٥ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٢٤ ــ السفير ٢٥ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٢٥ ــ النهار ٢٦ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٢٦ ــ السفير ٢٦ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٢٧ ــ السفير ٢٦ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٢٨ ــ النهار ٢٧ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٢٩ ــ السفير ٢٧ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٣٠ ــ السفير ٢٧ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٣١ ــ السفير ٢٨ــ١١ــ١٩٧٧ ٠
٣٢ ــ النهار ١ــ١٢ــ١٩٧٧ ٠
٣٣ ــ السفير ٤ــ١٢ــ١٩٧٧ ٠
٣٤ ــ السفير ٥ــ١٢ــ١٩٧٧ ٠
٣٥ ــ السفير ٥ــ١٢ــ١٩٧٧ ٠
٣٦ ــ السفير ٥ــ١٢ــ١٩٧٧ ٠
٣٧ ــ السفير ٦ــ١٢ــ١٩٧٧ ٠
٣٨ ــ السفير ٧ــ١٢ــ١٩٧٧ ٠
٣٩ ــ السفير ٨ــ١٢ــ١٩٧٧ ٠
٤٠ ــ السفير ٩ــ١٢ــ١٩٧٧ ٠
٤١ ــ السفير ٩ــ١٢ــ١٩٧٧ ٠
٤٢ ــ السفير ١٠ــ١٢ــ١٩٧٧ ٠

اليمين اللبناني

جوزيف سماحة

صحيح ان « الجبهة اللبنانية » لم تصدر بيانا علنيا بتاييد خطوات انور السادات ، لكن الاصح ان اركانها واحزابها اتخذوا مواقف ايجابية حيال هذه الخطوات متفاوتة في وضوحها وان كانت تلتقي عند حد ادنى لا تهبط دونه ·

هذا التأييد الواضح لخطوات انور السادات تبدى في عدد من المواقف والخطوات والتصريحات كانت تدور كلها حول القضايا التالية :

١ ـ امتداح شجاعة انور السادات والتمني « بأن ينجسح في رهانه الجديد على السلام » (١) وفي « خطوته الجريئة والشجاعة » (٢) وفي « الثورة البسيكولوجية التي احدثها ·· » (٣) · واذا كان حزب الكتائب قد ارسل الى القاهرة عضو مكتبه السياسي ورئيس تحرير صحيفة « العمل » (جوزيف ابو خليل) ليدافع من هناك عن مبادرات السادات مؤكدا على « حماس الشعب المصري لها » ·· فان حزب الوطنيين الاحرار وضع على لسان امينه العام ، وابن رئيسه ، دوري شمعون كلاما في منتهى الصراحة : « خطوة انور السادات منطقية وقد حققت نصرا سياسيا للعرب ونحن نؤيد مؤتمر القاهرة الذي دعا اليه الرئيس المصري ·· » (٤) ·· هذا في حين اكتفى كميل شمعون نفسه بموقف التريث وترقب التطورات وعدم تحديد موقف صريح الا في ما يتعلق بالتهجم على الذين انتقدوا انور السادات ·

٢ ـ مع هذا التأييد العلني وجه اركان الجبهة الانعزالية ضغوطهم لدفع الدولة نحو اتخاذ موقف وسطي ، حيادي · والتصريحات هنا تكاد لا تحصى لعل ابرزها على الاطلاق ذلك الذي دعا فيه بيار الجميل الى « جبهة عربية معتدلة تقوم بدور الوسيط الموفق وتكون مؤلفه من السعودية والكويت والاردن ولبنان ·· » (٥) وذلك الذي نبش فيه المشروع القديم حول « ضرورة تكريس حياد لبنان رسميا » (٦) ·

وطبيعي ان يرافق هذه الدعوة الى الوسطية كلام كثير حول اخطار الانقسام العربي على لبنان واحتمالات تطور الوضع فيه بعد ما جرى عربيا ·

لكن الاهم من ذلك هو اندراج هذه الدعوة في سياق المشروع العربي الذي تقوده السعودية تحت شعار التضامن العربي والذي يقصد منه تجديد هذا التضامن على قاعدة « ان ما حدث قد حدث » (كما يقول الملك حسين) وانه لا بد من بدء التعاطي مع خطوات السادات كأمر واقع والتكيف معها ·

٣ ـ اعتبار ان الحل الذي يطرحه السادات على الدولة الصهيونية هو الحل المثالي لمشكلة الاقليات كلها في المنطقة كما جاء في واحدة من افتتاحيات العمل : « لنقل بصراحة ان الرئيس المصري وهو يحاول تبديد مخاوف اليهود التي هي سبب تشبثهم بالقوة والعنف كان في الوقت نفسه يقدم حلا لما يسمى « المسألة الشرقية » والذي لا حل سواه · فمنذ

سنوات والمسيحيون ينتظرون هذا الحل · واذا كان من عتب على الزعيم المصري فلانـه تأخر في تقديمه الى ما بعد مأساتهم ·· » · وفي هذا الكلام كل النظرية الانعزالية (التي تضع نفسها موضع الصهيونية) حول كيفية توفير الطمأنينة للاقليات : تسليطها علـى الاكثرية وتحكمها بها واخضاعها !

· ولذلك كان لا بد ان يكون الوجه الاخر لهذا الاستقواء بالخطوة الساداتية هو هـذا التمجيد الفاقع للاقليمية المصرية ·· « تظل مصر مهما قيل ، ومهما فعلت ، مصرية ، وفرعونية ربما ، قبل ان تكون عربية · انها مثل لبنان « انعزالية » (٧) · اي ان افضل حل للصهيونية وللانعزالية ·· هو الانعزالية العربية !

عند الحديث عن التأييد الذي أبدته « الجبهة اللبنانية » لزيارة السادات لا يجب ان يغيب عن بالنا ان مستوى هذا التأييد استمر محكوما بعدد من العوامل حددت له سقفه ·

لقد استمر الانعزاليون مضطرين لمراعاة الموقف اللبناني الرسمي للمزيد من المساهمة في تشكيله وصياغته ، كما انهم راعوا الحليف العربي الرئيسي للبنان الرسمي ولم يذهبوا في تأييد السادات الى حد تهديد علاقاتهم الراهنة بأطراف عربية اخرى ·

فضلا عن ذلك لم يكن بود الانعزاليين اختراق سقف الخطة الاميركية حيال المنطقة في هذا الطور الراهن ، حيث ما زالت الادارة الاميركية عاكفة على محاولة تطويع المواقع العربية المتمردة بالحسنى ، وعبر التلويح بالتسوية الشاملة وسراب مؤتمر جنيف (مـن غير ان تتخلى ولو للحظة عن دعم لقاء القاهرة وخطوات السادات ـ بيغن) ·

فضلا عن هذه العوامل السياسية يمكننا ملاحظة ان التأييد الانعزالي للسادات كان مشوبا بمزيج من المرارة والحـذر ···

المرارة لان الصلح العربي ـ الاسرائيلي (على يد السادات) جاء متأخرا بعض الشيء وبعد ان دفع « لبنان » (اي المشروع الانعزالي للبنان) ثمنا فادحا لانه استبق الوقت وتكفل بأن يدفع من جيبه ثمن انضاج ظروف هكذا لقاء ·

والحذر ـ وهو التماعة تطل حينا ولكنها سرعان ما تختفي ـ من ان يكون هكذا صلح على حساب لبنان سياسيا واقتصاديا ·

فعلى الصعيد السياسي تحدثت جريدة « العمل » مرات متعددة عن « اهتزاز اساس المعادلة التي قام عليها الكيان اللبناني منذ الخمسينات حتـى اليوم ·· » وذهبت الى التأكيد على ان « ما يحدث في محيطنا خطير وخطير جدا ·· انها صفحة جديدة فـي تاريخ هذه المنطقة مهما قيل ومهما حاول بعضهم التقليل من شأنها ·· وسط هذا الانقلاب

في العلائق العربية ـ الاسرائيلية لا بد وان يتأثر دور لبنان ورسالته ومركزه فـي المنطقة » (٨) ·· ويعكس هذا الكلام الخوف من أن يؤدي مشروع الصلح هذا الى صفقة يكون المشروع الانعزالي في لبنان ضحيتها بفعل تفضيل اسرائيل التعاطي مع حلفاء جدد اعظم وزنا · كما انه يعكس الخوف من ان يفقد لبنان « ميزته » في المنطقة : صلة الوصل بين الشرق والغرب ·ومن ان تفقد المارونية السياسية هامش المناورة التقليدي الـذي تتمتع به بين « الداخل » و « الخارج » ·

بالاضافة الى ذلك ثمة تخوف سياسي من ان تنعكس هذه التطورات سلبيا على المشروع

الانعزالي اذا انهار التضامن العربي ، بمعناه الرجعي ، واذا اندفعت بعض القوى نحـو تجذر حقيقي وملموس في وقت لا زال الصدا - مفتوحا في لبنان ، ولا زالت قضيـة الجنوب معلقـة ٠

اما على الصعيد الاقتصادي فان خير معبر عن الحذر الانعزالي مما يجري هو تصريح كميل شمعون الشهير ردا على ملك المغرب الحسن الثاني الداعي الى الدمج بين « الثروة العربية والعبقرية اليهودية » ٠ فلقد اثار هذا التصريح حفيظة رئيس « الجبهة اللبنانية » ودفعه للتساؤل عن المبررات التي دفعت « بالعرب » للتخلي عن فوائد « العبقريـة اللبنانية » !

غير ان هذا الحذر لا يغير شيئا في الموقف الانعزالي من خطوات السادات وان كان يغطيه لونا سياسيا ذا معنى : « الجبهة اللبنانية » توضح تأييدها وموقفها على وقـع تطور حركة الصراع في المنطقة ، وعلى وقع تصعيد الموقف الاميركـي ـ الاسرائيلي ، وبانتظار الضوء الاخضر الخارجي الذي يمكنها من الايغال في موقفها ومن الاستناد الى دعم فعال في أية معركة تخوضها تحت لواء تأييد مبادرات انور السادات ٠

ولا يحتاج المرء لكبير عناء ليكتشف كم ان صورة الوضع اليوم، في لبنان ، تشبـه صورة الوضع غداة اتفاقية سيناء ١٩٧٥ ، مع حفظ الفارق والنسبة بين الخطوتين وفـي ما يتعلق بميزان القوى اللبناني والعربي عام ١٩٧٥ والان ٠

تدرك الجبهة الانعزالية تماما ان الضوء الاخضر سيأتيها حتما اذا استمر لبنان ساحة فعل للقوى المعترضة ، الى هذا الحد او ذاك ، على خطوة الرئيس المصري ٠

وهي على ثقة تامة بأن عدم انهيار هذه القوى الاعتراضية ، على تفاوت اعتراضاتها ، يؤدي الى اعطاء الانعزاليين ضوءا اخضر للتوتير ، في الجنوب وغيره وبكـل الوسائل السياسية والعسكرية ، لاصابة قوى متعددة بحجر واحد ٠

وهي انما تضبط تأييدها لخطوات السادات بانتظار نضوج الظروف العربية والدولية للانتقال الى طور جديد هو طور الهجوم على القوى المعترضة ومواجهتها بحسم الضغط عليها سعيا وراء تمرير الحلقة الثانية في المؤامرة : ضرب المقاومة ، انهاك سوريا وابطال اعتراضها على سلوك السادات ، والقفز بالوضع اللبناني من الموقع الحالي الى موقع التحالف مع الدولة الصهيونية وتعميم سياسة « الجدار الطيب » ٠٠ وصولا الى تسليط أقلية طائفية على البلد بأكمله ٠

امام هذا كله يبقى ان السؤال المطروح هو : هل في الموقف الانعزالي الحالي تخـل عن الموقف التاريخي للانعزالية اللبنانية حيال الصراع العربي ـ الصهيوني ؟ نبادر الى الجواب : نعم ٠ ان في الموقف الحالي للجبهة اللبنانية تخليا عما اتفق على اعتباره موقف الانعزالية اللبنانية حيال الصراع بين اسرائيل والعرب ٠

ما هو الموقف التاريخي للانعزالية اللبنانية ؟

سنحاول تحديد هذا الموقف بالرجوع الى ميشال شيحا وكتابه « فلسطين » من غيـر اضطرار الى شرح هذا الرجوع المنطقي جدا (وان بدا للبعض تعسفيا) لان ميشال شيحا هو هنا ، كما في مجال اخر تقريبا ، وحتى اشعار اخر ، مؤسس وواضع « الايديولوجيا اللبنانية » (١٠) ٠

ينظر شيحا (١١) الى اسرائيل بصفتها خطرا اقتصاديا على لبنان معتبرا ان تطورات القضية الفلسطينية قد تقود اللبنانيين الى اعادة النظر في الكثير من قيمهم الاقتصادية ويعتبر انها دولة تنعم بخصائص الدول الكبرى وان مطامعها غير محدودة ولا بد من خشيتها ٠٠ ويبدي اعجابا غير محدود بالتجربة الاسرائيلية وبالمركز المالي لليهود معبرا عما يثيره هذا الشيء من هموم لدى اللبنانيين (ميشال شيحا احد اصحاب مصرف « فرعون وشيحا ») وهو يدعو الى اعتماد الصيغة اللبنانية حلا للمشكلة الفلسطينية لان الدولة الصهيونية مستحيلة وكذلك التقسيم مستحيل ٠

ورغم اعترافه بدور الغرب في قيام اسرائيل فانه يلح على الصلة العضويـــة بين الماركسية والصهيونية ليخلص الى استنتاج مؤداه ان الاتحاد السوفياتي مسؤول اكثر من غيره وان الغرب سيؤيد العرب يوما ما لان مصالحه معهم ٠ كما انه يدعو الى عــدم تصديق اي موقف سوفياتي معاد لاسرائيل ، لان ذلك هو مجرد انتهازية تهدف الـى استمالة العــرب ٠

وكان ميشال شيحا يصر على نقيضين في ان معا : فهو من جهة مع المقاطعة العــربية لاسرائيل ومع ضرورة مقاومتها ومع تسليح لبنان ، لكنه يدعو في المقابل باستمرار الى تدويل القدس والى ضمانات تعاقدية للحدود ، اي عمليا للاقرار بوجود اسرائيل ولاستمرار « ارادة مقاومتها » معبرا عنها بالمقاطعة الشاملة لها على الا تطال هذه المقاطعة الولايات المتحدة والغرب ، وعلى الا تقترن بنمو اليسار او بنمو اي شكل من أشكال التحالف مع الاتحاد السوفياتي ٠

ولعل افضل من اعاد تلخيص وجهة النظر هذه هو جان سالم (١٢) في الكتاب الوحيد الذي صدر حول فكر شيحا ٠ يقول جان سالم ما تلخيصه :

١ ــ ان شيحا كان يعتبر ان قيام اسرائيل حدث في غاية الاهمية والخطورة ٠

٢ ــ ان اسرائيل هي ظاهرة سيطرة واقتلاع وهي تشبه النظام الشيوعي باعتبار ان « للماركسية والصهيونية دينامية النضال ورفض السلم لحين تحقيق برنامجهما » ٠

٣ ــ تهدف اسرائيل الى السيطرة على الشرق الاوسط وهي ارهاصات قوة عظمى ٠

٤ ــ لا مهرب من الاحترام الشديد ــ والخوف الشديد ، من التقدم التقني والثقافـي الاسرائيلي ٠

٥ ــ سيؤدي قيام اسرائيل بالضرورة الى تغييرات هائلة في منطقة الشرق الاوسط ٠

٦ ــ اسرائيل هي وليدة تفاهم سوفياتي ــ اميركي والسوفيات مسؤولون اكثر عنهـا لانها بؤرة توتر تفيدهم ٠

قلنا ان الفكر الانعزالي اللبناني لم يخرج اطلاقا عن دائرة هذه النظرة الى اسرائيـل (والفكر اليميني العربي يحمل سمات وافكارا مماثلة ٠٠) ونضيف ان المطلوب هو بعض التجريد لما كان ميشال شيحا يريد قوله ٠

استشعر ميشال شيحا الخطر الاسرائيلي اقتصاديا على لبنان وادرك ان هذا الخـطر لن يتحقق الا اذا اصبحت اسرائيل جزءا من المنطقة ، مقبولا من دولها وشعوبها ولذلك فانه دعا بحماس الى استمرار المقاطعة العربية لها ورفض الاعتراف الرسمي بوجودها ٠

لكنه شعر في المقابل بخطورة اي نصر يحققه العرب على اسرائيل ـ والغرب الداعم لها ـ كما في ذلك من خطر على التركيبة اللبنانية نفسها سياسيا واقتصاديا ، باعتبار ان هكذا نصر لن يكون الا في سياق مد قومي عربي يطيح بأسس الانعزال اللبناني ويهدد الدور الاقتصادي المعروف : محطة النهب لصالح الاستعمار · ولذلك دعا شيحا العرب الى الاكتفاء « بالرفض » الرسمي على ان يقبلوا بتدويل القدس « وبضمانات تعاقدية للحدود » لان ذلك انما يعبر عن حدود الهزيمة العربية وعن استمرار الوضع العربي عاجزا عن ضرب اسرائيل ولكنه غير عاجز عن استمرار مقاطعتها · اي ان المطلوب هو ان يكون الوضع العربي فوق الهزيمة الكاملة (حتى لا تصبح اسرائيل جزءا من المنطقة وتلغي الدور اللبناني) وتحت القدرة على النصر الفعلي (حتى لا تلغي الحركة القومية العربية الكيان اللبناني واسسه السياسية والاقتصادية ··) ·

بكلام اخر كان شيحا يطالب بعزل اسرائيل اقتصاديا عن العرب ليستمر الدور اللبناني وبعزل لبنان سياسيا عن العرب ، حتى لا يؤدي الانخراط الكامل في الصراع مع اسرائيل الى تغيير في البنية الاقتصادية يحرم نظام الخدمات من الاستفادة من الصراع العربي ـ الصهيوني ، ومن كونه نافذة على الغرب ومحطة له !

ما من شك في ان هذا الموقف الذي صاغه ميشال شيحا استمر يشكل الموقف التاريخي للمارونية السياسية ولليمين اللبناني حتى الفترة الاخيرة حيث بدأ القطع على المستويين الداخلي والعربي بين سياستين لهذا الطرف ·

وليس اسهل بعد هذا العرض السريع من اكتشاف ان التغيير في الموقف الانعزالي حيال الصلح مع اسرائيل حاصل فعلا وان له اسبابه العميقة ·

نبادر الى القول ، قبل محاولة اكتشاف اسباب هذا التغيير ، ان ثمة ارتباطا عميقا لدى ميشال شيحا بين هذا التوازن المطلوب من لبنان في الصراع العربي ـ الاسرائيلي وبين التوازن الذي يفترض ان يحكم لبنان داخليا وهو توازن يلعب فيه الموارنة الدور الاقوى من غير قطع مع الطوائف الاخرى ، كما انه توازن لا يطغى فيه « السياسي » على « الاقتصادي » بل يجري العزل بينهما وينظم تعايشهما بشكل يستمر للاول منطقه « الطائفي ، شبه الانعزالي » وللثاني منطقه « النفعي ، المنفتح جدا على العرب وبلدان المنطقة » ··

لا بد من توضيح ذلك كمقدمة لتفسير اسباب التغيير في الموقف الانعزالي من الصلح مع اسرائيل · وبشيء من التفصيل نقول ان الموقف الانعزالي الذي صاغه ميشال شيحا واستمر ، حتى شارل حلو ربما ، وصولا الى رحلة سليمان فرنجية الى الامم المتحدة ، ان هذا الموقف كان محكوما بالاعتبارات التالية :

١ ـ الرغبة في الحفاظ على توازن داخلي بين المسلمين والمسيحيين ، تكون فيه الغلبة المارونية . السياسية والاقتصادية والثقافية ، مقنعة وخاضعة لمنطق « التسوية الطائفية »·

٢ ـ الرغبة في قطف ثمار « ازدهار » اقتصادي (الم تنتعش البورجوازية اللبنانية بعد نكبة فلسطين ··) طالما انه ازدهار يتم توزيعه عبر قنوات طائفية ـ طبقية تجعل المجموعة المسيحية في لبنان اكثر استفادة منه من المجموعة الاسلامية (مع التشديد على التفاوت في الامتيازات والحرمان لدى المجموعتين ··) · وهذا الازدهار مستحيل بالاستمرار

في علاقة معينة مع الداخل العـربي ٠

٣ـ النجاح في التهرب منمواجهة تحديات ملموسة تضع التوازنين المحكي عنهمـا على المحك ٠ وتجسد هذا التهرب في الامتناع عن خوض المعارك العربية ضد اسرائيل والاحتفاظ بالعلاقات الجيدة مع العرب ٠ وفي حين كان يصار الى تغطية هذا التهرب بالحديث الممجوج حول المعارك الاعلامية التي يخوضها لبنان كانت الظروف تهيىء للبلد واحدا من اصعب الاختبارات : تحول القضية القومية الى قضية داخلية (بعد ١٩٦٩) تهز التوازنات اللبنانية من أساسها وتضعها على المحك ٠٠

هذه الظروف السابقة هي التي املت على الانعزاليين الاحتفاظ بموقفهم التقليدي ٠ ونحن مطالبين اذا رغبنا في استقـــراء اسباب الانقلاب في الموقف العودة الـــى هذه الجذور لدراستها ٠ وسنكتشف عند ذلك ان سبب الانقلاب في الموقف هو بالضبط السعي الانعزالي لكسر التوازنين المذكورين والاطاحة بهما بالكامل ٠

فالمشروع الانعزالي في طـــوره الراهن (كجزء من الهجوم الجـــذري الامبريالي ـ الصهيونية على الامة العربية) هو مشروع راغب في تفجير التوازن اللبناني الداخلي ، وكسر التسوية التي كانت تحكمه (الارجحية المقنعة للموارنة ٠٠) وصولا الى الهيمنة على كل لبنان واقامة لون من ألوان الكيان القومي المسيحي الذي لا يخضع لا سياسيا ولا ثقافيا ولا « قوميا » لمنطق التسوية مع المسلمين ، بل الذي يتحول فيه هؤلاء الى مجـرد سكان لا دور سياسيا لهم (كالعرب في اسرائيل ، او اقل ٠٠) ولا تتعطل امكانية شـل ارادتهم والحاقهم « بالموارنة » سوى بفعل التمرد اليساري ـ الفلسطيني ٠

ومن اجل تحقيق ذلك دفع « باللحظة الاقتصادية » الى الخلف ودمر البلد بالكامل تقريبا (الاكثر اسهاما في التدمير هم شبه المحرومين من الطوائف صاحبة الامتيازات ٠٠) واحتلت « اللحظة السياسية » مقدمة المسرح بما هي لحظة « شبه قومية » تضع على رأس مهامها اقامة هذا اللون منالكيان القومي المسيحي المعادي للعرب ٠

هذا هو ما نعنيه بانكسار التوازنات اللبنانية : انكســـار التوازن بين المسيحيين والمسلمين ، انكسار التوازن بين « السياسي » و « الاقتصادي » ، انكسار التوازن بين « لبنان » (الصيغة المعروفة اياها) وبين العرب ٠٠٠ مما يؤدي عمليا الى سحب البساط من تحت ارجل « الحياد اللبناني » المزعوم في الصراع العربي ـ الصهيوني ٠

لقد وصل المشروع الانعزالي في لبنان الى حد بات يتطلب تدخل اسرائيل المباشر او على الاقل هيمنتها القوية على المنطقة وذلك في اطار الهجمة الامبريالية ـ الاسرائيلية التـي باتت تتطلب اعوانا مثل الانعزاليين ومثل انور السادات ٠

ولذلك لم يكن غريبا ان يؤيد الانعزاليون زيارة السادات لاسرائيل ، ومؤتمر القاهرة ٠ ولم يكن غريبا ان يبدأوا الاستعدادات لتنفيذ الطور الجديد من المؤامرة التي « تنبأ » بها انور السادات والتي تستهدف انهاك واخضاع القوى المعترضة على الحل الاستسلامي للصراع العربي ـ الصهيوني ٠

ان صلح السادات ـ اسرائيل يصب مباشرة في خدمة المشروع الانعزالي في لبنان (كما يصب هذا الاخير طبعا في خطة السيطرة الامبريالية ـ الصهيونية على المنطقة) بالقدر الذي تخلص هذا المشروع من الاحمال التي كانت تثقل كاهله : ضرورة التوازن الداخلي . الهم

الاقتصادي المباشر ، مراعاة العرب ٠٠ أما الذين يتوهمون بأن الانعزاليين قد يكونون ضحية اي « وفاق » عربي ـ اسرائيلي فواهمون للاسباب التالية :

١ ـ ان للانعزاليين مهاما فعلية يؤدونها في لبنان خلال الفترة المقبلة ٠

٢ ـ ان الوضع العربي ، في ظل « وفاق » مع اسرائيل ، سيكون اضعف من ان يطالب بأي ثمن او ضحية !

٣ ـ ان الصلة العميقة بين المشروع الصهيوني وبين المشروع الانعزالي المنفلت من عقاله تجعل من الصعب على اسرائيل ان تقبل التضحية بحليف بادر ، قبل غيره ، ليس الى الاعتراف بها فقط بل والقتال الى جانبها ضد العرب ٠

ان العلاقات بين السادات واسرائيل ، والتي تهدد بالانتقال الى طور تحالفي تحمل اشد الاخطار علينا في لبنان وفي منطقة المشرق العربي ٠٠ هذه المنطقة التي يبدو ان الامبريالية لا تعترف لها بحدود نهائية وثابتة !

مـــراجع

١ ـ حصاد الايام ٠ العمل ، ١٨ـ١١ـ٧٧ ٠

٢ ـ حصاد الايام ٠ العمل ، ١٩ـ١١ـ٧٧ ٠

٣ ـ بيار الجميل ٠ العمل ، ١٨ـ١١ـ٧٧ ٠

٤ ـ « الاحرار » ٠ ٢٨ـ١١ـ٧٧ ٠

٥ ـ بيار الجميل ٠العمل ، ٣٠ـ١١ـ٧٧ ٠

٦ ـ بيار الجميل ٠ العمل ، ٢ـ١٢ـ٧٧ ٠

٧ ـ حصاد الايام ٠العمل ، ١٩ـ١١ـ٧٧ ٠

٨ ـ حصاد الايام ٠ العمل ، ٣ـ١٢ـ٧٧ ٠

٩ ـ « فلسطين » ٠ ميشال شيحا ٠ صادر ١٩٦٠ عن مؤسسة ميشال شيحا ٠ نقله الى العربية انطوان غطاس كرم وهو يتضمن مقالات شيحا حـــول القضيــة الفلسطينيــة والصهيونية ٠٠

١٠ ـ ليس في كل ما يقوله حزب الكتائب حاليا ، او ما يدعيه اليمين اللبناني ٠ حول القضية الفلسطينية ودور لبنان فيها اية اضافة الى ما قاله ميشال شيحا ٠ ويمكن المقارنة بين كتابات شارل مالك عن فلسطين وكتابات كمال يوسف الحاج عن الصهيونية من جهـة وكتابات شيحا في المواضيع نفسها وستكون النتيجة ان شيحا ليس جذع الايديولوجيا اللبنانية فقط ، بل انه جذع يابس لم تنبت له فروع حتى الان !

١١ ـ ننقل بصورة حرفية عن كتاب « فلسطين » لميشال شيحا ٠

١٢ ـ مدخل الى الفكر السياسي لميشال شيحا ٠ ٠جان سالم ٠ ص ١٣٨ ـ ١٤٢ ٠

الصحافة البريطانية والاميركية

ناشي طـــه

نادرا ما اعطت الصحف وكل وسائل الاعلام الغربية قيمة ، على مستـــوى الحـــدث التاريخي ، كما اعطت لزيارة السادات لمدينة القدس · حتى ان دور محطات التلفزيـون الاميركية كان المشاركة في صنع قرار الرئيس السادات وتحقيقه · منفذة بذلك سياسـات القوى النافذة التي تهيمن على وسائل الاعلام ومحطات التلفزيون ذات الجاذبية التي لا يمكن مقاومتها · وفي هذا المجـال لعب ولتـر كرونكايت ، كبير شركة سي· بي· اس· الذي اجرى حديثا مع الرئيس السادات نقلته الاقمار الاصطناعية دورا واضحا ، وقد كرر الرئيس السادات في هذه المقابلة قوله انه على استعداده للذهاب الى اسرائيل والقاء خطاب في الكنيست · وقال انه هذه المرة على استعداد للذهاب بدون اية شروط وخلال اسبوع · ولكنه قال انه لم يتلق دعوة من اسرائيل حتى الآن · ورأى كرونكايت انه امام فرصة لن تتكرر في حياته المهنية · فطلب من مدير مكتب السي·بي·اس في تل ابيب جويل برونشتاين اجراء مقابلة حية مع مناحم بيجن تنقلها الاقمار الاصطناعية ايضا · ولـــم يتمكن بيجن من مقاومة اغراء قوة شبكة السي·بي·اس· وفي مساء ذلك اليوم وعد بيجن مشاهدي التلفزيون في الولايات المتحدة بان يرسل دعوة رسمية الى السادات لزيـــارة القدس عن طريق السفارة الاميركية في اسرائيل · (١) وبانغماس كرونكايت ومراسلين آخرين اصبح من غير الممكن العودة ، اذ اصبح العالم شريكا في الامر ·(٢)

وديبلوماسية التلفزيون « الاميركي » السياسية جعلت بعض المراقبين يتخوفون من ان التلفزيون جعل من نفسه الطرف الرابع في حكومة الولايات المتحدة الاميركية · (٣) ومع ان التطور المجنون للسياسة في الشرق الاوسط يقلل من دور الولايات المتحدة في المنطقة، فان ادارة الرئيس كارتر تسعى للمشاركة من جديد في اللعبة ، كما ينقل جوزف كرافـت عن احد الدبلوماسيين الاميركيين في اسرائيل · (٤) ·

ويضيف كرافت « ان المتطلبات التكتيكية تستلزم البقاء خارج اللعبة لفترة قصيرة · ذلك ان الولايات المتحدة بسياستها الجانبية تساعد اسرائيل ومصر واقطار عربية أخرى مـن اجل تحقيق اتفاقية مناسبة · وستكون نوعا من السلام بالشروط الغربية » · وفي مطلق الاحوال فان ديبلوماسية التلفزيون الاميركي السياسية ، اكانت لدوافع مهنية او سياسية

حقا ، شاركت في دفع السادات للقيام بمغامرته ، حتى ولو بشروط الوهم النفسي ، الذي يحب كثيرا استخدامه ، على أمل ان يتبين العالم رغبة العرب في تحقيق السلام · واظهار حضارتهـم ايضـــا ·

حقيقة ما حدث

تروي صحيفة صندي تايمز البريطانية (٥) الوقائع على الوجه التالي · يبدو ان هنالك حلقة غامضة حدثت خلال الاربع وعشرين ساعة التالية (بعد خطاب السادات يوم ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) أمام مجلس الشعب المصري) دفعت بالحوار الى مستويات اعلى · ويبدو ان ما حدث هو : بعد ظهر يوم الخميس ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) وفي اجتماع ترأسه مناحم بيجن اصر وزير خارجيته موشي ديان ووزير دفاعه عازر وايزمن والسفير الاميركي في اسرائيل سام لويس على عدم السماح للسادات بتحقيق انتصار دعائي على اسرائيل · وبالطبع كان الهدف الاساسي من الاجتماع هو اقناع مناحم بيجن بالاعتذار عن اية اصابات وقعت في اوساط المدنيين في لبنان · ولكن بعد الاجتماع تغيرت ردود فعل بيجن في اليوم التالي · الجمعة ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) اذاع راديو اسرائيل خطابا مهما لبيجن باللغة الانكليزية بدا انه موجه الى مصر · وربما كان السادات بانتظار هذا الخطاب لان اذاعة القاهرة التقطت الخطاب واذاعته بموجب ترتيب مسبق · والغريب ان السادات رد على خطاب بيجن وباكثر الوسائل علنية · فبعد ٢٤ ساعة فقط ويوم ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) اعلن امام ١٤ عضوا من اعضاء الكونجرس الاميركي يزورون القاهرة انه على استعداد للجلوس مع بيجن واعضاء الكنيست الاسرائيلي · وحانت اللحظة التي يمكن ان يضيع فيها الزخم · وكان يمكن للزخم ان يضيع لولا ان التلفزيون تحرك بسرعة · وتروي الصندي تايمز بعد ذلك دور والتر كرونكايت ، وعن المقابلتين اللتين اجراهما مع الرئيس السادات ومناحم بيجن · ولا يقلل من مضمون رواية الصحيفة البريطانية قول كرونكايت : التكنولوجيا تدخلت كثيرا · وانا لا اعتبر ان ما قمت به هو انجاز غيرعادي · فأنت لا تستطيع ان تحصل على شيء من الزعماء السياسيين اذا كانوا هم لا يرغبون في الافصاح عنه · وتتابع الصندي تايمز روايتها لما حدث وتقول : واذا كان بيجن والسادات يرغبان في الافصاح فلقد واجها مشاكلهما الخاصة ايضا · فقد صدرت الدعوة الاسرائيلية في اليوم التالي · في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) · وصادف ان السادات كان سيزور سوريا في ذلك الحين · ورأى انه ليس من المستحسن ان يزور سوريا ، بعد ان يحصل على دعوة لزيارة اسرائيل، ولذلك فقد تأخر وصول الدعوة اليه وكانت عملية التأخير للتغطية فقط · فالحقيقة ان الدعوة وصلت للسادات وانه رد عليها وان بيجن تسلم الرد خلال ٢٤ ساعة فقط · وقد جاء في الرد ان السادات سيصل الى اسرائيل يوم السبت على ان يبقى كل شيء سريا الى حين عودة السادات من سوريا ·

وتضيف صحيفة الجارديان البريطانية (٦) بعض الوقائع المعروفة لما حدث · وتنقل النص الحرفي لما قاله بيجن أمام الفريق اليهودي الفرنسي « انني ادعو الرئيس السادات باسم حكومة اسرائيل للمجيء الى القدس لبدء مباحثات من أجل اقامة سلام دائم بين مصر واسرائيل » وتعقب الصحيفة على هذه الدعوة بالقول ان امكانية قدوم الرئيس السادات الى القدس كان يحيطها بعض الشك في الاوساط الاسرائيلية · والشعور الغالب عند الاسرائيليين انه لم يكن في الامر غير الرغبة في العمل الاستعراضي · وفجأة بدأ العالم

يتحقق من جدية الامر · أما جيم هوجلاند (٧) فيعود بحقيقة ما حدث الى أواسط ايلول (سبتمبر) · ففي زيارة موشي ديان لباريس في ذلك الوقت كان قد قطع زيارته وعاد الى اسرائيل · وعندما تابع زيارته ووصل الى واشنطن قدم تقريرا مفصلا للمسؤولين

الاميركيين الكبار عن اجتماع سري كان قد عقده مع مبعوث عربي للرئيس السادات . ولقد بقيت طبيعة المباحثات وشخصية المبعوث سرية . وفي تقرير نشر ذكر ان المبعوث كان سعوديا . وباعتماد السادات على وسيط سعودي يكون قد حصل على موافقة السعودية في خطوته هذه . يضاف الى ذلك ان هناك فريقا سعوديا بزعامة رجل المخابرات كمال ادهم ينال ثقة من الرئيس السادات . كما اورد هوجلاند .

اسباب خـطوة الســادات

بقدر ما كانت الاسباب التي أوردتها الصحف البريطانية والاميركية لزيارة السادات الى القدس كثيرة . بقدر ما كانت هذه الاسباب متداخلة ومعقدة . منها المحلي الاقتصادي والاجتماعي ومنها الشخصي المرتبط بشخصية السادات وسيكولوجيته . ومنها موازين القوى العسكرية بين مصر والعرب من جهة واسرائيل من جهة اخرى . وعلى أهمية هذه الاسباب ، فان اشارات كثيرة حول خيبة الامل المصرية والاسرائيلية من ادارة الرئيس كارتر (كل حسب وجهة نظره) تبدو واضحة الدلالات والخطورة .

صباح اليوم التالي لوصول السادات الى القدس نشرت صحيفة الاوبزرفر البريطانية (٨) دراسة وافية عن العوامل التي جعلت السادات يصعد عاليا ووحيدا . اليوم يمثل السادات فوق رؤوس العرب الذين ينظرون اليه مشدوهين وهو يحيك شبكة الامان . ان ابن دلتا النيل يحقق الان عملا عجز عن تجاوز مثله عبد الناصر وهو في اوج عظمته . والمصريون لا يصرحون ان كان ذلك ناتج عن شجاعة او عن تهور . وهم ينظرون متسائلين : اي شيء دفع زعيمهم ان يصعد الى هذا العلوا وحيدا ؟ . وفي محاولة للمقارنة يتذكر الناس في القاهرة كيف قام صلاح الدين بزيارة قلب الاسد خلال الحروب الصليبية . وتصف الصحيفة طبع السادات خلال القاء خطابه أمام مجلس الشعب المصري يوم ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) وكيف كان يبدو في وضع معنوي سيء لدرجة انه كان يتعثر بين الكلمات . وكيف انه التزم بالنص أمامه حتى الربع الساعة الاخيرة . حيث اضاف كلمته المشهورة بأنه على استعداد للذهاب حتى الى الكنيست ليبحث عن السلام . وتروي الصحيفة انه صباح ذلك اليوم اتصل السادات بالاسد وطلب منه المجيء الى القاهرة لاسباب ملحة . غير ان الاسد ذكر له بأنه هو الذي قام باخر زيارة للقاهرة وان الدور هو للسادات للمجيء الى دمشق . ووافق السادات بعد تردد . وتعثرت الزيارة لدمشق . وكـــانت استقالة اسماعيل فهمي ، وزير الخارجية المصري ، وخلقه بذلك سببا واضحا لصعوبـة تأجيل الزيارة الى الاسبوع القادم كما كان مقررا لها . ان وضع السياسة المصريـــة والاقتصاد المصري الصعب هي من بين الاسباب التي حملت السادات على القيام برحلته . وخيبة الامل الثانية التي دفعت السادات لاتخاذ قراره هو وضع الجيش « ذلك ان الجيش المصري لا يبدو في وضعيمكن منه القيام بحرب كبيرة . ان النقص في قطع الغيار ملح ». أما خيبة الامل الثالثة فهي تعثر التقدم في محادثات جنيف . وكذلك سمعته التي بدأت تنحدر في العالم العربي . ورغم انه يتمتع بصبر الفلاحين وحبهم للبقاء . وكما يروي احد المقربين منه فان السادات من صنف الرجال الذين يتحررون عن المخرج وقت يدخلون غرفة ما . وهو دائما مقامر ومنفرد . ان الشعور العام هنا في القاهرة انّ السادات لم يتأكد تماما من ابواب النجاة هذه المرة . مجلة نيوزويك (٩) تذكر مجمل هذه الاسباب خصوصا تدهور اوضاع مصر الداخلية . فالرئيس السادات يعاني من اوضاع اقتصادية

ضاغطة واسباب سياسية تدفعه للبحث عن السلام . وتنشر المجلة تقريرا من مكتبها في القاهرة يصف الشعور بالخيبة عند المصريين من الاوضاع المتدهورة على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي . وتعالج اسبوعية الجارديان واللموند (١٠) الاسباب من زاوية مختلفة ، يغلب عليها رغبة الرئيس السادات في القيام بمسؤولياته القومية . « ان سوريا تجد نفسها ملزمة تجاه اي اجراءات عسكرية تقوم بها اسرائيل والتي تضع الموقف السوري أمام معضلة حقيقية . ان اي رد سوري على الاجراءات الاسرائيلية سينتهي الى هزيمة مشينة للسوريين كما ان اي احجام منهم سينتهي بخسارة سوريا سمعتها عند العرب . وفي الحالتين فان حكومة الاسد ستكون في موقف حرج . وحتى لو تم تنفيذ قرار وقف اطلاق النار في جنوبي لبنان فان الهجمات الاسرائيلية ستصل الى مستوى تكون فيه انذارا للفلسطينيين وللدول العربية التي تدعم الفلسطينيين . ان هذا سبب من الاسباب التي دفعت الرئيس السادات لكي يقوم بمبادرته العلنية التي لا سابق لها في تاريخ الصراع في الشرق الاوسط . وتضيف الصحيفة انه في الوقت الذي تعاني فيه اوضاعا اقتصادية واجتماعية دقيقة جدا ، فلن يكون بمقدور مصر حل مشاكلها الكثيرة من غير تخفيض مهم في نفقاتها العسكرية . ورأت صحيفة الواشنطن بوست الاميركية (١١) الاسباب ذاتها وقالت « لكن الاندفاع نحو جنيف ليس بحاجة لن يضع العصي بين عجلاته . فقد اعطاه الرئيس السادات دفعا جديدا عندما أعلن بعد الغارات الاسرائيلية على جنوبي لبنان انه على استعداد لان يذهب الى الكنيست بنفسه لاجراء مفاوضات » .

وفي وسط هذه الاسباب المحلية كانت الصحافة البريطانية والاميركية تترك دلالات واشارات خطيرة حول خيبة الامل من طريقة معالجة ادارة كارتر لازمة الشرق الاوسط . واذا ما احتفظنا في مجرى هذه الدلالات والاشارات بكلام جيم هوجلاند (١٢) الذي اشار فيه الى الثقة الكاملة التي تربط الرئيس السادات برجل المخابرات كمال ادهم ، امكننا تمييز الفريق الاميركي الذي أملى خيبة الامل على السادات . وهي في مطلق الاحوال ليست خدمة لمصر او دورها القومي . واذا كانت صحيفة « الاوبزرفر » (١٣) تعتقد ان قرار الذهاب الى الاسرائيليين مباشرة يعكس الى حد خيبة الامل في الاعتماد على الاميركيين ، وهو شعور يشاركه به الاسرائيليون فان صحيفة « انترناشونال هيرالد تربيون » الصادرة في باريس بالتعاون مع صحيفة « نيويورك تايمز » و « واشنطن بوست » توضح خيبة الامل الاسرائيلية بمقاييس مختلفة تماما (١٤) « ان السادات وبيجن أقاما الان طريق محادثات جديدة تسير بموازاة خطط ادارة الرئيس كارتر لاستئناف محادثات السلام في جنيف . غير ان هذا الطريق ليس خاضعا لهيمنة الادارة الاميركية او للرفض من حلفاء الرئيس المصري مثل السوريين والفلسطينيين . لقد اوضح السادات انه ما زال يفضل الذهاب الى جنيف والى جانبه السوريون والفلسطينيون وان المحادثات التي يجريها ليست لاكثر من طرح قضيته . غير ان قراره في الذهاب الى القدس يوضح ايضا للعرب الاخرين ان الذهاب الى جنيف ليس خياره الوحيد » . هذا عن الرئيس السادات . أما عن بيجن فان الصحيفة ترى انه في صراع علني مع ادارة كارتر حول المسألة الفلسطينية . منذ عدة اشهر وحكومة بيجن تسعى جهدها للاستقلال بقراراتها السياسية والعسكرية عن واشنطن . ان دعوة السيد بيجن للرئيس السادات تدخل ضمن رغبة اسرائيل هذه واصرار اسرائيل التاريخي في ان لا يكون سلام الا عندما يكون العرب على استعداد للاعتراف بحق اسرائيل الشرعي في المنطقة . وتكشف الصحيفة النوايا الحقيقية للرئيس السادات

من خطوته وتقول « تحت سطح هذه العاصفة هناك سلسلة من الحوادث والظواهر التي تعود الى شهر اب (اغسطس) حسب دلائل علنية صرح بها السادات واخرى سرية صرحت بها مصادر دبلوماسية في واشنطن· ان النقاط الاساسية تبدو في رغبة السادات في استيعاب ومصادرة النوايا السورية وعدم رضاه عن طريقة الادارة الاميركية في معالجة ملف ازمة الشرق الاوسط الذي ورثته من السيد كيسنجر · وتفضي في مقالة اخرى النصيحة للدبلوماسية الاميركية لكي تبحث عن كل مساعدة تقدمها للمجتمعين وكذلك العمل لاقناع العرب الاخرين للالتقاء حول طاولة المفاوضات » · والصحيفة تقر في الوقت نفسه ان مشروع المباحثات في جنيف الذي ترعاه الدبلوماسية الاميركية قد ازيح من الضوء مؤقتا · ذلك ان السلام لا يمكن تحقيقه في صباح يوم أحد في القدس · بل ان السلام يحتاج وقتا طويلا في القدس والقاهرة ودمشق وعمان وجنيف · وتشارك صحيفة « تايمز » البريطانية (١٥) الرأي من ان خطوات من هذا النوع تعيد صنع القرار الى اصحابه · الى الاطراف الحقيقيين في النزاع · وتضع دور الامم المتحدة وحتى دور الدول الكبرى في الظل · وتعتقد الصحيفة انه من الضروري الابقاء على الحوار في الوقت الذي يبدو من الصعب توقع تبدل اساسي ·

« خطوة بارزة ، شجاعة و ··· تحذير من ماضي بيجن »

حتى لحظة وصول الرئيس السادات الى القدس واللقاءات المباشرة التي أجراها مع القادة الاسرائيليين ، كان واضحا ان اتجاه التعليقات في أعمدة الصحف البريطانية والاميركية يعطي اسرائيل الفوائد كلها من خطوة الرئيس السادات · رغم ان هذه الاعمدة حاولت ان تكبح من الاوهام التي كانت معقودة على خطوة السادات لجهة « المكافاة » التي سيعود بها من القدس · حتى ان صحيفة « انترناشونال هيرالد تربيون » (١٦) قدمت العزاء للرئيس السادات بأنه اكتفى من زيارته باثبات انه قوي « ليس السؤال الان هو ما حصل عليه السادات من زيارته للقدس بل ما كان يريده من هذه الزيارة ؟ يمكن القول الان انه اراد عملية مثمرة من المحادثات اكثر من طريق جنيف المملوءة بالعقبات الاجرائية · كما أراد ان يثبت انه قوي لدرجة انه قادر على القيام بخطوة من أجل السلام وبأن الارواح المصرية لن تدفع ثمن حرب جديدة » · اما « الجارديان » (١٧) فقدمت عزاء عن مهارة السادات التي تشبه مهارة ترومان « ان في تاريخ الشعب المصري ترومان اخر ، فالسادات وترومان بدءا حياتهما العامة كرجلي سياسة من الدرجة الثانية · بعد ذلك وبعد عدة سنوات في الظل ، امسكا بالسلطة واستغلاها بمهارة وتركا اثرا في التاريخ » ·

اما الفوائد التي جنتها اسرائيل ، حسب الصحف البريطانية والاميركية ، فهي في جوهرها « انك لا تستطيع مخاطبة اعضاء برلمان لبلد لا تعترف بوجوده اساسا » (١٨) و « ان الرئيس السادات قد سلم بالمبدأ القائل ان لاسرائيل الحق بالبقاء » (١٩) كما ان صحيفة « انترناشونال هيرالد تربيون » (٢٠) اختصرت الامر كما يلي : « ان الامة الاسرائيلية ، وحقها في الوجود ، قد حصلت على اعتراف دراماتيكي لا سابق له » · وفي اليوم التالي كتبت الصحيفة ايضا تحت عنوان « السادات في ارض الميعاد » تقول : ان آمال اسرائيل التي نسجت يوم اقامة الدولة من اجل سلام حقيقي مع جيرانها قد تحققت الان » · وتضيف الصحيفة الى هذه الدلالات السيكولوجية حقيقة « ان القيادة لاكبر دولة عربية تعترف الان بشرعية الدولة الاسرائيلية » · غير ان صحيفة « الفاينتشال تايمز »

البريطانية (٢١) ، عالجت الامر من زاوية الايجابية العربية وأهمية هـذه الايجابية ، لا شيء يوازي هذه الخطوة ، التي ربما تكون اول ثغرة في العداء العربي الاسرائيلي · ان زيارة السادات تدل على ان هناك تبدلا في الموقف العربي ، لقد اصبح العرب اكبر ثقة بانفسهم تماما مثلما اصبحوا اكثر غنى · وعلى الجانب العربي اصبح هناك اعتـراف من ان كيانا صهيونيا وجد هنا ليبقى » · وتلتقي صحيفة « تايمز » (٢٢) ، مع زميلتهـا « فايننشال تايمز » بملاحظة الدلالات الايجابية لخطوة السادات « بقدر مـا تشير ردود الفعل الى اي مدى وصلت المواقف المتصلبة على مدى الثلاثين سنة الماضية ، فان زيارة السادات تكنس جانبا كل هذه المواقف القديمة وتكسر الحظر الذي كان قائمـا علـى الاتصالات المباشرة بين العرب والاسرائيليين » · وتضيف الصحيفة بأن السادات يقـوم بشيء بسيط وواضح · انه « يحرم اسرائيل من احدى حججها التي ترفض بموجبهـا تقديم اية تنازلات اقليمية الا وهي ان وجودها لا زال غير مقبول عند العرب » ·

ولقد رافق هذه الدلالات التي رمزت اليها خطوة السادات « البارزة والشجاعة » مواقف تدعو الحكومة الاسرائيلية لاتخاذ خطوات تلتقي مع خطوة السادات · وتجيء هـذه الدعوات في الصحف البريطانية تحديدا · وتدعو « تايمز » (٢٣) ، مناحم بيجن للقيـام بثلاث خطوات في الحال : « الاعتراف باجراء ما من أجل تمثيل الفلسطينيين والتخلي عن اقامـة مستعمرات اخرى · كما ان افضل خطوة لتحقيق نتائج باهرة ستكون عن طريـق التصريح عن الرغبة بالانسحاب التدريجي على مدى بضع سنوات ، وتأجيل البحث عن اي حل لمشكلة القدس واقامة كيان مستقل للفلسطينيين عن طريق الخطوة خطوة يرافقـه اعتراف رسمي ودائم السيادة وسلطة دولة اسرائيل وحقها في البقاء » ، وتحذر الصحيفة بصراحة اعظم من انه اذا عاد السادات فارغ اليدين فسيعرض وضعه للخطر · ذلك ان هزيمته او موته سيضعان الشرق الاوسط امام مخاطر من الصعب الخروج منها · اذ ليس من الممكن للسادات اتمام درجة ما من الموقف العربي الموحد من غير تحقيق الرغبـات الفلسطينية وستكون المحادثات بين الرجلين فاشلة حتما في حال تعذر الوصول الى تسوية لمسالة الضفة الغربية · وتعتقد الصحيفة انه في حال فشل مهمة السادات فسيكون امامـه خياران : فأما ان يجعل من نفسه زعيم الفريق المقاتل كما فعل في حرب ١٩٧٣ ، وهو الشيء الذي سيضع فرص التسوية على طريق جنيف في وضع صعب جدا واما ان السيد بيجن سيجد نفسه امام ثورة حقيقية من وزير خارجيته ونائب رئيس الوزراء ياديـن · خصوصا ان دايان اكد عشية تسلمه حقيبة وزارته ان الموقف الاسرائيلي من الضفـة الغربية سيكون ثابتا ما دام اي زعيم عربي لا يظهر اي رغبة في السير لحل وسط · واما الآن وقد قام السادات بمبادرته السلمية فان السيد بيجن سيجد نفسه في حكومة اقلية · ان رد الفعل الاسرائيلي سيقرر والى مدى طويل مستقبل علاقاتهم بالعالـم العربي · » الصحيفة « تايمز » نفسها كانت قد ذكرت (٢٤) ، من انه ليس من الممكن لاسرائيل التنازل عن شرم الشيخ او رفح باقل من سلام كامل · وتتساءل الصحيفة في معرض قولها ذلك ما اذا كانت اسرائيل ستقبل بسلام كامل مع مصر في حال رفض العرب الاخرين المشاركة فيـه ؟

وربما كانت هذه الاسباب هي التي جعلت كل الصحافة البريطانية والاميركية تحذر من الحلول المنفردة مع مصر · فلقد وصفت « انترناشونال هيرالد تريبيون » (٢٥) ، محاولة تحقيق سلام منفرد مع مصر بأنه جنون خطير ، فليس سهلا على الرئيس السادات التخلي عن مبدأ الانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة كذلك تحقيق خطوة ما نحو حل للمسالة الفلسطينية : في ادنى حد لها « معادلة تنهي بالتدريج سيطرة اسرائيـل على الضفـة

الغربية » . وتحاول الصحيفة ان تشبه مناحم بيجن بالجنرال ديجول على « انه سياسي يصل الى مركزه على اساس رفض تقديم اي تنازلات وبعدها يقدم هذه التنازلات من اجل اهداف السلام الاعلى » . كما تستنتج « انترناشونال هيرالد تربيون » (٢٦) ، من ان الامور التي بحثها الفريقان في الزيارة الفريدة توضح عقم محاولة تحقيق اتفاق منفرد مع مصر . صحيح ان السادات لم يضع اطارا زمنيا لمطالب العرب . لكنه كان واضحا بأن قبوله باسرائيل كجار صالح يقوم على التسوية الشاملة . اي على قبول اسرائيل بالمبدأ القائل بالانسحاب من الاراضي المحتلة .

في الوقت الذي نبهت فيه الصحافة البريطانية والاميركية من الجنون الخطر للحلول المنفردة مع مصر كانت أعمدة أخرى في هذه الصحف تتكلم عن تحولات داخلية خطيرة تصل في بعض الحالات الى حرائق تلتهم بعض الدول العربية : « فالسادات الذي كان يبدو في بداية الرحلة وكأنه مغامر متهور لا يأبه لاراء زعماء وجماهير العالم العربي خرج بعد الرحلة وكأنه موضع الثقة وخصومه هم الذين يفتقرون الى الثقة » (٢٧) وتضيف الصحيفة « يبدو ان الدول العربية مقبلة على فترة طويلة من الرفض والشرق الاوسط سيكون محظوظا جدا اذا اقتصر الرفض على التململ ولم يتحول الى حرائق . فجبهة الرفض في اوساط المقاومة الفلسطينية التي كانت تدعي دائما انه من غير المجدي ان تحاول الدول العربية الحصول على تنازلات من اسرائيل ليس لديها ما تربحه من وراء الاستماع الى نداءات الاعتدال » . وتوضح « فايننشال تايمز » (٢٨) ، اتجاهات العمل العربي المنقسم على نفسه كما يلي « ان عبد السلام جلود اقترح اقامة اتحاد عسكري يضم ليبيا والعراق وسوريا يكون هدفه اسقاط نظام السادات وتكوين جبهة اقوى ضد اسرائيل » . وتعتقد الصحيفة ان تكوين جبهة تدعمها الولايات المتحدة من مصر والسعودية والاردن والسودان سوف يجعلها شبيهة بالجبهة التي كانت تتزعمها العراق ايام الحكم الملكي عام ١٩٥٨ . وتنقل صحيفة « نيويورك تايمز » (٢٩) عن نائب وزير الخارجية الاميركي السابق للشؤون السياسية جوزف سيسكو ان « المملكة السعودية لا مصلحة لها اطلاقا بهدم الزعامة المعتدلة التي يمثلها السادات . » وتنقل الصحيفة عن بعض المسؤولين اعتقادهم من انه رغم التشديد على جنيف ما زال هناك احتمال قوي بأنه اذا استمر السوريون و م.ت.ف. في مهاجمة السادات لزيارته لاسرائيل فان المصريين والاسرائيليين قد يقررون عقد اتفاق فيما بينهما .

غير ان اخطر الكلام جاء من المعلق المعروف سولز برجر (٣٠) ، «لا شك في ان مصر تريد السلام . صحيح ان بنودالسلام غير متفق عليها ، رغم انها قابلة للتفاوض ، الا ان السادات خلق وضعا نفسيا عندما أعلن امام الاسرائيليين بأنه يريد ان يتفق معهم حول شعارين : لا حرب بعد اليوم ثم لنتفق حول الامن . لقد قدم اعتراف الامر الواقع لاسرائيل وعاصمتها القدس بمجرد حضوره . ولقد شقت هذه الخطوة العرب اكثر من اي وقت سابق . فلقد زادت المنافسة بين القاهرة ودمشق حتى بلغت ببعض الزعماء العرب التحريض على اغتيال السادات ، ما الذي سيحصل اذا نال احد القتلة من الرئيس السادات او ان بيجن واجه الموت بسبب سكتة قلبية ؟ ستعيد عندها اسرائيل خططها على اساس العودة الى الصراع ، ومن المنطق الاعتقاد ان هذه الخطط لن تقوم على اساس هجوم مصري محتمل بل على اساس توجيه ضربات بعيدة المدى لشل قوى الرفض العربية . واذا ما أراد المتطرفون امثال جورج حبش زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين او العقيد معمر القذافي الاسراع في اشعال حرب اخرى سيكون من الحماقة لاسرائيل ان تقوم بأعمال وقائية ضد دول معتدلة مثل مصر او الاردن . بل من الممكن

حشد قوات ضاربة لتوجيه ضربة الى سوريا اذا ما حاولت الاخيرة القيام بتحركات مثيرة للريبة . وهو الشيء الغير محتمل . كما انه لا ضرورة لمنع اسرائيل من توجيه ضربات لتحطيم قيادة وتنظيمات المراكز الرئيسية لقوى الرفض وتحطيم الجزء الاكبر من الاسلحة السوفياتية المكدسة خصوصا في ليبيا والعراق » .

عند عودة الرئيس السادات : محور مصري ـ اسرائيلي ؟

ربما كان هذا الاعتقاد الذي اتت به « الاوبزرفر » (٣١) ، في غير أوانه ، رغم اهمية ما اضافته . فالصحيفة تعتقد ان الكراهية العربية عززت موقف السادات في داخل بلاده وذلك عبر تنشيط الشوفينية المصرية التي كانت تتفاعل . ويعتقد السادات انه يستطيع مواجهة عاصفة الغضب العربية . كما فعل عبد الناصر عندما اعلن موافقته على مبادرة روجرز عام ١٩٦٩ . واقوى ورقة في يد السادات (وهي التنازلات الفعلية من اسرائيل) لم يلعبها السادات حتى الآن ولا أحد يدري اذا كان سيلعبها على الاطلاق . كما انه في نفس الوقت يعتمد على الولايات المتحدة لتهدئة غضب السعودية . ويبدو ان السادات استفاد من بعض اراء كيسينجر في الديبلوماسية الشخصية . ولا يشك المصريون على الاطلاق بأن السادات يرغب في أن يخوض مفاوضات جدية ومثمرة مع بيجن وحكومة اسرائيل . ويبدو ان الاوان حان للتحدث عن محور مصري اسرائيلي يقوم فيه الاخرون بادوار المؤيدين او المحكومين بردود الفعل ومن بين هؤلاء الولايات المتحدة ايضا . ومع ان ديفيد هرست ، الصحفي المعروف ، ينقل في « الجارديان » (٣٢) كلاما مماثلا على لسان بطرس غالي ، وزير الخارجية المصري بالنيابة ، بقوله « بعد زيارة الرئيس السادات الى القدس تغيرت المعادلة . الآن اصبحت اسرائيل ومصر تملكان كل الاوراق . » فان هيرست يضيف على مسؤوليته ان الدعوة المصرية لممثلي الضفة الغربية وجهها حزب مصر مما يجعل الدعوة غير رسمية تماما وبذلك تترك مصر الباب مفتوحا لقيادة منظمة التحرير لكي تعيد بناء علاقاتها مع الرئيس السادات .

وحدها صحيفة « صندي تايمز » (٣٣) تكتب عن الآثار المعقدة والمتغيرات الخطرة التي خلفتها مغامرة السادات . « حتى الآن ما زال نجاح السادات ظاهريا وليس حقيقيا . وحتى المكاسب التي ذكرها السادات في خطابه امام مجلس الشعب كانت مكاسب غير ملموسة . وهي تتعلق بسيكولوجية اسرائيل وردود الفعل العالمية . وليست تنازلات معينة حول حقوق الفلسطينيين او الاراضي . لكن هناك جانبا قاتما في الصورة : هو ان السادات في اندفاعه وحماسه لكسب ثقة اسرائيل خسر ثقة العرب . وحتى افضل انصار السادات من العرب شعروا بالخجل وهم يشاهدونه يكرم نصب الجندي الاسرائيلي المجهول في وقت ما زالت دولته فيه في حالة حرب مع اسرائيل ، وحتى أمس الاول كان وضع السادات افضل مما كان يتوقع . فبعد الصدمة الاولية والفوضى التي خلقها قراره كان السادات يحاول ان يدفع اسرائيل والدول للوقوف الى جانبه . كانت الانتقادات التي توجهها موسكو خافتة نوعا ما . وتقول المصادر الاميركية ان يهود الولايات المتحدة تأثروا بمغامرة السادات وهم يحاولون اقناع الحكومة الاسرائيلية بمواجهة مبادرته . لكن السادات غامر الآن باغضاب السوفييت بانتقادهم علنا في خطابه الى درجة ان السوفييت قد يرفضون مبادرته . وهذا الامر قد يثير حفيظة الاميركيين الذين عانوا ما عانوا لكي يدخلوا السوفييت في عملية المفاوضات . وسوف يغري الدول العربية بمحاولة عزل السادات وسوف تكون النتيجة عودة الشرق الاوسط الى مرحلة صراع الدول الكبرى

حيث يدعم الاتحاد السوفياتي الدول العربية المتطرفة التي تتزعمها دمشق والولايات المتحدة تدعم نظام مصر » · ويرى جوزف كرافت في « انترناشونال هيرالد تربيون » (٣٤) التعقيدات نفسها ، اذ لا احد يعرف عن النتائج وزيارة السادات الى القدس غيرت الثوابت في السياسة والدبلوماسية · وبينما من الممكن ان تكون القفزة في الظلام ذات نهاية سعيدة لكن من المحتمل ان تجعل الاحداث من غير ضابط · بالنسبة لصحيفة « تايمز » (٣٥) لم تكن النهاية الا وثيقة غريبة جدا وكلمات البيان المتفق عليه تبلغ ١٠٦ كلمات تتالف من جملة واحدة ، المبتدأ فيها هو « حكومة اسرائيل » والفعل « تقترح » · ولقد برر الاسرائيليون ان البيان لم يكن مشتركا بقولهم : انه من غير اللائق ان نطلب من السادات ان يوقع رسميا على وثيقة صدرت استجابة لبادرة مخلصة وشجاعة من جانبه· وهذا التفسير لا يقنع احدا · فلو أن السادات وقع بيانا مشتركا هل كانت كلمات البيان تتغير ؟

وحدها « صندي تايمز » (٣٦) تضع الاصبع على الحقيقة · فليس في الامر المصيري أوهام أو تفكير رغائبي · « ان دراسة ماضي السيد بيجن لامر مخيب · ذلك ان كل حقيقة تجعل من قضية السلام أمرا بعيدا · والسؤال هو هل ان السيد بيجن يريد ان يتحول الى الرجل الذي اعطى السلام للعرب و اليهود ؟ ام انه يريد ان يظل متمسكا بمبادئه مهما كان الثمن ؟ ان معتقدات بيجن ثابتة · ولقد لوحظ الاسبوع الماضي كيف ان بعض اصدقاء بيجن اكدوا أن بيجن لن يتراجع عن مبادئه عندما حاولت بعض الجهات ان ترسم صورة واقعية وبرغماتية لبيجن ، ان اعماله خلال فترة وجوده في حكومة سنة ١٩٦٧ لا تعطي اي مجال للتفاؤل · كان احد اعضاء الحكومة يصف دور بيجن كدور كلب الحراسة الذي يمنع اي رغبة في التخلي عن اي قطعة ارض في الضفة الغربية · وفي العام ١٩٧٠ عندما وافقت الحكومة الاسرائيلية على اجراء مفاوضات سلام مع الاردن على اساس الانسحاب دفع بيجن للاستقالة والقول ان الحكومة توافق على مبدأ الانسحاب من ارض الوطن ·

برانت مصر : له جائزة نوبل او القتل ·

القلق الذي يطبع اعمدة « صندي تايمز » والى حد ما « تايمز » ليس له مكان في مجلة « الايكونومست » البريطانية (٣٧) ، فالكلام الذي كان يتردد بأن مصافحة السادات للزعماء الاسرائيليين يدا بيد يعني الانتحار السياسي بالنسبة له ، انقلب الى نكتة ، فقد سار موكب الرئيس السادات الى منزلة وسط الجماهير الكثيفة في سيارة مكشوفة ، وكنت تسمع عبارة واحدة تتردد على كل لسان في المقاهي « اننا نحارب منذ ثلاثين عاما ونحن نشعر بالسعادة لانتهاء الحرب · وكأن السلام قد عاد بالفعل · وفي اوساط الفئات المتوسطة ، التي تعتبر قاعدة السادات العريضة ، كان البعض يقول اما ان ينال السادات جائزة نوبل او يقتل · وتنقل المجلة ان ردود فعل المصريين على الزيارة تشير الى الحقيقة السياسية الاولى في مصر وهي انه اذا قام الشعب باسقاط السادات فلن يكون ذلك بسبب ما حدث للفلسطينيين وانما لان الحياة في مصر لم تعد تحتمل ·

وتتوج مجلة « نيوزويك » (٣٨) الاميركية الالقاب التي اعطيت للرئيس السادات بتشبيه ذي دلالات سياسية ومستقبلية واضحة · « بعد الحوادث التي لا تصدق والتي تمت في القدس اصبح الرئيس السادات من غير شك من صنف الرجال الغير عاديين · وخلال السنوات الماضية كانت هيئة جائزة نوبل للسلام تجد صعوبة في اختيار مرشح مناسب ·

وسنة ١٩٨٧ لن تكون هناك صعوبة من هذا النوع · ان حق السادات لا ينازع ، وهو شبيه بحق ويلي براندت سنة ١٩٧١ · صحيح انه نادرا ما يكون هناك وضعان سياسيان متشابهان · غير ان التاريخ يعطي دروسا وحتى انه يعلم عن طريق حالات مشابهة كما يذكر هنري كيسنجر · وفي هذا المعنى ان المبادىء والخطوات الاجرائية في سياسة الاوستوبولتيك التي اعتمدها براندت هي من غير شك اكثر من الاهمية العابرة كما هي حال السياسة الدرامية في الشرق الاوسط » · وتورد المجلة مبادىء براندت كما يلي :

المبدأ الاول : الاعتراف بواقع موجود · وفي حالة السادات فانه مرتبط بأن اسرائيل اصبحت امرا واقعا لا نزاع بخصوصه بعد الآن · وكما ذهب براندت الى ارفروت في المانية الشرقية في ربيع عام ١٩٧٠ هكذا ذهب السادات الى القدس ·

المبدأ الثاني : الاتفاق على عدم استخدام القوة · وهو جوهر المعاهدات التي وقعها براندت مع دول اوروبه الشرقية وهي تماما مثل لب عمل السادات ·

المبدأ الثالث : التخلي عن سياسة المطالبة بالحد الاعلى · وكانت مهمة السادات ستنتهي الى الفشل ما لم يوافق الاسرائيليون في النهاية على التحدث عن قضية الضفة الغربية · وهي منطقة مساوية الاهمية لبرلين الغربية بالنسبة لحكومة بون ·

المبدأ الرابع : يجب ان يكون الوفاق اكثر من علاقات دولة مع دولة · يجب ان يكون علاقات عادية بين الشعوب · وفي الشرق الاوسط سيتحول الوفاق الى صدفة فارغة اذا بقي الفلسطينيون في الامهم واكواخهم · لا بد ان يكون الفلسطينيون اول المستفيدين من الروح الجديدة التي ستعم المنطقة ·

وكما سمت « النيوزويك » السادات ببراندت مصر سنة ١٩٧٢ فانه يبدو جديرا في ذلك · « ان افضل شيء يمكن ان يتحقق عندما يحين شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٨ هو ان يشارك السيد بيجن الرئيس السادات في جائزة نوبل » ·

لكن كان على « نيوزويك » ان تكمل الحكاية · وان تقدم عرضا موضوعيا اكثر عدالة ·

المصادر

١ ـ صحيفة « صندي تايمز » البريطانية يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ·

٢ ـ مجلة « تايم » الاميركية يوم ٥ كانون الاول (ديسمبر) ·

٣ ـ المصدر نفسه ·

٤ ـ صحيفة « انترناشونال هيرالد تربيون » الصادرة في باريس يوم ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ·

٥ ـ صحيفة « صندي تايمز » الصادرة يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ·

٦ ـ صحيفة « جارديان » البريطانية الصادرة يوم ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ·

٧ ـ « انترناشونال هيرالد تربيون » الصادرة يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ·

٨ ـ صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية الصادرة يوم ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ·

٩ ـ مجلة « نيوز ويك » الاميركية الصادرة يوم ٢ تشرين٨ الثاني (نوفمبر) ·

١٠ ـ اسبوعية « جارديان لوموند » الصادرة يوم ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

١١ ـ صحيفة « واشنطن بوست » الاميركية الصادرة يوم ١٩ تشرين الثانى (نوفمبر)٠

١٢ ـ «انترناشونال هيرالد تربيون » الصادرة يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

١٣ ـ « الاوبزرفر » الصادرة يوم ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

١٤ ـ « انترناشونال هيرالد تربيون » الصادرة يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

١٥ ـ صحيفة « التايمز » البريطانية الصادرة يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

١٦ ـ « انترناشونال هيرالد تربيون » الصادرة يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

١٧ ـ « الجارديان » الصادرة يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

١٨ ـ « الجارديان » الصادرة يوم ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر)

١٩ ـ المصدر نفسه ٠

٢٠ ـ « انترناشونال هيرالد تربيون » الصادرة يوم ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٢١ ـ صحيفة « الفايننشال تايمز » البريطانية الصادرة يوم ٨١ تشرين الثاني (نوفمبر)

٢٢ ـ « التايمز » الصادرة يوم ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٢٣ ـ « التايمز » الصادرة يوم ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٢٤ ـ « التايمز » الصادرة يوم ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٢٥ ـ « انترناشونال هيرالد تربيون » الصادرة يوم ٨١ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٢٦ ـ « انترناشونال هيرالد تربيون » الصادرة يوم ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٢٧ ـ « الجارديان » الصادرة يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٢٨ ـ « الفايننشال تايمز » الصادرة يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٢٩ ـ صحيفة « نيويورك تايمز » الاميركية الصادرة يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر)٠

٣٠ ـ « انترناشونال هيرالد تربيون » الصادرة يوم ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٣١ ـ « الاوبزرفر » الصادرة يوم ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٣٢ ـ « الجارديان » الصادرة يوم ٢٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ٠

٣٣ ـ « صندي تايمز » الصادرة يوم ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٣٤ ـ « انترناشونال هيرالد تربيون » الصادرة يوم ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٣٥ ـ « التايمز » الصادرة يوم ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٣٦ ـ « صندي تايمز » الصادرة يوم ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ٠

٣٧ ـ مجلة « الايكونومست » البريطانية الصادرة يوم ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر)٠

٣٨ ـ « نيوزويك » الصادرة يوم ٥ كانون الاول (ديسمبر) ٠

الصحافة الفرنسية

جاكلين فرهود

نادرا ما احتل خبر في السياسة الخارجية ، الحيز التي احتلته زيارة السادات لاسرائيل في الصحف الفرنسية فهي « الحدث التاريخي » ، « المعجزة التي نراها امام اعيننا » ، « اللامعقول » · الخ · وتتابع الصحف الفرنسية تطور الاستعراض الساداتي فصلا فصلا ومشهدا مشهدا · اما المجلات الاسبوعية فلم « تقصر » · مجلة **الاكسبرس** التي كانت قد اعدت ملفا عن الجيش الفرنسي استغرق شهرا كاملا ، تريد ان تكون «في مستوى الحدث» فتخصه بغلاف عدد ٢١ـ١١ · **النوفيل اوبسرفاتور** تخصه بأغلفة ثلاثة اعداد متتالية ·

جميع الصحف والمجلات ، تدخل في حلقة مزايدة معلوماتية · فتبعث بمراسلين خاصين الى القاهرة والقدس وبيروت ودمشق وطرابلس وواشنطن ·· وتفتح اعمدة الصحف صفحاتها امام الافتتاحيات والتحليلات ، وشخصيات مختلفة تقوم بتغطية هذا الحدث غير الطبيعي كما تقول **باري ماتش** (٢ـ١١) « والذي له شبيه تاريخي واحد : اللحظة التي وطئت فيها قدما ارمسترنغ سطح القمر » ·

التنافس كان شديدا من أجل تغطية هذا السبق الصحفي ! تبرز اخبار الكواليس « ·· هذا ما أكده لي احد اعضاء حاشية الرئيس » · وبعضهم لا يرى ضرورة لتأكيد معلوماته : « همس موشي دايان في اذن بطرس غالي وهما في السيارة التي تقلهما من المطار الى القدس ، رسالة موجهة الى رئيسه · « من الافضل ان لا يذكر السادات منظمة ياسر عرفات في خطابه في الكنيست · وصلت الرسالة » · (**لو بوان** ٢٨ـ١١) · اما **فرانس سوار** (٢ـ١٢) فتؤكد ان السادات وبيغن كانا قد التقيا قبل ايام من الزيارة · وتعلمنا **جون افريك** (٢ـ١٢) « ان السادات اتصل بالاسد قبل خطابه يوم السبت ٩ـ١١ ، طالبا منه عدم اتخاذ موقف قبل وصوله الى دمشق · ويعلم بيغن من دمشق انه قادم الى اسرائيل في ١٩ـ١١ » · أما **الاكسبرس** (٢٨ـ١١) فتشير الى ان « النتيجة الرئيسية لمحادثات السادات ـ بيغن المنفردة ، كانت الاتفاق على تركيبة الوفد الفلسطيني الى جنيف» كما تؤكد في العدد نفسه ، « ان مبدأ اجتماع بيغن بحسين في لندن قد اعتمد بشكل نهائي · لكن يبقى الشك حول الطبيعة السرّية او العلنية لهذا اللقاء » ·

ثم تأتي التفاصيل · « قبل السيدة المسنة على خدها » ، **لو فيغارو** (٢١ـ١١) ·

و « رأينا الرئيس السادات ينحني باحترام امام سيدة كبيرة في السن ومليئة بالتجاعيد ، من أجل ان يقبل يدها » · **باري ماتش** (٢ـ١٢) · « كارتر يرسل للسادات بعض افضل عملاء الاستخبارات المركزية الاميركية من أجل حمايته » · **جون افريك** (٢ـ١٢) · « يظهر الرئيس السادات على شاشة التلفزيون وهو يتصبب عرقا ، نتيجة ارتدائه سترة واقية للرصاص » · **لو موند** (٢٢ـ١١) · **الاكسبرس** (٢٨ـ١١) « الانزعاج الذي اصيب به السادات في الطائرة التي كانت تقله الى تل ابيب » **لو بوان** (٢٨ـ١١) « المسكنات التي تناولها الرئيس قبل خطابه » **لو فيغارو ـ لو موند** (٢٢ـ١١) · والكلمات التي التقطت

في حديثهما الاخير على المطار « هكذا سمعنا السادات يردد مرارا : Please Please بينما يجيب بيغن بقوة وانفعال واضح Everything .. Everything وقال بيغن فيما بعد ان الكلمات الاخيرة بينهما كانت ، سنصنع السلام ، واجاب السادات : بكل تأكيد » · **لو موند** (٢٣ـ١١) · ونشرت الصحف حتى تفاصيل قائمة الطعام التي قدمت في صحون مذهبة في فندق الملك داوود · حيث كانت الحلوى المقدمة تحمل شكل الهرم · **لو فيغارو** (٢٢ـ١١) ·

يبقى الامر طبيعيا ومفهوما ضمن هذه الحدود · فالصحيفة تبيع المعلومات · وأهمية تغطية الحدث تعود الى جانب اهمية الحدث الدولية ، الى الظروف الخاصة بفرنسا : موقفها من البيان المقترح لدول السوق المشتركة ، زيارة رئيس الوزراء ريمون بار المرتقبة الى دمشق · التيارات السياسية المختلفة في فرنسا وارتباطها باسرائيل ، والنفط ·· والاصوات اليهودية في الانتخابات ··

لكن ما هو غير طبيعي هو هذا السيل من الدموع الذي يكاد يغطي حبر الصحف · الاكثرية الساحقة من الصحفيين والمراسلين ، استهلوا مقالاتهم وتحليلاتهم · كما فعل دفيد بودوك مراسل **لو فيغارو** الخاص : « اعترف دون خجل بأن عيناي مليئتان بالدموع وانا اكتب هذه الاسطر · حتى في حزيران ١٩٦٧ ، عندما شاهدت دخول الجنود الاسرائيليين اسوار الهيكل لم انفعل كما الان » · وتشهد التنافس في استخدام صيغة افعال التفضيل ، مندس فرانس يصرح ان انفعاله « اكبر من ذلك الذي انتابه في شوارع باريس عند نهاية الحرب العالمية الثانية » · **نوفيل اوبسرفاتور** (٢٨ـ١١) ويبدو ان اثر الحدث النفسي على رجال الصحافة الفرنسية يتطلب تحليلا نفسيا وليس سياسيا · انها مزيج من نفسية تشعر بالذنب · نتيجة مشاركتها بشكل مباشر او غير مباشر ، في اضطهاد اليهود ، وفي الوقت نفسه عنصرية معادية للعرب · لذلك « يصلي الملحد » ، السادات في ياد فاشيم ، يتحمل وحده نتائج بربرية الرأسمالية الاوروبية · هذه هي الفرصة · لقد اصبح ممكنا التحرر من الماضي عبر الصاقه بالدور الذي يمثله السادات · تكتب صحيفة **لو ماتان** « الاشتراكية » (٢١ـ١١) : « العلاقات الصينية الاميركية ، تعبر عن مصالح كونية ، اما العلاقات الاسرائيلية العربية فهي تعبر عن عواطف اجيال بكاملها · ولها كثافة لا مثيل لها » · اما مجلة **باري ماتش** (٢ـ١٢) فانها تضع لتحقيقها الصحفي هذا العنوان : « ٢٤ ساعة من أجل القضاء على ٤٠٠٠ سنة من التاريخ » ·

لم تتمكن الصحافة في أية بقعة من العالم من اقناعنا بموضوعيتها الكاملة · ولكن في هذه المناسبة ، فقد جرى تجاهل كامل لديكارت واوغوست كونت ، ولو اقتصر هذا النقص في الموضوعية على عبارات من نوع « التعبير النبوي في وجه السادات » او « عيناه مغرورقتان بالدموع » او « تباشير الانشراح التام على وجهي بيغن والسادات » · لما كان للامر أية أهمية تذكر · لكنه شمل حجبا كاملا لاخبار المنطقة ـ **لو موند** هي الصحيفة

الوحيدة التي أشارت الى ادانة الجمعية العامة لاسرائيل ـ وتركيزا على مواد معينة مراجعات كتب حول اليهود واليهودية ، ومقالات عن النازية وتحقيقات عن الجيش الاسرائيلي « ان الدكاترة في العلوم السياسية ، هم على ثقة كاملة بأن تساهال (الجيش الاسرائيلي) قادر على تفجير الشرق الاوسط بأسره » · **لو فيغارو** (٢٩ـ١١) ·

الخطير في الامر ، ان هذه الصدمة السيكولوجية التي ارادها السادات ، اخذت معها

ثمرة ثلاثة عشر عاما من العمل المتواصل ، من أجل توضيح جذور الصراع وحقيقته أمام الرأي العام العالمي · فأصبح الصراع « عاطفيا في جوهره » (**الاكسبرس ٢١ـ١١**) ، لذلك « فقومية بيغن اليهودية ، اكثر قبولا من قومي مسلم مثل السادات ، عما كانت عليه الاشتراكية العلمانية في الحكومات الاسرائيلية السابقة » · (**لو فيغارو ١٩ـ٢٠/١١**)·

خصصت جميع الصحف مقالات تتناول تاريخ الصراع · وباستثناء مقال ·ج· كبيليوك في صحيفة **لو موند** (٢٢ـ١١) تحت عنوان « حرب السنوات الثلاثين » · فقد جرت اعادة كتابة التاريخ بطريقة انفعالية وبشكل فنتازي · وتحمل اخطاء تاريخية لا تحتمل : « فتح هي الجبهة الشعبية التابعة لجورج حبش » (**لو بوان ٢٨ـ١١**) هذا الى جانب تمجيد « الامة ـ اليهودية » ، والتذكير الدائم « ألفين سنة من التشرد » و « المحرقة الكبرى » و « النضال البطولي لهذا الشعب في ظل الانتداب البريطاني ، من أجل امة يهودية حرة ومستقلة » · « ١٩٤٨ كانت خطأ من ؟ العرب الذين دفعوا اخوانهم الى الهجرة ؟ ام الاسرائيليين الذين لم يعرفوا كيفية استبقاء الفلسطينيين » (ب· واسجمان · **لو فيغارو ١٨ـ١١**) · بينما تؤكد مجلة **لو بوان** (٢٨ـ١١) انه لم يتم رحيل حقيقي للفلسطينيين الا بعد نشوء دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ » · أما الاب ريكيه فيندد « بالعدوان العربي عام ١٩٦٧ » ، ويذكر انه لم يكن هناك عام ١٩٤٨ الا ٣٣٥ الف فلسطيني في فلسطين· (**لو فيغارو**) (١٤ـ١١) ·

·٦ فابر لوس (سنعود اليه فيما بعد) يكتب في **لو فيغارو** (٢٢ـ١١) حول مدينة القدس : « في لحظة صوفية ، كنا نتذكر السنوات التسع عشرة للاحتلال العربي ونفكر: اسلاك شائكة بعد اليوم في قلب المدينة المقدسة » · · أما مجلة **الاكسبرس** (٢٨ـ١٢) فانها عوض ان تستخدم عبارة الضفة الغربية ، يجرفها تيار الغبطة الى عبارة « اليهودية والسامرة » ·

هكذا يعود الصراع الى حجم اثني ديني · نقرأ على غلاف مجلة **لو نوفل اوبسرفاتور** (٢٨ـ١١) بالاحرف العريضة : « الذي تغير بين اليهود والعرب » · بالنسبة لها كما بالنسبة لبقية الصحف · الامة اليهودية = الدولة العربية = اسرائيل · وباعترافهم هذا بان كل يهودي هو اسرائيلي ، فانهم يتبنون جوهر الصهيونية وجميع طروحاتها التوسعية والاستيطانية جميع التفسيرات تصب في هذا التفسير ، وجميع السقطات ايضا ·· فالميثاق الفلسطيني عام ١٩٦٨ ، لا يشار اليه الا في مقاطعه التي تؤكد على حق الشعب الفلسطيني في ارضه بأسرها · حتى صحيفة **لو موند المحترمة** ، لا تشير الى الدولة الفلسطينية الديموقراطية العلمانية · لا يتذكر احد مجزرة دير ياسين والارغون والهاغانا والغارات الاسرائيلية على جنوب لبنان · لكنهم **يؤكدون** : « م·ت·ف· تريد ان ترمي اليهود في البحر » (**لو فيغارو ١٤ـ١١**) · **ويتذكرون** : « كان الحاج امين الحسيني يستعرض ضباط الاس · اس ، النازيين » (**لو موند ٢٢ـ١١**) **ويتمنون** : « المصالحة ستتم بين اليهودي البولوني الذي قتل اقرباؤه على أيدي الهتلريين ، والمصري الذي اوقف في السنة

نفسها بسبب التعاون مع الالمان » (**لو موند ١٩ـ١١**) · **ويحذرون** : « في حزيران ٦٧ ، كانت الفزاعات ذات الانوف المعقوفة وعليها نجمة داوود معلقة على جميع المصابيح في وسط المدينة » **الاكسبرس ٢١ـ١١**) · **ويستنتجون** : جوزيت عاليه تتذكر (**في لو نوفل اوبسرفاتور ٢٨ـ١١**) حين « قدمت الى مطار القاهرة في نيسان ١٩٦٧ ورأت جسدرانه

مغطاة بعبارات : الموت لليهود ، يرافقها رسوم كاريكاتورية لليهود بانوفهم المعقوفة » ٠ ونستنتج : « الجدران نظيفة اليوم ٠ كم هو طويل هذا الطريق الذي اجتازته مصر خـلال عشر سنوات ! كم تغيرت مصر ! »

ضمن هذا المنطق للتفسير وتحليل الحدث سيكولوجيا ، تعطي هذه الصحافة اهمية خاصة للناحية الدينية ٠ فالمعنى الديني يظهر حتى في المقالات التي تحمل تواقيع محترمة ٠ « لا اسلاك شائكة بعد اليوم في قلب المدينة المقدسة » ٠ أما مجلة **الاكسبرس** (٢٨ـ١٢) هكذا نرى **اندره فونتين (لو موند ٢٠ـ١١/٢١)** يبين « تاريخ الزيارة القدر حيث يحتفل « لرجلين في الكتب المقدسة يقلبان التاريخ ٠ القس الحديث لامة توراتية ، والفـلاح المتشرب بالقرآن » ٠ اما ريمون ارون فيتكلم في **الاكسبرس** (٢٨ـ١١) « عن المبادرة التي تاخذ حجما تارخيا وحتى دينيا » ٠

وتمتد الظاهرة الايمانية ٠ آني كريفل (**لو فيغارو** ١٧ـ١١) « تدين الغطرسة الثقافية التي تظهر في حكم الغرب على قوميات الشرق بانها يجب ان تكون ملحدة ، مثل قومياته » وتعتبر انه « بامكان هذا الحدث الخارق ان يصل الى الفشل ولكن هناك استجارة اخيرة يمكنها ان تنقذه : الايمان المشترك بالله وبانبيائه ومحبة القدس » ٠ و **موريس دروون** « من الاكاديمية الفرنسية » يبشر : « لقد كان السلام بين ايدي البشر في حالة سيئة جدا، غير ان استدعاء الله وتعاليمه المقدسة ، ليست بالتأكيد ، دون اهمية » ٠ (**لو فيغارو** ٢٣ـ١١) ٠

وبالتوازي مع هذه الاسلوبية الايديولوجية التي يصعب استخدامها على الصعيد التقني وتحليل مختلف مراحل الحدث ، فقد اعتمد المراسلون والمحررون ، وقبل ان تشير غولدا مئير الى ذلك ، الاسلوب الخاص بالمسرح : « الاستعراض » ٠ « الممثلون الموهوبون » ، « اللعبة المسرحية العامة » ٠ ويبرق **اريك رولو** ، المبعوث الخاص لصحيفة **لو موند** (١٩ ١١) تحقيقا عنوانه : « بانتظار دقات المسرح الثلاث » ٠

كان لا بد من هذه المقدمة ، لانها تمكننا من تقييم المعلومات الخاصة « بلعبة البوكر الساداتية » من حيث طريقة عرضها ، والتي ستؤثر بشكل مباشر على تحليلات الوضع ، تكهنات المستقبل ، النصائح واحيانا التهديدات ٠

ما الذي دفع السادات الى القيام بهذه الخطوة ؟

اشارت الصحف بشكل عام الى اقتراح السادات بالذهاب « الى الكنيست او الى اخر العالم » ضمن الاخبار المتعلقة بالغارات الاسرائيلية على جنوبي لبنان ، واكتفت بالتعبير عن الرأي الاسرائيلي الذي اشار اليه بيغن عندما قال انه يأمل ان يكون التصريح ليس « مجرد مزحة » ٠ **لو موند** (١١ـ١١) تشير الى « ان القادة الاسرائيليين يعتبرون الاقتراح مجرد تحد » ولكن ، ما ان تأكدت امكانية الزيارة حتى اخذت الافتتاحيات تعبر عن قلقها

من امكانية نجاح اللقاء ٠ وتتساءل عن الاسباب التي دفعت السادات الى قراره هذا ؟ ما هي اهدافـه ؟٠٠

الاسبـــاب

انفرنت الاكسبرس (٢٨ــ١١) بالتلميح الى ان السادات ، الذي سينشر مذكراته الان في دار هاربر اند رو النيويوركية الشهيرة ، كان قد عرض مخطوطته على العديد من دور النشر لكنها رفضت · « فالزيارة التاريخية هي بمثابة اعلانات مجانيـــة تقدر بملايين الدولارات » · يعتبر محلل **الاكسبرس** (٢١ــ١١) ان السبب الرئيسي للزيارة هو سبب اقتصادي داخلي : « الوضع المفجع للاقتصاد المصري وفشل المساعدات السوفياتية ، في احداث الانطلاقة الاقتصادية » · **لو فيغارو** (١٥ــ١١) تشدد على الناحية الاقتصادية لكنها تدفع بالتحليل الى مدى ابعد · « في ظل التوازن الداخلي المتزعزع للسلطة (حركات المتطرفين المتعصبين وردة فعل الاقباط) ، هل كان يملك خيارا اخر ؟ » · أما بالنسبة لـ **لو نوفل اوبسرفاتور** (٢١ــ١١) فالخيار هو بين « السقوط برصاص احد قتلة حبش او السقوط تحت قضبان جياع القاهرة » · فالحرب لا مفر منها ، جنيف يبتعد ، خيار الحرب اصبح مستحيلا بعد ان قطع علاقاته مع السوفيات · « الاسرائيليون يريدون شن حرب وقائية في ربيع ٧٨ » · لذلك « قرر السادات ان يقـــوم بضربة كبرى على الصعيـد الدبلوماسي » · صحيفة **لو موند** تشدد منذ اليوم الاول على كون السادات يخشى مـن امتداد الحرب الى جميع الجبهات : « لقد اتخذ القرار من أجل ان يتجنب حربا خاطفة ·· وقد انذر السادات من قبل وسطاء غربيين علموا بقرار الحرب الاسرائيلي عن طريق الحمائم في اسرائيل » (١٧ــ١١) · ويدعم الصحفي المصري محمد سيد احمد في **لوموند** ١٧ــ١١ هذا التفسير ، حين يشير الى مختلف المخططات الممكنة لحرب وشيكة الوقوع · فالخطوة « لا يمكن ان تفسر فقط بكونها اعدادا لمؤتمر جنيف » ·

ما هي اهداف الســادات

تشير مجلة **لو بوان** (٢٥ــ١١) الى الهدف الرئيسي التي تتبناه جميـــع الصحف الفرنسيّة : « الزيارة هي مناورة علاقات عامة هدفها جذب الرأي العام الاميركي ، وشل معارضة اللوبي الصهيوني في واشنطن الذي نجح في فرض شروط مهينة » · والهـدف ايضا هو في « الخروج من المأزق » و « كسر الباب المؤدي الى جنيف » والحصول على بعض التنازلات الاسرائيلية » ولو مجرد القبول بمؤتمر جنيف » (**جون افريك** ٢ــ١٢) ·

« تقويض دعائم العدو التقليدية وخاصة الاجماع الوطني في اسرائيل نفسها » (**لو نوفيل اوبسرفاتور** ٢٨ــ١٢) · و « ستؤدي السياسة العربية الجديدة الى اقناع جزء هام من الرأي العام الاسرائيلي بضرورة القبول بالانسحاب » (**لو فيغارو** ١٧ــ١١) · تشير **لوموند** في افتتاحية عنوانها : **الغير معقول** (١٧ــ١١) : « سوف يصعب التمسك بجزء كبير من الاعتراضات الاسرائيلية ، التي اساسها ان العالم العربي يحلم بالغاء اسرائيل » · الى جانب هذا تشدد الصحافة الفرنسية على دور مصر في العالم العربي : « اراد المصريون استعادة المبادرة » (**لو نوفل اوبسرفاتور** ٥ــ١٢) · « اظهار استقلالية امام الـدول العربية الاخرى » (**لو فيغارو** ١٤ــ١١) ·

كيف استقبلت الخـطوة :

تعبر الصحف عن شكها وقلقها ، واحيانا عن حماستهـا لهذه الخطوة ٠ صحيفـة **ليبراسيون** (١١ـ١١) تفسر « بان هذه المناورة التي تهدف الى تعطيل التصعيد العسكري لا تحظى بأمل كبير في النجاح ٠ ولكنها ضربة معلم ديلوماسية » ٠

تعليقات **لو موند** و **لو فيغارو** هي بصورة عامة متشككة وتعبر عن قلقها ازاء النتائج الممكنة ٠ **لو موند** (١١ـ١١) تبدي شكها في نتائج « الرهان الجريء » فالسادات « اكد امام الوفد البرلماني الاميركي انهسيتكلمباسمجميع المحتربين العرب » (١٥ـ١١)٠ **لو فيغارو** اكثر حدة في موقفها ٠ « بيغن هو متصلب معلن والاعتراف مكتسب منذ زمن طويل » (١١ـ١١) ٠ وقلقة : « لا يمكن للسادات الا ان يتكلم في الكنيست ، اللغة المقبولة في العالم العربي ٠٠ ومن هنا ستكون النتائج الوحيدة هي ابراز المسافة الدراماتيكية بيـن موقف اسرائيل وشروط السلام العربية » (١٤ـ١١) ٠ وتشير الى ان « مصير الفلسطينيين والضفة الغربية هو الحاجز ٠٠ هل سيقام سلام منفصل ٠٠ عندها اي حل لن يعني سوى سحق الحركة الفلسطينية ؟ » (١٧ـ١١) ٠

مجلة **لو نوفال اوبسرفاتور** (٥ـ١٢) تواجه هذه التساؤلات المعلقة بأبوة عكسية ، ففي مقابلة طويلة مع منديس فرانس (الذي ابرزته الصحافة الفرنسية كأحد اهم صانعي هذا اللقاء) يصرح : « يلتقي الاسرائيليون والمصريون على رفض اعادة ادخال السوفيات في حل مشكلة الشرق الاوسط ٠٠ نشاهد صعود الدول الصغيرة والمتوسطة ضد الدول الكبر ٠ لقد شبعوا من استخدامهم من قبل الدول الكبرى ٠٠ ويدركون انه من الافضل معالجة مصالحهم بأنفسهم » ٠

أما **الاكسبرس** فهي اكثر صراحة : « لقد ادركت مصر والعربية السعودية انه يجب عليهما دخول المعسكر الرأسمالي ، في سبيل الوصول الى التقدم والازدهار » ٠

وكانت الزيارة

لن نعود الى الشغف العاطفي الذي قدمت به « مهمة السادات المقدسة » ، لكن يبدو من الضروري الاشارة الى عنصرين اساسيين :

١ ـ **اللطف** الذي ميز الصحف الفرنسية في سكوتها على الاهانات المتعددة التي وجهت الى السادات ٠ فعبارة ملك المغرب حول « العبقرية اليهودية ، والامكانيـات العربية » تحولت في خطاب بيغن امام الكنيست الى « العبقرية اليهودية والمال العربي » الى ان اصبحت في صفحات جميع الصحف الفرنسية « العبقرية اليهودية والعبقرية العربية » ٠ تخصص **لو فيغارو** (٢٢ـ١١) زاوية للهدايا الرمزية المتبادلة ، لكنها لا تاتي على ذكر المكابيين : « هذا الشعب القليل العدد الذي انتصر على شعب كثير العدد » ٠ مبعوث صحيفة **لو موند** اريك رولو ، هو الوحيد الذي يكتب عن « الاهانة » الكبيرة التي وجهت للسادات وهو يصل الى القدس في ظل حماية اسرائيلية قوية ٠ « بينما تعلن الاذاعة عن قيام اسرائيل بحملة اعتقالات وقائية في صفوف الفلسطينيين » (٢٢ـ١١) ٠

٢ ـ **الكتمان** الذي ووجهت به تدابير الامن الاسرائيلية المتروية ٠ وبين جميع التحقيقات التي عادت بنا الى اجداد الابطال وغرامياتهم وعائلاتهم ، لا يوجد اي تحقيق يقدم صورة

شاملة لهذه التدابير · لذلك يجب علينا التقاط هذه التفاصيل من داخل المواضيع المختلفة، اذا اردنا ان نكتشف جانبا من « الامل والقلق » لسكان ضفة الغربية · « منذ صباح السبت والقدس تأخذ معالم مدينة في حالة حصار · حوالي ١٠ الاف (٢٠ الف حسب **لو فيغارو**) رجل من الشرطة والقوات المسلحة تحتل المدينة وتقوم بدوريات في شوارعها الرئيسية وتفتش السائقين والمارة » (**لو موند** ٢٠_٢١/١١) · « جميع الطرق المؤدية الى القدس من اسرائيل او الضفة الغربية مغلقة » · (**لو فيغارو** ١٩_٢٠/١١) · « تلقى تجار الضفة تهديدا شديد اللهجة يقضي باقفال متاجرهم الى أجل غير مسمى في حال لجوئهم الى الاضراب » (لو موند ٢٠_٢١/١١) · والتدابير هي في الحدود الدنيا كما تقول مجلة **الاكسبرس** (٢٨_١١) · « عدد الموقوفين في القدس عشية وصول الرئيس هو ١٤٣ شخصا · وهذا العدد ليس اكبر بكثير من عدد الذين تعتقلهم السلطات الفرنسية في حال زيارة ملك اسبانيا لباريس » ·

لهذين العنصرين دلالة خاصة · لانهما يصبان في ترسيمة مسبقة لوصف الاستعراض الساداتي حيث :

أ ـ اكثرية الفلسطينيين الساحقة ، بقيت هادئة ومسمرة في رغبتها العظيمة في السلام ·

ب ـ حماسة الاسرائيليين لا توصف ·

ج ـ الاستقبال الشعبي الحماسي الذي لقيه السادات في القاهرة ·

١ ـ الفلسطينيون يؤيدون الزيارة !

حتى لحظة وصول طائرة السادات الى مطار اللد ، بقي الشك في احتمال الزيارة غالبا على الفلسطينيين · ثم اصبحوا « قلقين اكثر مما هم غاضبين » ،« حائرين » ، « مرتبكين » و « منقسمين » · · هذا اذا لم « يتمنوا مثل الاكثرية الساحقة من فلسطينيي الضفة وغزة انضمام عرفات الى السادات »كما يؤكد غي سيبتون في **لو نوفيل اوبسرفاتور** (٥ـ ١٢) · **لو فيغارو** (٣٠_١١) تبرز ان « الاوساط الاسرائيلية المطلعة ترى ان اكثرية الفلسطينيين في المناطق المحتلة تؤيد السادات ، وتتجه نحو فك تضامنها مع م·ت·ف· فالدعوة الى الاضراب لم تنفذ » · ومن معلومات **لو فيغارو** ايضا ان « عاملا من الخليل اعلن للاذاعة : بامكاني البقاء هنا حتى الغد وانا اصرخ سلام سلام » (١٩ـ٢٠/١١) · وفي تقديرها عن المظاهرة التي جرت امام الجامع الاقصى تقول ان « الجماهير لم تكن كلها معادية فالبعض يهتف : بالروح بالدم ، نفديك يا سادات !!· والوضع كان هادئا امام كنيسة القيامة » · كما تشدد على مأزق رؤساء البلديات في الضفة عبر تضخيمها لاهمية وجهاء المنطقة · (٢١_١١) ·

ولكن صحيفة **لوموند** هي الوحيدة التي تشير الى هجـــوم البوليس على جماهيـــر المتظاهرين امام كنيسة القيامة حيث جرت اعتقالات عديدة (٢٢_١١) · وتبين استحالـة قيام تظاهرات اكثر تعبيرا ، نظرا لتدابير الامن المتخذة · ولكن حتى **لوموند** لم تشر الى الى احداث مجد الكروم وتظاهرة قلنديا قرب القدس حيث قتل شاب برصاص احـــد المستوطنين الصهاينة ·

ب ـ حماسة اليهود لا توصف ٠

ان وصف « الحماسة » و « الابتهاج » و « الانفعال » الذي لا مثيل له في صفوف اليهود في فلسطين ، لم يتطلب جهدا في المبالغة ٠ يكفي وصف الرقص والزغاريد والبكاء والزينة ٠٠ ولقد وصل الفرح والهياج الى درجة دفعت بغولدا مئير الى التصريح الغاضب « لا السادات ليس مسيا » (**لونوفل اوبسرفاتور** ٢٨ـ١١) ٠ ولكن اذا لم يبالغ بالوصف ، فقد بقيت المعلومات ناقصة والاستنتاجات غائبة ٠ فهذه المرة وفي جميع الصحف الفرنسية دون استثناء ، اشير الى ان انفجار الفرح هذا جرى في صفوف السفارديم الفقراء ، اليهود القادمين من البلاد العربية ٠ « التصفيق في مداخل القدس : هم ٠ الاعلام على زجاج السيارات : هم » (**لوبوان** ٢٨ـ١١) ٠ « البعض يلقي ابياتا من الشعر ، والبعض الاخر يطلق الاغاني الشعبية باللغة العربية » ٠ (**باري ماتش** ٢ـ١٢) ٠ اما **لوفيغارو** (١٩ـ٢٠ـ١١) فتذهب بعيدا : « **هناك تحرير جماعي لعقد مكبوتة منذ فترة طويلة دفعة واحدة ، اخذ البلد باسره يتكلم العربية ٠٠ هذا ليس فولكلورا ٠٠ هذه هي اسرائيل الشرق** ٠ » نعم تقول جون افريك (٢ـ١٢) « ٦٥٪ من اليهود الاسرائيليين قدموا من البلاد العربية ٠ ولهم ارتباطات عميقة بالثقافة العربية التي اصبحت ثقافة العدو » ٠

والآخرون ؟٠ ماذا عن هؤلاء الذين يشكلون ٣٥٪ من « الشعب الاسرائيلي » ٠ تشير **لوفيغارو** (١٩ـ٢٠ـ١١) الى « هذا اليهودي الفرنسي الذي قدم من مدينة ليون عام ١٩٤٦ من اجل اسرائيل والذي يصرخ يعيش مناحيم بيغن رئيس الارغون ٠ وتبين **لونوفل اوبسرفاتور** (٥ـ١٢) ان « اوساط المؤسسة هي اكثر تحفظا ٠ فالذي تحرك هو الشعب، الفقراء والسفارديم » ٠

أليس هؤلاء اليهود الفقراء ، الذين قدموا من البلاد العربية والتي اضطرت غولدا مئير الى تذكيرهم بان « مسيا لن يأتي من مصر » ٠ هم عرب وينتمون الى الطائفة اليهودية ٠ الم يكن بامكانهم ان يعودوا الى انفسهم سيكولوجيا ويعودوا الى ثقافتهم العربية في فلسطين مستقلة ديموقراطية وعلمانية ؟

ج ـ الاستقبال الحماسي في القاهرة ٠

تبدي صحيفة **لوموند** (١٩ـ١١) قلقها من نتائج زيارة السادات « التي قام بها دون اي اعداد نفسي للجماهير ٠ فنتائج العملية مرتبطة في نهاية المطاف بالوضع السياسي في مصر نفسها » ٠ لكن يبدو ان الصحيفة على خطأ ٠ فالجماهير المصرية معدة نفسيا ومعنويا وماديا لهذا الحدث ! وكذلك المراسلون الذين تدفقوا الى القاهرة ! الا اذا جرى نوع من اسقاط حماسة العرب، اليهود على عرب القاهرة في اللحظة الاخيرة ، تأتي العناوين بالاحرف العريضة فوق صورة « بطل السلام » ٠ « العودة الظفرة الى القاهرة » او « الخاتمة المتألقة للمهرجان » ٠ مجلة **الاكسبرس** (٢٨ـ١١) تبدأ تقريرها بالعبارة التالية: « مليون ، مليونان ؟ لا يهم » ٠ وفي العدد نفسه نقرأ : « لقد ضمن السادات جميع وسائل النجاح ذهب الى اسرائيل يوم العيد ٠٠ الادارات والمتاجر مقفلة ، وكذلك الجامعات والمدارس التي هي مكان التحريض التقليدي في العاصمة المصرية ٠٠٠ اما في الجيش ، فقد تم ابعاد بعض العناصر المشاغبة » ٠ وكانت **الاكسبرس** قد اشارت منذ اشهر قليلة ماضية ، الى ان القاهرة طلبت بعض الاخصائيين الاميركيين من اجل اعادة تنظيم وسائل

الاعلام · وفي عدد ٥ـ١٢ تكتب : « لقد تعلم الصحفيون المصريون منذ امد بعيد · ممارسة الرقابة الذاتية ، برامج اذاعة دمشق مشوشة · اما اذاعة صوت فلسطين فقد الغيت » ·

مجلة **الوتوفل اوبسرفاتور** تقدم معلومات اكثر اهمية · لكنها من اجل البرهنة علـى « حدة التوق الشعبي الى السلام » ، فانها لا تمانع في القيام بعملية ايقاف الهرم علـى رأسه · تتساءل جوزيت عاليا (٢٨ـ١١) : « متى بدأ السادات يتحسس الملل من الحرب ؟ او الرغبة في التخلص منها ؟ عشية الفتن الدموية في يناير ، بعث بلجان الى جميع انحاء البلاد كي تشرح للقرويين بان سبب ارتفاع الاسعار يعود الى المجهود الحربي الـذي لا يمكن الاستغناء عنه · وكان جواب الفلاحين ، فلنقلع عن الحرب اذن ، وقد وصلت ردة الفعل هذه الى السادات الذي التزم الصمت ··· » ·« صحيح انها لم تتكلم الا عـن مئات الالوف من المتظاهرين ، لكنها مهدت لذلك بقولها : « ان المصريين قد سبق لها وتلقوا الصدمة النفسية عام ١٩٧٢ » · اما هذا التوق الى السلام فيصبح عند **محمود حسين** : « طالما يرقص الناس فرحا ويبكون في القاهرة ·· فالظاهرة السوسيدلوجية تتجـاوز الزائرين ومستقبلهم وتضم سكان البلد الشعبيين » ! مجلة **لوبوان** (٢٨ـ١١) تصف امل السلام لدى السكان ، كما تصف الاوتوبيسات والشاحنات التي تنقل الناس مجانا الـى مسيرة النصر » · لكنها تعتبر ان مظاهرة السادات لم تكن « منظمة كما كان الحال فـي عهد عبد الناصر » ·

لم تكن صحيفة **لو موند** ، وحيدة في تركيزها على أهمية الوضع السياسي الداخلي في مصر · فهذا العامل كان اساسيا في معظم التحليلات التي حاولت ان ترسم امكانيـات تطور الموقف وخاصة في حالة التوصل الى اتفاق منفرد · ويمكننا ان نستخلص من هـذه التحليلات الخطوط الاعلامية العريضة التي هيمنت على الاعلام المصري · يقول مراسـل **لوموند** (٢٩ـ١١) ان « السائقين واصحاب الدكاكين وصغار الموظفين والبرجوازية الكبرى يستخدمون الحجة نفسها ، وكأنها درس اتقن بشكل جيد » · وترتكز حجتهم على محورين رئيسيين :

١ ـ ان اسباب الازمة الاقتصادية تقتصر على حالة الحرب · وقريبا مع السلام ، سوف يقوم اليهود المصريون والاسرائيليون باستثمار اموالهم في البلاد ·

٢ ـ الفلسطينيون انانيون ولا يفكرون الا بانفسهم · ثم يظهر الاشمئزاز من نكبـة الفلسطينيين التي دامت اكثر من اللازم تشير **الاكسبرس** (٥ـ١٢) الى ان عددا مـن الفلسطينيين ضربوا في شوارع القاهرة امام رجال الامن المصريين الذين لم يبدوا اكتراثا بالموضوع · موجة من العداء للعروبة تجتاح البلاد · و « ديماغوجية السادات الـذي « ينحني امام الشعب المصري » مضفيا عليه جميع الصفات الحسنة » (**لوموند** ٢٩ـ١١) تغذي هذه النزعة الاقليمية الضيقة · مراسل **لو فيغارو** (٢٦ـ١١) يردد المثل المتداول في القاهرة : « لا احد يمكنه منع مصر من صنع السلام » ·

لا تشير الصحف الفرنسية الا الى معارضة بعض المثقفين ، وبعض الاسماء المرتبطـة بالماضي الناصري : هيكل ، خالد محي الدين ، لا احد يتكلم عن قواعد حزب التجمع · الفلاحون ؟ لا يرد ذكرهم · وحلوان ؟ والضواحي العمالية ؟ هل جرى فيها كما جرى في القدس ، حالة حصار ، مناطق محرمة ام ماذا ؟

لا تظهر الصحافة الا ردات فعل القطاع الثالث : « ان الفرد المتوسط هو الاكثر ميـلا لقبول اي حل يتفادى به الحرب » (**لوموند** ٢٠ـ٢١ـ١١) ·

حين تقصر الصحافة الفرنسية ، المعارضة ، على بعض رفاق ناصر القدامى ، وبعض المثقفين والجامعيين المسؤولين عن كتابات الحائط في مصر : « السادات خائن » · فانها تبدو اكثر تفاؤلا من السلطات الرسمية نفسها ·

جميع وسائل الاعلام الفرنسية تشير الى الوجود المكثف للشرطة الرسمية والسرية · وهذا في النهاية هو في صميم التراث العربي ولا يمثل موقفا لا ديموقراطيا ! تشير الصحف المصرية الى « الغاء الاجازات فيصفوف رجال الشرطة بمناسبة الاعياد لمراقبة الاسعار » · وتشير ايضا الى اعتقالات تقوم بها الشرطة ، شبكة دعارة ، حشيش ، ادت الى اعتقال الف شخص في احد احياء القاهرة ، كما ان عصابة سرقة قادت ٤٥٠ شخصا الى المعتقل ·

مجلة **شارمي ـ ابدو** (يسارية ومعارضة للسادات) تذكر في افتتاحية عدد ٢٨ـ١١ بعودة رئيس وزراء فرنسا دالادبين بعد انتهاء مؤتمر ميونيخ (الذي اكد السلام والاستسلام امام هتلر قبل ايام معدودة من نشوب الحرب العالمية الثانية) · استقبلته جماهير غفيرة لم يكن ينتظرها · الى درجة انه قال بدهشة : « يا لهم من اغبياء » !

اما بالنسبة لردات فعل الجماهير العربية · فهناك بشكل عام اتجاه واضح للتشكيك بها ان لم يكن لتقليصها · **لوموند** تغطي المسيرات والاحتجاجات ، لكن التغطية تكتب باحرف صغيرة جدا · وتصرح **النوفل اوبسرفاتور** (٥ـ١٢) · « الذين يصرخون عاليا يملكون جميع امكانيات التعبير من اذاعة وصحافة ! اما الذين يفكرون بشكل اخر فهم محرومون منها » · اما **لوفيغارو** (١٤ـ١١) فتؤكد : « بامكان السادات ان يرتاح · فالخطوة المصرية لم تعلن الفضيحة المنتظرة » ·

اما بالنسبة لموقف الحكومات العربية . فان قمة طرابلس ليست اكثر من « فانتازيا عربية · لها طابع فولكلوري غير فعال » (**لوفيغارو** ٢٩ـ١١)· طبعا هذا لا يمنع المحللين في الصحف اليمينية من اعتبار الرفض « هو العامل الاساسي الذي يقف حاجزا امام اي تنازل اسرائيلي بالنسبة للحقوق الفلسطينية التي يمكنها اعادة طرح السؤال التالي على المدى البعيد : هل يمكن لليهود البقاء في الشرق الاوسط ؟ » (**لوفيغارو** ٢٢ـ١١) ·

« سوريا ترفض اجتياز العتبة خوفا من ضياع طابعها العربي البعثي الثوري » (**لوفيغارو** ٢٩ـ١١) و « سوريا تعلم ايضا انها لن تستعيد الا جزءا صغيرا من الجولان· فهل تستحق اللعبة حرق هذه الورقة بينما لا يزال في حوزة سوريا ، بوجود وضع جنوب لبنان ووجود الفدائيين ، ورقة ضغط دبلوماسية لا تكلفها شيئا » · (**لو فيغارو** ١١ـ١١) والاسد يعلم ان « سوريا لا يمكنها ان تشن الحرب وحيدة حتى ولو ايدها الاخرون بحرارة» (**لوموند** ٦ـ١٢) · كما ان القاهرة لن تأخذ بعين الاعتبار وضع دمشق « من اجل توكيد دورها القيادي وتفوق مصر الطبيعي فيالعالم العربي ··· كما يمكن استعادة سوريا رغم كل شيء » (**لوموند** ٧ـ١٢) · وبانتظار تطور الوضع ، تكتب **الاكسبرس** (٢٠ـ١١) « لقد اصبحت الدبلوماسية السعودية من اكبر الدبلوماسيات في العالم · وهي تعي بعمق مدى مأساة التخلف في المنطقة » !!

وبالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية · فبالاضافة الى التقارير حول مشاكلها وتأرجحها ومواقفها ، يتصاعد في الصحف الفرنسية تيار يشكك بصفتها التمثيلية التي كانت مكتسبة قبل « الزيارة » · لذلك كان يمكن ان تنعت كما كتب روجيه اسكو (**لوموند** ٢٣ـ١١) انها : « مجموعة اليأس المنظم والمؤيدون المتحمسون لنهاية العالم » · لكن ، وبعد ان

« اسقط » اسم م·ت·ف· من خطاب السادات ، بدأت اسرائيل تركز على انخفاض نفوذ م·ت·ف· (**لوموند** ٢٦ـ١١) · او كما يشير غي سيبتون ، المبعوث الخاص لمجلة **لونوفل اوبسرفاتور** (٥ـ١٢) « اذا قلنا للاسرائيليين ان الحكومات العربية تعتبر م·ت·ف الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، يجيبون بعدم اكتراث ، هل تظن ذلك حقا ؟ نحن نعرف الكثيرين من اهالي الضفة الذين لا يحبون عرفات كثيرا » ·

في العدد نفسه نقرأ هذا التحليل العميق : « نتج عن تطور الامور منذ سنوات ان اخذت م·ت·ف· تبرز اكثر فأكثر كالناطق باسم الفلسطينيين · لا أقول ان لها صفة « تمثيلية » لانه لم يتم التصويت على اختيار قادتها ··· لا اعتقد ان م·ت·ف· تمثل وحدها مجموع السكان الفلسطينيين · هناك اناس لا يؤيدونها · يقول الملك حسين ولا نشك ان لديه اتصالات ــ انه اذا تمت انتخابات شعبية حرة تماما ، سيحصل على اكثرية مؤيدة له··»

طبعا ، الديموقراطية تعبر عن نفسها عن طريق اوراق الاقتراع ، ولا يمكن ان نعتبر شهادة النضال والسجون والاستشهاد جوابا للاختيار الشعبي ·

مجلة **الاكسبرس** تصب في نفس التيار · فتكتب في عدد ٢ـ١٨١ · « انها اي م·ت·ف· تمثل بشكل خاص فلسطينيي المهجر : الفقراء في مخيمات لبنان · هؤلاء الذين يعيشون بصعوبة في سوريا او المتعلمين الشباب الذين وجدوا عملا في امارات الخليج الفارسي، اي حوالي ٣٥٠ الف شخصا · المليونان الباقيان هم فــي الضفة والاردن وقطاع غزة وهم على اتصال دائم مع الاسرائيليين · حتى فلسطينيي الاردن ــ نتيجة سياسة الجسور المفتوحة الجريئة التي اصر عليها دايان ــ تعلموا على معرفة الاسرائيليين » ·

ولكن حين يبتهج تيار في الصحافة « بان الخاسر الكبير الان هو السيد عرفات » يأسف تيار آخر لان اعادة توحيد اجنحة المقاومة تم على اساس المبادىء المتطرفة في الحركة ·

ومفاوضو السادات المباشرون ؟ في بادىء الامر ، وداخل فرح المعجزة شددت الصحف على « حلم بيغن بدخول التاريخ مثل بن غوريون » · ولكن يذكر اريك رولو (**لوموند** ١٩ـ١١) : « يؤكد الكثيرون ان قائد حزب ليكود لن يتخلى ابدا عن منطقة يعتبرها جزءا لا يتجزأ من ارض اسرائيل » ·اطلقبيغن دعوته للسادات « بعد استشارة موشي دايان فقط (عربي الحكومة) » (**الاكسبرس** ٢١ـ١١) · ولكن التناقض سينجلي باكرا بين الحماسة الشعبية ، حتى التيار المتدين المتطرف يعترف الان بالوجود الفلسطيني ويريد حل مشكلته بعون الله » (**الاكسبرس** ٢٨ـ١) · وتصلب زعيم ليكود : صحيفة **لو موند** تقول في تقييمها لنتائج الزيارة انها « اضفت على الحزب العمالي شبابا جديدا » (٢٣ـ١١) · نقرأ احد عناوينها : « خلافات قد تظهر في ائتلاف بيغن » (٢٦ـ١١) · مندوب حزب مابام فــي فرنسا يعتبر انه « كان على بيغن ان يقوم ولو بانفتاح على مشكلة الفلسطينيين المركزية» (٣٠ـ١١) · هل يتمكن بيغن من عدم اخذ شعبية السادات في اسرائيل بعين الاعتبار «روح ٢٠ نوفمبر » كما يدعي كاتب افتتاحية **لوفيغارو** (٢١ـ١١) « التيار الذي امتد بين السادات ورجل الشارع في اسرائيل ··· هل يمكن ان تبقى هذه الكلمات ، هذه الافعال·· دون نتيجة ؟ » (**لوماتان** ٢٢ـ١١) · « هل يمكن القول بعد الان للاسرائيليين : هذا الرجل هو عدونا · يجب محاربته بجميع الوسائل ؟» (**لوفيغارو** ١٩ـ٢٠ـ١١) · تبين **لوفيغارو** في افتتاحية يوم ٢٥ـ١١ ، التناقضات في المواقف الاسرائيلية تصلب السيد بن اليسار وموقف دايان من الاراضي المحتلة · ولكن بن اليسار هو الذي اختير مبعوثا لمؤتمر القاهرة · « لا شك ان الاسرائيليين يتهيأون للذهاب الى القاهرة ليس بوصفهم ملائكة

السلام بل كديلوماسيين دهاة » · وشيئا فشيئا تستعيد الصحافة نفسها : « ان الاجماع الاسرائيلي لن يتزعزع : لا دولة فلسطينية ، لا اعتراف بمنظمة التحرير » لا انسحاب شامل » (**لوفيغارو** ٧-١٢) والامل يضعف · لذلك يضطرون للبحث عن « مؤشرات » ، المراهنة على « اتفاقات سرية » · الامل في « وعود اميركية » تبرز **لوموند** يوم ٣٠-١١ ان نقاط استيطان جديدة تركز في بيت خورون وغيفون بينما تستأنف المحادثات المصرية ـ الاسرائيليـــة ·

و « روح ٢٠ نوفمبر » ، النصر الوحيد ـ النفسي صحيح ـ الذي سجله السادات · يبدو ان الانتصارات من هذا النوع تستوعب بسرعة وبيغن هو الذي يقطف ثمارها : يقول مراسل **لوفيغارو** ان « الشعب الاسرائيلي وهو الاكثر انقساما على الصعيد السياسي في العالم ، هو اليوم كرجل واحد وراء رئيس حكومته » ويضيف مراسل **لوموند** : « بيغـــن هو الرابح الاكبر ··· صحيح ان خطاب السادات زعزع جزءا من الرأي العام الاسرائيلي ··· ولكن زعيم ليكود عبر بعثه لعواقب جروح الماضي ، يمكنه الآن تبرير تصلبه الحاضر بسهولـــة » ·

وبدأ الممثلون الرسميون او غير الرسميين لاسرائيل ، يقدمون في الصحافة الفرنسية الحجج التي تهدف الى دعم الموقف المتصلب الاسرائيلي ، يفسر الاستاذ في القانون الدولي العام ، **دافيد روزييد** ، قرار ٢٤٢ في صحيفة **لو فيغارو** (٢-١٢) فيؤكد « ان هذا القرار لا يتضمن اولوية انسحاب القوات الاسرائيلية بالنسبة لتاريخ الاعتراف بدولة اسرائيـــل وحقها في الحدود الامنة ··· كما ان منطق هذا القرار يمنعنا من اعتبـار حــدود ٤-٦-٦٧ بمثابة حدود آمنة ·

ترتكز هذه الحملة على النقاط الاتية :

- تنازل السادات لا اهمية له اذا لم نقل انه عديم الجدوى ·
- اعادة طرح مشكلة الصراع العربي الاسرائيلي في مقولات جديدة ·
- ومن ثم عرض جدول تنازلات للعرب بصورة عامة ولمصر بصورة خاصة ·

ففي عدد **لوفيغارو** بتاريخ ٢١-١١ ، ترفض آني كريغل معطيات الصراع كما اعتمدتها المنظمات الدولية والقوى العظمى فالصراع لا يدور حول شرعية قوميتين بل بين امتين : الامة اليهودية والامة العربية · بالتالي ، ليس هناك مشكلة فلسطينية ولا نحتاج الا الى اعتراف متبادل بين «الاسلام العربي واسرائيل اليهودية » ·

وتعيد الكرة في ٣٠-١١ · « المنطق الصحيح هو في تعايش امتين يهودية وعربية » · ستأتي التنازلات ولكن يجب الا نخطىء في موعد هذه التنازلات لان مرحلة الاعتـــراف بالشرعية لن تنتهي » ·

وايضا في صحيفة **لوفيغارو** يكتب الفرد فابر ـ لوس مقالا (وقد يكون هو نفسه الذي كتب تحت امضاء « قول جنيفسكي » · بتاريخ ١٨-٨-٧٧ في نفس الصحيفة مقالا يتنبأ بحرب خامسة في الشرق الاوسط يشنها العرب انطلاقا من العربية السعودية بصواريـــخ اميركية ، وقيل في حينه انه عميل رسمي اسرائيلي في فرنسا) · يكتب حرفيا :

« لقد كتبت الصحافة العالمية عن الحدث وكأن الرئيس السادات اتى الى القـــدس بتنازلات · لكنه لم يقدم اي تنازل الا في وجوده حتى انه بامكاننا ان نذكر انه جاء الــى

العاصمة الاسرائيلية وطالب الاسرائيليين بجزءمنهذه العاصمة » · (٦ـ١٢) · البيـــر ستارا ، المبعوث العام لحزب ليكود في فرنسا يتناول الموضوع نفسه في « المنبر الدولي» لصحيفة لوموند (٢٤ـ١١) : ويهدد ضمنا : « ·· قيل الكثير في موضوع الفائدة التـي حققتها اسرائيل ، ولكن اغفل كون هذه الخاتمة تحرر القاهرة من فرضية قاتلة ومدمرة»·

اذا ، ماذا يجب ان يفعل العرب حتى يصبح السلام ممكننا ؟

١ ـ يجب ان تتكلم دول الرفض كما تكلم السادات · (والا شكل اي اعتـــراف بالفلسطينيين خطرا اكيدا وليس فقط محتملا على الدولة العبرية ·(فـــابر ، لوس ، لوفيغارو ٢٢ـ١١) · وهذا يعني ان على الاتحاد السوفياتي ان يبقى خارج الاتفاق ، والا « ما الذي يضمن ان تصبح الدولة الفلسطينية قاعدة للكرملين » (ب· واجسمان · لوفيغارو ١٨ـ١١) ·

٢ ـ يجب ان يتكلم عرفات كما تكلم السادات ·

اي ان عليه ، كما يقول ممثل المابام في فرنسا عبر « منبر » لوموند (١٩ـ١١) ، « ان يخطو خطوات بسيطة ،كتعديلالميثاقالوطني الفلسطيني ·· » كما يطالب بهذا التعديـــل روجيه اسكو عضو امانة سر مجموعة الدراسات والابحاث الصهيونية الاشتراكية فـــي فرنسا (« آراء حرة » لوموند ٢٢ـ١١) ينصح رئيس تحرير مجلة لونوفل اوبسرفاتـــور في افتتاحية عدد ٢٨ـ١١ : « ··· فتح الرئيس السادات الطريق · وعلى الفلسطينيين ان يستغلوا الفرصة المتاحة امامهم بدلا من ان يسخطوا ويستقروا في رفاهية جمودهـــم المتطرفة » (!) عندها فقط يقول ريمون آرون في عدد الاكسبرس (٢٨ـ١١) « يتمكن بيغن من التحدث الى الفلسطينيين » اي فلسطينيين ؟ يضيف هذا المفكر الفرنسي الشهير :

« ليس مع ممثلي منظمة مسؤولة عن ارض غير محددة الحدود ، وليس مع ممثلي شعب موزع في عدد كبير من الدول العربية والذي لن يتجمع في الضفة الغربية » ·

اضافة الى ذلك يذكر فابر ـ لوس ان الفلسطينيين غير موحدين في تطلعاتهم الـــى دولة · ومن ناحية اخرى فهم يتواجدون في عدة دول عربية لكل منها اتجاهاتها السياسية اذا هناك استحالة تطبيق مبدأ تقرير المصير ·

فما هو اذا الحل بعد الخضوع للشرطين السابقين ؟ يأتي الجواب مبهما : « ··· ليست اهانة للشعب الفلسطيني اذا بحثنا عن وطن لهم يكفي ليكون قابلا للحياة ومتوازنا حتى لا يصبح محبا للحرب · في ارادتنا باعادة تنظيم العالم الى وحدات اكثر فأكثر سلامة ، سوف ننتهي الى التحسر على النمسا وتركيا العصور الماضية حيث كانت شعوب ذات اعـراق مختلفة تعيش بنوع من التسامح المتبادل · هذا الماضي قد ولى ·· ولكن ليس علينا ان نكون مصريين اكثر من مصر وعربا اكثر من العربية السعودية » ·

اي بتعبير آخر ، لا يبقى امام الفلسطينيين بعد ان تحقق التنازلات العربية المطلوبة ، الا الاندماج في العالم العربي الفسيح ·

واذا لم يتحقق هذان الشرطان ؟ هناك المجابهة · المخرج الوحيد هو في الحل المنفرد الذي يكون « مؤسفا » بالنسبة لاسرائيل ، ولكن هذه الحالة ايضا بحثت في جدول التنازلات : « يجب ان تعطي الضمانات او تؤخذ ، ضد اي امكانية تخريب للاتفاق · » (لوفيغارو

٢٢_١١) • ومن هذا المنظور ، وفي مقال له في تاريخ ٦_١٢ يجيب فابر _ لوس على السؤال : « ما هي السياسة التي يجب ان تتبعها فرنسا اذا ارادت ان تلعب دورا في السلام » ، ينصحها « الاتقف امام امكانية حل منفصل لان هذا يعني اعتبار موافقة جميع الدول العربية لا بد منها وبالتالي تعرض اتفاق ممكن الى « فيتو » اي متطرف كان » •

ولكن ربما كان لموقف فرنسا من الاتفاق المنفرد دوافع اخرى : فالاستقلالية التي اظهرتها تجاه الولايات المتحدة اثر اصدار تصريح السوق الاوروبية المشتركة ، ستسمح لها بأن تلعب دورا فيما بعد دون ان تتهم بالتحيز او الالتزام بطرف واحد • » (**لو فيغارو** ٢٦_٢٧_١١) •

ما هو دور القوتين العظميين ؟ وما هو هدف التحركات الحالية ؟

في بادىء الامر ، جرى التشديد على شجاعة السادات ليس فقط في مواجهة رصاص « القتلة » العرب بل ايضا في تحرره من وصاية القوى العظمى • « كلاهما غير راض عن وجوده خارج اللعبة » • « الاتحاد السوفياتي سيفعل كل ما في وسعه لتعطيل قنبلة السلام » • « ان مواقف سوريا و م•ت•ف• تأمر بها الكرملين » وهكذا يصبح تأجيل مؤتمر القاهرة « عملية نسف سياسة السادات التي تجاوزت الحد المسموح به في الاستقلالية » • « ان غيظ كارتر هو الذي دفعه الى كسر ديناميكية السادات » • او اذا كانت هذه الخطوة في سبيل مساعدته فذلك « لانه رأى انها ستكون مخرجا من مشاكله الداخلية » •

ولكن يبدو ان هذا الفرح في ان « يستلم الصغار مشاكلهم بانفسهم » جاء قبل اوانه • فسرعان ما اعترفوا : « لن يحل السلام في المنطقة دون مباركة القوتين العظميين » • وانطلاقا من هنا حاولت الصحافة الفرنسية فك الخيوط المعقدة في اطار التوازن الصعب للوفاق الدولي ، وتقديم الاحتمالات •

في افتتاحية **لونوفل اوبسرفاتور** (٢٨_١١) يحدد **جان دانيال** خط كارتر السياسي في المنطقة ، معتمدا على كتابات صدرت سابقا لبعض معاونيه الحاليين ، بنقاط اربع : ١ _ لا اتفاق ولا محادثات جانبية قبل مؤتمر جنيف • ٢ _ لا سلام منفرد يغيظ الاتحاد السوفياتي وحلفاءه العرب في المنطقة • ٣ _ لا استبعاد للفلسطينيين حتى لو اضطر الى التخلي مؤقتا عن ذكر م•ت•ف• ، ٤ _ البحث عن صيغة للتمثيل الفلسطيني في جنيف ترضى سوريا والاردن و م•ت•ف•

ولكن مع تصلب الاسرائيليين ، اصبح افق جنيف مسدودا • فكانت مبادرة السادات • يقدم ب•م دولاغورس في افتتاحية **لوفيغارو** يوم ٥_١٢ التحليل التالي : «لا شك ان الزيارة اعدت ونوقشت بين المسؤولين الاميركيين والمصريين ، ولكن البيت الابيض تردد بين امكانيتين :

١ _ ستقدم اسرائيل تنازلات ، حينئذ يسهل اسكات الرافضين العرب •

٢ _ لا شيء يشير الى ان اسرائيل مستعدة لتقديم اي تنازل ، فينتج عن الخطوة هذه، اعادة ادخال الاتحاد السوفياتي بقوة في المنطقة ، وتفاقم خطر الصراع المفتوح •

وتردد واشنطن هذا قد يفسر استقالة فهمي ورياض وتحفظات المملكة العربية السعودية

اما خطوة السادات الثانية والتي كان كارتر على علم بتفاصيلها هذه المرة ، فكانت تقديم تنازلات « لا يعقل » ان تقدم لاسرائيل ، لذلك ظهر كارتر بنفسه على شاشة التلفزيون ليعلن التأخير معطيا بذلك حجما لدور الولايات المتحدة الاساسي ·

كيف نفسر هذا التحفظ الاميركي على مؤتمر القاهرة ؟

هل هو في سبيل « ضم الدول العربية التي لا تزال متأرجحة اليه ؟ » او « لاقناع بعض الفلسطينيين بالتوجه الى القاهرة ؟» او « لتتمكن من ممارسة الضغوط على اسرائيل » ؟

مجلة **لوبوان** ٥ـ١٢ تعطي التحليل الاتي : « سبب التأجيل الاميركي هو خوف اميركا على سقوط مشروع السادات فاميركا لا تستطيع ازاحة الاتحاد السوفياتي · كارتر يواجه ضغوطا متناقضة :

ـ فانس وزبيج يريدان تأجيل مؤتمر القاهرة ·

ـ موندال وهاملتون يطالبان بالوقوف الصريح الى جانب السادات حفاظا على تأييد الطائفة اليهودية الاميركية ·

ويبدو ان كارتر اختار الحل الوسط : اقناع الاتحاد السوفياتي بالرجوع عن قرار المقاطعة ، ضم العربية السعودية ، التأثير على سوريا ·

صحيفة **لوموند** ترى الامور بصورة مختلفة نوعا ما فنقرأ في عدد ٣٠ـ١١ · يضع السادات الولايات المتحدة امام تواتر سريع · وتأتي حيرة البيت الابيض من الاهتمامات المتناقضة التي تحدد موقفه :

١ ـ السادات هو افضل صديق للولايات المتحدة في العالم العربي ، لا يمكن التخلي عنه في هذا الوضع الصعب ، يجب الا يفشل (تعلق **لوموند** على هذه النقطة قائلة « من المفروض ان ينتج عن هذا الموقف تنازلات اسرائيلية ، ولكن واشنطن على ما يبدو ، هي اما غير قادرة او غير راغبة في الضغط بهذا الاتجاه ») ·

٢ ـ لا تستطيع الولايات المتحدة اهمال الشركاء الاخرين المهتمين في مؤتمر جنيف : الاتحاد السوفياتي ، سوريا ، الاردن وقد يترتب عن انقسام الجبهة العربية بشكل ماساوي نتائج سيئة جدا ليس فقط بالنسبة لجنيف بل ايضا بالنسبة للسادات ·

ومؤتمر القاهرة يطرح هذا المأزق بوضوح ، هناك تيار يقول بان كارتر في الموقف الذي اتخذه للخروج من هذا المأزق ، اختار الخط المتصلب · كان بامكانه ان يبعث « بمراقب » الى القاهرة وان يخفف من التصريحات المشجعة · ولكنه يعلم ان « الرفض » العربي لا يمكنه ان يقوم بأي شيء على الصعيد العسكري وهذه الجبهة مفكة · ومن ناحية اخرى يعتبر ان الاتحاد السوفياتي الذي يشجع هذه الجبهة لم يكن على مستوى مسؤولياته بوصفه رئيسا مشاركا لمؤتمر جنيف · لذلك رفع مستوى ممثله الى القاهرة ·

صحيفة **لوفيغارو** (٢٨ـ١١) كانت قد انذرت بخطورة هذا الخيار المغامر ، بالنسبة لها ، التيار الاخر هو الذي ينتصر · فسياسة كارتر في الاشهر الاخيرة لم ينتج عنها شيئا · واميركا صبت جهودها كلها من اجل اعادة ادخال الاتحاد السوفياتي في المباحثات · فاذا فشل مؤتمر القاهرة ، يكون قد عاد كارتر الى الوراء الى نقطة ابعد

من تلك التي كان فيها · لذلك بعض المؤشرات تلمح الى ان· الولايات المتحدة تعمل في الكواليس لمساعدة مصر من اجل الخروج من العزلة · « يتساءل البعض اذا لم يكن تصريح السادات لشركة سي ·بي·اس الاميركية ، حيث يؤكد ان م·ت·ف· ستدعى هي ايضا الى القاهرة ، هو مقدمة اتفاق صلح منفرد اذا وجدت مصر وحدها مع اسرائيل في جنيف · نتيجة لضغوط واشنطن » ·

سياسة الاتحاد السوفياتي اكثر بطءا وسرية ·

صحيفة **لو فيغارو** (٢٨ـ١١) تعلن عن وجود اوساط تتكلم عن اتفاق سري اميركي ـ سوفياتي · « هناك غموض في موقف الاتحاد السوفياتي تجاه جبهة الرفض الجديدة » · « على كل ، يبدو ان الاتحاد السوفياتي لا يريد اتخاذ موقف سلبي يسد امكانيات الذهاب الى جنيف » · صحيفة **لوموند** (١ـ٢ـ١١) لا تبتعد عن الاحتمال الذي يقول ان الاتحاد السوفياتي هو في صدد مراجعة عامة لسياسته في الشرق الاوسط · فموقفه دقيق جدا : اذا فشلت جنيف لم يعد للاتحاد السوفياتي في المنطقة الا م·ت·ف (ولا يستطيع اعتبارها حليفا كاملا) وسوريا (وهي شريك صعب) · ولكن موسكو غير متأكدة من فشل السادات والا لكانت ادانتها له اكثر عنفا · فهي اذا « مضطرة الى ابداء حزم في مواقفها كي تكتل من حولها الدول المناهضة للسادات فيما لا تقوم بشيء يمكن ان يعرض فرصة مشاركتها في التسوية للخطر » ·

بصورة عامة ، يبدو ان الراي السائد في الصحافة الفرنسية اكثر تشاؤما من رأي الاتحاد السوفياتي ، والرسوم الكاريكاتورية تعبر عن هذا الاتجاه · والى جانب نداء سارتر (**لوموند** ٥ـ١٢) ، تدعو كل الصحافة ، في مختلف تحليلاتها وزواياها ، اسرائيل الى « اغتنام الفرصة التاريخية » · « لماذا لا يحقق السلام دون التوقيع عليه ·· لماذا لا تنسحب اسرائيل مثلا ٥٠ كم من سيناء » (اندريه فروسار · **لوفيغارو** ٢٣ـ١١) · « ان شرف اسرائيل هو في قبول تحدي السلام بعد ان قبلت منتصرة ، تحدي اربع حروب » (**الاكسبرس** ٢١ـ١١) · «يجب ان يفهم الاسرائيليون ضرورة التنازلات» (**لوموند** ٣ـ١٢)·

« فالكرة في ملعب الفريق الاسرائيلي » و « خط الانقسام لم يتحدد بعد عند الفريق العربي ··· فالامر يتعلق بالاجوبة الاسرائيلية » · « فهل يتصرف بيغن بحيث يصبح اللقاء ليس فقط اندفاعا عاطفيا بل بداية العقل » ؟

في زاوية « آراء حرة » (**لوموند** ٢٥ـ١١) يجيب مدير شركة : « رفض بيغن ان يتعامل مع العقلاء · جيد جدا : سيتعامل مع المجانين » · افتتاحية مجلة **لوبوان** (٢٨ـ١١) تدعو اسرائيل الى « الاختيار المزق » : فحظر الاعتراف بحقوق « الشعب العربي في فلسطين» بوطن له ان لم يكن بدولة سيدة ، ليس جسيما » · « لا يرغب اي بلد عربي في اقامة « دولة م·ت·م· » يسارية ومحاربة ·· فالرهان ممزق حقا ولكن الرهان الاخر يشبه اختيار السجن الى مدى الحياة » ·

رأينا ان افتتاحيات الصحف عبرت منذ البداية عن تحفظها وحتى شكوكها في امكانية التخفيف او التأثير على التصلب الاسرائيلي ، ولكن الامل كان في جنيف · حتى ان بعضهم تكلم عن تاريخ الجلسة الافتتاحية · ولكن جنيف يبتعد اكثر ، او على الاقل يفرغ من مضمونه · ومراسم الصلح المنفرد تتأكد ·

مراسل **لونوفل اوبسرفاتور** في اسرائيل كان قد ارتقب امكانية الحل المنفرد كساحد

المخططات الممكنة في عدد ٢١ــ١١ الذي صدر قبل الزيارة ٠ وفي ٢٨ــ١١ يلاحظ المبعوث الخاص لصحيفة **لوفيغارو** ان تصريح بيغن حيث يؤكد ان المحادثات ستجري في القاهرة حتى لو لم يأت احد القاهرة غيرهما ، ينسخ بتواز مقلق حديث السادات الى الاي٠بي٠سي ، « اي بتعبير اخر تدخل اسرائيل ومصر بعزم على طريق التسوية المنفردة » ٠

يصل اريك رولو (**لوموند** ٢٩ــ١١) الى الاستنتاجات نفسها : « مصر تهجم نحو الصلح المنفرد » « فكرة الصلح المنفرد تشق طريقها في الرأي العام » ٠ هل تحث الولايات المتحدة مصر على توقيع حل منفرد ؟ في تحليل لحديث كارتر تستنتج **لوموند** (٣ــ١٢) ان كارتر يرتضي بسلام منفرد » ٠ صحيفة **لورور** (٦ــ١٢) تكتب نقلا عن اوساط دايان : « تحتفظ مصر بخيارات بديلة بما فيها الاتفاق المنفرد » ٠

ولكن الاتفاق المنفرد لا يتم بهذه السهولة ٠ تذكر افتتاحية **لوفيغارو** (٢٨ــ١١) ان في هذه الحالة ايضا : « على اسرائيل ان تختار ، لان السادات يتخلى عن م٠ت٠ف٠ ولكن لا يتخلى عن وجود حل للمشكلة الفلسطينية » ٠ وتذكر **الاكسبرس** (٥ــ١٢) ان « حوالي ٨٠٠ الف مصري يعملون في العالم العربي وينقلون **يوميا** ٥ر٢ مليون دولار اي اكثر من المدخول اليومي لقناة السويس ومن الصعب ان تواجه مصر مقاطعة عربية » ٠ في مقابلة في **لونوفل اوبسرفاتور** (٢١ــ١١) يقول ناحوم غولدمان (الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي) : « لن تذهب مصر وحيدة الى جنيف ولن تقبل توقيع السلام المنفرد ٠ فالسادات اذا فعل ذلك اما يقتل او يقلب ٠ وبيغن لن يقبل باعطاء وطن للفلسطينيين » ٠ فيستنتج ضرورة تدخل القوى العظمى ٠

وترتفع اللهجة من القلق الى الخوف :

في بادىء الامر ومع « الزيارة » كان من الممكن التحدث عن « لعبة البوكر » ، عن « مناورة سياسية لاجتذاب الرأي العام العالمي » ، عن « تكبيد اسرائيل هزيمة دبلوماسية لا مثيل لها » ٠ ولكن بعد « الدعوة » ٠ « الوفاق الدولي في خطر ان يتزعزع اذ اقرر الاتحاد السوفياتي تصعيد تأييده لجبهة الرفض ، سيجابة قريبا جدا الولايات المتحدة »٠ (ر٠ لاكونتر ــ **لوفيغارو** ٢٨ــ١١) ٠

لوموند (٦ــ١٢) « ان امكانية المناوشات المرتقبة في جنوبي لبنان ستضع النظام السوري وتحالف طرابلس الغرب في خطر ولكنها ايضا تهدد باشعال الحريق في كل المنطقة » ٠

لوبوان (٢٨ــ١١) تضعنا امام ثلاثة احتمالات : ١ ــ هناك تنازلات اسرائيلية ، تبدأ عملية الصلح ، ٢ ــ السادات لا يحصل على شيء : نحن امام امكانية نشوب حرب اما بمبادرة السادات اليائس او بمبادرة اسرائيل ٠ للتخفيف عن السادات من الحاجز السوري ــ الفلسطيني ، ٣ ــ اهتراء الوضع ــ عمليات فدائية ــ غارات تأديبية اسرائيلية على لبنان مجابهة بين القوى الكبرى ٠

ولكن الى جانب سيناريوهات الحرب ، ترتسم مخططات التسوية ٠ قبل « الزيارة » ، كانت التصورات على هذا النحو :

ــ الاتفاق على وفد فلسطيني الى جنيف يرأسه استاذ اميركي اصله فلسطيني تؤيده م٠ت٠ف ٠

ـ اعادة السيادة المصرية على شرم الشيخ ومن ثم « تأجيره لمدة ٢٠ ـ ٢٥ سنة » والانسحاب الكامل من سيناء ٠

ـ الاتفاق حول حدود الانسحاب من الجولان (**لونوفل اوبسرفاتور** ٢١ـ١١) ٠

بعد الزيارة ، وفي اطار جدول التنازلات المطروح على الامة العربية « بعضهم يستبشر خيرا بعدم قدوم الفلسطينيين الى القاهرة حتى لا « ينزعج » الاسرائيليون » (**لوموند** ـ ٢٠ـ١٢) ، وتلتقي الصفة التمثيلية « للمهاجرين » الفلسطينيين ، « فربما تلجأ مصر الى الوجهاء في الاراضي المحتلة » ٠

تقدم **لوفيغارو** (٢٦ـ٢٧ـ١١) تصورا لمساومة ممكنة حيث ينسحب الاسرائيليون من سيناء وشرم الشيخ وجزء كبير من الجولان ، أما بما يخص الضفة الغربية ، فهي لا تستبعد القبول باقتراح دايان : « التوزيع الوظيفي للسلطات » وهذا يعني تسيير ذاتي واسع للاهالي المحليين ، وادارة مشتركة مع الاردن مع الاحتفاظ بالمراقبة العسكرية ، وتضيف الصحيفة ان هذا الاقتراح قد يحظى بقبول السادات لانه يعطي دورا مهما للاردن ، تحييد منظمة التحرير وتأمين امن اسرائيل ٠

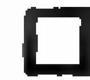
وتعتبر **الاكسبرس** (٢٨ـ١١) ان احد المنتصرين نتيجة الزيارة هو الملك حسين الذي عاد الى الساحة « بعد ان سلمت الدول العربية باجمعها صفة التمثيل الفلسطيني لياسر عرفات » ٠ وترى ان المساومة المطروحة تشبه الى حد كبير مشروع فدرالية الملك حسين التي كانت مطروحة٠

وتشير **لوفيغارو** ٧ـ١٢ الى الدور المركزي الذي يمكن ان يلعبه حسين ، فاحدى اهم مهمات جولة فانس في الشرق الاوسط هي اقناع حسين بالانضمام الى السادات ٠ هكذا يصبح جنيف ممكنا حتى دون سوريا ويكون الى جانب مصر والاردن وفد من وجهاء الضفة والقطاع يرضى عنه كلاهما ٠

ولكن ايا يكن المشروع المعتمد ، فان « المفاوضات الشاملة سوف تتم بشكل مفاوضات منفردة ٠ او بعبارة ادق : مفاوضات منفصلة تبدو وكأنها شاملة » ٠ (**لوفيغارو** ٢٨ـ١١) يذكر كلود بورديه في زاوية « منبر حر » (**لوموند** ١ـ٢ـ١٢) بمؤتمر ميونيخ ويتساءل : « هل يجوز الرهان على ديناميكية الرأي العام ؟ ان منطق الآلية التاريخية هو اكثر قوة من جرأة السادات الشخصية ، حتى ولواكد مرارا على عدم ارادته توقيع صلح منفرد »٠

امام هذه المساومات ترتفع اصوات يتيمة محذرة : يكتب اندره فونتين في **لوموند** : « يجب الا يعتقد السادات وبيغن ان بامكانهما انجاز مصالحتهما على حساب الفلسطينيين لان الفلسطينيين قادرون على اجبارهما على الندم » ٠

وينصح ب٠م٠ دولاغورس ، على اعمدة **لوفيغارو** ، المتفاوضين ، انه في حال التوصل الى حل للمشكلة الفلسطينية عبر الشخصيات المنتخبة او الوجهاء ، فانه من الضروري دعم موقف هؤلاء ، واعطاء سلطتهم السياسية والمعنوية دعائم حقيقية » ٠



لقد اقتصرت قراءتنا للصحف الفرنسية على صحف اليمين و « اليسار » الاشتراكي٠ الى جانب صحيفة **لوموند** ٠

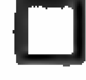
ومن المجلات والصحف اليمينية ، قرانا **الاكسبرس** و **لوبوان** ٠ وصحيفة **لوفيغارو** ، ومن الجدير بالملاحظة ، ان صاحب هذه الصحيفة **روبير هرسان** هو **نازي سابق** ٠ وتنطق

هذه الصحيفة بلسان الاكثرية الحاكمة الى جانب وجود تيار شبه « مستقل » داخلها ، يعبر عن الرأي الصهيوني اليميني الذي هو في بعض اللحظات اشد تطرفا من ليكود !

اما صحف « اليسار » ، فقد قرأنا صحيفة **لوماتان** الناطقة بلسان الحزب الاشتراكي الفرنسي ومجلة **لونوفل اوبسرفاتور** المقربة من الحزب الاشتراكي ـ كتلة ميتران ـ باتجاهاتها المختلفة ٠

صحيفة **لوموند** محدودة الانتشار نسبيا (٥٠٠ الف نسخة) « مستقلة » و « ليبرالية » وتتوجه اساسا الى المثقفين والجامعيين ٠

ولم نتناول صحف الحزب الشيوعي الفرنسي ، جريدة **لومانيته** لسبب بسيط ، فهي لا تصل الى بيروت بانتظام ٠ كما ان موقفها المؤيد للحق العربي بشكل ثابت يتبنى بشكل عام مجموعة من التحليلات القريبة من تحليلات القوى التقدمية في العالم ٠



الانطباع العام الذي نخرج به من قراءتنا لهذه الصحف ، هو ان هناك امل في حلول السلام ، الجميع يصلي من اجل السلام ، ينصحون ، يتخوفون ويذكرون بالفلسطينيين ، خوفا من الفشل ، او خوفا على السلام ، او خوفا من العودة الى انقطاع ضخ النفط في شتاء اوروبا البارد ، ومصانعها التي يسيرها النفط العربي !

في هذه المرحلة ، حيث يرتفع في اوروبا صوت قضايا حقوق الانسان الاوروبي لم ترتفع الا اصوات قليلة تطرح المشكلة من جذورها : حقوق الشعب الفلسطيني كشعب ، وحقوق الانسان الفلسطيني كانسان ٠ يعترفون بمشكلة وجود الفلسطينيين ، ويدعون حرصا على سلامهم ، الى حلها ضمن شروط الغرب ٠

وهناك صوتان ارتفعا من العالم الثالث ، وكتبا عن السلام في مرحلته المقبلة ٠ احد رؤساء تحرير **جون افريك** يقول : « نعلم كماما ان الغرب لن يترك اسرائيل ابدا ، لذلك يجب ان نسعى الى حل يراعي ادنى شروط الاهانة المكنة » ٠ الاهانة اياها تتحول في كلمات محمود حسين (**لوموند** ١٣ـ١٢) الى أمل بان حل الصراع على هذا النحو ، ربما يمكنهما من بدء النضال في سبيل تقدم الجماهير !!

الصحافة المصرية

فيصل دراج

عندما تصل طبقة الى مأزقها التاريخي ، ترفض الموت الطبيعي وتحاول النجاة · تعمل لانقاذ نفسها من الغرق فتشد شعرها بيديها ، لكنها تغرق من جديد · **فحياتها مأساة وموتها كوميديا** ·

كل طبقة تبدأ ايجابية المسار ، ينتجها التاريخ كنقيض ، تسير ثم تسقط ، فيعيد التاريخ انتاجها كطبقة سلبية المسار · وبداية الطبقة الحاكمة في مصر لا تشذ عن ذلك ، نهضت لتلغي مأساة ، فعاشت زمانها كمأساة اكبر ، عاشرت المأساة وفرخت مآسي اخرى ·

وصحافة السادات تعيش تاريخها الان ككوميديا سوداء · كوميديا عندما تمزج اللاهوت واللاعقلانية والاظلامية معا باسم قضية مقدسة ، كوميديا لانها تعامل التاريخ كأكذوبة كبرى · كوميديا سوداء لان ممارستها للتاريخ كأكذوبة تمسنا جميعا ، تمس الماضي والحاضر والمستقبل ·

صحافة السادات تعبر عن طبقة تعيش هزيمتها كانتصار وكبداية انتصارات اخرى ، وتمهد لهذه الانتصارات بفكر جديد ، بفكر جديد ـ قديم ·

مقالها ليس محض اكاذيب فهو واقعها ايضا · تقول حقيقة وضعها التاريخي وتضلل كي تجر الجميع وراءها · ترفض الموت وحيدة · مقالها يضلل ويقول الحقيقة ، وعندما يضلل يشير الى حقائق اخرى · لكن واقع الطبقة هو ممارساتها ، اما مقالها الصحفي فيشير الى آفاقها وتطلعاتها السياسية ·

البطولة في الوهم وآلية العجز :

نقطة الانطلاق وكل انطلاق في مقال الصحافة الساداتية هي الجيل الاكتوبري · فما هي خصائص هذا الجيل العجيب ، وما هي ميزاته التي تمنحه بعدا اسطوريا وممارسة اسطورية وتجعله ظاهرة عصره ؟ اذا نظرنا الى هذا الجيل عبر صحافته ، ووجوده في التاريخ شيء وفي صحافته شيء آخر ، لوجدناه جيلا اكتوبري الملامح ، لوجدناه واثقا من نفسه ، متحضرا ، جريئا ، جسورا ، انه الكمال بعينه ، كمال القمة وقمة الكمال ، انه جسم بلوري لا تشوبه شائبة ولا يعتوره نقص · انه المطلق والكامل · ولما كان الكامل لا يخاف الناقص ولا يخشاه ، فلماذا لا يذهب الى الناقص ، ويحاوره « حضاريا » ويحرجه ويعريه امام ملايين العيون · والناقص (اسرائيل) سيقبل الحوار بلا شك ، جعلته حرب اكتوبر يستسلم ، ويلقي السلاح ، وينتظر السلام ليل نهار · الناقص سعيد لان الكامل قبله ، زار السادات اسرائيل ، « رأى العيون المتعطشة الى السلام » · يقول يوسف السباعي الذي رافق الرئيس في رحلته « التاريخية » :

« وعلى الطريق كانت الوجوه تهتف في تشنج متلهفة على السلام ، لان ذلك بات الطريق الوحيد للنجاة ··· والحياة الآمنة ، بعد ان اذاقتهم حرب اكتوبر وجيعة الحرب وآلامها ··· ، كان في دمعة الجندي وابتسامة الطفل اقتناع حقيقي بخطوة السادات في طريق السلام العادل » (١)

السادات لا يحاور معتمدا على الفراغ ، بل على حرب اكتوبر التي ابدع كيسنجر في استثمارها واجهاضها واستخدامها ، بطل اكتوبر لا ينطلق الا من الانتصار والقوة والحضارة · واذا اعوزنا اليقين فهناك توفيق الحكيم « اما الان وقد اثبتنا قدراتنا العسكرية ، وتخطينا مرحلة الخوف من المجهول ، وحطمنا اسطورة جيش اسرائيل الذي لا يهزم ، واستوعبنا احدث الاسلحة ، وتفوقنا في نوع الاداء على ترسانة السلاح في اسرائيل · اليوم صرنا نتحدث بلغة اخرى تتفق وما حققناه من مكانة عالمية » (٢) ·

وهذه المكانة العالمية ـ وخاصة لدى البيت الابيض وموبوتو وشاه ايران ـ تسمح بكسر « الحاجز النفسي » وتمهد لزيارة محمودة العواقب · كل هذا بعد حرب اكتوبر التي « حطمت الخرافة العسكرية الاسرائيلية ، وردت للعرب كرامتهم بعد هوان ، وحطمت جدار الشك والخوف وعدم الثقة · لهذا فان زيارة السادات حازت على اعجاب العالم كله « الا من كان في قلوبهم مرض » اما الحاج انيس منصور فيذهب ابعد من اقرانه « ان حرب اكتوبر اعظم انتصارات مصر في كل العصور » (٣)

لسنا هنا بصدد تحليل حرب اكتوبر التي بذل فيها الشعب المصري والشعب السوري والفلسطيني وغيرها من الشعوب العربية جهدا وعرقا وتضحية وشجاعة · ان ما نعالجه هو استثمار الطبقة العاجزة في مصر لحرب اكتوبر بعد ان اجهضتها · استثمرتها في البدء للانفتاح على البيت الابيض وكل ما هو اظلامي ، والان تستثمرها للانفتاح على الكنيست الاسرائيلي · وهذا الاستثمار يدفع الى معالجة جديدة لحرب اكتوبر · فالصحافة الساداتية تؤرخ الان للبشرية بدءا من حرب اكتوبر ، وكذلك للعلاقات الدولية ولتاريخ الشرق الاوسط ، بل يشتط بعضها ويؤرخ ليقظة « العالم الثالث » بدءا من هذه الحرب ·

لكن منطق التاريخ لا يساوي منطق الصحافة ، فالحرب التي تمهد للاستسلام بطولة في الوهم ، بطولة طبقة لم تعش عمرها الا هزيمة ·

منطق صحافة تبشر للاستسلام لا ينطلق من الواقع ، بل من واقع كلمة مضللة ، يستحيل لديها الواقع الى كلمات والكلمات وقائع · لذلك بطولتها وهم وهزيمتها حقيقة · فلكل طبقة مقالها ، يقول المقال الساداتي « غزو السلام الناجح » ويقول المقال التاريخي « رحلة الاستسلام وتثبيت الهزيمة » ، ويقول المقال الاول « حاجز العقد النفسية » بينما يقول الثاني « الصراع بين الصهيونية وحركة التحرر » ويعود الاول فيكرر « اصحاب العقول المتخلفة » فيرد عليه الثاني « القوى الرافضة للاستسلام » كما يقول الاول « عملاء موسكو » فيصححه الثاني « القوى الوطنية العربية » ، ويتابع المقال الاول بطولته الوهمية فيقول « انجزت الزيارة مهماتها وكانت نجاحا كاملا » فيجيبه التصحيح « انجزت طبقة دورها والتحمت بالعدو » ·

ينطلق المقال الاول من بطولة وهمية ، ومن زعيم خارق · فما صفات هذا الزعيم الذي تحبه البشرية جمعاء ما عدا « اصحاب القلوب المريضة » ؟ ·

مهمة خارقة لرجل خارق :

عندما يعبر السادات معروقا الى اسرائيل ، يلغي نضال ثلاثين عاما ، يعيد كتابة التاريخ ، يغير دلالاته ، يضع الماضي في غرفة مظلمة ، ويدين هذا الماضي · يتنكر للحق ويمنح بركته الهشة لنظام جعل من الظلم قانونا · يخرج السادات من معسكر الى معسكر ويزيف كل شيء · مهمة خارقة ومنطق جديد ، وحجم الخيانة اكبر من عباءة الرئيس · لهذا يصنع له الاعلام عباءة مناسبة ويرفعه الى مستوى « مهمته » التاريخية ، يرممه ويعطيه الغطاء ، يمنحه ظلا كبيرا ويجعله مركزا للعالم · تنعكس لامعقولية المهمة على لامعقولية كيان الرئيس ، ويصبح الرئيس ظاهرة تاريخية ، رجل الخوارق · لنستمع الى صحافته :

ـ « ان العالم كله سعيد الحظ لوجود رجل جريء مثل السادات يتمتع بأكبر مكانة في القلوب من المحبة والثقة والنفوذ على المستوى العربي والافريقي والدولي ، لنشره الرخاء والعدالة والسلام بقيادته الرشيدة في جميع انحاء العالم » (٤)

ـ « أثر السادات في رؤيته وفي حركته ان يصنع التاريخ لا ان يكون هو من صنعه وان يؤثر في تطور الاحداث لا ان يتأثر بها » (٥)

ـ « عرف العالم كثيرا من القواد المنتصرين ، وعرف فيهم حبهم للحرب · لكن العالم لم يعرف قائدا منتصرا وداعية سلام عالميا يجتمعان في شخص واحد · وقد جمعهما السادات في شخصه » (٦)

السادات اذن ظاهرة تاريخية ، معجزة بلا زمان او مكان او انه فوق الزمان والمكان . انه العقل الكلي ، يساوي مهمته ويوازيها اخلاقيا ووجدانيا وعقليا ·

الانسان الخارق ليس احادي الجانب ، تجتمع الخوارق فيه ويجتمع في الخوارق ، فهو تكثيف العقل والضمير والبطولة · فالرجل اذن على مستوى مهمته وعلى شعبه « ان يظل مطمئنا » :

ـ « لقد اثبت بطلنا انه بطل للحرب وبطل للسلام · فما اروع البطل بطلنا في امة الابطال » (٧)

انه بطل عبور وبطل ايمان وبطل سلام ·

عاشق السلام : له كلماته ولصحافته كلماتها · يستلهم كل منهما الاخر . يبحث له عن لفظية جديدة ، ثم تلتحم الكلمات في مقال واحد يعبر عن فكره ويضلل ، يعيش في فكر التضليل وتضليل الفكر · لنتابع رحلة التضليل في صحافة الرئيس :

ـ « ولما قرأ الرجل (اي الرئيس السادات) تقريرا عن اصداء « قنبلة النتروجين » في هجوم سلامه اخفى ابتسامة حزينة وابتلع غصة في حلقه وكأنه يقول احمدك يا رب هذا ما اردته بالضبط أن اذهب الى المواجهة لتنقذ بالاسباب عبادك من انهار الدم والدمار التي سوف تغرقهم » (٨)

ـ « اراد الرئيس ان يختصر من عمر الامة العربية اجيالا اخرى كان من المحتم ان

تلتهمها نيران الصراعات والعداوات والحروب والدمار » (٩)

ــ « كان صاحب القلب الكبير وهو يعلن في افتتاح دورة مجلس الشعب انه اشد ما يكون حرصا على نقطة دم تراق من جندي مصري او ضابط مصري » (١٠)

مقال اخلاقي ، والرجل روح خالصة تهيم في سماء الانسانية المعذبة ، يبحث عن سعادة الانسان وخلاص روحه ، يجتر احزان شعبه ، يخاف الدم ويرقب اهوال العالم · يعيش الرئيس زمانه كمبشر · لكن ذاكرة التاريخ تهتك جوهر الابتسامة الحزينة ، فدم الجندي المصري عزيز على الجبهة الشرقية ، رخيص على الحدود الليبية ، بل يرسل هذا الدم الى السودان وزئير واثيوبيا ، فمقال الرئيس الاخلاقي وهم ، والتاريخ يبدد هذه الرومانسية الزائفة ﻟ « بطلنا » « ذو اظافر » على جميع الجبهات ما عدا الجبهة الشرقية ·

الايمان اولا : يطير الرئيس من سماء الى سماء ، يجوس في ملكوت الاخلاق ويعرج الى ملكوت المحبة · يتملى العالم زاهدا ، ويحاصر المادية المبتذلة مسبحا ، يصبو الى ملكوت بلا تناقض ، فيتجلى له العالم مملكة للشر ويتجلى لنفسه نبيا · انه رجل ايمان اولا ، يعيش عالمه كقسمة سرمدية : المؤمن/اللامؤمن ، فينطلق كمؤمن الى رحاب الايمان ليستقبله مؤمن آخر ·

ــ « لم تكن مصادفة ان يبدأ ابن مصر الجسور اقتحامه المذهل في نفس الساعة التي بدأ فيها فيض بشري هائل من الحجاج يتجه الى عرفات وبيت الله الحرام لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم » (١١)

ــ « انسان جسور احيا سنة الانبياء · فماذا يضيرنا ، ان اطعنا الله عز وجل الذي يأمرنا في كتابه : وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (١٢)

ــ « يتوجه السادات فور وصوله الى المسجد الاقصى ليؤدي هناك صلاة عيد الاضحى المبارك وسط جموع ابناء المدينة المقدسة ، ثم يتجه الى مسجد قبة الصخرة حيث يؤدي ركعتين ، حمدا لله على وصوله الى المدينة المقدسة ، ثم يذهب بعد ذلك الى كنيسة القيامة حيث قبر السيد المسيح ، قبل ان يبدأ اجتماعه مع اعضاء الكنيست » (١٣)

الرئيس لا يقوم بزيارة « سياسية » الا في النهاية · يعيش دورة الايمان وينتقل من مكان مقدس الى آخر ، ويطير من صلاة الى صلاة ، يمارس سياسة الايمان لا ايمان السياسة ، فهو مؤمن اولا · الرئيس لا يتاجر بالوطن فقط بل ويتاجر بالدين اولا كي تمهد له هذه التجارة الرائعة المردود للاتجار بالوطن · يستحيل كل شيء لديه الى تجارة· الدين تجارة والوطن تجارة والكلمات تجارة · لكنه شديد الحذر عند التعامل مع المردود : ارضاء الامبريالية اولا ·

بطل الجديد : الرئيس جديد في زيارته ، في مساوماته ، في تنازلاته ، جديد في « حواره الحضاري » مع « عدوه » الحضاري · مولع بالجديد ، لكنها جدة مفجعة وفجيعة جديدة · يقول الفقراء الجديد هو الخيانة وحجم الخيانة ، الجديد هو الاقتراب من العدو حتى الالتحام · لكن التضليل صناعة ، وللطبقة فكرها ، وعطارو الفكر لا يمارسون البطالة ، فلننظر الى دلالة الجديد عندهم :

ـ « ان هذا يعني ان زعيما في العالم العربي قد ترك مرحلة الشعارات الزائفة واللافتات الكاذبة والصراخ الفارغ المجنون والهدير اللفظي الابله والتهديد الكلامي الاحمق الى مرحلة السياسة العليا الرزينة الرفيعة » (١٤)

ـ « رحلة السادات ليست مجرد فتح ايجابي فحسب بل هي لغة سلام ليس لها مثيل في التاريخ المعاصر » (١٥)

ـ « يعايش الرئيس الاحداث ويتفهم العصر ، ويتابع المتغيرات ، ويفكر تفكيرا حضاريا » (١٦)

ـ « ان الرجل متحضر عف اللسان مهذب ويتبع اسلوبا حضاريا في التعبير · وعندما ذكر العجوز جولدا في خطابه قال « مسز مائير » (١٧)

ـ « ان ديبلوماسية السادات تجاوزت كل دبلوماسية تقليدية وطرحت ادق مواضيع الساعة بأوضح اساليب العصر » ·

ان كل ذلك يعني ان زعيما عربيا قد غير تحالفاته ، ووقف في وجه امته ، فالحضارة لديه تعني الاستسلام ، ولغة العصر تعني اخذ مكانه الكامل في الاستراتيجية الاميركية · اما فيما يتعلق بالتهذيب فهذا موضوع شائك اذا عرفنا ان اكبر دعاة التهذيب في الصحافة الساداتية هو محمد حلاوة ·

الانقطاع بين السلف والخلف : تهدف الصحافة الساداتية الى تصوير عمل السادات كاستمرار للتراث في انصع صفحاته · نجح فيما فشل به الآخرون او لم يتجرأ على فعله لنقص في الشجاعة · اما الرئيس فمقتدر يستلهم التراث في اوضح صوره وانصع جوانبه :

ـ « من وراء اربعة عشر قرنا ينتفض التاريخ اليوم · واليوم نعبر الى السلام ونقتحم القدس وشعارنا يدوّي تحت قبة المسجد الاقصى : الله اكبر ·· الله اكبر » (١٨)

ـ « هذه المحاولة من اجل السلام لها سوابق تاريخية في تاريخنا الاسلامي ونستطيع ان نرجع الى عهد النبي عليه السلام فنقف عند صلح الحديبية ··· كما ان صلاح الدين لم يتردد وهو في قمة انتصاره ان يمد يد السلام الى ريتشارد قلب الاسد » (١٩)

ـ « يا ابن مصر الخالدة ، لقد بعثت القيم العربية : التسامح والعفو عند المقدرة والترفع عن الاحقاد والتعصب » (٢٠)

ينتفض التاريخ اليوم فعلا ، ينتفض الماضي والحاضر ضد من جاء الى القدس متواطئا ليبارك الاقتحام ويمنحه شرعية ، فالزائر لا يتابع التراث بل يقطع معه او يتابعه في اكثر صفحاته حزنا ·

تستعيد الصحافة الساداتية الماضي لترمم به ممارسة هجينة فتزيف الماضي وتحوله الى كيان هجين · فزيف الحاضر يزيف الماضي ايضا · وتتابع قراءتها الخاصة بها للتاريخ ، وتطلق العنان لذاكرتها القصدية ، تصل بين زيارة اسرائيل وصلح الحديبية . وتصل بين عبد الناصر وانور السادات حسب منطقها . تقول ان الاول حاول الاتصال باسرائيل ولكن اعوزته الشجاعة وكان مهزوما ، والمهزوم عاجز عن ممارسة « الحوار

الحضاري » · وتعود هذه الصحافة فتقول ان زيارة السادات مكتوبة في قلب القـــرن العشرين ، تنسجم مع روح العصر ولا تشذ عنه : « قارنت الصحف العالمية بين رحلـــة السادات وبين رحلة نيكسون التي انفتحت بها امريكا على الصين عام ١٩٧٢ ومن قبلها رحلة خروتشوف التي انفتحت بها روسيا على امريكا عام ١٩٥٩ ، ثم اجمعت على ان رحلة السادات هي الارجح في توجيه الاحداث الدولية » (٢١) ·

ايديولوجيا جديدة لسياسة جديدة :

يتم اللقاء ابان الزيارة ، وما بعد الزيارة ، بين طرفين متكافئين ، عرفا الحرب ولـــم يعرفا السلام ، فهما الان في علاقة « تكافئية » نحو سلام « متكافىء » · واذا كانـــت الزيارة تنتج ما بعد الزيارة ، واذا كان الخطاب في الكنيست يؤدي الى ترميم المســجد الاقصى بأيد « متكافئة » ، واذا كانت القاهرة كعبة للسواح وتل ابيب كذلك ، فهل مـــا يجمع الطرفين ينضوي فقط تحت رداء الحرب والسلام ؟ · ملامح الجواب نعثر عليهـــا في الصحافة الساداتية ايضا ، فهي تطرح الاسئلة وتشير الى الاجابات · لذلك لا تتكلـــم فقط عن الزيارة ، بل عن اطراف الزيارة ، عن الرافض والقابل ، عن الشرير والطيب ، عن الامريكي والسوفييتي · اي تشير الى آفاق الزيارة بصراحة تارة وحياء تارة اخرى ·

تتحدث الصحافة عن الاشرار اعداء السلام ، وعن ملائكة السلام ، عن مصرية الشعب المصري « الذي اذا ربح قال العرب ربحنا واذا خسر قال العرب هزم الجيش المصري » · تتحدث عن المؤمنين واتباع الديانات السماوية ، وعن الملحدين والكفرة والحمر واعــداء السلام · تتحدث عن تلاقح الحضارات وعن آفاق الشرق الرائعة · بمعنى آخر تنطلق من مقولات ايديولوجية مختلفة لتمهد كلها لتيار سياسي في طريق التكون ·

العدو : ليس العدو اسرائيل ولا من يقف وراءها · العدو هو كل من يرفض الزيـارة ويشكك في مقاصدها او يفضح نواياها · وهذا العدو واضح محدد : التخلف او موسكو او كلاهما معا · عدو الزيارة اما متخلف او عميل لموسكو او مريض في قلبه وعقله :

ـ « لا يهم موسكو الا الثأر والتوسع وهي التي اعطت لقوى الرفض العربية والاسرائيلية الغطاء السري اللامسؤول » (٢٢)

ـ « لم يكن السادات يجهل ، ولم يجهل احد ان الشيوعيين انصار السلام الكـــاذب سيرفضون هذا القرار » (٢٣)

ـ « لقد انتهت المرحلة التي كان فيها الجاهل اذا اختلف مع احد اقرانه في الرأي ، هب عليه بسيفه وقطع له رقبته » (٢٤)

فالسادات يعمل في حقل سياسي مفعم بروح السلام ومكلل بآخر الابتكارات العلمية ، يكره « التخلف » ويرفضه ، لذلك فهو ضد الفلسطينيين وسوريا والعراق والجزائر واليمن ، ولانه يحب السلام يحب البيت الابيض وبيغن وموبوتو في زائير وبينوشه في شيلي · يريد الرئيس ان يعمل لوحده مع بيغن في حقل الحضارة الامريكية والسلام الاسرائيلي ·

خصوصية مصر : يقول البعض خصوصية مصر ، والبعض الاخــر مصــرية مصــر ،

ويستطرد المقال فيقول تاريخ مصر ، وجيش مصر ، ونضال مصر ··· اي يختزل العالم في مصر والشعب المصري في مصر ·

يريد النظام الساداتي ان يخرج نهائيا من معركة التحرر العربية ليتفرغ لمهام اخرى ، لذلك يود الانطواء على ذاته ، الانغلاق على نفسه لينفتح على عوالم اخرى · من هنا يكثر الحديث عن مصرية مصر :

« يعبر ابن مصر الجسور » ـ « يا ابن مصر الخالدة » ـ « انت في مصر ومصر انت » ـ « وينسى البعض ان الحضارة الفرعونية هي اصل الحضارات » ـ « هناك من يريدو ان يحاربوا لآخر جندي وآخر جنيه مصري » ·

وهكذا تطلق صحافة السادات النزعة الاقليمية من عقالها لتبرر لسيدها تحالفاته الجديدة ، صحافة تدعو للاقليمية المصرية وللتعصب المصري · ويذهب أنيس منصور الى ابعد من ذلك عندما يجعل البلاد العربية قاطبة عاجزة بدون مصر « ماذا يستطيع العرب ان يفعلوا لاسرائيل بدون مصر » !!

ان منطق هذه الصحافة يمكن تلخيصه بما يلي : السادات هو مصر ، ومصر فوق الجميع ، ومصر هي العالم العربي · فالنتيجة « منطقيا » ان السادات هو العالم العربي وفوق العالم العربي · وهذا يعني ضرورة الاذعان لسياسته وقبولها فهو « ابن مصر الخالدة » · لكن هذا المنطق لا يعبر عن شعب بل عن طبقة تزور كل شيء لتبرير تحالفاتها الجديدة ·

الدين والحضارة : تطرد معادلة السلام السابقة اعداء السلام ، ويبقى في المعادلة ثلاثة اطراف : اسرائيل ومصر وامريكا · فاذا ادخل الى المعادلة عنصر جديد : مصرية مصر ، تراجع العامل القومي في المعركة او خف اثره ، لكن توازن المعادلة يستدعي تسعير الفكر الديني ، فيكثر الكلام عن الملحدين والمؤمنين ، عن المسلمين والذميين ، عن دور الاديان السماوية في سلام العالم وحمايته ، عن الجوار الطيب بين المسلمين واليهود في تاريخ الاسلام ، عن اليهودي « مخيريق »الذي قاتل الرسول عليه السلام في غزوة احد· وكما يرى فالحديث حديث بين مؤمنين فالسادات مؤمن لا يشق له غبار وكارتر يرتاد الكنيسة كل يوم احد ، اما بيغن فتعصبه « الديني » لا يحتاج الى برهان ·

نصل اذن الى قسمة مؤمنين/ملحدين · لكن هذه القسمة جافة ، ربما لا ترضي الجميع ، ماضوية ، رنينها في الاذن لا يرضي دائما ، فالعصر لا يكتفي بالمقال الديني ، سمته هي « الثورة التكنولوجية » لا الثورة الدينية ، اضف الى ذلك ان المقال الديني لا يقارب جميع العقول خاصة وان القرآن الكريم يشير الى اليهود قائلا « لعنوا في كل كتاب » ، لذلك فان استثمار « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » يتطلب دعائم اخرى ومقولات اخرى · هنا تلعب ثنائية الحضارة/التخلف دورها ، فـ « الحضارة سمة العصر »، انها الجسر الذي يربط بين الشعوب « المتحضرة » والجسر اللازم لعبور الرئيس الى الكنيست · فالحرب تخلف والزيارة حضارة ، الكفاح المسلح سمة حركات التحرر الوطني تخلف والحوار المباشر حضارة ، البندقية تخلف والهدايا التذكارية حضارة ، الفلسطيني في مطار القاهرة تخلف والصحفي الاسرائيلي فيه حضارة · ما يثير النظر هنا ان ثنائية الحضارة/التخلف هي ذاتها الشرق/الغرب ، الشرق تخلف والغرب

حضارة ، والسادات يخرج من « الشرق » ليدخل الى « الغرب » ، يخرج من نضال « امته » ليدخل في « حضارة » عدوها ·

ترسانة التضليل تحرك كل قواعدها ، لكن اللغة هي سياسة ايضا ، فوحدة المؤمنين تعني سياسيا وحدة الثورة المضادة ، ووحدة الحضارة ، تعني الاذعان لشروط العدو الاسرائيلي وقبول طموحاته ·

نحو صهيونية جديدة : عندما نقرأ الصحافة الساداتية نتذكر اطروحات قديمة وشهيرة· واذا تذكرنا جيدا نعرف ان مكان هذه الاطروحات لم يكن في الصحافة المصرية بل في الادبيات الصهيونية · هناك اذن مشترك جديد في الموقف الايديولوجي وربما في الآفاق السياسية :

أ ـ صراع اسرائيل مع العرب هو صراع الحضارة مع الصحراء ، صراع الفكر الاوروبي مع الاستبداد الشرقي وذهنية الصحراء ، صراع الحضارة مع التخلف · والان يدخل النظام الساداتي رحاب الحضارة ، فينضوي تحت الجناح « الاوروبي » ، ويحارب « التخلف » و « البذاءة » و « السفاهة » · اي يستعيد المقولات الصهيونية ليحارب بها حركة التحرر العربية · فالصراع مستمر بين « الحضارة » و « التخلف » ، اي بين الاستعمار وحركة التحرر · لهذا فان السادات عندما يغير لفظيته وكلماته فانه يغير ايضا موقعه في حقل الصراع ·

ب : الصراع بين اسرائيل والبلاد العربية يعود الى الحواجز النفسية ، الى انعدام الثقة ، الى ترسبات الماضي · هذا ما كانت تردده لنا مجلة آرش الصهيونية ، وكانت تقول ايضاً ان اسرائيل قائمة والفلسطينيين باعوا ارضهم وهم مندمجون في الاقطار العربية · فالمشكلة الحقيقية ، المادية ، غائبة ، المشكلة وهمية وسرعان ما تجد طريقها الى الحل عندما يتداعى الحاجز النفسي ، عندما يتم التخلص من ارث الماضي · هذا الكلام الصهيوني الصريح تجتره اليوم بلا تعب او ملل الصحافة الساداتية ·

جـ ـ دور اسرائيل « التاريخي » في تحديث وتمدين الشرق الاوسط ، حلم ذهبي صهيوني قديم ، حلم الشرق ـ المزرعة ،حلم الصناعة الاسرائيلية والاسواق العربية · هذا الحلم ينتعش الان واهما · الملك الحسن يتكلم عن رأس المال العربي والعبقرية الاسرائيلية ، عن القطيع والراعي ، اما مصطفى امين فيقر المبدأ ويقول الصيغة متحصنا بـ « مصريته » : « اذا تحقق السلام العادل واجتمع المال اليهودي في انحاء العالم مع العبقرية المصرية والذكاء العربي فاننا نستطيع ان نحول الشرق الاوسط الى جنة » (٢٥)

يتحدثون عن التعاون العربي ـ اليهودي او العربي ـ الاسرائيلي · وعندما نخلع رداء اللفظية الانسانية جانبا فلن نرى الا تحالف الرجعية العربية والصهيونية بغية استمرار الوجود الامبريالي وكبح حركة التحرر العربية ·

د ـ انتقل اليهودي من جيتو فارصوفيا الى جيتو اكبر هو اسرائيل ، فالرفض العربي والحصار العربي لاسرائيل اجهض حلم الصهيونية في التخلص من الاضطهاد واستعادة طمانينته وراحته النفسية · اطروحة شهيرة تحدث عن الصهاينة : البير ميمي وروبير مزراحي وغيرهما اما بطلها الان فهو انيس منصور :

« اليهود عندهم عقدة تاريخية : انهم عاشوا في الحارات الضيقة منبوذين في كل بلاد العالم · لذلك فمشكلتهم الكبرى ان اسرائيل قد اصبحت احدى الحارات الكبرى المحاطة باناس يكرهونهم من كل الجهات · وقد ضاعف العرب من خوف اليهود ···

نحن نريد السلام كما يريده اليهود تماما ، بل ان حاجتنا للسلام ، ماديا ومعنويا اكثر ، فمواردنا محدودة ··· واليهود مواردهم غير محدودة ولكن حاجتهم النفسية افدح واعمق » (٢٦)

يمكن ان نقوم بقراءات مختلفة لما يقوله انيس منصور ، لكنه في جميع الاحوال لا يجاوز المنطق الصهيوني ، يضيع في نزعته الانسانية الزرقاء ، فينسى التاريخ ، والشعب الفلسطيني ، ودور دولة اسرائيل في المنطقة ، والجنود المصريين في سيناء ، ينسى الفاشية الاسرائيلية · انه لا ينسى شيئا بل يعبر عن فكر طبقة ، يعبر عن فكر اظلامي لم يخف مرارا وتكرارا كرهه لكل ما هو ديمقراطي وانساني في هذا العالم · فالاعجاب بهتلر يوصل الى الاعجاب ببيغن ·

تدور الايدولوجيا السابقة في مركبات الحضارة والتعاون والعبقرية اليهودية والعبقرية المصرية واليهودي المضطهد الباحث عن الامان ·

ما الشاذ في هذه اللوحة ؟

الشاذ هو كل من يناضل ضد حلف جديد بين مصر واسرائيل ·

الشاذ هو المناضل الفلسطيني والمناضل المصري ، والمناضل العربي في كل مكان ·

١ ـ الاهرام ٢٥ـ١١
٢ ـ جريدة مصر ١٥ـ١١
٣ ـ الاهرام ٢٢ـ١١
٤ ـ الاخبار ١٧ـ١١
٥ ـ الاهرام ٢٧ـ١١
٦ ـ الاهرام ٢١ـ١١
٧ ـ الاهرام ٢٢ـ١١
٨ ـ الاهرام ٢٠ـ١١
٩ ـ الاهرام ٢٧ـ١١
١٠ـ الاخبار ٢١ـ١١
١١ـ الاهرام ٢٠ـ١١
١٢ـ الاهرام ٢٢ـ١١
١٣ـ الاهرام ٢٠ـ١١
١٤ـ الاهرام ٢٠ـ١١
١٥ـ الاهرام ٢٣ـ١١
١٦ـ الاهرام ٢٤ـ١١
١٧ـ مجلة اكتوبر ٢٧ـ١١
١٨ـ جريدة مصر ٢٢ـ١١
١٩ـ الاهرام ٢٠ـ١١
٢٠ـ الاهرام ٢١ـ١١
٢١ـ الاهرام ٢٣ـ١١
٢٢ـ الاهرام ٢١ـ١١
٢٣ـ الاهرام ٢٠ـ١١
٢٤ـ الاهرام ٢٤ـ١١
٢٥ ـ الاخبار ٢٢ ـ ١١
٢٦ـ مجلة اكتوبر ٢٧ـ١١

خطاب الســادات
امام مجلس الشعب

ننشر هنا مقطعا من خطاب الســادات امام مجلس الشعب ، والذي اعلن فيــه استعداده للذهاب الى القدس ·

·· لا ·· ابدا ·· انا امامكم وامــام شعبنا وامام الامة العربية لا تهمنـــي العمليات الاجرائية على الاطلاق فلتكــن الاجراءات وليكن انفعال وهستيريــــة اسرائيل ما تكون ·· انا ذاهب الـــى جنيف وكما قلت لن تستطيع لا اسرائيل ولا قوى العالم مجتمعة ان تثنيني عمــا اريد ·· الارض العربية في ٦٧ ··حقوق شعب فلسطين وحقه في قيام دولته ·· ما دام هذا ·· او ما دامت هذه هي قناعتي· الذي يخشى جنيف هي اسرائيــل ·· لا يجب ان يخشى جنيف اي عربي ابدا ليه؟ لانه احنا صدرنا زي ما قلت لكم ·· كما قلت صدرنا التمزق ·· صدرنا الخوف·· صدرنا الانهزامية ·· صدرنا الشـــك والريبة ·· كل اللي كنا بنعيشه صدرنــاه الى المجتمع الاسرائيلي ·· ففيما نعيده لنفسنا تاني ·· ليه ؟ ·· ابدا ·· انــا جاهز اذهب الى جنيف بل لا اخفيكـــم وانتم ممثلو الشعب وعلى مسمع مـــن شعبنا وعلى مسمع من امتنا العربية ·· سمعتموني اقول انني مستعد ان اسافر الى اخر هذا العالم اذا كان في هذا مــا يحمي أن يجرح مش يقتل ·· ان يجــرح عسكري او ضابط من اولادي ·· انـــا اقول فعلا مستعد ان اذهب الى اخر هذا العالم وستدهش اسرائيل حينما تسمعني الان اقول لا نرفض ·· انني مستعد ان اذهب الى بيتهم الى الكنيست ذاتـــه ومناقشتهم · احمد الله ·· ايها الاخـوة والاخوات اعضاء مجلس الشعب لا وقت ولا ضياع ابدا ونحن اصحاب القـــرار ولا قرار الا بأذن الشعب والشعب يريدنا· ان نتجه الى الامام لكي نعوض ما فات وما فاتنا كثير ·· الشعب يريدنا ان نعمل باكثر مما نتكلم ·· الشعب يريدنــا ان نعطي كل العرق لبناء الغد الجديد فـــلا فائدة من تنابذ على ماض ذهب وولى او بكاء وتباكي على انقاض تراكمت وزحمت الطريق فان ارادة العمل قادرة دائما على تعبيد الطريق ·· قادرة دائما وبعـــرق الانسان على تحويل الانقاض الى مساحات بناء وعمران ·

بيان بيجن للمصريين
١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧

نحن الاسرائيليين نمد لكم يدنا ، يدا ليست ضعيفة ، واننا كلما هوجمنـــا سوف ندافع عن انفسنا كما فعل اباؤنـا المكابيون · ولكننا غير راغبين في الصراع معكم · لا نريد حربا اخرى ولا سفكـــا للدماء ، ولا تهديـــدات · فلنبدأ ليس بالسلام فقط وانما بطريق التعاون ايضا وباستطاعتنا ان نساعد بعضنا بعضـا

وباستطاعتنا ان نجعل حياة شعبينا افضل وابهج وايسر · المراسل ـ وقرأ رئيس الحكومة في نهاية كلمته مقطعا من القران (سورة ٥ من الاية ٢٠ الى الاية ٢١) : « واذ قال موسى لقومه يا قوم انكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيــاء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين · يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكــم ولا تـرتدوا علـى ادباركم فتنقلبوا خاسرين » ·

وقال رئيس الحكومة : لقد وقعــت اربعة حروب منذ انتهاء حكم فاروق ،وان هذه الطريق لم تكن مجدية ·

وختم رئيس الحكومة كلمته الموجهة للشعب المصري بقوله « شالوم »بالعبرية و « صلح » بالعربية ·

وقال رئيس الحكومة ايضا انه علـى استعداد للذهاب الى القاهرة من اجــل توضيح الموقف الاسرائيلي ·

دعوة بيجن للسادات
١٧ تشرين الثاني ١٩٧٧

« صاحب الفخامة
السيد انور السادات
رئيس جمهورية مصر العربية ـ القاهرة
عزيزي سيادة الرئيس ،

باسم حكومة اسرائيل ، لي الشرف ان اقدم لكم دعوتنا الودية للمجيء الــى القدس لزيارة بلدنا ·

ان استعداد فخامتكم للقيام بمثل هــذه الزيارة ، كما قلتم امام مجلس الشعــب في مصر، اخذ هنا باهتمام عميق وايجابي وكذلك كان الامر بالنسبة للتصريح عــن رغبتكم بالتحدث الى اعضاء مجلسنــا النيابي ، الكنيست ، ومقابلتي ·

امل ان تقبلوا دعوتنا ، وستتخــذ الاجراءات لتتحدثوا الى الكنيست مــن على منبره ، واذا رغبتم سيكون بامكانكم كذلك الاجتماع الى مختلــف الكتــل البرلمانية ، سواء منها التي تدعم الحكومة ام التي تعارضها ·

فيما يتعلق بالتاريخ المقترح للزيارة ، سيسرنا ان نتفق مع ما يلائمكم، والواقع انه من المقر ان اغادر الى لندن يوم الاحد ٢٠ تشرين الثاني ، في زيارة رسميــة لبريطانية العظمى بناء لدعوة تلقيتهــا من رئيس الوزراء كالاهان ·

فاذا اخبرتموني ، يا سيادة الرئيس ، ان باستطاعتكم المجيء الى القدس يــوم الاثنين ٢١ تشرين الثاني ، ساعتذر مـن رئيس الوزراء كالاهان ، وارتب تأجيــل زيارتي الى بريطانيا ، بحيث يصبــح بامكاني استقبالكم شخصيا وان تبدأ معا محادثات اقامة السلام الذي نعرف كلينا ان شعوب الشرق الاوسط تتوق اليــه ونصلي من اجله ·

في الحالة البديلة ارجو ان تقــرروا مجيئكم يوم الخميس ٢٤ تشرين الثاني، او بعد ذلك ، وسأعود من لندن يــوم الاربعاء لاكون في استقبالكم عنــد وصولكم ·

اسمحوا لي ان اؤكد لكم ، يا سيادة الرئيس ان البرلمان سيستقبلكم بكــل احترام ومودة ·

المخلص ـ مناحيم بيغن »

قبول السادات للدعوة

ادلى متحدث رسمي بالبيان التالي :
وافق الرئيس محمد انور السادات على زيارة القدس · وسيؤدي سيادته صلاة عيد الاضحى المبارك في المسجد الاقصى وستبدأ الزيارة مساء بعد غد السبت التاسع من ذي الحجة عام ١٣٩٧ الموافق التاسع عشر من نوفمبر ١٩٧٧ بناء على الرسالة التي تلقاها من الرئيس كارتر مرفقا بها دعوة حكومة اسرائيل ·

« وفي صباح الاحد العاشر من ذي الحجة عام ١٣٩٧ الموافق العشرين من نوفمبر ١٩٧٧ يؤدي سيادته صلاة عيد الاضحى المبارك في المسجد الاقصى مع ابناء الشعب الفلسطيني ·

« وكان السيد الرئيس قد اعتاد ان يؤدي صلاة العيد في شبه جزيرة سيناء بعد ان حررتها حرب اكتوبر الظافرة مع الجنود الابطال والضباط البواسل ومع اهالي شبه جزيرة سيناء لكن نداء السلام القائم على العدل قد دعا الرئيس السادات ليذهب هذا العام ليؤدي صلاة عيد الاضحى المبارك في المسجد الاقصى فلبى النداء ·

« ورئيس جمهورية مصر العربية حينما يلبي نداء السلام ويقرر الذهاب الى القدس فانما يلبيه باسم المطالب المشروعة والعادلة للشعب العربي كله ولشعب فلسطين درءا لاخطار تهدد سكان المنطقة ، بل تهدد الانسانية كلها بالاهوال ، وحقنا لدماء الضحايا والشهداء ووقفا لنزيف التضحية والجهد والطاقة والرئيس السادات وهو المؤمن بعدالة القضية العربية يلبي الدعوة لزيارة القدس باسم المسؤولية القومية التي يتحملها متجاوزا اية حساسية في مواجهة خصومة ، ومؤمنا في نفس الوقت بان يطرح الحقائق بالشكل المباشر كما سيفعل الرئيس السادات في لقائه باعضاء الكنيست بعد ظهر يوم الاحد القادم اقوى من طرقها باساليب طويلة وملتوية ·

« وعندما تتم رحلة السلام في مناخ كالذي تتم فيه بعد ان استعاد العرب عزتهم بحرب اكتوبر فهي تتم اذن في ظروف لا تحكمها روح الهزيمة ، ولاتقيدها خشية سوء تفسير ، خاصة وهي تستهدف الحل الشامل للقضية العربية ·

« ان المسؤولية التاريخية التي يجب ان يتحملها قادة الامة العربية اليوم ، قد اصبحت تحتم عليهم ان يعملوا على اقرار السلام في المنطقة طالما انه سلام عادل يستهدف تحرير الارض العربية التي احتلت بعد هزيمة ١٩٦٧ وتقرير الحقوق المشروعة لعرب فلسطين ·

« والرئيس السادات يتحمل اليوم مسؤوليته القومية ولا يدع فرصة تسنح وصولا الى هذا السلام العادل ·

« والله يوفق الامة العربية الى تحقيق ما ترنو اليه من اهداف » ·

خطاب السادات امام الكنيست
٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧

السلام عليكم ورحمة الله

السلام لنا جميعا ·· باذن الله

السلام لنا جميعا ٠٠ على الارض العربية وفي اسرائيل ٠٠ وفي كل مكان من أرض هذا العالم الكبير المعقد بصراعاته الدامية ، المضطرب بتناقضاته الحادة، المهدد بين الحين والحين بالحروب المدمرة ، تلك التي يصنعها الانسان ليقضي بها على اخيه الانسان ٠ وفي النهاية ، وبين انقاض ما بنى الانسان وبين أشلاء الضحايا من بني الانسان ، فلا غالب ولا مغلوب ، بل ان المغلوب الحقيقي دائما هو الانسان ٠٠ أرقى ما خلقه الله ٠٠ الانسان الذي خلقه الله ــ كما يقول غاندي قديس السلام ــ « لكي يسعى على قدميه ، يبني الحياة ٠٠ ويعبد الله » ٠

وقد جئت اليكم اليوم على قدمين ثابتتين لكي نبني حياة جديدة لكي نقيم السلام وكلنا على هذه الارض ، ارض الله : كلنا مسلمون ومسيحيون ويهود ٠٠ نعبد الله ولا نشرك به احدا ، وتعاليم الله ٠٠٠ ووصاياه ٠٠ هي حب وصدق وطهارة وسلام ٠

وانني التمس العذر لكل من استقبل قراري عندما اعلنته للعالم كله ، أمام مجلس الشعب المصري ، بالدهشة ، بل الذهول بل ان البعض قد صورت له المفاجأة العنيفة ان قراري ليس اكثر من مناورة كلامية للاستهلاك امام الرأي العام العالمي، بل وصفه بعض اخر بأنه تكتيك سياسي لكي اخفي به نواياي في شن حرب جديدة ٠

ولا اخفي عليكم ان احد مساعدي في مكتب رئيس الجمهورية اتصل بي في ساعة متأخرة من الليل بعد عودتي الى بيتي من مجلس الشعب ، ليسالني في قلق : وماذا تفعل يا سيادة الرئيس لو وجهت اليك اسرائيل الدعوة فعلا ؟ فأجبته بكل هدوء : سأقبلها على الفور ٠٠

لقد اعلنت انني سأذهب الى اخر العالم سأذهب الى اسرائيل لانني اريد ان اطرح الحقائق كاملة امام شعب اسرائيل ٠

انني التمس العذر لكل من أذهله القرار، او تشكك في سلامة النوايا وراء اعلان القرار فلم يكن احد يتصور ان رئيس اكبر دولة عربية ، تتحمل العبء الاكبر والمسؤولية الاولى في قضية الحرب والسلام في منطقة الشرق الاوسط يمكن ان يعرض قراره بالاستعداد الى الذهاب الى أرض الخصم ٠ ونحن لا نزال في حالة حرب ٠ بل نحن جميعا لا نزال نعاني من اثار اربع حروب قاسية خلال ثلاثين عاما ، بل ان اسر ضحايا حرب اكتوبر ١٩٧٣ لا تزال تعيش مآسي الترمل وفقد الابناء واستشهاد الاباء والاخوات ٠

كما انني ــ كما سبق ان اعلنت من قبل ــ لم اتداول في هذا القرار مع احد من زملائي واخوتي رؤساء الدول العربية، أو دول المواجهة ٠٠ ولقد اعترض من اتصل بي منهم بعد اعلان القرار ٠ لان حالة الشك الكاملة . وفقدان الثقة الكاملة، بين الدول العربية والشعب الفلسطيني من جهة وبين اسرائيل من جهة اخرى لا تزال قائمة في كل النفوس ويكفي ان اشهرا ضاعت سدى ، في خلافات ومناقشات لا طائل منها حول اجراءات عقد مؤتمر جنيف ، وكلها تعبر عن الشك الكامل ، وفقدان الثقة الكاملة ٠

ولكنني ــ اصارحكم القول بكل الصدق ــ انني اتخذت هذا القرار بعد تفكير طويل ، وانا اعلم انه مخاطرة كبيرة ، لانه اذا كان الله قد كتب لي قدري ان اتولى المسؤولية عن شعب مصر ، وان اشارك في مسؤولية المصير بالنسبة للشعب العربي وشعب فلسطين ، فان اول واجبات هذه المسؤولية ان استنفد كل السبل ، لكي اجنب شعبي المصري العربي ، وكل الشعب العربي ، ويلات حروب اخرى محطمة ، مدمرة ، لا

يعلم مداها الا الله ·

وقد اقتنعت بعد تفكير طويل ، ان أمانة المسؤولية امام الله وامام الشعب ، تفرض علي ان اذهب الى اخر مكان في العالم·· بل ان احضر الى بيت المقدس ، لاخاطب اعضاء الكنيست ممثلي شعب اسرائيل بكل الحقائق التي تعتمل في نفسي ، واتركم بعد ذلك لكي تقرروا لانفسكم وليفعل الله بنا بعد ذلك ما يشاء ·

أيها السيدات والسادة :

ان في حياة الامم والشعوب لحظات يتعين فيها على هؤلاء الذين يتصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة ان ينظروا الى ما وراء الماضي بتعقيداته ورواسبه من أجل انطلاقة جسورة نحو افاق جديدة ·

وهؤلاء الذين يتحملون مثلنا تلك المسؤولية الملقاة على عاتقنا هم اول من يجب ان تتوفر لديهم الشجاعة لاتخاذ القرارات المصيرية التي تتناسب مع جلال الموقف ، ويجب ان نرتفع جميعا فوق جميع صور التعصب وفوق خداع النفس وفوق نظريات التفوق البالية فمن المهم الا ننسى ابدا ان العصمة لله وحده ·

واذا قلت انني اريد ان اجنب كل الشعب العربي ويلات حروب جديدة مفجعة · فانني اعلن امامكم ، بكل الصدق ، انني احمل نفس المشاعر ، واحمل نفس المسؤولية ، لكل انسان في العالم وبالتأكيد نحو الشعب الاسرائيلي ·

ضحية الحرب : الانسان ·

ان الروح التي تزهق في الحرب هي روح انسان ، سواء كان عربيا او اسرائيليا ··

ان الزوجة التي تترمل ·· هي انسانة من حقها ان تعيش في اسرة سعيدة سواء كانت عربية او اسرائيلية ·

ان الاطفال الابرياء الذين يفقدون رعاية الاباء وعطفهم هم اطفالنا جميعا ، على ارض العرب او في اسرائيل لهم علينا المسؤولية الكبرى في ان نوفر لهم الحاضر الهانيء والغد الجميل ·

من أجل كل هذا ، ومن اجل ان نحمي حياة ابنائنا واخواتنا جميعا ·

من أجل ان تنتج مجتمعاتنا ، وهي امنة مطمئنة·· من اجل تطور الانسان واسعاده واعطائه حقه في الحياة الكريمة ·

من أجل مسؤوليتنا امام الاجيال المقبلة ·

من أجل بسمة كل طفل يولد على ارضنا ··

من اجل كل هذا اتخذت قراري ان احضر اليكم ـ رغم كل المحاذير ـ لكي اقول كلمتي ··

ولقد تحملت واتحمل متطلبات المسؤولية التاريخية ، ومن اجل ذلك اعلنت من قبل ومنذ اعوام وبالتحديد في ٤ فبراير ١٩٧١ انني مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل ، وكان هذا هو اول اعلان يصدر من مسؤول عربي منذ ان بدأ الصراع العربي الاسرائيلي ·

وبكل هذه الدوافع ، التي تفرضها مسؤولية القيادات اعلنت في السادس عشر من اكتوبر ١٩٧٣ وامام مجلس الشعب المصري ، الدعوة الى مؤتمر دولي يتقرر فيه السلام العادل الدائم ·

ولم اكن في ذلك الوقت في وضع من يستجدي السلام ، او يطلب وقف النار ·

وبهذه الدوافع كلها ، التي يلزم بها الواجب التاريخي والقيادي · وقعنا اتفاق فك الاشتباك الاول ، ثم اتفاق فك الاشتباك الثاني في سيناء · ثم سعينا نطرق الابواب المفتوحة والمغلقة لايجاد طريق معين نحو

سلام دائم عادل وفتحنا قلوبنا لشعوب العالم كله لكي تتفهم دوافعنا ، واهدافنا ، ولكي تقتنع فعلا ، اننا دعاة عدل ، وصناع سلام ·

وبهذه الدوافع كلها ، قررت بأن احضر اليكم ، بعقل مفتوح وقلب مفتوح وارادة واعية ، لكي نقيم السلام الدائم القائم على العدل ·

وشاءت المقادير ان تجيء رحلتي اليكم، رحلة السلام ، في يوم العيد الاسلامي الكبير عيد الاضحى المبارك عيد التضحية والفداء ، حين اسلم ابراهيم عليه السلام، جد العرب واليهود - أقول حين امره الله، وتوجه اليه بكل جوارحه ، لا عن ضعف بل عن قوة روحية هائلة وعن اختيار حر للتضحية بفلذة كبده ، بدافع من ايمانه الراسخ الذي لا يتزعزع بمثل عليا تعطي الحياة مغزى عميقا ·

ولعل هذه المصادفة تحمل معنى جديدا، في نفوسنا جميعا ، لعله يصبح املا حقيقيا في تباشير الامن والامان والسلام ·

أيها السيدات والسادة :

دعونا نتصارح ، بالكلمة المستقيمة ، والفكرة الواضحة التي لا تحمل اي التواء، ودعونا نتصارح اليوم ، والعالم كله بغربه وشرقه يتابع هذه اللحظات الفريدة ، التي يمكن ان تكون نقطة تحول جذري في مسار التاريخ في هذه المنطقة من العالم ، ان لم يكن في العالم كله ·

دعونا نتصارح ونحن نجيب على السؤال الكبير : كيف يمكن ان نحقق السلام الدائم العادل ؟

لقد جئت اليكم احمل جوابي الواضح الصريح على هذا السؤال الكبير ، لكي يسمعه الشعب في اسرائيل ، ولكي يسمعه العالم اجمع ، ولكي يسمعه ايضا كل اولئك الذين تصل اصوات دعوات اصواتهم المخلصة الى اذني ، املا في ان تتحقق في النهاية النتائج التي يرجوها الملايين من هذا الاجتماع التاريخي ·

وقبل ان اعلن لكم جوابي ، ارجو ان اؤكد لكم ، انني اعتمد في هذا الجواب الواضح الصريح، على عدة حقائق لا مهرب لاحد من الاعتراف بها ·

● الحقيقة الاولى : انه لا سعادة لاحد على حساب شقاء الاخرين ·

● الحقيقة الثانية : انني لم اتحدث ، ولن اتحدث بلغتين ·

ولم اتعامل ولن اتعامل بسياستين ، ولست التقي بأحد ، الا بلغة واحدة ، وسياسة واحدة ، ، ووجه واحد ·

● الحقيقة الثالثة : ان المواجهة المباشرة ، وان الخط المستقيم ، هما أقرب الطرق وانجحها للوصول الى الهدف الواضح ·

● الحقيقة الرابعة : ان دعوة السلام الدائم العادل ، المبني على احترام قرارات الامم المتحدة ، أصبحت اليوم دعوة العالم كله ، واصبحت تعبيرا واضحا عن ارادة المجتمع الدولي ، سواء في العواصم الرسمية التي تصنع السياسة والقرار ، او على مستوى الرأي العام العالمي الشعبي ، ذلك الرأي العام الذي يؤثر في صنع السياسة واتخاذ القرار ·

● الحقيقة الخامسة : ولعلها ابرز الحقائق واوضحها ، ان الامة العربية لا تتحرك في سعيها من اجل السلام الدائم العادل ، من موقع ضعف او اهتزاز ، بل انها على العكس تماما تملك من مقومات القوة والاستقرار ، ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام ، صادرة عن ادراك حضاري بأنه لكي نتجنب كارثة محققة ، علينا وعليكم وعلى العالم كله ، فانه لا بديل عن أقرار سلام دائم وعادل ،

لا تزعزعه الانواء ولا تعبث به الشكوك ، ولا تهزه سوء المقاصد او التواء النوايا.

من واقع هذه الحقائق ، التي اردت ان اضعكم في صورتها ، كما اراها ، ارجو ايضا ان احذركم بكل الصدق ، احذركم من بعض الخواطر التي يمكن ان تطرأ على اذهانكم .

ان واجب المصارحة يقتضي ان اقول لكم ما يلي :

اولا : انني لم اجيء اليكم لكي اعقد اتفاقا منفردا بين مصر واسرائيل . ليس هذا واردا في سياسة مصر ، فليست المشكلة هي مصر واسرائيل . واي سلام منفرد بين مصر واسرائيل او بين اية دولة من دول المواجهة واسرائيل فانه لن يقيم السلام الدائم العادل في المنطقة كلها . بل اكثر من ذلك ، فانه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها واسرائيل ، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية ، فان ذلك لن يحقق ابدا السلام الدائم العادل الذي يلح العالم كله اليوم عليه .

ثانيا : انني لم اجيء اليكم داعيا الى سلام جزئي ، بمعنى ان ننهي حالة الحرب في هذه المرحلة. ثم نرجيء المشكلة برمتها الى مرحلة تالية .

فليس هذا هو الحل الجذري الذي يصل بنا الى السلام الدائم .

ويرتبط بهذا انني لم اجيء اليكم ، لكي نتفق على فض اشتباك ثالث في سيناء ، او في سيناء والجولان والضفة الغربية ، فان هذا يعني اننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل الى أي وقت مقبل .

بل هو يعني ، اننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام ، واننا اضعف من ان نتحمل اعباء ومسؤوليات السلام الدائم العادل .

لقد جئت اليكم ، لكي نبني معا ، السلام الدائم العادل ، حتى لا تراق نقطة دم واحدة من جسد عربي او اسرائيلي .

ومن أجل هذا اعلنت انني مستعد ان اذهب الى اخر العالم .

وهنا ، اعود الى الاجابة على السؤال الكبير : كيف نحقق السلام الدائم والعادل؟

في رأيي .. واعلنها من هذا المنبر للعالم كله ، ان الاجابة ليست مستحيلة ولا هي بالعسيرة على الرغم من مرور اعوام طويلة . من ثار الدم ، والاحقاد والكراهية ، وتنشئة اجيال على القطيعة الكاملة والعداء المستحكم .

الاجابة ليست عسيرة ولا هي مستحيلة اذا طرقنا سبيل الخط المستقيم ، بكل الصدق والايمان .

انتم تريدون العيش هنا في هذه المنطقة من العالم .

وانا اقول لكم بكل الاخلاص : اننا نرحب بكم بيننا .. بكل الامن والامان .

ان هذا في حد ذاته يشكل نقطة تحول هائلة .. من علامات تحول تاريخي حاسم.

لقد كنا نرفض الاجتماع بكم .. في اي مكان .. نعم .

لقد كنا نصفكم باسرائيل المزعومة .. نعم ..

لقد كانت تجمعنا المؤتمرات او المنظمات الدولية ، وكان ممثلونا ، ولا يزالون ، لا يتبادلون التحية والسلام .

نعم .

حدث هذا ولا يزال يحدث .

لقد كنا نشترط لاي مباحثات ، وسيطا يلتقي بكل طرف على انفراد .

نعم .

هكذا تمت مباحثات فض الاشتبـــاك الاول ، وهكذا ايضا تمت مباحثات فـض الاشتباك الثاني ٠

كما ان ممثلينا التقوا في مؤتمر جنيف الاول ٠ دون تبادل كلمة مباشرة ٠

نعـــم ٠

هذا حدث ٠

ولكنني اقول لكم اليوم ٠٠ اعلن للعالم كله ٠٠ اننا نقبل بالعيش معكم في سـلام دائم وعادل ٠٠ ولا نريد ان نحيطكم او ان تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير او بقذائف الاحقاد والكراهية ٠

ولقد اعلنت اكثر من مرة ٠ ان اسرائيل اصبحت حقيقة واقعة ٠ اعترف بها العالم، وحملت القوتان العظميان مسؤولية امنها وحماية وجودها ٠

ولما كنا نريد السلام فعلا وحقا فاننـا نرحب بأن تعيشوا بيننا في أمن وسلام ٠ فعلا وحقا ٠٠

لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع حاولتم ان تبنوه على مدى ربع قرن مــن الزمان ٠ ولكنه تحطم في عام ١٩٧٣ ٠

كان جدارا من الحرب النفسية المستمرة في التهابها وتصاعدها ٠

كان جدارا من التخويف بالقوة القادرة على اكتساح الامة العربية من اقصاهـا الى اقصاها ٠

كان جدارا من الترويج باننا امة تحولت الى جثة بلا حراك ٠ بل ان منكم من قـال انه حتى بعد مضي خمسين عاما مقبلة ، فلن تقوم للعرب قائمة من جديد ٠

كان جدارا يهدد دائما بالذراع الطويلة القادرة على الوصول الى اي موقع والى اي بعـد ٠

كان جدارا يحذرنا من الابادة والفناء اذا نحن حاولنا ان نستخدم حقنا المشروع في تحرير ارضنا المحتلة ٠

وعلينا ان نعترف معا ٠ بأن هذا الجدار قد وقع وتحطم في عام ١٩٧٣ ٠ ولكن بقي جدار اخر ٠

هذا الجدار الاخر ، يشكل حاجـــزا نفسيا معقدا بيننا وبينكم ، حاجزا مـن الشكوك ، حاجزا من النفور ، حاجزا من خشية الخداع ، حاجزا من الاوهام حول اي تصرف او فعل او اقرار ، حاجزا من التفسير الحذر الخاطىء لكل حـدث او حديث ٠

وهذا الحاجز النفسي هو الذي عبـرت عنه ، في تصريحات رسمية ، بأنه يشكل سبعين في المائة من المشكلة ٠

وانني اسألكم اليوم — بزيارتي لكم — لماذا لا نمد ايادينا ، بصدق وايمـــان واخلاص ، لكي نحطم هذا الحاجز معا ؟

لماذا لا تتفق ارادتنا ، بصدق وايمان واخلاص ، لكي نزيل معا كل شكوك الخوف والغدر والتواء المقاصد واخفاء حقائق النوايـا ؟

لماذا لا نتصدى معا بشجاعة الرجال ، وبجسارة الابطال الذين يهبون حيـــاتهم لهدف اسمى ؟

لماذا لا نتصدى معا بهذه الشجاعــــة والجسارة لكي نقيم صرحا شامخا للسلام يحمي ولا يهدد ٠٠ يشع لاجيالنا القادمة اضواء الرسالة الانسانية نحو البنـــاء والتطور ورفعة الانسان ؟

لماذا نورث هذه الاجيال نتائـج سفك الدماء ، وازهاق الارواح ، وتيتيم الاطفال وترمل الزوجات ، وهدم الاسر ، وانين الضحايا ٠

لماذا لا نؤمن بحكمة الخالق اوردها في

أمثال سليمان الحكيم ٠

« الغش في قلب الذين يفكرون في الشر ، اما المبشرون بالسلام فلهم فرح »٠

« لقمة يابسة ومعها سلامة ، خير من بيت مليء بالذبائح مع الخصام » ٠

لماذا لا نردد معا من مزامير داود النبي « اليك يا رب اصرخ ٠٠ اسمع صوت تضرعي اذا استغثت بك ، وارفع يدي الى محراب قدسك ، لا تجذبني مع الاشرار ومع فعلة الاثم ، المخاطبين اصحابهم بالسلام والشر في قلوبهم ، اعطهم حسب فعلهم ، وحسب شر اعمالهم ، اطلب السلامة واسعى وراءها » ٠

أيها السادة :

الحق أقول لكم ان السلام لن يكون اسما على مسمى ما لم يكن قائما على العدالة وليس على احتلال ارض الغير ٠ ولا يسوغ ان تطلبوا لانفسكم ما تنكرونه على غيركم ٠

وبكل صراحة ٠ وبالروح التي حدت بي الى القدوم اليكم اليوم فاني أقول لكم : ان عليكم ان تتخلوا نهائيا عن احلام الغزو وان تتخلوا ايضا عن الاعتقاد بأن القوة هي خير وسيلة للتعامل مع العرب ٠

ان عليكم ان تستوعبوا جيدا دروس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع شيئا ٠

ولكي نتكلم بوضوح فان ارضنا لا تقبل المساومة ٠ وليست عرضة للجدل ٠

ان التراب الوطني والقومي يعتبر لدينا في منزلة الوادي المقدس طوى الذي كلم فيه الله موسى عليه السلام « ولا يملك اي منا ، ولا يقبل ، ان يتنازل عن شبر واحد منه ، او ان يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه » ٠

والحق اقول لكم ايضا : ان أمامنا اليوم الفرصة السانحة للسلام وهي فرصة لا يمكن ان يجود بمثلها الزمان اذا كنا جادين حقا في النضال من أجل السلام ٠

وهي فرصة ، لو اضعناها او بددناها فلسوف تحل بالمتآمر عليها ، لعنة الانسانية ولعنة التاريخ ٠

ما هو السلام بالنسبة لاسرائيل ؟ ان تعيش في المنطقة مع جيرانها العرب ٠٠ في أمن واطمئنان ٠٠
هذا منطق اقول له نعم ٠

ان تعيش اسرائيل في حدودها ، امنة من اي عدوان ٠

هذا منطق أقول له نعم ٠

ان تحصل اسرائيل على كل انواع الضمانات التي تؤمن لها هاتين الحقيقتين هذا مطلب اقول له نعم ٠

بل اننا نعلن اننا نقبل كل الضمانات الدولية التي تتصورونها وممن ترضونه انتم ٠

نعلن اننا نقبل كل الضمانات التي تريدونها من القوتين العظميين ، او من احداهما ، او من الخمسة الكبار ، او من بعضهم ٠

واعود فاعلن بكل الوضوح اننا قابلون باي ضمانات ترتضونها لاننا في المقابل ، سنأخذ نفس الضمانات ٠

خلاصة القول اذن عندما نسأل : ما هو السلام بالنسبة لاسرائيل ؟

يكون الرد هو ان تعيش اسرائيل في حدودها مع جيرانها العرب في أمن وامان وفي اطار كل ما ترتضيه من ضمانات يحصل عليها الطرف الاخر ٠

ولكن كيف يتحقق هذا ؟

كيف يمكن ان نصل الى هذه النتيجة لكي نصل بها الى السلام الدائم العادل ؟

هناك حقائق لا بد من مواجهتها بكل شجاعة ووضوح ·

هناك ارض عربية احتلتها ـ ولا تزال تحتلها ـ اسرائيل بالقوة المسلحة ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية ·· القدس التي حضرت اليها باعتبارها مدينة السلام ·· والتي كانت وسوف تظل على الدوام التجسيد الحي للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث ·

وليس من المقبول ان يفكر احد في الوضع الخاص لمدينة القدس في اطار الضم او التوسع وانما يجب ان تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين ·

واهم من كل هذا فان تلك المدينة يجب الا تفصل عن هؤلاء الذين اختاروها مقرا ومقاما لعدة قرون · وبدلا من ايقاظ الحروب الصليبية فاننا يجب ان نحيي روح عمر بن الخطاب وصلاح الدين ·· اي روح التسامح واحترام الحقوق ··

ان دور العبادة الاسلامية والمسيحية ليست مجرد أماكن لاداء الفرائض والشعائر بل انها تقوم شاهد صدق على وجودنا الذي لم ينقطع في هذا المكان سياسيا وروحيا وفكريا ·

وهنا ·· فانه يجب الا يخطيء احد تقدير الاهمية والاجلال اللذين نكنهما للقدس نحن معشر المسيحيين والمسلمين ·

ودعوني اقول لكم بلا أدنى تردد انني لم اجيء اليكم تحت هذه القبة لكي اتقدم برجاء ان تجلوا قواتكم من الارض المحتلة ان الانسحاب الكامل من الارض العربية المحتلة عام ١٩٦٧ امر بديهي لا نقبل فيه الجدل ولا رجاء فيه لاحد او من احد ··

ولا معنى لاي حديث عن السلام الدائم العادل ولا معنى لاي خطوة لضمان حياتنا معا في هذه المنطقة من العالم في أمن وامان وانتم تحتلون ارضا عربية بالقوة المسلحة فليس هنالك سلام يستقيم او يبنى مع احتلال ارض الغير ·

نعم ··

هذه بديهية لا تقبل الجدل والنقاش اذا خلصت النوايا وصدق النضال لاقرار السلام الدائم العادل ولكل الاجيال من بعدنا ·

اما بالنسبة للقضية الفلسطينية فليس هنالك من ينكر انها جوهر المشكلة كلها وليس هناك من يقبل اليوم في العالم كله شعارات رفعت هنا في اسرائيل تتجاهل وجود شعب فلسطين بل وتتساءل أين هو هذا الشعب ؟!

ان قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل او انكار من أحد · بل لا يحتمل عقل يفكر ان تكون موضع تجاهل او انكار انها واقع استقبله المجتمع الدولي غربا وشرقا · بالتأييد والمساندة والاعتراف في مواثيق دولية وبيانات رسمية لن يجدي احد ان يصم اذانه عن دويها المسموع ليل نهار او ان يغمض عينيه عن حقيقتها التاريخية وحتى الولايات المتحدة قمة الالتزام لحماية وجود اسرائيل وامنها والتي قدمت ـ وتقدم الى اسرائيل ـ كل عون معنوي ومادي وعسكري ·

اقول حتى الولايات المتحدة اختارت ان تواجه الحقيقة والواقع وان تعترف بأن للشعب الفلسطيني حقوقا مشروعة وان المشكلة الفلسطينية هي قلب الصراع وجوهره وطالما بقيت معلقة دون حل فان النزاع سوف يتزايد ويتصاعد ليبلغ ابعادا جديدة وبكل الصدق اقول لكم ان السلام لا يمكن ان يتحقق بغير الفلسطينيين وانه لخطأ جسيم لا يعلم مداه احد ان نغض الطرف عن تلك القضية او ان ننحيها جانبا ·

ولن استطرد في سرد احداث الماضي

منذ صدر وعد بلفور لستين عاما خلت فانتم على بينة من الحقائق جيدا ·

واذا كنتم قد وجدتم المبرر القانوني والاخلاقي لاقامة وطن قومي على أرض لم تكن كلها ملكا لكم فأولى بكم ان تتفهموا اصرار شعب فلسطين على اقامة دولته من جديد في وطنه ·

وحين يطالب بعض الغلاة والمتطرفين ان يتخلى الفلسطينيون عن هذا الهدف الاسمى ·· فان معناه في الواقع وحقيقة الامر مطالبة له بالتخلي عن هويتهم وعن كل أمل لهم في المستقبل ·

انني احيي اصواتا اسرائيلية·· طالبت بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وصولا الى السلام وضمانا له ولذلك ·· فانني اقول لكم ايها السيدات والسادة انه لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطيني وحقوقه في اقامة دولته وفي العودة ·

لقد مررنا نحن العرب بهذه التجربة من قبل ·· معكم ·· ومع حقيقة الوجود الاسرائيلي وانتقل بنا الصراع ·· من حرب الى حرب ·· ومن ضحايا الى مزيد من الضحايا حتى وصلنا اليوم – نحن وانتم – الى حافة هاوية رهيبة وكارثة مروعة اذا نحن لم نغتنم اليوم معا فرصة السلام الدائم والعادل ··

عليكم ان تواجهوا الواقع مواجهة شجاعة كما واجهته انا ··

ولا حل لمشكلة ابدا بالهروب منها او التعالي عليها ··

لا يمكن ان يستقر سلام بمحاولة فرض اوضاع وهمية ·· أدار لها العالم كله ظهره ·· واعلن نداءه الاجماعي بوجوب احترام الحق والحقيقة ··

ولا داعي للدخول في الحلقة المفرغة مع الحق الفلسطيني ·· ولا جدوى من خلق العقبات ·· الا ان تتأخر مسيرة السلام ·· او ان يقتل السلام ·

وكما قلت لكم ·· فلا سعادة لاحد على حساب شقاء الاخرين ·· كما ان المواجهة المباشرة والخط المستقيم هما أقرب الطرق وانجحها للوصول الى الهدف الواضح والمواجهة المباشرة للمشكلة الفلسطينية · واللغة الواحدة لعلاجها نحو سلام دائم عادل هي في ان تقوم دولته ··

ومع كل الضمانات الدولية التي تطلبونها فلا يجوز ان يكون هناك خوف من دولة وليدة تحتاج الى معونة كل دول العالم لقيامها ·· وعندما تدق اجراس السلام فلن توجد يد لتدق طبول الحرب واذا وجدت فلن يسمع لها صوت ·

وتصوروا معي اتفاق سلام في جنيف نزفه الى العالم المتعطش الى السلام ··

اتفاق سلام يقوم على :

اولا : انهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية التي احتلت في عام ١٩٦٧ ·

ثانيا : تحقيق الحقوق الاساسية للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير المصير بما في ذلك حقه في اقامة دولته ·

ثالثا : حق كل دول المنطقة في العيش في سلام داخل حدودها الامنة والمضمونة عن طريق اجراءات يتفق عليها تحقق الامن المناسب للحدود الدولية ، بالاضافة الى الضمانات الدولية المناسبة ·

رابعا : تلتزم كل دول المنطقة بادارة العلاقات فيما بينها طبقا لاهداف ومبادىء ميثاق الامم المتحدة ، وبصفة خاصة عدم الالتجاء الى القوة · وحل الخلافات بينهم بالوسائل السلمية ·

خامسا : انهاء حالة الحرب القائمة في المنطقة ·

ايها السيدات والسادة :

ان السلام ليس توقيعا على سطور مكتوبة ، انه كتابة جديدة للتاريخ ·

ان السلام ليس مباراة في المناداة به للدفاع عن أية شهوات او لستر اية اطماع فالسلام في جوهره نضال جبار ضد كل الاطماع والشهوات ·

ولعل تجارب التاريخ القديم والحديث تعلمنا جميعا ، ان الصواريخ والبوارج والاسلحة النووية لا يمكن ان تقيم الامن ولكنها على العكس تحطم كل ما يبنيه الامن ·

وعلينا ··

من أجل شعوبنا ··

من أجل حضارة صنعها الانسان ، ان نحمي الانسان في كل مكان ·· من سلطان قوة السلاح ·

علينا ان نعلن سلطان الانسانية بكل قوة القيم والمبادىء التي تعلي مكانة الانسان ·

واذا سمحتم لي ، أن اتوجه بندائي من هذا المنبر الى شعب اسرائيل ·· فانني اتوجه بالكلمة الصادقة الخالصة الى كل رجل وامرأة وطفل في اسرائيل ·

انني احمل اليكم من شعب مصر الذي يبارك هذه الرسالة المقدسة من أجل السلام ·

احمل اليكم رسالة السلام رسالة شعب مصر الذي لا يعرف التعصب ، والذي يعيش ابناؤه من مسلمين ومسيحيين ويهود بروح المودة والحب والتسامح ·

وهذه هي مصر ، التي حملني شعبها امانة الرسالة المقدسة ·· رسالة الامن والامان والسلام ··

فيا كل رجل وامرأة وطفل في اسرائيل ·· شجعوا قياداتكم على نضال السلام ·

ولتتجه الجهود الى بناء صرح شامخ للسلام ، بدلا من بناء القلاع والمخابىء المحصنة بصواريخ الدمار ·

قدموا للعالم كله ، صورة الانسان الجديد ، في هذه المنطقة من العالم ، لكي يكون قدوة لانسان العصر ·· انسان السلام في كل موقع ومكان ·

بشروا ابناءكم ·· ان ما مضى ، هو اخر الحروب ونهاية الالام ، وان ما هو قادم هو البداية الجديدة ، للحياة الجديدة ·· حياة الحب والخير والحرية والسلام

ويا ايتها الام الثكلى
ويا أيتها الزوجة الترملة ··
ويا أيها الابن الذي فقد الاخ والاب ·
يا كل ضحايا الحروب ··

املأوا الارض والفضاء ، بتراتيل السلام املأوا الصدور والقلوب ، بامال ·

اجعلوا الانشودة حقيقة تعيش وتثمر ·

اجعلوا الامل دستور عمل ونضال ··

وارادة الشعوب هي من ارادة الله ··
أيها السيدات والسادة :

قبل ان اصل الى هذا المكان ، توجهت بكل نبضة من قلبي ، وبكل خلجة في ضميري ، الى الله سبحانه وتعالى ، وانا اؤدي صلاة العيد في المسجد الاقصى وانا ازور كنيسة القيامة ، توجهت الى الله سبحانه وتعالى ، بالدعاء ان يلهمني القوة : وان يؤكد يقين ايماني ، بأن تحقق هذه الزيارة اهدافها ، التي ارجوها من أجل حاضر سعيد ، ومستقبل اكثر سعادة ··

لقد اخترت ان اخرج على كل السوابق والتقاليد التي عرفتها الدول المتحاربة ، ورغم ان احتلال الارض العربية لا زال قائما ، بل كان اعلاني عن استعدادي للحضور الى اسرائيل مفاجأة كبرى هزت كثيرا من المشاعر ، واذهلت كثيرا من العقول ، بل شككت في نواياها بعض الاراء ، برغم كل ذلك فانني استلهمت القرار بكل صفاء الايمان وطهارته ، وبكل التعبير الصادق عن ارادة شعبي ونواياه اخترت هذا الطريق الصعب ، بل انه في نظر الكثيرين اصعب طريق ·

اخترت ان حضر اليكم ·· بالقلب المفتوح والفكر المفتوح ·

اخترت ان اعطي هذه الدفعة لكل الجهود العالمية المبذولة من أجل السلام · واخترت ان اقدم لكم ــ وفي بيتكم ــ الحقائق المجردة عن الاغراض والاهواء ·

لا لكي اناور ·

بل لكي اكسب جولة ، اخطر الجولات والمعارك في التاريخ المعاصر ·

معركة السلام العادل والدائم ·

انها ليست معركتي فقط ، ولا هي معركة القيادات فقط في اسرائيل · ولكنها معركة كل مواطن على ارضنا جميعا ، من حقه ان يعيش في سلام ·

انها التزام الضمير والمسؤولية في قلوب الملايين ·

ولقد تساءل الكثيرون ، عندما طرحت هذه المبادرة ، عن تصوري لما يمكن انجازه في هذه الزيارة ، وتوقعاتي منها ·

وكما اجبت السائلين ، فانني اعلن أمامكم انني لم افكر في القيام بهذه الزيارة، وانما جئت هنا لكي ابلغ رسالة· الا هل بلغت اللهم فاشهد ·

اللهم انني اردد مع زكريا قوله « احبوا الحق والسلام » ·

واستلهم ايات الله العزيز الحكيم حين قال : « قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتيموسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين احد منهم، ونحن له مسلمون » ·

« صدق الله العظيم »

والسلام عليكم ·

نص خطاب بيغن امام الكنيست

سيدي رئيس الكنيست ، سيدي رئيس دولة اسرائيل ، سيدي رئيس جمهورية مصر العربية ، سيداتي وسادتي اعضاء الكنيست ، بركاتي للرئيس ، ولكل ابناء الدين الاسلامي في بلدنا ، وحيثما وجدوا بمناسبة عيد الاضحى الاسلامي ·

ان هذا العيد ليذكرنا بتجربة القربان · تلك التجربة التي امتحن الله بها ابانا ، ابانا المشترك بايمانه ، وقد صمد ابراهيم في هذه التجربة ، الا انها كانت ، من الناحية الخلقية وارتقاء الانسانية ، تحريما للتقرب بالقرابين البشرية ، ولقد تعلم شعبانا ، وعلما ، تلك اللا الانسانية ، والشعوب لا تزال من

حولنا تضحي بالقرابين الآدمية لآلهتها – وهكذا ساهمنا ، شعب اسرائيل والشعب العربي ، في ارتقاء الانسان ، ولا نزال نساهم في الحضارة الانسانية حتى يومنا هذا ٠

وانني لارحب برئيس مصر في مجيئه الى بلادنا ، ولاشتراكه في جلسة الكنيست٠ ان فترة الطيران بين القاهرة والقدس قصيرة ، ولكن المسافة بينهما كانت حتى الامس لانهائية ٠٠ لقد قطع الرئيس السادات هذه المسافة بشجاعة ، ونحن اليهود نعرف كيف نقدر الشجاعة ، وسنعرف كيف نقدرها لدى ضيفنا ، اذ بها وجدنا ، وبها نحيا ٠

سيدي رئيس الكنيست ، ان هذه الامة الصغيرة ، بقايا الهجرة للشعب اليهودي، التي عادت الى وطننا التاريخي كانت تريد السلام دائما ٠ ومنذ ان اطل فجر استقلالنا في ١٤ ايار ١٩٤٨ ، في (٥ ايار ت ش ح) ، قال بن غوريون في اعلان الاستقلال ، في الميثاق الاساسي لتحررنا القومي : « اننا نمد يد السلام وحسن الجوار لكل الدول المجاورة وشعوبها ، وندعوهم للمساهمة في التعاون المشترك مع الشعب العبراني المستقل في بلادنا »٠

وقبل عام ، وابان العمل السري، ونحن لا نزال نخوض معركتنا المصيرية لتحرير البلاد – الخلاص لشعبنا ، ناشدنا جيراننا بما ياتي : « في هذه البلاد نعيش معا ، ونتقدم معا ، نحو حياة حرة سعيدة ٠ يا جيراننا العرب لا ترفضوا اليد الممدودة اليكم للسلام » ٠

ولكن واجبي ، سيدي رئيس الكنيست ، وليس حقي وحسب ، ان اؤكد اليوم استنادا للحقيقة ، بأن يدنا الممدودة للسلام لم تقبل ، بعد يوم واحد على تجديد استقلالنا ، بما يقتضيه حقنا – وهو ازلي وغير قابل للطعن – هوجمنا على جبهات ثلاث وصمدنا دون سلاح تقريبا ، قلة ضد كثرة ، ضعفاء ضد اقوياء ، في محاولة لخنق استقلالنا في مهده ، وبعد يوم واحد من اعلانه فقط ، وللقضاء على الامل الاخير للشعب اليهودي في جيل الابادة والبعث ٠

كلا ، اننا لا نؤمن بالقوة ، ولم نبن علاقاتنا ، في يوم من الايام ، مع الشعب العربي على القوة ، وانما العكس هو الصحيح ، فقد كانت القوة تمارس ضدنا، ولم ننفك يوما ، عن ان نكون مهاجمين ، وعلى مدار سنوات هذا الجيل باكمله ، بقوة الذراع لابادة شعبنا وتدمير استقلالنا ، واسقاط حقنا ٠

لقد دافعنا ، اجل ، لقد دافعنا عن حقنا ، وعن وجودنا ، وعن كرامتنا ، وعن نسائنا واطفالنا ، ضد المحاولات المستمرة والمتكررة ، في استعمال القوة ضدنا ، وليس على جبهة واحدة فقط ٠ ولقد انتصرنا بعون الله ، على قوى العدوان وامنا الوجود لشعبنا ، لا لهذا الجيل وحسب ، وانما للاجيال القادمة ايضا ٠ اننا لا نؤمن بالقوة ٠ اننا نؤمن بالحق ، وبالحق فقط ، ولهذا فان طموحنا المنبثق من اعماق قلوبنا ، كان دائما ، وحتى يومنا هذا ، هو السلام ٠

سيدي رئيس الكنيست ، سيدي رئيس مصر ، في هذا البرلمان الديمقراطي ، يجلس قادة كل تنظيمات المقاومة السرية العبرية المقاتلة ٠ لقد كانوا مضطرين لخوض معركة الاقلية ضد الاكثرية ، ضد قوة عالية عظمى ٠ هنا يجلس كبار قوادنا وجنرالاتنا ، والذين قادوا فيالق كاملة للمعركة التي فرضت عليهم ، والى النصر الاكيد لانهم كانوا يدافعون عن حقنا ٠ انهم ينتمون الى احزاب مختلفة ، ولهم آراء مختلفة ٠ ولكنني متأكد سيدي الرئيس ، انني اعبر عن

آرائهم جميعا بدون استثناء ـ بأن لنا تطلعا واحدا فقط ، رغبة واحدة في النفس ، وكلنا موحدون في هذا التطلع وهذه الرغبة : ان نحقق السلام لشعبنا ، الذي لم يعرف السلام حتى ولو ليوم واحد منذ ان بدأنا في العودة الى صهيون، ولجيراننا الذين نتمنى لهم كل خير . اننا نؤمن بأننا اذا ما حققنا السلام ، سلام حقيقي ، نستطيع مد يد العون كل للآخر في جميع مجالات الحياة، وان عهدا جديدا سيفتح في الشرق الاوسط ، عهد ازدهار وانطلاق ، عهد تطوير وتطور ونمو . كما كان في القديم .

وعليه ، فليسمح اليوم لي ، ان احدد ماهية السلام وفقا لمفهومنا نحن ، اننا نطالب بسلام كامل وحقيقي ، من خلال صلح نهائي بين الشعب اليهودي والشعب العربي ، ودون الغوص في ذكريات الماضي . لقد كانت حروب واراقة دماء ، وابناء جيل فتي رائعون سقطوا من كلا الطرفين ، وسنحمل ما حيينا ذكر ابطالنا الذين ضحوا بأنفسهم من اجل الوصول الى هذا اليوم ، ولا بد لهذا اليوم من ان يأتي .

اننا لنحترم في خصمنا شجاعته ، كما ونكن احترامنا لكل اولئك الذين سقطوا هم الآخرون من ابناء الجيل الفتي للشعب العربي . فلنكف عن الغوص في ذكريات الماضي ، وان كانت عزيزة على قلوبنا ، ولنتخطاها اذن ، ولنعمل من اجل المستقبل ، من اجل شعبنا واولادنا ، من اجل مستقبلنا المشترك ، ومن اجل ان نعيش كلنا في هذه المنطقة معا الى الابد ، الشعب العربي بدوله وبلاده ، والشعب اليهودي في بلده ـ ارض اسرائيل. ولهذا لا بد لنا ان نحدد ماهية السلام .

فلنجر ، سيدي الرئيس ، وبعون الله ، مفاوضات كرجال احرار ، على معاهدة سلام ، وهذا ما نؤمن به ايمانا مطلقا ، بأنه لا بد وان يأتي اليوم الذي سنوقعها فيه باحترام متبادل ، وعندها ستؤمن بأن مرحلة الحروب قد انتهت ، واننا مددنا كل يده لصديقه ، وصافحنا كل صديقه ، وان المستقبل سيكون زاهرا لكل شعوب المنطقة ، وبداية الطريق الى معاهدة سلام ـ الغاء حالة الحرب .

اوافق ، سيدي الرئيس ، انك لم تأت الينا ، واننا لم ندعك الى بلدنا ، كي ندق اسفينا بين الشعوب العربية ، كما يتردد في الايام الاخيرة .

فان اسرائيل لا تريد الهيمنة كما لا تريد التفرقة . اننا نريد السلام مع جيراننا ، مع مصر والاردن ، ومع سوريا ولبنان . اننا نريد اجراء مفاوضات .
لا حاجة لنا الى الفصل بين معاهدة سلام ، والغاء حالة الحرب . فاننا لا نقترح ذلك ، ولا نطالب بذلك ، بل العكس ، فان البند الاول في معاهدة سلام هو الغاء حالة الحرب ـ والى الابد .
اننا نريد اقامة علاقات طبيعية بيننا ، كما هي قائمة بين جميع الشعوب ، وبعد كل تلك الحروب . فلقد تعلمنا من التاريخ ، سيدي الرئيس ، بأن الحرب يمكن منعها ، ولكن السلام لا يمكن منعه .

كثيرة هي الشعوب التي خاضت حروبا بينها ، وقد استعملت في كثير من الاحيان، تلك العبارة ، العبارة الحمقاء « عدو دائم » . لا اعداء دائمين ، فبعد كل تلك الحروب جاء ما لا يمكن منعه ـ السلام . ولهذا فاننا نطالب بالنص على علاقات دبلوماسية في معاهدة سلام ، كما هو العرف بين الشعوب المتحضرة .

اليوم يخفق في القدس علمان ـ العلم المصري والعلم الاسرائيلي . ولقد رأينا سوية ، سيدي الرئيس ، اطفالنا الصغار،

يلوحون بالعلمين · فلنوقع معاهدة سلام ونثبت حالة كهذه الى الابد ، وكما في القدس في القاهرة ايضا ، انني لآمل ان يأتي اليوم الذي يلوح فيه الاطفال المصريون بالعلم الاسرائيلي والعلم المصري ، كما لوح اطفال اسرائيل بهذين العلمين في القدس · ان يكون لك ، سيدي الرئيس ، سفير معتمد في القدس وسفير لنا في القاهرة ، حتى وان ثارت خلافات بيننا ، فسوف نبحثها كشعوب متحضرة بواسطة مندوبينا المفوضين ·

انناندعو الى تعاون اقتصادي لتطوير بلدينا : ففي الشرق الاوسط بلاد رائعة ـ هكذا خلقه الله ، انه لواحة ، ولكن ثمة صحارى فيه ومن الممكن اخصابها ·

فهيا نتعاون في هذا المضمار · نطور بلادنا ، ونلغي الفقر والجوع وعدم المأوى ، ونرفع شعوبنا الى مستوى الدول المتطورة ولا نسمى بعد ذلك بالدول النامية ·

مع كل احترامي ، فانني مستعد للتصديق على كلام جلالة ملك المغرب ، الذي قال علانية ، بأنه اذا ما قام السلام

في الشرق الاوسط فان الدمج بين الثروة العربية والعبقرية اليهودية معا ، سيحول هذه المنطقة لجنات عدن على الارض ·

فهيا بنا نفتح بلدينا لحركة حرة ، فلتأتوا انتم الينا ، ولنزركم نحن ، وانني مستعد للاعلان ، سيدي رئيس الكنيست ، هذا اليوم ، ان بلدنا مفتوح امام مواطني مصر ، ولا اقرن اعلاني هذا بأية شروط من جانبنا ، واعتقد انه من الواجب والعدل ، ان يكون ثمة اعلان مقابل في هذا الشان · ولكن ، فكما توجد اعلام مصرية في شوارعنا ، كذلك ثمة وفد محترم من مصر اليوم في عاصمتنا وبلدنا ، وليكثر الزائرون · فلتكن حدودنا مفتوحة امامكم ولتكن كذلك الحدود الاخرى ـ وما ذكرته ، نريده في الجنوب والشمال والشرق ·

وعليه فانني اجدد دعوتي لرئيس سوريا بأن يقتفي اثرك ، يا سيدي الرئيس ، ويأتي الينا كي نبدأ مفاوضات من اجل احلال سلام بين اسرائيل وسوريا ، وللتوقيع على معاهدة سلام بينهما · ويؤسفني القول ، ان لا مبرر لذلك الحداد الذي اعلنوه عبر حدودنا الشمالية ، وانما العكس ، فان زيارات كهذه ، وعلاقات كهذه ، ومحادثات كهذه ، يمكنها، بل ولا بد ان تكون ايام فرح وبهجة لكل الشعوب ·

وانني ادعو الملك حسين ان يأتي ، لنبحث معه كل المشاكل المعلقة بينه وبيننا، كما وادعوا ناطقين حقيقيين باسم عرب اسرائيل ، لان يأتوا ويجروا محادثات توضيحية معنا بالنسبة لمستقبلنا المشترك، عن حرية الانسان ، والعدالة الاجتماعية ، والسلام والاحترام المتبادل ·

فاذا ما دعونا للمجيء الى عواصمهم ، فاننا سنلبي الدعوة · واذا ما دعونا لبدء مفاوضات في دمشق ، وعمان ، وبيروت ، فاننا سنذهب الى تلك العواصم ، كي نجري المفاوضات معها هناك · اننا لا نريد التفرقة · اننا نريد سلاما حقيقيا مع كل جيراننا ، يترجم في معاهدات سلام بمضمونها كما اوضحت ·

سيدي رئيس الكنيست ، انه لمن واجبي اليوم ان اقص على ضيوفنا ، وعلى مسامع كل الشعوب التي تشاهدنا وتستمع الى اقوالنا ، الصلة بين شعبنا وبين هذه البلاد · فلقد ذكر الرئيس تصريح بلفور · كلا ، يا سيدي ، اننا لم نستول على اية ارض اجنبية · لقد عدنا الى وطننا · فالصلة بين شعبنا وبين هذه البلاد هي صلة ازلية ، وقد قامت في

العصور المظلمة للتاريخ الانساني ، ولم تنقطع مطلقا · في هذه البلاد اقمنا حضارتنا ، وهنا تنبأ انبياؤنا نبوءاتهم التي رددتها انت هذا اليوم ، هنا سجد ملوك يهودا واسرائيل ، وهنا تحولنا الى شعب ، وهنا اقمنا مملكتنا ، وحين هاجرنا من بلادنا بسبب القوة التي استعملت ضدنا ، وابتعدنا عن ارضنا – لم ننس ولو ليوم واحد هذه الارض · لقد صلينا من اجلها ، تقنا اليها ، وآمنا بالعودة اليها منذ ان قيل : « وحين يعيدنا الرب الى صهيون ، وكنا كالحالمين ، عندها يملأ الضحك افواهنا والنشيد لساننا » · وهذا النشيد ينطبق على كل منافينا ، وعلى كل آلامنا ، عزاء العودة الى صهيون ، والتي لا بد آتية ·

ولقد اعترف في حقنا هذا · وكان تصريح بلفور ضمن الانتداب ، الذي اعترفت به امم العالم ، بالاضافة الى الولايات المتحدة الاميركية · وفي مقدمة تلك الوثيقة الدولية المعروفة جاء

(والترجمة من الانجليزية) : « ونظرا لاثبات الصلة التاريخية بين الشعب اليهودي وبين فلسطين (او في العبرية ارض اسرائيل) ، والاسباب لاقامة وطن قومي من جديد في تلك البلاد ··· »

في عام ١٩١٩ حظينا بالاعتراف بهذا الحق من الناطق باسم الشعب العربي ،

وفي اتفاقية ٣ كانون الثاني ١٩١٩ التي وقعت بين الامير فيصل وحاييم وايزمان ورد : « ونظرا للقرابة العرقية والعلاقات القديمة بين العرب والشعب اليهودي ، ومن خلال التقدير ، ان الطريقة الافضل لتجسيد طموحاتهما القومية هي التعاون المتين قدر المستطاع في تطوير الدولة العربية وفلسطين » · ثم تأتي جميع بنود التعاون بين الدولة العربية وبين ارض

اسرائيل · هذا هو حقنا · وجودها – انها الحقيقة ·

ما الذي اصابنا عندما سلبنا وطننا ؟ لقد رافقتك هذا الصباح ، سيدي الرئيس ، الى « ياد فاشيم » ، ورأيت بأم عينيك ما الذي حل بمصير شعبنا ، حين سلب وطنه هذا منه ·

لقد وافقنا كلانا ، سيدي الرئيس ، انه من لم ير بأم عينيه كل ما هو قائم في « ياد فاشيم » ، فانه لا يستطيع فهم ما الذي حدث لهذا الشعب ، حين كان مسلوبا وطنه – ملكه ·

كلانا قرأنا وثيقة من ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٩ ظهرت فيها كلمة « ابادة » – فاذا ما نشبت حرب فسيباد العرق اليهودي في اوروبا · وكذلك قالوا لنا في حينه : لا تعيروا هذه الاقوال اهمية · وقد سمع العالم كله ، ولم يأت رجل واحد لانقاذنا ، لا في التسعة اشهر المصيرية والحاسمة ، منذ ان القي ذلك البيان ، الذي لم يلق بمثله منذ ان خلق الله الانسان ، والانسان هو الذي خلق الشيطان · وفي الست سنوات تلك ايضا ، عندما احرق ستة ملايين من ابناء شعبنا ، وبينهم مليون ونصف المليون من اطفال اسرائيل الصغار ، وبكل انواع الميتات المختلفة ، لم يأت رجل واحد لانقاذنا ، لا من الشرق ولا من الغرب · ولذلك اقسمنا نحن قسم الاخلاص ، كل هذا الجيل ، جيل الابادة والبعث اننا : لن نضع شعبنا في خطر الى ابد الآبدين ! والى الابد لن نضع نساءنا

واطفالنا في خطر ، والذين من واجبنا الدفاع عنهم ، اذا ما استدعتنا الضرورة لذلك ، حتى وان كلفنا حياتنا وعلى مرمى الابادة لنيران العدو ·

ومن ثم : فان واجبنا لاجيال واجيال ان نذكر اقوالا توجه الى شعبنا ، وعلينا

ان نتوجه اليها بجدية كاملة · محظور علينا ، بل حاشى وكلا ، ومن اجل شعبنا ان نتقبل اية نصيحة بأن لا نعير هذه الاقوال جدية ·

فالرئيس السادات يعرف ، وقد اطلع على ذلك منا قبل مجيئه الى القدس ، بأن لنا موقفا مغايرا لموقفه بالنسبة للحدود الثابتة بيننا وبين جيراننا ، ولكنني اناشد رئيس مصر ، وكل جيراننا : لا تقولوا – لا ولن تكون هناك مفاوضات على اي شيء · انني اقترح وباسم الاكثرية الحاسمة لهذا البرلمان ، بأن كل شيء قابل للتفاوض · انها لمسؤولية كبيرة تلك التي يأخذها على عاتقه من يقول : في العلاقات بين الشعب العربي او الشعوب العربية في المنطقة ، وبين دولة اسرائيل ، ثمة اشياء لا بد من اخراجها من دائرة المفاوضات ، فكل شيء قابل للتفاوض ، لا يحق لاي طرف ان يقول العكس ، ولا يحق لاي طرف ان يقدم شروطا مسبقة · وسنجري المفاوضات باحترام · فاذا كان بيننا خلافات في الرأي – وليس هذا بالامر الشاذ ، اذ كل من درس تاريخ الحروب ومعاهدات السلام ، يعرف بأن كل مفاوضات على معاهدة سلام تبدأ بالخلافات في الرأي بين الاطراف ، ومن خلال المفاوضات توصلوا الى اتفاق ، مكنهم من التوقيع على اتفاقية او معاهدة سلام · هذه هي الطريق التي نقترحها · ان نجري مفاوضات كطرفين متساويين ، لا مهزومين ولا منتصرين · كل شعوب المنطقة متساوية وكل يتعامل مع الاخر باحترام ، وبمثل هذه الروح الانفتاحية ، والاستعداد للاصغاء كل الى صاحبه للحقائق ، والاسباب والشروح ، بكل تجربة الاقناع الانسانية المتداولة – تعالوا نجري مفاوضات كالتي اعرض واقترح المباشرة بها · وان نستمر بها بمثابرة الى ان نصل الى ساعة جيل صهيون في التوقيع على معاهدة سلام بيننا ·

اننا لسنا مستعدين للجلوس مع مندوبي مصر والاردن وسوريا ولبنان – اذا ارادت هذه الدول ذلك – في مؤتمر سلام في جنيف وحسب ، فقد اقترحنا استئناف مؤتمر جنيف على اساس قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ ، وانما مستعدون ايضا ، اذا ما كانت ثمة مشاكل بيننا والى ان يحين انعقاد مؤتمر جنيف ، ان نبحثها اليوم وغدا ، واذا ما رغب رئيس مصر مواصلة البحث في القاهرة – او في مكان حيادي – بل وفي اي مكان ، فلنبحث اذن – وقبل انعقاد مؤتمر جنيف جميع المشاكل التي تتطلب البحث قبل انعقاد المؤتمر ، وستكون اعيننا مفتوحة وأذاننا منصتة لكل اقتراح واقتراح ·

واسمح لنفسي ان اقول كلمة بشأن اورشليم « القدس » يا سيادة الرئيس · لقد صليت اليوم في المسجد المقدس للدين الاسلامي ، ومن هناك ذهبت الى كنيسة القيامة ، واستطعت ان تعرف ، كما يعرف كل رواد العالم ، ان هذه المدينة منذ ان تم توحيدها ، ممر مفتوح تماما ، لكل ابناء الديانات الى الاماكن المقدسة لهم ، دون اي ازعاج او عقبة ·· وهذه الظاهرة الايجابية لم تكن قائمة خلال تسعة عشر عاما ، وهي قائمة الان منذ ١١ سنة، ونستطيع ان نؤكد للعالم الاسلامي والعالم المسيحي ، ولكل الشعوب ، انه ستكون ثمة طريق مفتوحة لكل ابناء الديانات الى الاماكن المقدسة والى الابد ·

اننا سندافع عن الطريق الحرة هذه ، لاننا نؤمن بذلك – بالمساواة في حقوق الانسان والمواطن ، وبالاحترام لكل ايمان وايمان ·

سيدي رئيس الكنيست ، انه ليوم فريد

لبرلماننا ، ولسوف يذكر بالتأكيد ، لسنوات طويلة ، في تاريخ شعبنا ، وفي تاريخ الشعب المصري ايضا ، ولربما في تاريخ الامم .

وهذا اليوم ، سيداتي وسادتي اعضاء الكنيست ، سأصلي من اجل ان يمنحنا اله آبائنا المشترك ، الحكمة الكافية ، لكي نتغلب على الصعاب والعقبات ، على التحريض والاذى ، ولسوف نصل بعون الله الى ذلك اليوم المنشود ، والذي يصلي شعبنا كله من اجله ـ السلام . وصدقت مزامير اسرائيل قولها : « العدل والسلام، قبلوا » وزكريا النبي : « الحقيقة والسلام ، احبوا » .

(يديعوت احرونوت ٧٧/١١/٢١)

البيان الاسرائيلي عن الزيارة
٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧

« تجاوبا مع الخطوة المخلصة والشجاعة من قبل الرئيس السادات ، وايمانا بالحاجة لمواصلة الحوار بما يتوافق مع الخطوط التي اتفق عليها كلا الجانبين في عرضهما للمواقف في اجتماع القدس التاريخي ، ويهدف تعزيز امكانية الاستكمال المثمر لهذه الزيارة المهمة ،

« فان حكومة اسرائيل ، معبرة عن ارادة شعب اسرائيل ، تقترح متابعة هذه الخطوة التي تدعو للامل عبر الحوار بين البلدين المعنيين وتمهيد الطريق ، بالتالي ، في اتجاه مفاوضات ناجحة تؤدي الى توقيع معاهدات سلام في جنيف مع جميع الدول العربية المجاورة » .

وفي ما يلي نص البيان كما اذاعته وكالة للشرق الاوسط المصرية :

« ردا على التحرك المخلص الشجاع للرئيس السادات واقتناعا بالحاجة لمواصلة الحوار على هدي الخطوط التي اقترحها كلا الجانبين خلال تبادل وعرض المواقف في الاجتماع التاريخي للقدس وبعد تعزيز امكانية الاستكمال المثمرلهذه الزيارة الهامة ، فان اسرائيل التي تعبر عن ارادة شعب اسرائيل تقترح بان تستمر هذه الخطوة التي تبعث على الامل من خلال الحوار بين البلدين المعنيين من اجل تمهيد الطريق الى اجراء مفاوضات ناجحة تؤدي الى توقيع معاهدات سلام في جنيف مع جميع الدول العربية المجاورة » .

ويلاحظ ان وكالة انباء الشرق الاوسط اغفلت ان البيان متفق عليه بين الفريقين وقالت انه اسرائيلي فقط . كما انها تحدثت عن « الخطوط التي اقترحها كلا الطرفين » بينما النص الانكليزي هو « الخطوط التي اتفق عليها كلا الجانبين»

كما يلاحظ ان النص المصري كان «ردا على التحرك » بينما هو في النص الانكليزي « تجاوبا مع التحرك » .

بيان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ١٨ـ١١ـ٧٧

يا جماهير شعبنا الفلسطيني

يا جماهير امتنا العربية

ان القرار الذي أقدم عليه الرئيس السادات يشكل ارتدادا عن اقدس واغلى اهداف امتنا وشعبنا ، وتنكرا لدماء الالوف من الشهداء الذين سقطوا من اجل فلسطين والاراضي العربية .

ان خطوة الرئيس السادات تضرب عرض الحائط بكل مبادىء التضامن العربي وقرارات القمة العربية ومكاسب حرب رمضان التي حققتها بطولة وتضحيات المقاتلين العرب وعلى رأسهم جيش مصر العظيم .

والامة العربية لن تغفر لاي حاكم عربي مثل هذه الخطوة التي تشكل

انعطافا خطيرا وتنكرا لنضالاتها التاريخية التي كان محورها على الدوام قضية فلسطين وتحرير القدس .

ان القيادة الفلسطينية اذ تعلن رفضها لخطوة الرئيس السادات تؤكد على تمسكها بقرارات المجلس الوطني

الفلسطيني في دوراته المتعاقبة وبرامجه السياسية . وتدعو جماهير الامة العربية الى شجب وادانة هذا الموقف الخطير الذي يمس وجود امتنا ومستقبلها وشرفها

كماتدعو سائر الاقطار العربية وحكوماتها الى تحديد موقفها واسماع صوتها تجاه هذا الوضع .

اننا اذ نحيي صمود وتضحيات جماهير شعبنا الصامد في ارضنا المحتلة ، ندعوهم الى اعلان غضبتهم العارمة ضد هذه الزيارة والى الاضراب والتحرك على اوسع نطاق . ومقاطعة كل النشاطات الصهيونية والعميلة التي تحاول ان تجعل من هذه الزيارة بداية لضرب القضية الفلسطينية ، وانتصارات ثورة شعبنا على امتداد ستين عاما ، وضرب جميع منجزات حركة التحرر العربي طيلة مراحل نضالها على كافة الاصعدة وفي مختلف المجالات .

ان المسجد الاقصى ، الذي كان رمزا لقوافل التحرر والشهداء لا يمكن ان يكون محرابا للاستسلام .

اننا ندعو جماهير شعبنا الفلسطيني في سائر اماكن تواجدهم وفي هذا الظرف الخطير الى تأكيد التفافهم حول قيادتهم وممثلهم الشرعي الوحيد ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ والى التصدي بعزم لكل دعوات الاستسلام واجواء الانهزامية التي يحاول العدو الامريكي ـ الصهيوني ان يجعل من زيارة السادات بداية لفرضها على منطقتنا العربية .

ان البندقية الفلسطينية ودماء الاف الشهداء والسجناء المعتقلين وعشرات الالوف من المكافحين ضد الاحتلال الصهيوني هم السد المنيع الذي سيدحر الاستسلام ويمنع تكرار مؤامرة عام ١٩٤٨ ، ويقيم الطريق لتحرير القدس والاقصى حتى يرتفع العلم الفلسطيني على تراب وطننا المقدس وتحقيق اهدافنا الوطنية وحقنا في العودة وتقرير المصير وبناء دولتنا الفلسطينية المستقلة .

وانها لثورة حتى النصر

البيان السوري ـ الفلسطيني

قام وفد من منظمة التحرير الفلسطينية بزيارة الى دمشق في الفترة الواقعة بين ٢١ و ٢٢ تشرين الثاني لعام ١٩٧٧ برئاسة الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ٠

وقد استقبل الرفيق حافظ الاسد الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية العربية السورية الوفد الفلسطيني الذي يضم كلا من الاخوة : فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية امين سر اللجنة المركزية لحركة فتح والاخ صلاح خلف عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، والاخ محمد زهدي النشاشيبي امين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والاخ طلال ناجي عضو اللجنة التنفيذية الامين العام المساعد للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة . والاخ ياسر عبد ربه رئيس دائرة الاعلام لمنظمة التحرير الفلسطينية الامين العام المساعد للجبهة الديموقراطية والاخ عبد المحسن ابو ميزر عضو اللجنة التنفيذية رئيس دائرة العلاقات القومية والوطنية والاخ حبيب قهوجي عضو اللجنة التنفيذية والاخ فرحان ابو الهيجا عضو قيادة منظمة الصاعقة والاخ نمر صالح عضو اللجنة المركزية لحركة فتح والاخ محمد غنيم عضو اللجنة المركزية لحركة فتح والاخ صالح رأفت عضو المكتب السياسي للجبهة الديموقراطية والاخ عمر الشهابي عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة ٠

كما جرت عدة اجتماعات بين وفد منظمة التحرير الفلسطينية ووفد يمثل حزب البعث العربي الاشتراكي وحكومة الجمهورية العربية السورية مؤلف من الرفاق عبد الحليم خدام عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية ، ناجي جميل عضو القيادة القومية وجميل شيا عضو القيادة القومية نائب ، رئيس مجلس الوزراء ، فاضل الانصاري عضو القيادة القومية ، عصام القاضي عضو القيادة القومية ، متعب شنان عضو القيادة القطرية ، يوسف الاسعد عضو القيادة القطرية ومحمود الزعبي عضو القيادة القطرية الاحتياط ٠

وخلال هذه الاجتماعات جرى بحث الزيارة الاستسلامية التي قام بها انور السادات الى الكيان الصهيوني والنتائج التي تترتب عليها بما يعرض الامة العربية وقضية فلسطين الى مخاطر جسيمة تستدعي مواجهة قومية عربية شاملة ٠

ان الزيارة الخيانية في هذه المرحلة من تاريخ الامة العربية ونضالها الوطني التحريري ضد العدو الصهيوني وحليفته الامبريالية الاميركية تأتي في اطار مخطط شامل لفرض الاستسلام التام وفق الشروط الصهيونية الكاملة . بما فيها الاعتراف بشرعية الاحتلال والصلح مع الكيان الصهيوني ٠ وتصفية حقوق الشعب العربي الفلسطيني في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الوطنية المستقلة فوق ارضه ٠

وقد دللت مجريات هذه الزيـــــارة ولقاءات السادات مع المسؤولين الصهاينة على استعداده الكامل للاعتراف بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني متنكرا لكــل مقدسات العرب وتاريخهم النضالــــي مستهترا بارواح شهداء الامة العربيــة ومفرطا بالحقوق والارض والمصير العربي برمته • وقد كان من بين اهداف زيــارة السادات فك طوق العزلة الدولية الشاملة عن اسرائيل ، والغاء مبررات عـــدم الاعتراف من قبل دول العالم بها ، هذاكله في الوقت الذي لا زال العدو الصهيونـي يغتصب الحقوق الفلسطينية ويحتــل الاراضي العربية ويتنكر لكل المبــادىء والقرارات الدولية ويصر بصلف وغرور على مطامعه وعدوانه •

وعلى ضوء هذه المعطيات التي اتفـق عليها الجانبان تم التوصل الى ما يلي:

١ ــ يؤكد الجانبان الادانة التامــة لهذه الزيارة والاستعداد لوضع كامــل الطاقات في سبيل اسقاط كافة نتائجهــا ويوجه الطرفان النداء لشعب مصــر العظيم وجيشها الباسل الذي قـدم الاف الشهداء واغلى التضحيات دفاعا عــن شرف مصر وفلسطين والعروبة من اجـل التصدي لهذه الخيانة القومية التي يريد من خلالها نظام السادات افقاد مصــر لدورها القومي تنفيذا للمخططـــات الامبريالية والصهيونية •

٢ ــ يدعو الجانبان سائر الـــدول العربية الى ادانة زيارة السادات ومقاومة النتائج التي تتمخض عنها ويعلن الطرفان ان موقفهما من كل دولة عربية يتحــدد على ضوء موقف تلك الدولة من الزيارة وما يعقبها من تحركات واتصــالات واذ نسجل بالتقدير مواقف سائر الــدول العربية والصديقة التي وقفت لتشجب هذه الزيارة الخيانية ندعوها الى الحــوار المتبادل والتضامن ووضع الخطط اللازمة لمواجهة واسقاط كل النتائج التي تترتـب على المحنة الحالية •

٣ ــ يؤكد الطرفان على اهمية بــذل الجهود المشتركة لقيام تضامن عربـــي حقيقي هادف في مواجهة مؤامرة السادات الامبريالية الصهيونية ودعم موقف القطر العربي السوري ومنظمة التحريـــر الفلسطينية باشكال متقدمة عسكريــا وسياسيا واقتصاديا باعتبار ان ذلك هو المعيار الحقيقي لسلامة اي موقف عربـي وقوميته •

٤ ــ واتفق الطرفان على بذل المساعـي المشتركة والتحرك على الصعيد العالمـي لفضح سياسة السادات واخطارها علـى الامن في منطقتنا والعالم •

ان خطة السادات ــ بيغن لا تستهـدف سوى فرض الامر الواقع على امتنــا وبالتالي تعطيل كل المساعي الحقيقيــة للوصول الى سلام عادل يقوم على اساس الانسحاب التام من جميـــع الاراضي العربية المحتلة وضمان حقوق الشعــب العربي الفلسطيني في العودة وتقريــر المصير واقامة الدولة المستقلة •

ان سورية العربية ومنظمة التحريــر الفلسطينية اكدتا باستمرار ان سعيهمـا من اجل السلام العادل بما يتجاوب مـع الجهود العالمية ويتفق مع مصالــح امتنـا يجب ان لا يختلط على الاطلاق مع مفهوم القهر والاستسلام الذي جسدته رحلــة السادات الاخيرة ، وستظل سوريـــة العربية ومنظمة التحرير الفلسطينيــة حريصتين على توفير السبل الحقيقية من اجل السلام العادل وفق مقررات القمــة العربية في الجزائر والرباط وما اكــده المجتمع الدولي كما تجسد في قـــرارات الجمعية العمومية للامـــم المتحدة فـي

السنوات الاخيرة ٠

٥ ـ وسيبذل الجانبان جهودا سريعة من اجل الاتصال بمؤيدي الحق العربي وقضية فلسطين وخاصة بلدان عدم الانحياز والدول الاسلامية ودول المنظومة الاشتراكية من اجل تطوير دعمهم وتنسيق المواقف على المستوى الدولي لردع هذا الهجوم الامبريالي الصهيوني واحباطه ٠

٦ ـ يدعو الطرفان الى عقد مؤتمر شعبي عام للاحزاب والمنظمات والاتحادات النقابية والمهنية العربية وتشكيل لجنة تحضيرية لهذا الغرض في اطار الجبهة العربية المشاركة ، وذلك لكي تتحمل الجماهير العربية مسؤولياتها وتصعد نضالها في معركة المصير ضد الخيانة القومية ٠

٧ ـ ان سورية العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية توجهان التحية الى الصمود البطولي والموقف الصلب الذي واجهت به جماهيرنا في القدس وكل قرية ومدينة تحت الاحتلال زيارة العار التي قام بها السادات ، وتدعو الى مزيد من اليقظة والوحدة الوطنية لمجابهة كل التحركات المشبوهة التيترمي الى المساس بالتفافها حول منظمة التحرير الفلسطينية ممثلها الشرعي الوحيد ٠

٨ ـ اتفق الجانبان على ابقاء جلسات الوفدين في حالة انعقاد دائمة لمتابعة تطورات الموقف والاشراف على تنفيذ المقررات المتخذة ٠

اننا على ثقة من ان المؤامرة لن تمر اعتمادا على طاقة جماهير امتنا العربية العظيمة التي لا يمكن ان تسمح بتلويث تاريخها وشرفها وكرامتها القومية ٠

اننا نطالب جماهير امتنا العربية بان تحول ادراكها لخطورة المؤامرة الى عمل منظم تتصدى فيه بمسؤولية كاملة لاعدائها الذين ينفذون ويروجون المخطط الامبريالي الصهيوني الذي يؤديه السادات ٠

وثيقة الوحدة الوطنية الفلسطينية
طرابلس ٤ كانون الاول
(ديسمبر) ١٩٧٧

• نحن في منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة بجميع فصائلها نعلن ما ياتي :

اولا : نناضل من اجل اقامة جبهة تقدمية عربية مناهضة لجميع الحلول الاستسلامية الامبريالية الصهيونية الرجعية وادواتها العربية في المنطقة ٠

ثانيا : نؤكد رفضنا لقراري مجلس الامن الرقم ٢٤٢ و ٣٣٨ ٠

ثالثا : نؤكد رفضنا لكل المؤتمرات الدولية القائمة على اساسهذين القرارين بما فيهما مؤتمر جنيف او غيره ٠

رابعا : نؤكد حقنا في العمل لاحقاق حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة وحق العودة وتقرير المصير في وطنه بما فيه حقه في اقامة دولته الفلسطينية المستقلة على اي جزء يتم تحريره من الارض الفلسطينية في هذه المرحلة من دون صلح ولا تفاوض ولا اعتراف ٠

خامسا : ندين اي طرف يرفض او يعرقل قيام الجبهة العربية التقدمية » ٠

ووقع الوثيقة عن فتح ابو اياد ، وعن الجبهة الشعبية جورج حبش ، وعن الجبهة الديموقراطية نايف حواتمة ،وعن الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة احمد جبريل ، وعن جبهة النضال الشعبي الفلسطيني سمير غوشة ، وعن جبهة التحرير الفلسطينية طلعت ٠

وبعد توقيع الوثيقة ارسلت الى رؤساء الوفود المجتمعين في ليبيا برقية جاء فيها : « نحن في منظمة التحرير الفلسطينية نعلن ما يأتي : نطالب ببناء جبهة الصمود والتصدي من الجماهيرية الليبية والجزائر والعراق وسوريا واليمن الديموقراطية ومنظمة التحرير الفلسطينية » ٠

ودعت البرقية المجتمعين الى اعتماد النقاط الخمس الواردة في الاتفاق

الذي تم بين فصائل المقاومة بزيادة نقطة واحدة تدعو الى « اتخاذ اجراءات القاطعة السياسية ضد نظام السادات »٠

البيان الختامي لقمة طرابلس

عقد في طرابلس عاصمة الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية وبدعوة من الاخ العقيد معمر القذافي في الفترة بين ٢٢ و ٢٥ ذو الحجة ١٣٩٧ هـ الموافق ٢ و ٥ ديسمبر ١٩٧٧ م مؤتمر قمة ضم اصحاب السيادة :

١ ـ الرئيس هواري بومدين رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

٢ ـ الرئيس حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية ٠

٣ ـ العقيد معمر القذافي امين عام مؤتمر الشعب العام في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ٠

٤ ـ الاخ عبد الفتاح اسماعيل الامين العام للتنظيم السياسي الموحد ـ الجبهة القومية ـ ممثلا عن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٠

٥ ـ الاخ طه ياسين رمضان ممثلا عن الجمهورية العراقية ٠

٦ ـ الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ٠

وقد بحث المؤتمر بشعور من المسؤولية القومية الكاملة ابعاد المرحلة الراهنة التي تمر بها القضية العربية بصورة عامة وقضية فلسطين بوجه خاص والمخططات الاميركية الصهيونية التي تستهدف فرض التسويات الاستسلامية على الامة العربية والنيل من الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني

وتصفية المنجزات الوطنية العربية وضرب حركة التحرر العربي تمهيدا لاخضاع المنطقة العربية والتحكم بمقدراتها وربطها بعجلة الامبريالية العالمية ٠

كما بحث المؤتمر الزيارة التي قام بها الرئيس السادات للكيان الصهيوني باعتبارها حلقة في اطار تنفيذ المخططات المعادية واستعرض النتائج التي ترتبت على هذه الزيارة التي تشكل انتهاكا صارخا لمبادىء واهداف النضال القومي ضد العدو الصهيوني وتفريطا بحقوق الشعب العربي الفلسطيني وخروجا على وحدة الصف العربي وخرقا خطيرا لميثاق جامعة الدول العربية ومقررات مؤتمرات القمة العربية. واخراجا لمصر العربية من جبهة الصراع مع العدو الصهيوني الامر الذي يعتبره المؤتمر خدمة كبيرة قدمها الرئيس السادات للصهيونية وللامبريالية الاميركية ومخططاتهما وتكريسا للكيان الصهيوني قاعدتهما واداتهما في المنطقة العربية ·

وقد تدارس المؤتمرون الوضع الراهن بكل ابعاده واستخلصوا ان اهداف المؤامرة ما يلي :

١ ـ تخريب امكانية اقامة سلام عادل ومشرف يحفظ للامة العربية حقوقها القومية ويضمن لها تحرير اراضيها المحتلة وفي مقدمتها القدس ولشعب فلسطين حقوقة الوطنيه الثابتة ·

٢ ـ عزل الامة العربية عن حلفائها واصدقائها فيالقارة الافريقية التي وقفت موقفا تاريخيا الى جانب القضية العربية وفضحت الترابط العضوي بين الكيان الصهيوني والانظمة العنصرية في جنوب القارة الافريقية ·

٣ ـ عزل الامة العربية عن مجموعة دول عدم الانحياز والدول الاسلامية التي تبنت القضية العربية في جميع مراحلها والتزمت بالوقوف الى جانب الكفاح العادل للشعب الفلسطيني ·

٤ ـ الاساءة الى علاقات الصداقة والتعاون بين الدول العربية من جهة وبين الاتحاد السوفياتي ودول المعسكر الاشتراكي من جهة اخرى التي قدمت للامة العربية المساندة والدعم فيصراعها التاريخي ضد العدو الامبريالي الصهيوني ·

٥ ـ تمكين القوى المعادية للامة العربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية من تحقيق مكاسب من شأنها الاخلال بالتوازن الدولي لمصلحة القوى الامبريالية والصهيونية والمساس بالاستقلال الوطني لبلدان اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ·

٦ ـ اقامة تحالف بين العدو الصهيوني والنظام المصري القائم بهدف تصفية القضية العربية وقضية فلسطين وتمزيق الامة العربية والتفريط بمصالحها القومية ·

وادراكا من المؤتمر لطبيعة التحديات الصهيونية والامبريالية الرامية الى اضعاف ارادة التحرير العربية والنيل من الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني التي اكدتها الشرعية الدولية وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير المصير وبناء دولته المستقلة فوق كامل ترابه الوطني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وانطلاقا من واقع المسؤولية القومية والتاريخية فان مؤتمر القمة يقرر ما يلي :

١ ـ ادانة زيارة الرئيس السادات للكيان الصهيوني لانها تشكل خيانةعظمى لتضحيات ونضال شعبنا العربي في مصر وقواته المسلحة ونضال وتضحيات ومبادىء الامة العربية ، والمؤتمر اذ يقدر دور شعب مصر العظيم في النضال القومي للامة العربية ليؤكد ان مصر ليست هي البداية ولا هي النهاية واذا كانت الامة

العربية كبيرة بمصر فان مصر لا تكبر الا بالامة العربية وهي تصغر بدونها ٠

٢ ـ العمل على اسقاط نتائج زيارة الرئيس السادات للكيان الصهيوني ومباحثاته مع قادة العدو الصهيوني والاجراءات التالية لها بما في ذلك اجتماع القاهرة المقترح ويحذر المؤتمر كل من يحاول السير في نفس الطريق اوالتعامل مع هذه النتائج تحت طائلة المسؤولية الوطنية والقومية ٠

٣ ـ تجميد العلاقات السياسية والدبلوماسية مع الحكومة المصرية ووقف التعامل معها عربيا ودوليا وتطبيق قوانين واحكام وقرارات المقاطعة العربية على الافراد والشركات والمؤسسات المصرية التي تتعامل مع العدو الصهيوني٠

٤ ـ يقرر المؤتمر عدم المشاركة في اجتماعات الجامعة العربية التي تعقد في مصر ، كما يقرر اجراء اتصالات مع دول الجامعة العربية لدراسة موضوع مقرها والمنظمات التابعة لها وموضوع عضوية النظام المصري ٠

٥ ـ يحيي المؤتمر الشعب العربي الفلسطيني الصامد في الوطن المحتل بجميع هيئاته الوطنية ومنظماته الجماهيرية التي تناضل ضد الاحتلال والتي رفضت زيارة السادات لفلسطين المحتلة ، كما يحذر المؤتمر من اية محاولة للطعن بشرعية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني ٠

٦ ـ يسجل المؤتمر بارتياح المواقف الاولية للدول العربية التي ادانت الزيارة ورفضت نتائجها ومن موقع المسؤولية وعملا بالتزاماتها وبمقرراتها الجماعية يدعو هذه الدول الى اتخاذ الاجراءات العملية لمواجهة خطورة هذه السياسة الاستسلامية بما في ذلك ايقاف الدعم السياسي والمادي ، كما يدين المؤتمر المواقف المشينة لكل اولئك الذين يشيدون بهذه الزيارة او يؤازرونها ويحذرهم من عواقب سياستهم التخاذلية الانهزامية٠

٧ ـ يناشد المؤتمر الامة العربية على المستويين الرسمي والشعبي تقديم الدعم والمساندة الاقتصادية والمالية والسياسية والعسكرية للقطر العربي السوري باعتباره اصبح يشكل دولة المواجهة الرئيسية وقاعدة الصمود والتصدي لمواجهة العدو الصهيوني وكذلك للشعب الفلسطيني ممثلا في منظمة التحرير الفلسطينية ٠

٨ ـ يحيي المؤتمر شعبنا العربي في مصر الشقيقة خاصة قواه الوطنية والتقدمية التي ترفض السياسة الاستسلامية التي ينفذها النظام المصري باعتبارها تنكرا لتضحيات الشعب وشهدائه واهانة لكرامة قواته المسلحة ٠

٩ ـ وتاكيدا على اهمية العلاقات النضالية والقومية السورية ـ الفلسطينية فقد اعلنت كل من الجمهورية العربية السورية ومنظمة التحرير الفلسطينية تشكيل جبهة موحدة بينهما لمواجهة العدو الصهيوني والتصدي للمؤامرة الامبريالية بكل اطرافها واسقاط كل محاولة للاستسلام ٠ وقد قررت كل من الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

والجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الانضمام لهذه الجبهة باعتبارها نواة لجبهة قومية للصمود والتصدي يتاح للدول العربية الاخرى الانضمام اليها ٠

١٠ ـ ان اعضاء الجبهة القومية يعتبرون العدوان على اي عضو فيها اعتداء على جميع اعضائها ٠٠ ان

المؤتمر وهو يعاهد الامة العربية على مواصلة مسيرة النضال والصمود والتصدي والالتزام باهداف النضال العربي يعبر عن ايمانه العميق وثقته المطلقة بان الامة العربية التي فجرت

الثورات وقهرت الصعوبات وهزمت المؤامرات خلال مسيرة تاريخها النضالي الطويل والحافل بالبطولات لقادرة اليوم على الرد وبقوة على من اساؤوالكرامتها

وهدروا حقوقها وطعنوا تضامنها وخرجوا على مبادىء نضالها وهي على يقين من امكاناتها في التحرير والتقدم والنصر من عند الله · ويسجل المؤتمر ارتياحه للوحدة الوطنية الفلسطينية في اطار منظمة التحرير الفلسطينية ·

حرر في طرابلس بتاريخ ٢٥ ذو الحجة ١٣٩٧ هـ الموافق ٥ ديسمبر ١٩٧٧ م ·

البيان السياسي الصادر عن المؤتمر الشعبي العربي
٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٧

كان المؤتمر قد اقر في جلسته الختامية بيانا سياسيا ووثيقة سياسية · وننشر فيما يلي نص البيان السياسي :

انعقد في مدينة طرابلس في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية في الفترة الواقعة من ٢٥ الى ٢٨ ذي الحجة ١٣٩٧ هـ الموافق ٥ الى ٨ ديسمبر ١٩٧٧ م ، مؤتمر الشعب العربي لجميع التنظيمات السياسية والشعبية والمهنية في جميع اقطار الوطن العربي وعددها :

١ ـ عدد الاقطار : ١٧

٢ ـ عدد التنظيمات السياسية : ٧٢

٣ ـ عدد التنظيمات الشعبية : ١٤٠ ·

ودرس مؤتمر الشعب العربي بجدية ومسؤولية تاريخية الموقف الناشىء عن الزيارة التي قام بها السادات الى الكيان الصهيوني الاغتصابي، في ضوء التحركات الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية والصهيونية والرجعية ،

والرامية الى تصفية القضية الفلسطينية والى العودة بالوطن العربي الى دائرة الهيمنة العسكرية والاقتصادية للامبريالية والصهيونية ، كذلك تصفية الانظمة التقدمية العربية وضرب مكتسبات الجماهير الديمقراطية والاجتماعية والاقتصادية ·

وقد وجد مؤتمر الشعب العربي ان الزيارة التي قام بها السادات لاسرائيل

والمتصلة عضويا بالامبريالية بزعامة الولايات المتحدة وامكاناته الاقتصادية والاستراتيجية والبشرية وتدعيما لوجود الكيان الصهيوني على الارض العربية الفلسطينية وقدراته الاقتصادية والبشرية وفقا لعزلته الدولية وتمكينا له من التوسع في اجزاء اخرى من الارض العربية ، ويرى مؤتمر الشعب العربي ان زيارة من شأنها ان تعزل مصر عن دورها التاريخي في النضال العربي وتطعن الشعب العربي الفلسطيني في ظهره

وهو ما يزال في جحيم المعركة داخل فلسطين المحتلة حيث يستمر الصمودوفي خارجها حيث يتصاعد نضاله في مواجهة مخططات الامبريالية والصهيونية ومؤامرات التصفية ·

وان مؤتمر الشعب العربي ، وعيا منه لهذه الحقائق كلها ، واضطلاعا بمسؤوليته القومية والتاريخية واصرارا مصيريا ثوريا على تحقيق كامل اهداف حركة التحرر الثورية العربية القومية والاجتماعية ، يؤيد تأييدا تاما بيان طرابلس الصادر عن مؤتمر القمة للدول العربية التقدمية التي تتحمل مسؤولية الصمود ودعم المقاومة الفلسطينية ويعتبر البيان وثيقة تاريخية تحدد مسيرة النضال العربي التقدمية الواحدة .

ويحيي مؤتمر الشعب العربي وحدة فصائل الثورة الفلسطينية في اطار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني التي تأكدت خلال مؤتمر القمة : كما يحيي قيام الجبهة القومية الموحدة والتلاحم بين منظمة التحرير والجمهورية العربية السورية ويرى فيه تعبيرا اكيدا على التلاحم بين قوى الثورة العربية لمواجهة العدو الصهيوني والتصدي لمؤامرة الامبريالية واسقاط جميع صيغ الحلول الاستسلامية المطروحة ، تأكيدا لرفض التسويات السياسية واصرارا على التحريركمطلب وحيد للامة العربية تحققه بارادتها وقدراتها الذاتية ·

ويحيي المؤتمر الشعب العربي الفلسطيني الصامد في فلسطين المحتلة بجميع هيئاته ومنظماته الجماهيرية التي تناضل ضد الاغتصاب والاحتلال الصهيوني ·

كما يحذر المؤتمر اي طرف فلسطيني او عربي المساس او التفريط بالحقوق الوطنية التاريخية الثابتة وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير المصير وبناء دولته المستقلة على اي جزء من الارض الفلسطينية يتم تحريره بلا صلح ولا اعتراف ،ولا تفاوض كهدف مرحلي على طريق تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني ·

ويحيي نضال القوى الوطنية التقدمية في مصر التي تواجه العسف والاضطهاد وتقديرا للانتفاضة المجيدة للجماهير المصرية المناضلة في ١٨ و١٩ يناير(كانون الثاني) والتي اعلن فيها الشعب المصري كله رفضه للنظام وقدم مئات الشهداء الذين سقطوا برصاص النظام العميل ، فان المؤتمر يقرر اعتبار يومي ١٨ و ١٩ يناير من كل عام يومي التضامن مع الشعب المصري تقام فيهما المهرجانات والمسيرات والاضرابات والاعتصامات في جميع ساحات الوطن العربي وفي كل موقع صديق لنضال امتنا ·

ويهيب بكل القوى الاشتراكية والديمقراطية الصديقة في العالم بتكريس

هذا التاريخ واعتباره يوما للتضامن مع الشعب المصري وقواه الوطنية والتقدمية المناضلة ·

ويحيي نضال القوى الوطنية والتقدمية في مصر التي تواجه العسف والاضطهاد ويحيي نضالات الجماهير العربية في السودان كما يحيي ويؤكد دعم الجماهير العربية والقوى الشعبية المقاتلة في عمان والبحرين والساقية الحمراء ووادي الذهب وعربستان وغيرها من القوى المناضلة على ساحة الوطن ·

كما يحيي الدول الاشتراكية والقوى التقدمية في العالم التي تناضل ضد الامبريالية والصهيونية وتدعم النضال

العربي وحقوق الشعب العربي الفلسطيني ٠

وقد قرر مؤتمر الشعب العربي مواجهة السادات القيامباجراءات حاسمة ومحاسبة قومية تكون الرد العملي الزاخر على الامبريالية الاميركية وعملائها ومستهدفاتها والصهيونية والرجعية فاتخذ القرارات التالية :

اولا ـ اتخاذ اجراءات فورية ضد مصالح الامبريالية في الوطن العربي والمصالح الاميركية على الاخص خاصة وان تلك المصالح من خلال ما توفره من امكانات اقتصادية ٠

ثانيا ـ بلورةالنضال التحرري الثوري على الساحات العربية والساحة العربية في مصر ودعم قواها الوطنية والتقدمية٠

ثالثا ـ العمل على اتخاذ الاجراءات العملية لمواجهة السادات حتى تكون هذه المواجهة اداة لصد سياسات الاستسلام وايقافها ، وهذا يتطلب من الجماهير والانظمة العربية القومية والتقدمية ان تتخذ الاجراءات العملية حتى تبين للنظام المصري ولكافة الانظمة المستسلمة قدرة الجماهير والانظمة الثورية الحقيقية على اسقاط كافة الحلول الاستسلامية وتطبيقاتها وهذه الاجراءات هي :

١ ـ سحب الاعتراف بالنظام الساداتي ٠

٢ ـ طرد النظام الساداتي من جامعة الدول العربية ٠

٣ ـ نقل مقر الجامعة العربية من عاصمة النظام الساداتي الى قطر عربي اخر ٠

٤ ـ تطبيق قوانين المقاطعة المطبقة على العدو الصهيوني ، على المؤسسات والشركات والهيئات والاشخاص الذين يقيمون علاقات مع العدو الصهيوني ومؤسساته وشركاته ، خاصة بعد ان حول هذا النظام ساحة مصر الى موقع للاحتكارات الصهيونية ٠

٥ ـ العمل على نقل كافة المؤسسات الجماهيرية من نقابات واتحادات وروابط عربية من عاصمة النظام المصري الى اقطار عربية مؤهلة بحكم منطلقاتها القومية الحقيقية والجادة والقادرة على دفع هذه المؤسسات القومية لتكون اداة نضال تحقق طموحات الجماهير العربية في التحرر والوحدة ٠

رابعا :

١ ـ قبول الطلاب الفلسطينيين والعرب في جامعات الدول العربية التقدمية الذين طردهم او يطردهم نظام الخائن السادات من الجامعات المصرية ٠

٢ ـ تكوين لجنة اعلامية تنبثق عن امانة المؤتمر تتولى الايضاح للرأي العام العالمي وبكل وسائل الاعلام اننا طلاب سلام عادل حقيقي وان السلم العادل الوحيد الممكن هو الذي يعيد الحقوق لاصحابها الشرعيين ، وان الصراع لا يدور بيننا وبين اليهود وانما بيننا وبين الصهيونية والحركة العنصرية العدوانية الاغتصابية ٠

٣ ـ ويقرر المؤتمر استجابة لمتطلبات المرحلة الراهنة وتحويل اللجنة التحضيرية لمؤتمر الشعب العربي الى امانة عامة دائمة يكون مقرها مدينة طرابلس وان تتالف الامانة بالتالي من :

١ ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ٠

٢ ـ الجمهورية العربية السورية ٠

٣ ـ الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية ٠

٤ ـ الجمهورية العراقية ·

٥ ـ جمهورية اليمن الديمقراطية ·

٦ ـ منظمة التحرير الفلسطينية ·

٧ ـ الحركة الوطنية اللبنانية ·

٨ ـ القوى الوطنية العربية المصرية·

ويخول المؤتمر الامانة العامةصلاحيات اتخاذ الاجراءات التي ترى ضرورة اتخاذها لمواجهة التطورات والاحتمالات واعتبار جلساتها مفتوحة الى حين انعقاد المؤتمر الثاني ·

ويعتبر وثيقة المؤتمر السياسية منطلق الجهد الفكري والسياسي من اجل بناء الجبهة الشعبية التقدمية الثورية للرد على الهجمة الامبريالية الاميركية الصهيونية الرجعية ·

ويحيي المؤتمر في الختام ثورة الفاتح من سبتمبر العظيم التي حولت الارض العربية الليبية الى قاعدة صلبة للنضال الثوري العربي ومواقفها النضالية الصامدة دفاعا عن الثورة الفلسطينية ودعما لها ، وللقضايا القومية والتحررية في الوطن العربي والعالم ، ويحيي العقيد معمر القذافي ورفاقه، ويشيد بالديمقراطية الشعبية التي اطلقت طاقات الشعب الخلاقة ·

يا جماهير امتنا :

ان الامة العربيين تجتاز فترة حرجة تمتحن فصائلها النضالية المادية والمعنوية وتواجه اشرس واعتى هجمة تشنها الامبريالية الاميركية المتحالفة مع الصهيونية والمرتبطة بها الرجعية العربية، واننا على ثقة ويقين كاملين ان جماهير امتنا التي انتصرت عبر التاريخ على المحن وسحقت مؤامرات الخونة والعملاء لقادرة اليوم ، على الوقوف في وجه التحدي الجديد واحباط مؤامرة تصفية القضية الفلسطينية والقومية ، وقادرة على تحرير الارض العربية المحتلة واستعادة الحقوق المغتصبة ·

فلتتحد كل الصفوف ، وكل القوى في معركة المصير الحاسمة ·

والنصر حليف امتنا·· والخزي والعار للخونة والعملاء ··

● وتضمنت الوثيقة السياسية تحليلا للمرحلة الراهنة التي يجتازها النضال العربي وللعوامل التي أدت الى زيارة السادات الاستسلامية ، وابعادها ومخاطرها على الصعيد المصري والعربي والفلسطيني · وشددت على ادانة مجمل النهج الاستسلامي القائم على الارتماء في مخططات الامبريالية والصهيونية ·

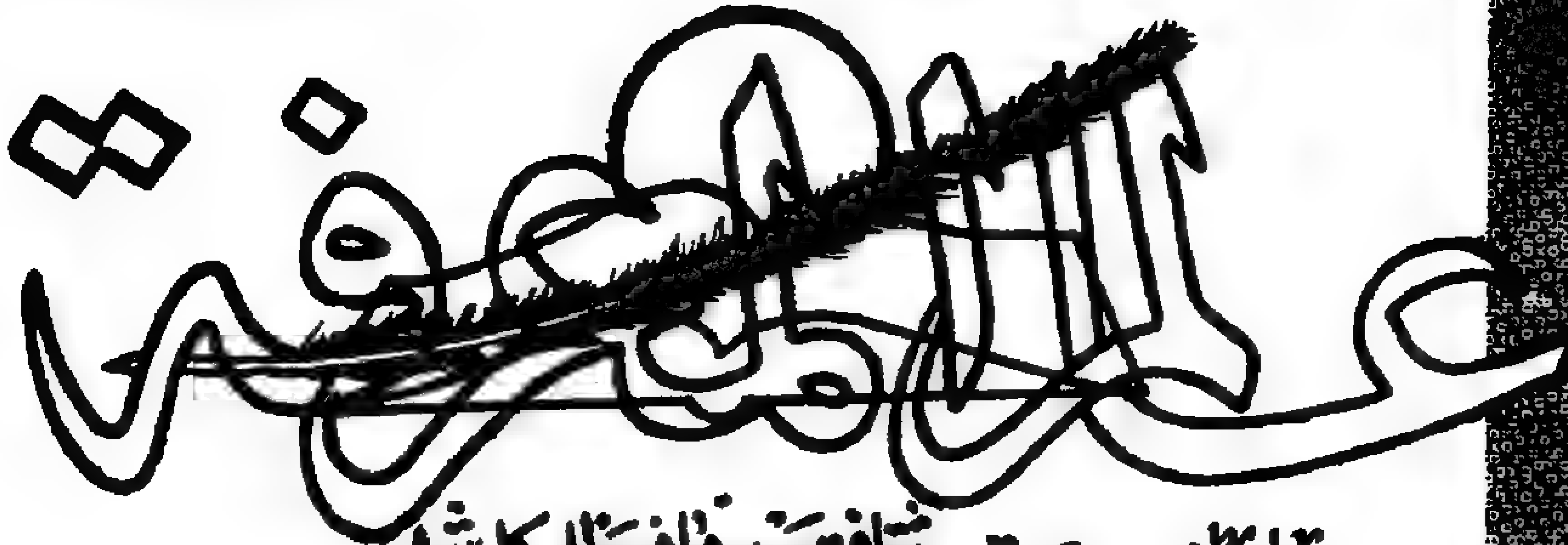
واشارت الوثيقة الى ان المؤتمر قرر اقامة الجبهة القومية التقدمية والتي تضم الاحزاب والتنظيمات السياسية والوطنية والتقدمية والمنظمات الشعبية في مختلف الاقطار العربية ·

وفي اطار مواجهة متطلبات المرحلة الراهنة شددت الوثيقة على تعبئة الجماهير العربية واطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير العربية واطلاق سراح المعتقلين السياسيين ·

كما شددت على دعم نضال المقاومة الفلسطينية ·

ودعت الوثيقة الى توفير كل مقومات الصمود للحركة الوطنية اللبنانية بمختلف قواها الوطنية والقومية والتقدمية لمنع احتلال الجنوب اللبناني والمحافظة على وحدة لبنان وعروبته وقوى الثورة الفلسطينية المتواجدة على ارضه ·

كما اكدت الوثيقة حرص المؤتمر « على دعم تحالفنا المبدئي مع كل قوى التقدم والتحرر في العالم ، منظومة الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي » ·



سلسلة كتب ثقافية يصدرها في مطلع كل شهر

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

- يشترك في تحريرها نخبة من رجالات الفكر في الوطن العربي
- يتناول كل كتاب موضوعاً مستقلاً مؤلفاً أو مترجماً
- تهدف الى مواكبة العصر وربط الماضي بالحاضر والمستقبل
- يصدر الكتاب الأول منها في مطلع يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨م
- الكتاب في حدود ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط

المراسلات باسم
الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب
ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

نشــرة رَصــد
اذاعــة اســرائيـل

اصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ···) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، واخبار المناطق المحتلة حديثا بحيث يسهل على ذوي الشان ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمـة ·

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار ·

وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء ·

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت · أما المشتركين خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ·

يتوجه مركز الابحاث اليكم على امل ان تشتركوا بنسخة او اكثر من هذه النشرة· وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصـة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها أجور البريد : فـي البلاد العربية ١٥٠ ل·ل· ، في اوروبة ٢٥٠ ل·ل· ، في البلدان الاخرى ٤٠٠ ل·ل·

ترسل الاشتراكات الى :
مركز الابحاث ، نشرة الاستماع
ص·ب ١٦٩١ ، بيروت ـ لبنان

محتويات

الصفحة

ملف / تلك الزيارة

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center: *Editor*, Mahmoud Darwish; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria L L 60. other Arab countries L L 75 or equivalent, Europe L L 100 elsewhere L L 125: *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World L L 65. *Address*: P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon: Tel. 351261: Cables: MARABHATH.

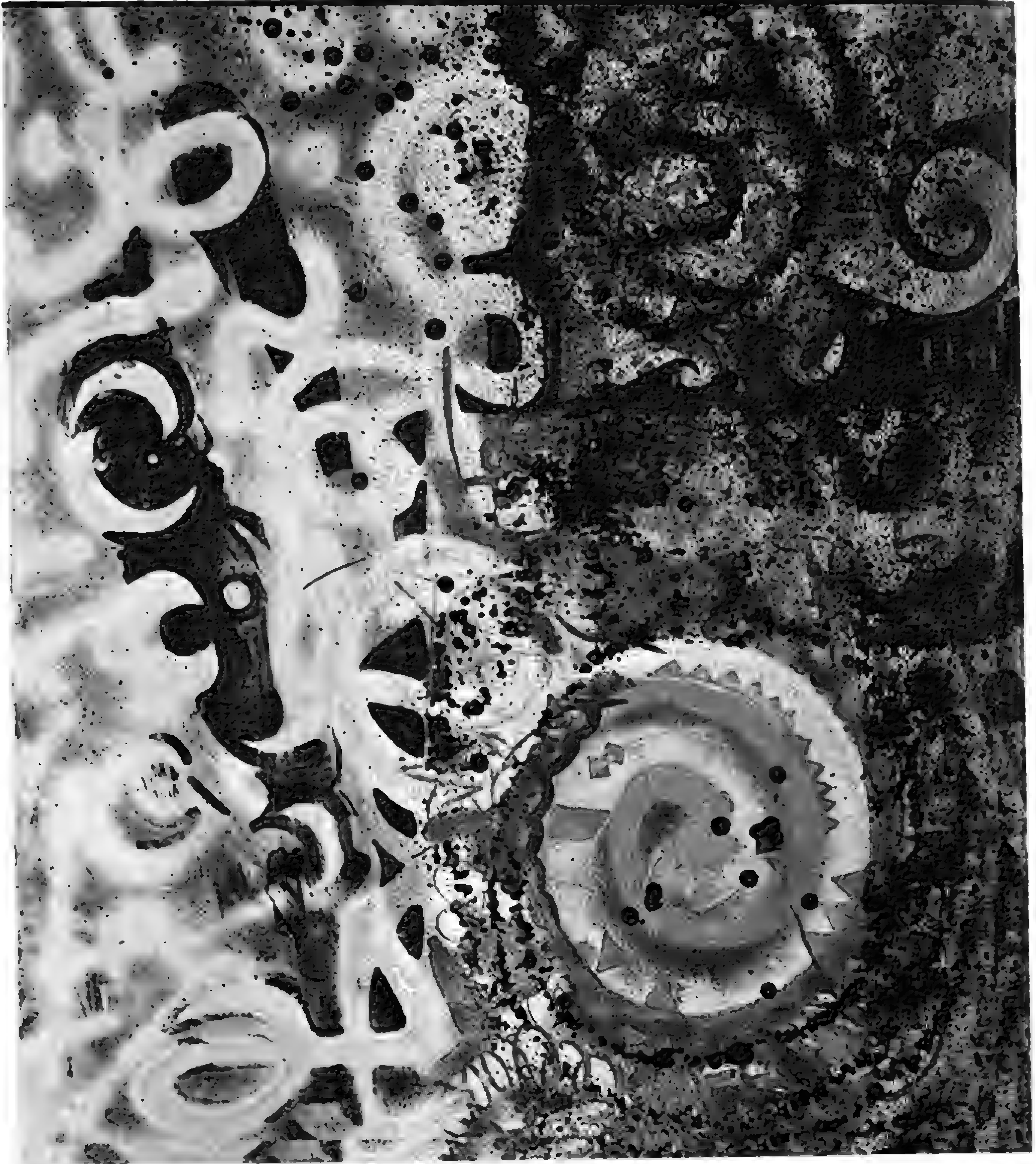
السعر :

١٠ ل٠ل٠ في لبنان
١٢ ل٠ س٠ في سوريا
١٣٠٠ فلس في الكويت والعراق
٢٠ درهما في دولة الامارات العربية
١٢ ل٠ل٠ في سائر الاقطار العربية
١٧٠٠ درهم في ج٠ع٠ل٠

شؤون فلسطينية

٧٦

آذار (مارس) ١٩٧٨



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش
سكرتير التحرير : الياس خوري

٧٦ آذار (مارس) ١٩٧٨

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت ـ لبنان
ص٠ب ١٦٩١ ٠ تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥

برقيا مرابحاث ، بيروت ٠

مدير التوزيع : غازي دانيال

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل٠ل٠ في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل٠ل٠ في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل٠ل٠ في اوروبا ، ١٢٥ ل٠ل٠ في بقية بلدان العالم

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل٠ل٠ في جميع الدول غير العربية ٠

الغلاف للفنان العباني

محتويات

الصفحة

محمود سويد

مبادرة السادات والصراع على ارض التسوية الاسرائيلية

منذ حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ والنشاط السياسي المتعلق بالصراع العربي ـ الاسرائيلي ، يدور على ارض التسوية الاسرائيلية ـ الاميركية ٠ ورحلة السادات الى اسرائيل هي ذروة هذا المسار ، التي يبدأ بعدها خط انحداره ، فقد اختصرت مبادرة السادات الزمن ، واجهزت على السياسة التي انتهجتها بعض الانظمة العربية بعد حرب تشرين ، ووضعت المنطقة على عتبة تاريخ جديد للصراع العربي ـ الاسرائيلي ٠

اولا : مقدمات التسوية الاسرائيلية

١ ـ منطق ١٩٧٣ يبلغ نهايته

منذ حرب تشرين ٧٣ ، وطوال السنوات اللاحقة ، تمكن معظم الانظمة العربية ، بسياسته ، واعلامه ، وطروحات منظريه ، من وضع أوسع قطاعات الراي العام العربي في مناخ ان تلك الحرب أحدثت متغيرات ادت الى قيام ميزان جديد للقوى يحكم الصراع في المنطقة (عسكري ناجم عن انتصار العرب في الحرب ، وسياسي ـ اقتصادي ناجم عن تأثير قوة النفط والمال العربيين في السياسة الدولية) ، وانه في ظل هذا الوضع الجديد ، يمكن تحقيق حل مرحلي قوامه :

ـ انسحاب اسرائيلي من جميع المناطق العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ ٠

ـ اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

هذه التسوية التي بشر بها بعض الانظمة تستوجب على الصعيد العربي :

ـ انهاء حالة الحرب مع اسرائيل ٠

ـ انخراط العالم العربي في المعسكر الراسمالي بزعامة الولايات المتحدة ٠

ـ تقليص حجم الوجود السوفياتي ونفوذه في المنطقة ، ان لم يكن ابعاده عنها ٠

ومن اجل تمهيد الارض امام التسوية الموعودة ، اتخذت خطوات كان ابرزها :

ـ تولي نظام السادات في مصر ، المتجه بخطى متسارعة للانخراط في المعسكر الراسمالي ، الحملة ضد الاتحاد السوفياتي ، والعمل لاقصائه كقوة مؤثرة في الشرق الاوسط ، بدءا باخراجه من مصر ٠

ـ تفجير حرب لبنان ، لالغاء ، او تحجيم ، المكاسب الفلسطينية ، التي توجت بالاعتراف الدولي بالشخصية الفلسطينية المستقلة ، وقيادتها السياسية المتمثلة في م٠ت٠ف٠ (عرفات في الامم المتحدة) ٠

ـ البرهنة على قدرة الانظمة العربية على تقديم خدمات للنظام الامبريالي العالمي في اوروبا وفي افريقيا بما لا يقل عن تلك التي تتولى اسرائيل تقديمها بصورة تقليدية ، في المجالين العربي والافريقي ٠

٢ ـ الازمة الاسرائيلية وصعود بيغن

في سياق المناخ العام الذي ساد المنطقة بعد حرب تشرين ٧٣ ، تم تحقيق اتفاقي فصل القوات في سيناء ، واتفاق واحد في الجولان ، واشتد نضال عرب الضفة الغربية ضد الاحتلال الاستيطاني الاسرائيلي ، وبدا هذا النضال متناغما ومتجاوبا مع مكاسب م٠ت٠ف وتبلور الشخصية الفلسطينية على الصعيدين العربي والدولي ٠

كانت اسرائيل ، في هذا الوقت ، تعاني ازمة سياسية واقتصادية واجتماعية بدأت مظاهرها تتبدى خلال حرب تشرين ، واستمرت بعدها : تحديد مسؤوليات « التقصير » ، استقالة حكومة غولدا مئير ، وصعود الصف الثاني في حزب العمل الى السلطة برئاسة (وليس بزعامة) يتسحاق رابين ٠ وقد اتسمت فترة تولي رابين الحكم ، كما هو معروف ، بالضعف على كل الصعد٠ وافتقدت قيادة حزب العمل ، وبالتالي قيادة اسرائيل ، الزعامة التاريخية القادرة على اتخاذ القرار ، والتصدي للازمات الصعبة ٠ وكان رابين دون مستوى تطلع الاسرائيليين الى استعادة فترة القوة والازدهار الواقعة بين حزيران ١٩٦٧

وتشرين الاول ١٩٧٣ ، خصوصا وانهم اعتبروا ما حصل في حرب تشرين مجرد « تقصير » او « خلل فني » يمكن تداركه ·

كان الاسرائيليون ، وما زالوا ، غير مقتنعين بان حرب تشرين (وخصوصا ما تلاها من تطورات خلال السنوات الاربع الماضية) ادت الى ميزان جديد للقوى يفرض عليهم تنازلات بحجم تلك التي طرحتها السياسة العربية بعد تشرين العربية ، وراحت تضغط من أجل تحقيقها ، متوسلة مساعدة الولايات المتحدة الاميركية على ذلك ·

وفي النصف الاول من العام الماضي تدهورت هيبة السلطة في اسرائيل بصورة متسارعة ، ولم ينفع في انقاذ حزب العمل تولي شمعون بيريس زعامته بدلا من رابين · فقد امتدت الازمة الى كوادره وكتله وفروعه ، فانهك الحزب وتفكك ، وفقد القدرة على القيادة ، وفشل في حل المشكلات الناجمة عن حرب تشرين (الازمة الاقتصادية ، وتفشي الفساد ، وتدني معدل الهجرة ، واستفحال النزوح ، وتساقط المهاجرين القادمين من الاتحاد السوفياتي واصرارهم ـ في فيينا ـ قبل الوصول الى اسرائيل على اختيار الاقامة في بلاد اخرى) ، كما فشل في الملاءمة بين طموح الاسرائيليين وطمعهم في الاحتفاظ بالمناطق المحتلة ، وفي الوقت نفسه فرض السلم الاسرائيلي على العرب ، او ابعاد شبح الضغوط والابقاء طويلا على حالة اللاحرب واللاسلم · وقد اعلنت زعامة حزب العمل الهشة عجزها عن مواجهة الضغط الاميركي قبل ان يقع ، ورفضت الصدام الاسرائيلي ـ الاميركي من حيث المبدأ ، ولم تكن تتصور ان بامكان اسرائيل ان تختلف مع الولايات المتحدة ـ مصدر قوتها الاساسي ·

وكان لجوء الاسرائيليين في الانتخابات العامة الى مناحم بيغن والليكود ، بمثابة معاقبة حزبهم القائد على التفريط بالمسؤولية التاريخية ، ووضع المعارضة ـ السلطة الجديدة ، امام الادعاءات التي طالما رفعتها في وجه السلطة العمالية ·

بدأ بيغن ضعيفا ، على صعيدي الزعامة الشخصية والاكثرية البرلمانية · ولكنه بدأ بخطوات واثقة · فقد اخذ يتصرف على اساس ان الصراع مع الولايات المتحدة لا يرعبه ، وانه يملك من امكانات الفعل في الساحة الاميركية ، اكثر مما تملك ادارة كارتر · ولعل بيغن نفسه كان بين الذين فوجئوا ، فيما بعد ، بان الضغط الاميركي على اسرائيل ، هو مجرد فزاعة ، نمر من ورق · اذ سرعان ما اخذت ادارة كارتر تقدم التنازل تلو التنازل امام الموقف الاسرائيلي ، الذي لم يقدم بدوره ، حتى الآن ، اي تنازل فعلي · وكان لتهافت السادات دور رئيسي في الاستخفاف الاميركي بوزن العامل العربي ، وفي تعنت بيغن وتصليب مواقفه ·

٧

٣ ـ زيارة السادات : اضعاف العرب ، ودعم بيغن

ثمة قناعات عديدة وراء زيارة السادات لاسرائيل ، منها : ما ذكره من ان ٧٠٪ من المشكلة العربية ـ الاسرائيلية ، هي عبارة عن حواجز نفسية ناجمة عن طبيعة الصراع المستمر منذ عشرات السنين ، وعن الحروب ، وما تخلف من حقد وكراهية ٠ ومنها التركيز الاسرائيلي والاميركي على ان تحقيق مطلبي اسرائيل : المفاوضات المباشرة والسلم الكامل ، كفيل بتحقيق المطالب العربية المقابلة ٠ وكان حريا بمبادرة السادات ان ترضي الاميركيين لانها تخرج السوفيات مجددا (اسقاط البيان الاميركي ـ السوفياتي الصادر في ١ـ١٠ـ١٩٧٧) بواسطة اطراف النزاع أنفسهم ، وان ترضي الاسرائيليين لجهة تلبية مطلب المفاوضات المباشرة ، واعتراف اكبر دولة عربية باسرائيل ، وفتح الباب امام تحقيق سلم كامل ٠ ولا شك في ان السادات كان يتوقع ردا ايجابيا فوريا ومباشرا على مبادرته ، يجهض المعارضة العربية لها ، ويبطل حججها ٠

غير ان مبادرة السادات ، التي ادت فورا الى شق الصف العربي ،واضعافه، والحقت ضررا بالغا بالقضية العربية حاضرا ومستقبلا ، ادت في الوقت نفسه الى التفاف الاسرائيليين حول حكومة بيغن وزعامته ٠ وكسبت قيادة بيغن ، بمبادرة السادات ، دعما بارزا على الصعيدين الداخلي والخارجي ٠

داخلياً : ساعدت زيارة السادات على طمس المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي كان على حكومة بيغن ان تتصدى لها فور تسلمها السلطة ٠ وتشكلت حول هذه الحكومة حالة تكتل وطني ، بعد أن وجدت المعارضة الاسرائيلية نفسها ، وهي التي سبق ان دعت العرب للتفاوض على حل اقليمي وسط ، مشاركة الرأي العام الاسرائيلي في دعم بيغن ، وهو يستقبل ، اول مرة في تاريخ اسرائيل ، رئيس اكبر دولة عربية ، جاء يفاوض حكومة « ارض ـ اسرائيل الكاملة » التي تجاهر بالدعوة الى ضم « المناطق المحررة » وتهويدها ، وترفض مبدأ التفاوض على موضوعي القدس وحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية ٠

وفي هذا الصدد ، نقلت صحيفة يديعوت احرونوت (١٥ـ٧ـ١٩٧٧) عن شمعون بيريس ، وهو يرد على دعاة التشديد من هجوم المعارضة على السلطة : « ماذا يعني تصعيد النقاش السياسي مع الليكود ؟ انريد تقسيم القدس؟ انريد النزول من الجولان ؟ بماذا نصعد النقاش ؟ » ٠ ونقلت الصحيفة نفسها بتاريخ ١٧ـ٧ـ١٩٧٧ عن شلومو افينيري ، المدير العام السابق لوزارة الخارجية الاسرائيلية قوله : « يخيل الي انه بدأت تتشكل حكومة تكتل وطني من دون ان يشترك المعراخ في الحكم ٠٠ ان المعراخ ، في مواضيع الخارجية والامن ،يستمر الآن ، كما كان عشية الانتخابات ، منجرا وراء الليكود » ٠

خارجيا : اكسبت الزيارة حكومة بيغن الاحترام والثقة لدى حلفائها ، وعززت مكانة اسرائيل الدولية · بدا بيغن ، من خلال تهافت السادات ، بحجم القادة الكبار ، يأتيه العرب صاغرين ، بعد ثلاثين سنة من المكابرة والعناد · وبدت اسرائيل لحلفائها الدولة الكبيرة القوية التي لا تقهر ، والتي تعرف كيف تتعامل مع اعدائها وتفرض عليهم شروط تسويتها : معظم دول العالم لا يعترف بالقدس موحدة وعاصمة لاسرائيل ، والسادات يكسر بزيارته هذا الحظر · ومعظم دول العالم يتمسك بحق الشعب الفلسطيني في دولة مستقلة ، والسادات يتنازل عن ذلك · أما الولايات المتحدة فيتسع أمامها مجال المراوغة في مسائل الاستيطان والوطن الفلسطيني ، والمشاركة السوفياتية في التسوية · (كان يمكن لمبادرة السادات ان تكسب احترام العالم حقا لو انها جاءت من موقع القوة ، ولو انه عرض على الاسرائيليين السلم وهو قادر على اللجوء الى خيار الحرب) ·

ولعل في فشل السادات في حمل الاسرائيليين على تقديم اي تنازل يحفظ ماء الوجه ، ما يدعو في الظاهر الى الاستغراب · فهو يتحدث الى بيغن من موقع استراتيجية التحالف البعيد المدى ، للسيطرة المشتركة على الشرق الاوسط وافريقيا ، فيرد عليه هذا الاخير ، بالتمسك بحفنة من المستوطنات ، اقيمت في اطراف سيناء · والواقع ان بيغن ينظر الى الامر من زاوية كون اسرائيل حلقة رئيسية في النظام الامبريالي في هذه المنطقة ، بينما يتطلع السادات الى مثل هذا الدور ، ويطمح الى الانخراط فيه ، ويقدم الدليل تلو الدليل على استحقاقه له · ومن هنا يجمع المشروع الاسرائيلي للتسوية ، الى مسألة الامن المركزية ، امتيازات الاقدمية في خدمة النظام الامبريالي والتطلع الى دور الشريك ، والحذر من مخاطر المنافسة ، والخوف من افول نجم اللاعب الاوحد الذي يملأ ساحة الشرق الاوسط ، وتجتذب قدراته كل الانظار ·

ان مشروع التسوية الاسرائيلي في جوهره واحد ، يعكس ميزان القوى الذي فرضته حرب حزيران ١٩٦٧ ، ولا يعترف بمتغيرات حرب تشرين ٧٣ ، ولا يجد في عناصرها (العسكرية والنفطية والمالية) ما يستدعي تغييرا يمس الجوهر ، بل بالعكس ، يفيد من بعض اختبارات الحرب اللبنانية ، فينفض الغبار عن تطلعاته القديمة ، لاحاطة اسرائيل بكيانات طائفية وعنصرية هزيلة ، يستمد بعضها قوته من الكيان الصهيوني نفسه ·

ثانيا : المشروع الاسرائيلي للتسوية

١ ـ مشروع بيغن :

بعد قمة الاسماعيلية ، القى بيغن في الكنيست الاسرائيلي ، يوم ٢٨ـ١٢ـ٧٧ خطابا عرض فيه مشروعه للسلام ، الذي قدمه الى كارتر اولا ، ثم الى السادات

وأهم بنود هذا المشروع هي :

الضفة الغربية وقطاع غزة :

البند ٢ من المشروع : « يقام في يهودا والسامرة وقطاع غزة حكم ذاتي اداري للسكان العرب المقيمين في تلك المناطق ·· »

البند ١١ ــ « يعهد بشؤون الامن والنظام العام في مناطق يهودا والسامرة وقطاع غزة الى السلطات الاسرائيلية » ·

البند ١٤ ــ يمنح سكان « يهودا والسامرة وقطاع غزة » حق الاختيار بين الجنسيتين الاسرائيلية او الاردنية ·

البند ٢٠ ــ « يحق لسكان اسرائيل تملك الاراضي والاستيطان في مناطق يهودا والسامرة وقطاع غزة · ويحق للعرب من سكان هذه المناطق الذين يصبحون مواطنين اسرائيليين ، بناء على حق الاختيار الممنوح لهم ، تملك الاراضي والاستيطان في اسرائيل » ·

البند ٢١ ــ « تشكل لجنة من ممثلين عن اسرائيل والاردن والمجلس الاداري لتحديد انظمة الهجرة الى مناطق يهودا والسامرة وقطاع غزة · وتحدد اللجنة القواعد التي يسمح بموجبها للاجئين العرب خارج يهودا والسامرة وقطاع غزة ، بالهجرة ، بمقدار معقول ، الى هذه المناطق · وتتخذ قرارات اللجنة بالاجماع » ·

البند ٢٢ ــ « تضمن لسكان اسرائيل ويهودا والسامرة وقطاع غزة ، حرية التنقل وحرية النشاط الاقتصادي في اسرائيل ويهودا والسامرة وقطاع غزة » ·

البند ٢٤ ــ « تتمسك اسرائيل بحقها ومطلبها في السيادة على يهودا والسامرة وقطاع غزة · وادراكا منها لوجود مطالب اخرى ، فانها تقترح ــ من أجل الاتفاق والسلام ــ ابقاء مسألة السيادة في تلك المناطق مفتوحة » ·

البند ٢٥ ــ « في ما يتعلق بادارة الاماكن المقدسة للديانات الثلاث في القدس ، يعد ويقدم اقتراح خاص يضمن حرية وصول ابناء جميع الديانات الى الاماكن المقدسة الخاصة بهم » ·

البند ٢٦ ــ « تخضع هذه المبادىء لاعادة النظر فيها ، بعد مدة خمس سنوات » ·

سيناء : وحدد بيغن عناصر التسوية في سيناء ، كما يلي : لا يجتاز الجيش المصري خط متلا والجدي · بين قناة السويس وهذا الخط ، يخفض عدد القوات· تبقى المستوطنات الاسرائيلية في اماكنها وتكون مرتبطة بالادارة والقضاء الاسرائيليين ، وتدافع عنها قوات اسرائيلية · يرابط الجيش الاسرائيلي في وسط سيناء خلال فترة انتقالية ، مع ابقاء مطارات واجهزة انذار اسرائيلية الى ان يتم انسحاب هذا الجيش الى الحدود الدولية · ضمان حرية الملاحة في مضائق تيران (١) ·

اضواء على المشروع

الضفة الغربية وقطاع غزة :

ـ في البند ٢ والبند ١٤ انكار للوجود الوطني والقومي للشعب الفلسطيني ، واعتبار القضية الفلسطينية مجرد مشكلة انسانية « لسكان عرب » عليهم ان يختاروا احدى الجنسيتين الاسرائيلية او الاردنية ٠

ـ شرح بيغن في خطابه (٢) البند ١١ فقال : « اريد ان اعلن ٠٠ ان وجود قوات الجيش الاسرائيلي في يهودا والسامرة وقطاع غزة امر بديهي ٠٠ ان من يريد اتفاقا معنا عليه ان يكلف نفسه القبول بذلك ٠٠٠ وبترتيبات امنية اخرى ٠٠»

ـ وشرح بيغن البند ٢٤ المتعلق بالسيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقال : « لنا حق المطالبة بالسيادة على هذه المناطق من ارض اسرائيل ٠ انها ارضنا ، وهي بالحق ملك للشعب اليهودي » (٣) ٠ ويعتمد بيغن في ابقاء مسألة السيادة مفتوحة على الدينامية الاسرائيلية ، وتكثيف مشاريع الاستيطان في المناطق ، وفرض الضم بعد المرحلة الانتقالية بحكم الامر الواقع ٠

ـ وشرح موشيه دايان ، وزير الخارجية ، في جلسة الكنيست نفسها البند ٢٠ فقال « لا خطر من شراء السكان العرب اراض في اسرائيل (كما ادعى بعض المشتركين في النقاش) حيث ان ٩٢٪ من الاراضي في اسرائيل هي ملكية عامة ، وتحت سيطرة ادارة العقارات ٠ بينما الباقي ، ٨٪ هو ملكية خاصة واصحابها جميعا مستقرون في البلد » (٤) ٠

ـ وتابع دايان شارحا كيفية الحؤول دون اعلان السكان العرب دولتهم المستقلة ، فقال : « بقوة الجيش الاسرائيلي الضاربة ٠٠ والجيش الاسرائيلي سيمنع بالقوة عودة الالاف من اللاجئين الى هذه المناطق » ٠٠ « ان الجيش الاسرائيلي هو القوة الوحيدة التي ستتواجد غربي نهر الاردن ، وحيث يكون ضروريا في يهودا والسامرة وغزة ، من اجل تمكين اليهود من الاقامة هناك »(٥)

سيناء :

ـ في مقابلة مع التلفزيون الاسرائيلي ، قال دايان : « لقد اتخذنا سبلا واضحة ، ليس لضمان بقاء المستوطنات (في مشارف رفح) فحسب ، بل ولحمايتها بايد اسرائيلية ولارتباطها باسرائيل ٠٠ » (٦)

ـ ذكرت الاذاعة الاسرائيلية ، في ٣٠ـ١ـ٧٨ ، ان مصر وعدت بأن تكون المنطقة الواقعة شرقي ممري متلا والجدي منزوعة السلاح ، وبألا تعبر القوات المصرية الممرين الى الشرق (٧) ٠

ـ وطلبت اسرائيل خفض عدد افراد الجيش المصري بعد تحقيق السـلام ٠ وليصبح ذلك ممكنا ، عرضت وضع خبرة الجيش الاسرائيلي وعلمه في تجنيد قوات الاحتياط في خدمة الجيش المصري (٨) ٠ وكان قد جرى الحديث في لقاء الجمسي ـ وايزمن ، وزير الدفاع الاسرائيلي عن « تقليص الجيش المصري وتسريح جزء من القوات النظامية عندما يحل السلام » (٩) ٠

ـ اعلن بيغن يوم ٨ـ١ـ٧٨ انه، اذا رفضت مصر بقاء المستوطنات المدنية في شرقي سيناء ، وفي مشارف رفح ، وعلى امتداد خليج شلومو (شرم الشيخ) فستصر اسرائيل على تغييرات اقليمية على الحدود الدولية ، وفق القانون الدولي وما ينص عليه بشأن الحرب الدفاعية ٠ (١٠)

٢ ـ المشروع البديل : الحل الاقليمي الوسط

على الرغم من ان المعارضة الاسرائيلية (حزب العمل) ايدت مشروع الحل الوظيفي الذي طرحته حكومة بيغن (١١) ، وعلى الرغم من ان هذا المشروع يشكل خلاصة العناصر الايجابية (اسرائيليا) في مشاريع السلام الاسرائيلية (الاستيطان والامن من مشروع آلون ، موقف دايان البراغماتي الذي يعتمد على الدينامية الاسرائيلية وعنصر الزمن لاستيعاب الضفة الغربية وقطاع غزة ، التقسيم الوظيفي بدلا من التقسيم الجغرافي من مشروع بيريس ، المطلب الاساسي لدعاة « ارض ـ اسرائيل الكاملة » : وحدة « ارض اسرائيل » الغربية) ، ويستبعد كل العناصر الاخرى التي تجمع على استبعادها كل قوى المؤسسـة الاسرائيلية الحاكمة : لا تفاوض مع م٠ت٠ف٠ لا عودة الى حدود ١٩٦٧ ، رفض اقامة دولة فلسطينية ورفض الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واعتبار قضيته مسالة لاجئين تحتـاج الى حل انساني على صعيـد اقليمي ، الاحتفاظ بالقدس الموحدة ـ عاصمة لاسرائيل الخ ٠٠ وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة تسعى لادخال الاردن طرفا في المفاوضات الدائرة ، على أساس ان يكون لعرب المناطق المحتلة ، في نهاية الفترة الانتقالية ، حق الاختيار بين الانضمام الى الاردن ، او البقاء تحت سلطة الادارة المشتركة (١٢) ٠ على الرغم من كل ذلك ، يمكن الافتراض بأن الولايات المتحدة تملك الان خيارا اخر ، قد تلوح بـه في وجه سلطة بيغن ، هو امكان اقامة تحالف جديد يتولى الحكم في اسرائيل (من المعراخ وداش ، وربما ايضا حزب الاحرار ، حليف حيروت في الليكود) ويطرح مشروع الحل الاقليمي الوسط ، الذي يقوم على تقاسم الضفة الغربية بين اسرائيل والاردن ٠

ويمكن تلخيص النقاط الاساسية المشتركة في المشاريع العديدة التي تقول بحل اقليمي وسط ، بما يلي : الاتفاق على اجراءات أمن في سيناء (مناطق منزوعـة

السلاح ، محطات انذار الكترونية ، قوات دولية) ، والاحتفاظ بطريق يصل ايلات بشرم الشيخ ، مع وجود عسكري اسرائيلي يحمي حرية الملاحة في مضائق تيران ، والاحتفاظ بحزام المستوطنات في مشارف رفح ، الذي يشكل جدارا واقيا يفصل بين مصر والسكان العرب في قطاع غزة · وبالنسبة الى الضفة الغربية ، يطالب دعاة المشروع بما يلي : تعديل الحدود وضم مناطق محاذية (والبعض يطالب بضم مساحات كبيرة لاغراض الاستيطان اليهودي) ، الاحتفاظ بمواقع للجيش الاسرائيلي في الضفة وعلى نهر الاردن ، عدم السماح بدخول اية قوات اليها والاكتفاء بشرطة محلية فيها ، استمرار الاستيطان اليهودي في المناطق الخالية من السكان ، استمرار علائق التبعية القائمة حاليا بين الضفة واسرائيل (العمالة ، الاسواق ، التبادل التجاري ، استغلال الامكانات الاقتصادية الخ) والابقاء على الجسور مفتوحة على العالم العربي ، الاحتفاظ بالقدس الموحدة عاصمة لاسرائيل · اما قطاع غزة فثمة من يعتبر انه قد تم دمجه باسرائيل وانتهى الامر ، وثمة من يقبل التفاوض بشأنه ·

٣ ـ جوهر المشروع الاسرائيلي

أ ـ تحتفظ اسرائيل ، بموجب مشروع بيغن ، بالارض ، والامن ، وثمار السلام ·

الارض : ضم الضفة الغربية وغزة والقدس ، واقسام متفاوتة الحجم من سيناء ، والجولان ·

الامن : مناطق منزوعة السلاح ، محطات انذار ، قواعد عسكرية اسرائيلية ، احزمة أمن من المستوطنات ·

ثمار السلام : المشاركة في استغلال ثروات سيناء الطبيعية ، خصوصا النفط ، واقامة مشاريع اقتصادية مشتركة مع مصر وغيرها ، بدات الدوائر الاقتصادية الاسرائيلية اعدادها (استغلال طاقة مياه الري ، مد خط سكة حديد الى ايلات نظرا الى احتمالات العلائق التجارية مع افريقيا وآسيا ، درس السوق العربية وامكانات الافادة منها ، اقامة صندوق مشترك لتمويل مشاريع اقتصادية وثقافية، مساهمة التكنولوجيا الاسرائيلية المتطورة في استثمار المصادر الطبيعية العربية الضخمة ، استغلال موقع اسرائيل لاغراض تجارة الترانزيت العربية ، اقامة مركز ذري اقليمي مصري ـ اسرائيلي في سيناء لانتاج الكهرباء وتحلية مياه البحر وانتاج الوقود الذري ، مشاريع نفطية مشتركة في سيناء ، مشاريع سياحية مشتركة الخ) · ويشترط مشروع بيغن لتحقيق السلام الابقاء على العلائق القائمة مع الضفة الغربية وغزة (يد عاملة رخيصة ، سوق لتصريف الانتاج ، ملاءمة اقتصادها لحاجات الاقتصاد الاسرائيلي ، الابقاء على الجسور المفتوحة عبرها

الى العالم العربي) ٠

ب ـ تحتفظ اسرائيل ، بموجب الحل الاقليمي الوسط ، بجزء كبير من الارض (تعيد الى الاردن المناطق المكتظة بالسكان العرب للاحتفاظ بنقاء الدولة اليهودية) وبالامن ، وثمار السلم ، بحسب ما ورد في مشروع بيغن ٠

جـ ـ يتفق المشروعان على :

ـ عدم الانسحاب من جميع المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ٠

ـ عدم التفاوض مع م٠ت٠ف ٠ورفض الدولة الفلسطينية ٠

ـ ملاحقة الشعب الفلسطيني وتصفية قضيته الوطنية ، وتفتيته وتوزيعه في مختلف بلاد العالم ٠ وتعتبر هذه هي القضية المركزية في الموقف الاسرائيلي برمته ٠ وبموجب أية تسوية اسرائيلية ، يمكن تقديم تنازلات ملموسة في سيناء ، شرط تمكين اسرائيل من تحقيق هذا الهدف ٠

د ـ يتيح المشروعان لاسرائيل :

ـ التطور الطبيعي بعد حالة الحصار الطويلة : فتح باب الهجرة من دون أية عوائق ، وتدفق رؤوس الاموال الصهيونية والاجنبية ، والتخلص من الازمة الاقتصادية ـ الاجتماعية المزمنة ؛ المرتبطة بحالة العداء والرفض العربيين وبالمقاطعة العربية ، والانفتاح الاقتصادي على المنطقة العربية وآسيا وافريقيا ٠

ـ نهب الثروات العربية عن طريق توفير اليد العاملة الرخيصة ، والاسوق ، وتوظيف الطاقة التكنولوجية في المجالين العربي والافريقي ، واستغلال المصادر الطبيعية ٠

ـ قمع حركة التحرر العربي ، والتحكم السياسي بمصائر المنطقة العربية ، عن طريق الاحتفاظ بالجيش الاسرائيلي ، القوة الضاربة الرئيسية في المنطقة ، وعن طريق دعم سلطة الانظمة الرجعية والفئات الكومبرادورية ٠

ثالثا : الدور الاميركي

في الوقت الذي تدفع اسرائيل باتجاه انجاز تسوية منفردة مع مصر ، اذا تعذر تحقيق تسوية شاملة بشروطها ، فان الولايات المتحدة تبدو اكثر اصرارا على تسوية شاملة (١٤) ، تقوم على تعديل الموقف الاسرائيلي في موضوعي المستوطنات في سيناء ، بما يسمح بانجاز التسوية مع مصر ، والضفة الغربية ، بما يسمح بادخال الاردن طرفا في المفاوضات على مستقبلها ، وارضاء السعودية باشراك « فلسطينيين معتدلين » في تقرير مستقبلهم ، و « المشاركة تعني ان آخرين سيشتركون ايضا وهم الاردن واسرائيل » ٠

وتكمن وراء الموقف الاميركي هذا ، رغبة في ارساء نظام من الاستقرار في المنطقة يرتكز الى دعائم رئيسية : اسرائيل في الشرق الاوسط او شرقي قناة السويس، مصر في افريقيا ، ايران في الخليج ، ويحتفظ لـ «آخرين » بدور وزير المال الذي لا غنى عنه لترتيب الاوضاع بما يجنب المنطقة (وأهم ما فيها المصالح الاميركية والغربية طبعا) الهزات السياسية والاضطرابات ، ويحول دون تسلل النفوذ السوفياتي اليها ·

اما الموقف الاسرائيلي ، فيستند الى طرح قديم (من أيام بن غوريون حتى رابين ، مرورا بشاريت واشكول ومئير) يركز على اخراج مصر من الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، واثارة الفتن في المشرق وتفتيته الى كيانات طائفية وعنصرية هزيلة · وذكر زئيف شيف ، المعلق العسكري لصحيفة هآرتس، المعروف بصلاته الوثيقة بمصادر القرار السياسي في اسرائيل ، ان التوجيه الاساسي الذي اعطي للوفد الاسرائيلي الى مؤتمر القاهرة هو : دفع المصريين باتجاه عقد تسوية منفردة · « وستتركز خطى الاسرائيليين على هذه المهمة بكل تأكيد » ذلك انه « يجب ان تخرج مصر ، حتى ولو كانت لوحدها ، من دوامة الحرب ، وان تصل الى تسوية مع اسرائيل ·· يجب الا يشرط السادات تسويته بتسويات مماثلة مع دول عربية اخرى ، بل ان يضمن منذ البداية التزام اسرائيل بتنازلات جوهرية لجاراتها الاخريات · وضمن هذا المنطوق تتمتع المصلحة المصرية الاولى ، حتى ولو عرضت بشكل آخر من الناحية التكتيكية او الاعلامية ، وحتى لو اصر المصريون قبل اي شيء على مناقشة القضية الفلسطينية ، او مسألة مرتفعات الجولان » · (٦)

ويبدو ان ادارة كارتر تفضل ، حتى الان ، من أجل التحاق الاخرين بالمفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية ، التلويح بهذا الخيار (تسوية منفردة مع مصر ، دويلات طائفية في المشرق) وليس استعماله ، نظرا الى المخاطر التي ينطوي عليها (عودة السوفيات بقوة الى المنطقة ، اطلاق قوى حركة التحرر العربي ، عدم موافقة السعودية التي لا تفيد شيئا من اخراج مصر من الصراع ، وابقاء القضية الفلسطينية ، بكل ما تنطوي عليه من عناصر تفجير ، في عقر دارها ، عزلة مصر عن العالم العربي وتحمل الولايات المتحدة اعباءها المالية بالاضافة الى العبء الاسرائيلي) · غير ان الولايات المتحدة لا تلوح بهذا الخيار فقط ، على سبيل الضغط ، بل تساعد اسرائيل على استكمال اسبابه وتهيئة ظروفه (ويظهر هذا بشكل بارز في لبنان) ليشكل سيفا مسلطا على رقاب رافضي السياسة الاميركية ، وخيارا عمليا يمكن اللجوء اليه اذا دعت الحاجة ·

وحتى لو تمكنت الولايات المتحدة من حمل اسرائيل على ادخال التعديلات الطفيفة ، المشار اليها اعلاه ، فان المشروع يظل في جوهره لمصلحة اسرائيل والدور الذي تضطلع به في المنطقة ، ولمصلحة ارساء وتدعيم النظام الامبريالي

المعادي لوحدة العرب وتقدمهم وتحررهم · بالاضافة الى انه (المشروع) ينكر ، في كل الاحوال ، سواء في نسخته الاسرائيلية ، ام الاميركية المعدلة ، الوجود الوطني للشعب الفلسطيني ، وحقه في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة ·

رابعا : الخيارات العربية

ثمة اربعة خيارات تغطي الساحة العربية في الوقت الحاضر :

١ ــ موقف السادات والذين يؤيدون مبادرته ·

٢ ــ موقف دعاة التضامن العربي وعقد مؤتمر جنيف والعودة الى مسار التسوية كما كان قبل زيارة السادات لاسرائيل ·

٣ ــ موقف القائلين بأن ميزان القوى الحالي لا يمكن ان يؤدي الى تسوية عادلة ومتوازنة ، وانه من أجل تحقيق مثل هذه التسوية ، لا بد من تعديل هذا الميزان ، في المجال العسكري العربي ، واستخدامه عامل ضغط بالاضافة الى عوامل القوة العربية الاخرى · (والضغط هنا يشمل امكان اللجوء الى الحرب)·

٤ ــ موقف القائلين بالتحرير الكامل ورفض جميع الحلول الوسط ·

هذه المواقف منفصلة ومتداخلة في آن معا · فدعاة التضامن (رقم ٢) ينتظرون ما يشير الى ان بامكان مبادرة السادات تحقيق التسوية المطلوبة لينضموا الى ركبه ، وفي الوقت نفسه ، يفتحون له باب العودة الى صفوفهم اذا فشل خياره (رقم ١) · ويفترض ان يكون السادات مغتبطا بالتصلب العربي ، الذي يدعم مبادرته لدى المفاوضين الاميركي والاسرائيلي ، شرط الا يشق هذا التصلب طريقا آخر مختلفا نوعا · والموقف القائل بالتحرير ، قد يجد في الموقف الداعي الى تغيير ميزان القوى ، خيارا مرحليا على طريق تحقيق الاهداف الشاملة ·

ومهما يكن فان المرحلة التي بلغتها مبادرة السادات ترجح احتمال الغاء الخيارين الاول والثاني ، وتؤكد ان الحل المطروح اساسا من جانب الانظمة (الانسحاب من جميع المناطق المحتلة ، والدولة الفلسطينية المستقلة) لا يمكن ان يتحقق في ظل ميزان القوى الحالي ، ولا بد من تعديل هذا الميزان ، بما يسمح للجانب العربي بخوض حرب تشرين اخرى ، وربما اكثر (مع العلم بأن الحرب المقبلة سوف تشمل استخدام اسلحة اشد تدميرا من اية حرب سابقة ، وقد تصل الى حد استخدام انواع من الاسلحة الذرية) · فالقوى التي تتشكل منها المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة ، بجناحيها ، الحاكم والمعارض ، متفقة على جوهر التسوية ، وبنودها الاساسية ، وهي مدعومة من الرأي العام الاسرائيلي ، والحركة الصهيونية العالمية ، سيما تلك التي تفعل في السلطة

والمؤسسات الاميركية · وهي مدعومة ايضا من النظام الامبريالي العالمي ، بقيادة الولايات المتحدة ، التي تسعى لاخضاع العرب لشروط التسوية الاسرائيلية ، وارضائهم بتنازلات شكلية لا تمس جوهر هذه التسوية ·

ويبدو لنا ان اي تغيير في الموقف العربي ، سيظل محدود الفعالية ، ما لم يعالج مسألتين مركزيتين :

الاولى : الانفصام الكامل بين الشعوب العربية وبين صناعة القرار · هذا الانفصام الذي يطرح ، في المنطقة العربية ، مسائل الديمقراطية ، والمؤسسات الجماهيرية ، الحزبية والنقابية والثقافية والاعلامية · فالجماهير العربية لا علاقة لها بصنع القرار ، وهي لا تدعى الا لكي تتبلغ مجرد العلم والخبر بصدوره ··· وان كان عليها ان تتحمل ، في حياتها ومستقبلها ، نتائجه ·

الثانية : حالة التردي التي اصابت حركة التحرر العربي وتنظيماتها الحزبية وقواها السياسية في مختلف انحاء العالم العربي · فمنذ أفول عبد الناصر وهذه الحركة في تراجع · واذا كانت الانظمة تتحمل قسطا كبيرا من مسؤولية هذا التراجع ، فان الاوضاع البنيوية والسياسية لقوى هذه الحركة تتحمل ، هي الاخرى ، قسطا لا يقل أهمية · وعندما نتحدث عن حركة التحرر العربي وقواها الجماهيرية ، نتطلع اساسا ، الى مركز الثقل فيها : المقاومة الفلسطينية · ان نهوض حركة التحرر العربي ، متعلق الى حد كبير ، بقدرة حركة المقاومة الفلسطينية على ان تحقق الثورة في الثورة · ومن دون ذلك ، فان ليلا طويلا سيسدل ستائره ·

المراجع

(١) النص الكامل لبنود مشروع بيغن ــ نشرة م·د·ف· ١٩٧٨ ، ص ٢٢ ·

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥ ·

(٣) المرجع نفسه ·

(٤) المرجع نفسه ص ٢٩ ·

(٥) المرجع نفسه ·

(٦) هآرتس ١ــ١ــ١٩٧٨ ·

(٧) ر· ا·ا·· ، العدد ١٤٠٤ ·

(٨) الاذاعة الاسرائيلية ١ــ٢ــ٧٨ ــ ر·ا·ا·· ، العدد ١٤٠٦ ·

(٩) معاريف ٢١ــ١٢ــ٧٧ ــ يعقوب ارز ·

(١٠) ر٠١٠١٠ ، العدد ١٣٨٥ ٠

(١١) راجع نشرة م٠د٠ف٠ ١٩٧٨ ، ص ٣٥ ، و ر٠١٠١٠ ، العدد ١٣٥٣ ٠

(١٢) تصريحات لكارتر في اعقاب جولته الاخيرة في بعض بلدان الشرق الاوسط واوروبا ـ النهار ٨ـ١ـ٧٨ ٠

(١٣) نشرة م٠د٠ف٠ ١٩٧٨ ، ص ٤٥ ٠

(١٤) ثمة تصريحات اميركية عديدة بهذا الصدد ، بينها تصريح للرئيس كارتر ـ النهار ٧ـ١ـ٧٨ ٠

(١٥) بيان كارتر بعد اجتماعه بالسادات في اسوان ـ النهار ٥ـ١ـ٧٨ ، وتصريحات بريجنسكي ، النهار ٩ـ١ـ٧٨ ٠

(١٦) هآرتس ١٦ـ١٢ـ١٩٧٧ ٠

١٨

محمد المجذوب

الاعتراف باسرائيل في ميزانية المقايضة

لعل الحدثين المهمين والبارزين في تاريخ الصراع العربي الصهيوني ، اللذين شهدهما العام المنصرم ، كانا :

١ ـ الانتخابات النيابية العامة التي جرت في اسرائيل ، في ١٧ ايار (مايو)، وأسفرت ، لاول مرة منذ انشاء الكيان الصهيوني ، عن انتصار الكتلة اليمينية المتطرفة التي يتزعمها الارهابي العتيق مناحم بيغن ٠

٢ ـ زيارة الرئيس المصري للقدس المحتلة ، التي احدثت انشقاقا في الصف العربي وأدت الى اتخاذ مواقف ، وصدور تصريحات ، وعقد محادثات ثنائية بين المسؤولين المصريين والاسرائيليين ، تتناقض ، في الشكل والاساس ، مع المبادىء القومية التي اعتنقها العرب واتفقوا على الالتزام بها خلال مسيرتهم التحررية ٠

ومن اهم المسائل التي طرحتها الزيارة وما اعقبها من تصرفات ونتج عنها من التزامات مسالة الاعتراف بالعدو الصهيوني ٠ ومع ان الرئيس السادات قد اكد ، في الخطاب الذي القاه ، بعد الزيارة ، في مجلس الشعب المصري ، بانه « لم يترتب على الزيارة اي تفريط في حق قانوني او تاريخي للامة العربية ، ولا زال الوضع القانوني بيننا وبين اسرائيل كما كان قبل الزيارة » (١) ، فان جميع القرائن والوقائع تثبت ان زيارته قد تضمنت اعترافه الفعلي والقانوني بدولة اسرائيل وحكومتها ٠

لقد كان الاعتراف العربي الاول الذي تنشده اسرائيل ، فجاء القرار ٢٤٢ يقايضه بالانسحاب ، ثم جاءت الزيارة تمنحه دون مقايضة او شروط ٠ ولادراك

مدى الخطورة التي تنطوي عليها مسألة الاعتراف لا بد لنا ، في البداية ، من التعرف بايجاز الى موقف القانون الدولي العام من هذا الموضوع ٠

اولا ـ لمحة عن الاعتراف في القانون الدولي العـام

تنشأ الدولة ، من الناحيتين الاجتماعية والسياسية ، باستكمال عناصرهـا الثلاثة : الشعب والاقليم والسلطة السياسية ٠ ولكنها تحتاج الى اعتراف الدول الاخرى بها حتى تستطيع الانضمام الى الاسرة الدولية والتمتع بالشخصيـة الدولية ٠ وقد عرف مجمع القانون الدولي الاعتراف بالدولة بأنه التصرف الحر الذي يصدر عن دولة واحدة او عدة دول للاقرار بوجود جماعة بشرية فوق اقليم معين ، تتمتع بتنظيم سياسي واستقلال كامل ، وبمقدورها الوفاء بالتزاماتهـا الدوليـة ٠

وعلى الرغم من أهمية الاعتراف فان موضوعه ، كما يقول الفقيه لوتر باخت ، يعد حلقة من اضعف الحلقات في القانون الدولي العام (٢) ٠ وموضوع الاعتراف مرتبط بوجود الدولة ، فقبل نشوء الدولة بمفهومها الحديث لم يكن للاعتراف اهمية بالغة في العلاقات الدولية ٠ الا ان اهميته برزت وتضاعفت ، ولا سيما في الاونة الاخيرة ، بسبب ازدياد عدد الدول المستقلة بعد الحرب العالمية الاخيرة ٠ ان عدد الدول المؤسسة لمنظمة الامم المتحدة ، التي اجتمعت في مدينة سان فرنسيسكو في العام ١٩٤٥ ، كان ٥١ دولة ٠ أما اليوم فقـد اصبحت هـذه المنظمة تضم ١٤٩ دولة ٠

اشكال الاعتـراف

والاعتراف بالدولة او الحكومة يمكن ان يتم بأي شكل من الاشكال ، فليس هناك قاعدة ثابتة تحدد الشكل الذي يصدر به الاعتراف ٠

والاعتراف قد يكون فرديا تقوم به كل دولة على حدة ٠ وقد يكون جماعيا يصدر عن عدة دول عن طريق مؤتمر دولي او معاهدة دولية ٠ ويحبذ الفقهاء الدوليون طريقة الأعتراف الجماعي ويرون ان القرار الذي تتخذه الدول بمجموعها يكون اكثر فعالية وضمانا من القرار الفردي ٠

والاعتراف ، في الحالتين ، قد يكون صريحا او ضمنيا ٠ والاعتراف الفردي الصريح هو أبسط انواع الاعتراف وأبعدها عن الجدل ٠ والاشكال التي يرتديها كثيرة متعددة ، منها : صدور اعلان بالاعتراف ، او ارسال مذكرة رسمية مـن وزارة الخارجية ، او ارسال برقية من رئيس الدولة او وزير خارجيتها ، او ابرام معاهدة ثنائية بين المعترف والمعترف به ٠

والاعتراف الفردي الضمني هو تصرف او مجموعة تصرفات تصدر عن دولة معينة تجاه وحدة دولية اخرى ناشئة (او نشأت) وتدل بوضوح على ان نية الدولة الاولى تتجه الى معاملة هذه الوحدة معاملة تتضمن الاقرار بأنها شخص دولي قادر على الايفاء بالتزاماته الدولية ٠ ان مجرد استقبال رئيس الدولة لبعثة رسمية تمثل دولة اخرى يعد اعترافا ٠ ان الاستقبال الرسمي الذي حظيت به بعثة افغانية رسمية من قبل رئيس الولايات المتحدة في العام ١٩٢١ ، قد اعتبر اعترافا اميركيا بدولة افغانستان (٢) ٠

ولعل العنصر الاهم في الاعتراف هو توافر نية الاعتراف لدى الدولة الراغبة فيه ، فأي تصرف صادر عن الدولة او ممثليها لا يمكن ان يفسر بأنه اعتراف ما لم يكن مقرونا بنية صريحة وعلنية تصدر عن السلطات المختصة المسؤولة في الدولة ٠

حرية الاعتراف

والدولة ليست مضطرة الى الاعتراف بكل دولة او حكومة تنشأ ٠ والقانون الدولي العام لا يفرض ذلك على الدول ، لان الاعتراف يدخل في نطاق السلطة التقديرية للدولة المعترفة ٠ فلكل دولة مطلق الحرية في تقدير الظروف والاحوال التي أدت الى ظهور الدولة او الحكومة الجديدة وتحديد موقفها منها بالاعتراف الفوري بها ، او بارجاء الاعتراف ، .او برفضه ٠ ولهذا نلاحظ ان الاعتراف لا يصدر عن جميع الدول في وقت واحد ٠

والاعتراف يخضع للاهواء السياسية والاعتبارات الخاصة ، كما يخضع للمساومات والمناورات والضغوط التي يمارسها الكبار وأصحاب المصلحة والنفوذ ٠ وكثيرا ما تمتنع بعض الدول عن الاعتراف بدولة ما بسبب قيام هذه الدولة على العنف والارهاب ، او بسبب فرضها بالقوة على منطقة معينة من جانب دولة او دول أجنبية ، أو بسبب رفضها الالتزام بالمقررات الدولية ، او بسبب قيامها على اسس ومبادىء تتعارض مع القواعد والاخلاق الدولية ، او بسبب اغتصابها لدولة اخرى او لجزء من اقليم دولة اخرى ٠ فالجمعية العامة للامم المتحدة ، مثلا ، رفضت ، في خريف العام ١٩٦٥ ، الاعتراف باستقلال دولة روديسيا (الذي أعلنه المستوطنون البيض في ١١ـ١١ـ١٩٦٥) بسبب قيام هذا الكيان على سياسة التمييز العنصري ٠ وفي ٢٦ـ١٠ـ١٩٧٦ ، دعت الجمعية الدول الاعضاء فيها الى عدم الاعتراف بدولة (الترانسكاي) التي انشأها اتحاد جنوب افريقية وفرض عليها الالتزام بمبادئه العنصرية ٠

آثار الاعتراف

ويمكننا تلخيص الآثار والنتائج التي يتمخض عنها الاعتراف بأمرين :

١ ـ ان الاعتراف ينهي حالة الشك التي كانت قائمة قبل صدوره • ولعل هذا هو أهم أثر للاعتراف • يقول الفقيه (بريرلي) : « ان المهمة الاولى للاعتراف هي تقبل شيء ما كان محل شك من قبل ، واعتباره حقيقة لا شك فيها • وهذا الشيء هو استقلال الوحدة طالبة الاعتراف وابداء الاستعداد لمعاملتها على هذا الاساس وقبول نتائج ذلك » (٤) • فالاعتراف هو بمثابة شهادة بوجود ظاهرة جديدة في المجتمع الدولي ، هي ظهور الدولة الناشئة بعناصرها الثلاثة وقدرة السلطة السياسية الحاكمة فيها على حفظ السلام ورغبتها في الوفاء بالتزاماتها وتعهداتها الخارجية • وهذا يعني ان الدول التي اعترفت بها تعتبرها أهلا للتمتع بالشخصية الدولية ودخول المحافل الدولية •

٢ ـ ان الاعتراف وسيلة طبيعية ونقطة انطلاق لاقامة علاقات طبيعية بين المعترف والمعترف به • والتجسيد الصادق لذلك هو اقامة علاقات دبلوماسية بين الدولة الناشئة والدول التي سبقتها في الظهور • غير ان هذه العلاقات الدبلوماسية ليست أمرا حتميا او نتيجة ضرورية للاعتراف ، فالدولة المعترفة ليست ملزمة بتبادل التمثيل الدبلوماسي مع الدولة الجديدة التي اعترفت بها • وهذا يعني ان الاعتراف قد يحصل دون ان يكون مصحوبا بالعلاقات الدبلوماسية أو قد يحصل ثم تتخلف عنه هذه العلاقات • لقد اعترفت الهند باسرائيل في ايلول (سبتمبر) ١٩٥٠ ، وبقيت حتى الآن بلا تمثيل دبلوماسي معها (٥) •

وبالاضافة الى هذين الاثرين اللذين ينعكسان على العلاقات التي ستتبادلها الدولة الجديدة مع الدول القديمة ، فان للاعتراف كذلك اثرا رجعيا • وقد أقرت كل المحاكم الوطنية تقريبا ، منذ الحرب العالمية الاولى ، مبدأ رجعية الاعتراف • ورجعية الاعتراف تعني الاعتداد بما صدر عن الدولة المعترف بها من تصرفات سابقة على اعلان الاعتراف • وهذه الرجعية ترتب آثارا على تصرفات صادرة عن الدولة قبل الاعتراف بها • وهذا يعني ان الدولة قبل الاعتراف بها كانت صالحة لصدور تصرفات عنها ، وان هذه التصرفات كانت صالحة لاحداث اثر في الحياة الدولية (٦) •

ولعل مبدأ رجعية الاعتراف هو الحلم العزيز الذي يدغدغ آمال الصهيونيين الذين ما انفكوا ، منذ زرع كيانهم في قلب الوطن العربي ، يلهثون وراء الاعتراف الدولي والعربي بهم ويبحثون عن كل وسيلة او حيلة تمكنهم من الزام العرب بقبول شرعية وجودهم • وقد جاء قرار مجلس الامن ، رقم ٢٤٢ ، ثم زيارة الرئيس السادات للارض المحتلة ، يحققان لهم هذه الرغبة •

ثانيا ـ القرار ٢٤٢ ومقايضة الاعتراف بالانسحاب

قارن الدكتور فايز صايغ (٧) ، منذ سنوات ، بين الوثائق او الجرائم

الثلاث الصادرة في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ، وهي وعد بلفور ، وقرار التقسيم ، والقرار ٢٤٢ ، واستنتج ان أحدثها (اي القرار ٢٤٢) كان أوقحهـا، واكثرها تجنيا ، واشدها خطرا ، لانه فاق ، في تطاوله على الحقوق القوميـة والانسانية للشعب الفلسطيني ، كلا من توصية الجمعية العامة بتقسيم فلسطين، ووعد بلفور بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، ولانه ايضا القى على عاتق الدول العربية « واجب» القبول باسرائيل كدولة ذات سيادة كاملة و « واجب » الاقرار بشرعيتها والتعامل معها على أساس ذلك الاقرار ، ولانه كذلك قضى بقبول العرب قبولا نهائياً باسرائيل كما هي (اي كما كانت عليه عشية حرب ١٩٦٧) ، وقضى بالتالي بالتنازل عن اي مطلب عربي سابق ، بما في ذلك جميع المطالب التي أيدتها الامم المتحدة نفسها ، ومجلس الامن نفسه ، في عشرات القرارات ٠ ولهذا فلا نبالغ ان قلنا ان هذا القرار « شبيه بعفو عام تصدره السلطات في بلد مـا لصالح مغتصب ، دون ان تطالبه بارجاع ما اغتصبه الى اصحابه ، ثم تطالب ذوي الضحية بالمشاركة في التوقيع عليه ! » (٨) ٠

ان اسرائيل التي حرصت ، بالتواطؤ مع الولايات المتحدة ، على استصدار القرار ٢٤٢ والتشبث به فيما بعد (وان كانت الدبلوماسية تقضي بعدم التظاهر بذلك) ، كانت تعلم ان هذا القرار قد قربها من سدة الشرعية في المنطقة العربية اكثر مما فعل اي قرار دولي آخر ٠ لقد صفح عن كافة اعمالهـا الاجراميـة ، واعفاها من اي قيد او التزام مقبل ، وأثلج فؤادها بأمرين : بـالغـاء كـل الضمانات والمكتسبات التي استطاع الشعب الفلسطيني ان يحصل عليها خـلال نضاله الطويل ، وباصدار حكم نهائي غير قابل للاستئناف او التمييز بتصفيـة القضية الفلسطينية تصفية عامة وشاملة ونهائية ٠

ان الولايات المتحدة كانت ، وما تزال ، تعتبر نفسها ملتزمة التزاما كامـلا بوجود اسرائيل وأمنها ٠ وهي لا تدع سانحة تمر دون ان تكرر هذا الالتزام ٠ ومن الامثلة الاخيرة على ذلك ان بيان البيت الابيض الذي صدر لدى ختام زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة قد تضمن تأكيد الرئيس الاميركي علـى « انّ الولايات المتحدة ستبقى أمينة على التزاماتها التاريخية بأمن اسرائيل »(٩)٠ وتأمين سلامة اسرائيل ، أو تامين استمرار وجودها كدولة دخيلة وعميلة فـي المنطقة العربية ، لا يمكن ان يتحقق الا بتأمين قبول العرب بشرعية وجودها وقيام علاقات طبيعية بينها وبين الدول العربية ٠

ايقاع الدول العربية في فخ الاعتراف

وحاولت الولايات المتحدة ، بالتخطيط والتفاهم مع اسـرائيل ، ان تقنـع الدول العربية التي وقع جزء من أراضيها تحت الاحتلال ، بالقبول بالقـرار

٢٤٢ ، فاصطدمت بالعقبات ولم تتمكن في النهاية الا من اقناع دولتين · ولكنها لم تيأس بل عمدت الى ايقاع معظم الدول العربية في الفخ باستدراجها الى التصويت في الجمعية العامة على قرارات تتضمن التأكيد ، وبالتالي الموافقة ، على القرار ٢٤٢ · وكان ذلك « من اكبر الاخطاء الاستراتيجية التي ارتكبتها الدبلوماسية العربية منذ قيام الامم المتحدة » (١٠) · ولعل تبعة هذا الخطأ تقع ، في الدرجة الاولى ، على عاتق الدبلوماسية المصرية التي راحت ، بعد مجيء عهد السادات ، تسعى الى التقرب من الولايات المتحدة والادعاء ان هذه الدولة تملك ٩٩٪ من اوراق الازمة (١١) · وخيل الى أصحاب هذه الدبلوماسية ان افضل طريقة لاسترضاء واشنطن ونيل اعجابها تكمن في الزام العدد الاكبر من الدول العربية بالقرار ٢٤٢ ، فاندفعوا (بحجة الاستعانة بالمنظمة العالمية لممارسة الضغط على اسرائيل واجبارها على الانسحاب) يطالبون باستصدار قرار من الجمعية العامة يؤكد القرار المذكور ·

ففي ٤ـ١١ـ١٩٧٠ ، صدر عن الجمعية العامة قرار ، رقم ٢٦٢٨ ، أعرب عن القلق الشديد الذي يساور الجمعية بسبب عدم تنفيذ القرار ٢٤٢ ، وحث على التنفيذ السريع لهذا القرار ، وأوصى الاطراف بتمديد وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر لكي يتسنى لها الدخول في محادثات تحت اشراف الممثل الخاص للامين العام بقصد تنفيذ القرار المذكور (١٢) ·

وتبنت الجمعية هذا القرار بأغلبية ٥٧ صوتا ، ومعارضة ١٦ ، وامتناع ٣٩ · واقترعت سبع دول عربية لصالحه · وهو قرار يتضمن اعترافا صريحا لا لبس فيه بالقرار ٢٤٢ · والاقتراع هنا لا يمكن تفسيره الا بانه يعني القبول الواضح والتام بالقرار ٢٤٢ ، والالتزام القانوني والادبي بكل احكامه · اما بقية الدول العربية فقد رفضت الاشتراك في الاقتراع واعلنت انها اتخذت هذا الموقف بسبب رفضها القرار ٢٤٢ ·

وفي العام التالي ، وبعد التطورات العميقة والشاملة التي طرأت على السياسة المصرية وعلى موقف الرئيس السادات من مسألة الاعتراف باسرائيل، بذلت الدبلوماسية المصرية جهدا اكبر من أجل جر الدول العربية الى حظيرة القرار ٢٤٢ · وكانت تعتقد ان ارتفاع عدد الدول العربية الموافقة على القرار كفيل بتسهيل مهمة النظام المصري ، الهادفة الى اعادة النفوذ الاميركي الى المنطقة العربية وانهاء حالة العداء مع اسرائيل ·

وفي ١٣ـ١٢ـ١٩٧١ ، صدر عن الجمعية العامة قرار ، رقم ٢٧٩٩ ، اكد اقتناعها بضرورة التطبيق الفوري للقرار ٢٤٢ بكل بنوده ، واعرب عن تأييدها التام لكل الجهود التي بذلها الممثل الخاص للامين العام بغية تنفيذ القرار المذكور ، ودعا « اطراف النزاع في الشرق الاوسط الى التعاون التام مع الممثل

الخاص حتى يتمكن من اتخاذ الاجراءات العملية من أجل :

أ ـ ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة ٠

ب ـ تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ٠

ج ـ ضمان عدم انتهاك حرية اراضي كل دولة من دول المنطقة واستقلالهـــا السياسي » (١٣) ٠

وتبنت الجمعية هذا القرار باغلبية ٧٩ صوتا ومعارضة ٧ ، وامتناع ٣٦ ٠ واقترعت ١٢ دولة عربية لصالح القرار ٠ ولم تعلن ، هذه المرة ، الا دولة عربية واحدة رفضها الاشتراك في الاقتـــراع ٠ وفضلت خمس دول الامتناع عـن التصويت ٠ وبذلك تكون غالبية الدول العربية قد سجلت بصورة رسمية موافقتها على القرار ٢٤٢ والتزامهـــا بمبادئه ٠

وتكرر هذا السلوك في السنوات اللاحقة حتى اصبح الكثيرون يؤمنون بان قرار مجلس الامن هو ، حقا ، العصا السحرية القادرة على اعادة الحق العربي الى اهلـــه ٠

هـدم جدار الرفض العربـي

ان القرار ٢٤٢ قد ركز على امرين اساسيين وربط بينهما ربطا محكمــا : الانسحاب الاسرائيلي ، والاعتراف العربي بالوجود الاسرائيلي ٠ وذهب الى ابعد من ذلك عندما رفع الامرين الى منزلة المبادئ واعتبرهما ، في بنده الاول ، مبدأي سلام ٠ ولهذا فان القرار لا يقضي ، كما توهم البعض وحاول ايهام الغير، بالانسحاب الاسرائيلي فقط ، بل انه يقضي ايضا بهدم جدار الرفض العربـــي لاسرائيل واجراء مقايضة (لا يمكن ان توصف الا بانها خسيسة) بين اسرائيل والدول العربية : الانسحاب مقابل الاعتراف بالعدو والتخلي عن الحق ٠

لقد زعم انصار القرار ٢٤٢ ان كلمة « اعتراف » لم ترد فيه وانه ، بالتالي لا يستوجب اعتراف الدول العربية بعدوها الاسرائيلي ٠ اننا نقر بخلو القرار ، بنصيه الفرنسي والانجليزي ، من هذه الكلمة ، ولكننا نجزم بان مضمونه ، وهو الاساس ، اشمل واعمق من مجرد الاعتراف فيالقانون الدولي العام ٠ ويكفينـا ان نطلع على الفقرة الثانية من ديباجته التي تعلن « عدم جواز حيازة الاراضي عن طريق الحرب ، والحاجة الى سلام عادل ودائم » ، وعلى الفقرة (ب) مـن البند الاول ، التي تتحدث عن السيادة والاستقلال لكل دولة في المنطقة ، حتـى نقتنع بان الركيزة الاساسية في القرار هي وجوب اقرار الدول العربية بالوجود الشرعي لدولة اسرائيل ، ووجوب احترامها لسيادة هذه الدولة وسلامتهـــا

الاقليمية واستقلالها السياسي · ولعل اللورد كارادون ، صاحب الصياغة الماهرة للقرار ٢٤٢ ، قد تجنب عمدا كلمة « اعتراف » ، التي كان يصعب على الدول العربية قبولها آنذاك ، واستبدلها بالنص الذي أشرنا اليه ·

واراد انصار القرار ٢٤٢ تبرير قبولهم به فادعوا ان القبول مناورة تستهدف احراج اسرائيل امام الرأي العام العالمي · ولكن التبرير خاطىء لاكثر من سبب :

١ ــ لان المبادىء والحقوق والعقائد لا تخضع للمساومة او المقايضة · انها ترفض المناورات وتعتبرها لعبة خطرة لا تليق بالشعوب التي تريد ان تعيش بحرية وكرامة ·

٢ ــ لان اسرائيل لا تقيم وزنا للرأي العام العالمي · واذا كانت الامم المتحدة من أهم المنابر التي تجسد هذا الرأي ، فان اسرائيل لم تتورع ابدا عن ابداء استهتارها بهذه المنظمة واحتقارها للقرارات الصادرة عنها (ومنها قرار التقسيم الذي انشأ اسرائيل) · ثم ان للرأي العام العالمي قيمة ادبية فقط لا يستفيد منها الا صاحب الحق المقرون بالقوة ·

٣ ــ لان المناورة التي لجأت اليها بعض الدول العربية (ان اعتبرنا الموافقة على القرار نوعا من المناورة) قد انقلبت عليها وجاءت لصالح عدوها · لقد استخدمت اسرائيل ، من قبل ، كافة الوسائل المتاحة لانتزاع اعتراف العرب بحقها في التملك والوجود في فلسطين ، فأخفقت ، فأتت الموافقة على القرار ٢٤٢ تثبت للملأ اجمع بان انكار العرب (واسرائيل تقول : تنكرهم) لحق اليهود في العودة الى « وطنهم » واقامة كيانهم السياسي فيه ، كان مغالطة باطلة ومتشنجة وواهية لم تقو طويلا على الصمود · وفي نفس الوقت ، اضطرت الانظمة العربية التي ارادت ان تناور الى الاعلان ، في كل مناسبة ، عن استعدادها للاقرار بشرعية الوجود الاسرائيلي لقاء الانسحاب الكامل ، مما جعل العرب يصدقون (لكثرة ما سمعوا من تصريحات رسمية في هذا الصدد) ان الغرض من الصراع في فلسطين لم يكن تحرير الارض العربية المغتصبة وطرد العدو اللدود ، وانما كان خلافا حول اقتسام الارض وتعيين الحدود · وقد أدى كل ذلك الى زعزعة الصمود العربي وتجريد العرب من اعظم سلاح يملكونه في معركتهم ضد الصهيونيين ، وهو سلاح الرفض لشرعية الوجود الاسرائيلي ، الذي اعتبره الاستاذ محمد حسنين هيكل سلاحا « اقوى من الطائرات والدبابات والمدافع » (١٤) ·

بيد ان الزيارة المشهورة قد فلت هذا السلاح المشهور في وجه العدو وغطته بصدأ صفيق · ومن غريب الصدف ، او من سخرية الاقدار ، ان تتم الزيارة في نفس الشهر الذي ارتكبت فيه الجرائم الثلاث الكبرى التي اتينا على ذكرها ·

ثالثا ـ الزيارة وذيولها في حقل الاعتراف

ان هذه الزيارة ، مع كل ما سبقها وما رافقها وما تلاها من مراسلات وتصريحات واجتماعات وزيارات ، تشكل في الواقع والقانون اعترافا بالوجود الاسرائيلي · وقد اقر بذلك كل الباحثين أو السياسيين الذين أتيح لهم ان يدلوا برأيهم في هذا الموضوع ·

قال السيد برجزنسكي ، مستشار الرئيس الاميركي لشؤون الامن القومي ، ان الزيارة تمثل « اعترافا حقيقيا بوجود اسرائيل من قبل احد كبار الزعماء العرب » (١٥) · واعتبر الاستاذ محمد حسنين هيكل ان الرئيس السادات اهدى اسرائيل ، ودون مقابل ، شيئين كانت تطمح منذ قيامها للحصول عليهما : الاعتراف وانهاء حالة الحرب مع مصر (١٦) · ووصف الدكتور ادمون رباط الزيارة « بانها اعتراف ضمني بشرعية وجود الحكومة الاسرائيلية في القدس المحتلة » · وقال بألم : « ان السلاح الاشد فتكا الذي كان بيد العرب ، وهو عدم الاعتراف بشكل رسمي بدولة اسرائيل ، ان هذا السلاح قد اصابه اليوم شيء من الصدأ » (١٧) ·

والغريب ان الرئيس السادات وحده ما زال مصرا ، بعد كل الذي حدث ، على اعتبار ان « الوضع القانوني للقضية » لم يتغير · وعندما يقال له بان مسؤولا اميركيا كبيرا قال للسعوديين ان زيارتك لاسرائيل والقدس تشكل اعترافا بالامر الواقع ، ينتفض ويجيب بحدة : « غلط » ، مؤكدا انه اعلن في مجلس الشعب « انه لم يتغير اي وضع قانوني » (١٨) · وقد استغرب الدكتور رباط اصرار الرئيس السادات على ان تبقى القدس عربية لانه « عندما يقوم بشخصه بزيارة اسرائيل في القدس والمثول والقاء الخطاب الشهير امام الكنيست ، فمعنى ذلك انه سلم بوجود اسرائيل في القدس العربية ، وان القدس لم تعد عربية · فبين الاعلان السياسي والواقع الثابت هوة سحيقة ، وذلك لان العبرة انما هي للافعال وليس للاقوال » (١٩) ·

الاعتراف بالدولة والحكومة

قلنا ان الزيارة تمخضت عن اعتراف مزدوج بالدولة والحكومة الاسرائيليتين والدولة والحكومة ، في القانون الدولي ، امران مختلفان · وللاعتراف بكل منهما مفهوم خاص · الاعتراف بالدولة هو اقرار بظهور دولة جديدة على المسرح الدولي · اما الاعتراف بالحكومة فهو اقرار بوجود سلطة سياسية شرعية قادرة على حفظ الامن والايفاء بالالتزامات الدولية ·

والاعتراف بالحكومة يتضمن دائما الاعتراف بالدولة ، الا ان الاعتراف

بالدولة لا يستوجب دائما الاعتراف بالحكومة ، فهناك حالات كثيرة من الاعتراف بدولة معينة دون الاعتراف بحكومتها • ويحدث ذلك عادة بعد قيام الدولة وتغير الحكومات فيها •

والاعتراف بالحكومة يتأثر ، الى حد كبير ، بالاتجاهات والميول والمصالح السياسية • وكثيرا ما ترفض حكومات معينة الاعتراف بحكومة جديدة بسبب نظامها السياسي ، او عقيدتها الاجتماعية ، او علاقاتها الدولية ، لقد انتظرت واشنطن ، مثلا ، حتى العام ١٩٣٣ ، كي تعترف بحكومة الثورة السوفياتية •

والعرب قد رفضوا ، منذ البداية ، الاعتراف بحق اليهود في انشاء دولة في فلسطين • وعدم اعترافهم بالدولة ينطوي ، حكما وقانونا ، على عدم الاعتراف بالحكومة • والاعتراف بالدولة الاسرائيلية يتضمن تخليا عن حق العرب في الارض المحتلة • والاعتراف بالحكومة الاسرائيلية يتضمن اقرارا بشرعية السلطة الحاكمة في اسرائيل والموافقة على كل ما صدر عنها من جرائم وانتهاكات •

ان الرئيس المصري قد اعلن في الكنيست ان اسرائيل اصبحت حقيقة واقعة اعترف بها العالم ، وانه يقبل العيش معها في سلام دائم وعادل ، وانه يرحب بالاسرائيليين ليعيشوا بين العرب في أمن وسلام • واعترف بحقهم في امتلاك جزء من الارض العربية عندما تحدث عن « المبرر القانوني الاخلاقي » الذي وجدوه « لاقامة وطن قومي على ارض لم تكن كلها ملكا لهم » •

وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده في القاهرة ، في ١٧ـ١٢ـ١٩٧٧ ، قال انه لا يريد شيئا من اسرائيل • وخاطب الاسرائيليين بقوله : « لقد حصلتم على جميع التنازلات التي تريدونها • لقد كانت المنطقة كلها ترفضكم ، ولكن بزيارتي وخطابي ••• اتفقنا على ان تعيشوا معنا في المنطقة ••• » (٢٠) • وفي ٤ـ١ـ١٩٧٨ ، صرح قائلا : « وفي زيارتي للقدس قدمت كل التنازلات التي طلبتها اسرائيل ، وهي قبولها كدولة شرق اوسطية واقامة علاقات على جميع انواع المستويات مع مصر في ظل معاهدة سلام » (٢١) •

وبالاستناد الى ما تقدم يمكننا التأكيد ان الرئيس السادات قد التزم ، فعلا وقولا ، بالاعتراف بالدولة التي انشأتها الصهيونية والامبريالية ، وبالحكومة التي فرضت سيطرتها بالعنف والارهاب وقامت لتنفيذ البرنامج الصهيوني • وهذا الاعتراف الذي التزم به لم يعد قابلا للسحب ما دامت العناصر الموضوعية التي املت عليه الاعتراف قائمة ، وما دامت حكومة اسرائيل ملتزمة بالسياسة التي عرضتها عليه ووافق عليها لدى زيارته ومباحثاته •

ليس بامكانه ، مثلا ، ان يغير رأيه في المستقبل ويتنكر لاعترافه بحجة ان

اسرائيل ترفض الانسحاب ، او التخلي عن القدس ، او قيام دولة فلسطينية ، او تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر جنيف · ان كل هذه الامور لم تعد صالحة لتبرير اي تغيير في موقفه ، فهو أصلا (وهنا يكمن سر الخطأ الكبير الذي اقترنت به الزيارة) لم يشترط عليها التعهد باي شيء من هذا عندما لبى دعوتها · ثم ان حكومة اسرائيل قد أوضحت ، علنا وبمنتهى الصراحة وعلى مسمع منه ، موقفها من هذه الامور ، قبل الزيارة وخلالها وبعدها · واستمرارها في التمسك بنفس الموقف لا يمكن ان يفسر بانه اخلال بما التزمت او وعدت ·

خروج على الاجماع والشرعية

والتزام الرئيس المصري بالاعتراف يتنافى مع الاجماع العربي والشرعية الدولية · فالعرب ، حكومات وشعوبا ، ظلوا ، حتى العام ١٩٧٠ ، يصرون على عدم الاعتراف بالكيان الصهيوني · وفي النصف الثاني من العام المذكور حصل فراق او افتراق بين موقف الجماهير العربية الذي لم يطرأ عليه حتى الآن اي تغيير ، وبين موقف بعض الانظمة العربية التي قبلت بمضمون القرار ٢٤٢ ·

ولكن لماذا يصر العرب على رفض الاعتراف باسرائيل ؟ لماذا ينكرون عليها صفة الشخص القانوني الدولي؟ هل يفعلون ذلك بدافع لا يقره القانون الدولي؟

لو تركنا جانبا كل الحجج والاسانيد التي يثيرها العرب عادة لدعم موقفهم واكتفينا بوجهة نظر القانون الدولي لوجدنا ان الكيان الصهيوني الذي اقيم في فلسطين قد قام منذ البداية على أساس البطلان واللاشرعية ·

ان القانون الدولي العام لا يحفل بمسألة الشرعية الا من خلال انسجامها مع قواعده ومبادئه · ان قيام دولة او حكومة على اساس اللاشرعية الداخلية، اي على اساس مخالفة الدساتير او التشريعات الداخلية ، أمر لا يعنيه · ان القانون الدولي لا يهتم بالتغيرات التي تضيب مقومات الدولة لانها لا تشكل مخالفات لقواعده · انها تشكل انتهاكات للدستور الداخلي ، ولا شأن له باي تشريع داخلي · ان معظم الثورات والانقلابات التي نجحت واقامت حكومات شرعية قد قامت على خرق الدساتير ، فلم يتدخل القانون الدولي في امرها ولم يكن له موقف معين من مسألة شرعيتها ·

ان هذا القانون يبدأ بالتحرك عندما تظهر دولة جديدة على اساس مخالف لمبادئه ، فاذا ما استنجدت به طالبة مباركة ولادتها اعلن رفضه لوجودها ودمغها باللاشرعية · ومع ان هذا القانون اصبح يتبوأ مكانة رفيعة على صعيد العلاقات

الدولية ، فان قواعده ما زالت تتعرض للخرق والانتهاك · وأذا كان الخرق لا يشكل خطرا على وجود القانون ، وخصوصا اذا كان مدعوما بقوة تحميه ، فان الخطر يبدأ عندما يحاول المجتمع اضفاء صبغة قانونية على خرق القانون محاولا تبريره وتكريسه ·

ولهذا فان موقف العرب من مسألة الاعتراف بالكيان الصهيوني ينسجم كل الانسجام مع مذهب عدم الاعتراف في القانون الدولي · فهذا الكيان قد قام على اساسين ، باطلين : قرار التقسيم المشوب بالبطلان لمخالفته احكام الميثاق الاممي ونصوص القرارات الدولية ، ثم الجريمة الدولية التي يشكلها وجود اسرائيل القائم على العقيدة الصهيونية التي اعتبرتها غالبية دول العالم شكلا من اشكال العنصرية ·

لقد واجهت الدول العربية قيام اسرائيل بموقف حازم يقوم على انكار حقها في الوجود فوق ارض عربية ، لان هذا الوجود يشكل ظاهرة استعمارية استيطانية عنصرية توسعية ويرمي ، في نفس الوقت ، الى طمس معالم شعب عربي · وليس بوسع هذه الدول ان تتخذ موقفا مغايرا · ان الانسجام مع النفس او المنطق يقضي بتبني هذا الموقف ، فاعتبار اسرائيل ظاهرة استعمارية قامت على انقاض الحق وأشلاء العدالة وخرق القانون يحتم على الدول العربية رفض الاعتراف بهذا الكيان ·

ثم ان الدول العربية ، باصرارها على رفض الاعتراف ، تمارس عملا من اعمال السيادة الوطنية التي يقرها القانون الدولي ، فالدول ، كما ذكرنا ، ليست ملزمة بالاعتراف باية وحدة سياسية ناشئة ، وخصوصا اذا كان وضعها ينطوي على انتهاك للقوانين والقواعد الدولية والاخلاقية ·

ولعل الرئيس السادات (قبل ان يصبح رئيسا ويستمع باحترام الى النشيد القومي الصهيوني في القدس المحتلة) قد عبر عن شعور العرب عندما وصف اسرائيل بأنها « دولة مجرمة » ، تثير في نفوسنا « بركانا من الغل والثورة والانتقام » ، وعندما ذكر ان قيامها قد جر « مئات من المشاكل التي اصبحت جرحا قوميا للعرب لن يلتئم ابدا الا بزوال هذا السرطان وبتره الى الابد » ، وعندما هزىء برئيس حكومتها (بن غوريون) الذي « ينام ويصحو على أمل واحد هو ان يرغم العرب على الاعتراف باسرائيل كدولة » ، وعندما طمأنه الى انه سيموت دون أن يرى اسرائيل دولة لانها « حكمت على نفسها بالفناء » (٢٢)·

الحواشي :

١ ــ السفير ، ٢٧ـ١١ـ١٩٧٧ ·

٢ ــ

H. Lauterpacht, Recognition in internat. Law, Cambridge 1948, p.3.

٣ ـ

Chen T.C. , The internat. Law of recognition, London 1951, p. 192.

٤ ـ

Brierly J.L. , The Law of Nations, Oxford 1955, p. 131 .

٥ ـ راجع مقال مرزا عن سياسة الهند في حقل الاعتراف ، في مجلة :

A.J.I.L. 1961 , Vol 55 , p. 409 .

٦ ـ د· يحيي الجمل : **الاعتراف في القانون الدولي العام** · دار النهضة العربيـة · القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٢٠٥ و ٢٠٨ ·

٧ ـ **شؤون فلسطينية** ، عدد ١٥ ، نوفمبر ١٩٧٢ ·

٨ ـ المرجع السابق ، ص ٦ ·

٩ ـ **النهار** ، ٩ـ٢ـ١٩٧٨ ·

١٠ ـ د· فايز صايغ ، المرجع السابق ، ص ١٠ ·

١١ ـ كرر الرئيس هذا الادعاء مرات عديدة ، وعلى الرغم من فشله في تحييد واشنطن والتخفيف من شدة تأييدها لاسرائيل ، فانه استمر يردد : « سأظل دائما اقول ان الولايات المتحدة تحمل ٩٩ ٪ من اوراق هذه اللعبة » · **السفير** ، ١ـ٢ـ١٩٧٨ ·

١٢ ـ قرارات الامم المتحدة حـــول فلسطين ١٩٤٧ ـ ١٩٧٢ · مؤسسة الدراسـات الفلسطينية · ص ٨٦ ·

١٣ ـ المرجع السابق ، ص ٩٨ ـ ٩٩ ·

١٤ ـ من مقاله الاسبوعي في **الاهرام** ، ٤ـ٧ـ١٩٧٢ · والمؤسف ان الاستاذ هيكـل قد اسهم ، ببعض الافكار التي نشرها ، في اضعاف هذا السلاح ·

١٥ ـ **السفير** ، ١٩ـ١١ـ١٩٧٧ ·

١٦ ـ مجلة **الاكسبريس** الفرنسية في ٥ـ١٢ـ١٩٧٧ ·

١٧ ـ راجع حديثه لمجلة **الحوادث** في ٣٠ـ١٢ـ١٩٧٧ ·

١٨ ـ من مقابلة له مع **الحوادث** العدد المذكور ، ص ٢٦ ·

١٩ ـ **الحوادث** ، المذكورة ·

٢٠ ـ **السفير** ، ١٨ـ١٢ـ١٩٧٧ ·

٢١ ـ **السفير** ، ٥ـ١ـ١٩٧٨ ·

٢٢ ـ راجع كتابه : **قصة الوحدة العربية** · سلسلة كتاب الهلال · القاهرة ١٩٥٧ ·

حنـــــه شـــاهـين

سـيـاســة ليــكود الاقتصـاديـة الجــديــدة في إســـرائـيـل

ادى التحول السياسي الذي حدث في اسرائيل اثر فوز كتلة ليكود اليمينية في الانتخابات للكنيست في منتصف ايار من السنة الماضية ، وتسلمها زمام الحكم ، الى تحول اقتصادي ايضا ، لم يسبق له مثيل منذ قيام اسرائيل • ويتمثل هذا التحول في اتباع سياسة اقتصادية جديدة تختلف اسسها كليا عن السياسة القديمة التي اتبعت أيام حكم المعراخ العمالي ، وبالتحديد منذ نشوء اسرائيل • وتمثل السياسة الجديدة وجهة نظر اليمين الاسرائيلي في المجالين الاقتصادي والاجتماعي ، التي كان قد تبناها منذ نشوئه في منتصف العشرينات، والتي تعتمد على قواعد الاقتصاد الحر وعدم تدخل الحكومة في المجـــال الاقتصادي ، كأساس لحل مشاكل اسرائيل الاقتصادية المتأزمة • وقد اتضحت بعض جوانب هذه السياسة من خلال تصريحات المسؤولين الجدد في اسرائيل ، بعد تسلمهم الحكم مباشرة ، خاصة وزير المالية وزعيم حزب الاحرار داخـــل ليكود ، سيمحا ارليخ ، الذي يعتبر صاحب التخطيط والقرار في السياســة الاقتصادية الاسرائيلية • ويبدو ان ارليخ يتبنى في أفكاره الجزء الاكبر من اراء الاقتصادي اليهودي الاميركي ميلتون فريدمان ، صاحب نظريات الاقتصاد الحر ، التي لم تقبل في معظم بلدان العــالم الرأسمالي ، وحتى في الولايـات المتحدة • ويبدو ان زيارة فريدمان لاسرائيل بعد الانتخابات الاخيرة مباشرة ، والنصائح التــي قدمها للمسؤولين الجدد ، كان لها وقــع كبير على مفاهيمهم الاقتصادية والاجتماعية ، رغم الضجة الكبيرة التي اثيرت حولها بين القطاعات الاقتصادية المختلفة ، خاصة الهستدروت والعمال •

خلفية السياسة الاقتصادية الجديدة

وجدت حكومة ليكود نفسها ، بعد تسلمها السلطة في مواجهة مشاكل اقتصادية متأزمة ، تتمثل في ارتفاع متصاعد في الاسعار يواكبه ارتفاع في معدلات التضخم المالي بلغت ٣٨٪ في السنة الماضية ، مع انخفاض كبير في قيمة الليرة الاسرائيلية وانفاق حكومي غير انتاجي يؤدي الى زيادة التضخم٠ وواكب ذلك انخفاض وبطء في معدل زيادة النمو الاقتصادي منذ سنة ١٩٧٣ ، حتى وصل الى أقل من ١٪ سنة ١٩٧٦ ، ثم توقف كليا سنة ١٩٧٧ (١) ، بينما ارتفع معدل البطالة ووصلت نسبته الى ٥٪ ٠ أما المشكلة الاساسية التي تواجه الاقتصاد الاسرائيلي فهي العجز في ميزان المدفوعات الذي وصل الى اكثر من ٥ر٣ مليار دولار في سنة ١٩٧٦ ، ثم انخفض الى ٧ر٢ مليار دولار في نهاية سنة ١٩٧٧ (٢) ، وكذلك الديون المتراكمة التي بلغت ٨ر٩ مليار دولار في نهاية سنة ١٩٧٦ وارتفعت الى ٤٢ر١٠ مليار دولار في نهاية سنة ١٩٧٧ (٣)٠ ويضاف الى ذلك عجز مستمر في الميزانية العامة يمول بواسطة طباعة الاوراق المالية بمعدل مليار ليرة اسرائيلية شهريا (٤) ٠

واذا نظرنا الى تطور الاقتصاد الاسرائيلي منذ قيام اسرائيل ، نرى انه مر خلال ثلاثين سنة تقريبا في ازمات مختلفة ، بلغت ذروتها خلال السنوات الاخيرة من حكم المعراخ ، وبالتحديد منذ حرب تشرين ١٩٧٣ ٠ وقد كانت تلك الحرب ، التي اثرت على معظم مجالاتالحياة في اسرائيل ، نقطة تحول في في تطور الاقتصاد الاسرائيلي ، خاصة انها وقعت في وقت كان فيه الاقتصاد العالمي يتعرض لهزات عنيفة ، ادى الى ضعضعة التطور الاقتصادي في اسرائيل بشكل ملحوظ ٠ « فالظواهر التي خلفتها الحرب ، المتمثلة في ارتفاع العجز الجاري في ميزان المدفوعات ثلاثة اضعاف ، ثم مضاعفة استيراد رأس المال ، وزيادة ميزانية الدفاع الى ضعفين ونصف عما كانت عليه ـ والحديث يدور بمليارات الدولارات او الليرات ، التي تشكل نسبا محترمة في مجمل النشاط الاقتصادي ـ لا يمكن الا ان تؤثر على مجرى الانتاج والصادرات والاستهلاك » (٥) ٠ واذا تابعنا تطور الوضع الاقتصادي في اسرائيل منذ نشوئها وحتى استلام ليكود السلطة نرى انه مر في ثمانية مراحل مختلفة (٦) :

١ ـ **فترة التقشف (١٩٤٨ ـ ١٩٥١)** : وتميزت بقدوم اعداد كبيرة من اليهود الى فلسطين حيث ارتفع عددهم ، خلال هذه الفترة ، من ٠٠٠ر٦٥٠ نسمة الى نحو ٠٠٠ر٤٥٠ر١ نسمة ٠ وانحصرت اهداف سياسة الحكومة الاقتصادية انذاك ، أساسا ، في تامين الغذاء والمسكن وايجاد عمل للمهاجرين الجدد ٠ وقد حولت الحكومة نشاطها بواسطة طباعة الاوراق النقدية ، مما ادى بطبيعة الحال الى تضخم مالي سريع ٠ وقد جرى خلال هذه الفترة اول تخفيض في قيمة

الليرة الاسرائيلية (اب ١٩٤٩) من ٢٥ اغوراه للدولار الى ٣٥ اغوراه للدولار (الليرة تساوي ١٠٠ اغوراه) ·

٢ ـ « سياسة اقتصادية جديدة » (١٩٥٢ ـ ١٩٥٣) : تميزت هذه الفترة بوقف طباعة الاوراق النقدية واجراء تخفيض ثان لسعر الليـــرة الاسرائيلية (شباط ١٩٥٢) من ٣٥ اغوراه للدولار الى ليرة اسرائيلية للدولار · ولكن مشكلة البطالة الشديدة بقيت احدى المشاكل الصعبة ، رغم انخفاض معدل الهجرة الى اسرائيل ·

ويعتبر الاتفاق حول دفع التعويضات الذي وقعته اسرائيل مع حكومة المانيـا الذي ساهم بشكل ملموس في دعم الاقتصاد الاسرائيلي ، اهم حدث خلال هذه الفترة · وكان ذلك الاتفاق قد وقع سنة ١٩٥٢ والتزمت حكومة المانيا بموجبه بدفع تعويضات بمبلغ ٨٢٩ مليون دولار الـى الحكومة الاسرائيليـة ، مقابل الممتلكات اليهودية في اوروبا ، التي نهبت في عهد النازيين · وقد دفعت معظم تلك التعويضات على شكل بضائع من انتاج الماني ، ومنحت اسرائيل جزءا صغيرا منها نقدا للحصول على الوقود من خارج المانيا · وبين البضائع التـي حصلت عليها اسرائيل في اطار هذا الاتفاق عدد من السفن ، التي ساعدت على تقوية وتطوير اسطول اسرائيل التجاري ، ومنشئات استثمار اخرى ·

وبالاضافة الى هذه التعويضات بدأت حكومة المانيا الغربية بدفع تعويضات شخصية وبصورة مباشرة لليهود الذين تضرروا من الحكم النازي ، ممن كانوا يعيشون في المانيا او في احدى البلدان التي احتلها الالمان · وحتى سنة ١٩٧٣ بلغت قيمة هذه التعويضات ٤٥ر٢ مليار دولار ، وتم خلال هذه الفترة (أيار ١٩٥٣) التخفيض الثالث لقيمة الليرة ، من ليرة للدولار الى ٨٠ر١ ليـــرة للـدولار ·

٣ ـ **فترة النمو السريع** (١٩٥٤ ـ ١٩٥٩) : قامت الحكومة الاسرائيليـــة باعتماد ميزانيات تطوير ضخمة لتسهيل استيعاب العمال وزيادة الانتاج والدخل للفرد · وفي هذه الفترة انشيء العديد من قرى الاعمار ، التي احتوت على مشاريع صناعية عدة ، في الشمال والجنوب وفي وسط فلسطين · وقد ساعدت التعويضـات التي حصلت عليهـا اسرائيل من المانيـا ، والمساعـدات التـي حصلت عليها انذاك من الولايات المتحدة على دفع عجلة التطوير في اسرائيل ، وانشاء العديد من المصانع ·

٤ ـ **فترة العمالة الكاملة و « السياسة الاقتصادية » الثانيـة** (١٩٦٠ ـ ١٩٦٤) : وتعتبر فترة ازدهار اقتصادي بدون بطالة تقريبا ، مع ظهور مشكلتين اساسيتين : ازدياد فائض الواردات على الصادرات وظهور نسب صرف كبيرة ومعقدة لليرة الاسرائيلية نتيجة نسب الدعم المتفاوتة لبعض فروع التصدير ،

وفرض ضرائب غير موحدة على الواردات · وخلال هذه الفترة جرى التخفيض الرابع لليرة الاسرائيلية (شباط ١٩٦٢) ـ من ١٫٨٠ ليرة للدولار الى ٣ ليرات للدولار ، وذلك من أجل تشجيع الصادرات وخفض الواردات · ولكن رغم ذلك وصل العجز في ميزان المدفوعات في تلك الفترة الى الذروة ـ ٥٧٢ مليون دولار في سنة ١٩٦٤ ·

٥ ـ **سياسة « الانكماش » (١٩٦٥ ـ ١٩٦٧)** : تعتبر هذه الفترة من الفترات الصعبة التي مر فيها الاقتصاد الاسرائيلي· وكان الهدف من سياسة «الانكماش» حل مشكلة العجز في ميزان المدفوعات ، بواسطة خفض سرعة النشاط الاقتصادي وكبح الزيادة السريعة في الطلب الشامل والاستهلاك والواردات ، ثم تحويل موارد اكبر لزيادة الصادرات · وقد نفذت الحكومة الاسرائيلية سياستها هذه بواسطة خفض ميزانية التطوير ، مما ادى الى خفض النشاط الاقتصادي وحدوث بطالة واسعة وصلت الى ١٠٪ من طاقة العمل وقد اتبع بنك اسرائيل سياسة خفض التسليف للجمهور ولارباب العمل · وادت هذه السياسة الى خفض الاستثمارات والانتاج ، وتجميد نسبة الاستهلاك الفردي ، ثم الى انخفاض العجز في ميزان المدفوعات الى ٤٤٥ مليون دولار في سنة ١٩٦٦ · كما انخفض العجز في الميزان التجاري من ٤٥٤ مليون دولار في سنة ١٩٦٤ الى ١٩٥ مليون دولار في سنة ١٩٦٧ · وخلال هذه الفترة جرى التخفيض الخامس في قيمة الليرة (تشرين الثاني ١٩٦٧) ـ من ٣ ليرات للدولار الى ٣٫٥ ليرة للدولار ·

٦ ـ **فترة ما بعد حرب ١٩٦٧ (١٩٦٨ ـ ١٩٦٩)** : ادت نتائج حرب ١٩٦٧ الى عودة الانتعاش الاقتصادي في اسرائيل ، بحيث قضي على البطالة بشكل تام بعد مرور سنتين على انتهاء الحرب · كما ازدادت الاستثمارات وارتفع الانتاج والاستهلاك الفردي والصادرات ، مما ادى ايضا الى ازدياد الواردات التي بلغت قيمتها ، في نهاية ١٩٦٩ ، ٢٫٢ مليار دولار · ولكن على الرغم من زيادة الصادرات فقد ارتفع العجز في ميزان المدفوعات ، وبلغ في نهاية ١٩٦٩ نحو ٩٣٠ مليون دولار ، مقابل ٧٢٠ مليون في نهاية ١٩٦٨ · وقد ادى هذا العجز الى خفض فائض اسرائيل من العملة الصعبة حتى وصل الى أقل من ٤٠٠ مليون دولار في نهاية ١٩٦٩ ، مقابل فائض بقيمة ٩٠٠ مليون دولار بعد حرب ١٩٦٧·

٧ ـ **« صفقة الرزمة » والضغوط التضخمية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٣)** : في محاولة لتصحيح المسار الاقتصادي السابق ، وقع خلال هذه الفترة اتفاق ثلاثي بين الحكومة والهستدروت ، النقابة العامة للعمال ، وارباب العمل ، عرف فيما بعد « بصفقة الرزمة » ، التي التزمت الحكومة بموجبها بعدم رفع الضرائب ، مقابل التزام الهستدروت وارباب العمل بعدم رفع الاجور والاسعار · وجرى في هذه الفترة التخفيض السادس في قيمة الليرة الاسرائيلية (اب ١٩٧١) ، من ٣٫٥ ليرة للدولار الى ٤٫٢ ليرة للدولار · وقد طرأ تحسن على وضع ميزان المدفوعات

وفائض العملة الصعبة نتيجة الحصول على قروض خارجية · ولكن تلك القروض زادت من ديون اسرائيل فوصلت في نهاية ١٩٧٣ الى ١ر٥ مليار دولار ·

٨ ـ حرب تشرين ١٩٧٣ وما بعدها (١٩٧٣ ـ ١٩٧٧) : وهي من اصعب الفترات التي مر بها الاقتصاد الاسرائيلي ، نظرا لتكاليف الحرب الباهظة ، وازدياد نفقات الامن اثر ذلك · ورغم المساعدات الطائلة التي قدمتها الولايات المتحدة لاسرائيل منذ حرب ١٩٧٣ (بمعدل مليار ونصف دولار سنويا ، عدا ٢ر٢ مليار دولار قدمتها بعد انتهاء الحرب مباشرة) والتي ما زالت تدفعها لاسرائيل حتى الان ، فان وضع اسرائيل الاقتصادي يزداد تأزما يوما بعد يوم ، خصوصا في المجالات الثلاثة الاتية : العجز الكبير في ميزان المدفوعات وقيمة الديون الخارجية التي وصلت الى اكثر من عشرة مليارات دولار في سنة ١٩٧٧ ، ثم النسبة الكبيرة للتضخم المالي ، والجمود في النمو الاقتصادي الذي يسود اسرائيل حاليا (كانت معدلات النمو في اسرائيل تصل الى اكثر من ٦٪ للانتاج المحلي السنوي في العام ، ومنذ ١٩٧٣ راح هذا المعدل ينخفض تدريجيا ، حتى وصل في ١٩٧٥ الى ٢٪ فقط ، وفي ١٩٧٦ الى ١٪ ، أما في سنة ١٩٧٧ فهو في حدود الصفر ، كما ذكرنا) (٧) · وقد اتخذت حكومة المعراخ عدة اجراءات اقتصادية خلال هذه الفترة بهدف كبح التضخم المالي السريع وخفض العجز في ميزان المدفوعات ، وذلك بواسطة خفض قيمة الليرة الاسرائيلية للمرة السادسة منذ قيام اسرائيل (تشرين الثاني ١٩٧٤) ، من ٢ر٤ ليرة للدولار الى ٦ ليرات للدولار ، ثم اتباع اسلوب التخفيض الزاحف في قيمة الليرة ، حيث تنخفض قيمتها بنسبة بسيطة لا تتعدى ٢٪ خلال كل شهر او شهرين · وكان الهدف من هذه الاجراءات هو تشجيع فرع الصادرات وخفض الواردات وبالتالي تحسين ميزان المدفوعات · كذلك اتخذت حكومة المعراخ اجراءات اخرى منها فرض ضرائب جديدة ومتنوعة ، وخفض الميزانيات العامة بهدف كبح التضخم المالي السريع ، عن طريق تقليص الطلب وخفض مستوى معيشة الاسرائيليين · الا ان هذه الاجراءات جميعها لم تؤد الى تخفيف حدة اي من مشكلات اسرائيل الاقتصادية التي ازدادت تأزما ، خصوصا خلال النصف الاول من سنة ١٩٧٧ ، وهي الفترة التي سبقت الانتخابات للكنيست ، وذلك بسبب عجز الحكومة الاسرائيلية انذاك عن اتخاذ اية اجراءات رادعة من شأنها ان تثير غضب الاسرائيليين ، الذين كانت تراهن على كسب اصواتهم في الانتخابات · ويشير المراقبون الى ان مشكلات اسرائيل الاقتصادية هذه ، كانت من الاسباب الرئيسية لسقوط المعراخ في الانتخابات الاخيرة وفوز ليكود ·

وقبل التطرق الى سياسة حكومة ليكود الاقتصادية التي بدأ تطبيقها منذ نحو ثلاثة اشهر لا بد ان نشير الى بعض المعطيات شبه الثابتة التي رافقت سياسة المعراخ ، وما زالت متبعة وسارية المفعول في اسرائيل حتى الان ·

(١) الاعتماد على المساعدات الخارجية ، خاصة المساعدات الاميركية ، لتمويل مشاريع اسرائيل المدنية والعسكرية · وقد اعلن وزير المالية ارليخ اثناء زيارته للولايات المتحدة مؤخرا ،ان اسرائيل « تعتمد على الجهات الخارجية حتى بالنسبة الى وجبة الفطور · والاعتماد الاقتصادي يجر الى الاعتماد السياسي ، والطريق السياسي للتوصل الى تسوية في الشرق الاوسط طويل جدا ·· » (٨) · كذلك اعلن رئيس الحكومة بيغن ان اسرائيل تلقت منذ قيامها نحو ٣٥ مليار دولار معونات من مصادر اجنبية ، منها ١١ مليار من يهود العالم مضيفا انه تلقى وعدا من وزير الخارجية الاميركي بعدم خفض المساعدات الاميركية خلال هذه السنة ، بل زيادتها (٩) · والواضح من هذه التصريحات هو ان حكومة اسرائيل الحالية ستواصل اعتمادها على المصادر الاجنبية ، خاصة مساعدات الولايات المتحدة الاميركية، لتمويل مشاريعها المدنية والعسكرية خلال السنوات المقبلة ، تماما كما تصرفت حكومة المعراخ من قبلها ·

٢) الاعباء الامنية : وقد ازدادت ، كما ذكرنا ، منذ حرب ١٩٧٣ ، حيث وصلت في تلك السنة الى نحو ٥٠٪ من ميزانية اسرائيل ، ثم انخفضت تدريجيا فيما بعد ووصلت الى ٣٣٪ من ميزانية ١٩٧٧ · أما نسبتها في ميزانية ١٩٧٨، فستصل الى ٣٠٪ (١٠) · ويتوقع ان تستمر هذه الاعباء طالما ان الوضع الامني في اسرائيل على هذا النحو · وقد اعلن ارليخ مؤخرا : « علي ان احذر من الشعور بأننا نستطيع تخفيض نفقات الامن · رغم كل امالنا وتطلعاتنا نحو السلام ـ علينا الا نتسرع · حتى الان لا يمكننا تخفيض نفقات الامن ابدا ·· [وحتى] عندما نصل الى السلام ، سيضطر جيش اسرائيل الى الانتظام واعداد نفسه لظروف جديدة ـ وهذا ايضا مرتبط بتكاليف باهظة » (١١) ·

٣) العلاقات التجارية مع الدول الغربية : تعتبر علاقات اسرائيل التجارية مع بلدان السوق الاوروبية المشتركة ومع الولايات المتحدة حسنة جدا بعد الاتفاقين اللذين وقعا في عهد المعراخ مع كل منهما · وكانت اسرائيل قد وقعت اتفاقا مع السوق الاوروبية المشتركة في أيار ١٩٧٥ ، منحت بواسطته تسهيلات كثيرة بالنسبة لصادراتها الى دول السوق · كما انها كانت قد وقعت في الشهر نفسه اتفاقا اقتصاديا اخر مع الولايات المتحدة يتعلق بتشجيع الاستثمارات الاميركية في اسرائيل ، ومنح تسهيلات جمة للصادرات الاسرائيلية ، اهمها تامين تزويد اسرائيل بالمواد الخام وخاصة النفط ، وكذلك التعاون في مجال البحث الصناعي التطبيقي (١٢) · ويعتبر هذان الاتفاقان ، وخاصة الاتفاق مع السوق المشتركة ، من أهم انجازات حكومة المعراخ في المجال الاقتصادي ، والتي يمكن للحكومة الحالية ان تستفيد منهما في استغلال الاسواق الاوروبية والاميركية لتصريف البضائع الاسرائيلية في المستقبل ·

وباختصار يمكن القول ان الاقتصاد الاسرائيلي يعتمد على المساعدات الاجنبية

منذ نشأته ، اي انه اقتصاد تابع ، يتحمل اعباء امنية كبيرة ، تؤثر على مجمل نشاطه ونفقاته ، الا انه يتمتع بمجالات عمل واسعة على الصعيد التجاري ، رغم المقاطعة العربية، يمكن ان يستفيد منها في المستقبل في تصريف بضائعه وتشجيع صادراته · وهذه هي الخلفية التي انطلقت منها سياسة ليكود الاقتصادية الجديدة ·

سياسة اقتصادية جديدة مبنية على الاقتصاد الحر

بعد تسلم ليكود السلطة كان واضحا ان تغييرا سيحدث في السياسة الاقتصادية والاجتماعية ، نظرا للاختلاف الكلي بين عقيدة اليمين الاسرائيلي المبنية ، كما ذكرنا ، على تبني اسس الاقتصاد الحر كوسيلة لحل مشاكل اسرائيل الاقتصادية ، وبين عقيدة الاحزاب العمالية التي حكمت اسرائيل منذ قيامها ، والمبنية على توجيه الاقتصاد والتدخل في مساره، بما يتناسب مع وضع اسرائيل سياسيا وامنيا ·

لم تسارع الحكومة الاسرائيلية الى تطبيق سياستها الاقتصادية والاجتماعية الجديدة حالا بعد تشكيلها ، وانما اخذت متسعا من الوقت ، لتهيئة الظروف المناسبة لذلك تدريجيا · فقد واصلت في البداية اتباع سياسة الحكومة السابقة ، واتخاذ مختلف الاجراءات القديمة للحد من تأزم الوضع الاقتصادي وخصوصا كبح التضخم المالي الذي تفاقم ابان حملة الانتخابات للكنيست · استمرت الحكومة في تنفيذ عمليات التخفيض الزاحف لقيمة الليرة ، واتخذت في منتصف تموز الماضي عدة قرارات « لتصحيح المسار الاقتصادي » ، رفعت بموجبها اسعار بعض المواد الخام وتكاليف الخدمات بنسبة ٢٥ ٪ ، كاسعار المحروقات والبريد واجور النقل وغيرها ، وخفضت في المقابل الدعم الموجه لسلع التصدير والمساعدات الاجتماعية والتعليم · وذكر بيغن ان هذه الاجراءات ستعمل على كبح التضخم تمهيدا لخفضه ، وعلى زيادة الصادرات وتقليص الواردات · ولكن النتيجة كانت عكس ذلك ، فالتضخم لم يكبح بل استمر في الارتفاع ليصل الى حوالي ٣٥٪ ، كما لم تتغير اوضاع الركود الاقتصادي وانخفاض الانتاج · وبالنسبة للاستثمارات ، التي كان تشجيعها الهدف الاساسي من وراء تلك الاجراءات ، فأنها لم تزدد بل انخفضت بصورة ملحوظة خلال النصف الاول من سنة ١٩٧٧ · « ويتضح ذلك من الاحصاءات التي نشرها بنك التنمية الصناعية لسنة ١٩٧٦ والنصف الاول من سنة ١٩٧٧. فقد وافق البنك على استثمار ١ر٧ مليار ليرة في مشروعات جديدة خلال النصف الاول من سنة ١٩٧٧ مقابل ٥١٢ مليون ليرة خلال الفترة المقابلة من سنة١٩٧٦ ولكن شركة الكهرباء منحت من ذلك المبلغ ١ر٢ مليار ليرة ، اي ان المبلغ الفعلي هو ٥٠٠ مليون ليرة · اضف الى ذلك ان قيمة العملة انخفضت بنسبة ٣٠٪

خلال هذه الفترة · وهكذا يكون اجمالي الاستثمارات ، التي وافق عليها البنك، اقل بنحو الثلث من الاستثمارات التي اقرت في السنة الماضية » (١٣) ·

وتعتبر اجراءات تموز الاقتصادية بمثابة مقدمة لاعلان سياسة ليكود الاقتصادية الجديدة ، التي اعتبرها الكثيرون في اسرائيل وخارجها بمثابة « ثورة » اقتصادية ستؤثر على حاضر اسرائيل ومستقبلها · وتقوم سياسة ليكود الاقتصادية الجديدة ، التي كانت الحكومة قد اقرتها في جلسة خاصة عقدت يوم ٢٨ـ٢ـ١٩٧٧ ، على الاسس التالية :

١ ـ اجراء تخفيض كبير في قيمة الليرة الاسرائيلية من خلال توحيد قيمة صرفها ·

٢ ـ تعويم الليرة ·

٣ ـ الغاء الرقابة على العملة الصعبة ، بصورة كاملة تقريبا ·

٤ ـ رفع ضريبة القيمة الاضافية (بعد الغاء ضريبة الشراء) وخفض الاعانات الحكومية للمواد الاستهلاكية الاساسية ·

وهذه الاجراءات هي بمثابة حلقة وصل ، لتمهيد الطريق امام تنفيذ السياسة الجديدة ، وكل منها يرمي الى تحقيق اهداف معينة ، من خلال تدارك « اخطاء الماضي » ·

تخفيض الليرة من خلال توحيد قيمة صرفها : حتى اتخاذ هذا الاجراء كانت الليرة الاسرائيلية تصرف رسميا بموجب ثلاث نسب صرف مختلفة · واولى هذه النسب هي تلك التي كانت رؤوس الاموال تنقل الى اسرائيل ، ومنها ، بواسطتها · كما كانت هذه النسبة الاساس لصرف ودائع الجمهور بالعملة الصعبة · وعشية اعلان السياسة الجديدة بلغت قيمة الصرف هذه ٢٨ر١٠ليرة للدولار الواحد · اما النسبة الثانية فهي قيمة الصرف للواردات ، بنسبة ٩٤ر١١ ليرة للدولار ، اي قيمة الصرف الاولى الرسمية بالاضافة الى ١٥٪ ضريبة على الواردات ، وهذه النسبة لا تشمل الجمارك التي تفرض على انواع معينة من البضائع المستوردة ، واما النسبة الثالثة فهي قيمة الصرف للصادرات التي حددت بنسبة واحدة (تقريبا) وهي ٥ر١٤ ليرة للدولار · ومع اعلان عن السياسة الجديدة ، تم توحيد هذه النسب الثلاثة ، فاصبحت ١٥ ليرة للدولار (تخفيض بنسبة ٤٤٪ تقريبا بالمقارنة مع السعر الرسمي) ، مع الغاء ضريبة الاستيراد وخفض الجمارك ، ثم الغاء حوافز التصدير ·

تعويم الليرة : ان الهدف من وراء هذا الاجراء هو اخضاع قيمة صرف العملة الاسرائيلية لقوانين العرض والطلب في السوق ، وجعل قيمة الليرة الفعلية اكثر « واقعية » ، مما قد يؤدي الى تشجيع الصادرات الاسرائيلية

وتحسين ميزان المدفوعات الاسرائيلي ٠

وبما ان هذا الهدف هو اساسي في السياسة الجديدة ، فأن الحكومة الاسرائيلية ، على الرغم من تعويم الليرة ، لا تستطيع ان تسمح بحدوثذبذبات كبيرة في قيمة الصرف ، لان ذلك يناقض مصالحها الاقتصادية في مجالاتتوفير العمالة وخفض العجز في ميزان المدفوعات ٠ ولذلك يتوقع ان يتدخل البنك المركزي ، بايعاز من الحكومة في تحديد قيمة الصرف في سوق العملة الصعبة ٠ وقد اعلن وزير المالية ارليخ : « اننا نتمنى ان تكون ذبذبات الليرة بين زيادة بمعدل ٥٠ اغوراه ، وانخفاض بمعدل ٣٠ اغوراه ، حسب العرض والطلب ٠ اما اذا حدثت قفزات عالية ، فسنعتبر ذلك مضاربة ، وفي استطاعتنا دائما اتخاذ اجراءات فورية ضدها » (١٥) ٠

واوضح مدير عام وزارة المالية عميرام سيفان ما تعنيه هذه الاجراءات بقوله : « ان بنك اسرائيل سيضطر الى التدخل في حال اختلال قيمة الصرف نتيجة التجارة بالاموال ، ولكن ليس نتيجة الصفقات التجارية ٠ فاذا كان الاختلال ناتج عن الثغرة بين الواردات والصادرات فأن البنك لا يستطيع ان يتدخل ٠ اما اذا حدث نتيجة التجارة بالاموال (في السوق السوداء) فعندئذ عليه ان يتدخل » (١٦) ٠

رفع الرقابة على العملة الصعبة : يرمز هذا الاجراء الى التغييرالايديولوجي الاساسي في السياسة الاقتصادية الجديدة ، خاصة وان الرقابة على العملة الصعبة مفروضة في فلسطين منذ سنة ١٩٤١ ، وقد رافقت الاقتصاد الاسرائيلي منذ نشأته ٠ وتعتبر هذه الخطوة خطيرة ، في نظر معظم الاسرائيليين ، بسبب وضع اسرائيل الامني ، وقلة احتياطي العملة الصعبة لدى الخزينة الاسرائيلية ٠ وسينجم عن الغاء الرقابة قيام سوق حرة للعملة الاجنبية في اسرائيل ، ووقف تدخل الحكومة في معظم مجالات التداول بالعملة الاجنبية ، مما قد يؤدي الى تدفق حر للعملة الصعبة الى اسرائيل وبالعكس٠

وبناء على هذه السياسة يستطيع سكان اسرائيل الان ، خلافا للماضي ، الاحتفاظ بالعملة الصعبة في المصارف الاسرائيلية دون تحديد مبلغها ٠ كما يستطيعون الاحتفاظ في مصرف اسرائيل بأي مبلغ حصلوا عليه مقابل تصدير بضائع او اي دخل اخر ٠

ضرائب جديدة مع خفض الاعانات الحكومية : قرر وزير المالية ، ضمن السياسة الجديدة ، رفع نسبة ضريبة القيمة الاضافية بحيث يتوقع ان تدر ملياري ليرة خلال نصف سنة ، مع تخفيض الضرائب الشرائية الاخرى بقيمة مليار ليرة ٠ وبناءا على ذلك رفعت اسعار السلع المستوردة بنسبة ٢٥٪ وما فوق ، والغيت رسوم الاستيراد مثل ضريبة استيراد الخدمات ، مع تخفيض

نسبة الجمارك بـ ٢٠٪ ۰ كذلك خفضت الضريبة الشرائية خاصة على المواد الخام والمواد نصف المصنعة ، والغيت ضريبة السفر الى الخارج مع فرض ضريبة القيمة الاضافية على تذاكر السفر ، والسماح للمسافر بنقل ٣٠٠٠ دولار لدى سفره ۰

اما الخطوة التي تعتبر اشد وقعا على الصعيد الاجتماعي ، ضمن السياسة الجديدة ، فانها تتمثل في بدء خفض الاعانات الحكومية على بعض المواد الاساسية ، بصورة تدريجية ، الى ان تصل نسبة المعونات الى ٢٠٪ من ثمنها، مما سيؤدي الى ارتفاع اسعار هذه المواد ۰ وبناء عليه رفعت اسعار الوقود والكهرباء والمياه بنسبة ٢٥٪ تقريبا ، ورفعت اسعار المواد الغذائية بنسبة ١٥ ـ ١٦٪ ، وزيدت رسوم البريد والبرق والهاتف ، ورسوم التامين بالنسبة لخدمات الموانىء والمطارات وغيرها ۰

اهداف السياسة الاقتصادية الجديدة وامكانية تحقيقها

يتضح من خلال تصريحات المسؤولين الاسرائيليين ـ خاصة وزير المالية ارليخ ومساعديه ـ ان الاهداف الرئيسية للسياسة الاقتصادية الجديدة ، هي ، اولا ، حل مشاكل اسرائيل الاقتصادية التي تراوح في مكانها منذ سنين ، عن طريق جذب رؤوس الاموال اليهودية والاجنبية ، ثم تحقيق الاستقلال الاقتصادي وتحويل اسرائيل الى مركز مالي عالمي في المنطقة على غرار سويسرا في الغرب۰ وكان بيغن قد أعلن بعد انتهاء جلسة الحكومة التي اقرت خلالها السياسة الجديدة ان هذه السياسة هي « خطوة ايجابية وحاسمة من اجل علاج الاقتصاد القومي للدولة ، مشيرا الى انه اصبح بالامكان تقليص الثغرة ، في ميزان المدفوعات وزيادة الصادرات وتقليص الاستيراد ، وبالتالي تقليص اعتماد اسرائيل على المساعدات الخارجية ۰ وزاد انه اصبح في مقدور كل مواطن الان اعادة امواله الى اسرائيل واستثمارها في مشاريع مختلفة ، وان هذه السياسة لا بد ان تؤدي الى زيادة الاستثمارات ، كما يليق بدولة تنتهج النظام الحر » (١٨) ۰ اما ارليخ فأعلن ان النظام الاقتصادي القديم كان « متخلفا ومجحفا وغير مشرف ، حيث اننا نعتمد على صدقات الاخرين ۰۰۰ وجمع التبرعات ۰ اننا نريد ان نعمل وننتج بشرف كشعب خلاق ۰۰۰ وفي وسعنا تحسين وضعنا بحيث لا نعتمد على الغير بالنسبة الى وجبة الفطور ، وانما بالنسبة الى وجبة العشاء فقط » (١٩) ۰

ان السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو كيف يمكن تنفيذ اهداف السياسة الجديدة في وضع اسرائيل الامني والسياسي في الوقت الحاضر ۰ وللاجابة على ذلك لا بد من التطرق الى الوسائل التي تراهن عليها الحكومة الحالية

من اجل نجاح سياستها هذه ، وبالتالي محاولة تقييم احتمالات نجاحهـــا او فشلهـــا :

١ ـ ان اول ما تراهن عليه الحكومة الاسرائيلية في سياستها الاقتصاديـة الجديدة هو جذب الاستثمارات اليهودية والاجنبية في ظل سياسة الانفتـــاح الكلي وازالة الرقابة على العملة الصعبة والاجراءات الاخرى التـي كانـــت تشكل رادعا امام المستثمرين ٠ ان الاستثمار الخارجي والداخلي هو الوسيلة الرئيسية ، في نظر المسؤولين الاسرائيليين ، لعودة استئناف النمو الاقتصادي المتوقف تقريبا ، والقضاء على البطالة ٠ الا ان هذا يتوقف على امرين اساسيين اولهما يتعلق بربحية الاستثمارات الجديدة ومنع اتساع الطلب المحلي ، والثاني بوضع اسرائيل الامني ، خاصة بالنسبة الى المستثمرين الاجانب ٠ وهاتـــان النقطتان تشجعان على جذب المستثمرين من الخارج ، رغم ادعاءات وزيـــر المالية الاسرائيلي ، بان الاستثمارات ستتدفق على اسرائيل في ظل السياسـة الجديدة ٠ والمراهنة على توسيع الاستثمارات كحل اساسي لاعادة دفع عجلة التنمية لا مكان لها في وضع اسرائيل الحالي ٠

٢ ـ تؤكد وزارة المالية ان السياسة الجديدة ستؤدي الى تحسين العجز في ميزان المدفوعات في اسرائيل ، الذي بلغ حتى نهاية سنة ١٩٧٧ ٦ر٢ مليـــار دولار (انخفض بـ ٧٠٠ مليون دولار عما كان عليه في سنة ١٩٧٦ ٠ وقد نفى وزير المالية ان يكون هذا ناتج عن تحسن في وضع اسرائيل التجاري ، وانمـا بسبب تأخير بعض المشتريات في وزارة الدفاع (٢٠) ، وذلك بواسطة تقويـة الصادرات وخفض الواردات ٠ ولكن هذا الهدف لن يتحقق على المدى القصير على الاقل ، بسبب المصاعب الكثيرة التي تعاني منها الصناعة المعدة للتصدير، وهي المصاعب التي ازدادت اثر تطبيق السياسة الجديدة ٠ فقد اعلن بنـــك اسرائيل ان بعض الفروع الصناعية ، التي تنتج نحو ٣٧٪ مـــن مجمـــوع الصادرات الصناعية ، قد وجدت نفسها بعد بدء تطبيق السياسة الجديدة ، في وضع سيء من ناحية قيمة الصرف الفعلية بالنسبة للصادرات ، بالمقارنة مـع وضعها قبل ذلك ، حيث انخفضت ارباحهـا بنسب تصـل الى ٢ر٥٪ (٢١) ٠ والسؤال هو هل تسكت الحكومة على هذا الوضع ، خاصة ان نجاح سياستها متوقف على تحسين ميزان المدفوعات عن طريق زيادة الانتاج المعد للتصدير ؟ امام الحكومة ثلاثة احتمالات ، اولها عدم اتخاذ اي اجراء ، بحيث تترك هذه المصانع (التي لا تستطيع التصدير حسب قيمة الصرف الحالية ، وهي ١٥ ليرة للدولار) وشانها ، فاما ان يتحسن وضعها الانتاجي او تقفل ٠ ولكن اقفال تلك المصانع لا يبدو امرا بسيطا ، بسبب دورها في التصدير الصناعي وفي تشغيـل الايدي العاملة ٠ ومثال على ذلك صناعة النسيج (وتشكل منتوجاتها نحـــو ٦ر١٦٪ من الصادرات الصناعية) وهي مركزة في مناطق الاعمار وتستخـدم

نحو ٦٦ الف عامل · وهذه الصناعة حتى لو كان امامها فرصة لتحسين وضعها ، فانها لا تستطيع ذلك على المدى القصير · وهناك ايضا ، مثلا ، الصناعة الكيماوية (٧ر١٥٪ من الصادرات) ، التي استثمرت اموالا طائلة في شراء معدات حديثة ، ولكنها لا تستطيع تحقيق اي ربح بموجب قيمة الصرف الحالية · وكان ابراهام شفيط رئيس اتحاد الصناعيين قد اعلن أن هناك ٢١ فرعا من فروع الصناعة الراكدة ، التي تواجه مشكلات مستعصية ، ولا بد من تصفيتها · وفي مثل هذا الوضع ، يبرز الاحتمال الثاني القائم بالنسبة للحكومة وهو ايجاد سبل مختلفة لتقديم مساعدات لتلك الفروع الاقتصادية ، رغم ان ذلك يتعارض بالطبع مع سياستها بالامتناع عن التدخل في النشاط الاقتصادي · اما الوسيلة الثالثة فهي رفع قيمة الصرف اي اجراء تخفيض آخر في قيمة الليرة، حتى ١٦ ليرة للدولار كحد ادنى ، مثلا وفي استطاعة بنك اسرائيل تنفيذ هذا الامر بايعاز من الحكومة كما ذكرنا سابقا · الا ان هذا الاجراء يتطلب سياسة كبح شديدة لانه سيؤدي الى زيادة ارباح اصحاب رؤوس الاموال والودائع الاجنبية ، والى زيادة في الاسعار كما يحدث في كل مرة تقدم فيها الحكومة الاسرائيلية على اجراء من هذا النوع ، وبالتالي ازدياد التضخم المالي · وهذا يتعارض واهداف السياسة الجديدة · ولكن على الرغم من ذلك ، تستطيع الحكومة الاسرائيلية منع هذا التدهور بواسطة اتباع سياسة مالية وضريبية كابحة تؤدي الى عدم اتساع الطلب المحلي · وقد اتخذت بالفعل بعض الاجراءات ، في هذا الصدد ، اثناء تطبيق السياسة الجديدة ، منها منع التسليف ، حيث اعلن بنك اسرائيل تجميد التسليف المصرفي لثلاثة اشهر ، بالاضافة الى رفع ضريبة القيمة الاضافية وخفض الاعانات الحكومية · الا ان هذه الاجراءات تعتبر غير كافية بالمقارنة مع الضغط التضخمي الذي نتج اثر بدء تطبيق السياسة الجديدة ·

ان النتيجة الواضحة المترتبة على هذا الوضع هي ان الصناعة الاسرائيلية المعدة للتصدير لا يمكن ان تزيد من انتاجها على المدى القصير ، خاصة وانها تعاني ، بالاضافة الى عدم تمكنها من الحصول على مردود اضافي نتيجة السياسة الجديدة ، من نقص في الايدي العاملة · وكان « عدد المستخدمين في الصناعة قد بلغ سنة ١٩٧٦ ، ٨٠٠ر٢٧٣ عامل ، مقابل ٤٠٠ر٢٧٤ عامل في سنة ١٩٧٥ ، اي اقل بـ ٦٠٠ عامل ، على الرغم من قفزة التنمية السريعة خلال هاتين السنتين ·· وحمل هذا النقص العديد من المصانع على الاعتماد ، بصورة مطلقة ، على العمال من المناطق المحتلة ··· والاعتماد على الطاقة البشرية ، التي استنفذت في المناطق ، اشد خطرا من مجرد النقص في الطاقة البشرية ، لان هؤلاء العمال لا يأتون الى العمل في اوقات التوتر الامني » (٢٣) · كذلك اكد محافظ بنك اسرائيل ان الطاقة البشرية في الخدمات العامة سجلت زيادة

٤٠ الف شخص خلال الفترة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٦ ، اي بنسبة ١٢٠٪ من الزيادة في الطاقة البشرية في فروع الانتاج ·· « وهذا يعني ان الخدمات العامة استوعبت عاملين تركوا فروعا اخرى كالبناء ، بينما لم يزدد عدد العاملين في الصناعة ابدا » (٢٤) ·

اما على المدى البعيد فأن تقوية الصناعة وزيادة انتاجها مرهون بعدة امور اهمها زيادة الاستثمارات ، وزيادة ربحية الصادرات ثم ايجاد طاقة بشرية ملائمة ، وهذه الامور غير متوفرة حتى الان · ورغم الاتفاق مع السوق الاوروبية المشتركة ، والتسهيلات التي تمنحها الولايات المتحدة ، فأن الصناعة الاسرائيلية ما زالت تراوح في مكانها ، متأثرة بالوضع الاقتصادي الاسرائيلي، الذي ازداد سوءا بالنسبة لها ، بعد تطبيق السياسة الجديدة · لذلك فان المراهنة على تحسين العجز في ميزان المدفوعات الاسرائيلي نتيجة ازدياد الصادرات خلال الفترة المقبلة ، بفضل السياسة الجديدة ليست لها أساس من الصحة · « فمنذ قيام اسرائيل وحجم وارداتها يفوق حجم صادراتها · وقد استطاعت تحويل هذا الفائض في الواردات بواسطة ايجاد مصادر مالية اجنبية ، كالمساعدات والقروض والجباية · واستخدمت هذه الواردات في تحقيق ثلاثة أمور رئيسية : شراء الاسلحة ، ورفع مستوى معيشة الاسرائيليين ، ثم استيعاب المهاجرين · ومع ذلك فأن الفائض في هذه الواردات يدل على تعلق الاقتصاد الاسرائيلي بالمصادر الخارجية » (٢٥) ·

ان احد اهداف السياسة الجديدة ، بل ربما كان الهدف الرئيسي ، هو تحقيق الاستقلال الاقتصادي · ولكن هذا الامر يبدو بعيدا الان · « فالاعتماد الواسع على استيراد رأس المال ، الذي حصلت اسرائيل على جزء كبير منه بواسطة القروض ، ادى مع مرور الوقت الى تجمع ديون خارجية طائلة بالاضافة الى الفوائد الجمة عليها » (٢٦) · وهناك مقاييس لتقدير الاستقلال الاقتصادي ، اولها النسبة بين فائض الواردات وبين الدخل القومي القائم ·· وقد ارتفعت هذه النسبة في اسرائيل منذ حرب ١٩٧٣ (وصلت انذاك الى ٣٠٪) بسبب مشترياتها من الاسلحة · اما المقياس الثاني فهو النسبة بين الصادرات والواردات ، الذي يعني ارتفاعها الاقتراب من الاستقلال الاقتصادي، وقد انخفضت هذه النسبة في اسرائيل منذ سنة ١٩٧٣ · ان تحقيق الاستقلال الاقتصادي في اسرائيل مرهون ، اذن ، بهذين الامرين ، ولذلك فأن تقوية الانتاج الصناعي المعد للتصدير ، وبالمقابل خفض الواردات واستبدالها بمنتوجات محلية ، هما شرطان اساسيان لتحقيق شعار الاستقلال الاقتصادي الذي طرحه وزير المالية الاسرائيلي · وهذا الامر يبدو بعيد المنال الآن ، في ظل وضع اسرائيل الامني وحاجتها الدائمة الى استيراد الاسلحة · اما بالنسبة لخفض الواردات المدنية ، التي يحافظ بواسطتها الاسرائيليون على مستوى معيشة

مرتفع نسبيا ، فأن ذلك لن يتحقق في ظل حكومة « ليكود » التي اعلنت ،خلافا للحكومة السابقة ، ان سياستها لا تنطـوي على خفض معيشة الاسرائيليين وكان نائب وزير المالية يحزكيئيل بلومين قد وصف تلك السياسة بقوله : « مزيد من الاستثمارات ، مزيد من النمو ، مزيد من العمل والصادرات ، تعلق اقـل بالولايات المتحدة ، اصلاح ميزان المدفوعات ، خفض نسبة التضخـم المالي · ونتيجة لذلك : زيادة الاجور ، زيادة القوة الشرائية ، ورفع مستوى المعيشـة والاستهلاك الفردي » (٢٧) · ولكن بما أن العمل والانتاج والنمو هي أمـور غير متوفرة في الوقت الحاضر ، فأن المسؤولين الاسرائيليين ينشطون لتأمين استمرار المساعدات الاميركية ·

وقد اعلن ارليخ ان المعونة الاميركية مضمونة حتى تشرين الاول ١٩٧٨ ، واضاف « بامكان الشعب ان يطمئن ــ فتدابير الطوارىء الاقتصاديـة غير واقعية ، ولا مكان للذعر » (٢٨) · وقد نقل عن مسؤول في وزارة المالية قوله ان اسرائيل تقدمت بطلب مساعدات للسنة المالية الاميركية ، التي ستبدأ بعد سنة ، بمقدار ٢ر٣ مليار دولار ، بما فيها المساعدات العسكرية · وقد قـدم موعد تقديم الطلب ، استباقا لنشوب خلافات سياسية بين الدولتين (٢٩) · وتستبعد الحكومة الاسرائيلية الآن اقدام الولايات المتحدة على الضغط علـى اسرائيل سياسيا بواسطة قطع المساعدات ، حتى ولو نشأت خلافات في الرأي، على حد تعبير ارليخ ، الذي اضاف ان هذه الخلافات قائمة منذ حرب ١٩٦٧ حول العودة الى حدود تلك الحرب ، ولكن على الرغم من ذلك « لم تتقلـص المساعدات المدنية والعسكرية ، بل ازدادت خلال السنوات العشر المنصرمة · لذلك ينبغي عدم الجزم بأن الخلاف مع الولايات المتحدة سيؤدي بالضرورة الـى اغلاق حنفيات المساعدات » (٣٠) ·

ان تحقيق حلم الاستقلال الاقتصادي وعدم الاعتماد على الاخرين ، يعتبـر في الوقت الحالي على الاقل ، بعيدا جدا ، ويتطلب تحقيقه حل مشاكل كثيرةفي الاقتصاد الاسرائيلي ، تزداد تأزما مع مرور السنين ، بسبب الوضع الامنـي والسياسي ، الذي لا تبدو عليه بوادر التحسن ·

٣ ــ اعلنت الحكومة الاسرائيلية ان الهدف الاساسي من وراء رفع الرقابة على العملة الصعبة هو جذب رؤوس الاموال اليهودية والاجنبية وتحويل اسرائيل الى مركز مالي دولي في المنطقة · ولكن هذا الاتجاه يطرح عددا من الاسئلة : هل تلائم تلك السياسة دولة تعيش في حالة الحرب ، ولا تملك سوى القليل من احتياطي العملة الصعبة ؟ ثم اية اموال يرغب وزير المالية الاسرائيلي بجذبها ؟ وماذا سيكون تاثير هذه الاموال على الاقتصاد الاسرائيلي في حال تحقيق هذا الامـر ؟·

ان هذه السياسة الاسرائيلية قد توافق بلدا يعيش في حالة السلم ، الا اذا كانت الحكومة الاسرائيلية مقتنعة بأن الصلح مع العرب بات قريبا ، رغم ان تصلبها السياسي لا يدل على ذلك ٠ « وكانت جميع الدول المتحضرة قد فرضت رقابة على العملة الصعبة ابان الحرب العالمية الثانية ،وفي فترات اخرى اعتبرتها حالات طوارىء ٠ اما وضع الولايات المتحدة فأنه يختلف تماما عن وضع باقي الدول ، لانها هي فقط « يحق لها » طباعة الدولارات ، التي تشكل اساسا للنظام النقدي الدولي » (٣١) ٠ ويبدو ان سياسة الحكومة الجديدة لا تنبع من مصلحة اسرائيل الاقتصادية بقدر ما هي نابعة من اعتبارات ايديولوجية يعتنقها اليمين الاسرائيلي منذ نشأته ٠ فليس هناك من ضمان لتدفق رؤوس الاموال على اسرائيل في وضعها الامني الحالي ، بل قد يكون العكس هو الصحيح ٠ ثم من يضمن عدم تهافت الجمهور على شراء الدولارات التي تملك اسرائيل احتياطا قليلا منها ، عندما يبدو ان خطر نشوب حرب بات وشيكا ٠ « ان اي عمل خارجي ، او حدث سياسي او امني ، او توجه فجائي الى الاسواق المالية في الخارج ، قد يجر في اعقابه تهافتا جماعيا على العملة الصعبة ، ويؤدي الى تغييرات جوهرية في قيمتها ، ونفاد الاحتياطي المتواضع الذي [تملكه اسرائيل] ٠٠٠ فاذا نجحت المراهنة يصبح واضعو الخطة الاقتصادية ابطالا قوميين ٠٠٠ ولكن اذا فشلت ونفد الاحتياطي ، فأن هذه السياسة تصبح « مسادا اقتصادية » ٠ وما دامت اسرائيل تعيش في حصار ، فانها ، بانتهاج هذه السياسة ، تعرض نفسها لمخاطرة كبيرة » (٣٢) ٠

ويهدف وزير المالية الاسرائيلي ايضا ، بواسطة سياسته الجديد ، الى جذب رؤوس الاموال الاسرائيلية ، التي هربها الاسرائيليون الى الخارج خلال السنوات الماضية ، والتي تقدر حسب معلومات الخبراء الاقتصاديين في اسرائيل ، بنحو ثلاثة مليارات دولار ٠ كما تأمل الحكومة بالافادة من ودائع الاسرائيليين بالعملة الصعبة ، بمبلغ ٢ر٨ مليار دولار في البنوك الاسرائيلية ، ومعظمها من أموال التعويضات التي دفعتها المانيا الغربية للاسرائيليين الذين تضرروا في العهد النازي ٠ وكانت السلطات الاسرائيلية قد سمحت بأيداع تلك الاموال بالعملة الصعبة في البنوك الاسرائيلية ، مع فرض الرقابة عليها ٠ وقد زادت قيمة هذه الودائع بالعملة الاسرائيلية ، بفضل التخفيض الدائم في قيمة الليرة والواضح ان رفع الرقابة على هذه الودائع ، ثم الفائدة القليلة نسبيا التي تدفع مقابلها ، وعدم توقع انخفاض كبير في قيمة الليرة بعد الآن ، هي عوامل قد تشجع اصحاب هذه الاموال على تحويلها الى ليرات اسرائيلية ٠ ولكن هذا الامر ، في حال تحقيقه ، سيؤدي الى « طوفان مالي » ، مما سيثقل على السياسية النقدية ويضر باحتمالات نجاح السياسة الجديدة ، جوبهت سياسة ارليخ الاقتصادية بانتقادات شديدة من قبل دوائر عدة ، لان نفاد احتياطي العملة

الصعبة ، او انخفاضه الى حد ادنى يضع اسرائيل في وضـــع سيء للغاية ٠ وعلق احدهم على هذه الناحية بقوله : « كيف يتخيل المسؤولون الاقتصاديون في الحكومة ، الوضع الامني في اسرائيل ، بدون احتياطي في العملة الصعبة ٠٠٠ كيف سيتم توفير المؤن والخدمات الضرورية ؟ وهل وصلنا الى وضع نملـــك فيه جميع المواد الخام والمواد الغذائية والوقود والاسلحة وهي الامـــور التي نحتاجها سواء وقت الازمة او في الايام العادية ٠٠٠ ولنفترض اننا سنصل يوما الى مواجهة سياسية مع اصدقائنا في العالم خاصة الولايات المتحدة ، فكيـــف سنتصرف عندئذ ونحن لا نملك شيئا ؟ الن يكون الضغط علينا اكبر واكثـــر فائدة ، اذا عرف خصومنا اننا لا نملك شيئا ؟ ولنفترض انا صمدنا في الضغـط ولكن وصلنا الى حالة اقتصادية سيئة ، واضطررنا الى شراء الاسلحة والاغذية والوقود والمواد الخام نقدا ٠٠ فماذا سيحدث عندئذ ؟ هل سيكون لدينا الوقت الكافي لجمع اموال في انحاء العالم اليهودي ؟ وهل يرغب ويستطيع يهود العالم منحنا هذه الاموال ؟ هل نحن قادرون على وضع مصيرنا تحت رحمة وحسن نية العالم اليهودي ؟» (٣٣) :

ان هذه الاسئلة وغيرها هي التي تشغل بال الاسرائيليين ، مع بدء عهد جديـد في السياسة الاقتصاديـة ٠

٤ ــ كان للسياسة الاقتصادية الجديدة تأثير سيء على الصعيد الاجتماعي ، اذ ادت الى زيادة التضخم المالي ، مع البدء بتنفيذها ، وحدث ذلك على الرغم من ان الحكومة اتخذت تدابير وقائية ضد تدهور الوضع على صعيد الاسعـــار والاجور والضرائب ، كتجميد التسليف المصرفي ورفع ضريبة القيمة الاضافية ، ثم رفع اسعار المواد الاستهلاكية الاساسية مع خفض الاعانات الحكومية عليها٠ وقد وصلت سرعة التضخم المالي الى نسبة عالية للغاية ، تزيد عن ٤١٪ ، بسبب الارباح المالية الضخمة التي جناها اصحاب رؤوس الاموال نتيجة تخفيض قيمة الليرة ورفع الرقابة عن العملة الصعبة ٠ وعلى الرغم من ان احد اهـــــداف السياسة الجديدة هو كبح سرعة التضخم المالي ، فانه يتضح الان ان « ليكود غير قادر على القضاء على بؤر التضخم ، وانما اضاف اليها بؤرا اخـــرى تكمن في ايديولوجيته » (٣٤) ٠

ان موجة الغلاء التي اجتاحت اسرائيل مع بدء تنفيذ السياسة الجديدة ،والتي بلغت نسبتها خلال سنة ١٩٧٧ نحو ٤٠٪ ، ستستمر خلال هذه السنة ايضـا ، ويتوقع ان تصل حسب تقدير بنك اسرائيل الى ٣٠٪ ٠ لذلك كان رد المعارضـة عنيفا ، اذ اعلنت كتلة المعراخ في الكنيست ، انها « ستعمل ضد الاساءة الحادة لمستوى معيشة جمهور العمال في اسرائيل ، وستبذل كل ما في وسعها للحفـاظ على مستوى المعيشة ، لكي لا يمس بصورة يصبح بعدها مـــن المستحيـــل اصلاحـــه » (٣٥) ٠

ويبدو ان تأثير سياسة الحكومة على المستوى الاجتماعي كان سيئا للغاية ، اذ نجم عن ذلك تعميق الطبقية في اسرائيل ، التي كانت قائمة اصلا • فالمستفيدون الرئيسيون من الاجراءات الجديدة هم اصحاب رؤوس الاموال ، الذين جنوا ارباحا طائلة ، وشريحة واسعة من الطبقة المتوسطة ، مكونة من ٣٠٠ ـ ٤٠٠ الف عائلة ، تملك عقارات تتراوح قيمتها بين ربع ونصف مليون ليرة للعائلة، « وبالامكان اعتبار نشوء الشريحة المتوسطة وتوسعها احد العناصر الاساسية للانقلاب السياسي الذي حدث في اسرائيل » (٣٦) • اما الطبقة الفقيرة ، المكونة من العمال والمأجورين ، فقد ازداد وضعها سوءا بسبب الغلاء وما رافقه من خفض في الاعانات وفي الميزانيات الاجتماعية • وقد عقب وزير المالية السابق يهوشواع رابينوفيتش على سياسة الحكومة بقوله : « ان خطوة ارليخ الدراماتيكية ، التي لا لزوم لها ، تلقي بالاقتصاد الاسرائيلي في دوامة تضخمية سريعة جدا ، لن تتغلب على انعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية لسنوات عديدة » (٣٧) •

دور الهستدروت : صراع سياسي ودفاع عن النفس

انتهت موجة الاضرابات والمظاهرات التي دعت اليها الهستدروت بعد اعلان السياسة الجديدة ، بدون نتيجة تقريبا ، وتلخصت مطالب الهستدروت في المطالبة بدفع علاوة غلاء كاملة في مطلع هذه السنة للتعويض عن الغلاء الناتج عن السياسة الاقتصادية الجديدة ، ثم تغييرات متتابعة في اتفاقيات الاجور ، مرة كل ثلاثة أشهر (٣٨) • وقد صادف انعقاد مؤتمر الهستدروت الثالث عشر بعد بدء تطبيق السياسة الجديدة بأسبوع تقريبا وشهد المؤتمر مظاهر احتجاج ضد سياسة الحكومة لم يسبق لها مثيل • وكان سكرتير عام الهستدروت يروحام ميشل قد اعلن في افتتاح المؤتمر « ان الهستدروت لن تتنكر لرسالتها وهي : الدفاع عن ظروف معيشة جماهير العمل ، الذين يعتبرون الكنز الاساسي في هذه الدولة : وستناضل الهستدروت من اجل الا يكون العامل الضحية الاولى لكل تغيير يحدث في السياسة ، لكي لا ينخفض مستوى معيشته عن مستوى معيشة باقي السكان ، ولا تقهر الطبقات الاجتماعية الضعيفة في المجتمع الاسرائيلي •

« لقد قيل ان السياسة الاقتصادية الجديدة هي سياسة مخاطر واحتمالات • ان جميع الاحتمالات هي لرأس المال ، للسمسرة ولاصحاب العقارات ، بينما المخاطر ستكون من نصيب جماهير العمال في اسرائيل • ان السياسة الاقتصادية الجديدة هي في نظرنا ذات مخاطر كبيرة من ناحية قومية ، لانها تفتح ثغرات خطيرة لتهريب الاموال فى ايام الضائقة والطوارىء ، ولذلك فأننا لا نوافق عليها » (٣٩) •

الا ان الصراع الذي خاضته الهستدروت ، بزعامة المعارضة ، ضد سياسة الحكومة الاقتصادية ، لم يحقق شيئا حتى الآن على صعيد تحسين اوضاع العمال والتعويض عليهم بشكل مناسب · وقد وصفه كثيرون بأنه حمل طابعا سياسيا ، لاضعاف الحكومة الحالية وجعلها تتراجع عن قراراتها ، وهو ما لم يحدث · وتشير المعلومات الى ان الصراع الحقيقي بين مركزي القوى الرئيسيين في اسرائيل ــ الحكومة بزعامة ليكود ، والهستدروت برعامة المعراخ ــ سيبدأ مع تنفيذ الجزء الثاني من سياسة ليكود الاقتصادية الذي لم يعلن عنه حتى الآن ، والمتعلق ببيع الشركات الحكومية · وكان نائب وزير المالية يحزكيئيل بلومين قد أعلن ان « الحكومة ملزمة بخفض نفقاتها العامة ، ليس بواسطة تجميد ملاك موظفيها فقط ·· وانما بواسطة خفض تدخلها الاقتصادي · فالحكومة غير ملزمة بالاحتفاظ بالشركات وتمويلها ــ في الوقت الذي يستطيع فيه افراد او شركات تولي ادارتها · ان الحكومة ليست بحاجة الى سيطرة كهذه على الشركات · ليديرها ويحتفظ بها افراد او مجموعة بواسطة شراء اسهم خاصة بها » (٤٠) · وذكر بلومين ان اولى هذه الشركات التي ستعرض للبيع هي شركة احواض بناء السفن الاسرائيلية ، وربما الصناعة الجوية ·

وكان وزير المالية ارليخ ايضا قد اعلن قبل انتخابات الهستدروت ان الحكومة ستبيع الشركات التابعة لهيئة العاملين (حفرات عوفديم) ، التي تملكها الهستدروت · وقد اثار هذا الاعلان موجة شديدة من الاستياء بين اعضاء الهستدروت ، ويقال انه كان أحدى الدوافع الرئيسية لسقوط ليكود في انتخابات الهستدروت ولذلك يبدو ان صراع الهستدروت في المستقبل سيحمل طابع الدفاع عن النفس امام سياسة الحكومة ، وذلك من اجل « حماية الاسس ، خاصة الاستيطان العامل والتعاونيات وهيئة العاملين ، وهي الممتلكات الثمينة لحركة العمال التي حرصت على تاسيسها منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، وهي ملزمة بحمايتها لانها مصدر قوتها ··· ان مهمة قيادات حركات الاستيطان هي العمل في المجال التثقيفي ــ الاعلامي ، والبرهنة على ان سياسة ليكود ستؤدي الى تدمير الاستيطان ، خاصة الحلقات الضعيفة داخله ، وهي المستوطنات الحديثة ···

« اما خط الدفاع الثاني فيدور حول مؤسسات المساعدة المتبادلة · ان ليكود يرغب في تأميم صندوق المرض (كوبات حوليم) وصناديق التقاعد [التابعة للهستدروت] · والتناقض الاسرائيلي هو أن اليمين يطالب بالتأميم ، ولكن ليس لمصلحة العامل وانما من اجل المس بقوته المنظمة » (٤١) ·

ان الصراع السياسي القائم الآن بين الهستدروت وبين الحكومة ، سيتأثر كثيرا بتطورات الوضع الاقتصادي في اسرائيل ، وتاثيره على طبقة العمال

والمأجورين · وحتى الآن لم يساهم هذا الصراع في اضعاف الحكومة او جعلها تتراجع عن قراراتها ، خاصة وان لها شريك جديد ــ الحركة الديمقراطيـــة للتغيير ، داش ــ يؤيدها في سياستها الاقتصادية والاجتماعية ·

يتوقف نجاح السياسة الاقتصادية الجديدة ، التي اتبعتها حكومـــة ليكود ، على عدة عوامل غير متوفرة في الاقتصاد الاسرائيلي حاليا · فنجاحها داخليا يتوقف على تحالف تام بين القطاعات الاقتصادية الرئيسية في اسرائيل وهي الحكومة والهستدروت وارباب العمل ، وعلى امكانية الوصول الى تفاهم بينهم بشأن سياسة الاجور والاسعار والضرائب ، الامر الذي يبدو بعيد المنـال الآن بسبب موقف الهستدروت المعارض · كذلك يتوقف نجاح تلك الاجراءات علـــى انتهاج سياسة مالية تجد تعبيرا لها في ميزانية السنة المقبلة · وهذا ايضـا يبدو صعب التحقيق ، اذ يتوقع بنك اسرائيل ان تبلغ قيمة طباعة الاوراق المالية في الميزانية المقبلة ١٢ مليار دولار (٤٢) ، مما سيؤدي الى ضغوط تضخميـــة متزايدة · اما العوامل الخارجية الضرورية لنجاح السياسة الجديدة ، فهـــي اساسا توفر استثمارات واسعة ، ثم جذب رؤوس الاموال الاجنبية والاسرائيلية من الخارج · وكل ذلك غير مضمون الآن بسبب وضع اسرائيل السياسي والامني وقد اجمع معظم الخبراء الاقتصاديين في اسرائيل ، على ان سياسة الحكومـة الاقتصادية الجديدة قد تنجح في حال عقد صلح بين اسرائيل والعرب ، اذ ستعيد الثقة الى نفوس الاسرائيليين ، وتخفض من النفقات العسكرية المتزايدة · كما ان التسوية السياسية قد تؤدي الى التعاون بين اسرائيل والعرب ، وفتـــح الاسواق العربية امام البضائع الاسرائيلية · وقد اعلن محافظ بنك اسرائيـــل ارنون غفني ان « بنك اسرائيل بدأ في وضع خطط منذ سنة ١٩٦٥ ، عندمـــا طلبت وزيرة الخارجية آنذاك ، غولدة مائير ، تقريرا اوليا حول امكانات التطوير أيام السلم ·· وفي الآونة الاخيرة اهتم بذلك فريق من الخبراء ، بعد توقيع الاتفاق الجزئي مع مصر في ايلول ١٩٧٥ · أما الآن فقد طلب من قسم البحث عندنا اعداد خطة جديدة ومستحدثة بواسطة فريق من الخبراء الاقتصاديـــين حول المسألة الاسرائيلية ــ المصرية » (٤٣) · واوضح غفني الخطوط العامـة لما تقترحه الخطة بقوله : « بالنسبة للصادرات تقترح الخطة دمـج خبرتنـــا التكنولوجية مع الطاقة البشرية الواسعة في مصر ، من اجل انشاء صناعـــات مشتركة · وستبحث امكانية انتاج اجزاء مختلفة من الآليات هنا وهنالك ــ ثم تركيبها في معمل مشترك · وبعد ارتفاع مستوى المعيشة في مصر ، نتيجـــة لوضع السلام ، يمكن ان يستغل السوق المصري بشكل جيد لتصريف المنتوجات الصناعية الاسرائيلية · كذلك تقترح الخطة تطويرا زراعيا مشتركا لمناطـــق صحراوية ، وهو الموضوع الذي تملك فيه اسرائيل خبرة واسعة · وستشمـل الخطة فصلا حول السياحة ··· » (٤٤) ·

ومما لا شك فيه ان فتح الاسواق العربية أمام اسرائيل ، في حال السلم ، وتمكينها من الحصول على ايدي رخيصة هما عاملان يمكنهما ان يدفعا بعجلة الاقتصاد الاسرائيلي الى الامام · ولكن السؤال الاهم هو هل تستطيع الاموال والاستثمارات اليهودية منافسة رؤوس الاموال العربية في مجالات النمو والتطور اقتصادي ؟ والواضح ان مجمل هذه العوامل هو الذي سيقرر مستقبل اسرائيل الاقتصادي في حال السلم ، وليس من السهل التنبوء في هذا الصدد · الا انه على الرغم من ذلك ، اعلن وزير الصناعة والتجارة والسياحة الاسرائيلي يغئال هوروفيتش : « ليس مصر فقط بحاجة الى السلام · اننا لا نقل عنها حاجة اليه · أنني اتجرأ واقول ان وضعنا الاقتصادي يلزم تحقيق السلام · فنسبة النزوح من البلد تعادلت في السنة الماضية مع نسبة الهجرة · ونحن بحاجة الى السلام كحاجتنا الى الهواء » (٤٥) ·

المصـــادر :

١ ـ تقرير بنك اسرائيل ـ هآرتس ، ١١ـ١ـ٧٨ ·

٢ ـ تقرير مكتب الاحصاء المركزي لسنة ١٩٧٧ ـ معاريف ، ٢ـ١ـ٧٨ ·

٣ ـ دافار ، ١٠ـ١ـ٧٨ ·

٤ ـ من مقابلة مع ارنون جفني ، محافظ بنك اسرائيل ـ معاريف ، ١٣ـ١ـ٧٨ ·

٥ ـ موشي فلافر ، « ميشيك فيركلكلاه » ، (« المال والاقتصاد ») ، تل ابيب : مركز الاعلام ، ١٩٧٤ ، ص ٩

٦ ـ المصدر نفسه ، ص ٩ ـ ١١ ·

٧ ـ تقرير المكتب المركزي للاحصاء ـ معاريف ، ٢ـ١ـ٧٨ ·

٩ ـ هآرتس ، ٣١ـ١٠ـ٧٧ ·

١٠ ـ هآرتس ، ١٠ـ١ـ٧٨ ·

١١ ـ من مقابلة مع هتسوفيه ، ٦ـ١ـ٧٨ ·

١٢ ـ « قضايا اسرائيلية » ، السنةالثانية، العدد ١١ (١٨) ، ١٢ حزيران ١٩٧٥ ، ص ٣٦٤ ·

١٣ ـ يوفال اليتسور ـ معاريف ، ١٦ـ٩ـ٧٧ ·

١٤ ـ دافار ، ٢١ـ١٠ـ٧٧ ·

١٥ ـ من مقابلة مع وزير المالية ومساعديه ـ يديعوت احرونوت ، ١ـ١١ـ٧٧ ·

١٦ ـ هآرتس ، ٣٠ـ١٠ـ٧٧ ·

١٧ ـ يديعوت احرونوت ، ١ـ١١ـ٧٧ ٠

١٨ ـ هآرتس ، ٣٠ـ١٠ـ٧٧ ٠
١٩ ـ المصدر نفسه ٠

٢٠ ـ يديعوت احرونوت ، ١ـ١١ـ٧٧ ٠

٢١ ـ نقلا عن ابراهام كاتس ـ هآرتس ، ١٣ـ١١ـ٧٧ ٠
٢٢ ـ يديعوت احرونوت ، ١١ـ١١ـ ٧٧ ٠
٢٣ ـ يوفال غولان ـ معاريف ، ٨ـ٩ـ٧٧ ٠

٢٤ ـ عل همشمار ، ١٩ـ١٠ـ٧٧ ٠

٢٥ ـ فلافر ، المصدر السابق ، ص ٢٠ ٠
٢٦ ـ المصدر نفسه ٠

٢٧ ـ من مقابلة مع معاريف ، ٢٨ـ١٠ـ٧٧ ٠

٢٨ ـ هآرتس ، ٥ـ١٠ـ٧٧ ٠

٢٩ ـ المصدر نفسه ٠

٣٠ ـ من مقابلة مع دافار ، ١٤ـ١٠ـ٧٧ ٠

٣١ ـ موشي زنبار ـ معاريف ، ٤ـ١١ـ٧٧ ٠

٣٢ ـ آشر هلبرين ، المدير العام لنقابة المصارف ـ عل همشمار ، ملحق اقتصادي سنوي ، ٢٥ـ١١ـ٧٧ ٠
٣٣ ـ يسرائيل كرجمان ـ دافار ، ٦ـ١١ـ٧٧ ٠

٣٤ ـ اهرون جيفع ـ دافار ، ١١ـ١ـ٧٨ ٠

٢٥ ـ هآرتس ، ٣٠ـ١٠ـ٧٧ ٠

٣٦ ـ آشر هلبرين ـ عل همشمار ، ملحق اقتصادي سنوي ، ٢٥ـ١١ـ٧٧ ٠

٣٧ ـ يديعوت احرونوت ، ١١ـ١١ـ٧٧ ٠

٣٨ ـ هآرتس ، ٣٠ـ١٠ـ٧٧ ٠
٣٩ ـ دافار ، ١١ـ١١ـ٧٧ ٠

٤٠ ـ من مقابلة مع دافار ، ٢٨ـ١٠ـ٧٧ ٠

٤١ ـ دانييل بلوخ ـ ملحق دافار ، ١١ـ١١ـ٧٧ ٠

٤٢ ـ هآرتس ، ١١ـ١ـ٧٨ ٠

٤٣ ـ من مقابلة معاريف ، ١٣ـ١ـ٧٨ ٠

٤٤ ـ المصـدر نفسه ٠

٤٥ ـ معاريف ، ٢ـ١ـ٧٨ ٠

سمير كرم

ايران : يابان الشرق الأوسط ؟ ونظرية "المجال الحيوي"

ربما كان من الاخطاء الشائعة بين الاجانب ـ والى حد ما بين العرب ايضا ـ الاعتقاد بأن ايران بلد عربي . ولا نقع في خطا المبالغة اذا قلنا ان هذا الاعتقاد الخاطيء كامن في مخزون معلومات عديدين من انصاف المتعلمين وبعض المتعلمين ولعل وراء شيوع هذا الخطأ وقوع ايران على تخوم الوطن العربي من ناحية ، وكونها بلدا اسلاميا من ناحية ثانية . واليوم فان هذا الخطأ الشائع قابل لان يزداد شيوعا وان يتاكد لدى الكثيرين من خلال فيض من اخبار ايران في أجهزة الاعلام العربية والاجنبية ، التي توحي بأن ايران ليس فقط بلدا عربيا ، بل هي من البلاد المسؤولة عن مصائر الامة العربية والتي تلعب وزنا اكبر من غيرها في توجيه سياسات المنطقة العربية ورسم استراتيجيتها العسكرية والسياسية .. الخ .

فمنذ نحو اربع سنوات وايران تملأ الاسماع العربية من خلال زيارات ايرانية وعربية متبادلة ومحادثات ومشاورات ودعايات .. حتى ليخيل للمستمع العربي (حتى لا نقول القارىء العربي) انه لا شيء من مشاكل الامة العربية وقضاياها يمكن ان يحل دون مشاركة ايران الايجابية ، ودون اتصالات على أعلى المستويات معها للتنسيق او لاستطلاع الرأي .. وقد اصبحت ايران حاضرة في مشكلات النفط ، والامن ، والشرق الاوسط ، والصومال ، والبحر الاحمر وظفار ، والتنمية ، ولبنان .. وكلها مشكلات عربية بالدرجة الاولى .

ويكاد يطغى هذا الحضور الايراني في المشاكل العربية على حقائق التاريخ والجغرافيا معا .. ويكاد ينسى الأنسان العربي امام هذا الطوفان الاعلامي والدبلوماسي ان ايران الى وقت قريب للغاية كانت طرفا في قتال تراق فيه

الدماء العربية في شمال العراق ، وان ايران الى الان تحتل اراض عربية بقوة السلاح في عدد من جزر الخليج العربي ، وان ايران تهدد بحرب ضد عرب الخليج لانهم لا يعترفون بان الخليج فارسي وليس عربيا • وان ايران تشكل الضامن الاول لامدادات اسرائيل من النفط ـ قبل ان تستولي اسرائيل على نفط سيناء ،وبعد ان تخلت اسرائيل عن نفط سيناء • وان ايران هي اكثر دول منطقة الشرق الاوسط ـ بعد اسرائيل مباشرة ـ طمعا في مكاسب اقليمية من جسم الوطن العربي حدها الادنى البحرين ، والاقصى الخليج باكمله • وان ايران السبعينات هي ـ في مستوى واحد مع اسرائيل ـ تشكل قوة عسكرية مخيفة بالقياس الى اية قوة عسكرية يملكها اي بلد عربي (وبالاحرى كل البلدان العربية مجتمعة) •

من المؤكد انه خارج اطار الخطأ الشائع الذي ينسب ايران الى الوطن العربي يوجد ادراك رسمي وغير رسمي عربي لحقيقة وجود « خطر ايراني » يقاس بتضخم قدرة ايران العسكرية ، ويقاس في الوقت نفسه بتضخم نفوذ ايران ـ التالي ـ السياسي والدبلوماسي على صعيد المنطقة والعالم • ولكن يبدو ان هذا « الادراك » للخطر الايراني لا يتعدى حدود المخاوف الى آفاق اتخاذ موقف ايجابي وفعال نحو « مواجهة » هذا الخطر قبل ان يصبح الخطر المرتقب امرا واقعا يفرض نفسه على الامة العربية •• على نحو ما فرض نفسه احتلال ايران للجزر الخليجية العربية منذ اكثر من سبع سنوات ، حتى لا نقول على نحو ما فرض نفسه حتى الان الوجود الاسرائيلي •

وربما كان لتخلف الادراك العربي لمدى الخطر الايراني سبب يتعلق بالانشغال العربي شبه التام بالخطر الاسرائيلي •• ولكن هذا السبب سريعا ما يفقد شرعيته كمبرر منطقي وواقعي امام حقيقتين بارزتين :

اولاهما : انه لا يوجد في الحقيقة انفصال كامل بين الخطر الاسرائيلي القائم والخطر الايراني المرتقب • وهذا العامل لا بد ان يوضع موضع الدراسة المدققة والواعية لمعرفة الاطار الذي يجمع بين الاثنين ، وهو اطار السياسة العالمية للامبريالية ازاء الوطن العربي •

ثانيهما : انه لا يحق للعقل العربي ان ينشغل بأخطار من نوع « الخطر السوفياتي » ، هي بطبيعتها وبحكم خبرة عشرات السنين الماضية اقرب لان تكون اخطارا وهمية ، في حين انه لا يوجه انتباها كافيا الى خطر قريب ومحدق وتشهد خبرة التاريخ البعيد والقريب بجديته وواقعيته مثل الخطر العسكري الايراني •

وعلى اي الاحوال فان التذرع بفكرة ان الخطر الاسرائيلي يشغل الاهتمام العربي باكمله لا يصلح في وقت تعقدت فيه المشاكل والقضايا امام الامة العربية ـ كما امام كل الامم الاخرى ـ بما لم يعد يسمح بأن يكون انشغالها محصورا

بمشكلة واحدة ، في حين انها تواجه مشكلات متعددة ، ويتعين عليها ان تتنبه لها كلها في وقت واحد ، وان تدير صراعاتها في مواجهتها بمهارة ونضالية متعددة الجوانب ومتعددة الاسلحة ومتعددة الميادين • ومن المؤكد في النهاية ان هذه المشكلات متداخلة في اسبابها ونتائجها ، وبالتالي فهي متداخلة في أساليب مواجهتها •

واذا عدنا ـ ملحين ـ مرة اخرى الى ذلك الخطأ الشائع عن « ايران العربية » الذي تسهم سياسات قطرية عربية في تعزيزه ونشره من خلال ممارسات سياسية ودبلوماسية •• واخيرا استراتيجية ، يصبح من المشروع ، بل من الضروري ، البحث في « الخطر الايراني » بدءا من الالف ، اي بدءا من المعطيات الاساسية عن حقيقة ايران ككيان سياسي واقتصادي وعسكري ، وليس بدءا من كونها كيانا عسكريا تحدده ارقام تؤخذ من هذا المصدر او ذاك عن قدراتها العسكرية والتسليحية او عن منفقات السلاح • وان كنا نسلم بأن هذا الجانب بالغ الاهمية في أي دراسة عن « الخطر الايراني » • ذلك ان تضخم دور ايران في المنطقة وامتداد نفوذها الى مناطق تتجاوز حدودها الامنية ـ حتى بلغت القرن الافريقي ـ وكذلك تشابك هذا الدور مع اوضاع متعلقة بالقضية العربية ـ الفلسطينية ومع الادوار الجديدة لبعض اطراف المنطقة القريبة من ايران والبعدة عنها ، ومع التحالفات الجديدة التي برزت على خريطة الشرق الاوسط ومنطقة الخليج العربي والبحر الاحمر والقرن الافريقي •• هذه العوامل كلها تؤكد ان « الخطر الايراني » ليس معادلة بسيطة رموزها الجبرية عسكرية بحتة •• انما هو معادلة مركبة ومعقدة ذات رموز متعددة الجوانب وأبعاد اقليمية ودولية واسعة •

وبعبارة اخرى فانه ليس تراكم الاسلحة ، بصورة لم يسبق لها مثيل لدى دولة في حجم ايران السكاني وظروفها الجغرافية والسياسية والتاريخية ، وهو وحده الذي يشكل مصدر قلق من الدور الذي تعد نفسها له ، او الدور الذي يعد لها • وان كان في حد ذاته مؤشرا الى طبيعة هذا الدور وملامحه الاستراتيجية • انما هناك الى جانب هذا خروج ايران الى القيام بأدوار على مسرح الشرق الاوسط بعضها عسكري كما في حالة التدخل العسكري الى جانب السلطان قابوس ضد ثوار عمان ، وبعضها سياسي كما في حالة الدور الايراني (الغامض حتى الان) في التمهيد لمبادرات النظام المصري تجاه اسرائيل • وبعضها اقتصادي كما في حالة دور ايران القيادي في منظمة الدول المصدرة للبترول (اوبيك) • والامثلة كثيرة ، كلها جدير بدراسة تفصيلية • والنتيجة التي تؤدي اليها جميعا ان ايران دخلت طور توسع كبير له أوجهه المختلفة • اقتصاديا وعسكريا وسياسيا •

فهل يتعلق الامر فقط بما يردده شاه ايران منذ اوائل السبعينات والى اليوم عن عودة الحضارة الفارسية العظيمة وانجازاتها الانسانية الضخمة وصعود

الامبراطورية الفارسية ؟ واذا تحدث الشاه عن ان ايران ستصبح **«يابان جديدة »** وان « حضارة عظيمة سيكتمل بناؤها في منتصف الثمانينات » ، ألا يوحي هذا بأن ايران الموعودة ستصبح في حاجة الى « **مجال حيوي** » كما كانت اليابان في عصر نهوضها العسكري الصناعي ؟ انه يقول ان لايران ماضيا امبراطوريا عظيما ومستقبلا امبراطوريا اعظم ٠٠٠ وبحلول العام ١٩٩٠ ستصبح مكانتها كمكانة بريطانيا او فرنسا في هرم الدول الكبرى العالمي ٠ ولكن الحقائق الرقمية المتعلقة بالنفط ـ ركيزة ايران الرئيسية ، ان لم نقل الوحيدة ـ تؤكد ان النفط الايراني سينضب في اوائل التسعينات ٠ الامر الذي يشكك كثيرا في قدرة ايران على ان تحول اقتصادها وتجعله قادرا على الحفاظ على مستويات نموه الحالية قبل ان ينضب النفط ، اي قبل أقل من ١٥ عاما ٠

لقد كتب الاقتصادي البريطاني فريد هوليداي (مؤلف كتاب « الامبريالية اليابانية » الشهير) يقول : « **لدى تحليل الاقتصاد الايراني تبدو التوقعات مظلمة دون شك ، ولا نقصد هنا ان كارثة ما ستحدث ٠ ولكنها على الاقل ستجعل من الحديث عن « يابان جديدة » واللحاق بأوروبا مجرد كلام لا مغزى له** » ٠

بل ان تقريرا صادرا عن معهد اميركي للدراسات هو معهد « هوستون » ذكر في اوائل العام الماضي : ان اقتصاد ايران سيبقى مماثلا لاقتصاد دولة نامية مثل الهند والمكسيك ، حتى لو تمكنت ايران من تحقيق أهداف التنمية في العـام ١٩٨٥ ٠٠ ويمضي التقرير الاميركي مؤكدا (بالحرف الواحد) انه :

« **حتى اذا تحققت (هذه الاهداف) خلال السنوات العشر الاخيرة من القرن الحالي ، فان ايران لن تكون الا صرحا صناعيا لم يكتمل بناؤه بعد ، تعلوه زخارف السلطة وقوة التأثير الدولي ، دونما جوهر حقيقي ، سواء للسلطة او للقوة** » ٠

فاذا اخذت هذه الاعتبارات كلها على خلفية من مشاكل ايران الداخلية : (١) مشكلة التنمية المتعثرة (بسبب طبيعة النظام وضعف البنية الاقتصادية ـ الاجتماعية) والتي لا يخفيها الا ما يحصل عليه الاقتصاد الايراني من جرعات التسكين المتمثلة في ايرادات النفط ٠ (٢) مشكلة التبذير المتمثل في أكـوام الاسلحة التي تبتاعها ايران . والتي ـ بطبيعتها ـ تفقد قيمتها الاستراتيجية عاما بعد عام ٠ (٣) مشكلة الاقليات البلوخستانية والعربية والكردية التي تتربص بالنظام الايراني في انتظار لحظة او حلقة الضعف التي تضرب عندها ٠ (٤) مشكلة الديمقراطية التي وصلت الى حد احراج أقرب اصدقاء الشاه واشد الحريصين على استمرار نظامه . والتي جعلت من الشاه نفسه وافراد حكومته ومؤسسته العسكرية ومستشاريه العسكريين الاميركيين أهدافا لضربات ومحاولات القوى الثورية (على اختلاف اتجاهاتها الايديولوجية : ماركسية واسلامية وبين بين) ٠

(٥) مشكلة الامن الايراني في مواجهة الجيران العرب على اختلاف طبيعة علاقاتهم ومشكلاتهم مع ايران : السعودية ـ العراق ـ دويلات الخليج ـ مصر ـ سوريا ··· وفي مواجهة احتمالات المقاومة العربية لاطماع الشاه الاقليمية ·· وفي مواجهة الاتحاد السوفياتي الذي لم يكف النظام الايراني برغم كـــل التطورات الايجابية في العلاقات معه عن اعتباره « مصدر التهديد الرئيسي » لامن ايران ، واخيرا في مواجهة القوى الثورية الخارجية (مثل ثورة ظفار التي لم يتردد الشاه في اعتبارها خطرا مباشرا على نظامه عندما قدم التبريرات لدوره العسكري ضدها) ·

اذا اخذت كل تلك الاعتبارات السابقة على خلفية من هذه المشكلات المعقدة والمتداخلة يصبح من الضروري ان نتساءل : لماذا يتصرف الشاه وكأن لا وجود لاي من هذه المشكلات ، وكأن « الامبراطورية الفارسية » أصبحت واقعا فعليا ؟ والاجابة على هذا السؤال من شأنها ان توضح حقيقة الدور الايراني بملامحه الموضوعية وبحدوده الفعلية ، وتميزه عن أحلام اليقظة الشاهنشاهية ·

ايران : الحجم الحقيقي

في حالة ايران ـ اكثـر من أي دولة نفطية أخـــرى في العالم ـ نلمس ان الاقتصاديين الذين يدرسون ظاهرة النمو الايراني لا يتأثرون كثيرا بالارقـــام الفلكية التي تمثلها عائدات النفط ضمن الدخل القومي لايران ، وان كانوا يثيرون علامات استفهام كثيرة حينما يأتي دور الحديث عن مشتريات ايران من الاسلحة الحديثة · بمعنى ان الحقائق الاقتصادية عن نمو ايران لا تستمد فقط من حجم الايرادات النفطية · هذا من ناحية · ومن الناحية الاخرى فان وجود مشكلات ضخمة وراء ارقام الاقتصاد الايراني يحول اندفاع ايران المحموم الى التسلح بكميات هائلة ونوعيات بالغة التعقيد الى لغز يترك الاقتصاديون للاستراتيجيـة والمعنيين بشؤون الامن مهمة حله ·

فما هي حقيقة اوضاع ايران الاقتصادية ، التي يفترض انها تمثل الركيزة الرئيسية للدور المتسع والنشط الذي يلعبه الشاه في السياسات الاقليميـة والعالمية ؟

تقول « النشرة السنوية للشرق الاوسط ـ ١٩٧٧ » ، (والتي تعدها دائـرة الابحاث في مجلة « ايكونوميست » البريطانية) :

« ليس كل شيء حسنا كما يبدو للوهلة الاولى على الصعيد الاقتصادي · فوراء الازدهار الواسع في السنوات الماضية والتي سجلت ايران خلالها بثبات واحدا من اعلى معدلات انتاج قومي اجمالي في العالم (بسبب ارتفاع عائدات

النفط في تلك السنوات بعد ١٩٧٣ ٠ توجد نواقص جدية في البنيان الاقتصادي ذات دلالات متوسطة وبعيدة المدى ، وتشير الارقام الاخيرة الى ان نمو الانتاج القومي الاجمالي قد توقف من الناحية العملية ٠ ان حقيقة ان ايران تسير بميزانية ذات عجز يزيد قليلا عن ٢٠٠٠ مليون دولار في السنة المالية الحالية (١٩٧٦ ـ ١٩٧٧) وهي تخطط لاستدانة ١٠٠٠ مليون دولار على الاقل من الخارج ، هذه الحقيقة ليست بحد ذاتها كبيرة الاهمية ٠٠ ولكن ما يقلق المخططين في ايران هو ان الهوة بين مداخيل النقد الاجنبي ومدفوعاته تتضارب بسرعة ٠٠ والسلطات منزعجة من حجم رأس المال الخاص الذي يغادر البلاد ٠ فقد كان فائض ميزان المدفوعات الكلي في السنة المنتهية بتاريخ ٢٠ اذار (مارس) ١٩٧٥ يبلغ ٥٠٠٠ مليون دولار ، ولكن بعد عام واحد كان هناك نقص كلي يبلغ حوالي ١٠٠٠ مليون دولار ٠ ولا بد ان يزداد النقص خلال العام الحالي ٠ والواقع انه اذا استمر ارتفاع المدفوعات الجارية الى نفس المبلغ الذي وصلته في العام ٧٥ ـ ١٩٧٦ فان من الممكن حدوث عجز في الحساب الجاري يصل الى ٣٥٠٠ مليون دولار ٠٠ »

هكذا فان الاقتصاد الايراني الذي يحقق له النفط وحده سنويا بما معدله ٢٠ مليار دولار « متوقف النمو عمليا » ويعاني عجزا سنويا بلغ اكثر من ٢٠٠٠ مليون دولار ، ويشكل عامل نفور لا عامل جذب لرأس المال الاجنبي ٠

واكثر من هذا ٠٠٠

ـ ارتفع حجم السلع التي استوردتهـا ايران بنسبة تقـرب من ٧٧٪ حسب الاحصاءات الرسمية لوزارة التجارة الخارجية الايرانية لتصل الى ٦٧٠٠ مليون دولار في العام ١٩٧٦ ٠ ولا يشمل هذا الرقم المشتريات من المعدات العسكرية (وسيأتي الحديث عنها) ٠

ـ في اوائل العام الماضي خرج من ايران ـ في غضون ١٠ أيام فقط ـ نحو ٣٠٠ مليون دولار بعد انتشار اخبار عن احتمال تخفيض قيمة الريال الايراني الذي لا يستطيع المسؤولون في البنك المركزي الايراني اخفاء وضعه المضطرب ٠

ـ وصلت معدلات التضخم الى مستوى مخيف ، حتى ان الايجارات ـ على سبيل المثال ـ تزيد بمعدل ٢٠٠٪ كل عام ٠

ـ في القطاع الزراعي من الاقتصاد الايراني (حيثيعيش ٥٣٪ من السكان البالغ مجموعهم ٣٥ مليون نسمة) حقق برنامج الاصلاح الزراعي الذي طبقه الشاه في اطار ما أسماه « الثورة البيضاء » كل نجاح سياسي وبالاحـرى دعائي ، يمكن تصوره ، ولكن اقتصاديا فشل فشلا ذريعا ، اذ لم يجر توفير الادوات والتجهيزات اللازمة لزيادة حجم الانتاج الزراعي بالاضافة الى قلـة التمويل ، وانتشار البطالة في الريف بين مليون ونصف مليون عائلة لم تحصل على أي نصيب من الارض في نطاق برنامج الاصلاح الزراعي ٠ ولا يزيد معدل

زيادة الانتاج الزراعي عن ٢٪ وهي نسبة اقل من زيادة السكان ٠

ـ في القطاع الصناعي ـ ورغم التوسع الكبير ـ لا يزال الضعف يعتري اوجها عديدة من الصناعة الايرانية ، حتى ان واحدا من الخبراء الغربيين العاملين في ايران ذكر (الرواية لفريد هوليداي) ان الازدهار الذي حدث بعد زيادة اسعار النفط في العام ١٩٧٣ ادى الى حدوث انخفاض بمعدل ٤٠٪ في الكفاءة الانتاجية في بعض المصانع ٠ وفي الوقت نفسه يزداد بمعدل كبير الاعتماد على الواردات٠ والزيادة الكمية الحادثة في الانتاج الصناعي « هي من النوع العديم القدرة على المزاحمة وذات مستوى متدن » ٠

ـ فشلت ايران في تطوير صادراتها غير النفطية ، الامر الذي احدث انعكاسات خطيرة على الميزان التجاري الايراني ، ويتوقع الاقتصاديون ان تبلغ قيمة واردات ايران في العام ١٩٨٣ (اي في نهاية الخطة الخمسية الجاري تنفيذها حاليا) ٢٩ مليار دولار ٠ ولا تزيد قيمة السلع الرأسمالية (الانتاجية) من واردات ايران عن ٣٠٪ وباقي النسبة هو للسلع الاستهلاكية ٠ وقد انخفضت نسبة الصادرات غير النفطية الى صادرات ايران الاجمالية من ٢٢٪ في العام ١٩٥٩ الى ٥٪ فقط في العام ١٩٧٥ حيث بلغت قيمتها ٧٠٠ مليون دولار ٠ في حين ان الواردات بلغت في ذلك العام نفسه ١٩ مليار دولار ٠ وفي النصف الاول من العام ٧٦ ـ ١٩٧٧ ارتفعت الواردات بنسبة ٤٢٪ والصادرات غير النفطية بنسبة ٦٪ ٠ وفي هذا الصدد يجدر بالذكر ان صناعة النفط لا تستخدم الا ٥٠ الف عامل ، اي اقل من ١٪ من مجمل القوى العاملة ٠

ـ في القطاع الاجتماعي المؤثر على امراء الاقتصاد الايراني نجد اختلالا خطيرا في توزيع الدخول والخدمات بعد الازدهار ـ النفطي ٠ ولا تزال نسبة الامية تزيد عن ٦٠٪ من السكان ، ويملك ١٠٪ من السكان حوالي ٤٠٪ من الدخل الكلي وتتسع الفجوة بين الاغنياء والفقراء باستمرار بينما نجد ان الطبقة الوسطى قد عصرتها تكاليف المعيشة المرتفعة وتناقص المداخيل الحقيقية ٠

ـ يضاف الى هذا كله عامل الاهدار الذي يتمثل اساسا في نفقات التسلح ، وقد بلغت في العام الماضي نحو ٣٠٪ من اجمالي الميزانية الايرانية العامة ، فضلا عن معدل عدم الكفاءة في الاقتصاد الايراني عموما ، ويقدره الخبراء الاميركيون بنحو ٤٠٪ (ويشير هذا العامل الى سوء استخدام الاموال وسوء ادارة الاقتصاد بوجه عام ٠ ومن امثلته احتفالات الشاه على مدى ١٢ شهرا من العام الماضي بالذكرى الخمسينية لعائلة بهلوي المالكة) ٠

وبوجه عام فان الصورة الكلية التي ترسمها الارقام وتحليلات الاقتصاديين عن أوضاع الاقتصاد الايراني لا تتطابق مع التصور الشائع عن بلد غني يتمتع برخاء الايرادات النفطية ، قادر على تقديم المساعدات الاقتصادية لدول المنطقة

والعالم الثالث ، مستعد للدخول في نظام عام من التعاون الاقتصادي والانمائي مع الدول المجاورة ·

المشاكل الامنيــة

وأذا كانت صورة الاقتصاد الايراني هي على هذا النحو من السلبية ، فهل يمكن ان نجد في وضع ايران الاستراتيجي والامني في المنطقة مبـرّرا لمسلكها التوسعي (من حيث التسلح ومن حيث الانتشار السياسي) ؟ بمعنى : **هل تواجه ايران اخطارا استراتيجية وامنية في المنطقة تبـرر مسلكها وتفسر سياستهـا التسليحية ودورها العسكري والسياسي خارج حدودها ؟**

هذا السؤال بدوره يبحث عن عوامل الجغرافيا (الموقع اساسا) والتاريـخ (العلاقات الخارجية اساسا) التي تشكل استراتيجية ايران كجزء من سياستها الخارجية والدفاعية وترسم حدود احتياجاتها من القوة المسلحة كانعكاس لاتجاه هذه الاستراتيجية وجهة هجومية خارج حدودها ، او دفاعية داخل حدودها ·

اما عن عوامل الجغرافيا فياتي في مقدمتها بطبيعة الحال كون ايران دولة تعتمد اعتمادا شبه كلي على النفط باعتباره الثروة الرئيسية الكامنة في باطن ارضها · ومما لا شك فيه ان هذه الثروة النفطية الايرانية ليست مهددة من أية قوى خارجية بمطامع اقليمية ، بل الواقع ان لايران مطامع اقليمية متعلقة بالنفط خارج حدودها الحالية ، وتشمل هذه المطامع (المطالب) « البحرين » العربية وعددا من الجزر الاخرى في الخليج العربي ، فضلا عن مساحات اخرى من « شط العرب » في الحدود الفاصلة بين ايران والعراق (وقد سويت هذه المشكلة بين البلدين اكثر من مرة كان آخرها عام ١٩٧٥) ·

وقد كانت الاخطار على ثروة ايران النفطية اخطـارا اقتصادية لا أمنيـة باستمرار · بمعنى انها تعرضت للاستغلال (ولا تزال) من جانب الشركـات الغربية : شركات الاستثمار والتنقيب وشركات التوزيع والتسويق على السواء ولم تبد من جانب اي من القوى الدولية المحيطة بايران اية محاولة للاستيلاء الاقليمي على منابع النفط الايرانـي · من ناحية لان الدولة الوحيـدة القادرة بمعايير القوة العسكرية على ذلك ، والتي تربطها حدود مشتركة مع ايران ـ وهي الاتحاد السوفياتي ـ لم تقم باي تحرك في هذا الاتجاه ولم تكن الصدامات التاريخية التي كان الاتحاد السوفياتي (او روسيا قبل ذلك) طرفا فيها ، فيما يتعلق بايران ، خاصة بأطماع نفطية · ومن ناحية اخرى لان الدول الاخرى المحيطة بايران ـ العربية ، بوجه خاص ، اضعف عسكريا من ان تتكون لديها مثل هذه المطامع ، واقل كثافة من الناحية السكانية من ان تتوسع نحو ايران الاكثف سكانيا منها مجتمعة · فضلا عن انها لا تشكل كيانا موحدا ، لا من الناحيـة

العسكرية ، ولا من الناحية السياسية • أما الدول غير المتاخمة لايران – وهي باكستان وافغانستان – فهي بعيدة جغرافيا عن منابع النفط الايراني ، اذ تقع الدولتان على حدود ايران الشرقية ، في حين تتركز حقول النفط في ايران على مناطقها الحدودية الغربية القريبة من العراق والخليج العربي • وفضلا عن ذلك فان كلا من باكستان وافغانستان اضعف عسكريا من ايران ، والاولى تربطها علاقات تحالف وثيقة معها (في اطار الحلف المركزي) وعلاقات تعاون اقتصادي اقليمي يشملها وتركيا • ولدى كل من باكستان وافغانستان مشاكل داخلية وخارجية تشغلهما تماما عن ية تحديات مع ايران •

أما نسق علاقات ايران الخارجية – كما تحدده العوامل التاريخية في المنطقة وخارجها – فيمكن تحديده داخل ثلاث دوائر متوالية في اتساعها وفي مدى قربها من ايران كمركز •

- **الدائرة الاولى : وهي الاوسع ، دائرة علاقات ايران بالدولتين الاعظم ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي •**

- **الدائرة الثانية : التالية في الاتساع ، دائرة علاقات ايران بالوطن العربي في شموله •**

- **الدائرة الثالثة : الاخيرة والاقرب في مركزها من ايران ، دائرة علاقات ايران بمنطقة الخليج العربي بالتحديد •**

ويرمي هذا البحث الى اثبات فرضية اساسية هي ان محاور السياسة الاستراتيجية الايرانية (بأوسع مفاهيمها) تتقاطع جميعا عند أهداف Targets موقعها هو منطقة الخليج العربي • ولهذا سنتناول الدائرة التالية في بحث مستقل لما تستحقه من تفصيل معلوماتي وتحليلي •

الدائرة الاولى : علاقات ايران بالدولتين الاعظم

لقد كانت ايران المعاصرة مرتبطة وانما بعلاقات مباشرة مع كل من الدولتين الاعظم لاعتبارات عديدة تتعلق بموقع ايران الاستراتيجي الهام بين اوروبا وآسيا وقريبا من الشرق الاوسط وفي مواقع السيطرة على مداخل الطرق – البحرية خاصة – الموصلة بين الشرق الاقصى واوروبا ، وعلى حدود الاتحاد السوفياتي •• هذا فضلا عن أهميتها كثاني أكبر منتج للنفط في الشرق الاوسط (بعد السعودية) • كما تتعلق بالصراع الاستراتيجي بين الدولتين في مراحله المختلفة •

والحقيقة ان النظام الايراني وضع نفسه منذ وقت طويل في وضع بالغ

التناقض والدقة · فقد عادى ايديولوجيا واستراتيجيا الدولة الاعظم المتاخمة لحدوده ، ودخل في تحالف استراتيجي وسياسي مع الدولة الاعظم الاخرى · ونظرا لوجود حدود مشتركة تمتد مسافة ألفي كيلو متر تقريبا بين ايران والاتحاد السوفياتي ، ونظرا لان ايران تعرضت ـ تاريخيا ـ لضغط عسكري مباشر من جانب الجار الروسي (السوفياتي بعد ذلك) فقد كان هناك دائما الشعور لدى ايران بأنهم « قزم ينام الى جانب عملاق » · وقد اعتقد نظام الشاه ان بامكانه حماية نفسه من الخطر القريب بمساعدة من الحليف البعيد · وكان من الواضح ، على الجانب الايراني من العلاقة الايرانية ـ السوفياتية ، ان الدوافع الرئيسية لتكوين هذه السياسة تكمن في عداء الشاه الشديد للشيوعية ، وحرصه على الحفاظ على امتيازات النظام الطبقي الذي يتزعمه ، فضلا عن تجارب تاريخية اكثرها حدة المحاولات التي جرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية لاقامة جمهورية في « اذربيجان » في شمال غرب ايران تحظى بتأييد الاتحاد السوفياتي ·

ومن المنظور السوفياتي كانت ايران قد تحولت الى حلقة شديدة القرب من حلقات شبكة الاحلاف والقواعد العسكرية الاميركية التي كانت ترمي الى محاصرة الاتحاد السوفياتي · وهو وضع استمر على الرغم من محاولات جادة من جانبه لتأمين حياد ايران · وهي محاولات بدأت بعد وفاة ستالين للترغيب والترضية وتقديم المعونات · وقد تمثلت هذه المحاولات في مبادرة سوفياتية الى تسوية ديون الحرب المعلقة لصالح ايران ، والافراج عن الارصدة الذهبية الايرانية ، واجراء تعديلات حدودية طفيفة لصالحها ، كما أقدم الاتحاد السوفياتي على الغاء امتياز نفطي كان يخوله حق استغلال النفط شمال ايران لمدة ٧٠ عاما ، وعرض تمويل التنمية الصناعية في ايران بشروط ميسرة ·

ولكن هذه الفترة نفسها كانت هي الفترة التي واجه فيها شاه ايران التغييرات الداخلية التي واكبت صعود الدكتور محمد مصدق الى السلطة التنفيذية وتأميم النفط والثورة على النظام كله مما حدا به الى الهرب ثم عودته بحركة انقلابية لم يعد خافيا ان وكالة الاستخبارات الامركية خططت لها ونفذتها · وقد جاء هذا الانقلاب المضاد ليقطع الطريق على اي تحسن للعلاقات مع موسكو ، وأدخل ايران كلية في نسق التحالف الغربي استراتيجيا واقتصاديا معا ·

تطورات الستينـــات

ولم يتغير هذا الوضع الا مع بدايات نهاية حقبة الحرب الباردة في اوائل الستينات · اي في الفترة التي ركزت فيها السياسة السوفياتية (خروتشوف) على مبدأ التعايش السلمي ، وانشغال اميركا العسكري شبه التام بحرب فيتنام ، وظهور بوادر واضحة على سياسة اميركية أقل اعتمادا على الاحلاف والقواعد

العسكرية (كنتيجة لازمة الصواريخ الكوبية في العام ١٩٦١) وانشقاق فرنسا (**ديغول**) عن الحلف الاطلسي وتشجيعها لدول العالم الثالث على نبذ التبعية المطلقة ، وتعمق تيار الحياد الايجابي وعدم الانحياز (**جمال عبد الناصر**) · في ظل تلك الظروف أحس الشاه بأن اميركا الستينات لم تعد شديدة الاهتمام به كما كانت في الخمسينات ، الامر الذي أجبره على التفكير في تحسين العلاقات مع الجار القوي : الاتحاد السوفياتي ، دون ان يكون ذلك على حساب علاقته الخاصة الاستراتيجية والاقتصادية مع الحليف القوي : الولايات المتحدة ، وذلك حرصا على عدم اختلال التوازنات الداخلية في ايران لصالح القوى التقدمية المناهضة لنظامه ·

ومنذ ذلك الوقت حتى الان ظلت سياسة ايران تجاه الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة تقوم على محاولة اصطناع حالة « شبه توازن » بينهما ، لاستحالة قيام توازن حقيقي مع استمرار ارتباط الشاه بالنظام الرأسمالي العالمي، وبالاستراتيجية العسكرية الغربية ·

لقد قامت خلال السنوات الخمس عشرة الماضية سياسة تعاون ـ على الصعيدين الاقتصادي والتقني بصفة خاصة ـ بين الاتحاد السوفياتي وايران ، تخللتها انتقادات صريحة من جانب موسكو في السنوات الاخيرة عكست عدم ارتياحها ازاء كثير من جوانب مسلك ايران الاقليمي والدولي · حتى ان الكسي كوسيغين رئيس الوزراء السوفياتي انتقد سياسة التسلح الضخم الايرانية في السنوات الاخيرة في حضور امير عباس هويدا رئيس وزراء ايران (السابق) اثناء زيارة لموسكو في تموز (يوليو) الماضي · وقد رد هويدا قائلا ان ايران لا تهدف بذلك الى بلوغ مستوى قوة الاتحاد السوفياتي العسكرية ·

وفيما كانت موسكو تبدي استياءها من محاولات الشاه لاحياء الحلف المركزي (السنتو) الذي يمر في حالة احتضار ، ودعمه للسياسة المعادية للسوفيات من جانب النظام المصري ، ودوره في اخماد ثورة عمان ، كانت طهران تبدي عدم ارتياحها لدعم الاتحاد السوفياتي للنظام الجمهوري في افغانستان المجاورة ، وتسليح الاتحاد السوفياتي للعراق ، وما يعتقده الشاه من حصول ثوار بلوخستان في شرق ايران على دعم وتشجيع من الاتحاد السوفياتي ، واعتقاده ايضا بأن ثوار المدن المعادين لنظامه داخل طهران يحصلون على تأييد ودعم من « دول اوروبا الشرقية » ·

على ان هذه التطورات لم تكن من الضخامة بحيث تخفي صميم العلاقات الاقتصادية التي يمكن اعطاء صورة سريعة عنها اذا عرفنا ان الاتحاد السوفياتي يحتل رأسي قائمة المستوردين من ايران · وقد بلغت قيمة صادرات ايران اليه في العام ٧٥ ـ ١٩٧٦ نسبة ٦ر١٨٪ من اجمالي الصادرات الايرانية · وفي العام

نفسه استوردت ايران من الاتحاد السوفياتي ما قيمته ١٦٩ مليون دولار واحتل بذلك المرتبة الثانية عشرة بين الدول المصدرة الى ايران . وقد وقعت الدولتان في تموز الماضي اتفاقية لانشاء اطول خط أنابيب للغاز في العالم من جنوب ايران الى الحدود السوفياتية ليمتد مسافة ألف كيلو متر شمالا . وستستخدم ايران هذا الخط في تصدير ١٣ مليار متر مكعب من الغاز سنويا الى المانيا الغربية وفرنسا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا عبر الاراضي السوفياتية . وفي اب (اغسطس) الماضي وقعت بينهما صفقة نفطية يشتري الاتحاد السوفياتي بمقتضاها لاول مرة في تاريخه بترولا من الخارج ، ومقدارها مليون طن من النفط الخام مقابل سلع وخدمات سوفياتية لايران .

ولكن اذا كان العداء كامنا تحت سطح العلاقات الايرانية السوفياتية ، والتعاون يتسع بهذا الحجم فوق السطح ، فانه ليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأن قوة ايران العسكرية التي تتضخم باطراد مصممة لمواجهة « الخطر السوفياتي ». فان ايران لا تملك ولا تستطيع بحكم حجمها ان تملك القوة التي تمكنها من مواجهة الاتحاد السوفياتي عسكريا مهما كان حجم تسلحها .

واذا تساءلنا ما هي وجهة نظر الاتحاد السوفياتي في توسيع نطاق تعاونه مع ايران ، فان الاجابة تتلخص في اعتبار ذلك التعاون بمثابة دعم للعلاقات مع ايران استعدادا لمرحلة « ما بعد الشاه » من ناحية . وتقليلا لاحتمالات الدور الصيني ، الذي بدا ، خاصة منذ بداية السبعينات ، مستعدا لدعم دور الشاه في الاستراتيجية الغربية الامنية في المنطقة وخارجها بهدف خلق المتاعب للاتحاد السوفياتي (وقد تم ذلك على حساب ثورة ظفار ، التي تخلت الصين عن تقديم اي عون لها مقابل سحب ايران اعترافها بحكومة تايوان واقامتها علاقات دبلوماسية مع بكين) .

اميركا .. من البداية

أما بالنسبة للولايات المتحدة ، فقد بدأت دورها الكثيف في ايران منذ ان ساعدت الشاه في عام ١٩٥٢ على استعادة عرشه ، الى تزويده بالاسلحة وضمه الى الحلف المركزي (بغداد سابقا) . ولم تكن ذريعتها في ذلك حماية نظام الشاه والنفط الايراني من الاتحاد السوفياتي فحسب ، بل حما ته ايضا من مصر الناصرية . بل لقد بدا في المرحلة التي سبقت مباشرة الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة (١٩٦٧) ان تركيز الاستراتيجية الايرانية كان موجها ضد « خطر الناصرية » اكثر مما كان موجها ضد « خطر الاتحاد السوفياتي » . ولم يكن من قبيل المصادفات طبعا ان سحبت ايران القسم الاكبر من قواتها المسلحة في العام ١٩٦٧ من مناطق الحدود مع الاتحاد السوفياتي لتوجهها الى منطقة الخليج

العربي ٠ وكان للولايات المتحدة دور في تحديد مصادر الخطر على ايران ، على النحو الذي يكشفه بيان عن لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس الاميركي (١٩٦٨) حيث يقول : « **ان على ايران ان تحتفظ بقدرة دفاعية قوية بحيث لا تكون هدفا للجمهورية العربية المتحدة او سوريا او العراق او اي من الدول العربية الاكثر راديكالية ، والتي يمكن ان يكون لديها بعض المطامع** » ٠

ويمكن القول ان الولايات المتحدة شجعت الشاه منذ ذلك الوقت على الاستعداد لان تكون له سياسة استراتيجية هجومية لا دفاعية بعد الهزيمة العسكرية العربية في العام ١٩٦٧ ، حتى قبل ان يتيح له الانسحاب العسكري البريطاني من مناطق شرق السويس (وخاصة من الخليج العربي) التفكير في ان تصبح ايران القوة الكبرى البديلة لبريطانيا في هذه المنطقة ، وهو انسحاب اعلنت خطته في العام ١٩٦٨ واكتمل تنفيذه في العام ١٩٧١ ٠ وبين هذين التاريخين فان اختفاء جمال عبد الناصر عن مسرح المنطقة كقيادة قادرة على المستوى الاقليمي والعالمي كان عنصرا اخر في دعم هذا التفكير في الدور الايراني سواء لدى الشاه او الولايات المتحدة ٠ فقد جاء رحيل عبد الناصر ليوسع دائرة « فراغ القوة » في المنطقة الذي استندت اليه الفكرة الاميركية لاقناع الشاه بدور « **القوة العظمى المصغرة** » لمنطقة غرب اسيا ، وهي فكرة ليست غريبة عن الاستراتيجية الاميركية العالمية وتطلق عليها بالانجليزية اسم Mini - ouyder - power

وهكذا فان تضاؤل اهمية الاحلاف العسكرية ، بالنسبة للحماية التي كانت تمثلها للشاه ، وبالنسبة لسياسة الحصار الاميركية للاتحاد السوفياتي ، في وقت واحد قد أوجدت متغيرا في اتجاه واحد بالنسبة لايران والولايات المتحدة ، ولم تباعد بينهما كما يذهب بعض الكتاب والمحللين السياسيين الذين يظنون ان اخفاق سياسة الاحلاف قد باعد بين الولايات المتحدة وايران وخلق تقاربا بينها وبين الاتحاد السوفياتي ٠

تطورات السبعينات

وقد ازداد التقارب الاستراتيجي بين ايران والولايات المتحدة نتيجة عدد من التطورات التي طرات على احداث المنطقة والعالم :

● **خروج الولايات المتحدة من هزيمتها العسكرية والسياسية ، في فيتنام باقتناع بضرورة تشكيل قوى محلية تقوم بالدور الذي كانت تعهد به لنفسها من قبل ٠ وهذا المبدا الجديد الذي تلخصه كلمة « فتنمة » وان كانت « الفتنمة » قد اخفقت في فيتنام اصلا ٠**

● حرب اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ بما دلت عليه بالنسبة لكل من

الولايات المتحدة وايران من دلالات . واهمها تقلص اهمية اسرائيل الاستراتيجية على نحو سحب البساط ، بعض الشيء ، من تحت اقدامها بوصفها القوة العظمى المصغرة . فلم تعد مهيأة للقيام بهذا الدور وحدها في المنطقة الممتدة على طول غرب اسيا وتخوم غرب آسيا مع منطقة البحر الاحمر والقرن الافريقي . ومن هذه الدلالات ايضا ، وبالنسبة لايران بصفة خاصة ـ ضرورة التنسيق مع العرب نفطيا ، والعمل ضدهم استراتيجيا .

● تعاظم القوة العسكرية للاتحاد السوفياتي في منطقة المحيط الهندي القريبة للغاية من الخليج العربي وايران والبحر الاحمر ، وفي الوقت نفسه سعي الولايات المتحدة الى تأكيد وجود قوي بحري لها في المحيط الهندي وحوله ، عن طريق اقامة قاعدة دييغو غارتيا ، وعن طريق تزويد ايران باسلحة بكميات هائلة ونوعيات متطورة وكذلك اقامة محطة تجسس واسعة المدى في الاراضي الايرانية .

● تعاظم ـ وبالاحرى عودة ـ النفوذ الاميركي الى بلدان في منطقة الشرق الاوسط وافريقيا دون ان يكون لهذا النفوذ المتجدد ما يسانده من ركائز عسكرية . ووجود ظروف اميركية ومحلية تحول دون اعادة الوجود العسكري الغربي الى المنطقة الى مستواه السابق . سواء لحرص الولايات المتحدة على بقاء اختلال التوازن العسكري في المنطقة لصالح اسرائيل (مهما كان عمق النفوذ الاميركي في بعض الدول العربية) ، او لوجود واقع موضوعي خلقته فترة المد القومي العربي يتعذر زحزحته او تبديله في المجال العسكري على نحو ما جرى في المجال السياسي والى حد ما في المجال الاقتصادي .

● ظهور سابقة استخدام السلاح النفطي في عام ١٩٧٣ بصورة ادت الى ظهور سابقة التهديد الاميركي باحتلال منابع النفط العربي ، وبطبيعة الحال فان الولايات المتحدة تفضل وجود قوة محلية في الشرق الاوسط تستند اليها تحركاتها العسكرية او تعهد اليها اساسا بالتحرك العسكري لتنفيذ مثل هذا التهديد . وايران في هذا الصدد تشكل قاعدة وركيزة كبيرة ، او على الاقل مستودع ذخيرة ضخم يمكن ان يوضع تحت تصرف مثل هذه الخطة الاميركية .

● الانقسام الذي اصاب باكستان في العام ١٩٧١ نتيجة للحرب التي اسفرت عن ميلاد دولة بنغلاديش . وهو انقسام اقلق شاه ايران لاسباب عديدة ، اولها تشابه من عدة جوانب بين التركيب الباكستاني والتركيب الايراني سكانيا ، ووجود اقليات قومية لها تطلعات البنغاليين في باكستان قبل قيام بنغلاديش . وفيما يتعلق بتطورات شبه القارة الهندية فقد تكلفت الولايات المتحدة بالدور الرئيسي في السنوات القليلة الاخيرة لتمهيد الاوضاع السياسية التي تقرب دول شبه القارة الثلاث الى الغرب . واصبح الواقع مهيأ لايران للقيام

بدور اكثر انتشارا ، لا يقتصر على التحالف مع باكستان ، بل يتعداه الى اغراء الهند بالتعاون الاقتصادي والسياسي ، واغراء بنغلاديش بمفهوم التحالف الاسلامي ٠

● ارتفاع عائدات النفط بعد العام ١٩٧٣ نتيجة ارتفاع الاسعار ، الامر الذي جعل من ايران ــ رغم كل مشاكلها الداخلية ــ حليفا غير مكلف للولايات المتحدة ٠ حليف قادر على ان يحول نفسه استراتيجيا ، بل قادر على ان يسمح في تحسين حالة ميزان المدفوعات الاميركي من خلال المبالغ التي يدفعها مقابل صفقات الاسلحة الضخمة التي يحصل عليها ٠ وهنا فان المقارنة ــ من وجهة النظر الاميركية ــ مع اسرائيل تكون لصالح ايران ، فهي مكتفية ذاتيا من الناحية المالية ، في حين ان اسرائيل تعتمد اعتمادا كليا على المساعدات المالية والعسكرية ٠ فلا يبقى في كفة اسرائيل الا حقيقة انها قد اختبرت كقوة عسكرية عدة مرات ، فنجحت في الاختبارات التي اجتازتها في مواجهة الدول العربية (بما في ذلك اختبار حرب اكتوبر ١٩٧٣ رغم « التقصير » الذي حدث في بدايتها) ٠

ويصبح من الضروري اختبار قدرة ايران ايضا على القيام بهذا الدور هي الاخرى ، على نطاق اوسع مما اتاحته مشاركتها العسكرية في اخماد ثورة عمان ، واوسع ايضا مما اتاحه احتلالها السريع ، وبلا مقاومة تذكر للجزر العربية الثلاث في الخليج : طنب الكبرى وطنب الصغرى وابو موسى في نهاية العام ١٩٧١ ٠

وفوق كل اعتبارات العلاقات الايرانية الاميركية يوجد الاعتبار الاساسي الذي تدل عليه حقيقة ان الولايات المتحدة هي المصدر الاكبر لكل ما تحصل عليه ايران من اسلحة متطورة ٠ وليس هناك ما يدعو لاي اعتقاد بان كل الكميات الهائلة من الاسلحة التي تحصل عليها ايران من الولايات المتحدة هي مجرد بند في التجارة بين البلدين ٠ انما هي في الاساس جزء من الاستراتيجية الاميركية الاقليمية والعالمية ٠ (وسنتناول بقدر اكبر من التفصيل ملامح سياسة التسلح الايرانية) ٠ وبالتالي لا يمكن فصل سياسة تسليح ايران عن الابعاد الاخرى لهذه الاستراتيجية الاوسع : اي عن تعاظم النفوذ السياسي الاميركي في الشرق الاوسط من جديد ، ولا عن الاهداف النفطية الاستراتيجية الاميركية للطاقة ، ولا عن الاهداف المتعلقة بتطويق الاتحاد السوفياتي عسكريا وسياسيا ، ولا عن اهداف ضرب ما تعتبره الولايات المتحدة « الحركات الراديكالية » اي كل حركة ثورية او تيار تقدمي ، ولا عن اهداف دعم اسرائيل كقاعدة لا غنى عنها ولا بديل لها ــ مهما حدث من تطورات ٠ وعلى خلفية من هذه الحقائق ينبغي رؤية الواقع الراهن الذي يشهد بان ايران اصبحت قاسما مشتركا في مشكلات وقضايا المنطقة ، وانها تحاول ان تمارس في كل

منها دورا نشطا ـ من قريب او من بعيد ٠

الاحتمال النووي

وقد طرأ في الفترة الاخيرة عنصر جديد بشكله الحديث ـ الاتي دائما من مصادر اميركية ـ عن احتمال تسلح ايران نوويا باعتبار ان ذلك هو الرد الوحيد الفعال على الحجة القوية القائلة بان ايران لا تستطيع ان تخلق قوة عسكرية متحدية للقوة العسكرية السوفياتية مهما توفر لها من كميات ونوعيات الاسلحة التقليدية ٠ واذا كانت هناك معلومات عن تعاون نووي (ربما يكون تمهيديا للان) بين ايران واسرائيل وجنوب افريقيا ، فان هذا لا يعني ان الولايات المتحدة ستكون بعيدة على المسؤولية اذا ما دخل السلاح النووي الشرق الاوسط سواء من باب ايران او من باب اسرائيل ٠ فلن يكون تسلح ايران نوويا عملا لحسابها ، بل لحساب الاستراتيجية الاميركية الموجهة ضد النفط العربي وضد الامن السوفياتي معا ٠

ومن المسلم به ان السلاح النووي هو سلاح للردع يغني « وجوده » عن « استخدامه » ٠ ولهذا فهو سلاح « سياسي اكثر منه قتالي » ٠ وليس هناك ما يستبعد تفكير الولايات المتحدة في اللجوء الى هذا الرادع النووي لفرض اوضاع استراتيجية وسياسية في المنطقة لاطول امد يمكنها تصوره ٠

وقد ذكر السناتور الاميركي ادوارد كينيدي ـ في مقال كتبه في مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs الاميركية بعد زيارة قام بها لمنطقة الخليج العربي في العام ١٩٧٥ ـ انه « **ينبغي على الولايات المتحدة ان تواجه الا يتوقف تدفق الاسلحة الى الخليج الفارسي عند حدود الاسلحة التقليدية** » ٠★ واذا كان السناتور كينيدي يطرح هذه النقطة ـ من موقع خارج السلطة التنفيذية في الولايات المتحدة ـ محذرا من هذا الاحتمال الخطير ، فانه انما يدعو الى رقابة « اميركية » على تسلح كل دول الخليج كحل لمشكلة مخاطر تدفق الاسلحة على دول تلك المنطقة ، ولا يعتبر ايران في هذا الصدد مصدر خطر خاص او وضع متميز ٠

الدائرة الثانية ـ الاضيق من الاولى ـ **هي دائرة علاقات ايران مع الوطن العربي ككل** ٠ وتشمل هذه الدائرة علاقات ايران مع اسرائيل ، ومصر ، وباقي الدول العربية غير الخليجية : اي الدول العربية الافريقية بالاضافة الى سوريا ولبنان والاردن وفلسطين ٠

★ عدد اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥ من المجلة المذكورة ٠

والظاهرة الجديرة بالاهتمام في السنوات الاخيرة ـ خاصة منذ العام ١٩٧٣ ـ انتهاج ايران سياسة تدخل نشط في الشؤون العربية ـ حتى غير الخليجية ـ وبصفة خاصة في مشكلة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وهو تدخل يتم لترجيح كفة القوى الممثلة للاتجاه الاميركي في معالجة شؤون المنطقة وفي ادارة هذا الصراع · ونتيجة لهذا فان ايران تتحاز في هذا الصراع الى جانب دول عربية معينة وتنسق معها ، وتنحاز ضد دول عربية اخرى وتعمل ضدها ·ـ
(نلاحظ انه حتى قبل « مبادرة السادات » الاخيرة التي اخذته الى اسرائيل والتي لقيت تشجيعا كبيرا من ايران ـ اتخذ شاه ايران سياسة تأييد لمواقف السادات في صراعه ضد ليبيا ، وذهب في هذا الى حد مشاركة السادات في توجيه السباب نفسه ضد الرئيس الليبي · واكثر من هذا فقد أيد دون موارية الهجوم العسكري الذي شنته قوات السادات على ليبيا في العام الماضي · وذلك على الرغم من حقيقة ان ليبيا لا تشكل بأي حال تهديدا مباشرا او غير مباشر لايران، على الاقل بحكم البعد الجغرافي الشاسع بين الدولتين) ·

على ان من المهم ان نلاحظ انه قبل التطورات الاخيرة التي قربت بين ايران وعدد من الانظمة العربية كانت هناك خلفية يلونها عداء الشاه ـ المنطقي والمفهوم ـ ازاء القومية العربية ومفهومها الناصري بالتحديد · الامر الذي صبغ العلاقات الايرانية ـ العربية طوال فترة المد القومي بقيادة جمال عبد الناصر بالتوتر · وفيما كانت مصر تقود حركة التحرر الوطني العربي « من المحيط الى الخليج » كانت ايران تبذل اقصى ما بوسعها للعمل في اطار الاستراتيجية الامبريالية الاميركية ضد هذه الحركة ، على الاقل في الاطار القريب منها جغرافيا · وقد وضع الشاه سياسته طوال الخمسينات والستينات في اطار العداء للعرب اساسا بحكم انتمائه للاستراتيجية الغربية الامبريالية ، وتوجه العرب ضد هذه الاستراتيجية ، فكانت معارك القومية العربية في الخمسينات ضد الاحلاف العسكرية وسياساتها موجهة ضد ايران بقدر ما كانت موجهة ضد القوى الكبرى وراءها : الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا · كما كان اهتمام ايران بالذات بدخول تلك الاحلاف موجها في جانب كبير منه ضد العرب ، ضد حركة القومية العربية التحررية بوصفها « تهديدا لقومية اضيق حدودا هي القومية الفارسية، وتهديدا لنظام الشاه وما يمثله سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، فلقد حملت التأثيرات التحررية العربية في فترة المد القومي الناصري تياراتها الاجتماعية والسياسية الى داخل ايران نفسها ، فضلا عن انها حدت من قدرة الشاه على الافصاح عن مطامعه الاقليمية فضلا عن تنفيذها ·

ايران ·· واسرائيل

ولما لم يكن باستطاعة الشاه لاعتبارات لها حساسيتها (مثل العامل الديني

الاسلامي) ان يعمل علنا في صف اسرائيل : الدولة اليهودية ضد البلـــدان العربية ، فانه لجأ طوال الاعوام الثلاثين الماضية الى اسلوب العلاقات السرية مع اسرائيل ، على نحو لم يمنع هذه العلاقات من ان تتجاوز في قوتهاواتساعها المدى الذي بلغته علاقات اسرائيل العلنية بدول اخـرى كثيرة · والواقـع ان السياسات العربية لم تقم بدور كاف في كشف النقاب عن تلك العلاقات السرية وحجمها ، ربما حرصا على عدم دفع ايران الى تحويل هذه العلاقات الىعلاقات اعتراف رسمي وعلني · ولكن العلاقات الايرانية ـ الاسرائيلية اسهمت بغيـر شك في زيادة حدة توتر العلاقات الايرانية ـ العربية لسنوات طويلة ·

وقد حظيت مسألة العلاقات الايرانية ـ الاسرائيلية حتى الان باهتمـــام الدارسين غير العرب بأكثر مما حظيت من الدارسين العرب · ونجد في كتـاب اصدره اثنان من الاساتذة الايرانيين العاملين في الجامعات الاميركية اهتماما بهذه الزاوية من زوايا العلاقات الايرانية ـ العربية · وعلى الرغم من ان مؤلفي هذا الكتاب ليسا معاديين لنظام الشاه او مناصرين للقضايا العربية وبالتحـديد فانهما يقدمان ما يمكن اعتباره شهادة مقبولة ومتزنة لطبيعة العلاقات الودية التي اقامها الشاه مع اسرائيل ، فهما يعتبران : **ان اعتراف ايران باسرائيل ـ وهو اعتراف « واقعي وليس قانونيا » يقوم على أساس من اعجاب الشاه بمنجـزات اسرائيل وقيادتها ، وحاجة ايران الى اسواق اسرائيل لتصدير النفط واستيراد سلع صناعية خاصة في وقت يعتبر فيه العرب منافسين لايران في انتاج البترول وتسويقه · ويكشفان ان اهداف ايران واسرائيل التقت في « عرقلة الوحـــدة العربية » · ويشيران الى رغبة اسرائيل في الخروج من عزلتها الاقليمية عن طريق ايران ، وتسويق البترول الايراني الذي استهدف قرار اغلاق خليج العقبة (في ايار ـ مايو ١٩٦٧) حرمان اسرائيل منه · كما يشيران الى حصـول ايران على اسلحة من اسرائيل لحساب الاكراد لمحاربة العراق ·** ★

والواقع ان ايران تقيم مع اسرائيل علاقات وثيقة في معظم الميادين ، بما في ذلك الميدان الاقتصادي والعسكري · وتمنح ايران لاسرائيل حق هبـــوط طائراتها في المطارات الايرانية ، وهو حق يقتصر استخدامه على وقت الحـرب دون وقت السلم · بل ان شهادة شاهد عيان ايراني (نشرتها مجلة « باري ماتش » الفرنسية في عددها الصادر في تموز ـ يوليو ١٩٦٧) قررت ان الطائرات الحربية الاميركية كانت تهبط في المطارات الحربية الايرانية اثناء حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ وهناك كانت تغير الوانها وترسم عليها علامات نجمة داود المميزة لسلاح الطيران الاسرائيلي ، ثم تنتقل بعد ذلك الى اسرائيل ·

★ Shoran Chubin & Sepher Zabih, The foreign relations of Iran. University of California press, 1974.

وبالنسبة للعلاقات النفطية ربما لا يعرف كثيرون ان الشركة الايرانية للنفط هي المستخدمة الرئيسية لخط انابيب النفط الاسرائيلي الذي افتتح في العام ١٩٧٠ والذي يربط بين « ايلات » على البحر الاحمر و « اشدود » على البحر الابيض المتوسط ٠

وقد نشر اخيرا تقرير اميركي صادر عن « لجنة الطاقة والمصادر الطبيعية » التابعة لمجلس الشيوخ الاميركي بعنوان : « **الوصول الى النفط : علاقات الولايات المتحدة بالسعودية وايران** » ٠ ويحتوي التقرير على اجزاء تتعلق بروابط ايران واسرائيل ٠ ومما يقوله التقرير انه يصعب ذكر اشياء كثيرة عن العلاقات الايرانية الاسرائيلية بحكم كونها علاقات غير علنية ٠ ويكشف التقرير ان تعهد ايران بتزويد اسرائيل بالنفط لعب دورا رئيسيا في توقيع اتفاقية سيناء ـ الثانية بين مصر واسرائيل في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٥ ٠

ويشير التقرير الاميركي دون مواربة الى أن **التعاون الايراني ـ الاسرائيلي « يمكن ان يكون مكثفا خصوصا على مستوى اجهزة الاستخبارات » لمواجهة « خطر التطرف العربي »** ٠ كما يشير الى ان هناك تلميحات **الى وجود تعاون نووي بين ايران واسرائيل وجنوب افريقيا** ٠

وربما كانت قصة التعاون النووي الثلاثي بين ايران واسرائيل وجنوب افريقيا قصة المستقبل غير البعيد في تطورات الدور الايراني المتوسع ٠ وحتى الان ظهرت من القصة مقدمتها فقط ، ولكنها مقدمة بالغة الدلالة ٠

ـ لقد تعاقدت ايران على سبع محطات للطاقة النووية ، اثنتين من فرنسا واثنتين من المانيا الغربية وثلاث من الولايات المتحدة ٠

ـ اشترت ايران من جنوب افريقيا ١٠٪ من اسهم مشروع لانتاج اليورانيوم المخصب ، و ٣٠٪ من اسهم مشروع من النوع نفسه من جنوب افريقيا ايضا ٠ والمشروعان مملوكان لاثنين من اكبر منتجي خام اليورانيوم في العالم ٠

ولم يعد خافيا ان جنوب افريقيا تتعاون مع اسرائيل في مجالات عديدة ،بينها النشاط النووي ، فتكون جنوب افريقيا هي القاسم المشترك او همزة الوصل في عملية التنمية النووية الثلاثية بين هذه الدول الثلاث ٠

ويجيء دور ايران في السنوات الاخيرة في صف النظم العربية الساعية الى تسوية مع اسرائيل بوساطة او « تحكيم » الولايات المتحدة مؤكدا تعاون ايران مع الجانب الاسرائيلي ضد القضية الفلسطينية ٠

وحساسية شاه ايران الشديدة ضد الثورات وضد كل مظاهر الكفاح المسلح التي يعتبرها « قوى تخريبية » او « ارهابية » او « فوضوية » او « شيوعية » تجعله بعيدا للغاية عن أن يكون ـ مهما حاول ان يبدو ـ مؤيدا للقضة الفلسطينية٠

اما صوت ايران في الامم المتحدة الذي يدفع للعرب في كل مرة فانه لا يمكن ان يوازي حجم التعاون الايراني ـ الاسرائيلي ، ولا يمكن ان يبرر وقوف الشاه بأقصى درجات التأييد النشط والديناميكي الى جانب مبادرة السادات الاخيرة (حتى لقد تحدثت تقارير عن قيام الشاه بدور في الاعداد لزيارة السادات لاسرائيل) ٠

ولما كانت الولايات المتحدة هي القوة الكبرى الموجهة لتحركات الاطراف الموالية لها في ازمة الشرق الاوسط : اسرائيل وايران والنظام المصري والمغرب وعدد من النظم الاخرى الشرق اوسطية ٠٠ فان المبرر قائم لتصور توجيه الولايات المتحدة معظم هذه الاطراف نحو ضرورة التعاون مع الشاه والتشاور معه في كل التحركات التي تتم في اطار « الدبلوماسية السرية » ٠ وقد اصبح من الواضح فعلا ان كل خطوة يتخذها النظام المصري ـ مثلا ـ يسبقها « التشاور » مع الشاه ويليها « اطلاع » الشاه على النتائج ٠ بحيث اصبحت طهران محطة دائمة في رحلات الذهاب والعودة بالنسبة للرئيس المصري نفسه وبالنسبة لمبعوثيه الى الخارج ٠ وهكذا يكبر دور ايران الشاه الى حد يصغر معه دور مصر ، ودور اي بلد عربي اخر يمكن تصور قيادته للعمل العربي ، حتى ولو على الصعيد الدبلوماسي ٠

وقد حاول التقرير الاميركي الذي سبقت الاشارة اليه ـ والذي يحمل عنوان « الوصول الى النفط : علاقات الولايات المتحدة بالسعودية وايران » ـ الاجابة على السؤال : الى اي مدى تؤيد ايران حل النزاع العربي ـ الاسرائيلي ٠ وفي هذا الصدد اورد التقرير اجابتين متناقضتين لكل منهما وجاهتها ٠

● فهو من ناحية يرى ان بقاء النزاع العربي ـ الاسرائيلي قد يكون لمصلحة ايران لسببين رئيسيين : الاول ان عدم حل النزاع سيؤدي الى حظر نفطي عربي (يحول ايران الى المصدر الوحيد لنفط الشرق الاوسط بالنسبة للعالم الغربي كله) او الى خفض لانتاج النفط العربي ـ السعودي اساسا (يتيح الفرصة لزيادة صادرات نفطها) او الى موافقة السعودية على رفع اسعار النفط (وهو ما يعود بفائدة مالية اكيدة على ايران كما على غيرها من الدول المصدرة للنفط) ٠ والسبب الثاني ان استمرار النزاع يجعل دولا عربية عديدة ـ على رأسها العراق ـ مهتمة ومنشغلة بقضايا اخرى غير ايران (الامر الذي يتيح لايران على الاقل ان تسلك على النحو الذي سلكته في اخر العام ١٩٧١ عندما احتلت الجزر العربية الثلاث في الخليج والعرب منشغلون عنها) ٠

● والتقرير من ناحية اخرى يطرح اجابة مناقضة تقول ان استمرار النزاع العربي الاسرائيلي يعرض الانظمة العربية المعتدلة ، الصديقة لايران والخاضعة الآن لنفوذها) للسقوط ، ويشكل دعوة الى الاتحاد السوفياتي لكي يعود الى

المنطقة • فضلا عن ان تسوية النزاع تحل عقدة التعاون الايراني ــ الاسرائيلي التي تقف عقبة في وجه دور ايراني اوثق في منطقة الخليج •

والاجابتان تبدوان متوازنتين فقط اذا سلمنا ان ايران تملك الخيار وحدها في تحديد ما تريد وما لا تريد فيما يتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي • ويحل هذا التناقض بصورة تكاد تكون تلقائية في ضوء حقيقة ان ايران مضطرة في النهاية الى اداء دورها في الاستراتيجية الاميركية ايجابا وسلبا • وفي المرحلة الراهنة فان استراتيجية الهجوم غير المباشر التي تنتهجها الولايات المتحدة لاستعادة كل مواقع نفوذها تفرد لايران دورا واسعا وهاما بمقدار تسلحها وبمقدار واتساع حركتها في المنطقة • ولا ينفي هذا بطبيعة الحال ان الولايات المتحدة تلعب في رسم هذا الجزء من استراتيجيتها على دوافع موجودة فعلا لدى ايران الشاه : دوافع بعضها مخاوف حقيقية وهمية ، وبعضها احلام يقظة توسعية يحييها في خياله التراث الفارسي الغابر ، وبعضها الاخر الخطط التي تمليها على الشاه حقائق الاضطرابات الداخلية في بلاده التي يعمل فيها فعل التسكين وجود العامل النفطي الذي لم يبق من عمره الا ١٥ عاما ، كما قلنا من قبل •

وبطبيعة الحال فان قسما كبيرا من الدائرة الثانية يدخل في الدائرة الثالثة بحكم دخول الخليج العربي في الدائرة الاكبر للوطن العربي • ولهذا فان امورا عديدة من علاقات ايران بالوطن العربي عموما تؤثر وتتأثر بعلاقات ايران بالمنطقة العربية الاقرب لها ، وهي منطقة الخليج •

والدائرة الثالثة موضوع قائم بذاته •• فهي عمليا الهدف المباشر للخطر الايراني ، وهي المقصودة بالدرجة الاولى ببرنامج التسليح الايراني الذي تجاوز كل الحدود المنطقية والمتصورة •• فهي ــ في التحليل الاخير ــ « المجال الحيوي » •

جورج ناصيف

لبنان، الصدامات المسلحة والمواجهة

لم يكن الصدام العسكري الواسع الذي افتعلته القوى النظامية التابعة سياسيا « للجبهة اللبنانية » المستظلة بلواء الشرعية ، والميليشيات الطائفية مع قوات الردع العربية مجرد صدفة نجمت عن حادث فردي ابن ساعته ، على حد تعبير كميل شمعون · بل على العكس من ذلك ، فان عوامل هذا الصدام كانت تتجمع في الافق بتراكم كمي ونوعي قاد الى الانفجار ، بعد سلسلة تفجيرات صغيرة سياسية وعسكرية ، من الممكن ملاحظة ابرز محطاتها المتمثلة بالدعوات المتواترة يوميا التي اطلقها الشيخ بيار الجميل رئيس الكتائب حول ضرورة استرداد لبنان لامنه « المستعار » ، وتحديدا في المناطق الخاضعة لهيمنة « الجبهة اللبنانية » وبالاضراب الاول الذي اعلن بسبب تعطيل الرقابة لجريدة « الريفاي » مدة ثلاثة ايام · ثم الاضراب الاخر الذي اعلن باسم اهالي الدامور ، ثم خلوة - زغرتا واصرارها على « التعددية الحضارية » وتركيزها على دور الجيش في صيانة « القيم اللبنانية الاصيلة » وقبل كل ذلك وضع شروط تعجيزية تجعل الوفاق الوطني اسما اخر لرضوخ الفريق الوطني لشروط « الجبهة اللبنانية » ، بعد رهن تحقيق هذا الوفاق بازالة العائق الفلسطيني في الجنوب بما يضمن « خروج المنظمات الفلسطينية نهائيا من اللعبة السياسية » كما ترى « النهار » · ووسط دعوات الجميل للاتفاق حول اي لبنان نريد ، جرت اوسع عمليات ارهاب استهدفت القيادات الاسلامية ، ثم جرى تعميم حملة المتفجرات لتشمل الشوارع التي تعج بالمواطنين ، كما حدث في ساحة الشهداء ورياض الصلح ·

كان الموضوع الذي تراهن « الجبهة اللبنانية » عليه ، من أجل اعادة اغراق الوضع اللبناني في دوامة الاقتتال ، هو افتعال صدام بين الجماهير الشيعية في الجنوب والمقاومة الفلسطينية ، ولكن نجاح المقاومة والحركة الوطنية بتنظيم التواجد الفلسطيني بما يضمن مصالح الجماهير اللبنانية والثورة الفلسطينية اسقط في يد « الجبهة اللبنانية » ، رغم محاولاتها الموصولة لاحياء جثث الاقطاع السياسي ، حتى انها قبل يومين فقط من الانفجار كانت القيادة العسكرية تعقد اجتماعا برئاسة بشير الجميل ، وبحضور عادل عسيران وعبد الحميد الاحدب ، يخرج هذا الاخير على اثره ليعلن ان « المعركة التي نخوضها هي معركة

وطنية ونحن الان مهتمون بتحرير كل لبنان » الامر الذي ذكر بتصريحات للجميل الصغير وعد فيها « ليس بتحرير لبنان فقط ، بل بتحرير اي جزء من المنطقة يشكل خطرا على لبنان ، والجدول الزمني جاهز بانتظار القرار السياسي » · اما عنوان « العمل » فكان يومها : الوضع شيعيا يتجه نحو الحسم ·

اذا كانت هذه هي المقدمات السياسية الشديدة العمومية ، حيث سنعود الى تفصيل الجانب السياسي لاحقا ، فما هي المقدمات الامنية ، وكيف حدث الصدام وتطور ؟

الصدامات المسلحـة

بعد تفاقم موجة المتفجرات ، ادركت قيادة الردع ان هناك نوايا مبيتة تستهدف تفجيـر الوضع الامني ،الامر الذي دفعها الى تكثيف دوريات قواتها ، واقامة حواجز ثابتة ومتنقلة كجزء من خطة امنية شاملة على الاراضي اللبنانية كافة ، غايتها ضبط الامور بشكـل افضل « وبعد حوادث التفجيرات التي حصلت في الاونة الاخيرة » كما جاء في بيان الردع في حينه · لكن هذا الامر لم يقع موقع الرضا عند كميل شمعون الذي رد على سؤال حول هذه الاجراءات قائلا : « في الواقع ، لا اعلم سبب ذلك ، ولا اعرف الدوافع التي حتمت قيام مثل هذه التدابير وبهذه الكثافة ــ خصوصا في هذه المنطقة بالذات وهذا القسم مــن لبنان » ·

وفعلا ، لم يمض على اعتراض شمعون وقت قصير ، حتى كانت ثكنة الفياضية بما تحويه من عناصر انعزالية تتولى ترجمة اعتراضات شمعون عسكريا · وكانت قوات الردع ، وفي نطاق تدابيرها الامنية قد اقامت حاجزا يبعد حوالي ٥٠ مترا عن الثكنة بعد ورود معلومات مؤكدة تقول ان العناصر الانعزالية النظامية التي تنتمي لحزبي الكتائب والاحرار تعمل على نقل كميات ضخمة من الاسلحة وردت الى الجيش اللبناني من الولايات المتحدة كأدوات لتفجير القتال · ومعظم هذه الاسلحة جرى تسريبه بواسطة شاحنات عسكرية الى مقاتلي الحزبين في الشوف ، وتحديدا الى دير القمر ، فضلا عن كميات محدودة ذهبت الى ازلام عدد من الزعامات الشيعية اليمينية في الجنوب ·

الخطوة الاولى في الاصطدام كانت عملية استفراد جنديين من قوات الردع واختطافهما واقتيادهما الى الثكنة · وفي الوقت نفسه كانت تندفع مجموعات مسلحة من داخل الثكنة وتتوجه نحو الحاجز تطلب ازالته · وفعلا امتثل العناصر الخمسة الذين يشكلون عناصر الحاجز ورفعوا الحاجز ، لكن النار اطلقت عليهم اثناء انسحابهم مما ادى الى مقتـل البعض واصابة الاخرين بجراح · وعلى بعد حوالي مئة وخمسين مترا عن الثكنة ، ولجهة الجمهور ، كان النقيب سمير الاشقر قائد المغاوير المعروف بصلاته الاسرائيلية ومعه عـدد من عناصر الثكنة ، والى جانبه النقيب فرنسوا زين يقطعان الطريق · وصودف اثناء ذلك ان مرت سيارة جيب عسكرية لقوات الردع ، وفي داخلها نقيب سوري مع احد العناصر · وعندما ترجل النقيب لمعرفة ما جرى ، اطلق عليه النقيب الاشقر النار من مسدسه فأصابه في رجله وخاصرته ، ثم تركه ينزف ارضا حوالي الساعتين حتى توفي ·

كان اختيار منطقة الفياضية كمسرح للاشتباك مدروسا ، لان هذه المنطقة يخترقها خط بيروت ــ دمشق حيث تعبر سيارات قوات الردع باستمرار وهي تقل الجنود والضباط لقضاء اجازاتهم في العاصمة السورية او لتنفيذ بعض المهمات التموينية · وكانت كلما عبرت واحدة

من هذه الشاحنات تطلق عليها النيران بغزارة ، وصودف اثناء ذلكان مرت شاحنة تابعة للردع فتعرضت لاطلاق نار كثيف ، الا ان عنصرين من عناصر الشاحنة تمكنا من الافلات . واجتازا المرتفعات الشجرية حتى بلغا منطقة اليرزة حيث تجمع قوات الردع وابلغا القيادة بما يحدثعلى طريق الفياضية ، فتحركت قوات كبيرة معززة بأسلحة ثقيلة نحو منطقة الاشتباكات وتمكنت من تطهير ابنية الضباط القريبة من الثكنة ومحاصرتها ، وخلال هذه المعركة قتل الملازم في الجيش اللبناني عبد الله حدشيتي وثلاثة عناصر معه ·

هذا ما حدث يوم الاثنين ٧-٢-١٩٧٨ · ورغم ان البيان المشترك الذي صدر عن قيادتي الردع والجيش قد أكد تطويق الحادث ووعد باتخاذ التدابير التأديبية بحق مسببيه ، فان قيادة « الجبهة اللبنانية » كانت تتحرك باتجاه التصعيد حيث ترأس شمعون اجتماعا لقيادة « القوات الموحدة » وصف مشاركته فيه بأنها محض صدفة ، ووصف الحادث بأنه ابن ساعته ، مبديا امله في ألا ينعكس سلبيا على العلاقات العسكرية اللبنانية - السورية ، نازعا عن القوات السورية صفة قوات الردع العربية · أما بيار الجميل فلم يستغرب ما حدث ، « لان الجيش لا يمكن ان يكون بوليسا خصوصا وانه ليس جيشا لبنانيا ، وانا استغرب الا يحصل اكثر من ذلك ، وعلينا ان نعمل ليسترد لبنان امنه بنفسه لان الامن المستعار لا يمكن ان يكون امنا كاملا » · وفي المنحى نفسه ، كانت « العمل » في زاوية « من حصاد الايام » تقول : قد يكون حادث امس اسوأ وسائل التعبير عن سوء التفاهم الحاصل بين الناس والجهات المسؤولة عن امنها ·· ولا نفهم لماذا لا تسترد قوى الامن ادوارها فتتفرغ قوة الردع لمهامها الاصلية او على الاقل لمهمة ردع القوى المسلحة غير اللبنانية » · اما التحليل السياسي « للعمل » فقد كان كاتبه مدهوشا لان بعض « الحوادث تقع حيث يجب الا تقع ، وبعض التدابير تتخذ في غير المواقع التي يفترض ان تتخذ فيه » ·

كان القتال قد توقف يوم الاثنين بالقرب من ثكنة الفياضية ، اثر انذار وجهته قيادة قوات الردع العربية لتسليم المتسببين والمسؤولين عن اطلاق النار على حاجز الردع والسيارة العسكرية والشاحنة ، لكن قيادة انطوان بركات في الثكنة رفضت تطويق ذيول الحادث ، بعد موقف « الجبهة اللبنانية » ·

وصباح يوم الثلاثاء ، كان القتال يمتد الى ضواحي بيروت الشرقية بعد نزول عناصر حزب « الاحرار » الى الشارع ، ثم تبعهم مقاتلو الكتائب ، وبدأت حواجز ونقاط قوات الردع المتواجدة في سن الفيل وفرن الشباك ومستديرة السلام في الاشرفية وطلعة ساسين تتعرض لنيران القذائف الصاروخية المضادة للدروع ، فيما قصفت مدفعية الميدان الموجودة في بيت مري وبرمانا مواقع قوات الردع العربية الموجودة في الحازمية واليرزة والجمهور وبالقرب من ثكنة الفياضية مما ادى الى اصابة القصر الجمهوري بعدة قذائف ، ودفع بقيادة الردع الى الرد على مصادر القصف بقصف عنيف · كما هاجمت قوات الردع مركز حزب « الاحرار » الرئيسي في منطقة السوديكو (الناصرة) حيث قصف المركز قصفا عنيفا، وكان شمعون في داخله ، ومركز الحزب في الحدث بعد ان تعرضت قواتها المتواجدة في منطقة صفير للنيران فيه · وحولت قيادة « الجبهة اللبنانية » عين الرمانة الى ثكنة عسكرية ، وباشرت العناصر الانعزالية ممارسة القنص على شارع اسعد الاسعد في الشياح مما ادى الى اصابة اربعة مدنيين بجراح ، كما سقطت قذائف هاون على منطقة الشياح ورأس النبع والجامعة العربية ·

في هذا الوقت ، اعلن الرئيس السوري حافظ الاسد ، بعد ان ادلى بصوته في الاستفتاء

على تجديد رئاسته ، ان « المنطقة مستهدفة من قبل قوى اجنبية كبرى ، ولبنان حلقة في هذه السلسلة ، ونحن نتوقع هذه المشاكل » ٠

أما الوزير عبد الحليم خدام فقد اكد ان الاشتباكات التي حدثت تخدم اسرائيل والنظام المصري وتهدف الى خلق المصاعب لسوريا وتحويل اهتمامها والعرب عن جوهر الصراع العربي ـ الاسرائيلي ٠ اما الشيخ بيار الجميل فقد تنصل من مسؤولية المشاركة في توسيع نطاق الاحداث واتهم فريقا ثالثا باستدراج بعض عناصر الجيش السوري من أجل تعطيل مبادرة السلام في لبنان ٠ وتساءل الجميل « كيف يمكن التوفيق بين القوى التي جاءت وتحافظ على الامن في لبنان والقوى الامنية اللبنانية » ٠ وقالت « العمل » ان عناصر الردع « لم تتقيد بتجميد اطلاق النار ، وهذا ما دفع قائد الجيش فيكتور خوري الى رفض المطالب السورية مؤكدا انه يفضل الاستقالة على الموافقة على هذه المطالب » ٠ ودعت الى تحديد دور الردع والمهام التي يجب اسنادها اليه « لان دور الردع هو وقف العدوان الفلسطيني على اللبنانيين فحسب » ٠

رغم الاتصال الهاتفي الذي تم بين الرئيسين الياس سركيس وحافظ الاسد ، واستغرق ثمانين دقيقة ، لم يمكن التوصل الى اتفاق لوقف اطلاق النار ، وكانت قوات « الجبهة اللبنانية » تهاجم مراكز الردع ٠ وفي هذا الوقت كان الرئيس السوري يجتمع الى الوفد النيابي اللبناني ويؤكد خلال اللقاء « ان الجيش اللبناني الحالي هو جيش شراذم وفئات وليس جيشا وطنيا ، لذلك يجب حله » ٠ وأن جيش الشرعية هو قوات الردع العربيـــة الموضوعة بامرة الرئيس سركيس ٠ ومضى الاسد يقول : « نسمع كثيرا عن وجود طرف ثالث وطرف رابع ٠ نحن لا نفهم هذه اللغة ، والمعروف ان جنديا اطلق النار على القوات السورية ، ومن الاكيد انه فعل بأمر ، والذي اعطاه الامر يجب ان يعدم دون تردد ، فاي تردد في ذلك لا يجوز ، لانه حين يقتل مدني مدنيا اخر يعدم ، فكيف بمن يطلق النار على جيش الشرعية ، المسألة اذن ليست مسألة فريق ثالث ، والاحداث وراءها اميركا واسرائيل التي لها ايد في كثير من القوى السياسية » ٠

استمر القتال يوم الخميس ، وكان عنصر الانفجار هو اقدام قوات الجبهة على قصف ناقلة جنود سورية في طريق صيدا القديمة بثلاث قذائف صاروخية مما ادى الى استشهاد جنودها الثمانية ، وتطورت الاشتباكات حتى شملت عين الرمانة ، تحويطة فرن الشباك ، الفياضية ، الاشرفية ، الجميزة وصربا ، الى جانب قنص متقطع في الحدث وساحة الدباس٠ كما شملت الاشتباكات منطقة غاليري سمعان بعد ان تعرضت شاحنتان عسكريتان للردع الى القصف ، ودفع التصعيد الانعزالي قوات الردع الى الرد بقصف مركز وشامل بالمدفعية الثقيلة استهدف مراكز وتجمعات قوات « الجبهة اللبنانية » ٠ في هذه الاثناء كان اعلام الجبهة ينشر ادعاءاته على محورين : المحور الاول وهو الذي يتنصل من المشاركة في القتال ويدعي بأن الهجمات التي تعرضت لها مراكز قوات الردع انما كانت من جانب الاهالي ، بعد ان تعرضت احياؤهم لقصف عشوائي من جانب القوات السورية ٠ اما المحور الثاني فهو نفي تدخل « القوات اللبنانية » والترويج بأن الاشتباكات التي تحدث على خـطوط التماس وفي العمق ليست مع قوات الردع بل مع عناصر المنظمات الفلسطينية واليسارية « بعد ان اخرجت هذه المنظمات اسلحتها من المخابيء ، وسحبت عناصرها من الجنوب » ٠

في هذا الوقت ، كان شمعون الاب وابنه دوري يصفان قوات الردع بانها تحولت الى قوات احتلال ٠ اما الشيخ بيار الجميل فيصف الجيش السوري بأنه بات شبيها بالجيش

الاميركي في فيتنام ، ويقول عن سركيس انه « برافان » ويتساءل : من يقود قوات الردع العربية ، أهو الرئيس سركيس ام سواه ؟

وفيما كانت حرارة التصريحات الانعزالية ترتفع ، كان الموقف الاميركي يتطور من « مراقبة ما يجري » الى القول « ان الوضع صعب ويبعث على القلق » اما سايروس فانس وزير الخارجية الاميركي فقد اعلن ان الولايات المتحدة « ستستمر في تقديم المساعدة عن طريق التزويد بالاسلحة لبناء الجيش اللبناني ، وان البرامج هذه ستستمر ، كما تحددت واتفق عليها مع السلطات اللبنانية ·

اما اسرائيل فكانت تتخذ اجراءات عملية تمثلت بزيارة لوزير الدفاع وايزمن الى الحدود اجتمع خلالها بقائد القوات الانعزالية الرائد سعد الحداد ، واثر هذا الاجتماع كانت تعزيزات اسرائيلية ترد الى منطقة الجنوب تباعا ·

من جهتها ، كانت صحيفة « العمل » تنشر تحليلا قدمته « الوكالة اللبنانية للانباء » الكتائبية وتقول فيه : « ان اميركا باتت غير متحمسة للمبادرة السورية في لبنان » · وقد جاء هذا القول في اطار تحليل كتائبي للوضع في المنطقة ، والمستجدات التي طرأت عقب زيارة السادات الى القدس في تشرين الثاني الماضي ·

في هذه الاثناء ، كان وفد رسمي لبناني قوامه سليمان فرنجية وفؤاد بطرس والمقدم سامي الخطيب يتوجه الى دمشق ويجتمع اولا بخدام وجميل والشهابي ، ثم بالرئيس الاسد ساعة وربع الساعة ، يعود على اثرها الى لبنان ليعقد اجتماعا مع الرئيس سركيس ، بانتظار وصول الوفد السوري والمكون من الثلاثي السوري الذي عالج احداث لبنان منذ العام ١٩٧٥ وحتى اليوم ·

وقبل ان يصل الوفد السوري كانت حدة التصعيد تتضاءل بصدور بيان عن « الجبهة اللبنانية » بحضور العسكريين فيها ، تبدي فيه اسفها للحوادث الاخيرة وتطالب بلجنة تحقيق مشتركة بين مسؤولين سوريين ومسؤولين لبنانيين ، وتناشد الجميع ضبط النفس ، وبيان عن قيادة قوات الردع ابدت فيه اسفها لاضطرار « بعض المضللين والمهووسين ان يدفعوها الى استعمال السلاح الذي جاءت به لحماية هذا الوطن وتركيز امنه » · واكدت ان حادث الفياضية سيبقى محصورا في اطاره العسكري لتحديد المسؤولين الفعليين عنه بالتنسيق مع الجيش · واعلن البيان تشكيل لجنة عسكرية عليا من الجيش اللبناني وقوات الردع العربية لمباشرة تحقيق مسلكي واداري موسع لتحديد المسؤوليات تمهيدا لاتخاذ الاجراءات التأديبية المناسبة ·

واثر ذلك ، عقدت اجتماعات مكثفة بين الوفد السوري والسلطات الرسمية ، شاركت فيها قيادات « الجبهة اللبنانية » ، واسفرت عن الاتفاق على تشكيل محكمة امنية استثنائية مختلطة ، تتولى النظر بكل حوادث الاعتداء على قوات الردع · وقد صدر قانون في هذا الصدد اقره المجلس النيابي وبات ساري المفعول منذ اواسط الشهر الماضي ·

عرضنا ، في ما تقدم ، للجانب الحدي من الصدام المسلح ، يبقى ان نقف على جانبه السياسي ، سواء من حيث المقدمات التي مهدت لها ، او الاطار الذي حكم حدوثها ، او الاسباب التي انتجتها ، حتى نتقدم بعدها الى صياغة بعض التوقعات التي يسمح المسار العام للاحداث باستخلاصها ·

المواجهات الاستراتيجية

لم تكن المواجهة المحدودة التي حدثت مقطوعة الصلة عن الوضع الراهن الذي تجتازه المفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية ، والذي يتسم بأربع مميزات :

اولا : اصرار اسرائيل ، مدعوم من قبل الولايات المتحدة ، على « حل » يضمن لهما السيطرة العسكرية الساحقة فضلا عن احتلال الارض ، فقد بات واضحا ، منذ زيارة السادات الى القدس ومرورا باجتماعات اللجنتين السياسية والعسكرية ولقاء السادات ـ بيغن في الاسماعيلية ، فضلا عن اللقاءات السرية التي عقدت خلال تلك الفترة ، ان ثمة ثوابت في التصور الاسرائيلي لنوعية « التسوية » يستحيل ان تخضع لاي لون من الوان اعادة النظر ، وفي طليعتها : رفض اعادة سيناء الى رفض التخلي عن مستعمرات رفح ، رفض الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة ، رفض الدولة الفلسطينية ، رفض الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، رفض اعادة القدس او تقسيمها او تدويلها ·

واذا وضعنا جانبا مسألة الحقوق الوطنية الفلسطينية ، باعتبار انها غير واردة في البرنامج الساداتي بأي حال ، رغم الضجيج الاعلامي حولها ، وجدنا ان المشروع المقترح بشأن سيناء نفسها يشكل استيلاء قانونيا وعسكريا عليها ، لا صلة له بادعاء السادات « ان لا مشكلة حول سيناء · وقد اتفقنا بشأنها » ·

ثانيا : انتقال السادات من هزيمة الى اخرى ، بصورة دفعته الى الاكثار من اطلاق نداءات الاستغاثة والمناشدات العاطفية للمسؤولين الاسرائيليين مرة ، وللدول الاوروبية اخرى ، ولليهود الاميركيين ثالثة ، ودفعت وسائل الاعلام الغربية الى التعاطي معه من زاوية الشفقة والملامة بسبب « افراطه في تقديم تنازلات الى الاسرائيليين لاظهار حسن نيته» كما ذهبت اليونايتدبرس الى القول ·

وتجد هذه الهزائم تفسيرها ، بالاضافة الى عامل التصلب الاسرائيلي ، في عجز النظام المصري نفسه عن « ابتلاع » الحل المعروض عليه ، وتبريره امام الدول العربية التي ساندته او ناهضته ، وامام الرأي العام الداخلي على حد سواء ، وذلك لاسباب عدة ابرزها استمرار وجود قوى في وزارة الخارجية والدفاع ومكتب الرئاسة ، هاجمها مناحيم بيغن اكثر من مرة وحملها مسؤولية تعثر المفاوضات غير مستعدة بعد لمجاراة السادات في كامل خطواته الخيانية ، وراغبة في الحصول على تنازلات اسرائيلية معينة في شأن حدود مصر الاقليمية مقابل التفريط بالحقوق القومية العربية ·

من كل ذلك ، نخلص الى ان الوضع المصري الداخلي ما زال يحتاج الى تمهيد ومعالجة مديدة ، قبل ان يصبح جاهزا لتلقي الحل الاسرائيلي المفروض ·

ثالثا : دخول المفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية مرحلة الدبلوماسية السرية التي نصح بها كيسنجر ، واستجاب لها كارتر وفانس في بيان شهير لهما ·

وقد شكل هذا الانعطاف في شكل المفاوضات مخرجا ضروريا للسادات ينقذه من التزاماته العلنية ، ولو لفظية ، بتحقيق الانسحاب الاسرائيلي الكامل من سيناء وانتزاع الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، بعد ان وضعته « دبلوماسية التلفزيون » امام مأزق لا خروج منه ، وسببت له احراجا متزايدا ·

وليس الاتفاق الذي اقر في كمب ديفيد على اثر عودةالفرد اثرتونالىمنطقة الشرق الاوسط

بمهمة وسيط مكوكي ، الا تعبيرا عن هذا المنهج الجديد ·

رابعا : تأسيسا على النقطة الثالثة ، يمكن القول ان عناصر الموقف السياسي في المنطقة تدفع باتجاه عقد صفقة منفردة بين مصر واسرائيل ، تشابه اتفاقية سيناء الى حد بعيد ، وان كانت اشد امتهانا للحقوق المصرية واعمق تأثيرا على مستقبل الصراع المصري ـ الاسرائيلي بمجمله ·

ومما يرجح احتمال عقد هذه الصفقة ، التي تشكل المفاوضات الهادئة ، المتعرجة ، والمديدة افضل اطار لها ، ان احتمالات التسوية الشاملة بالمفهوم الاميركي التقليدي لها ، باتت بعيدة ، وانه يستحيل على السادات التراجع عن خطوته او الاستمرار في المراوحة الى امد غير منظور ، او احداث انعطافة مفاجئة في نهجه السياسي ·

هذه السمات الاربع للوضع الراهن تسمح لنا بصياغة استنتاجين اساسيين :

١ ـ ان الحل الذي تعمل الولايات المتحدة لفرضه كخاتمة للصراع العربي ـ الاسرائيلي لا يتوجه الى تحقيق لون من الوان التوازن بين اسرائيل والدول العربية على قاعدة تنازلات متبادلة ، بل الى تثبيت الاغتصاب الصهيوني بمكتسباته القديمة والجديدة ، وتكريس دور اسرائيل كوكيل محلي رئيسي للمصالح الامبريالية يخضع له جميع الوكلاء الاخرين في الانظمة العربية التابعة لاميركا ، بعد اخضاعها وتفكيك كياناتها وتثبيت انظمة ضعيفة على راسها تكتلات سياسية حاكمة ، يرتبط مصيرها بمصير اشد البنى الاجتماعية والسياسية والايديولوجية تخلفا في المجتمع العربي ، ليتأمن خضوعها الكامل للسيطرة الامبريالية ·

وتجد هذه الخطة العامة تعبيرها الملموس في ان الولايات المتحدة عندما تتعثر المفاوضات او تبلغ ابوابا مسدودة ، او يعجز الطرف العربي عن الاستجابة للشروط المفروضة ، لا تتجه نحو اسرائيل للضغط عليها تأمينا لشروط افضل بل نحو ضرب القوى العربية المعترضة والرافضة ، حتى يمكن تحقيق « التسوية » بالشروط نفسها ، بعد تمهيد المواقع الوطنية التي تهدد باحباطها ·

وبهذا المعنى فان المساعدة الاميركية الوحيدة للسادات تتلخص في ضرب القوى المناوئة له ، وتفجير الاوضاع في وجهها ، واستنزاف قدراتها العسكرية ، اي تفجير حرب اهلية عربية ، تضعف مواقع المواجهة ، وتعزز مناخ الاستسلام الذي يسمح بتكريس السيطرة الاسرائيلية على أرض الواقع بمواثيق ومعاهدات قانونية مذلة ، ويضمن للولايات المتحدة تثبيت وتجديد وتوسيع السيطرة الامبريالية ، سياسية وعسكرية واقتصادية ، على هذه المنطقة الشديدة الحساسية في المعادلة الدولية ·

٢ ـ ان الطور الراهن من المفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية يشابه الوضع عشية اتفاق سيناء ، حيث ان المطلوب هو تفجير الصراع العسكري في وجه سوريا والمقاومة الفلسطينية ليمكن من جهة انجاز الحل المنفرد والجزئي مع مصر بأقل قدر من الضجة ، وفي ظل عجز القوى الوطنية عن المواجهة ، بفعل انشغالها بأوضاعها الداخلية ، وليصبح ميسورا استكمال الخطة الهادفة الى تطويع الموقع السوري وتصفية المقاومة والحركة الوطنية ·

وحيث ان الساحة اللبنانية قد تحولت الى ساحة التواجد الرئيسي للمقاومة الفلسطينية ، وساحة الفعل الوطني للحركة الوطنية ، وساحة تنفيذ الحل العربي الذي تتولاه سوريا بصورة مركزية ، فقد بات بديهيا ان تشكل نقطة الجذب للمؤامرة ، وان تستدرج اليها مختلف الخطط

المتصارعة في المنطقة العربية ، وان تتخذ موقفا طبيعيا للمواجهة بين المشروع الاميركي والقوى المناهضة له ·

ولا تسقط هذه الخطة الاميركية على فراغ داخلي ، او على قوى محلية غير مهيئة لتنفيذها بل تقع على وضع شديد القابلية للانفجار ، ويمكن تعيين ملامحه كالتالي :

اولا : اتخاذ المشروع الانعزالي وضعية هجومية ترمي الى اكساب النظام السياسي المزيد من الصفاء الطائفي على قاعدة الحاق المسلمين بالمسيحيين وتحويل لبنان الى وطن يغلب عليه الطابع المسيحي كليا ليكون اقرب ما يكون الى مفهوم الوطن القومي المسيحي ، الذي يتحقق فيه شطب الوجود الفلسطيني وانهاء التناقض اللبناني ــ الاسرائيلي وتحقيق الانسلاخ الكامل عن العالم العربي ·

وتحقيقا لهذا المشروع ، كان لا بد من بلورة الشطر المسيحي كمركز فعلي متماسك للبنان ، ومن تكريس الشطر الاسلامي كمجرد اطراف مفككة ، هشة ، تابعة له ، وذلك عبر رفض اخلاء المواقع التقسيمية والاحتفاظ بجميع الاجراءات الاستقلالية ، يقابلها الحاح متصاعد على تبديد الاستقطاب المركزي سياسيا وعسكريا ، في المناطق الوطنية حتي يمكن الحاقها بوصفها اطرافا مفككة ·

وفي سياق هذه الخطة ، استفادت « الجبهة اللبنانية » من فترة الهدنة المديدة التي وفرها دخول قوات الردع ، حتى تكسب تصورها هذا تعبيراته المادية ، بالضغط على الرئاسة لنقل المؤسسات التربوية والاجتماعية والثقافية ، ولتحقيق استقلال شبه ناجز في المناطق الخاضعة لسيطرتها ·· وخصوصا لاعادة بناء الجيش ، بوصفه مؤسسة المؤسسات ومفتاح الوضع برمته ، على قاعدة صفاء طائفي يجعله لا جيشا طائفيا فحسب بل وجهازا نظاميا تابعا للميليشيات المسلحة ، على المستويين الايديولوجي والعسكري ·

ولا شك ان تحقيق مثل هذا المشروع ، وخصوصا في جزئه المتعلق بتشكيل مركز مسيحي متماسك يشكل الارضية الصلبة للانقضاض على المناطق الاخرى ، يستدعي بالضرورة اسقاط الحاجز العربي الذي تشكله القوات السورية في المناطق الشرقية ، وفرض الانكفاء عليها نحو المناطق الوطنية ·

ضمن هذا المنظور ، تكتسب تصريحات قادة « الجبهة اللبنانية » عن قيام « الجيش الجديد » وضرورة انهاء خدمات الردع واسترداد مسؤولية الامن معناها الفعلي واهدافها البعيدة المدى ، ويصبح مفهوما سبب هذه الهبة المفاجئة للدفاع عن « عنفوان الجيش وعزته وكرامته » ·

ثانيا : بلوغ مختلف مشاريع الوفاق السياسي ابوابا مسدودة ، بعدما تبين بوضوح ان الوفاق الذي ترتضيه « الجبهة اللبنانية » هو ذاك الذي يحقق مشروعها بالكامل ، ويوفر عليها افتتاح مواجهة جديدة لتحقيقه بقوة السلاح · وليست خلوة زغرتا ، باصرارها على اعتبار الوجود الفلسطيني عائقا دون الحوار وتشديدها على وظيفة مشبوهة للجيش ، ورفضها الاعتراف بعروبة لبنان الا نموذجا من عشرات سواه ·

كما تبين ، ايضا ، صعوبة العثور على رديف اسلامي يوافق على هذا البرنامج ، مهما كانت استعدادات رموزه السياسية لمغادرة الحد الادنى من الموقع الوطني والالتحاق بالجبهة· أليس اضطرار القادة التقليديين في هذا الشارع الى انتقاد بيان خلوة زغرتا دليلا ملموسا على ان برنامج الجبهة ما زال عاجزا عن ان يشكل ارضية لقاء مع هذه القيادات ، الامر

الذي استدعى جوزف الهاشم ان يقوم بنقد ذاتي في « العمل » معتبرا ان بيان الخلوة « اعاق امكانيات تحرر الشارع الاسلامي » عوض ان يغذيها ·

ثالثا : اتخاذ الوجود السوري في لبنان بدوره ، وضعية الهجوم الاستراتيجي بفعل استعدادات النظام المصري للخروج من دائرة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وبفعل الشعور المتزايد لدى النظام السوري بانعدام وجود فرص للتسوية في ظل الميزان الراهن للقوى ، تحفظ له الحدود الدنيا من حقوقه الوطنية في الجولان ، الامر الذي يمنح وجوده على الساحة اللبنانية اهمية استثنائية ·

ولعل نمو مثل هذا الشعور ، منذ دخول الردع حتى اليوم ، هو الذي يقف وراء التغييرات الملموسة في النهج العام لهذا النظام ،والتي عبرت عن نفسها باشتراكه في قمتي « الصمود والتصدي » واتجاهه نحو تعزيز تحالفه مع الاتحاد السوفياتي والمقاومة الفلسطينية ·

من كل ذلك ، نخلص الى تحديد اللحظة السياسية التي حدث فيها التصادم :

لقد حدث التصادم بين الوجود السوري ، وقوات « الجبهة اللبنانية » في لحظة يستكمل فيها قادة المشروع الانعزالي انشاء مركز طائفي متماسك ، تمهيدا لاستئناف القتال وبسط الهيمنة الشاملة على البلاد ، وكجزء من الخطة الاميركية لتمرير اتفاق منفرد جديد ، لتطويع الموقع السوري وضرب الوجود الوطني الفلسطيني واللبناني ، ويولي فيها النظام السوري اهمية مركزية لاستمرار تواجده على الساحة اللبنانية بوصفها ساحة الدفاع الامامية عن النظام نفسه ·

كان لا بد ، اذن ، من ان يحصل هذا الاصطدام بوصفه نتيجة حتمية لتصادم مشروعين سياسيين ، في لحظة شديدة الحساسية بالنسبة لكلا الطرفين ·

وكان لا بد أن يحصل هذا الصدام حول موضوع الجيش تحديدا ، بسبب الموقع المركزي الذي يحتله في المشروع الانعزالي ـ كما في المشروع السوري ·

فبالنسبة « للجبهة اللبنانية » ، يمثل الجيش دورا اساسيا في تثبيت الارجحية المسيحية داخل النظام السياسي اللبناني ، وفي المحافظة على الامتيازات الطائفية التي تطال الجناح المسيحي الحاكم ·

والجبهة ، في تصورها هذا ، وفية للوظيفة التي حددت للجيش منذ ميثاق العام ١٩٤٣ وللتركيبة الداخلية التي قام عليها ·

فمنذ ميثاق ٤٣ ، جرى توجيه الجيش لاداء مهمات القمع الداخلي بعد انتهاج سياسة الانسحاب من الصراع العربي ـ الاسرائيلي باسم العجز القسري مرة ، والدور الاعلامي « المميز » للبنان ، مرة اخرى · وعلى مستوى تركيبته كان ثمة حرص دائم على تغليب الطابع المسيحي على القيادة بعد غلبتها على مستوى القرار السياسي الذي تخضع له المؤسسة العسكرية ·

ورغم التحديثات التي ادخلتها الشهابية على الجيش ، غير انه استمر يؤدي وظيفة المواجهة الداخلية للتيار الوطني وحماية الامتيازات الطائفية · وفي مواجهات العامين ٦٩ و ٧٣ تعززت هذه الوجهة التي نزعت عن الجيش طابعه الوطني العام ، ودمغته بالفئوية والطابع الطائفي ·

ومع بداية الاحداث ، نشأت الميليشيات العسكرية بهدف تصليب الجيش وتشكيل قــوة عسكرية الى يمينه ، تنوب عنه في تنفيذ المهمات التي يعجز عن ادائها بفعل بعض التوازنات التي ما زالت تحكمه ، وبسبب تولي قيادات سياسية ترفض زجه في الحرب الاهلية ٠

هذه اللمحة الشديدة الايجاز تعيننا على فهم الوظيفة المطلوبة في الجيش في اطار المشروع الانعزالي ، بما هي وظيفة مساعدة ودعم العمود الفقري المسلح الذي انشأته الجبهة ، والمتمثل بالميلشيات ٠ فالمطلوب من الجيش ان يكون ملحقا تابعا ، نظاميا ، لجيش اخر اكتسب مؤهلات القتال وبات قادرا على المواجهة ٠

وتحقيقا لذلك ، فقد ضغطت الجبهة على الشرعية لتسلك مسلكا يقوم على اربعة محاور :

١ــ الانصراف الى اعادة بناء المجموعات العسكرية المتواجدة في المناطق الشرقية ، تسليحا وتدريبا وتجهيزا ، مقابل اتباع سياسة اهمال منظمة حيال المجموعات المتواجــدة في مناطق نفوذ القوى الوطنية ٠

٢ ــ تزويد هذا الفريق من الجيش بأسلحة اميركية حديثة ، اشترطت الولايات المتحدة لتسليمها الا توضع في أمكنة ومخازن يسهل على الفريق الوطني والفلسطيني مصادرتها ، عند اية مواجهة عسكرية جديدة ٠

٣ ــ تنسيب مجموعات كبيرة من العناصر الحزبية المنتمية الى الكتائب والاحرار في حملة التطويع التي باشرتها القيادة منذ فترة ٠

٤ ــ احاطة هذا « الجهد » بسرية مطلقة ، لاختيار وقت مناسب ، كما جرى تماما ، يصار فيه الى رفع الستار عن موضوع الجيش ، فاذا به قد استعاد تجهيزه وتدريبــه وانضباطيته في المناطق الشرقية بينما يقبع الجنود والرتباء المتواجدون في ثكنات الغربية في حالة من الفوضى وانعدام التدريب والتسليح ٠

واذا رغبنا في اطلاق وصف على وظيفة الجيش ، كما يتبدى في المشروع الانعزالي ، لم نجد افضل من وصف « العمل » له بالقول : « لم يكن مقبولا او معقولا العودة الى بناء جيش من فخار يتحطم امام اي مواجهة ٠ لقد خلق لبنان جديد ٠ وهو موجود وبحاجة الى رعاية الشرعية ٠ لبنان الجديد هو الذي لا تتكرر فيه المأساة في كل مناسبة والذي يعرف جيشه واجباته والتزاماته فلا يقوم حولها اي اشكال » ٠ (العمل ٢ شباط ٧٨)

وبالنسبة للمشروع السوري ، يمثل الجيش بدوره حلقة مركزية من حلقات ضبط الوضع على الساحة اللبنانية وامتلاك مفاتيحها ، وذلك كرديف للقوات السورية يحل محلها عند انتهاء مهمتها ٠

ومنذ الشهور الاولى للاحداث ، نشأ لدى القيادة السورية مشروع لاعادة بناء الجيش حول نواة « الطلائع » ، وبما يجعل ولاءه السياسي غير متعارض مع الخط السوري ٠ وقد استمر هذا النهج يتعايش مع المشروع الانعزالي بشأن الجيش ، بدون تصادم ، حتى قطعت عملية بناء الجيش ، بمواصفات « الجبهة اللبنانية » ، اشواطا جعلت التعايش مستحيلا او شبه مستحيل ٠ فكان الصدام ٠

والان ، بعد توقف الاشتباكات ، وانشاء المحكمة الاستثنائية كيف نرى الوضع ؟

نبدأ بالقول ان انشاء المحكمة جاء في الواقع نتاجا لتسوية (والتعبير لجريــدة

« العمل ») بين القيادة السورية « والجبهة اللبنانية » لا تحقق كامل المطالب السورية التي رفعت اثر الاشتباكات ، لكنها لا تؤكد سلطة الجبهة المطلقة على الجيش « الجديد » ٠

فالمهم في هذه التسوية انها تؤكد الحق المبدئي لسوريا في التدخل بكيفية اعادة بناء الجيش وتسمح لها بتسييج الوجود الامني للردع بصورة قانونية ٠

ويبدو ، من خلال السياق العام للاحداث ، ان الجبهة قد اضطرت اليها ، بفعل عـدم حصولها على الضوء الاخضر النهائي لافتتاح الطور الجديد من اطوار الصراع ، وان كانت تتمتع بموافقة اكيدة على اشغال الوجود السوري ، وارباكه واستنزافه ، وذلك كخـطوة اولى على طريق تفجير الوضع في وجهه ٠

لقد دشن الصدام المسلح مرحلة جديدة من مراحل العلاقة بين « الجبهة اللبنانية » والوجود السوري ، تتميز بمواجهات محدودة ، مضبوطة ، متعددة ، متفاوتة الحجم ، اذا كانت تقع تحت سقف المواجهة الشاملة ، غير انها تشكل التمهيد الضروري لها ، والمقدمة المتعـددة لاغراق المنطقة في بحار جديدة من الدماء ٠

خليــــل بركاتـــ

الجنوب بـين الهجـرة والتهجــير

كان لاحتلال الصهاينة لفلسطين عام ١٩٤٨ آثاره الاقتصادية الضارة على جنوبي لبنان، بالاضافة الى النتائج الخطيرة لهذا الاحتلال على الامة العربية ككل ومنها الجنوب · ذلك ان جنوبي لبنان كانت تربطه بفلسطين علاقات تجارية واقتصادية وحياتية واسعة انقطعت مع بدء الاحتلال · اذ قلما نجد رجلا تجاوز الخمسين من عمره ، من ابناء الجنوب ، الا وذهب الى فلسطين قبل عام ١٩٤٨حيث عمل فيها من أجل تحصيل مورد زرقه ومساعـــدة أهله وأعالة بيته ، بحيث يمكن القول ان ابناء ذلك الجيل كانوا يعرفون حيفا ويافاً وغيرها من مدن فلسطين اكثر مما كانوا يعرفون بيروت وغيرها من مدن لبنان ، خارج الجنوب · من هنا ، كانت الاضرار الاقتصادية التي لحقت بالجنوب على اثر الاحتلال كبيرة ، بحيث نتج عنها انفتاح هجرة ابناء الجنوب نحو العاصمة بيروت حيث اقاموا في الضواحـــي مشكلين ما يسمى بحزام البؤس في برج حمود ، والنبعة ، وتل الزعتر ، والمسلخ ــ وهــذه المناطق جميعها « طهرها » الانعزاليون في اواخر عام ١٩٧٦ من الفلسطينيين والجنوبيين ــ والشياح وبرج البراجنة · كما هاجر قسم منهم الى افريقيا للعمل فيها ·

وبالمقابل لم تعتمد السلطة اللبنانية ، بعد احتلال فلسطين ، سياسة انمائية تهدف الــى تثبيت أبناء الجنوب في قراهم ، ولا اعتمدت سياسة دفاعية تسهم في الدفاع عن المنطقة ، في وجه المطامع الصهيونية التوسعية · فبقي الجنوب من جراء ذلك منطقة تعتمد علـــى الزراعات التقليدية ، بوسائل بدائية ، الى جانب زراعة التبغ التي باتت فيما بعد تشكـل المورد شبه الوحيد لابناء الجنوب المقيمين في المنطقة بعد أن تراجعت كثيرا زراعة الحبوب الى جانب الدخل الناتج عن الحرف الصغيرة ووظائف الدولة وبصورة خاصة قطـــاع التعليم · أما في الجانب الدفاعي ، فلم توفر الدولة الملاجيء الكافية والمطلوبة لايـــواء المواطنين عند حصول اعتداء اسرائيلي ، ولا عملت على تعبئة المواطنين معنويا ، وتدريبهم وتسليحهم عسكريا كما هو الحال في المستعمرات الصهيونية في الجهة المقابلة من الحدود، وانما كانت سياستها تقوم على معارضة بناء الملاجيء التي تقوم بها الهيئات الوطنيـــة « كالمؤتمر الوطني لدعم الجنوب » ومحاولة منع اكمالها كما جرى في قرية « تولين » عام

١٩٧٢ وتحريض المواطنين عليها ، الى جانب ملاحقة كل من يشتم منه انه اقدم على التدريب أو وصلت معلومات عنه من قبل المخبرين ، ان في حوزته سلاحا · وهكذا بقي الجنوب منذ عام ١٩٤٨ منطقة فقيرة تعتمد على الزراعة البعلية ، على الرغم من مرور مياه الليطاني في اراضيه والتي تطمع بها « اسرائيل » ، وعلى الرغم من انشاء « مصلحة الليطاني » منذ عام ١٩٥٤ والتي انشئت في حينه من اجل استثمار مياه الليطاني في الجنوب فبقيت مشاريع المصلحة منذ ذلك الحين حبرا على ورق · كما بقي الجنوب خاليا من تواجد المؤسسات الصناعية على ارضه ، حتى ان مصانع شركة الريجي التي تعتمد على زراعة التبغ في الجنوب اقيمت في « الحدث » و « بكفيا » و « الخنشارة » بدلا من اقامتها في النبطية وصوروغيرهامن مدن الجنوب · كذلك بقيت حدود الجنوب مفتوحة أمام العدو الصهيوني بحيث بات المواطن الجنوبي يشعر بأنه تحت رحمة الجنود الصهاينة ·

النزوح ما بين ١٩٦٧ ـ ١٩٧٥

بعد تواجد العمل الفدائي في لبنان اثر هزيمة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ دخل جنوب لبنان مرحلة جديدة كان من المفروض أن تؤخذ بعين الاعتبار من جانب الحركة الوطنية في لبنان ، بحيث يصبح الجنوب محورا لنضالها الوطني ، اي انه كان ينبغي ان تعطى قضية الجنوب الاولوية في برامج الاحزاب الوطنية منذ ذلك الحين ، الامر الذي كان يتطلب بالضرورة العمل الجاد من أجل وضع برنامج للصمود الوطني في الجنوب ، والعمل على تنفيذه خطوة خطوة بحيث يصل الجنوب الى حالة تتوفر فيها الحدود الدنيا من مستلزمات الصمود للمواطن ، تمكنه من مواجهة الصعوبات في المجالات المعيشية والاجتماعية والدفاعية والامنية الناتجة عن تزايد الاعتداءات الصهيونية ، دون أن يعفي ذلك طبعا ، الدولة من واجباتها تجاه المواطن الجنوبي ·

لذلك فانه كان من المفروض ان تسهم القوى القومية ، والتقدمية ، الرسمية منها والشعبية ، في الوطن العربي في تحمل مسؤولية توفير مستلزمات الصمود هذه ، ذلك ان قضية جنوبي لبنان ، باتت منذ ذلك الحين ، قضية قومية ملتصقة التصاقا صميما بقضية فلسطين اكثر من أي وقت مضى ·

ولقد كان « المؤتمر الوطني لدعم الجنوب » الذي انطلق في اواخر عام سنة ١٩٦٩ الصيغة الوحيدة الجادة على طريق الصمود من خلال البرنامج العملي الذي طرحه للعمل في الجنوب · الا ان « المؤتمر » لم يستطع ترجمة هذا البرنامج الى واقع ملموس ، الا في حدود جزئية ، نظرا لعدم توفر الامكانات اللازمة لديه · ومن المؤسف ان هذه الصيغة، جوبهت بمعارضة شديدة من قبل بعض القوى الوطنية ، التي وصفت اعمال « المؤتمر » ، بانها نوع من « المشاريع الخيرية » التي هي من اختصاص الجمعيات الخيرية واجهزة الدولة · هذا في الوقت الذي كانت فيه اجهزة الدولة تعمل على محاصرة « المؤتمر » وتحد من نشاطاته في الجنوب ·

ان غياب التوجه الجاد محليا وعربيا لتوفير مستلزمات الصمود للمواطن الجنوبي ، وعدم اكتراث الدولة بذلك ، كان سببا هاما دفع بقسم كبير من المواطنين في منطقة العرقوب وحاصبيا على الهجرة في الفترة ما بين ١٩٦٩ ـ ١٩٧٥ · وذلك ان المواطن في هذه المنطقة وجد نفسه يواجه الاعتداءات الصهيونية المتصاعدة ، برا وجوا ، دون ان تتوفر لديه الحدود الدنيا من مستلزمات الصمود · لقد بلغ عدد المواطنين الذين هجروا

من منطقة العرقوب ـ حاصبيا بسبب تلك الاعتداءات زهاء سبعة عشر الف نسمة اي ما يعادل نسبة اربعين بالمئة من مجموع سكان المنطقة الذين كانوا مقيمين فيها قبل التهجير · وفي شهر كانون الثاني ١٩٧٥ تصاعدت الاعتداءات الصهيونية ، فبلغت حدتها بتدمير عدد وافر من المنازل في قرية « كفرشوبا » ، وتصديع القسم الاكبر من المنازل المتبقية بحيث اصبحت غير صالحة للسكن ، الامر الذي ادى الى هجرة جميع ابناء البلدة في حينه ·

الوضع السكاني في الفترة ما بين نيسان ١٩٧٥ ـ تشرين الاول ١٩٧٦ :

عندما بدأ تنفيذ المؤامرة في ١٣ نيسان ١٩٧٥ ، توتر الوضع الامني في بيروت والضواحي · ثم امتدت الحرب لتشمل معظم المناطق اللبنانية ، بحيث اصبح الوضع الامني في الجنوب ، نسبيا ، افضل منه في بقية المناطق اللبنانية الاخرى · ذلك ان العدو الصهيوني جمد اعتداءاته ، مؤقتا ، على الجنوب ، واكتفى بمد ادوات المؤامرة ، من الانعزاليين في الداخل ، بالمساعدات العسكرية والمادية · وهذا ما اعترف به المسؤولون الصهاينة فيما بعد ، في العديد من تصريحاتهم ·

لقد كانت حالة الانفراج النسبي هذه ، سببا مباشرا للنزوح من بيروت والضواحي باتجاه الجنوب ، حيث شهدت المنطقة في صيف عام ١٩٧٦ اكتظاظا بالسكان لم تشهده من قبل ، اذ ضاقت منازل القرى بالمواطنين الوافدين الى الجنوب ، فاستخدمت مباني المدارس ، فضلا عن النوادي الحسينية ، وكل زاوية يمكن أن تصلح للسكن ، من أجل ايواء المواطنين فيها · وبلغ عدد المقيمين في منطقة الجنوب في هذه الفترة حوالي مليون ومئة الف نسمة ، اي اكثر من ثلث سكان لبنان بكامله · ونتج عن هذه الكثافة السكانية ازمة حادة في المجالات التموينية والصحية ، في الوقت الذي كانت مرافىء الجنوب تعاني من حالة حصار تضربها السفن الحربية الصهيونية ، بغية الضغط على المعسكر الوطني وخلق حالة من النقمة الشعبية ضد الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية · واقدم العدو الصهيوني ، في هذا الوقت بالذات ، على اقامة ما يسمى « بالجدار الطيب » محاولا الاستفادة من الظروف المعيشية والتموينية والصحية السيئة في المنطقة ، واعلن استعداده لتلبية تلك الحاجات بادئا بالحاجات الصحية ، ثم المائية والتموينية ، وذلك تحت شعار من « المشاعر الانسانية » المزيفة ·

لقد اراد العدو من فتح هذه البوابات ، دفع المواطن في الجنوب الى التعامل معه ، تحت ضغط الحاجة ، من أجل تحطيم الحاجز النفسي لديه ، وانتزاع الروح العدائية من نفسه ، على أمل الانتقال فيما بعد الى مرحلة التعامل الواسع الذي يهيء للعدو المناخ الملائم لتحقيق اطماعه في الجنوب ، وعلى مراحل ·

وشكلت سياسة العدو الصهيوني هذه ، حافزا دفع المعسكر الوطني الى زيادة الاهتمام بصورة ملحوظة بالاوضاع التموينية والصحية للمنطقة ، في وقت وصلت فيه الازمة الى مرحلة حادة · وادى هذا الاهتمام الى تفشيل سياسة « البوابات المفتوحة » التي اتبعها العدو · فشكلت « اللجنة الصحية العليا في الجنوب » من جميع الهيئات الرسمية منها والشعبية ، العاملة في الحقل الصحي · واستطاعت بدعم من الثورة الفلسطينية ان تعيد تشغيل جميع مستوصفات المنطقة ، وتفتح المزيد منها ، بعد ان كان معظمها قد اقفل بسبب الحاجة الى الدواء والاطباء ·

لقد ادى اهتمام الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية باوضاع الجنوب ، الى التخفيف

من حدة الازمة · اذ لم يكن بالمستطاع حلها حلا شاملا في ظل الاوضاع القائمة آنـذاك الا انه كان بالامكان استثمار هذا الاهتمام بصورة افضل ، فيما لو احسن اشراك الجماهير في تسيير شؤونها في مختلف الحقول ، وافساح المجال امامها للمشاركـة في تحمـل المسؤولية ، خاصة في القضايا التموينية ، وعدم حصر هذه المشاركة بالعناصر المنتمية الى التنظيمات الوطنية ومن هم حولها فقط · ذلك ان من نتائج هذه المشاركة ، حماية هـذه التنظيمات من العديد من التهم التي انصبت عليها بسبب عدم كفاية التموين لسد حاجات المواطنين بصورة كاملة · فضلا عن ان مبدأ المشاركة هو الاساس لاي عمـل او تحرك بين الجماهير خاصة في الظروف الصعبة ، وكي لا تستنفذ جهود المنتمين الـى التنظيمات في الامور الادارية ·

الوضع السكاني بعد تشرين الاول ١٩٧٦

على اثر قرارات مؤتمري الرياض والقاهرة في تشرين الاول ١٩٧٦ ، توقف القتـال في بيروت والضواحي وبقية المناطق اللبنانية خارج الجنوب · وبدأت الحياة الاقتصادية تعود تدريجيا ، ودعي العمال والموظفون الى الالتحاق بوظائفهم ، الامر الذي شجع علـى عودة الكثيرين من ابناء الجنوب المرتبطين بوظائف واعمال في العاصمة والضواحي الى بيروت · وهكذا عادت نسبة التواجد السكاني في المنطقة الى ما كانت عليه قبل الاحداث، في منتصف تشرين الثاني ١٩٧٦ ·

وبعد هذا التاريخ ، بدأ الانعزاليون يحضرون بشكل جدي لنقل المؤامرة الى الجنوب ، بالتعاون الصريح والمباشر مع العدو الصهيوني ، مستفيدين من ظرف عدم تمكن قـوات الردع العربية من الانتقال الى المناطق الامامية في الجنوب · وكان ذلك تحت شعار «تحرير كل لبنان من الفلسطينيين والمتعاونين معهم من اليساريين ، انطلاقا من الجنوب » ، اطلقه بشير الجميل قائد القوات الانعزالية الموحدة ، وردده فيما بعد العديد من المسؤولين فـي الجبهة الانعزالية ·

لقد كان من الواضح ان انفجار القتال في لبنان ، في ١٣ نيسان ١٩٧٥ ، هو مؤامرة صهيونية ـ اميركية ـ رجعية ، تستهدف ضرب الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي في لبنان والمنطقة ، وتصفية قضية فلسطين ، واشغال العرب في صراعات محلية تؤدي الى انهاك الامة العربية وتفتيتها ، مستفيدة من ظروف التراضي والاستسلام في المنطقـة العربية · كذلك فانه من الواضح ايضا أن نقل المعركة الى الجنوب ، وتوسيعها ، في ظـل الحماية والمساندة الصهيونية ، يستهدف بالاضافة الى ذلك ، الضغط داخليا من اجـل الاستجابة لمطالب الجبهة الانعزالية التي تسعى في جملة ما تسعى اليه تكريس الامتيازات الطائفية ، بحيث يتم بناء الدولة وفق تصوراتها الهادفة الى السيطرة على كـل لبنان ، وطمس عروبته ، تحت التهديد والتهويل بالتقسيم · وكذلك الضغط عربيا ، من خـلال التعاون مع الصهاينة ، لخلق الاجواء المؤاتية لتصفية الوجود الفلسطيني ، المسلح وغير المسلح ، والذي اخل على حد زعمهم « بالتوازن » الداخلي في لبنان ، وشجع المسلمين على رفع شعارات المشاركة في مختلف شؤون الحكم والوظيفة ·

ولقد كانت الجبهة الانعزالية ترى ، ان نقل المعركة الى الجنوب سوف يؤدي الى خلق اجواء ضاغطة على المعسكر الوطني في المنطقة ، لن تعاني هي منه الا القليل ، لانوجودها ينحصر فقط في عدة قرى مسيحية · ولذلك فان حجم الاضرار التي يمكن ان تلحق بسكان

هذه القرى سوف يكون ضئيلاً اذا ما قيس بالاضرار التي تلحق بالسكان في العشرات من القرى الاخرى ٠

ان دراسة احصائية تقريبية تبين ان حوالي ثمانية الاف نسمة تركوا قراهم في «القليعة» و « برج الملوك » ، و « عين ابل » و « دبل » ، و « رميش » ، و « علما الشعب » ، وهي القرى التي تعتبر محسوبة على الجانب الانعزالي ، وبقي فيها جميعها حوالي ستة الاف نسمة ٠ يقابل ذلك نزوح حوالي مئة وعشرين الف نسمة من المدن والقرى التالية : الخيام ، مرجعيون ، دبين ، بلاط ، ابل السقي ، دير ميماس ، كفركلا ، عديسة ، الطيبة ، رب ثلاثين ، القصير ، دير سريان ، القنطرة ، بنت جبيل ، الطيري ، عيناثا ، كونين ، رشاف ، صربين ، حانين ، عيتا الشعب ، راميه ، مروحين ، البستان ، الزلوطية ، يارين ، الضهيرة ، الناقورة ، ضهر البياضة ، شمع ، طير حرفا ، الجبين ، شيحين ، النبطية ، حبوش ، كفرتبنيت ، يحمر ، زوطر الشرقية ، زوطر الغربية ، ارنون ، زبدين ، دير الزهراني ٠

والجدير بالذكر ان هذه الاحصائية هي غير ثابتة ، فهي تزيد وتنقص بحسب ما يطرأ من تغييرات على الصعيد الامني في المنطقة ٠ فعندما يتوقف القصف الانعزالي ــ الصهيوني لمدة تزيد على خمسة عشر يوما تبدأ محاولات العودة الى القرى ويتقلص عدد النازحين جزئيا ٠ اما في حال اشتداد القصف فان عدد النازحين يصل الى حدود المئة واربعين الف نسمة ٠

كذلك ، لا بد من الاشارة ، الى ان سكان قريتي « حـــانين » ــ قضاء بنت جبيل ــ و « يارين » » ــ قضاء صور ــ قد هجروا على أيدي الانعزاليين بعد وقوع مجازر فيهما ٠ لقد هاجم الانعزاليون قرية « حانين » في تشرين الاول ١٩٧٦ ، وشردوا اهلها بعد ان قتلوا منهم سبعة اشخاص ، كما هاجموا قرية « يارين » في شهر تموز ١٩٧٧ وقتلوا سبعة عشر مواطنا ، على الرغم من اتفاق سكان القرية مع الانعزاليين على تحييد قريتهم ٠ كما ان قرى « الضيبة » و « رب ثلاثين » و « يارين » و « البستان » و « مروحين » اصبحت غير صالحة للسكن بعد أن تصدعت معظم منازلها بسبب شدة القصف الانعزالي ــ الصهيوني عليها ٠

ان الهجرة الواسعة التي يشهدها الجنوب : منذ اكثر من سنة ، نحو القرى الخلفية ونحو بيروت ، تعود اسبابها الموضوعية الى ما يلي :

اولا : تردي الاحوال الامنية :

ان القصف الذي تتعرض له القرى ، مع عدم وجود ملاجيء فيها ، يجعل المواطن مكشوفا أمام الاخطار ٠ خاصة وان المنازل في القرى تتكون عادة من طابق ارضي واحد ٠ هذا بالاضافة الى ان القصف يستهدف المنازل بقصد التهجير ، الامر الذي يكشف الابعـــاد السياسية للتحالف الانعزالي ــ الصهيوني ٠

ثانيا : تردي الاحوال المعيشية :

لقد تعرضت زراعة التبغ لاضرار كبيرة نتيجة للظروف الامنية التي تشهدها المنطقة ٠

ذلك ان حوالي خمسين في المئة من رخص الزراعة بقيت في العام الماضي ، وستبقى ايضا هذا العام ، غير مستثمرة ، الامر الذي يعني بقاء نصف المزارعين تقريبا بلا مداخيل حقيقية مما يشكل بالتالي سببا رئيسيا للهجرة والتفتيش عن مورد للرزق ·

كذلك ، فان زيادة كلفة زراعة التبغ ، جاءت تشكل عاملا اضافيا الى جانب العامل الامني دفع بقسم من المزارعين الى ترك هذه الزراعة مؤقتا · فزراعة التبغ تعتمد في مراحلها الاولى على المياه ، وبسبب تعطل « مصلحة مياه جبل عامل » التي تؤمن المياه لقضائي « مرجعيون » و « بنت جبيل » كان المزارع يدفع في العام الماضي ، نفقات باهظة تصل الى الثلاثمائة ليرة لبنانية بدل نقلة المياه الواحدة في خزان الشاحنة ، لايصالها الى القرى الامامية في « مركبا » و « ميس الجبل و « حولا » وغيرها · وهذه النفقات ، بالاضافة الى الارتفاع في الاسعار الذي طرأ على المواد الكيماوية وغيرها ، تعتبر باهظة اذا ما قيست بمعدل الاسعار الذي تدفعه شركة الريجي للكيلو الواحد من التبغ الى المزارع ، الامر الذي بات لا يشجع على الاستمرار في زراعة التبغ في الظروف الراهنة التي يعيشها الجنوب ·

لقد كان بامكان القوى الوطنية ان تحل ازمة المياه التي تعاني منها منطقتي « بنت جبيل » ، و « مرجعيون » ، وذلك بحفر عدة ابار ارتوازية ، وضخ المياه منها بواسطة شبكة « مصلحة مياه جبل عامل » ، وايصالها الى القرى ، لسد حاجة المواطنين من المياه في الحدود الدنيا ، بعد ان ثبت اهمال الدولة المتعمد لحل هذه الازمة · الا ان هذا المشروع على اهميته الكبرى ، بالنسبة للمواطن والقوى الوطنية ، لم يعط الاهتمام المطلوب من قبل اطراف المعسكر الوطني ، على الرغم من توفر الاموال الكافية لشراء « حفارة » للتنقيب عن المياه ، فيما لو اعطي هذا المشروع الاولوية بالنسبة لغيره من المشاريع التي انجزت في المنطقة · ذلك انه بذلت جهود ، عن طريق الثورة الفلسطينية ، لتلزيم المشروع ، الا انها لم تؤد الى نتائج عملية حتى الان على الرغم من توقيع عقد التلزيم ، بحجة ان الملتزم لم يتمكن بعد من اقناع احد من اصحاب الحفارات بالعمل في المنطقة المنوي الحفر فيها ·

كذلك فان حالة الشلل التي اصابت الكثير من المدارس في القرى ، كانت ولا تزال ، تشكل سببا يدفع بالاهالي الى ترك قراهم والالتجاء الى قرى خلفية ، والى بيروت لتعليم ابنائهم في مدارسها ·

ثالثا ــ ضعف التعبئة الوطنية :

في ظل الظروف الصعبة التي يعيشها المواطن في الجنوب ، كان من المهم ان تأخذ التعبئة الوطنية مداها ، من اجل الوصول الى حالة من النهوض الجماهيري ، واثارة الحماس الوطني · الا ان ذلك لم يحصل ، فبقي المواطن يعاني من الازمات النفسية والمعيشية ويتملكه شعور داخلي بانه يواجه لوحده ، كل نتائج الحرب دون اهتمام جدي بأوضاعه ، هذا الى جانب التجاوزات والاخطاء التي تحصل من قبل مسلحين محسوبين على الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية والتي تنعكس بصورة سلبية عليه وهو الذي يعيش حالة من التوتر النفسي منذ زمن · وسط هذا الجو تنشط القوى المعادية وتقوم بعملية تعبئة مضادة ، مستفيدة من كل الظروف السلبية ، بغية التحريض على الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية · وتتعالى اصوات هذه القوى ، بالتنسيق والتفاهم مع الجبهة الانعزالية ، مظهرة « غيرتها » الكاذبة على الجنوب ، وابناء الجنوب ، وهي التي لاذت بالصمت ولم يرتفع

صوتها بالاستنكار او الاحتجاج على المجازر التي ارتكبها الانعزاليون في « حانين » و « يارين » ، ولا على ما أصاب ابناء الجنوب ، على أيدي الانعزاليين ، في تل الزعتر ، وبرج حمود ، والنبعة ، والمسلخ ، ولا على تعاون الانعزاليين مع العدو الصهيوني ونقلهم الفتنة الى الجنوب ، ولا على الطروحات التي ما زالت تطرحها الجبهة الانعزالية ، والتي تعلن فيها استمرارها بالمحافظة على نهجها السياسي ، الامر الذي يبقي الجنوب ولبنان على حافة الخطر ·

ان ضعف التعبئة الوطنية ، والنشاط الذي تبذله القوى المعادية في التعبئة المضادة ، ترك اثارا سلبية على المواطن الجنوبي ، مما اضعف من صموده ودفع به الى الهجرة ·

احمد صدقي الدجاني

نظرة تحليلية في تاريخ فلسطين

(١) فجر التاريخ

تكررت مع بروز قضية فلسطين محاولات الكتابة في تاريخ فلسطين عبر العصور. ومن هنا فموضوع هذه الدراسة التي تتناول هذا التاريخ بنظرة تحليلية ليس جديدا ، وقد شعرت بالحاجة الملحة لمعالجته مع دخول قضية فلسطين مرحلة جديدة بعد حرب رمضان لجملة اسباب ، اشير من بينها الى سببين .

الاول : استذكار عبرة التاريخ وتوظيفها في فهم ما يجري ورسم معالم طريق بلوغ اهدافنا .

الاخر : تعريف الجمهور بالحقائق التاريخية التي تتعرض على يد الصهاينة لكثير من التحريف والتزييف في محاولتهم ايجاد سند تاريخي لغزوتهم الاستعمارية السكنية لارض فلسطين .

وقد الح علي الشعور بالحاجة الى نشر هذه الدراسة بمناسبة الاحداث الاخيرة التي نعيشها . وذلك بما تحمله هذه الاحداث من تأثير على مسار القضية ، وما يرافقها من ادعاءات صهيونية تتحدث عن التاريخ .

حين نلقي نظرة فاحصة على تاريخ فلسطين بهدف التعرف على « بعد الزمان » في قضية فلسطين ، تبرز امامنا منذ الوهلة الاولى حقيقة توغل هذا التاريخ في القدم . فهو لا يقف في مداه الى بدء عصر الكتابة في فلسطين اوائل الالف الثالث قبل الميلاد ، بل يتجاوزه الى عصور ما قبل التاريخ التي شهدت ظهور الانسان الحديث Homo Sapians في فلسطين .

وتبرز النظرة الفاحصة ايضا حقيقة ان تاريخ الرقعة التي تحمل اسم فلسطين هو جزء لا يتجزأ من تاريخ سوريا بكاملها وتاريخ منطقة الوطن العربي عموما،

وهذه الحقيقة تجعل من المتعذر الفصل بين تاريخ فلسطين وتاريخ المنطقة ، وتقتضي منا حين نركز على تاريخ فلسطين ان نضع في اعتبارنا ما كان يموج به تاريخ المنطقة من أحداث ٠

ولعل اول ما يتبادر الى الذهن ويلفت النظر من خلال هذه النظرة الفاحصة المكانة التي احتلتها فلسطين في التاريخ الانساني ٠ وذلك باعتبارها الارض المقدسة التي تتجه اليها انظار معتنقي الديانات السماوية ، والتي كان فضلها على رقي البشرية فكريا وروحيا أجل شأنا من فضل اي بلد آخر ٠ ولقد عمت الرسالة الاخلاقية التي انطلقت منها اجزاء كبيرة من العالم ، كما جرت على ارضها احداث هامة كان لها آثارها في العصور المتعاقبة ٠

وواضح ان هذه المكانة انما هي ثمرة تفاعل الانسان في فلسطين مع الزمان والمكان ٠ فموقع فلسطين الاستراتيجي في قلب منطقة الوطن العربي وبين قارات العالم القديم الثلاث أهلها لان تكون مركزا لتفاعل الثقافات وجسرا لنقل التأثيرات الحضارية من مراكز الحضارات المجاورة لها ٠ وقد تجاوب سكانها مع معطيات موقفهم فأسهموا في التراث الحضاري الانساني ٠

ان النظرة الفاحصة لتاريخ فلسطين تكشف عن حقيقة هامة هي ان فلسطين كانت على مر العصور وطنا لشعب فلسطين ، وانها بحكم الموقع كانت ممرا عالميا لشعوب كثيرة ٠ كما انها بحكم المكانة كانت وطنا روحيا لمعتنقي الديانات السماوية ٠

ظهر الانسان الحديث في فلسطين كما ظهر في اماكن مختلفة من العالم في عصور ما قبل التاريخ ٠ وهناك اعتقاد بين بعض العلماء ان فلسطين ومنطقة الوطن العربي هي المهد الاول للانسان العاقل « المدرك » ٠ وقد اكتشفت اثاره في عدة مواقع منها جبل الكرمل وأم قطنة والزطيه ومجرى نهر الاردن ٠ ولا تزال حضارة هذا الانسان مجهولة ، ولكن ما وجد من آثاره يدل على انه كان يعيش في الكهوف ليقي نفسه من المطر والحيوانات المفترسة والاعداء ٠

وكان الطور الاقليمي في نهاية الدور الاول من العصر الحجري في فلسطين غزير المطر رطبا وكانت نباتاته كثيفة تعيش بينها بعض الحيوانات مثل فرس النهر والكركدن والمحمود ٠ وقد استخدم هذا الانسان الادوات الحجرية واستعمل الصوان كبلطات يدوية ومكاشط وسواطير ومطارق ٠

ونستدل من الآثار التي بقيت من الدور الاخير للعصر الحجري القديم ان الجفاف تزايد في فلسطين وان الانسان عرف أهمية النار ونجح في اشعالها واستخدامها كما عرف استخدام اللغة كوسيلة للتفاهم مع أقرانه ٠

وفي العصر الحجري الوسيط الذي دام في فلسطين ستة آلاف سنة نجد ان

الانسان هناك لم يقتصر على صقل ادواته ولكنه استغل موارد بيئته بشكل يستحق التنويه • وهناك من العلماء من يتحدث عن هجرة سكان من وراء الجبال ومن وراء البحار الى فلسطين ، ويسمون الآخرين شعب البحر الابيض المتوسط • وقد ظهرت في ذلك العصر قرى أقامها سكان فلسطين • وتعرف حضارة تلك الفترة بحضارة النطوف نسبة الى وادي النطوف في شمال غرب القدس حيث نقبت الانسة جارود عام ١٩٢٨ •

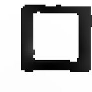
دامت حضارة النطوف منذ أول العصر الحجري الوسيط حتى الالف السادس قبل الميلاد • وقد عاش الانسان فيها على صيد البحر والبر ، وكان من أصول سامية حامية • واستطاع ان يدجن الحيوان ويزرع الارض فاتجه في نهاية العصر الحجري الوسيط الى الاستقرار وبنى بيته من الحجارة • وهو اول من شيد الغرف المقببة وقد تقدم في استخدام اللغة واعتقد بوجود حياة أخرى ومارس العبادة • وعبر عن افكاره ومشاعره بأعمال فنية والجا عالم الخيال والجمال •

ونلاحظ أن العصر الحجري الذي دام ألفي سنة في فلسطين شهد تقدما محسوسا في الزراعة وتربية الحيوان واستعمل الادوات الحجرية المصقولة والحياة المستقرة • كما شهد اختراع الخزف واكتشاف المعدن • وقد مكن اختراع الخزف الانسان من الابتعاد قليلا عن موارد المياه حيث صار بوسعه خزن الماء الذي يحتاجه وطبخ طعامه وازدهر في نهاية هذا العصر الفن الخزفي القديم •

وفي الالف الرابع قبل الميلاد دخلت فلسطين العصر النحاسي الحجري حيث بدأ استعمال النحاس الى جانب استخدام الصوان • وتكثر آثار هذا العصر في تليلات الغسول الواقعة على بعد عشرة كيلو مترات الى الشمال الشرقي من البحر الميت • وقد نشأت هناك حضارة مستقرة تعرف بحضارة الغسول ازدهرت فيها الزراعة المعتمدة على الري وتقدم الفن وخاصة التشكيلي منه بعد ظهور المعدن • وظهر مثيل لحضارة الغسول في جازر قرب الرملة التي كانت مدينة مسورة بسور من الحجارة والطين ، وازدهرت في حضارة جازر الزراعة كما عرفت الصناعة البدائية • وكشفت الاثار عن ان الجازريين كانوا اهل ديانة ويحرقون موتاهم • وقد ادى نمو صنع المعادن والخزف في هذا العصر الى ظهور حرف مختلفة ، وزادت العلاقات التجارية بين القرى والمدن فحدث التخصص في العمل وازدهرت مدن آهلة بالسكان في السهول والاودية• واتسعت الاتصالات التجارية والثقافية بين فلسطين والبلاد التي حولها •

ودخلت فلسطين العصور التاريخية مع انتشار الكتابة فيها آوائل الالف الثالث قبل الميلاد • وحدثت في تلك الفترة بداية الهجرات الرئيسية من قلب

الجزيرة العربية الى الهلال الخصيب التي تتالى فيهـــا قدوم العموريــين والكنعانيين والآراميين وغيرهم الى فلسطين ٠



كان تاريخ شعب فلسطين في العصور التاريخية المتتالية متصلا وحافـــلا بأحداث كثيرة ويمكننا ان نقسم هذا التاريخ الى قسمين رئيسيين تفصل بينهما الانطلاقة العربية بالاسلام في القرن الاول الهجري والقرن السابع الميلادي ، واختيارنا هذا الحدث كأساس للتقسيم انما يرجع لما كان له من تأثير على فلسطين والمنطقة العربية عموما ٠ وقد مر تاريخ شعب فلسطين في كل من هذين القسمين بعدة ادوار وكان بصفة عامة تاريخا طويلا متنوعا ٠

تفاعلت في هذا التاريخ عدة عوامل فعالة العامل الاول هو **الوضع الجغرافي** لفلسطين وسوريا حيث يتقطع سطح الارض ـ كما يقول حتي ـ فلم توجد عليه بيئة تتسع اتساعا كافيا لنشوء دولة قوية شاملة ٠ وحيث تتناوب الاراضـــي المنخفضة والاراضي المرتفعة وتحاذي بعضها بعضا من الشمال الى الجنوب ، ويتجاور السهل مع الجبل مع الصحراء ، وتتتالى الفصول الاربعة ويبرز فيهـا فصل ممطر يمتد حوالي اربعة شهور وفصل جاف يشمل بقية السنة كما هــو الحـال في منطقة البحـر المتوسـط عمومـا ٠ والعامـل الثـاني هو **الموقع الاستراتيجي** الذي يجعل من هذه الارض حلقة اتصال بين القارات التاريخية الثلاث فيعرضها من ثم لاخطار الغزو من جميع الجهات ، والعامـــل الثالث **مجاورتها لاقدم مركزين للحضارة عرفهما الانسان** وهما الحضارة السومرية البابلية في الشرق والحضارة المصرية في الجنوب الغربي ممـــا جعل ارض فلسطين جزءاً من طريق دولي قديم ٠ والعامل الرابع احتواؤها على نمطـي حياة البداوة والحضارة ما جعلها مسرح نزاع متواصل بين البدو الرحـــل والحضر المستقرين ، وربط تاريخها بتاريخ موجات تحول البدو الى الزراعة ٠

يلفت الانتباه في القسم الاول من تاريخ فلسطين الهجرات المتتالية التـي جاءتها من الجزيرة العربية وحملت اليها اقواما استوطنوا فيها وامتزجوا مـع سكانها وتعرف هذه الهجرات بالهجرات السامية او الهجرات العربية ٠ ويرى « حتي » ان مصطلح السامية هو من وجهة علمية تسمية لغوية تطلق على الذين يتكلمون او تكلموا لغة سامية ٠ ويفضل جواد علي ومحمد علي دروزة وآخرون استخدام مصطلح العربية لاسباب موضوعية ٠

واللغات السامية هي مجموعة لغوية خاصة تضم اللغات الاشورية البابلية (الاكادية) والكنعانية (الفنيقية) والآرامية والعبرية والعربية والحبشـية ٠ ويرجح العلماء ان اسلاف من تكلموا هذه اللغات كانوا غالبا يشكلون جماعة

واحدة وان الموطن الاصلي لهذه الجماعة هو الجزيرة العربية (١) . وقد تتالت الهجرات منها بفعل عامل جغرافي وآخر اقتصادي الى الهلال الخصيب الذي يجاورها .

كان العموريون اول شعب جاءت به هذه الهجرات الى سوريا الكبرى ـ وفلسطين جزء منها ـ وذلك قبل بداية الالف الثالث قبل الميلاد . واسمهم هذا اطلقه عليهم جيرانهم السومريون في جنوب العراق ويعني « الغربيين » . وقد تحول مركزهم من وادي الفرات حيث بنوا مدينة « ماري » الى الجنوب في مطلع الالف الثاني قبل الميلاد حيث شيدوا في فلسطين عدة مدن مثل حبرون « الخليل » وهاي « دير دبوان » وتل الحسي بجوار بيت جبرين وتل النجيلة بجوار غزة (٢) . وكانت لهم حضارة مزدهرة تدرجوا فيها من الرعي الى الزراعة ومارسوا التجارة والصناعة . وقد عاصروا عهد الدولة الحديثة في مصر ، وتكشف لوحات « تل العمارنة » عن جوانب من حضارتهم ، وتصور احدى هذه اللوحات رحلة لقبيلة صغيرة من العموريين الفلسطينيين يقودها شيخها « ابشا » . وفي اللوحة نرى الرجال والنساء يلبسون ثيابا من الصوف خيطت من نسيج ملون جميل وينتعل الرجال صنادل جلدية في حين تنتعل النساء احذية كاملة ، ويحملون اسلحة فيها القوس والنشاب والسهم والرمح ويستخدمون الحمير لنقل امتعتهم كما نرى في اللوحة آلات موسيقية فيها العود والمزمار . ويتضح من آثار العموريين عموما ان عنايتهم بالاخرة كانت كبيرة وقد قامت ديانتهم على عبادة قوى الطبيعة وكانوا يمارسونها في معابد شيدوها .

تداخلت هجرة العموريين الى فلسطين بهجرة الكنعانيين اليها . ويميز العلماء من خلال دراستهم لآثار فلسطين بين هذين القومين اللذين ينتسبان الى مجموعة الهجرة نفسها ، وذلك لان هذه الآثار تكشف عن وجود حضارتين مختلفتين . وهذا الاختلاف الحضاري ناشيء عن ان مركز العموريين الاصلي كان في شمال سوريا لذلك تعرضوا لتاثيرات سومرية بابلية ، بينما كان مركز الكنعانيين الجغرافي في الساحل ولذلك كانوا متجهين نحو مصر . اما الاختلاف اللغوي فكان في اللهجة فقط ، وكان الاختلاف الديني اختلافا في التطور والتكيف حسب البيئة المحلية .

وعرفت فلسطين باسم « ارض كنعان » مع اجزاء من سوريا ولبنان . وكان هذا اول اسم لفلسطين وذلك بعد ان عمر الكنعانيون البلاد واصبحوا السكان الاساسيين لها منذ الالف الرابعة قبل الميلاد . وكان اسلافهم في فلسطين قد انشاوا حضارات واقاموا مدنا من اقدمها مدينة اريحا التي تعتبر اقدم مدن العالم اطلاقا حيث يرجح أنها وجدت منذ ثمانية الاف (٨٠٠٠) سنة . وقد امتزج الكنعانيون بمن سبقوهم في فلسطين وجددوا مدينة اريحا كما انشاوا مدنا

اخرى على طول ساحل البحر المتوسط · وقامت في هذه المدن ممالك واحيطت بأسوار وكانت هذه الممالك صغيرة في مساحتها ولكن اسوارها تمـــــيزت بالضخامة ، حتى ان أسوار اريحا بلغت في ارتفاعها واحدا وعشرين قدما · وقد دافع الكنعانيون عن مدنهم بالمركبات الحربية بعد ان استخدموا الحصان مــع مجيء الهكسوس ·

استوطن الكنعانيون جميع ارض فلسطين بما في ذلك صحراء النقب وغور الاردن · ويقال ان اسمهم من أصل غير سامي ويعني « بلاد الارجوان » ، وقد اطلقته عليهم الشعوب المجاورة · وبقي الكنعانيون في فلسطين منذ دخولهــم اليها واندمجوا بموجات الهجرة التالية التي جاءت الى البلاد ، ويرجح عـدد من العلماء ان اكثرية فلاحي فلسطين الحاليين هم احفاد الكنعانيين الاقدمين ، وهم يلاحظون ان مساكنهم تشبه الى حد بعيد مساكن اسلافهم · وقد شيـــد الكنعانيون حضارة متقدمة فاهتموا بالزراعة حتى عرفت بلادهم بانها « تفيض لبنا وعسلا » ، ومارسوا الصناعة على نطاق واسع وتقدموا بصناعة الخـزف والمعادن والعاج والزجاج والاقمشة والارجوان ، وكان لهم نشاطهم التجـاري الواسع وقد ركبوا البحر وشقوا الطرق البحرية · وهم اول من اخترعـــوا الابجدية وقد كتبوا بها لغتهم المشتقة من العربية الاولى · وكشفت لنا الآثـار والحفريات عن تقدم الادب الكنعاني في التعبير عن المعاني الانسانية وكانـــت لهم ديانتهم وقد عبدوا اله الشمس بعل الذي هو ايضا اله الخصب ، وبنـوا الهياكل لممارسة طقوسهم · وقامت بينهم وبين الشعوب المجاورة في وادي النيل وسوريا وبلاد الرافدين علاقات وثيقة حفظتها لنا الآثار الباقية ·

ولقد شهدت فلسطين وهي تحمل اسم ارض كنعان احداثا هامة كان لها اثرها على مجرى الحياة فيها · ونشير من بين هذه الاحداث الى هجرة ابراهيم عليه السلام من بلاد الرافدين وتنقله في سورية ثم انتقاله الى فلسطين في القـرن التاسع عشر قبل الميلاد · وقد نزل في شكيم (نابلس) ثم انتقل الى جهـــات رام الله والقدس ومر بالخليل ثم ارتحل الى مصر مع عائلته وعاد اخيرا الـى ارض كنعان · ويلاحظ المؤرخون وهم يوردون القصة التوراتية لقدوم ابراهيم الى فلسطين ان الكنعانيين كانوا يشكلون معظم السكـــان حينـــذاك ، وان العموريين كانوا يسكنون المرتفعات ، وقد مضى على هؤلاء وهؤلاء اكثر من ألف سنة في البلاد · وكان مجيء ابراهيم وعائلته هو الهجرة الاولى في هجـرات ثلاث حملت العبرانيين الى فلسطين ، وقد عاصرت هـــذه الهجرة انتشـار الهكسوس والحوريين في ساحل البحر المتوسط الشرقي ·

كما نشير من بين هذه الاحداث الى دخول فلسطين في حكم السلالة الثانية عشرة من فراعنة مصر (٢٠٠٠ ـ ١٧٨٨) · وقد وصل الينا من تلك الفتـرة

اقدم وصف للحياة الاجتماعية في البلاد وهو الذي كتبه سنوحي رجل البلاد المصري الذي فر من بلاده في عهد سنوسرت وعاش بين البدو سنين عديدة ٠

وحين غزا الهكسوس مصر وحكموها كانوا قد مروا بفلسطين ثم حكموها ، وقد احتلوا اثناء وجودهم فيها بعض المدن الفلسطينية ومنها تل العجول وتل الفارعة جنوب غزة وتل جريشة في شمال يافا ٠ ولما بدأت موجة التحرير في مصر في عهد احمس مؤسس الاسرة الثامنة عشرة ونجحت في طرد الهكسوس شهدت « شاروحن » عاصمتهم في فلسطين في موقع تل الفارعة المعركة الفاصلة بين المصريين والهكسوس الذين قاوموا حصار مدينتهم لثلاث او ست سنوات٠ وعاد الحكم المصري لفلسطين وكان يمارس من خلال عدد قليل من الممثلين او من حكام البلاد انفسهم ٠ وعلى ارض فلسطين جرت معركة « مجدو » الفاصلة سنة ١٤٨٦ ق٠م٠ التي انتصر فيها تحوتمس الثالث (١٤٩٠ ـ ١٤٣٦) على امراء سوريا وبقايا الهكسوس بعد حصار دام سبعة شهور اضطرت في اعقابه المدينة التي « كان الاستيلاء عليها كالاستيلاء على ألف مدينة » الى التسليم بعد ان عانت من المجاعة٠وقد قرر سقوط مجدو مصير فلسطين وتوطدت على اثره سيادة مصر على سوريا لفترة ولم تلبث ان ضعفت السيطرة المصرية على فلسطين وسوريا خلال الاسرة العشرين ، ثم اصبحت هذه البلاد خارجة عن الامبراطورية المصرية في القرن الثاني عشر ٠

وفي هذه المدة كان الحثيون قد وطدوا اقدامهم في القسم الشمالي من سوريا بعد ان اقاموا دولتهم في اسيا الصغرى ٠ ومع ان حكمهم لم يمتد الى فلسطين الا ان جماعات منهم سكنتها ونزلت في الخليل وبيتين بجوار رام الله٠ وقد تزاوج هؤلاء بالعبرانيين حين جاءوا الى فلسطين ٠

وفي الفترة نفسها ظهر الحوريون في المنطقة بعد ان اسسوا مملكة ميتاني شرقي الفرات وسكنت جماعات منهم فلسطين واقامت في نابلس والشمال ٠ وقد تبادلوا التأثير الحضاري مع سكان البلاد وذابوا في الكنعانيين حين قضى الحيثيون على ملكهم ٠

وتردد في وثائق تلك الفترة ايضا اسم « العبيرو » او « الخابيرو » في فلسطين وهم جماعة من المرتزقة اجتاحوا البلاد وربما كان اصلهم من اشور ، ويظن ان اللفظ لـ « مهاجر بائس » كما اعتبر بعض العلماء ان الكلمة تذكر بكلمة « عبري » او « عبراني » وقد استولوا على شكيم سنة ١٣٦٧ كما يتضح من رسائل تل العمارنة ٠ ويبدو من مجموع الوثائق ان « العبيرو » جماعة متعددة العناصر وبدون اوصاف مشتركة تجمعت في بلاد الرافدين وضمت بدوا رحلا واشقياء واجانب وعملت في الجيوش بأجر (٤) ٠

وجاءت خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر الهجرة الارامية من صحراء

جزيرة العرب الى بلاد الرافدين وشمال سوريا فكانت ثالث موجة بعد الموجتين العمورية والكنعانية ، وقد فتح قضاء الحثيين على مملكة ميتاني المجال امـام حركة الاراميين ، وسرعان ما اصبح وجودهم ظاهرا في شمال سوريا ثم فـي منطقة دمشق ، وطغى هذا الوجود على وجود العموريين والحوريين والحثيين فأدى الى طردهم او امتصاصهم من تلك المناطق · وبقيت المدن الكنعانية فـي السهل الساحلي بعيدة عن نفوذهم حيث وقف جبل لبنان عائقـا في طريـق توسعهم ، وحين جاءت الهجرة العبرانية الى فلسطين اصبح العبرانيون على جوار مع الاراميين ، وقد تزاوجوا منهم · وكان اسلاف العبرانيين يتكلمـون الارامية كما يظن قبل استقرارهم في فلسطين واقتباسهم اللهجة الكنعانيـة المحلية ، وقد اشتهر الاراميون بالتجارة وانتشرت لغتهم وحملت معها الابجدية الفينيقية ، وازدهرت حضارتهم ·

واتصلت بهجرة الاراميين الى سوريا هجرة العبرانيين الثانية الى فلسطين في القرن الرابع عشر في عصر العمارنة ، ويحيط الغموض ببـدء وجـود العبرانيين في فلسطين وباخبار هاتين الهجرتين التي سجلت بشكل أسطوري ، والمرويات العبرية عن الهجرة الثانية تحكي كيف ترك ابراهيم وريثـه اسحق الذي انجب يعقوب · وبعد أن اقام يعقوب في فدان آرام عدة سنوات وقع عليه الاختيار ليكون صاحب الشأن دون اخيه عيسو ، وتغير أسمه فاصبح اسرائيل، وحمل عيسو أسم ادوم ، وأزيل مع ورثته مـن حيـاة العبرانيين شأنه شـأن اسماعيل ابن ابراهيم من قبل ، ومن بين أولاد يعقوب الاثني عشر انتقل يوسف الى مصر وفقا للقصة المشهورة وارتفع شأنه في الدولة المصرية · وبعد ان اقام ورثته اجيالا عديدة في مصر عادوا الى فلسطين تحت قيادة موسى · ويلاحـظ العلماء ان هذا التاريخ العبراني القديم وضعه كتاب عاشوا بعد وقوع الحوادث بمئات السنين، وهو لذلك ليس بتاريخ وليس من السهل استخلاص الحقائق منه·

جاءت الهجرة العبرانية الثالثة اذن من مصر في أواخر القرن الثالث عشر، وكانت بقيادة موسى ويوشع · وبها يبدأ تاريخ بني اسرائيل الحقيقي كشعب · وقد وردت اقدم اشارة لاسرائيل كاسم شعب في فلسطين في نصب وجد بطيبة تاريخه ١٢٣٠ ق·م· وموجز تاريخ هذا الهجرة ان قبيلة راحيل العبرانية التي كانت قد وجدت لها في مصر مأوى في زمن الهكسوس قرب افاريس عاصمتهم، غادرت مصر الى سيناء وفلسطين · وقد حصل هذا الخروج في عهد مرنفتاح ابن رمسيس (١٢٢٤ ـ ١٢١٥ ق·م·) · وقضى افراد هذه القبيلة عـــدة سنوات في سيناء والنقب حيث تعرضوا لمتاعب كثيرة ، وتزوج زعيمهم موسى ابنة رجل دين من مدين في القسم الجنوبي من شبه جزيرة سيناء ، وتـزاوج آخرون غالبا مع المدينيين وسائر سكان بادية شمالي الجزيرة العربية · وفـي مدين اوحي الى موسى ، ولم يلبث هـؤلاء العبرانيون ان اتجهوا لاحتـلال

الاراضي الخصبة في فلسطين فجاؤوها من ناحية بادية شرق الاردن وكـــان عددهم لا يتجاوز ستة الاف او سبعة الاف ، وقد تجنبوا في تحركهم ممالك أدوم ومؤاب وعمون شرقي البحر الميت وشماله . وكان اول فوز لهم في شرق الاردن على ملك العموريين ثم على ملك باشان ، ولم يلبثوا ان احتلوا في فلسطيـــن بعض المدن الكنعانية المحصنة مثل لاجاش (تل الدوير) وعاي واريحا ، وقـد احرق يوشع اريحا بالنار بأمر الهه « وكل ما بها » ٠ ولم تسقط مجدو في الشمال الا بعد قرن ٠ وبقيت مدن كنعانية اخرى لم يستطيعوا احتلالها لفتـرة طويلة ومنها بيت شان واورشليم وجزر ٠

يلاحظ ان هذا الاحتلال العبراني لاجزاء من فلسطين تم من جهة بالغــــزو العسكري ومن جهة اخــــرى بالتغلغل السلمي البطيء الى ارض « اللبـن والعسل » ٠ فبعد ان نجح هؤلاء القادمون الجدد في الحصول على موطىء قدم في أراضي فلسطين المزروعة بدأوا يتغلغلون ويقوون من خلال التزاوج مــــن السكان المقيمين حتى نجحوا في السيطرة على البلاد بطريق المعاهدة او الغزو أو الامتصاص التدريجي ٠ وقد سجل مؤرخوهم المعارك التي خاضوها وغالوا في احداثها وجعلوها محور مروياتهم ٠

وبعد ان سيطر العبرانيون على بعض أجزاء فلسطين قسموها بين قبائلهـم الاحدى عشر وتركوا قبيلة لاوي الكهنوتية موزعة بينها لتهتم بشؤونها الدينية٠ وشملت فترة الاستيطان تقريبا الربع الاخير من القرن الثاني عشر والاربـــاع الثلاثة الاولى من القرن الحادي عشر ، وفيها ظهر القضاة ٠ وهم حكام وطنيون قادوا شعبهم ضد الاعداء المجاورين ، ومن هؤلاء ديبورة وجدعون وشمشون الذي اشتهر بنزاعه مع الفلسطينيين وردد القصاصون العبرانيون قصة نزاعـه مع اضافات كثيرة عليها (٦) ٠

وكان الفلسطينيون قد جاؤا الى ساحل البلاد الجنوبي من منطقة بحر ايجة حين أدت حركات غامضة لشعوب اسيا الصغرى وبحر ايجه الى تفرق قبائــل بكاملها راحت تبحث عن موطن لها ، وقد وصل بعضها الساحل المصري فصدهم رمسيس الثالث في معركة بحرية وبرية حوالي ١١٩١ ق٠م٠ ولكنه سمح لهم بالنزول في ساحل سوريا الجنوبي الذي صار يسمى فلسطيا وقد اقاموا هناك في خمس مدن رئيسية هي غزة وعسقلان واسدود وعاقر وجات (عراق المنشية) احتفظت باسمائها السامية ٠ وكانت « جات » ابعد مدنهم في الداخل كما كان الكرمل الحد الفاصل بينهم وبين الفينيقيين ٠ وقد استولوا على عدد من المدن الكنعانية واسسوا مدينتي اللد وصقلع (تل الخويلفة) وكانوا حريصين على البقاء قريبين من البحر ٠

والفلسطينيون من الشعوب الهندية الاوروبية وتدل على ذلك رسوم لهم وجدت

على بناء تذكاري اقامه رمسيس الثالث · وقد نظموا مدنهم على شكل ممالك مدن وشكلوا بينها اتحادا وكانت اسدود هي العاصمة · وبلغوا ذروة قوتهم في النصف الثاني للقرن الحادي عشر وبدوا المنافس الاقوى للعبرانيين ، وقد كسروهم حوالي ١٠٥٠ واخذوا منهم تابوت العهد وحملوه الى اسدود · وكان سر تفوقهم معرفتهم صهر الحديد واستخدامه في السلاح ·

وهكذا يسجل لهم نقل حضارة المنطقة من مرحلة البرونز الى مرحلة الحديد كما انهم اعطوا جيرانهم الكنعانيين ميلا للاسفار البعيدة ، وكانت لهم تجارتهم مع مصر وكريت وبلاد اليونان · وقد ضعفت سلطتهم بعد فترة لم تطل فغلبهم داود (المتوفى عام ٩٦٣) وما أسرع ما اندمجوا في السكان ، وكانوا قد نسوا لغتهم الكريتية وتكلموا اللغة الكنعانية كما اعتنقوا ديانة الكنعانيين · ولم يتركوا الا اليسير لمعرفة لغتهم وديانتهم ومظاهر حضارتهم الاخرى · ولكنهم تركوا اسم فلسطين لتعرف به « ارض كنعان » (٦) ·

يحسن بنا قبل ان نتابع سلسلة الاحداث الهامة التي شهدتها البلاد ان نسجل اهم الدلالات التي ينطوي عليها تاريخ « ارض كنعان » حتى قدوم العبرانيين اليها ·

اولا ان فلسطين كانت مأهولة بالسكان منذ اقدم العصور التاريخية ، وانها كانت على مدى تتالي الحقب التاريخية وطنا لشعبها ، وانها بحكم الموقع والجغرافيا كانت ممرا للشعوب الاخرى ·

ثانيا ان فلسطين والهلال الخصيب عامة كانت منذ القديم منطقة جذب سكاني مرتبطة بجزيرة العرب التي كانت مركز طرد سكاني · وقد تتالت الهجرات السامية العربية من جزيرة العرب الى فلسطين وبلاد الهلال الخصيب عموما فحملت اليها العموريين والكنعانيين والآراميين والعبرانيين ، وكان للهجرة الكنعانية اثر كبير في طبع البلاد بطابعها العربي الذي حافظت عليه · وقد اندمجت جميع شعوب هذه الهجرات بمن كان مقيما على ارض فلسطين وأصبح افرادها ينتمون الى شعب فلسطين · وفي جميع هذه الحالات ، وفيما بعد ايضا برهنت فلسطين ـ كجزء من سوريا عامة ـ على مقدرتها في امتصاص القادمين الرحل او نُصف الرحل بتشجيعهم على ان يصبحوا مستقرين ، وان يتركوا ذلك المصدر الغريب لقوتهم وهو التنقل · ويضرب « حتي » مثلا على ذلك بالعبرانيين « فقد اتى الشعب الذي عرف فيما بعد بهذا الاسم بشكل متجولين ومغامرين ومرتزقة وجنود لا ارتباط لهم ، ثم استقر بالتدريج بين السكان الذي كانوا ارقى منهم فتعلموا حرث الارض ، وبناء المنازل وممارسة فنون السلم واهم من ذلك القراءة والكتابة واتخذوا اللغة الكنعانية لغة لهم ،واصبحوا ورثة المظاهر الاساسية للحضارة الكنعانية » (٧) ·

ثالثا كانت فلسطين منطقة جذب لجماعات من شعوب اخرى مرت بـهـا او اقتربت منها مثل الحيثيين والحوريين والفلسطينيين · وجميع هذه الجماعات هندية اوروبية في الاصل وقد مثلت شعوبها جبهة مقابلة لجبهة شعوب الجزيرة العربية السامية ، وكان مصير هذه الجماعات الاتصهار في بوتقة شعب فلسطين والانطباع بطابعه ·

رابعا كانت فلسطين على اتصال وثيق بكل من مصر في الجنوب وسوريـــا وبلاد الرافدين في الشمال الشرقي ، وذلك بحكم موقعها ، وقد حدثت علـــى ارضها اكثر من معركة فاصلة حين وقع الصدام لسبب او لآخر بين شعــــوب المنطقة · كما كانت بحكم هذا الاتصال مكانا لتفاعل حضارات هذه الشعوب ·

المراجـــع :

(١) انظر برو كلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ١٥ في حديثه عن الجنس العربي دار العلم للملايين – بيروت ترجمة فارس وبعلبكي ·

(٢) يراجع للتوسع في تاريخ العموريين فضلا عن كتاب حتي السابق ذكره (الفصل السابع) كتابا :

Albert T. Clay

1 — The land of the Nothern Semites (Philadelphia 1909).

2 — The Empire of the Amorites (New Haven , 1919).

Rrchaology (1946).

(٣) يراجع للتوسع في تاريخ الكنعانيين الفصل الثامن من كتاب حتي وكتاب

W. F. Albright , « The Role of the Canaanites in the History of Civilization (Menasha , 1942).

(٤) يراجع للتوسع في التعرف على هذه الاحداث فضلا عما سبق ذكره من مصادر كتابي بريستد :

James Breasted , Ancient Records of Egypt (Chicago , 1906).

» » History of Egypt (New York , 1905).

(٥) يراجع بشأن تاريخ الاراميين وعلاقتهم بالعبرانيين كتاب :

Emil G. Kraeling , Aram and Israel (New York 1918).

(٦) الكتاب المقدس : سفر الخروج وسفر يوشع وسفر القضاة ·

Meek : Hebrew Origins (New York 1936) .

(٧) انظر حتي مصدر سبق ذكره ، الفصلين الرابع عشر والخامس عشر ·

ميشيل كيلو

لا بد من سياسة بديلة

لا زلنا في هذا العالم العربي ، نعتقد ان نقيض الخطأ سيكون حتما الصواب فالذي يسير على الرصيف الايسر ويكون مخطئا ، سيصحح خطاه ان هو سار على الرصيف الايمن · اننا لم نصل بعد الى حقيقة كثيرا ما تواجهنا ، وهي ان السير على الرصيف الايسر قد يكون غلطا كبيرا ، لكن تصحيحه لا يكون بالسير على الرصيف الايمن ، لان هذا قد يكون بدوره غلطا اكبر بكثير ·

هذا ما يحدث تماما بعد زيارة السادات للصهاينة فالذين لم يوافقوا على ذهابه ، هم ولا شك على حق ولكن سلسلة ردود افعالهم لا تعني ان عدم الموافقة على الذهاب الى الارض المحتلة هو بحد ذاته الرد الصحيح على خطوة السادات ، ولا يعني ان الاقتصار على رفض الزيارة والنتائج التي ترتبت عليها هو الموقف الوحيد المعاكس للموقف الرسمي المصري ، وانه يملك مقومات الحياة والنجاح ، متى ظهر فشل الموقف الاخر ، المرفوض ·

على سبيل المثال ، هناك من ينتظر فشل المفاوضات المباشرة بين العدو والنظام المصري ، بعد أن طرح فهمه الخاص لبديل المفاوضات المباشرة ، وحدده بالعودة الى جنيف وبالمفاوضات غير المباشرة والحلول الشاملة ، بدل الحلول الجزئية ، التي ربما كان المتفاوضون في القدس والقاهرة يطمحون اليها · هل صحيح ان فشل السادات سيكون نجاحا لخط جنيف والدولتين الكبيرتين والمفاوضات غير المباشرة والتسوية الشاملة ؟·· انا شخصيا لا اعتقد ذلك ، واؤمن بأن فشل السادات هو فشل لكل خط ونهج وسياسة التسوية ، كما مورست بعد عام ١٩٧٠ ، وخاصة بعد ١٩٧٣ ، وان هذا الفشل لن يقتصر على الموقف المصري ·

فالسادات حين ذهب الى القدس ، كان يحقق لاميركا واسرائيل مطلبين من مطالب ورقة العمل الاميركية ـ الاسرائيلية هما : المفاوضات المباشرة دون وسيط ، والحلول الجزئية · والاميركيون بالاصل لم يروا في مؤتمر جنيف سوى اطار عام يتم الوصول

عن طريقه الى لجان جغرافية ثنائية (حلول جزئية) تجريها الاطراف المختلفة مع الطرف الصهيوني دون وسيط (مفاوضات مباشرة) ٠

السادات ازاح بضربة واحدة الجلسة الاولى ، العامة للمؤتمر ، وانتقل مباشرة الى اللجنة الثنائية المصرية ـ الاسرائيلية والمفاوضات المباشرة دون وسيط ، وبهذا قدم للاميركان والاسرائيليين خدمة مزدوجة ٠

ـ اراحهم من شكليات جنيف ، واظهر ان هذا برمته لم يكن سوى جملة شكليات الهدف منها الوصول الى المفاوضات المباشرة واللجان الجزئية ٠

ـ كشف ان جنيف ليس مؤتمرا لحل مشكلة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، بل هو نفق يفضي الى ساحة اللجان الجغرافية والمفاوضات المباشرة ٠

لقد نقل السادات الاميركان الى مرحلة ما بعد الجلسة الاولى من مؤتمر جنيف ، ودخل الى صلب الموضوع ، « دون التوقف طويلا عند الاجراءات والشكليات » ، كما قال غير مرة ٠ وهذا ما دفع الاميركان الى تبني مؤتمر القاهرة بحماسة وقوة ، وجعلهم يعملون ، كما قال فانس قبل زيارته ما قبل الاخيرة للمنطقة ، « على تقوية اتجاه مؤتمر القاهرة واضعاف الاتجاهات الاخرى » ومنها بالطبع الاتجاه الداعي للعودة الى جنيف ٠

والان : اذا كان السادات سيفشل في المفاوضات المباشرة والحلول الجزئية ، فهل ستكون العودة الى جنيف هي البديل ، وجنيف لن يفعل سوى اعادتنا بعد الجلسة الاولى العامة الى حيث اوصلنا السادات ، وفشل ؟٠٠ ان جنيف ليس اذن بديل سياسة السادات ، واذا كان هو البديل ، فان فشل السادات سيكون فشلا لخط التسوية ٠

اولا : ان السادات لا يفاوض عن مصر وحدها ، بل هو يفاوض ايضا حول قضية الضفة الغربية وغزة ، وبقدر اقل حول الجولان ، واذا كان لا يجري مفاوضات مفصلة حولهما ، فهو يجري على الاقل مفاوضات ـ اطار لاقناع الاسرائيليين بمبدأ الانسحاب بالاصل ، وانهم يرفضون حتى الاقرار بمبدأ الانسحاب الكامل ، ولم يكن معناه ان السادات كشخص قد فشل ٠

هذا يعني ان اي شخص اخر كان سيفشل ، وان من رفض الانسحاب وهو يفاوض السادات المهادن المتهاون المستجيب ، سيرفض مبدأ الانسحاب امام غيره ٠ الفشل هنا لن يصيب السادات شخصيا وحسب ، بل سيكون ، قبل كل شيء ، فشلا للنهج الذي علق الامال على امكانية تسوية معضلة شائكة كمعضلة ترتيب الوضع العربي على ضو المشكلة الاسرائيلية ، ويمكن ان تتم بالمفاوضات والاقناع والاحاديث والخطب العذبة والودية ٠ هذا النهج القائم اصلا على ايجاد حلول للصراع العربي ضد الصهيونية واسرائيل عن طريق الامبريالية وبواسطتها ، مع انه جزء من الصراع ضدها ، هو الذي سيكون قد انهار ٠

ثانيا : لان بديل سياسة السادات لم يعد « تاكتيكا » اخر ضمن التسوية ، بل هو نهج اخر حيال القضايا التي تطرحها ، بدءا بالاوضاع الداخلية لمختلف الانظمة العربية ، وانتهاء بعلاقاتنا مع الامبريالية ، مرورا بعلاقاتها العربية ٠٠٠ الخ ٠ هذا

النهج الاخر ليس تاكتيكيا ، وليس قائما على جملة الاعيب سياسية الهدف منها اظهار الاعتدال اكثر من ادارة الظهر لوضع قائم · وهذا البديل ليس قائما بعد في اي وضع عربي ·

وتشير كل القرائن الى انه لن يقوم بين ليلة وضحاها ، وليس مرشحا للقيام بعد شهر او شهرين ·

وما دام الوضع على هذه الحالة ، فان فشل السادات سيظهر ان التسوية لم تكن بالنسبة لواشنطن ايجاد حلول للمشكلة الوطنية والقومية العربية المتجلية في الاحتلال والقضية الفلسطينية ، بل كانت ترتيبا داخليا للاوضاع العربية يهدف الى استرداد المنطقة لصالح الامبريالية ، لفرض ما تراه هذه ملائما لمصالحها ومتوافقا مع وضعها الرأسمالي والدولي ، وطبيعي ان مثل هذا الترتيب كان يرمي الى نزع زمام المبادرة والقرار من العرب ، متى وصلت الامور الى غاياتها النهائية ، وظهر ان التسوية ليست حل المشكلة الوطنية ، مشكلة الاحتلال ، فيصل الوضع العربي الى درجة يعجز معها عن تحرير اراضيه بالقوة ، ويعجز ايضا عن الاستمرار حتى في صورته الراهنة ، بدون الدعم الامبريالي الخارجي ·

ان فشل السادات يعني اذن فشل التسوية الاميركية فلا يعقل ان يرفض الاميركيون والصهاينة تقديم تنازلات له ، ليقدموها للذين رفضوا المفاوضات المباشرة ومبدأ الحلول الجزئية ، وهما الشكل الوحيد المطروح للوصول الى « حل » او تسوية · وحتى لا يكون فشل السادات فشلا للجميع ، لا بد اذن من سياسة اخرى ، من وضع عربي اخر يعمل على اقامته اولئك الذين رأوا في سياسة السادات تفريطا بالحقوق العربية ، وقالوا بضرورة احباط نهجه وافشال نتائج جهوده · وما اتخذ حتى اللحظة من اجراءات وسياسات ليس هو البديل المنشود ، كما انه لا يغني عن ضرورة اتخاذ قرارات كبرى ، تبدأ بالوضع الداخلي ، وبالعلاقات العربية التي تحولت الى اداة للتقهقر السياسي والاجتماعي العربي أمام الامبريالية ، وبأولويات ارتباطاتنا الدولية ، التي حافظت من حيث الشكل على روابط هنا او هناك · واذا كنا لا نريد الحديث الان عن ملامح هذا القرار العربي الاستراتيجي ، الذي يفرضه الواقع السياسي العربي القائم ، وتفرضه ضرورة تحويل اقطارنا الى مرتكزات للصمود والدفاع ، فاننا نريد التأكيد مجددا على ان هذا القرار لم يتخذ بعد ، وان الايام تجعل اتخاذه حتمية لا مهرب منها ·

ولكن ما هو فشل السادات ؟! ثمة نوعان من الفشل قد يواجهان مهمة الحكم المصري · النوع الاول اكيد لا شك فيه : فالسادات لن يفلح في استرداد الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ، وفي استرجاع الاراضي العربية المحتلة ، كما كانت صباح الخامس من حزيران ١٩٦٧ · انه لن يحقق ، على افتراض حسن النية والصلابة الوطنية ، « الهدفين المعلنين للنضال العربي » ، و « الاستراتيجية المتفق عليها عربيا » · ان هذين الهدفين لن يحققهما العرب ، ما داموا في وضعهم الراهن ، ولو ذهبوا فرادى وجماعات الى اخر الكون ، وقبلوا أيادي كل الكائنات الحية الموجودة على وجه هذه الارض · هنا لا يجوز ان ننتظر فشل السادات ، بل يجب ان نكون متأكدين منه مائة بالمائة · لكن هذا الفشل ليس فشلا للسادات ، بل هو فشل لسياسة التسوية برمتها ، كما مورست حتى

اللحظة ، ومن ينتظر هذا الفشل ، ليثبت ان السادات لم ينجح ، وانه كان على حق في موقفه من زيارته للقدس ، لانه عرف انه سيفشل في تحقيق هذين الهدفين، هو كمن يحرق منزلا كاملا من اجل قتل برغوث ، لكي يثبت ان البراغيث تحترق ايضا بالنار ٠ من الاجدى في حالة كهذه عدم الانتظار ، والذهاب فورا الى الوضع البديل ، الا اذا كان المراهنون على زيارة السادات قد توقعوا منها ان تنجح فعلا ، وعلقوا قراراتهم الصعبة على هذا الامل ، علّه يوفر عليهم اتخاذها !! هذا النوع من الفشل اكيد ، ولا داعي لانتظار حدوثه من اجل اتخاذ المواقف التي ننتظر منها ان تصحح مسار التدهور والانهيار العربي ، لنعيد اليه بعضا من قدرته على الوقوف على قدميه في وجه احتمالات المستقبل الصعبة ٠

النوع الثاني من الفشل يرتبط بعجز السادات عن عقد صلح منفرد مع العدو ، يعيد اليه سيناء ، ويدفعه لاقامة علاقات طبيعية مع تل ابيب ٠ هذا الاحتمال ، وهو مجرد احتمال ، يجعل بدوره اتخاذ قرارات صعبة وخطيرة بصدد السياسات العربية لكل قطر امرا حتميا ٠ اذا نجح السادات في عقد الصلح المنفرد ، وخرج من المعركة مع العدو ،والقى بثقل مصر باتجاه افريقيا ، وادار ظهره للعرب نهائيا ، كما يقول خصومه ، فان ذلك لا يوفر علينا اتخاذ القرارات الصعبة والخطيرة ، بل هو يجعلها ايضا حتمية لا مهرب منها ٠ واذا كان هناك من يعتقدون ان الحل الجزئي على الجبهة المصرية قد تعقبه حلول جزئية على الجبهات الاخرى، وان نجاح السادات هناك سيترجم الى نجاحات هنا ايضا ، فان منطق الاحداث يرد على « امله » هذا ٠ فالاسرائيليون بنوا مستعمراتهم في سيناء قرب حدود فلسطين الدولية مع مصر ، كما كانت عشية الخامس من حزيران ، ومدوا قسما منها الى سواحل المتوسط وشواطيء خليج العقبة ، فأبقوا سيناء ، او المساحة الرئيسية منها ، خارج حدود مطامحهم ٠ اما في الجولان والضفة الغربية فقد أقاموا المستعمرات على خط وقف اطلاق النار ، وليس عند الحدود الدولية ٠ وهذا يعني ان البند الاخير في حلهم الجزئي مع مصر سيكون البند الاول في حلولهم الجزئية مع كل من سوريا والاردن ٠ والنقطة التي لم يقفوا عندها طويلا ، لانها تقع امام المستعمرات في سيناء ، وهي الاراضي المحتلة ، سيقفون عندها طويلا جدا ، لانها تقع وراء مستعمراتهم في الجولان والضفة ٠ واذا كانت مستعمرات سيناء هي حدودهم الدولية الجديدة التي لا يريدون التنازل عنها ، فان مستعمرات الجولان والضفة لن تشكل فقط حدودهم الدولية بل كذلك نطاق الامن الذي يحمي في نظرهم ، الاراضي المحتلة التي لن ينسحبوا منها باي ثمن ، ما داموا يتمسكون بمثل هذه الاستماتة بمستعمرات سيناء ، التي يقع بينها وبين مصر المأهولة بالسكان مئات الكيلومترات من الصحراء والرمال الميتة ٠ ان علينا ان نتابع بدقة وتفصيل المفاوضات المصرية الاسرائيلية حول مستعمرات سيناء ، لانها تقدم لنا صورة واقعية وميدانية عن برنامج التوسع الاسرائيلي ، وعن حدود العدو كما يتصورها في المرحلة المقبلة ٠

هذه النتيجة تقودنا خطوة الى امام بالنسبة لاستنتاجنا السابق : فالقرارات العربية الصعبة صارت حتمية ، سواء فشل السادات ام نجح ٠ ان فشله يعني فشل الاساليب والوسائل العربية التي اتبعت حتى الان في الوصول الى التسوية

التي اعتمدتها غالبية الانظمة العربية ، ولم يقتصر اعتمادها على مصر السادات ٠ ونجاحه يعني نجاح مخطط فصل مصر عن النضال العربي ـ وهذا سيضعف موقف الانظمة الاخرى ، وسيزيد من فرص العدو في التمسك باراضيها ، وسيقلل فرصها في استعادة حقوقهابواسطة الاساليب الدبلوماسية لوحدها ٠ وفي الحالتين لا بد من قرارات حاسمة وصعبة ٠

معن بشور

في الذكرى العشرين للوحدة

الأقليميات العربية : إزدهار أم انهيار ؟

بعد عشرين سنة على ميلاد اول تجربة وحدوية عربية في العصر الحديث ، يبدو ظاهريا وكأن الوحدة العربية ، كفكرة وكحركة وكنضال ، قد تراجعت كثيرا امام نزاعات المصالح الاقليمية وحروب العواصم والطوائف والقبائل هنا وهناك على امتداد الوطن العربي الكبير .. بل يبدو وكأن الوحدة العربية تمر بازمة عميقة عنيفة تمس الجذور وتهز البديهيات القومية الاولى .. في حين تنتعش الاقليميات انتعاشا ظاهرا وبارزا وتنتقل من كونها منطق الفئات الحاكمة لتصبح في بعض الاحيان منطق فئات واسعة من المواطنين وسط تغذية يومية ، وتركيز دائم مستمر ، تشترك فيه انظمة على ما بينها من خلاف . وتدعمها كل القوى صاحبة المصلحة في ابقاء الواقع الراهن بدون تمييز ..

فهل ما يبدو على السطح اليوم هو الحقيقة الثابتة والنهائية ... وهو التعبير الصادق عما يجري من تفاعلات وتطورات غير مرئية في الحياة العربية .. ام انه مجرد مظاهر خادعة بل ومعاكسة لحقيقة الحركة التاريخية المتواصلة لهذه الامة .

ازمة الوحدة العربية

ان الوحدة العربية ، كفكرة وكحركة وكنضال ، تعاني اليوم من ازمة بدون شك.. لكن ازمتها ذاتية لا تتصل في مدى تعبيرها عن حاجات موضوعية وحيوية في هذه الامة بقدر ما تعبر عن **قصور** في ادوات وبرامج النضال من اجل تحقيقها ، بل عن **قصور** هذه الادوات والبرامج في الارتقاع باساليبها ونضالاتها الى المستوى الذي وصلت اليه اساليب القوى المضادة في تعميق التجزئة وتعميم التفتيت والتشرذم والتناحر على كافة المستويات ...

... وازمة الاقليمية

بينما نجد الاقليمية ، كافكار وكيانات ومصالح ، رغم مظاهر انتعاشها وانتشار منطقها في معظم المحافل والمستويات ، تجابه ازمة موضوعية حقيقية تتلخص في مسالتين معا :

١ ـ عجزها الكامل عن مواجهة كافة التحديات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها اي قطر عربي ، مهما بلغ حجمه واتسعت رقعته ·

ان هذا العجز ينكشف اولا في تدني مستوى المجابهة القومية مع العدو الصهيوني او غيره من ذوي الاطماع في الارض العربية كما يظهر كذلك في مظاهر الارتباك المتواصل الذي تواجهه قضايا التنمية والتطور الاقتصادي والاجتماعي ·

كذلك ينكشف حجم هذا العجز الاقليمي في عدم القدرة على اعداد « حل عسكري » لمسالة الصراع العربي ـ الصهيوني ، او حتى في عدم النجاح في انجاز « حل سياسي » لهذه المسالة ...

وعلى الصعيد الاقتصادي يكاد يظهر بدون اية صعوبة كيف ان مشاريع التنمية وخطط التطوير تترنح فشلا داخل السجون الاقليمية التي اذا تمكنت من توفير رأس المال فانها لا توفر اليد العاملة والسوق والخبرة والمواد الاولية ، والتي وان توفر لها عنصر أو اخر من عناصر الانتاج فانها تفتقد بشدة الى العناصر الاخرى ...

٢ ـ بالاضافة الى هذا العجز ، وربما بسببه ، يعجز التركيب السياسي والاقتصادي والاجتماعي للاقليمية عن ان يعبر عن مصالح الاقليم ككل ، فيجنح الى التعبير عن مصلحة قلة في داخله ، مما يظهر ان الاوضاع الاقليمية ليست مصلحة قطر بكامله وانما تصبح مصلحة عشيرة او فئة او جهة داخل هذا القطر ·

الاقليمية ـ جذورها وحقيقتها

ذلك ان (الاقليمية) في البناء السياسي العربي ليست مجرد انعكاس فوقي لتطور داخلي في البناء الاقتصادي والاجتماعي العربي ، وفي علاقات الانتاج وتطور الطبقات ، بل هي قرار خارجي اتخذه الاستعمار القديم وحافظت عليه الامبريالية كضمان لديمومة المصالح الاجنبية والهيمنة الاستعمارية على هذه المنطقة وثرواتها وخيراتها ...

فالاقليمية بهذا المعنى ليست وليدة طبقة بذاتها في الحياة العربية ، بل أنها هي التي تولد الطبقات والفئات التي تدافع عنها ، وهذا الذي يفسر تعاقب اكثر من طبقة او فئة اجتماعية على سدة الحكم في البلاد العربية وبقاءها جميعا مخلصة « للسيادة الاقليمية » و « المنطق الاقليمي » ... هكذا كان ·

فالكيانات الاقليمية في الوطن العربي هي الجغرافية السياسية للامبريالية في هذه المنطقة ، هي الحدود الامنة لمصالحها ومخططاتها ، فهي اذن تشكيل فوقي لبناء تحتي متصل بالمجتمعات الراسمالية في مرحلتها الامبريالية وليس بالتطور الاجتماعي

والاقتصادي العربي ، بل على العكس من ذلك تشكل هذه الكيانات الاقليمية الاطار الذي تتشكل فوقه وضمنه الكثير من الطبقات والفئات الطفيلية في بلادنا ٠

فالاقليمية ليست ظاهرة اقطاعية او بورجوازية او بورجوازية صغيرة في بلادنا بقدر ما يبدو ان سيطرة هذه الفئات هي ظواهر مرتبطة بديمومة الكيانات الاقليمية كتعبير عن الوجود الامبريالي في هذه المنطقة من العالم ٠ ولهذا السبب لا تجـد بورجوازياتنا العربية ، تناضل كمثيلاتها في اوروبا ، من أجل الوحدة بـل علـى العكس من ذلك نجدها تعمل كل ما في وسعها لترسيخ الاقليمية وللتآمر على التجربة الوحدوية حين تقوم كما حصل عام ١٩٦١ في انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحـدة ٠

الاقليمية ٠٠ والظاهرة الامبريالية

ومن هنا يمكننا بدون صعوبة ان نصل الى المدخل الحقيقي لازمة الاقليمية فـي الوطـن العربـي ٠٠٠

فالاقليمية ظاهرة امبريالية مدعومة بالطبع بالحركة الصهيونية ٠٠٠ وهي بهذا المعنى ظاهرة مرتبطة باستمرار استغلال الامة العربية ونهب خيراتها وثرواتهـا ، ومرتبطة باستغلال قلة محدودة من ابناء هذه المنطقة للاكثرية الشعبية العربيـة الواسعـة ٠

ان كافة الظواهر التي تقوم على الاستغلال ، تحمل بالضرورة في طياتها تناقضا مميتا، بل تحمل بذور انهيارها معها ، وهي من حيث تستمد مصدر قوتها وحياتهـا تستمد ايضا مصدر ضعفهـا وزوالها ٠٠٠

فهل تنطبق هذه القاعدة على الاقليمية في وطننا العربي ؟!

مثالان من التاريخ الحديث

اولا : ان الاقرار بالترابط بين الظاهرة الاستعمارية او الامبريالية وبيـن الظاهرة الاقليمية تعود الى ان تفاقم ازمة الاستعمار سابقا ثم تفاقـم ازمـة الامبريالية حاليا يؤديان بالضرورة الى تفاقم ازمة الاقليمية في وطننا العربي ٠٠٠ وبالتالي انه كلما تنحسر مرحلة من النفوذ الاستعماري تبرز مرحلة مـن المـد الوحـدوي ٠٠٠

ومن التاريخ العربي الحديث نستخرج مثالين بارزين :

المثال الاول في النصف الاول من القرن التاسع عشر حين تمكنت قيادة محمـد علي وولده ابراهيم في مصر من الاستفادة من تفكك الامبراطورية العثمانية لتنجح في توحيد مصر وبلاد الشام في فترة وجيزة ، ومن تكوين قوة دقت ابواب الاناضول لولا ان تداعت القوى الاستعمارية الجديدة انذاك (القوى الاوروبية) للضغط على محمد علي واجباره على التراجع عن مشروعه الوحدوي والانكفاء داخل مصر ٠

المثال الثاني : في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين حين بدأ الاستعمـار

القديم بركنيه البريطاني والفرنسي يتهاوى تحت ضربات حركات التحرر في العالم لا سيما بعد معركة السويس ١٩٥٦ ، فكانت الفرصة التاريخية التي التقطها عبد الناصر والبعث فاقاما الوحدة المصرية ـ السورية قبل عشرين عاما ، لتسارع الامبريالية الجديدة (الاميركية) بعد ان استكملت نفوذها ، واستولت على التركة الاستعمارية بكاملها ، الى الاجهاز على دولة الوحدة ·

الوحدة وقوى الاشتراكية في العالم

اذن قوة التجزئة والاقليمية تكمن في الحماية الامبريالية والصهيونية لها ، وانتصار الوحدة العربية رهن بالهزائم التي تمنى بها الامبريالية والصهيونية سواء في بلادنا او في بلاد العالم باسره ···

ان هذه الحقيقة هي التي تضع حركة الوحدة العربية في صلب حركات التحرر الوطني في العالم ، وفي قلب معسكر الاشتراكية والتقدم ، ذلك ان ما من وحدوي عربي حقيقي يستطيع ان يرى هزيمة الامبريالية النهائية وبالتالي افاق انتصار الوحدة العربية بدون ذلك الجهد الاممي الواسع الذي يضم شعوبا وحركات تحرر ودولا اشتراكية في نضالها ضد الامبريالية على كافة المستويات ··· كما انه بالمقابل لا يوجد اشتراكي حقيقي في بلادنا او في العالم لا يرى الدور التقدمي الحاسم لحركة الوحدة العربية في نضالها وتصفية الامبريالية في اخر واقوى معاقلها حيث الخيرات العربية تشكل آخر شرايين القدرة والقوة للنظام الرأسمالي العالمي ·

الامبريالية في عصر انهيارها

ولما كانت الامبريالية في عصر انهيارها في الوقت الحاضر سواء بسبب تفاقم ازمة النظام الرأسمالي في المركز الامبريالي الاول : الولايات المتحدة ، او بسبب اشتداد التناقضات الاقتصادية والاجتماعية بين اطراف المعسكر الامبريالي الثلاثة : الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان ، او بسبب الاهتزاز المتواصل للنظام النقدي العالمي وتزايد دعوات التخلي عن حرية التجارة بين البلدان الرأسمالية او بسبب نمو واتساع القاعدة المادية للبلدان الاشتراكية اقتصاديا وعسكريا اوبسببتنامي قوى الاشتراكية والتحرر سواء في بلدان أوروبا الغربية (أيطاليا ، فرنسا ، اسبانيا) او في العالم الثالث ، لذلك كان لا بد ان ينعكس هذا التراجع في تفاقم أزمة الاقليميات العربية وفي تزايد العجز الامبريالي عن نصرتها وحل مشاكلها المختلفة ···

الا انه من الضروري الاستدراك هنا لكي نؤكد ان ضعف الامبريالية البنيوي وتراجعها في مناطق اخرى من العالم لا يعني بشكل آلي ضعفها وتراجعها في بلادنا ، بل ان هذه الامبريالية ستخوض على ارضنا العربية اشرس واعنفمعاركها على الاطلاق لاتصال هذه المنطقة بشرايين الحياة بالنسبة اليها ، وستستخدم آخر ما ابتكرته من أساليب التآمر من أجل منع نهضة الامة العربية ووحدتها · الا ان كون معركة الامبريالية مع امتنا من أشرس واعنف معاركها لا ينفي انها آخر معاركها أيضا ·

تناقضات ضرورية

ذلك ان الامبريالية وهي تجابه حركة النضال العربي تجد نفسها أسيرة تناقض متعدد الوجوه يدفع بازمتها الى المزيد من التفاقم ، ويزلزل بالتالي دعائم الواقع الاقليمي الى ابعد حد ..

فالامبريالية تريد من جهة تجزئة الوطن العربي وتعميق الانقسامات فيه الى درجة التفتيت ، ولكنها تريد من جهة أخرى ان تقيم تحالفا بين الانظمة بوجه حركة الجماهير بحيث تحمي هذه الانظمة بعضها بعضا الامر الذي يخلق درجة من التضامن تتناقض مع جو التفتيت الذي تريد خلقه ..

والامبريالية تريد من جهة ان تنهب الخيرات والثروات العربية برمتها اذا أمكنها ذلك ، لكنها تدرك انه لا بد من ان تترك فتات هذه الثروات بيد الطبقات الحاكمة كي تتمكن من البقاء في سدة الحكم « أن هذا الفتات من الثروة نفسه يصبح الى حد ما عامل تكامل اقتصادي حين يحتاج الى يد عاملة وخبرة ومواد اولية قد لا تكون متوفرة في الاقليم « صاحب » الثروة فيضطر الى استيرادها من الاقطار الاخرى ، كما قد تحتاج هذه الثروة الى شيء من الحركة باتجاه عواصم عربية اخرى بحثا عن فرص استثمار او دعما لاوضاع سياسية معينة مما يحكم من الروابط بين الاقطار في حين ان مخطط الامبريالية يقوم على تعميق التجزئة وتخليدها ...

ومن جهة ثالثة فان الامبريالية بالقدر الذي تريد فيه سيطرة كاملة على الموارد النفطية وغير النفطية للامة العربية ، تريد ايضا ان تحول السوق العربية الى مستورد ضخم للسلاح الاميركي باعتبار ان الدور الاقتصادي لصناعة الاسلحة والصناعات المرتبطة بها في الولايات المتحدة يتزايد باستمرار ، وان هذه الصناعة قد أصبحت منذ زمن طويل ، احد المصادر الاساسية للاستثمار والنمو في الاقتصاد الاميركي ، ان تحويل الامة العربية الى سوق للسلاح الاميركي يتطلب بالضرورة زيادة الاحساس بالخطر الخارجي لدى بعض الاقاليم والاقطار سواء كان هذا الخطر صهيونيا او ايرانيا او غير ذلك .. وهذا الاحساس بالخطر يؤجج بالتالي المشاعر القومية ، ويعمق بالتالي الحاجة الى المزيد من التضامن والوحدة ...

التناقض التاريخي للحركة الصهيونية

كذلك فان الاستراتيجية الامبريالية في المنطقة تقوم على ركيزتين هامتين هما « الاستقرار النسبي » للاوضاع الراهنة والمصالح الامبريالية في المنطقة ، و « البقاء الدائم الثابت » للكيان الاسرائيلي كمخفر حراسة رئيسي لهذه المصالح ... واذا كانت السياسة الامبريالية تنجح في أوقات عديدة في التوفيق بين هذين الاعتبارين الا أن الطبيعة العدوانية والتوسعية والاستيطانية للحركة الصهيونية تشكل مصدر احراج وارباك دائم للاوضاع العربية ، فتجعل الانظمة العربية ، مهما بالغت في تنازلاتها امام واشنطن وتل ابيب ، عاجزة عن الحصول على اي تنازل معقول من الكيان الاسرائيلي ، كما تصبح بالمقابل عاجزة عن اللجوء الى الحرب كوسيلة للضغط باتجاه انتزاع بعض المكاسب ...

وهكذا تصبح الطبيعة العدوانية والاستيطانية والتوسعية للحركة الصهيونية ، رغم اعتمادها الاساسي على التجزئة والتفتيت في المنطقة ، عامل اضعاف واحـــراج مستمر للقوى والمصالح الاقليمية العاجزة عن التقدم باتجاه الحرب او السلم على حد سواء ··· لا بل وبعد أن كانت هذه الحركة تستهدف اقليما واحدا في الامة (فلسطين) انتقلت لتحتل اراض لاقاليم أخرى (سيناء والجولان) ولتهـــدد باحتلال اراض جديدة لاقاليم جديدة (جنوبي لبنان) ·

وهكذا تتضح عملية التناقض التاريخية التي تقوم عليهـا مسألة الاغتصـــاب الصهيوني لفلسطين التي اريد لها ان تكون حاجزا موضوعيا في وجه الوحـــدة العربية ، لتصبح بما تطرحه من اخطار وبما تمارسه من عدوان عامل توحيـــد موضوعي في الامة العربية ···

فبالقدر الذي تتطور فيه الظاهرة الصهيونية باتجاه استكمال حقيقتها وشخصيتها تتفاقم فيه الازمة الاقليمية الى درجة كبيرة ·

وهنا بالتحديد يكمن الدور الموضوعي لثورة فلسطين في حركة الوحدة العربية ، بحيث يصبح النضال الوحدوي الحقيقي في مراحل كثيرة من النضال العربي هـو النضال الذي تكون فلسطين وجهته ، والكفاح الشعبي المسلح اسلوبه · فلا يكون ثوريا فلسطينيا من لا يكون وحدويا عربيا ، ولا يكون وحدويا حقيقيا من لم يعتبـر ثورة فلسطين هي المقياس والمعيـار ·

الاساليب الجديدة للامبريالية

واذا ضفنا الى هذه التناقضات التي تحكم السلوك الامبريالي تجاه منطقتنـــا العربية ، التعديلات الهامة في اساليب ادارة الصراع للابقـــاء على السيطـرة الامبريالية في العالم لاكتشفنا كيف ان تفاقم الازمة الامبريالية ينعكس بشكل واضح على تفاقم ازمات الاقليمية في بلادنا ··

فعلى اثر الهزيمة الاميركية الساحقة في فيتنام ، وعلى اثر التزايد المستمر فـي العجز في ميزان المدفوعات الاميركي (بلغ عام ١٩٧٧ ٣٢ بليون دولار) تطورت أساليب التدخل الامبريالي العسكري والسياسي والاقتصادي باتجاهين اصبحـــا معروفين جـــدا :

اولا : الفتنمة اي استخدام الادوات المحلية في الصراع بحيث لا يضطر المركز الامبريالي الى التورط مباشرة بجنوده واساطيله في المعارك ضد حركة الشعوب ·

ثانيا : تحويل عبء المساعدات الخارجية الاميركية تدريجيا الى دول غنيـــة تدور في الفلك الاميركي وتقدم هذه المساعدات نيابة عن الادارة الاميركية ولكن في خدمتهـــا ·

ولقد شهدت الساحة العربية في السنوات الاخيرة اوضح النماذج عن استخدام الاسلوبين معا ، فازداد من جهة تدخل الدول العربية اليومي والفعلي والسافر فـي شؤون بعضها البعض ، فاخترقت السيادات الاقليمية ، وتحركت الجيوش مـــن قطر الى آخر في المشرق والمغرب على حد سواء ، في اسيا العربية وافريقيا العربية

معا .. على نحو اظهر اكثر من اي وقت مضى ترابط مصير الاقاليم والاقطار بعضها ببعض ، واستطاعت حركات التحرر والتقدم داخل كل قطر ان تدرك بوضوح ساطع ، وبتجربة ثمينة ومكلفة في الوقت ذاتها ، ترابط مصيرها وضرورة اندماج نضالها اكثر من اي وقت مضى ...

كذلك ادى تزايد نمو المساعدات العربية من قطر الى آخر الى اتساع القاعدة الاقتصادية المشتركة بين الاقطار والى ارساء اسس موضوعية للعلاقة بينها بحيث بات من الصعب ان يستغني قطر عن قطر آخر ...

بل واكثر من هذا نشأت في هذه السنوات واحدة من انشط واوسع حركات الانتقال للاشخاص والرساميل والمشاريع الاقتصادية بين الاقطار العربية فرضتها الحاجة الموضوعية داخل كل قطر .

ورغم ان حجم هذه الرساميل والمشاريع المتنقلة من قطر الى آخر لا يشكل سوى نسبة ضئيلة من حجم الرساميل التي تخرج من الوطن العربي ، الا ان هذا الحجم يبقى كافيا لتشكيل قاعدة اقتصادية متنامية لتطور العلاقة بين الاقطار العربية ...

ان هذه الحركة المتنامية التي تنفذ من ثغرات العجز المتزايد في البنى الامبريالية واحكام سيطرتها على المنطقة ، والعجز المتزايد في قدرة البنى الاقليمية على التجاوب مع التحديات المعيشية واليومية والوطنية المطروحة ، هي اليوم بدون شك احد ابرز الموضوعات التي تتم دراستها من قبل العقل الامبريالي والصهيوني من اجل الاجهاز عليها ومنع نموها ...

ولعل تجربة حرب تشرين ، بغض النظر عن النوايا التي سبقتها والنتائج التي وصلت اليها ، هي اعظم مثال على القوة الوحدوية الكامنة في الامة العربية ... ففي لحظات بسيطة من التاريخ العربي التقت مجموعة عوامل ايجابية وسلبية لتشكل قرار الحرب فاذا بهذا القرار يطلق في الامة سلسلة من التفاعلات لم يكن احد يتوقعها سواء على صعيد تحرك الجيوش بين عاصمة واخرى ، او على صعيد حرب النفط ، او على الاصعدة الاخرى ..

وبهذا المعنى كانت حرب تشرين انذارا خطيرا للدوائر الامبريالية والصهيونية اكثر مما كانت انتصارا عليها ، انذارا بان الوحدة العربية قوة كبرى وأن لم تظهر على السطح ، وان سنوات طويلة من الممارسات الانفصالية والاقليمية المصحوبة بكل اشكال القمع والقهر لم تكن كافية لالغاء هذه القوة من الحسابات ...

وتكاد تتلخص الخطة الامبريالية ـ الصهيونية المضادة لحركة الوحدة العربية بنقطة واحدة اساسية : اعادة النظر في الخارطة الراهنة للوطن العربي باتجاهين رئيسيين : ١ ـ المزيد من التفتيت والتجزئة للكيانات القائمة وسط حروب تعمق كل انواع العصبيات الاقليمية ، والطائفية ، والقبلية الخ . ٢ ـ المزيد من تشجيع القوى صاحبة الاطماع في الارض العربية لمتابعة مشاريعها التوسعية والاغتصابية.

وبغض النظر عن قدرة المخططات الامبريالية والصهيونية على النجاح في تحقيق اهدافها ، فان هذه المخططات بحد ذاتها تعبير صارخ عن الشعور بعجز الاقليميات الراهنة عن تأدية المهام الموكولة اليها ، وانه لا بد من تجزئة جديدة ، واغتصاب جديد ، يواصل تحقيق هذه المهام ...

ولقد كان لبنان المجال النموذجي لبروز هذه الاتجاهات على أوسع شكل ...
فلقد ترنحت الفكرة الكيانية اللبنانية طيلة حرب السنتين تحت ضربات اتجاهين متناقضيـن :

الاتجاه الاول الذي عبرت عنه اكثرية الجماهير اللبنانية وقواها الوطنيـة والتقدمية ، وهو اتجاه عربي ذو نزوع وحدوي عبر عن نفسه في التلاحم المصيري مع الثورة الفلسطينية باعتبارها طليعة حركة التحرر العربية من جهة ، ونظـرا لكونها قوة صدامية في وجه اطماع اسرائيل ونواياها التوسعية في ارض لبنان .

الاتجاه الثاني الذي عبرت عنه الجماعات الطائفيـة الانعزالية التـي رفعت شعارات التعددية واللامركزية لتظهر ان تمسكها السابق بالكيان اللبناني لم يكن اكثر من ستار لاخفاء مصالحها الطبقية وامتيازاتها الطائفية .

وتجلت المفارقة بابرز اشكالها حين ظهر ان العروبيين والتقدميين والوطنيين ، وحتى الفلسطينيين ، هم الاكثر تمسكا بوحدة لبنان ، وان « القوميين اللبنانيين » هم دعاة الانكفاء الى كانتونهم الطائفي الذي لا يشكل اكثر مـن ٢٠٪ من ارض لبنان .. وهم المنظرون (للتعددية الحضارية) و (الثنائية) الخ ...

ومن هنا كان لا بد للخطة الامبريالية ـ الصهيونية ان تسير بالاتجاهين اللذين قررتهما لمجابهة الاوضاع العربية :

١ ـ تشجيع « التقسيميين » على المزيد من السلوك بشكل تقسيمي توتيري يهدد بنقل الصراع الى خارج لبنان .

٢ ـ التهديد المستمر بامكانية احتلال الجنوب اللبناني من قبل اسرائيل .
ان هذه « التجربة اللبنانية » بكل ابعادها مرشحة للانتقال بدرجة او باخرى ، بصورة مشابهة او بصورة مختلفة ، الى اقطار اخرى ، حيث اصبح واضحا ان الاطار الاقليمي او القطري اصبح عاجزا ومأزوما ومترنحا ...

غير ان هذه المخططات الامبريالية والصهيونية بحرصها على تفجير كل المصالح والنزعات الطبقية الطائفية والعنصرية والقبلية في وجه حركة الوحدة العربية انما تثير لدى الاكثرية العربية الواسعة المنسجمة اجتماعيا وقوميا ونفسيا شعـورا بالخطر المصيري يهدد وجودها في كل قطر ، وفي كل موقع ، مما يدفعها تلقائيـا الى تنظيم جهودها باتجاه الحل الوحدوي .

ذلك ان الحل الوحدوي الاشتراكي الديمقراطي لم يعد حلا لمشكلة الامة العربيـة ككل فحسب ، بل اصبح حلا لكل قطر من اقطارها ، هو الذي يحفظ وحدته ، ويصون ترابه ، ويبدد كل المخاطر التي تحيط به ...

واذا كان الحل الوحدوي التقدمي المطروح لمشاكل الامة العربية منذ اكثر مـن ثلاثين سنة كان يجد تجاوبا في عقل المثقف وضمير المواطن ، فانه قد اصبـح اليوم مرتبطا بحياته اليومية ، بامنه ، باستقراره ، بحريته ، بلقمة عيشه ...

وحين ترتبط الوحدة العربية بالحاجة اليومية تصبح قوة من الصعب قهرهـا او التحايل عليها ، فهي التي ستفرض نضالها وادواتها وبرامجها ، وهي التي ستبني حركتها الثورية ..

صحيح ان تفاقم ازمة الاقليمية لا يعني ابدا ان الوحدة منتصرة ، ولكن صحيح ايضا ان عدم انتصار الوحدة اليوم لا يعني ان التجزئة خالدة ٠

وفي النهاية لا بد من التأكيد بكل صدق بان هذه المقال ليس دراسة سياسيـــــة او فكرية او اقتصادية للمسالة الوحدوية العربية ، بل هو مجموعة افكار مطروحة للمناقشة باتجاه فهم للوحدة لا يبقيها مجرد هدف او امنية او غاية عزيزة على قلب كل عربي ، بل يحاول ان يفهمها كحركة تاريخية منسجمة مع قوانيـــن التطـــور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لهذه المنطقة في العالم ، وان التجزئة والاقليمية ظواهر قديمة صائرة حكما الى انهيار ٠

ان حركة الوحدة العربية حاجة موضوعية تمر بأزمة ذاتية لا بد أن يفرض التطور التاريخي تجاوزها ، اما الواقع الاقليمي فازمته موضوعية لا يغير من حقيقتهـــا شيئا مظاهر التفشي الاقليمي الطافية على السطح العربي ٠٠٠

فكثير من الامراض الكامنة حين تتفشى في جسم الانسان تكون في مراحلهـــا النهائيــــة ٠

سَعيد حمامي

غاب سعيد حمامي · غابت ابتسامة من حياتنا في الامطار الغزيرة · وفي كل مرة نقول : تعبنا من الرثاء · ومن يعرف سعيد حمامي لا يستطيع السيطرة على غيابه · ومن لا يعرفه لا يستطيع الاقتراب منه دون استنفار الحواس · لقد وحد اصدقاءه واعداءه في استحضار النار · لا يمر عنه احد بلا حماسة · وقد رأيناه في حالاته الكثيرة التي يخفي فيها ، او يظهر ، شراسة الفلسطيني الذي يأمره العمل الدبلوماسي باستخدام القفاز الناعم ·

كان يعرف انه يسير في الطريق الوعر وفي المهمة الشاقة ، مهمـة تغيير الوجـدان البريطاني المثقل بتراث الامبراطورية الغاربة ، من تقاليد العداء التاريخي لنضال الشعب الفلسطيني الى الاقتراب البارد من وعي الحق الفلسطيني ، ولكنه لم يعرف تماما انه يسير مع الشهداء · وقد نجح سعيد حمامي في ترجمة التطور الذي حقق المناضل الفلسطيني على اراضي الصراع الى تغير نوعي في الوعي البريطاني العام ، بتوظيفه خبرتـه الدبلوماسية في ادراج العامل الفلسطيني في جدول اعمال الذاهبين الى الاهتمام بالشرق الاوسط من زاوية الحرص على السلام العالمي ·

ولعل هذه اللغة ، لغة التخاطب مع الشعوب البعيدة عـن ارض الصراع بقاموس مصالحها ، والسلام ابجديتها ، هي التي كانت تريب نقاد سعيد حمامي الكثيرين · ولعل اتقان سعيدٌ حمامي لغة التخاطب مع الرأي العام العالمي من زاوية تأمين شروط السلام ، وفي مقدمتها الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني ، هو الذي اوصله الى طريق الشهادة ·

كان سعيد باحثا عنيدا عن صياغة علاقات بين الاجتهادات الفلسطينية تتميز عـن علاقات البطش والوأد وسهولة الاتهام والادانة · وعند وداع سعيد حمامي يجب ان نعي اكثر من اي وقت مضى ان في وسع التجربة الفلسطينية ان تخلق مناخا متميزا من تعايش الافكار وصراع الاجتهادات التي يحكمها اطار الالتزام بأهداف نضالنا · وان الخروج عن قاعدة الديموقراطية التي تميز نشـاط السـاحة الفلسطينية يشكل اعتداء على الشعب والثورة ·

غاب سعيد حمامي الذي كان يمقت الرثاء · ما زالت طريق البندقية والفكرة مليئة بالشهداء ودائرة الحوار بينٍ يافا وابنها الجميل ما زالت ترسم بالدم ·

« شؤون فلسطينية»

شهادات

محاكمة الاستيطان

استمعت لجنة خاصة في مجلس الشيوخ الاميركي – الى شهادتين اسرائيليتين على الاستيطان الاسرائيلي في الضفة الغربية المحتلة، فيالسابع عشر من اكتوبر الماضي، قدم اولاهما الدكتور يسرائيل شاحاك استاذ الكيمياء في الجامعة العبرية الذي يرفض « شرعية» هذا الاستيطان، وثانيهما يهودا بلوم استاذ القانون الدولي فيالجامعة العبرية، الذي يدافع عن الاستيطان، ويقول ان « حق » اسرائيل يشمل الضفة الشرقية لنهر الاردن ايضا! وقد ادار المناقشة الشيخ ابو رزق · وفيما يلي نص الشهادتين :

يسرائيل شاحاك :

السيد شاحاك : احب ان اركز لا على الاسئلة القانونية بل على اسئلة العدالة واسئلة الحالة اليومية لاراض محتلة معينة · وفي اسئلة العدالة هذه، يمكن لاي مواطن ولاي كائن بشري منصف ان يفهم العدالة الاساسية · وساتحدث عن الوضع الذي احدثته المستوطنات في شعب الاراضي المحتلة ·

قبل كل شيء احب ان اشير الى ان خلق المستوطنات في الاراضي، التي لا يستطيع سكانها من ثم الاستقرار فيها، يخرق، في رأيي، الحق في العدالة المتكافئة، الحق الذي يقول ان الناس يجب ان يعاملوا في ظل قانون متكافىء · وانني اعارض، داخل دولة اسرائيل وفي كل مكان ومنبر في العالم، تصريح رئيس وزرائي، السيد بيغن، القائل بان لليهود الحق في الاستقرار، في ارض اسرائيل لان الحقوق يجب ان تعطى بصرف النظر عن الدين والعرق والقومية ·

وكما قلت في بلدي، اقول هنا انه اذا كان من حق اليهود في تل ابيب ان يستوطنوا الضفة الغربية، فانهم لا يملكون ذلك الحق الا بشرط اعطاء حق متبادل ومتساو لجميع الاخرين، ولنقل ابناء الضفة الغربية، في استيطان تل ابيب ·

ان اية حالة اخرى تخالف شروط الحرية كما هي معروفة في الدول الحديثة وتخرق المبادىء عينها التي اكدتها الثورة الاميركية والثورة الفرنسية والقوانين الاساسية للديموقراطية الحديثة · وهي تعيدنا الى المبادىء التي استخدمها اللاساميون ضد اليهود · واقول هذا خصوصا لانني يهودي · فان استيطان الاراضي بموجب هذا القانون غير العادل وغير المتكافىء يذكرني كثيرا بحالة اليهود الذين قاسوا الامرين في البلدان الاوروبية والاخرى حتى نهاية القرن الثامن عشر واحيانا بعد ذلك، عندما لم يكن مسموحا لهم بالاستقرار حيثما يرغبون، بل ابقوا في مناطق معينة او في غيتوات ·

ان السماح ليهود اسرائيل بالاستقرار في الاراضي المحتلة وعدم السماح لابناء هذه الاراضي بالاستقرار في اسرائيل بموجب قانون متبادل ومتكافىء، يشبه اضطهاد

اليهود في نظري ٠

والى ذلك ، اقول انه ما كان ينبغي ان نستخدم عبارة « مستوطنات اسرائيلية » على الضفة الغربية كما فعلنا هنا على هذه الخريطة (مشيرا اليها) ، اذ ان الجميع في اسرائيل يعلمون ان اليهود وحدهم (وليس الاسرائيليين) يسمح لهم بالاستقرار في تلك المستوطنات ٠

فالحقيقة الراهنة هي ان لا ابناء الاراضي المحتلة ولا المواطنين الاسرائيليين من غير اليهود يسمح لهم بالاستقرار في المستعمرات على الضفة الغربية او في غزة او في اراضي الجولان وسيناء ٠

ويشكل هذا اوقح واوضح نوع من انواع العنصرية ، تجاه كل من ابناء الاراضي المحتلة الذين لا يسمح لهم بالاقامة والعيش في مستوطنات تقيمها الدولة ومؤسسة في اراضيهم وايضا نحو المواطنين الاسرائيليين الذين ليسوا هم من اليهود ٠

وبالاضافة الى ذلك يشكل هذا ايضا فعلا عنصريا ضد المواطنين الاميركيين ، وفي الواقع ، ضد مواطني العالم كله ٠ فأمامنا حالة يدعى فيها الاميركيون الى الاستيطان في الضفة الغربية او قطاع غزة ، او اراضي سيناء ، او في الجولان وغيرها من الاماكن ولكن فقط بشرط ان يكونوا يهودا ٠ ويعني هذا قانونيا وعمليا ان على المواطن الاميركي ، لكي يفيد من هذه الحوافز المادية العالية جدا المعروضة على مستوطني تلك الاراضي ، اما ان يعتنق الديانة اليهودية ، وأحد شروطها انكار دين أجداده ٠ او ان يثبت انه مولود من ام او جدة يهودية او من جدة جدة جدتها يهودية ٠

واقول هذا لا كبشري فحسب بل كيهودي : وهو انني كنت ساحتج لو ان الحكومة الاميركية اقامت مثل هذه المستوطنات سواء في الاسكا او بورتوريكو واذا كان مطلوبا من اليهود لكي يقيموا في هذه المستوطنات الاميركية ان ينكروا دينهم ويقبلوا ، على سبيل المثال ، الوهية يسوع المسيح ٠ فان هذا في رأيي سيشكل اوضح حالة من حالات اللاسامية ٠ وطبقا للمنطق نفسه ، فان المستوطنات المفتوحة فقط لمثل هؤلاء المواطنين الاميركيين ، الذين هم يهود او اعتنقوا الديانة اليهودية وانكروا دين اجدادهم ، تشكل كذلك حالة عنصرية ٠

وأخيرا اريد ان اشير إلى هذا الامر : وهو ان تلك المستوطنات تخدم كمراكز لتشغيل الاطفال واستغلالهم على اقبح واوضح نحو مستخدمة اجورا غير عادلة وغير متكافئة ٠ واريد بنوع خاص ان الفت انتباه هذه اللجنة الى الحالة المريعة للايدي العاملة الرخيصة في المنطقة المسماة مداخل رفح في الزاوية الشمالية الغربية من سيناء في الاراضي المصرية ، حيث يمكنني ان اشهد مما رأيته بأم عيني واكده لي الكثير من الاسرائيليين ، كالدكتور آمنون كابليوك مثلا الذي نشر شهاداته في الصحف الفرنسية والعبرية ٠ اذ يصار الى استخدام اطفال في السابعة او الثامنة من اعمارهم في قطف البندورة وغيرها من الخضار ٠ وتستخدم عائلات بكاملها في اوضاع عمل الرق ٠ وحتى بالنسبة للذين لا يستخدمون في اوضاع عمل الرق ، فانه يعرض على العامل العربي رسميا خمس ليرات اسرائيلية في الساعة بينما الاجور للعامل اليهودي تبلغ ١٢٫٥ ليرة اسرائيلية في الساعة ٠

ومع ان الاوضاع في هذه المنطقة اسوأ من غيرها فاني اود ان اشير الى ان الاوضاع

نفسها سائدة في اماكن اخرى · وأريد ان اشير الى مكان اخر حيث وجدت بمراقبتي الخاصة ومن معلومات اعطاها السيد مايفسكي ، المشرف على كريات ـ عربا ، في السادس عشر من ايلول (سبتمبر) في هاأرتس ، ان القرية بنيت خصيصا لاستغلال الايدي العاملة العربية الرخيصة وهي تقدم لهم من خمس ليرات الى خمس ليرات ونصف اسرائيلية بالساعة · اما الاجور العادية فهي اعلى بكثير ·

وباختصار ، فاني اعتقد ان جميع الشعوب في جميع بلدان العالم يجب ان تدعو الى الالغاء الفوري والتام لجميع المستوطنات في الاراضي المحتلة بوصفها مصادر ظلم وعنصرية او استغلال واضطهاد ·

شكرا جزيلا لكم ·

الشيخ ابو رزق : سنثبت تصريحك المكتوب في السجل عند هذه النقطة · شكرا جزيلا لك ·

انني ادرك ادراكا تاما انك لا تحب ان تستغل خلفيتك كوسيلة لتثبيت نفسك كناطق لوجهة نظرك ولكني اعتقد انه من الضروري ان نضع خلفيتك في السجل ·

فهل لك ان تخبر اللجنة شيئا عن خلفيتك ؟

السيد شاحاك : ولدت في وارسو ، بولونيا ، عام ١٩٣٣ · امضيت الحرب العالمية الثانية تحت احتلال هتلر · ووصلت الى فلسطين في عام ١٩٤٥ وانا منذ ذلك الحين مقيم دائم اولا في فلسطين ثم مواطن في دولة اسرائيل · وقد عشت دائما هناك تقريبا كجزء من فترتين لاحقتين لشهادة الدكتوراة او للقيام بالابحاث العلمية ·

الشيخ ابو رزق : لقد علمت انك جئت الى الولايات المتحدة قبل الان · وفي الواقع التقيت بك لثلاثة او اربعة اعوام خلت · لا استطيع ان اتذكر التاريخ الدقيق وربما استطعت انت ذلك · واعتقد اني ذكرت في ذلك الحين ان الطريقة التي تكلمت بها انت ضد التوسع المستمر لاسرائيل لا بد وان تكون سببت لك مصاعب كبيرة في اسرائيل · فقلت لي في ذلك الحين ان المصاعب التي سببتها لك هناك هي اقل بكثير مما سببته لك هنا في الولايات المتحدة · واني اتساءل ما اذا كان هذا ما يزال صحيحا ·

السيد شاحاك : حتى اكثر من صحيح · ويسرني ان اقول انه للعامين ونصف العام السابقين او اكثر لم اواجه اية صعوبة على الاطلاق في دولة اسرائيل · والصعوبات من الولايات المتحدة تستمر ولكني ساتحملها ·

الشيخ ابو رزق : ما الذي يحدث بالضبط عندما تاتي الى الولايات المتحدة لتعرب عن رأيك هنا ؟

السيد شاحاك : الامر في غاية البساطة · اذا كانت ترعاني جماعة كنسية ، فان جميع المنظمات اليهودية في المدينة عادة تمارس الضغط على هذه الجماعة الكنسية لتلغي رعايتها لي حتى في اخر لحظة ·

وكذلك فان مناشير مجهولة الهوية توزع ضدي · وهي مليئة بالاكاذيب · كما انها لا تحمل تواريخ ولا عناوين · واني على استعداد لتقديم هذه المناشير الى اللجنة الفرعية كدليل اذا رغبت اللجنة في ذلك ·

تلك الامثلة يجب ان تكفي · فهي سياسية وعامة · ولن اتحدث عن الافراد الاميركيين وهلم جرا · اذ لهم الحقوق في ان يعربوا عن آرائهم حتى ولو كانت اراء بذيئة ومؤذية ·

الشيخ ابو رزق : هل تجد نفسك عرضة للمضايقة والازعاج عندما تتحدث في انحاء الولايات المتحدة حول هذه القضية ؟

السيد شاحاك : اجل إلى حد كبير جدا ·

الشيخ ابو رزق : اي نوع من الازعاج والمضايقة وممن ؟

السيد شاحاك : لا ادري ممن · فانا لا استخدم جهازا من الجواسيس الذين يمكنهم ان يجدوا لي من هم هؤلاء الاشخاص · ولكني اكتفي بقولي هذا : ان الاشخاص الذين تعرفت عليهم يأتون من المنظمات الخاصة ، والمنظمة الرئيسية الموظفة في ازعاجي هي « بني بريت » وما يسمى بالعصبة المضادة للافتراء ·

الشيخ ابو رزق : بني بريت والعصبة المضادة للافتراء ؟

السيد شاحاك : نعم ·

الشيخ ابو رزق : هل تعرف اية جماعة اخرى او افرادا اخرين يشتركون في ازعاجك فيما تتجول حول البلاد وتتكلم ؟

السيد شاحاك : كلا ·

الشيخ ابو رزق : اريد ان الفت انتباهكم الى هذه الخريطة (يظهر الخريطة) ·

لقد حصلنا على هذه الخريطة من وزارة الخارجية الاميركية · وكما فهمت فان تلك هي المستوطنات القائمة التي اسست في الضفة الغربية حتى هذا التاريخ ، واني اتساءل اذا كنت قد قمت شخصيا بزيارة اي من تلك المستعمرات ·

السيد شاحاك : يمكنني القول بثبات ان تلك هي المستوطنات التي انشئت حتى حوالي الاول من اب (اغسطس) · ومنذ ذلك الحين انشئت مستعمرات اخرى · واعتقد انني زرت كل مستوطنة تظهر هنا باستثناء ناحال ريحان ، وقد زرت معظمها اكثر من مرة ·

الشيخ ابو رزق : هل لك ان تصف التاليف السياسي للمستوطنات وكيف تفهم انشاءها، وهل لك ان تصف لنا ماذا يحدث لدى انشاء احدى المستوطنات ـ كاوصافها المادية والسياسية مثلا ·

السيد شاحاك : عادة يصار اولا الى انشاء مستعمرة كمستوطنة عسكرية ومن ثم يمكنك ان تتفحصها من الخارج ولا تستطيع دخولها ·

وعندما تصبح مستوطنة مدنية يمكنك دخولها بمنتهى السهولة والحرية · وبعض المستوطنات زراعية ، وخصوصا تلك التي تجاور نهر الاردن · وتستخدم بعض المستعمرات الاخرى احيانا بعض الصناعة · ولا بد من القول ان معظم الصناعة التي تفحصتها هناك هي جزء من بلدة معال ادوميم ، التي تدعى ايضا ميشور ادوميم قرب القدس · وعلى سبيل المثال اذكر انه في كيبوتز يدعى نعران يبدو ان الصناعة هي النجارة ، النجارة الالية ، ولكنها لا تصنع منتجات مكتملة الصنع · بل هي فرع من

كيبوتز غني اخر ، يدعى غيفعات برينر في اسرائيل ، يرسل الى هناك بالخشب ليصار الى تقطيعه الى زنود معدة للنشر · ثم يعاد الخشب الى ساحل البحر الابيض المتوسط · وهذا يبدو لي اجراء اقتصاديا مبذرا جدا ·

وفي مكان اخر ، وهو كيبوتز يدعى ميهوتا ، فان الصناعة كما وصفت لي وكما شاهدتها هي صنع اقفال · وبما انها تقع في اعلى الجبال كان من الصعب جدا صنع طريق تؤدي الى هناك ورؤية ما يفعلونه هناك · واني أشك في تلك الاقفال ·

ولاعطي احد اسخف الامثال : ان احدى الصناعات الرئيسية لمستعمرة اوفرا هي صنع قمصان « تي شيرت » كتب عليها بالانكليزية : « السامرة هي قلب ارض اسرائيل » ·

واني اقول بوجه عام انه فيما عدا معال ادوميم وفيما عدا العازر جنوبي القدس ـ فاني لم ار او اسمع اية صناعة جدية ·

لقد رأيت زراعة جدية في جميع مناطق وادي الاردن · واريد ان اذكر بنوع خاص مستوطنة باتسائيل الناجحة جدا زراعيا وجميع المستوطنات المجاورة لها ، مثل «ماسوا» وغيرها ·

الشيخ ابو رزق : هل هناك سياسة من اي نوع حول تعيين موقع المستعمرة ام ان الامر يقرره المستوطنون انفسهم ؟

السيد شاحاك : كلا ، الامر تقرره الحكومة ، لا اعتقد ان اية مستوطنة ، ما عدا « قدوم » اسسها المستوطنون انفسهم · وثمة دليل الان ايضا من مقابلة اجريت مع الجنرال شارون في ايلول (سبتمبر) بان ثمة تفاهما كاملا بين المستوطنين والحكومة ·

ان مواقع المستوطنات الراهنة الظاهرة على الخريطة هي التي انشئت حتى الاول من اب (اغسطس) · ويظهر في الخريطة خطان في شمال الضفة الغربية ، وبوسعكم ان تروا كذلك خطا هو استمرار لاحد الخطين المتجهين نحو الضفة الغربية للبحر الميت ·

الشيخ ابو رزق : لماذا تؤسس المستوطنات في خط ؟

السيد شاحاك : هذه هي خطة الون والان خطة شارون ، والقصد منها عزل ثلث ما يسمى السامرة بغية ترك الجزء الغربي لاي شيء يراد تركه له ·

ولكن طبقا لخريطة مجاورة لخطة شارون فان المستوطنات الجديدة التي لا تظهر على الخريطة باتت الان تقطع الضفة الغربية الى مربعات وتدخل المناطق التي تبدو على هذه الخريطة هنا بيضاء ، وتقسم سكان الضفة الغربية الى مناطق لا يجب ، وفقا لخطة شارون ، ان تضم اكثر من مئة الف نسمة في اية منطقة · انها عملية صنع الغيتوات التي تظهر في رايي النية لا للاحتلال الدائم فحسب بل لصنع الغيتوات الدائمة ، لابقاء السكان في خضوع دائم عن طريق حصرهم في مربعات تكون خطوطها فواصل المستوطنات · ولا يظهر هذا على الخريطة ·

الشيخ ابو رزق : المستوطنات المقترحة لا تظهر على هذه الخريطة ؟

السيد شاحاك : المستوطنات المخطط لها والمستوطنات المنشأة في الشهر الاخير لا تظهر على الخريطة · فهذه الخريطة هي طبقا للنيويورك تايمز والمصادر الاسرائيلية · وبحسب

احصائي انا انشئت خلال الشهر الماضي ١٤ مستوطنة على الاقل ، جميعها لا تظهر على هذه الخريطة ·

الشيخ ابو رزق : هل يمكنك ان تستعمل قلم رصاص وتشير اين تقوم تلك المستوطنات الاربع عشرة ؟

السيد شاحاك : كلا ، لانني لم استطع تفحصها انا شخصيا لكونها انشئت عندما لم اكن في اسرائيل ، وقد مضى على وجودي هنا شهر · وكما قلت لكم فانني تفحصت شخصيا جميع المستوطنات الظاهرة على هذه الخريطة فيما عدا واحدة · وبوسعي ان اشير الى خطوط المستوطنات لانني رأيت خريطة لها في الصحف العبرية ·

الشيخ ابو رزق : اجل ، سنكون شاكرين لك اذا انت فعلت ذلك · ان الذي رسم هذه الخريطة هي في الواقع وكالة المخابرات المركزية · ويبدو ان النيويورك تايمز اكثر اطلاعا من وكالة المخابرات المركزية ·

[ضحك] ·

السيد شاحاك : ان الذي اشير اليه هو التلفزيون الاسرائيلي · لقد رأيت هذه الخريطة ·

[ضحك] ·

يجب ان يكون هناك خطان للمستوطنات يمران هنا [مشيرا] من الشمال الى الجنوب ، وثلاث خطوط تتجه من الشرق الى الغرب [مشيرا] ·

الشيخ ابو رزق : اذن هم يصنعون شبكة متسامتة ؟

السيد شاحاك : بالضبط ، والذي سيكون بين الخطوط يدعى « مربعات » ، خطان يذهبان في اتجاه عمودي وخطان في اتجاه افقي · واضافة الى ذلك ، يقطعون توسيع القدس وبعض المستوطنات في الجزء الجنوبي هنا [مشيرا] ·

ساقدم الخريطة كدليل ·

الشيخ ابو رزق : هل تحمل الخريطة معك ؟

السيد شاحاك : اجل احملها معي ·

الشيخ ابو رزق : اود ان اضمها الى السجل ·

السيد شاحاك : احمل الخريطة معي · انها بالعبرية ولكني وضعت الترجمة الانكليزية للاسماء وساقدمها ·

الشيخ ابو رزق : في هذا الوقت ايضا سادون في السجل قائمة باسماء المستوطنات الموجودة الان ، وتاريخ تاسيسها ، وعدد السكان المقدر لكل من هذه المستوطنات ·

هذا في جميع الاراضي المحتلة وليس في الضفة الغربية فقط ·

اذن ، في رايك ان الحكومة هي التي تقرر موقع المستوطنة وتقرر في الواقع ما اذا كان يجب او لا يجب تاسيسها · هل هذا صحيح ؟

السيد شاحاك : اجل ، هذا اكيد · اعتقد انه يمكننا ان نعتبر هذه حقيقة ·

الشيخ ابو رزق : هل لديك راي حول سبب انشاء الحكومة الاسرائيلية مستوطنات في ما هو بوضوح ارض محتلة ؟

السيد شاحاك : اعتقد انه الان مع هذه الحكومة لا يمكن ان يكون هناك اي سبب للشك في النية · واحدى المقالات من صحيفة جيروسالم بوست ، التي استطيع ايضا ان اقدمها كدليل ، تحمل في الواقع العنوان « رؤيا لاسرائيل في نهاية القرن » · وهذه المقالة تصف المستوطنات ·

اعتقد ان نية هذه الحكومة ، فيما يتعلق بالضفة الغربية وغزة والجولان وجزء من سيناء ، هي ابقاء جميع هذه الاراضي كمستعمرة دائمة لدولة اسرائيل ـ لا كجزء من الدولة بل كمستعمرة ـ لان ابناء هذه الاراضي لن يعطوا حقوقا · واعتقد ان المستوطنات تقام بغية تحقيق حكم استعماري يمكن الاحتفاظ به بسهولة · فستبقي الشعب هناك في حالة خضوع دائم ·

ولهذا السبب جاء في المقالة التي قدمتها مع الخريطة ان احد اسباب انشاء مستوطنات جديدة في اماكن خاصة هي منع الاستمرارية العربية · فاذا كانت هناك كتلة من مئة الف عربي ـ كما جاء في احد المقالات ـ وقربها كتلة اخرى من عدد مساو من الناس ، فان خطا من المستوطنات سيقام بين الكتلتين لمنع استمرارية الشعب ·

اعتقد ان الكثير من الانظمة الاستعمارية تتصرف على هذا النحو ، الا انها عادة تبني القلاع بدلا من المستوطنات · ولا يمكن فهم المستوطنات الا الان وفي ظل هذه الحكومة ، اذا افترضت ان القصد هو المحافظة على الاراضي حولها الى ما لا نهاية ·

الشيخ ابو رزق : اذا انت تعتقد ان حكومة اسرائيل تريد الاحتفاظ بالضفة الغربية الى ما لا نهاية ؟

السيد شاحاك : وكذلك قطاع غزة والاجزاء المستوطنة من سيناء والجولان ·

الشيخ ابو رزق : هل رايك ان الحكومة الاسرائيلية لا تنوي التفاوض من اجل اعادة تلك الاراضي ؟

السيد شاحاك : انا متاكد بصورة مطلقة من ذلك حول الضفة الغربية وغزة · وهناك تصاريح عدة بهذا المعنى · وفيما يتعلق بالجولان فانا مستعد ان اقدم تصريحا للجنرال شارون متكلما باسم رئيس الوزراء بيغن في التاسع من ايلول · وهو تصريح قوي جدا · وبوسعي القول ايضا ، استنادا الى أدلة عامة ، ان عدم الرغبة هذه في عدم اعادة الاراضي مع المستوطنات يشمل حزب العمل الاسرائيلي والاحزاب الرئيسية الاخرى في اسرائيل ، التي تعتبر ان المستوطنات بعد تأسيسها ستبقى جزءا من دولة اسرائيل · هذا هو راي الاحزاب الرئيسية الثلاثة في اسرائيل ـ وهي ليكود والحزب الديمقراطي للتغيير وحزب العمل ·

الشيخ ابو رزق : هل تعتقد انها جميعها متفقة حول تلك السياسة ؟

السيد شاحاك : حول تلك السياسة نعم · انها غير متفقة حول الخطط المتعلقة بمزيد من المستوطنات ولكنها متفقة على ان المستوطنات بعد تأسيسها ستبقى جزءا من منطقة

دولة اسرائيل ، وفيما يتعلق بحزب العمل فان وزيره السابق المسؤول عن المستوطنات السيد غاليلي قد أعرب عن رأيه بكثير من الوضوح حول هذا الموضوع ٠ ولدي هذه المقالة في العبرية واستطيع تقديمها مترجمة الى اللجنة ٠

الشيخ ابو رزق : لا ادري يا دكتور شاحاك اذا كنت تعلم ، او اذا كان باستطاعتك ان تعطي اللجنة فكرة عن الحقوق التي تعطى لعرب فلسطين الذين يعيشون في الضفة الغربية تحت ذلك الاحتلال او يحرمون منها ٠

السيد شاحاك : اجل ، سأفعل ذلك بكثير من السرور لاني عالجت هذا الموضوع منذ مدة طويلة جداً ٠

اول شيء اريد ان اشدد عليه هو الغياب التام للحقوق الديمقراطية الاساسية ٠ انني لا اتحدث عن الحقوق الوطنية ٠ بل اتكلم عن حقوق عقد اجتماع عام ، وعن حق تأسيس اندية ثقافية ، على سبيل المثال ، لدراسة الشعر او لدراسة اي جزء من اي ثقافة ٠

انني اتحدث هنا عن الحق في تظاهرات سلمية وغير عنيفة ، وعن الحق في ان يكون في حوزة المرء علم فلسطيني ، وعن الحقوق في تأليف نقابات يدفع الاعضاء فيها رسوما ٠٠٠

الشيخ ابو رزق : علم فلسطيني ؟

السيد شاحاك : ان يكون في حوزة المرء علم فلسطيني هو جريمة وليس هذا فقط ، بل انه جريمة ايضا ان يضع المرء ألوان العلم الفلسطيني على قميصه « التي شيرت » حتى ولو كان مجرد فتى ٠ لقد نال الاطفال عقوبات وحشية جدا لوضعهم الوان العلم الفلسطيني على قمصانهم « التي شيرت » ٠ لقد ادليت بشهادتي حول هذا الامر مرات عديدة ٠

ويشتمل هذا الموضوع ايضا على الحق في التظاهر السلمي وغير العنيف ٠ واني اشير الى حق اغلاق الدكاكين كاحتجاج او كعلامة حداد ، ولا اعتقد ان هناك تظاهرة سلمية اكثر من اغلاق الدكاكين ٠ فهذا ممنوع واصحاب المتاجر يعاقبون عقابات وحشية جدا على هذه الجريمة ٠ ويمكن معاقبتهم بصورة اعتباطية ٠

والى كل هذا اريد ان اضيف ما تتبناه كل دولة ــ بما فيها ايضادولة اسرائيل بالنسبة الى مواطنيها ــ وهو حق عدم الابعاد عن البلاد ٠

فان اي شخص يسكن الاراضي المحتلة بما فيها القدس يمكن ابعاده عن البلاد ، يمكن اخذه من بيته ليلا وبدون اي اجراء قانوني على الاطلاق ابعاده الى خارج الحدود ٠ اني اعتقد ، وفي الواقع استطيع ان استشهد بأحد كبار قضاة المحكمة الاسرائيلية ، السيد حاييم كوهين ، الذي قال ــ ولكنه كان عاجزا عندما قالها ــ ان النفي هو العقاب الاشد قسوة لانه العقاب الذي انزل بقايين ٠

ومع هذا فان للحكومة العسكرية الحق في انزال هذا العقاب بصورة اعتباطية والاشخاص الذين يبعدون لن يسمح لهم بالعودة الى بلادهم ابدا ٠

أريد ان اقدم لكم مثلا واحدا عن رجل كان صديقي الشخصي لعدة اعوام في القدس ٠ انه السيد علي خطيب الذي كان رئيسا لتحرير صحيفة الشعب العربية ٠ في

اوائل ١٩٧٥ سمعت بابعاده عن البلاد بالطريقة التالية : بعدما فتحت الراديو في الصباح لاصغي الى الاخبار ، سمعت ان علي خطيب قد ابعد عن البلاد وتـــرك وراءه زوجـــة وسبعة اطفال ٠ انني اقدم هذه الحقيقة خصوصا لهؤلاء الذين يقاتلون في هذه البلاد ، من اجل حق توحيد العائلات ٠ ان عائلة علي خطيب تقيم في القدس ولا يمكن لم شملهـا الا خارج وطنها ٠ واستخدم هذا التعبيرقصدا ٠ انها لا تستطيع ان تلم شملهـــا فـــي وطنها حتى ولو اخذنا مدينة القدس فقط كوطن لعائلة علي خطيب ، لانه لم يسمح بالعودة ابدا لاي شخص من الاشخاص الذين ابعدوا ، وبدون اية اجراءات قانونيـــة عـــلى الاطلاق ٠

لقد طالبت مرارا عديدة ، وامام منابر عديدة ، بوجوب السمـــاح للاشخاص الذيـــن ابعدوا عن الاراضي المحتلة بالعودة ويلم شملهم مع عائلاتهم ٠ ولكن كلامي كان بـــلا جدوى ٠

واخر شيء اريد ان اذكره هو مسالة السجن الاداري ، لقد طبق السجن الاداري بحق رجلين اعتبرهما انا من اعظم زعماء الفلسطينيين في الضفة الغربية ، وهما الدكتـور تيسير عاروري ، معلم الفيزيـــاء في كلية بير زيت ، والسيد عطا الله رشماوي ٠ وكــلاهما قضى ٤١ شهـرا من الســجن الاداري ، وقـــد انتخب الثاني لبلديـــة بيت ساحور ٠ اردت الاشارة الى هذه الحقيقة الاخيرة بالنظر الى اهميتها ، فقد ابعـد عن الضفة الغربية الكثير من بلدياتها وهم في مناصبهم ، كذلك ابعد مرشحون او سجنوا بدون محاكمة ٠ ولا بد من القول ان كل واحد من ابناء الاراضي المحتلة يعلم انه يمكن ان يسجن بدون محاكمة ، وانه يمكن ان يبعد عن وطنه ، وانه يمكن ان يعاقب بصـــورة اعتباطية ، وهذا اعظم خرق للحقوق الانسانية ٠ انه يضع جميع هؤلاء القوم ــ اكثـــر من مليون نسمة ــ في وضع لا اخجل من ان اسميه « عبودية » او « استعبادا » ٠ فليـــس لديهم اية ضمان على الاطلاق لاي نوع من انواع الاطمئنان الشخصي ٠

اذا كان رجل في مدينة ووجد نفسه في اليوم التالي مطرودا منها الى الابد ، فهــذه عبودية واستعباد ٠ وهذا ما يوصف في الادب حول الاستعباد في اميركا ببيع العبيـــد « في النهر » ، اذا شئنا ان نستعير تعبيرا من رواية « كوخ العم طوم » ٠

الشيخ ابو رزق : هل لك علم ، يا دكتور شاحاك ، بامداد المياه في الضفة الغربية باي شكل من الاشكال ؟ هل يوجد في رايك ما يكفي من المياه او نقص مـــن الميـــاه ام ماذا ؟

السيد شاحاك : ان معلوماتي تشمل مناطق معينة يمكنني ان اشهد عنها ، بلدة جوار رام الله ووادي الاردن ٠ الا انني ، عدا عن هاتين المنطقتين ، لم اقم باية ابحاث خاصة ٠ وانا مستعد ان اشهد حول هاتين المنطقتين ٠

الشيخ ابو رزق : ربما كنت تعلم بوجه عام عن ربط المستعمـــرات التـــي يجـــري تاسيسها بالنطاق المائي او بشبكة المياه او باي واحد منهما ؟ هل هذا يخلق نقصا فـــي المياه للسكان الحاليين للضفة الغربية ؟

الدكتور شاحاك : من المؤكد ان هذا ما يحدث في وادي الاردن ٠ في المناطق الاخرى لم اشهد الكثير من الدلائل عليه ٠ وكذلك في المناطق الاخرى فان المستعمرات ليســت زراعية الى اي حد كبير ٠ ولم الاحظ انها تاخذ الكثير من المياه ٠ اما في منطقـــة

الاردن ، فالامر مؤكد ٠

الا انني اود ان اقول شيئا حول رام الله ٠ فانا مطلع اطلاعا حسنا على الوضع هناك، والشيء نفسه ، في رأيي ، يحدث في المدن الاخرى ٠

كوسيلة للضغط على مدن مثل رام الله لربط نفسها بشبكة مياه دولة اسرائيل ، فان الرخص لمضخات المياه او لمضخات المياه الاضافية لا تعطى او يؤخر الحاكم العسكري اعطاءها ٠

يجب ان اشرح ان كل شيء في الاراضي المحتلة يحتاج الى رخصة ٠ فان مدينة من المدن لا تستطيع ان تشتري مضخة مياه دون ان تحصل على اذن من الحاكم العسكري ٠ ويجب ان اقول ان بلدية من البلديات لا يمكنها ان تستخدم حجابا اضافيين دون هذا الاذن ٠

ان انطباعي الاكيد هو ان المدن التي يجري الضغط عليها لربطها بشبكة المياه او بشبكة كهرباء اسرائيل لا تعطى الرخص لمضخات المياه او الالات للكهرباء او لقطع الغيار لهذه الالات او المضخات بغية ارغامها على الانضمام الى شبكة الكهرباء والمياه في اسرائيل ٠

ويمكنني ايضا ان اضيف الى هذا ما حدث في مدينة الخليل التي اجبرها النظام على الارتباط بشبكتي كهرباء ومياه اسرائيل ٠ وادوات الارتباط الرئيسية للكهرباء والمياه تقوم الان في مستوطنة كريات اربع لكي يتمكن اي شخص في كريات اربع في اية لحظة من ان يغلق كهرباء ومياه الخليل ٠ واعتقد ان هذا هو هدف الضغط ٠

الشيخ ابو رزق : هل تعتقد ان جزءا من هذا الضغط تقصد به الحكومة الاسرائيلية عدم تشجيع عرب فلسطين على البقاء في الضفة الغربية لكي يغادروها ؟ هل يمكن ان يكون هذا احد اهدافهم ؟

السيد شاحاك : الجواب هو نعم ، اذا كنت تتحدث عن رجال الفكر والطبقة الوسطى ٠ والجواب هو كلا ، اذا كنت تتحدث عن العمال العاديين ، لانه يوجد الان عدد كبير جدا من العمال الفلسطينيين في الاراضي المحتلة يعملون داخل اسرائيل ٠ وقد جاء في مقابلة مع قائد شرطة تل ابيب ، السيد تيومكين ، في التاسع من ايلول هذه السنة في صحيفة هاارتس ، ان هناك في تل ابيب وحدها ٧٠ الف عامل من الاراضي المحتلة ٠ وارى ان هذا يعني انه سيكون هناك نحو ٢٠٠ الف عامل من الاراضي المحتلة يعملون في اسرائيل ٠ ولذلك في حين يصار الى الضغط على رجال الفكر مباشرة او مداورة لدفعهم الى مغادرة البلاد ــ مباشرة بسجنهم او ابعادهم ، ومداورة عن طريق افقار الاقتصاد وعدم توفير الاعمال لهم ــ فانني اعتقد ان دولة اسرائيل صارت مهتمة تماما الان في بقاء العاديين من الناس للعمل في الاقتصاد الاسرائيلي ٠

الشيخ ابو رزق : ولكنهم لا يريدون ان يبقى قادتهم السياسيون في الضفة الغربية ٠ هل هذا صحيح ؟

السيد شاحاك : نعم ٠ اي قادة استقلال سياسيين ٠ يجب ان اقول ان دولة اسرائيل تخلق الان شيئا يمكن وصفه بطبقة « كويز لينغات » ٠

ساعطي احد الامثلة ٠ لدينا السيد عبد النور جنحو ٠ هذا الرجل اغتال رجلا اخر في مدينة رام الله ٠ ومن ثم نقلت قضيته من المحكمة المدنية الى المحكمة العسكرية ٠

ووجدت المحكمة العسكرية انه تصرف دفاعا عن النفس · وهذا الرجل كان قد اضحى ثريا جدا لانه اعطي احتكار توزيع غاز الطبخ من المصادر الاسرائيلية الى سكان منطقة رام الله ·

ويمكن اعطاء امثلة اخرى في مناطق اخرى ، انني اعتقد ان الحكومة الاسرائيلية ، خصوصا الان ، هي في سبيل خلق طبقة (كويزلينغات) ، ولا يجب باية حال الخلط بينها وبين الاعيان السابقين المتعاونين مع الحسين · فهؤلاء هم رجال مصنوعون حديثا · وهم في كثير من الاحيان مجرمون ، كما قلت ، والهدف ــ كما هي الحال في الكثير من الانظمة الاستعمارية الغاشمة الاخرى ــ هو صنع « زعماء » من هؤلاء الاشخاص · واذا اردتم امثلة فان انغولا والموزامبيق مثلان جيدان · واعتقد انكم على علم بأن هناك محاولة قوية في سويتو ، بجنوب افريقيا ، لاخذ عناصر مجرمة وجعلها زعماء لسويتو · والسلطات الاسرائيلية تقوم بالمحاولة نفسها في الضفة الغربية وفي قطاع غزة الان ·

الشيخ ابو رزق : لقد تحدثت باقتضاب عن خرق قوانين عمل الاحداث الذي اعتقدت انه يقع في الضفة الغربية · هل لك ان تتبسط بعض الشيء في الحديث حول هذا الموضوع ؟

السيد شاحاك : ليس في الضفة الغربية · ان المنطقة الرئيسية لاستغلال عمل الاطفال هي في الاراضي المصرية في سيناء ، شمالي غربي سيناء حول بلدة ياميت ، احدى المستوطنات ·

المنطقة الثانية لاستغلال عمل الاولاد من الاراضي المحتلة هي ، في الواقع ، دولة اسرائيل نفسها ، في القرى الاسرائيلية في المنطقة الجنوبية بين بئر السبع وريحو فوت ، خصوصا في المنطقة المسماة لاتشيش · وقد اوردت الصحف الاسرائيلية حالات عديدة جدا · وانا نفسي سجلت حالات عديدة ·

في هذه المنطقة يوجد اولا استغلال الاحداث في العمل ، ويوجد ثانيا الاخضاع الاقطاعي لعائلات باسرها تعيش عادة تحت شجرة او كوخ · وعندما اقول في كوخ فانني لست اشير الى كوخ العم طوم عبثا ، اذ انني شاهدت تلك الاكواخ والصور شبيهة بصور هذا الكتاب · وهذه العائلات هي في حالة اخضاع اقطاعي للمزارع المعين بحيث حدث مرارا كثيرة انه عندما يهرب فتى النقل من مثل هذه العبودية ، فان المزارع او ابن المزارع يطارده ــ وكان هناك حادث قام به ابن احد المزارعين بملاحقة فتى هارب فوجده يعمل لدى مزارع اخر وضربه حتى مات · انني اروي لكم هذا من الصحف الاسرائيلية · كما انني استقصيته انا نفسي ·

ان استعباد القادمين عادة من قطاع غزة في شمالي سيناء وفي مناطق مماثلة في اسرائيل هو احدى الظواهر المريعة حقا التي استطيع القول انها جريمة تصرخ طالبة من الله الانتقام · ولذا يجب ان اقول لكم انني في الواقع خائف على شعبي وعلى هؤلاء الذين ساعدوه في اضطهاد الاخرين طيلة هذه الاعوام العشرة وفي استغلال الاطفال ·

الشيخ ابو رزق : لدي سؤال اخير لك ·

لقد قلت ان هناك ابعادا عن البلاد دون محاكمة او تحقيق وان هناك سجنا دون محاكمة او تحقيق · فهل يمنح سكان المناطق المحتلة ، الفلسطينيون العرب ، اية من

الحقوق المعروفة ، او الحقوق الشرعية ، او الحقوق الانسانية التي تمنح ، على سبيل المثال ، لمواطني اسرائيل او لشعب الولايات المتحدة ؟

السيد شاحاك : لا اعتقد ذلك · فالمواطنون الاسرائيليون لا يمكن ابعادهم عن البلاد · وبحسب العادة وليس بحسب القانون ، لا يمكن سجن المواطنين الاسرائيليين دون محاكمة لخمسة اعوام كاملة ، ومع ان القانون قائم فانه لا يستخدم الان ابدا ·

واود القول ان الحقيقة الاهم التي لا يمنحون فيها حقوقا اساسية هي انهم لا يستطيعون ممارسة اي شكل من اشكال الاحتجاج الديموقراطي الاساسي بتاليف احزاب او جمعيات او نقابات او اندية ثقافية وهلم جرا · وفي رأيي ان هذا يشكل ، بعد عشرة اعوام ، الضيم الاهم ·

واسمحوا لي ايضا بان اختم بالقول انه لو عمد الجنرال ماكارثر بعد احتلال الاميركيين لليابان في عام ١٩٤٥ الى حرمان الشعب الياباني لاكثر من عشرة اعوام مثل هذه الحقوق بدلا من السماح بتأسيس الديموقراطية بسرعة نوعا ما ، خطوة فخطوة ، لما كان هناك الان دولة يابانية ودية نحو الولايات المتحدة كما هي الان · وكان سيكون لديكم شيء اسوأ بكثير ، اسوأ لكل من الشعب الياباني وللولايات المتحدة ·

الشيخ ابو رزق : اريد ان اعرب لك يا سيد شاحاك عن شكري الشخصي وشكر اللجنة لما اعتبره عملا شجاعا جدا · فانا اعلم ما هو شعور المرء عندما يتكلم من وجهة نظر الاقلية · وانا ادرك ان هذا هو المركز الذي تحتله ـ واحد من اقلية في اسرائيل · واعتقد انك خدمت قضية الحقوق الانسانية وقضية العدالة خدمة جلى في ما فعلته وفي ما تستمر في فعله ، وآمل ان تستطيع الاستمرار به ·

نيابة عن اللجنة اريد ان اشكرك جزيل الشكر لاسهامك الكبير في ما امليت به من شهادة هنا اليوم ·

بلـوم

الشيخ ابو رزق : هل تقول يا سيد بلوم ان اسرائيل تحتل السيادة المطلقة على الضفة الغربية ، التي تسميها انت اليهودة والسامرة ؟

السيد بلوم : دعني ارد اولا على السؤال المتعلق بالاسماء ـ الارض التي اسميها انا اليهودية والسامرة · انه من الصحيح ان نسميها اليهودية والسامرة لسبب بسيط وهو ان عبارة « الضفة الغربية » هي تلميحية وفي الواقع تحكم مسبقا على القضية التي نبحثها هنا ـ ولا معنى لها الا في نطاق الضفة الغربية للملكة الاردنية · وهذه بالضبط هي المسألة التي اعالجها انا هنا ، وخلاف ذلك ، لا معنى لعبارة الضفة الغربية من الناحية الجغرافية · فان حيفا وتل ابيب هما على الضفة الغربية من نهر الاردن بقدر ما هي الخليل ونابلس · ولهذا اعتقد ان اليهودية والسامرة هما الوصفان الجغرافيان الصحيحان للمنطقة التي نتحدث عنها ، تماما كما نشير الى الجزء الشمالي من اسرائيل بوصفه الجليل والى الجزء الجنوبي من اسرائيل بوصفه النقب · ومن المناسب لنا ان

نسمي الجزء الاوسط مما كان فلسطين ، اليهودية والسامرة · هـذا هـو الوصـف الجغرافي الحيادي ·

الشيخ ابو رزق : اذا انت قبلت بالتحديد الذي اعطاه رئيس الوزراء بيغن لليهوديـة والسامرة وهو انهما ارض اسرائيل التاريخية ، افليس استخدامك لعبارة اليهوديـة والسامرة حكما سابقا على القضية من الجانب الاخر ايضا ؟

السيد بلوم : كلا ، يا سيدي ، لا اعتقد ذلك · لا اظن انه يشكل حكما مسبقا عـلى قضية الجولان ان نسميها مرتفعات الجولان ، وهو الوصف الجغرافي الصحيح لتلـك المنطقة ·

ونجيء الان الى مسألة السيادة ، ولا بد لي من قول ما يلي : اجل ، بالفعل ، فانـا اعتبر اسرائيل الدولة ذات السيادة الممكنة على اليهودية والسامرة ·

الشيخ ابو رزق : ماذا تعني بعبارة ممكنة ؟

السيد بلوم : من حق اسرائيل ، في اية لحظة تشاء ، ان تمد قانونهـا وسلطانهـا وادارتها الى اليهودية والسامرة ، وبالفعل فان العالم الخارجي قد اعترف بمد اسرائيـل لسيادتها الى اية ارض من اراضي الانتداب الفلسطيني السابق التي تقع عمليا تحـت السيطرة الاسرائيلية · منذ عام ١٩٤٨ كان لاسرائيل السيطرة الفعلية على مختلف مناطق الانتداب الفلسطيني السابق التي كانت ستقع ضمن حدود اسرائيل في ظـل الدولـة اليهودية التي اقترحتها توصية التقسيم – مثال ذلك الجليل الغربي او مطار بن غوريـون الدولي ·

اذا كنت افهم فهما صحيحا موقف هؤلاء الذين يعارضون اسرائيل في الحلبة الدوليـة الراهنة ، فانهم في الاساس يطالبون ، بصورة ظاهرة على الاقل ، بانسحاب اسرائيل الى خطوط الهدنة السابقة والى تحويل هذه الخطوط الى حدود دولية · وتلك الحدود ، بالطبع، ستشتمل على أراض معينة وضعت تحت السلطة الاسرائيلية بنفس الطريقة تماما التـي وضع بها تحت السلطة الاسرائيلية مطار بن غوريون الدولي ومدينة جاف Gaffe فـي القدس الغربية وممر القدس ·

ولا أرى اي فرق من وجهة النظر القانونية بين الوضع القانوني للجليل الغربـي والناصرة ومطار بن غوريون الدولي وجاف من ناحية ، واليهودية والسامرة بما فيهـا القدس الشرقية من ناحية اخرى · فحالما يتم انهاء اتفاقية الهدنة ، نكون قد عدنا بوجهة النظر القانونية الى الوضع كما كان قائما قبل التوصل الى اتفاقية الهدنة ·

ولذا، لا ارى اية عقبة منوجهة النظر القانونية لممارسة اسرائيل قانونها وتطبيق سلطتها على اية ارض من اراضي الانتداب الفلسطيني السابق دون ضمه رسميا ، لانني اعتقد ان كلمة « ضم » لن يكون لها تاثير · فان الارض التي تضم الى دولة اخرى هي ارضـس تخلت عنها دولة اخرى وكانت قبل الضم جزءا من الدولة التي تخلت عنها · وليست هذه هي الحال فيما يتعلق باليهودية والسامرة · ومن هنا اعتقد انه من حق اسرائيل ان تمد ادارتها وسلطانها الى الاراضي المنتدبة سابقا في فلسطين ·

الشيخ ابو رزق : اذن بموجب حجتك اذا وقعت معركة قانونية حول الضفة الغربيـة، فانها ستشمل ايضا حق اسرائيل الشرعي في الجليل وفي مطار بن غوريون الدولي ؟

السيد بلوم : كلا · ليست هذه قراءة صحيحة ولا تفسيرا صحيحا لما قلته :

الشيخ ابو رزق : ظننت ان هذا هو ما قلته ·

السيد بلوم : انني لا اسميه حق اسرائيل · ولكن ما كنت اقوله هو انه حتى خصوم اسرائيل الاكثر تطرفا هذه الايام لا يسمون حق اسرائيل في اعتبار مطار بن غوريون الدولي جزءا من اراضيها ذات السيادة عدوانا ·

ولكنني دعوتك ، يا سيدي الرئيس ، الى ان تنظر بنفس الطريقة الى الاجزاء الباقية من الانتداب الفلسطيني لاننا خلاف ذلك سنكون اختياريين · ولن يكون هذا مسوغا من وجهة النظر القانونية ·

الشيخ ابو رزق : اية اجزاء اخرى من الانتداب الفلسطيني لا توجد تحت السيطرة الاسرائيلية الان ؟

السيد بلوم : ان الانتداب الفلسطيني الغربي السابق هو الان تحت السيطرة الاسرائيلية · كله · وكما اقول فانني اعتبر حقوق الانسان هناك افضل واكثر تفوقا من حقوق اي بلد اخر ·

الشيخ ابو رزق : اعتقد انك اسأت فهمي · هل هناك اية اجزاء من الانتداب الاصلي لا تقع تحت السيطرة الاسرائيلية ؟

السيد بلوم : طبعا ، اكثر من ثلثيه ·

الشيخ ابو رزق : هل يمكنك تحديد ذلك ؟

السيد بلوم : جميع شرق نهر الاردن ·

الشيخ ابو رزق : الى اي بعد شرقا ؟

السيد بلوم : حتى الحدود العراقية لان الانتداب الفلسطيني السابق كانت حدوده لبنان وسوريا الى الشمال ، والعراق الى الشرق ، والعربية السعودية في الجنوب ، ومصر في الجنوب ، والبحر الابيض المتوسط في الغرب ·

الشيخ ابو رزق : اذن لدى اسرائيل سيادة ممكنة على تلك الاراضي ايضا · هل هذا صحيح ؟

السيد بلوم : كلا ، فانا لم ازعم ذلك · في عام ١٩٤٦ فصل الجزء الشرقي من الانتداب الفلسطيني عن بقية الانتداب · وخصص ثلثا الاراضي للانتداب الفلسطيني الذي هو الوطن القومي اليهودي · ومن عام ١٩١٩ الى عام ١٩٢٢ فصلا عن فلسطين الغربية واقيمت دولة عربية مستقلة ، دولة عربية فلسطينية مستقلة ، في اكثر من ثلثي الانتداب الفلسطيني · وبريطانيا العظمى هي التي اقامت تلك الدولة مع الموافقة اللاحقة لعصبة الامم المتحدة ·

لذا فانني لا اشك في شرعية تلك الاجراءات ، وفي الواقع اعتقد انه نتيجة لتلك الاجراءات في عام ١٩٤٦ اصبح نهر الاردن حدودا دولية للاردن وفلسطين على السواء ، وهي حدود لم يستطع الاردن عبورها بصورة قانونية في عام ١٩٤٨ ·

الشيخ ابو رزق : في اعطائك الخلفية التاريخية لهذا الموضوع المثير للجدل في الشرق الاوسط ، يبدو انك فسرت بعض الحقائق المعينة تفسيرا خاطئا · فانت تستعمل تلك الحقائق ، كما قلت ، كأساس لتثبيت اية اراض قد تريدها اسرائيل ضمن تلك المنطقة التي حددتها كجزء من الانتداب الاصلي الذي يمكن ان تشمله السيادة الاسرائيلية ·

في رايك كمحام دولي ، هل يسمح ميثاق الامم المتحدة بامتلاك الاراضي بالقوة ام ان هذا ممنوع ؟

السيد بلوم : اعتقد ان امتلاك الاراضي واعلان السيادة على الاراضي الاجنبية ممنوع منعا باتا بموجب ميثاق الامم المتحدة ·

دعني اضيف ما يلي : بسبب رأيي هذا بالضبط اعتقد ان الاردن ، كممثل اجنبي لاراضي فلسطين ، كان ممنوعا من امتلاك السيادة على اليهودية والسامرة · والامم المتحدة لا تعالج مسائل المحتل الحربي ـ وبوسعي ان اقدم اليكم المصادر الموثوق بها حول هذه النقطة ، وقد كان هناك الكثير من الكتابة حول هذا الموضوع في الاونة الاخيرة · الا ان حقوق المحتل الحربي تنظمها الوثائق المتحكمة بالمحتل الحربي · ان حقوق المحتل الحربي هي حقوق قانونية طالما ان وضع المحتل العسكري لم يستبدل بترتيب دائم ، وعادة بمعاهدة سلام ·

ان ما قلته في الواقع ـ واود ان اعيد التشديد على هذا الامر ـ هو انني اعتقد انه فيما يتعلق بالانتداب الفلسطيني السابق ـ وانا اتحدث الان عن فلسطين الغربية التي هي اقل من ثلث الانتداب الفلسطيني الاصلي لعام ١٩٢٢ ـ فان اسرائيل لن « تكتسب » السيادة على تلك الاراضي ، بوصفها اراض اجنبية بالنسبة الى اسرائيل ·

وهكذا اعتقد ان اسرائيل لا تكتسب اراض جديدة في اليهودية والسامرة ـ ولا يقع هذا ضمن المنع المذكور في ميثاق الامم المتحدة · وبالمناسبة ، اذا اردنا ان نكون دقيقين جدا ، فان ميثاق الامم المتحدة لا يتكلم عن منع استخدام القوة وان اكتساب الاراضي باستخدام القوة هو شيء استنتج منه بصورة منطقية · فالميثاق لا ينص عليه ، هذا اذا اردت ان تكون دقيقا ·

الشيخ ابو رزق : اذا لنحاول ان نتطرق الى بعض الحقائق التي حذفت من الشهادة · هل تعتقد ان تأسيس اسرائيل كدولة عام ١٩٤٨ قد تم بموجب شروط ميثاق الامم المتحدة ام بصورة مخالفة لذلك الميثاق ·

السيد بلوم : ما من دولة تؤسس بموجب الميثاق او بصورة مخالفة له وذلك ببساطة لان الدول ، فيما يتعلق بالقانون الدولي ، تولد خارج الزواج اذا صح التعبير · فالدول لا تولد طبقا للاطار القانوني القائم · مثال ذلك ، ان الولايات المتحدة الاميركية لم تولد طبقا للقوانين السائدة في ذلك الحين في هذا الجزء من العالم · بل كانت انتفاضة ضد دولة سيدة شرعية · ولا اقصد ان انتقص من قدر ذلك العمل الذي وقع لمئتي سنة خلت او ان اشجبه · بل اشير ببساطة الى انه فيما يتعلق بالقانون الدولي فان كل دولة هي شرعية او غير شرعية حسبما تنظر اليها ، من وجهة نظر القانون الدولي ·

وينطبق هذا على جميع دول اميركا اللاتينية كما ينطبق على الاتحاد السوفياتي الذي يعتبر نفسه دولة جديدة بعدما قطع صلته الدستورية بالنظام السابق له · وهو ينطبق ايضا على الصين الحمراء ، او « الصين الشعبية » · كذلك ينطبق على افريقيا والعالم

كله · حتى انه ينطبق على بلدان قديمة مثل بريطانيا وفرنسا مع فرق مهم واحد وهو انها قديمة جدا ، بل هي قديمة الى حد ان وسائل الاعلام الجماهيرية ، انباء التلفزيون ، لم تكن موجودة في وقت ولادتها لتشهد على نقائص وعيوب ولادتها من وجهة نظر القانون الدولي · ولذا فان تسجيل تلك العيوب اكثر صعوبة بعض الشيء ·

الشيخ ابو رزق : ولكن ما نتحدث عنه الان ، يا سيد بلوم ، هو ليس ما حدث لمائتي سنة خلت · وبسبب ما حصل منذ مئتي عام او منذ مئة عام فيما يتعلق بغزو دول لدول اخرى وضمها اليها وجعلها جزءا من اراضيها ، فان معظم امم العالم قد وضعت مسودة ميثاق الامم المتحدة ووقعته ·

واعتقد ان هذا ما يجب ان نتحدث عنه : علينا ان نتكلم في ما اذا كنا ننوي او لا ننوي الالتزام بمبادىء ذلك الميثاق · فهل نحن عند نقطة ما في القرن العشرين بعد التوقيع على ميثاق الامم المتحدة ، سنتوقف عن اكتساب الاراضي بالقوة ام هل نتجاهل الميثاق ونسمح بالاستثناءات للبلدان المختلفة ، كاسرائيل مثلا ؟ هذا ما يجب ان نتكلم عنه · وهذا ما يتوجه اليه سؤالي ·

والسؤال يتكرر اذن · اذا كان ميثاق الامم المتحدة اما بصورة ضمنية او بالاعلان المباشر ، يمنع اكتساب الاراضي بالقوة ، افلا يضع هذا ، حتى بموجب شروطك انت موضع الشك التأسيس الاصلي لاسرائيل كدولة ، وهو ما حدث بقوة السلاح عام ١٩٤٧ وعام ١٩٤٨ ؟

السيد بلوم : كلا · مطلقا · اعتقد انني تقدمت ببعض المقاطع من سجلات مجلس الامن لابين انه باجماع اعضاء الامم المتحدة عام ١٩٤٨ ، لم تكن دولة اسرائيل هي التي خلقت نتيجة لاستخدام القوة غير الشرعية ، بل على العكس تماما كان استخدام العرب للقوة عام ١٩٤٨ هو العمل غير القانوني ·

لقد كان هذا هو اجماع اعضاء الامم المتحدة في عام ١٩٤٨ : وهو ان دولة اسرائيل كانت تدافع عن نفسها ضد عدوان غير شرعي ارتكب ضد دولة اسرائيل منذ لحظة ولادتها ·

الشيخ ابو رزق : على الرغم مما تقول فيما يتعلق باجماع الاراء في ذلك الوقت ، فاني اعتقد ان عليك التسليم بان اسرائيل لم تؤسس نتيجة لانتخاب ديمقراطي · هل تسلم بذلك ؟·

السيد بلوم : اسمح لي بالقول انني اجد هذه الحجة غريبة ·

مع كل احترام ، فان اسرائيل بقدر ما اعلم هي الدولة الوحيدة في الشرق الاوسط التي جرت فيها انتخابات ديمقراطية غير متقطعة منذ عام ١٩٤٩ ·

الشيخ ابو رزق : هل تشمل هذه جميع المقيمين في تلك المنطقة ؟·

السيد بلوم : جميع المقيمين في دولة اسرائيل ـ اليهود وغير اليهود على السواء ·

الشيخ ابو رزق : بمن فيهم الذين طردوا خارج البلاد ؟

السيد بلوم : هل لي ان اضيف هنا انه كان بودنا لو اننا اجرينا انتخاباتنا العامة لا في عام ١٩٤٩ بل في تاريخ سابق لذلك · ولم نستطع ان نفعل ذلك لاننا كنا نخوض حرب دفاع عن النفس ونقاتل من اجل حياتنا عينها · لذلك كانت حكومة مؤقتة هي التي

حكمت اسرائيل حتى كانون الثاني (يناير) عام ١٩٤٩ · ولكن حتى الحكومة المؤقتة لاسرائيل انبثقت عن التمثيل المنتخب للجالية اليهودية في فلسطين خلال فترة الانتداب ·

ولذا ، بقدر ما يتعلق الامر بالقانون الدولي ، فان الانتخابات ، الانتخابات العامة ، ليست شرطا مسبقا لشرعية الدولة · اذا نظرت حولك في العالم ·

الشيخ ابو رزق : انا لا اقول هذا ·

السيد بلوم : لديك ١٢٠ من اصل ١٥٠ دولة تجري انتخابات مشكوك بها هذا اذا اجرت اية انتخابات على الاطلاق ·

الشيخ ابو رزق : لنعد الى النقطة البسيطة · لقد سالتك اذا كانت اسرائيل بالفعل قد اسست نفسها كدولة نتيجة للقوة · فرفضت التحدث عن هذا الامر · ثم سالتك اذا كانوا اسسوها بواسطة الانتخابات ورفضت ايضا التكلم حول هذا الامر ·

فكيف اذن تأسست اذا لم تؤسس باي من الطريقتين ؟

السيد بلوم : الجواب بسيط جدا · ان كل الدول ـ باستثناء القلة المحظوظة المختارة مثل ليشتنشتاين وموناكو ولوكسمبورغ وربما بضع دويلات اخرى ـ ان على جميع الدول ان تؤكد وجودها ايضا عبر اصرار القوة المادية وتكون مستعدة للدفاع عن نفسها ·

انني اعالج الوجوه المختلفة للحالة · انا اعالج الوجوه القانونية · ولو لم تستند النواحي القانونية وتدعم دولة اسرائيل بالقوة المادية لما كنت اجلس امامكم هنا الآن لاتكلم عن سيادة اسرائيل او اي جزء من الانتداب الفلسطيني · ويصح هذا القول على اي بلد معين ·

الشيخ ابو رزق : يصح هذا القول على اسرائيل ، اليس كذلك ؟

السيد بلوم : يصح على اي بلد ·

الشيخ ابو رزق : افهم ذلك · ولكن هل يصح على اسرائيل ؟

السيد بلوم : لو لم تكن حقوقها مدعمة بالقوة المادية لاشتبهت بأن الاسرة الدولية كانت تجاهلت تلك الحقوق وابقتها معطلة ·

الشيخ ابو رزق : اعتقد اننا اثبتنا ان دولة اسرائيل اسست نفسها عن طريق استخدام القوة ·

السيد بلوم : كلا ، لقد اسست اسرائيل نفسها كاية دولة اخرى من وجهة نظر القانون الدولي لان دولة اسرائيل ، كاية دولة اخرى ، كان عليها ان تلبي ، وقد لبت بالفعل ، متطلبات الدولة كما ينص عليها اي كتاب مدرسي من كتب القانون الدولي · وهذه المتطلبات هي اراض معينة حسنة التحديد ومواطنون مستعدون للقبول بالولاء للدولة ، وادارة فعالة ، واعتراف الاسرة الدولية بها · ولا تختلف اسرائيل عن اية دولة اخرى ·

وكون اسرائيل اضطرت الى خوض حرب دفاع عن النفس منذ لحظة وجودها هو طريقة غريبة لتحدي حق اسرائيل في الوجود · واتمنى لو اننا لم نضطر الى خوض حرب

الاستقلال عام ١٩٤٨ ·

الشيخ ابو رزق : اعتقد انكم على الارجح اضطررتم لخوض الحرب لانه ما كان باستطاعتكم ان تؤسسوا دولة اسرائيل في شكلها الراهن باجراء انتخاب للشعب هناك · واقول انه ما كان باستطاعتكم ان تفعلوا ذلك لان عرب فلسطين كانوا اكثرية السكان في ذلك الحين ، الى ان طردوا خارج البلاد باعداد كافية لجعلهم اقلية ·

السيد بلوم : ما كنا نستطيع تاسيس دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ دون القتال من اجل وجودها واستقلالها لان الدول العربية المجاورة وعرب فلسطين كانوا يعارضون توصية الجمعية العامة للامم المتحدة التي كانت ستقسم فلسطين للمرة الثانية وتترك سبعة اثمان الانتداب الفلسطيني الاصلي في ايد عربية ، وما كانوا قانعين بالحصول على سبعة اثمانها · بل ارادوا ثمانية اثمانها جميعا ·

كان هذا هو السبب ·

الشيخ ابو رزق : ولكن حقيقة ان قرار الامم المتحدة يوصي بالتقسيم دون ان يلزم ـ وانت قلت هذا في شهادتك ـ فان البديل الآخر الوحيد اذن ، غير القتال واخذ الارض بالقوة بغية تاسيس دولة اسرائيل ، هو اجراء انتخابات من نوع ما · أليس هذا صحيحا ؟

السيد بلوم : كلا انه غير صحيح ·

الشيخ ابو رزق : بأية طريقة اخرى كان يمكنكم فعل ذلك دون استخدام القوة ؟

السيد بلوم : انني احاول التمييز بين استخدام القوة ، وهو على العموم غير قانوني بموجب ميثاق الامم المتحدة ، واستخدام القوة دفاعا عن النفس الذي جيء على ذكره تحت المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة ·

اذا استثنينا الثقاة العرب حول هذا الموضوع ، فان جميع الثقاة الآخرين ، بمن فيهم الثقاة الاوروبيون الشرقيون عام ١٩٤٨ ، كانوا متفقين على ان الدول العربية هي التي استخدمت القوة غير القانونية وبذلك خرقت المادة الثانية ، الفقرة الرابعة من الميثاق وان دولة اسرائيل كانت تمارس حقها في الدفاع عن النفس · وانني اجد صعوبة بالغة في قلب هذه الحجة وعكسها ·

الشيخ ابو رزق : لا اعتقد انني ابتدات اعكس الامور · لست انا الذي ابتدا يفعل ذلك ·

ان لم اكن مخطئا ، فانت تتجاهل استخدام الجالية اليهودية للقوة في ذلك الحين · كانت هناك ثلاث وحدات قوات مسلحة منفصلة ومميزة قبل قيام دولة اسرائيل ـ الهاغاناه، وشتيرن او ليحي ، والارغون · كان قد مضى على عملها بضعة اعوام وكانت تستخدم القوة · وفي الواقع كانت تستخدم القوة لطرد البريطانيين من البلاد · وهذا ما كان يفعله الارهابيون · اليس هذا صحيحا ؟

السيد بلوم : الحركات السرية اليهودية المختلفة ، ليس الهاغاناه ، الا لفترة قصيرة من الوقت · ولكن من المؤكد ، المنظمتان الاخريان اللتان ذكرت ، استخدمتا القوة بقصد ازالة الوجود البريطاني من اراضي الانتداب الفلسطيني السابق ·

الشيخ ابو رزق : لسبب محدد وهو تأسيس اسرائيل · صحيح ؟

السيد بلوم : اجل ، ومن الانصاف ان نشير الى ان التسويغ الوحيد للوجود البريطاني في فلسطين آنذاك هو تشجيع تأسيس وطن قومي يهودي في فلسطين · ولم يعد يحق لبريطانيا البقاء هناك في اللحظة التي انكرت فيها التزامها الدولي الذي كان المصدر الوحيد لحكمها في فلسطين · ولذا فان هذا كان هو تبرير استخدام القوة من قبل الحركات السرية اليهودية ضد البريطانيين ·

ولكن لا علاقة لهذا بالموضوع المطروح امامنا · فالمسالة المطروحة امامنا هي مسالة مختلفة ·

الشيخ ابو رزق : ان للموضوع صلة بمسالتنا من حيث استخدامك لمجموعة جزئية من الحقائق كأساس لحجتك القانونية ، معطيا اسرائيل الحق في اي شيء في نطاق منظورها تقريبا ·

السيد بلوم : هل لي ان اشير الى الفرق ؟

الشيخ ابو رزق : طبعا ·

السيد بلوم : الفرق هو انه يتوجب علينا ، من اجل غاياتنا الراهنة ، ان نميز بين الاستخدام الدولي للقوة والاضطرابات المدنية التي لا تبلغ حجم الاستخدام الدولي للقوة · وميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي ليسا معنيين في الاساس بالاضطرابات الداخلية · مثال ذلك ان اضطرابات بادر ـ ماينهوف في المانيا ليست مسالة من مسائل القانون الدولي ، طالما ظلت محصورة في المانيا ·

فالقانون الدولي يصير مهتما بالعنف وباستخدام القوة كلما تجاوز الحدود الوطنية ·

وكانت هذه هي الحال عام ١٩٤٨ فيما يتعلق بالتدخل العسكري العربي في فلسطين · كانت هذه دولا خارجية · وقال بعض المتكلمين في مجلس الامن واماكن اخرى عام ١٩٤٨ انها كانت دولا خارجية لا شان لها على الارض الفلسطينية ·

الشيخ ابو رزق : هذا يثير مسالة اخرى ، يا استاذ بلوم ·

تقول ان لاسرائيل الحق في السيادة الممكنة على اي شخص ضمن الدولة المنتدبة · وقد سوغت تأسيس المستوطنات على تلك الاراضي ارتكازا الى هذا الاساس القانوني · وماذا بشأن سيناء ·· هل كانت جزءاً من الانتداب ؟

السيد بلوم : كلا ، لم تكن ·

الشيخ ابو رزق : لدى اسرائيل مستوطنات في سيناء ، اليس كذلك ؟

السيد بلوم : نعم ·

الشيخ ابو رزق : كيف تستطيع تبرير ذلك ؟

السيد بلوم : من المؤكد انني لن اطبق هذه الحجة على سيناء · يجب ان اقول شيئا واحدا · بقدر ما يتعلق الامر بالمادة ٤٩ ، اقترحت السيدة هاوسر لهذه اللجنة الممتازة ····

الشيخ ابو رزق : آسف ، كانت تلك لجنة من لجان مجلس النواب · وهي لم تدل بشهادة هنا · بل ادلت بشهادتها في مجلس النواب · ومع هذا ، اكمل ·

السيد بلوم : فهمت · ولكن بقدر ما يتعلق الامر بالمادة ٤٩ فان التفسير الذي قدمته السيدة هاوسر ، وهو يمثل رأيي انا ايضا ، يمكن تطبيقه على سيناء كذلك ·

الشيخ ابو رزق : هل من القانوني تماما فعل ذلك لان اسرائيل مستثناة من المادة ٤٩ من معاهدة الصليب الاحمر ؟

السيد بلوم : كلا ، ليس لانها مستثناة · لم تكن هذه كلماتي · ان ما قلته هو ان المادة ٤٩ تتصور حالات معينة لابعاد السكان المحليين من اجل النقل الجماعي للسكان المحليين الى الاراضي المحتلة ·

وساضيف كلمة تحذير اخرى · اقول هذا كمجرد كلمة تحذير · فانا لم اتطرق الى المسالة التي اعتقد انه يجب ان نتطرق اليها · انني لم اتطرق الى مسالة طول مدة الاحتلال الحربي التي ينص عليها القانون الدولي · فالاحتلال الحربي الذي يزيد على مدة طويلة من الزمن لا يمكن ان يعمل ببساطة في ظل نفس القيود التي يعمل فيها الاحتلال الحربي الطبيعي ، هذا اذا صح استعمال كلمة « طبيعي » على حالة من هذا النوع · ومن الواضح ان معاهدة الصليب الاحمر وغيرها من الادوات الدولية كانت تتصور حالة « طبيعية » تتوقف فيها الحرب او تنتهي ثم توجد هناك فترة بضعة اسابيع من الاحتلال الحربي تليها مفاوضات يتم فيها التصرف بالارض اخيرا ·

وكلما طالت حال كهذه ، ازدادت صعوبة · ويعترف بهذا ايضا بعض مواد هذه المعاهدات ، ولكن تزداد صعوبة الالتزام الحرفي بتلك المواد ·

كذلك ، لديك هذه الحالة من اجل حماية مصالح السكان المحليين ، ولذا لا بد لنا من النظر في هذا الوجه من اوجه مدة الاحتلال · ولا بد لي من الاعتراف بانني لم ادرس هذه المشكلة درسا كافيا يمكنني من بحثها على نحو حسن ·

الشيخ ابو رزق : لدي سؤال واحد آخر · اذا قبلنا بحجتك القائلة بان لاسرائيل نوعا من السيادة المعدلة او السيادة الممكنة على الضفة الغربية ، فهل لديك اي تعليق او ملاحظة حول معاملة الحكومة الاسرائيلية لمواطنيها هناك ؟ فثمة حرمان تام للحقوق القانونية والحقوق الانسانية · فهل توافق على ذلك ام تستنكره ؟ ·

السيد بلوم : ان ما قلته هو ان اسرائيل لم تمد سلطانها القانوني او ادارتها الى اليهودية والسامرة وقطاع غزة · والاكثرية الساحقة من سكان هذه الاراضي هم مواطنون اردنيون · ان حالة الامر الواقع هي ان اسرائيل تتصرف في تلك الاراضي نحو السكان المحليين كانها ملزمة بمعاهدة جنيف الرابعة وكل موادها الانسانية ·

ان معاهدة جنيف الرابعة ـ وقد اذهلني الاستماع الى المتكلم السابق حول هذه المسالة لانه اهمل بوضوح هذا الامر عندما تكلم عن حقوق سياسية معينة ـ لكن معاهدة جنيف الرابعة للصليب الاحمر تتصور حالة لا يحق فيها للسكان المحليين بالاستمتاع بالحقوق السياسية الكاملة بالنظر الى الحالة غير الاعتيادية التي يجدون انفسهم فيها ·

فان معاهدة جنيف الرابعة للصليب الاحمر معنية بالحقوق المدنية والدينية ، وحقوق الملكية ، وحق الرجوع الى المحاكم وهلم جرا · واعتقد ان سجل اسرائيل حول هذه المسائل ليس شيئا يمكن الاستهزاء به على نحو ما فعل المتكلم السابق · وعندما يتحدث عن التظاهرات السياسية وما اليها ، فمن الواضح انه ينتقل الى صعيد آخر · اننا ننتقل

الى الحقوق السياسية التي تقلص على الدوام في الاراضي المحتلة من قبل الدولة التي لا تطالب بالسيادة للوقت الحاضر على الاقل ، والتي لم تحول السكان الى مواطنين لها·

كانت تلك هي الحالة في المانيا بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٤٩ · وكانت تلك هي الحالة في يابان مكارثر خلال الاعوام الاولى من الاحتلال الاميركي لليابان ·

ولا اعتقد ان اسرائيل تختلف الا من ناحية مهمة واحدة · لقد اعطت اسرائيل قدرا كبيرا من حرية التحرك من الاراضي الى البلدان المجاورة ، ذهابا وايابا · ولن تجد الكثير من البلدان في العالم حيث يوجد هناك ــ قبل التوصل الى سلام ــ هذا العدد الكبير من السواح الذين يأتون الى الاراضي المحتلة من البلدان العدوة كما تجد في حالة اسرائيل ، على الرغم من جميع الاخطار الامنية التي ينطوي عليها هذا الامر ·

الشيخ ابو رزق : اود ان اسألك مجددا اذا كنت توافق او لا توافق على حرمان الشعب الذي يقيم في الضفة الغربية من حقوقه القانونية والانسانية ؟

السيد بلوم : ان الصيغة التي وضع بها السؤال تذكرني بالسؤال : « هل توقفت عن ضرب زوجتك ؟ »

الشيخ ابو رزق : ربما استطعت ان تعيد صياغة السؤال نيابة عني ·

السيد بلوم : ان الطريقة التي تطرح بها السؤال يا سيدي الرئيس هي : « هل توافق على حرمان الحقوق الانسانية ؟ » فالسؤال يفترض مسبقا ان هناك حرمانا كهذا · لا اريد ان توضع هذه الكلمات في فمي ·

الشيخ ابو رزق : كان ثمة ادلة وافرة على ذلك · فلدينا الشاهد السابق · وكانت هناك تقارير تلفزيونية وصحافية لا تحصى حول حرمان الحقوق الانسانية ·

وفي الواقع انا اعرف شخصيا عن الرئيس السابق او الحالي لجامعة بيرزيت ، الذي قال لي انه اخذ فورا ووضع كيس فوق رأسه ورمي به عبر الحدود اللبنانية في وسط الليل دون محاكمة او تحقيق او توجيه تهم · لنأخذ هذا المثل الواحد · هل توافق عليه ؟

السيد بلوم : هل تريدني ان اجيبك على سؤال الابعاد ذاك ؟

الشيخ ابو رزق : نعم

السيد بلوم : دعني اقول لك هذا يا سيدي الرئيس · ان شروط الابعاد موجودة في انظمة الطوارىء التي ورثناها عن سلطات الانتداب البريطاني والتي ورثها من ثم كل من اسرائيل والاردن في جزئي فلسطين اللذين سيطرا عليهما بعد عام ١٩٤٨ ·

ان انظمة الطوارىء هذه موجودة في القوانين الاسرائيلية ايضا حتى يومنا هذا · وليس من الصحيح القول انها الغيت في اسرائيل · انا نفسي كان يسرني ان تلغى ، ولكن يصدف ان الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة لم تفعل ذلك ، لاسباب مختلفة ·

ولذا فان اعمال الابعاد هذه ليست شيئا فكرت به اسرائيل واخترعته · وفي الواقع ، كما سبق ان قلت ، هي موروثة عن فترة الانتداب · انه القانون ، القانون المحلي ، كما وجدناه في اليهودية والسامرة في حزيران عام ١٩٦٧ ·

وفيما يتعلق بأعمال الابعاد ، فهو ابعاد غريب بالفعل ـ كما يمكنني ان اضيف ـ عندما تأخذ مواطنا اردنيا وتضعه عبر نهر الاردن وترسله الى الاردن · وهذا ما حدث في معظم الحالات · كانت هناك نحو مئة حالة ـ لا اعتقد ان لدي الرقم الدقيق ولكني اعتقد انه ما يقارب المئة ـ ومن الانصاف ان تاتي على ذكر الارقام · اعتقد انه كان هناك نحو مئة حالة ابعاد من هذا النوع وشملت مئة فرد ، باستثناء الاثنين او الثلاثة الذين ارسلوا الى الاردن ، الى بلد جنسيتهم · ولذا فانهم لم يرسلوا الى المنفى ·

الشيخ ابو رزق : هل لديهم بيت في الاردن ؟

السيد بلوم : فيما يتعلق بالشخصين او الثلاثة اشخاص الذين ارسلوا الى لبنان بدلا من الاردن ، كان هناك انتقاد شديد في اسرائيل في ذلك الوقت على اساس انه كان من الافضل من وجهة النظر القانونية ارسالهم الى بلد جنسيتهم الاصلية بدلا من ارسالهم الى بلد يكون بلدا اجنبيا من وجهة النظر القانونية · وقد اعربت المحكمة العليا الاسرائيلية عن بعض الاستياء في ذلك الحين حول حالات الابعاد هذه ·

الشيخ ابو رزق : انني اجد هذه الحجة واهية جدا · اعني الحجة لاخذ شخص من بيته حيث يقيم على الضفة الغربية ورميه في الاردن لمجرد انه يصدف ان تكون هذه جنسية جواز سفره قبل عام ١٩٦٧ · انها حجة واهية جدا ·

السيد بلوم : انني اجدها حالة تعسة جدا في جميع انحاء العالم · اعتقد انه من المدهش بعض الشيء ان تحاول ان تطبق على دولة اسرائيل المجموعة الكاملة من الانظمة والمقاييس الدولية كما تطبق في البلد الذي ، لحسن الحظ ، لم يتعرض للغزو خلال المئة والستين عاما الماضية · انه من المدهش بعض الشيء ان تحاول تطبيق جميع تلك الانظمة ـ على بلد لم يعرف يوما واحدا من السلام خلال الاعوام التسعة والعشرين من وجوده ، بلد تستمر دولة ما على الاقل او بعض المنظمات في تهديده بالدمار حتى يومنا هـذا ·

الشيخ ابو رزق : انه ليس مدهشا بالنظر الى اننا نسمع باستمرار من انصار اسرائيل انها بلد ديمقراطي حقا وانها تعامل عربها معاملة حسنة · اننا نسمع ذلك باستمرار · هذا عرضة للتغيير بالطبع · وكنت احاول اثارة هذا السؤال هنا اليوم ·

وهكذا اذا حاول احد ان يشير ، من جهة ، الى ان عربهم لا يعاملون معاملة حسنة ، فان العذر يكون اننا في حالة حرب · اظن اننا نجب ان نعود الى ابعد من ذلك · انت حاولت الدوران حول هذا الامر ·

لقد حاولت الدوران جوله ، لكن الحقيقة هي ان اسرائيل في حالة حرب لمجرد انها اخذت اراض بالقوة · آمل الا تتوقع من الناس ان يعطوكم جائزة على ذلك · على الاقل انا آمل ذلك · ان مقاومة اخذ اسرائيل لتلك الاراضي بالقوة هو الذي يسبب القتال اليوم وسيسببه في المستقبل · آمل ان تأخذ انت او اسرائيل جائزة ، جائزة دولية ، لاخذكم الارض من شخص آخر ·

وبدل ذلك تحصلون على ما يتوقعه المرء ، وهو حرب مستمرة · ولا اعرف اي شيء آخر يمكنكم ان تتوقعوا ·

السيد بلوم : اعتقد انه من التضليل الافتراض بأن اخذ اسرائيل للاراضي في عام ١٩٦٧ خلق التوتر بين الاسرائيليين والبلدان المجاورة · اننا بهذا نخطيء النظر الى

المنظور التاريخي • ففي عام ١٩٤٨ ضن العرب بأية ارض من اراضي فلسطين لليهود • وكان العرب سيضنون بدويلتنا مهما كان موقع تأسيسها على اي جزء من اجزاء الانتداب الفلسطيني وذلك لسبب بسيط ، وهو انهم لم يدركوا وجود شعب يهودي مميز عن الديانة اليهودية • وقد كان موقفهم على الدوام هو ان اليهودية هي مجرد ديانة ، وعلى هذا لا يحق لها بأن تكون لديها دولة خاصة بها ، بصرف النظر عن حدودها • وكانت حرب ١٩٦٧ والاستيلاء على الاراضي نتيجة لهذه الحالة التعسة • انا على يقين تام من ان اسرائيل دولة ديموقراطية ، احدى الدول الديموقراطية القليلة جدا الباقية في العالم ، لسوء الحظ • ولكنها دولة ديموقراطية في حالة حرب وتماما كما ان بريطانيا العظمى ، لم تتوقف ابدا عن ان تكون دولة ديموقراطية ولا حتى خلال الحرب العالمية الثانية ، كان عليها ان تتخذ اجراءات معينة ما كان البريطانيون ليتخذوها في زمن السلم ـ كذلك فان دولة اسرائيل كان عليها هي ايضا اللجوء الى اجراءات حربية معينة • ولا يعني هذا ضمنا ، كما يبدو انك افترضت يا سيدي الرئيس ، ان اسرائيل تعامل عربها معاملة سيئة ـ واعتقد انك تكلمت عن « عربهم او عرب اسرائيل » لا اذكر ما هي العبارة التي استخدمتها • وقد تكون قلت « مواطنون من الدرجة الثانية » او شيء من هذا القبيل • اننا لم نحرمهم من حقوقهم الانسانية •

عندما تتحدث عن عرب اسرائيل ، اظن انك تفكر بالمواطنين الاسرائيليين من اصل عربي • لدينا نحو نصف مليون منهم •

هؤلاء القوم يتمتعون بالحماية الكاملة للقانون الاسرائيلي ، علما بأنهم معفيون من بعض الواجبات في ظل القانون الاسرائيلي ، مثل واجب الخدمة العسكرية • وهم يخدمون في قوات الدفاع على اساس طوعي فقط • وبعضهم يفعل ذلك •

الشيخ ابو رزق : هل يستطيع هؤلاء العرب تأليف احزابهم السياسية الخاصة بهم ؟

السيد بلوم : اجل ، بالفعل • وقد فعلوا ذلك في الماضي •

الشيخ ابو رزق : اية احزاب الفها هؤلاء العرب ؟

السيد بلوم : هناك عدد من العرب اعضاء في الكنيست •

الشيخ ابو رزق : اعلم ذلك ولكنهم اعضاء في احزاب سياسية قائمة •

السيد بلوم : آسف • انهم يمثلون برامج عربية ويخوضون الانتخابات على قوائم عربية وليس على قوائم يهودية •

الشيخ ابو رزق : تقول انه يحق للعرب ان يؤلفوا احزابا سياسية خاصة بهم ؟

السيد بلوم : اننا لا نتكلم عن عرب اسرائيل • بل نتكلم عن مواطني اسرائيل • ويحق لهم ان يؤلفوا احزابا كهذه وقد فعلوا ذلك • وقد خاضوا الانتخابات على عدة برامج وقوائم عربية مختلفة • وقد انتخبوا للكنيست • وكان لدينا نائب رئيس الكنيست ، عربي جاء الى الكنيست على قائمة عربية • وكان لدينا نائب وزير صحة ، عربي صدف ان خاض الانتخابات لا على قائمة عربية بل على قائمة يهودية •كان ممثلا عربيا على قائمة يهودية •

ولكني اعتقد انه من غير الصحيح القول انه لا يحق للعرب تشكيل احزاب سياسية · لقد فعلوا ذلك ·

الشيخ ابو رزق : هل يمكنك ان تعطي اسم حزب سياسي عربي ؟

السيد بلوم : « التقدم والتنور » ـ لاحزابهم اسماء مزدوجة عادة · وبدو النقب يخوضون الانتخابات على قائمة منفصلة خاصة بهم عادة · « الاخوة والسلام » واسماء كهذه ·

الشيخ ابو رزق : شكرا ·

حسنا ، لم يعد لدي اسئلة · اريد ان اعرب عن شكري لحضورك امامنا · اننا نقدر لك ذلك كثيرا ·

مراجعات

امين هويدي ، حروب عبد الناصر
(دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ـ ١٩٧٧)

امضى امين هويدي حياته بين السلكين العسكري والمدني في عهد الرئيس جمال عبد الناصر • فقد بدأ ضابطا في القوات المسلحة المصرية وشغل عدة مناصب هامة فيها • ثم انتقل الى السلك المدني حيث شغل عدة مناصب هامة كذلك • اذ شغل منصب وزير للارشاد القومي ، ثم منصب وزير للدولة• وبعد نكسة١٩٦٧ عين وزيرا للحربية ثم رئيسا للمخابرات العامة • وبعد وفاة عبد الناصر بفترة فضل عدم الاشتراك في اي تشكيل وزاري •

الكتاب يقع في خمسة فصول حيث يتناول فيها الكاتب بالتفصيل الحروب التي خاضها الرئيس جمال عبد الناصر في الفترة ما بين عام ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠ • اولى هذه الحروب كانت حرب التحرير (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) ، تلك الحرب التي انتهت بخروج البريطانيين من مصر • فمنذ اليوم الاول لتسلم عبد الناصر للسلطة وضع نصب عينيه هدفا ثابتا وهو خروج المستعمرين البريطانيين من الاراضي المصرية بصورة نهائية• وكان البريطانيون قد حصلوا على حق البقاء في منطقة قناة السويس بموجب معاهدة عام ١٩٣٦ التي رضيت بها الاحزاب القائمة في ذلك الوقت وعلى رأسها حزب الوفد • وللتخلص من الوجود البريطاني عملت قيادة الثورة في اتجاهات عديدة • فمن ناحية عملت على تعبئة الجماهير المصرية ضد هذا الوجود • وقامت بسحب اغلبية القوات المصرية الموجودة في سيناء حتى لا تعطي للبريطانيين مجالا للضغط عبر قطع خطوط الامداد لهذه القوات • وجهزت قوة من الفدائيين الذين قاموا بهجمات متواصلة على مواقع وقوافل القوات البريطانية الامر الذي سبب ارباكا كبيرا للقيادة العسكرية البريطانية واضعف من معنويات الجنود والضباط • ثم كانت حرب الاشاعات والحصار الاقتصادي ضد القوات البريطانية • كل ذلك دفع البريطانيين الى الاسراع الى طاولة المفاوضات التي انقطعت جلساتها مرات عديدة الا انها انتهت بتوقيع اتفاقية الجلاء يوم ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٥٤ • وقد اعلن الرئيس عبد الناصر عن اتفاقية الجلاء في خطاب وجهه للمواطنين في نفس اليوم • وهنا يشدد الكاتب على ناحية هامة وهي ان الرئيس عبد الناصر كان وفيا للمناضلين الذين سبقوه ولم يحاول احتكار النضال لنفسه وتزييف التاريخ فقد جاء في خطابه « انني اتجه اليهم بقلب شعب واتجه اليهم بوفاء جيل ••• اليهم جميعا ••• الزعماء الذين كافحوا ••• احمد عرابي ، مصطفى كامل ، محمد فريد ، سعد زغلول والشباب الذين باعوا ارواحهم للفداء ••• على كل بقعة من ثرى الوطن » • بصورة غير مباشرة يذم الكاتب اولئك الذين يحاولون طمس تاريخ عبد الناصر والاساءة الى نضالاته ••• « وهكذا تحدث عبد الناصر، لم ينهش جثث من ماتوا •• ولم يحتكر الجهاد لنفسه ••• ولم يزيف التاريخ •• ذكر من سبقوه من الزعماء على درب الجهاد وفي احترام واكبار ••• كان رجلا عظيما يقدر العظماء » •

وينتقل بنا الكاتب بعد ذلك الى حرب السويس (١٩٥٦ ـ ١٩٥٧) فيبدأ بالبحث عن الاسباب التي دفعت باسرائيل

وبريطانيا وفرنسا لشن عدوانها الثلاثي على مصر . اهم هذه الاسباب او لعل اكثر هذه الاسباب بروزا كان تأميم قناة السويس الذي حرم بريطانيا وفرنسا من نهب الاموال التي تجنيها هيئة القناة. ويذكر الكاتب اسبابا اخرى مثل مساعدات عبد الناصر للثورة الجزائرية وهذا بالطبع لم يرض فرنسا . واسرائيل التي كانت تنظر الى مصر على انها عدوها الرئيسي فشاركت بالعدوان لتحطيم ذلك العدو .

ان الاسباب التي يذكرها الكاتب صحيحة ولكنها ليست الاسباب الوحيدة . فقد اخذت ممارسات عبد الناصر في تلك الحقبة تشكل خطرا مباشرا على المصالح البريطانية ليس في العالم العربي فحسب وانما في افريقيا كذلك . لقد عمل عبد الناصر في تلك الفترة على بناء وتعزيز الخط القومي العربي التحرري والذي لاقى تجاوبا هائلا في جميع انحاء العالم العربي . وقام بانشاء اذاعة صوت العرب التي قامت بالتحريض ضد الاستعمار والاستغلال الاجنبيين في العالم العربي وفي افريقيا ، حيث كانت هذه الاذاعة تبث برامج خاصة بلغات افريقية متعددة من بينها « الزولو » وهذا الامر لم يرض البريطانيين على الاطلاق فكان لا بد لهم من الاطاحة بنظام عبد الناصر قبل فوات الاوان . وبالنسبة لاسرائيل يذكر الكاتب ان من اهم اهدافها كان تامين حرية العبور في خليج العقبة . ومن المعلوم انه لم يكن في تلك الفترة اي وجود لميناء ايلات وبالتالي لم يكن يهم اسرائيل كثيرا تأمين حرية المرور في خليج العقبة . انما استخدمت هذه الحجة لاغراض دعائية لكي تستر على هدفها الاساسي وهو التوسع. فاسرائيل كانت تطمح الى ضم سيناء الى اراضيها وهو ما اعلنه بن غوريون صراحة في ذلك الوقت ، حيث اعلن عن ضم سيناء لاسرائيل بعد احتلالها مباشرة . ولكنه ما لبث ان تراجع عن ذلك ازاء الضغوط التي تعرضت لها اسرائيل من جانب الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية .

أسهب الكاتب في سرد التفاصيل الدقيقة للعمليات الحربية وللخطط العسكرية المختلفة التي طبقت في ذلك العدوان ويذكر ان القيادة السياسية في مصر لم تكن واثقة تماما من ان قوى العدوان الثلاثي ستقوم فعلا بالهجوم على مصر . والحقيقة ان الجميع كان يتوقع حدوث العدوان على مصر ، فبريطانيا وفرنسا كانتا قد بداتا حشد قواتهما في قبرص . وقد قامت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي بالاتصال بالبريطانيين والفرنسيين وحثهم على عدم الاقدام على عملهم . الا ان هذه الجهود لم تفلح ووقع العدوان والاحتلال ، وعندها تحركت القوتان العظميان واجبرت المعتدين على الانسحاب . وهنا ترتسم علامة استفهام كبيرة : لماذا اقدمت الولايات المتحدة على مثل هذه الخطوة ؟ يذكر الكتاب مجموعة من الاحتمالات قد تكون وراء هذا الموقف الاميركي : ربما تكون الولايات المتحدة قد رأت ان اسلوب الغزو بالقوة المسلحة ليس الاسلوب الامثل للخلاص من عبد الناصر ... او ان الولايات المتحدة لم ترض ان يعمل اصدقاؤها في الخفاء ، بعيدا عنها .. او قد تكون الولايات المتحدة تاثرت بالتهديدات السوفييتية واتخذت هذه الخطوة لكي تتحاشى صداما نوويا .

الحرب الثالثة التي خاضها عبد الناصر هي حرب اليمن (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥) . في معالجته لهذه الحرب استخدم امين هويدي اسلوبا مغايرا لاسلوبه في معالجة الحروب الاخرى التي خاضها عبد الناصر، فتراه هنا يحاول تقييم هذه الحرب ومدى تاثيرها على القوات المسلحة المصرية بوجه عام ودورها في حرب عام ١٩٦٧ بوجه خاص . لقد تناول هويدي هذه الحرب بشكل تحليلي وليس فقط كاحداث

تاريخية متسلسلة يسردها بالتفصيل دون ان يحاول الاستنتاج او استنباط العبر ، كما فعل خلال تعرضه للحروب الاخرى ·

يرى الكاتب ان حرب اليمن لم تؤثر سلبيا على القوات المسلحة المصرية مثلما حاول البعض ان يروج · ولم يكن لهذه الحرب اي تاثير على الوضع القتالي للقوات المصرية في حرب ١٩٦٧ حيث لم يكن هناك اي وجود لقوات المدرعات في اليمن او لقوات الدفاع الجوي ، وبالنسبة للطيران فقد كان هناك عدد محدود من القاذفات · اذن القوة الضاربة الرئيسية للجيش المصري كانت في مصر لدى نشوب القتال في حزيران ١٩٦٧ · وبالنسبة للتدخل المصري في اليمن ، ان التدخل المصري في اليمن لا يجوز ان ينظر اليه الا من زاوية واحدة فقط · انه تكريس للخط القومي العربي الذي رفع لواءه عبد الناصر فالقوات المصرية انما ذهبت الى اليمن لتقديم العون لشعب اليمن وثورته التي قامت لتنقله من عالم الظلمات الى نور الحضارة الانسانية · ذهبت تلك القوات للقيام بواجبها نحو شعب اليمن كجزء من الامة العربية الواحدة التي كان عبد الناصر يعمل لاجلها ·

وناتي بعدها الى حرب ١٩٦٧ وهي اهم حرب خاضها عبد الناصر اذ لا نزال نعاني من اثارها ليومنا هذا · يكشف الكتاب معلومات هامة حول ما كان يجري على الجبهة المصرية وداخل مصر قبل واثناء تلك الحرب · فالظروف التي وقعت فيها الحرب ، وكما يعلم الجميع ، لم تكن تسمح بوقوع مفاجاة ومع ذلك حدثت تلك المفاجاة · قبل الحرب كان عبد الناصر قد اغلق خليج العقبة بوجه الملاحة الاسرائيلية وطلب من قوات الطوارىء الدولية في سيناء الانسحاب لتحل محلها القوات المصرية · وحشدت القوات المصرية بكثافة وكان من المفروض ان تكون هناك حالة الاستنفار القصوى في صفوف القوات بمختلف فصائلها البرية والجوية والبحرية ، ومع ذلك حدثت المفاجاة · يحمل امين هويدي مسؤولية ما حدث للقيادة العسكرية ويشير في ذلك المجال الى مجموعة نقاط كلها تؤدي الى نفس الاستنتاج : ان القيادة العسكرية المصرية تتحمل المسؤولية الكاملة لهزيمة حزيران ١٩٦٧ · فعندما بدا الهجوم كان اركان الجيش وعلى رأسهم المشير عبد الحكيم عامر على متن طائرة في طريقهم الى سيناء لتفقد القوات بدلا من ملازمة مقر قيادتهم والاشراف على العمليات ، علما ان الرئيس عبد الناصر كان قد نبه القيادة الى احتمال وقوع الهجوم صباح يوم الخامس من حزيران !! هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى يشير هويدي الى حادث لم يكشف النقاب عنه من قبل وهو ان العمليات العسكرية الاسرائيلية لم تبدأ بالضربة الجوية كما يعتقد الجميع · فقد قامت طلائع القوات الاسرائيلية على المحور الاوسط في سيناء بهجوم بري على احد المواقع المصرية الامامية انتهى باحتلال الموقع وكان ذلك في الساعة السابعة والربع صباحا اي قبل الهجوم الجوي بسبعين دقيقة · وكانت المواقع الامامية المصرية قد نقلت لقياداتها معلومات مفادها ان العدو يقوم باجراءات الفتح لقواته استعدادا للهجوم · ومع ذلك لم تحرك القيادة المصرية ساكنا · وهناك ايضا المعلومات المغلوطة التي قدمها قائد سلاح الجو للرئيس عبد الناصر · كانت تقديرات قائد السلاح الجوي تفيد ان خسائر سلاح الطيران المصري لن تتجاوز ١٠ ـ ١٥٪ من قوته في حال قيام اسرائيل بتوجيه الضربة الجوية الاولى ، فجاءت الضربة وكانت النتيجة تدمير سلاح الجو باكمله وهو على الارض · وبعد تدمير السلاح الجوي اعطت القيادة العامة امرا للقوات بالانسحاب الى غرب القناة خلال ٢٤ ساعة · وهذا القرار كان بمثابة المهزلة اذ من غير المعقول ان يتم سحب هذا الحشد الهائل من البشر والاليات

بشكل عشوائي الى غرب القناة خلال ٢٤ ساعة فالطرق والجسور لهـا قـدرات محدودة للتحمل ومن المستحيل مرور كل هذه القوات بدون اي تنظيـم وبـدون انسحاب عسكري منظم يقلل من الخسائر الفادحـة التي منيت بها · كـان اول عمل قام به عبد الناصر بعد الهزيمـة هو تنحية القادة العسكريين المسؤوليـن عن النكسة التي حدثت · وقام باعـادة تنظيم وتسليح القوات المسلحة · وهنا لا بد من الاشارة الى الدور الايجابي الذي لعبه الاتحاد السوفييتي في عملية اعـادة بناء القوات المسلحة المصرية · فقد قـام الاتحاد السوفييتي بتزويد مصر بكـل متطلباتها من الاسلحة الامر الذي استدعى في بعض الاحيان سحب بعض القطع مـن ايدي الجيش السوفييتي نفسه لتزويـد المصريين بها · وحشدت القوات المصريـة على قناة السويس ونقل حائط الصواريـخ الى الضفة الغربية للقناة ، وكلنا نعـلم الدور الذي لعبته هذه الصواريخ في حرب تشرين عام ١٩٧٣ · وبعد حشد القوات وتجهيزها بدأت حرب الاستنزاف ضـد العدو على قناة السويس والتي استمرت حتى وفاة عبد الناصر في ٢٨ ايلـول (سبتمبر) ١٩٧٠ ·

وفي الختام لا بد من الاشارة الى ان الكتاب حافل بالمعلومـات والتفاصـيل الدقيقة لمختلف الحروب التي خاضها عبد الناصر ، ولكن الكاتب جعل جل اهتماماته سرد الاحداث والتفاصيل ولم يحاول تناول الجوانب السياسية لتلك الحروب الا بشكل سطحي وعابر · والكتاب بمجمله جـاء بمثابة دفاع عن عبد الناصر ، اذ تكاد لا تمر فقرة الا ويشير فيها الكاتب الى انهم ظلموا عبد الناصر وان عبد الناصر فعـل كذا ولم يفعل كذا ··· الخ · على ايـة حال فان الكتاب يعتبر كتابا هامـا لانه يكشف الكثير من ايجابيـات الرئيس عبد الناصر التي دأبت بعـض القوى في مصر ومنذ فترة طويلة علـى محاولة طمسها وتشويه تاريخ ونضـالات القائد الراحل ·

زاهي الاقـرع

نزيه قورة

المشروع الصهيوني في مواجهة ازمته الداخليـة

مؤسسة الارض للدراسـات الفلسطينية ـ دمشق ١٩٧٧

لم ، ولن تكون الوطنية نقيضا للحقيقة · وان نكن وطنيين وثوريين ، فهذا لا يعنـي ان لا نكتشف سوى السلبيات عنـد بحثنا في الشؤون الاسرائيلية وعندما نسجـل نقاط القوة في الكيان الصهيوني فهذا لا يضعنا في قائمة الخونة ·· فبلا معرفـة دقيقة بالخصم ، من الصعب رسم سياسة مواجهة صحيحة ، هذا اذا توفرت النيـة للمواجهة ، نقول هذا في بداية عرضنـا وتعليقنا على كتاب المشروع الصهيوني في مواجهة ازمته الداخلية ، للزميل نزيه قورة الباحث في مؤسسة الارض للدراسـات الفلسطينية ـ دمشق ·· الذي وعلى مساحة ٢٧١ صفحة من الحجم المتوسط ، المتخمة بالاستشهادات الاسرائيلية ، يطمئننا بأن المشروع الصهيوني في ازمة داخليـة ،

يستحيل حلها ٠٠ كما ويحكي لنا عن « التآكل » و « الاضمحلال » و «التصدعات» و « الشروخ » و « تركز العاملين في قطاع الخدمات » وكيف « يتصدع المجتمع » وتحدث « الحرب الاهلية » و « الطبيعة اللامنتجة » ٠٠٠ الخ من الاستنتاجات التي تعيد الى الاذهان النغمة التي كانت سائدة قبل ١٩٦٧ ، ولم تتوقف الا بعد وقوع النكسة ، وكذلك حديث الرئيس انور السادات الذي « صدر الازمة والتمزق الى اسرائيل » ، واذا بها تترجم بحرب اهلية في لبنان ٠٠ وحوادث طائفية في مصر ٠ ويعلم الله اين ستكون في المستقبل ، وعلى اية حال ، فبرجنسكي مستشار الرئيس الامريكي ، للامن القومي يقترح تعميم التجربة اللبنانية السياسية مقترحا انشاء دويلات طائفية ، وبالتاكيد ففي ذهنه احلام حروب طائفية جديدة ٠٠٠

المسافة والنتائج بين الانبهار ، والاستخفاف بالكيان الصهيوني هي واحدة ، فالانبهار يقود الى الاحساس بالعجز ، وبالتالي فلا طريق سوى الاستسلام والا فالبديل ، حرب ابادة تتهددنا !!! وهذه مدرسة في فهم الشؤون الاسرائيلية ليس مجال مناقشتها الان٠٠٠

والاستخفاف يؤدي النتيجة نفسها ، وان اختلفت الوسائل ، فعدم معرفة قدرة العدو ، يؤدي الى عدم الاعداد بشكل مناسب ، يؤدي الى هزيمة لا محالة ٠٠ وفي النهاية ، فلا فرق في النتائج بين ان نهزم انفسنا طوعا ونستسلم وبين ان نعد انفسنا بمستوى ، لا يمكن ان يؤدي بنا الى هزيمة ٠٠ واخطر من ذلك ان ننام على احلام وردية ، تقول لنا ٠٠ « توقفت الهجرة من الخارج بصورة شبه تامة ، وبدات عملية نزوح الى الخارج تتسع باستمرار ٠ هذا التطور بالاتجاه العكسي هو السمة الاساسية التي تميز المشروع الصهيوني في مرحلته الحالية ٠ وهو التطور الوحيد الممكن في المرحلة المقبلة ٠٠»

« التطور الوحيد الممكن في المرحلة المقبلة هو الهجرة للخارج » ، هكذا يقدم السيد حبيب قهوجي ، دراسة الزميل قورة الذي بدوره يتبئنا في صفحة ٢٧٠ « بانه بفضل مشارفة الاوضاع المؤقتة على الانتهاء نستطيع ان نرى اكثر من ٣٥٠ الف يهودي يعيشون في الولايات المتحدة وكندا بعد ان غادروا المشروع الصهيوني ولا ينوون العودة اليه ٠ ونستطيع الان ان نرى ما بين ٢٠ ـ ٣٠ الف يهودي (اسرائيلي) يغادرون الكيان الصهيوني سنويا الى البلدان الغربية وفي الافق تبدو كل الاشارات الدالة على ان هذه الارقام سوف تزيد ، في حال توفر مراكز استقبال » ٠٠ ويتوقع « ان تتفاقم مشكلة الطاقة البشرية في المشروع الصهيوني مع استمرار توقف الهجرة من الخارج ٠٠ وان مرور خمس سنوات على حالة توقف الهجرة من شانه ان يحول التصدعات الى شروخ ٠٠ » ص ٢٧١ ٠

هذه النتيجة التي يخلص اليها الكاتب، استنادا الى ان المشروع الصهيوني يواجه ازمة داخلية تجعلنا نستخلص ان الازمة التي يتحدث عنها هي « ازمة وجود » واضمحلال بمعدل ٢٠ ـ ٣٠ الف سنويا مرشحة للتزايد !!

ولكن ما هي مكونات الازمة واسبابها ودوافع المستوطن للهجرة ؟! هنا المسالة التي تستدعي تدقيقا لنحدد معنى كثير من المصطلحات ، وحجم الازمة ومقدار الاضمحلال والتآكل ٠٠ الخ ٠ فالازمة براي الزميل قورة تبدأ مع توقف الهجرة ، حيث يتوقف نشاط الاقتصاد ، لا تجد المؤسسة العسكرية حاجتها من البشر ٠ انهيار الاوضاع الاقتصادية يؤدي الى هجرة

مضادة ٠٠ الخ ٠ ولكن هل المسألة بهذا المقدار من الميكانيكية ٠٠٠

ان تناول موضوعا بخطورة الموضوع الذي نحن بصدده يستدعي دقة متناهية ، مع الاسف الشديد لم يتوفر للزميل قورة حتى الحد الادنى منها ٠ وان الدقة التي نسائل الزميل عنها تتعلق بتحليله للوضع القائم حاليا والذي بنى عليه الكثير من النتائج ٠ والمسألة المركزية بتقديري هي ما اصطلح على تسميته بالقاعدة التحتية لمجتمع ما٠- كيف تتكون ، ما هي حقيقة اوضاعه الاقتصادية ـ الاجتماعية؟! وهي عنصر حاسم في موضوع الهجرة للخارج ٠ وهل صحيح حديث الزميل قورة عن الطبيعة اللاانتاجية للمستوطنين الصهاينة ؟ صحة نتيجة الزميل مشروطة بصحة المقدمات التي انطلق منها ، وهنا مع الاسف لم يحالفه الحظ ٠٠

يقول الكاتب ، « اذا زاد حجم العاملين في قطاع الخدمات عن قدرة القطاع المنتج فلا بد ان يتصدع المجتمع وتحدث الحرب الاهلية ص ١٠٠ التساؤل الذي يطرح فورا، كيف يمكن لنا قياس «تصدع» المجتمع ٠٠٠ و « الحرب الاهلية » ما هو المعيار ؟٠ كيف يزداد الشرخ ٠٠ التصدع ٠٠ وكيف « تحمي » نار الحرب الاهلية ؟ بمقدار اختلال النسبة بين المنتجين وغير المنتجين ٠٠ بين قطاع الخدمات والانتاج ٠ والدقة في رؤية التصدع مرهونة بمقدار الدقة في رؤية الخلل بين الانتاج والخدمات ٠

الكاتب اشار الى « المجموع العام للمستخدمين البالغ ٩٩٣ر٨ الف مستخدم في قوة العمل المدنية لعام ١٩٧٥ » ص٩٤- « القطاع غير العامل في القطاعات المنتجة تبلغ نسبته حوالي ثلاثة ارباع مجموع قوة العمل٠٠ ص٩٤» لانستطيع الا ان نعتبر « حوالى ثلاثة ارباع » تساوي أقل او اكثر قليلا من ٧٥٪ ولذا فلن نرجح الكثر او اقل ، وسوف نعتبرها ٧٥٪ ، رغم اننا نرجح ان الزميل قورة يميل الى اعتبار النسبة اقل ، فله راي سابق تضمنته المذكرة التي قدمها لمؤتمر اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين المنعقد في تونس في بداية العام الحالي ، يقول بالمذكرة « قطاعات الانتاج الاساسية وهي الزراعة والبناء والصناعة المدنية التحويلية تكاد تخلو خلوا شبه تام من العمال اليهود ٠٠»

٠٠٠ حسنا لنعتبر ان نسبة قطاع الانتاج تساوي ٢٥ ٪ ، اي ما يساوي ٢٤٨ر٤٥ الف عامل ٠

الزميل حدد قطاعات الانتاج بانها الزراعة ، الصناعة ، البناء ٠ فما هي نسبة العمال اليهود انها تساوي (٥ر٤٪ ٢٥ر٢٪ ٦ر٤٪) ٣٧٪ ، اي ٧٠٦ر٣٦٧ الف عامل اي بزيادة تبلغ ٢٥٦ر١١٩ الف عامل عن العدد الذي حدده الكاتب اي ما يساوي ١٢٪ من القوة العاملة اليهودية المدنية ٠٠ فلماذا اسقط الزميل « حوالي » ٢٥٦ر١١٩ الف عامل من ٩٩٣ر٨ الف عامل ؟؟! لا اشك للحظة واحدة ان الزميل لا يعرف معنى ٢٥٦ر١١٩ الف ٠٠ اي ١٢٪ وهي نسبة لا تضيع تحت تعبير « حوالي » ٠٠ فهي التي تحدد حجم الخلل في البنية التحتية للاقتصاد الاسرائيلي واستطرادا لذلك البنية الاجتماعية الاسرائيلية وبالتالي حجم « التصدع » و « الحرب الاهلية » التي تحدث عنها الكاتب ٠ وهذا الخطأ ، سحب نفسه على كافة استنتاجات الزميل قورة ٠

المسالة الثانية التي تستدعي توقفنا منا ، وتتعلق بصحة الارقام التي قدمها الكاتب واستطرادا صحة النتائج التي توصل اليها لتأكيد مقولته عن تبعية الاوضاع الاسرائيلية الداخلية للهجرة من الخارج ، حيث يقول « ان ارقام الهجرة

اكثر من اي مؤتمر اخر ، هي التي تقرر الوضع العام للكيان الصهيوني ص٨٨ «وانه كلما انخفضت ارقام الهجرة تضاءل النضال الاقتصادي » ٠

السؤال ، من يتبع من ، الداخل للخارج ، أم ان العكس صحيح !؟ نتفق مع الكاتب على اهمية الهجرة بالنسبة لاسرائيل ، فلولاها لما قامت ، ولكن فيما لو توقفت الهجرة الى اسرائيل ، هل يعني هذا توقف المشروع الصهيوني واضمحلاله وتآكله ؟! استطرادا لحديث الزميل قورة عن عام ١٩٦٥ ، « الذي يشكل عاما حاسما في تاريخ المشروع الصهيوني ففي ذلك العام انتهت اخر موجات الهجرة الكبيرة ص ٩٥ فقد اعتبره « عام بداية سير المشروع الصهيوني فيطريق التآكل والاضمحلال٠٠»

ولكن الاضمحلال والتآكل انتهى الى توسع فـ « المشروع الصهيوني تمكن منان يوقف هذه المسيرة عام ١٩٦٧ ، وان يخلق حالة من الانتعاش بفضل الهجرة اليهودية السوفياتية وبفضل احتياطي العمل العربي فيالاراضيالمحتلة ص١٠١«ولكنبعد ان تم استنفاد العمل العربي وتبين ان الهجرة السوفياتية لم تكن هي المادة البشرية التي يحلم بها اصحاب المشروع الصهيوني ٠٠ وخاب الامل الصهيوني الذي كان معلقا عليهم ٠٠ عاود المشروع الصهيوني مسيرته نحو التآكل والاضمحلال ص١٠٢» واماكيفامكن« خلق حالة من الانتعاش بفضل الهجرة اليهودية السوفياتية » و « خاب الامل الصهيوني الذي كان معلقا عليهم ٠٠ » فذلك سؤال لا يجيب عليه ٠ الكاتب يقول بسأن سبب الانتعاش كان الهجرة السوفياتية واستيعاب اليد العاملة العربية ولكن بعد خيبة الامل بالهجرة السوفياتية ، واستنفاد العمل العربي ٠٠ عادت الازمة ٠٠ اذا من المسؤول عن وقف « التآكل والاضمحلال بين ٦٥ ــ ٧٤ ؟! » ٠ اي لمدة عشر سنوات

وهي فترة زمنية تبلغ ضعف المدة التي توقع الكاتب ان تتحول بها الشروخ الى تصدعات ٠ بعد اسقاط عامل الهجرة (خيبة الامل باليهود السوفيات) السبب الوحيد الباقي الذي اوقف التآكل هو اليد العاملة العربية ٠٠ اذا كان الامر كذلك فاين الصحة بالقول عن « ان ارقام الهجرة اكثر من اي مؤثر اخر ، هي التي تقرر الوضع العام للكيان الصهيوني» ٠٠٠ الخ ٠٠ وانه كلما انخفضت ارقام الهجرة تضاءل النشاط الاقتصادي ٠٠٠ الخ » ٠

لقد اخطأ الزميل قورة وقلب المعادلة ، فاستجلاب مزيد من المهاجرين يستدعي قدرة على الاستيعاب ، الامر الذي يؤكد تبعية الخارج للداخل وليس العكس ٠ والامل لم يخب بالمهاجرين السوفيات او بغيرهم حيث نسبة الاكاديميين مرتفعة ،

وكان على الزميل قورة ان يحاول اكتشاف العلاقة بين المزيد من المهاجرين ، والمزيد من اليد العاملة العربية ، وارتباط توقف الاولى بنفاد الثانية ، ونضيف من عندنا ، استكمال هضم السوق العربية التي وفرتها لاسرائيل هزيمة ١٩٦٧ ٠

فالمهاجرون ، يتمتعون بمؤهلات علمية عليا ، ولاستيعابهم بشكل متوازن ، يجب توفير يد عاملة غير فنية ٠ وهذا ما وفرته اليد العاملة العربية غير الفنية ، هذه هي العلاقة بين توقف الهجرة ونفاد العمل العربي ٠

وهذا يقودنا الى مسألة خطيرة اخرى وضعها الكاتب بصيغة خاطئة ، الا وهي العلاقة بين العمل العبري والعمل العربي والمجتمع اللا منتج٠٠

فقد سبق ان تبين لنا ان ٣٧٪ من اليد العاملة الاسرائيلية تعمل في قطاع الانتاج فهل صحيح قول الزميل قورة عن

ان العمل في الزراعة والصناعة والبنـــاء يؤدي الى « اكتساب مهارات لا علاقـــة لها بالارض بالمصنع ولا بأدوات البناء ص ١٠٠ » والكاتب عندما يتحدث عن المهارات المكتسبة الا يستدعي الامر منه التوقـف قليلا امام النسبة العالية جدا مـــــن الاكاديميين ، وهل « الاكاديمية » لا تعني اكتساب مهارات ؟!

انه يقول « في مقابل اتجاه السكـــان اليهود ٠٠ نحو استعادة خصائص الغيتو اليهودي ، يتجه السكان العرب في فلسطين المحتلة الى استعادة صفات المجتمـــع المتكامل والمنتج وهكذا ينشأ وضع فـــي فلسطين المحتلة يكون فيه مؤتمعان :مجتمع منتج ومتكامل وهـــو المجتمع العربي ، ومجتمع غير منتج وتنقصه القاعـــدة البشرية الانتاجية ٠٠ المجتمع العربـــي ضروري ولازم لان الارض والمصنـــع وعملية البناء تحتاجه ٠ اما مجتمـــع السكان اليهود فمجتمع فائض عن الحاجة : لا الارض تحتاجـه ولا المصنع يحتاجه ولا البنـــــاء يحتاجـــــه ٠٠ » ص ٩٩ ماذا تعني كلمة « فائض عـــن الحاجة » و « مجتمع منتج متكامل » انهـــا تعنـي ببساطة ان اسرائيل ، بما فيها ، من يسد عاملة فنية ، غير ضرورية ولا تؤدي اي دور ، لدرجة انه يمكن الاستغناء عـــن الدور الانتاجي الذي يؤديه العامـــــل اليهودي ، دون ان تتضرر العمليـــــة الانتاجية فيما لو استمر العامـــل العربي في تأديـــة دوره ، لان الاول « فائض » والثاني ضروري ٠

هنا اخطأ الزميل في وضع المسألـة ٠ فضرورة وحيوية دور العامـــل العربي لا يعني الغاء دور العامل اليهودي ، ودور اي منهما لا يلغي دور الاخر ، بل يتكامـل معه لاتمام العملية الانتاجية ٠ والتقسيـم ليس على اساس « فائض » و « ضروري » بل على اساس عمل فني وعمل غير فني ٠ الاول يهودي والثاني عربي ولكن هل العمل الفني غير ضروري ٠ وهل مهندس البناء اقل اهمية من عامل البناء ٠٠ واذا كان العامل ضروريا ، لكن هل وجود المهندس « فائض » ؟ ولا يعتبر دوره منتجا ؟ ٠

هنا يكمن سر العلاقة بين مزيد مـــن المهاجرين وبين مزيد من اليد العاملـــة العربية ٠٠٠ وهنا يكمن اصرار دولـــة العدو على المضمون الاقتصادي للســـلام بينهما وبين العرب ٠٠

ان قراءة دقيقة في ارقام ومعـــدلات الانتاج القومي والهجرة تبين لنا بشكـل واضح خطأ مقولة الزميل قورة عن تبعية الداخل للخارج ، مرتكزا على ارقـــام ومعطيات الفترة بين ١٩٦١ ــ ١٩٦٤ ٠ مع اهمية الفترة التي تناولها الزميـــل قورة ٦١ ــ ٦٤ ، ولكن لنقف امام ارقـام الهجرة لاسرائيل في ضوء ارقام ومعدلات الانتاج القومي بوصفها المعبرة عن النشاط الاقتصادي ٠

وفيما يلي عدد المهاجرين بالالاف ونسبة الزيادة التي حققها الانتـــاج القومـــي بالاسعار الثابتة للاعوام ١٩٥١ ــ ١٩٧٣، ١٩٥١ ، ١٧٣ر٩٠١ ، ٣٩٪ » ١٩٥٢ ، ٢٣٣٧٥ر٤٪،» ١٩٥٣ ، ١٠٣٤٧ ، ٢٪ ، » ١٩٥٤ ، ١٧ر٤٧١ ، ٢٠٪ ، » ١٩٥٥ ، ٣٦ر٣٠٣ ١٤٪ ، » ١٩٥٦ ، ٥٤ر٩٢٥ ، ٩٪ ، » ١٩٥٧ ، ٦٩ر٧٣٣ ، ٨٪ ، » ١٩٥٨ ٢٥ر٩١٩ ، ٧٪ ، » ١٩٥٩ ، ٢٢ر٩٨٧ ، ١٢٪، » ١٩٦٠ ، ٢٣ر٤٨٧ ، ٦٪، » ١٩٦١ ٤٦ر٥٧١ ، ١٠٪ ، » ١٩٦٢ ، ٥٩ر٤٧٣ ، ١٠٪ ، » ١٩٦٣ ، ٦٢ر٠٨٦ ، ١١٪ ، » ١٩٦٤ ، ٥٢ر١٩٣ ، ٩٪ ، » ١٩٦٥ ، ٢٨٥٠١ ، ٩ ٪ ، » ١٩٦٦ ، ١٣٤٥١ ، ١٪، » ١٩٦٧ ، ١٢٢٣٧ ، ٢ ٪ ، » ١٩٦٨ ، ١٨٠٨٧ ، ١٣٪ ، » ١٩٦٩ ، ٣٢ر٦٧٩ ، ١٠٪ ، » ١٩٧٠ ، ٢٩ر٩٦١ ، ٧٪ ، »١٩٧١ ٣٦ر٢٠٥ ، ٩٪ ، » ١٩٧٢ ، ٥١٥٦٤ ، ٩٪،

« ١٩٧٣ ، ١٢٥ر٥١ ، ٥ر٥٪ » ٠

في ضوء ما تقدم لنناقش صحة القول عن « انه كلما ارتفعت ارقام الهجرة ٠٠ ازداد النشاط الاقتصادي ٠٠! وكلما انخفضت ارقام الهجرة تضاءل النشاط الاقتصادي ٠٠٠ وبعبارة اوضح « ان عملية النمو الاقتصادي في الكيان الصهيوني ، تتم اساسا بفضل وعلى حساب المهاجرين اليهود ٠٠ » حسب قول الكاتب ٠

هل هذا الكلام دقيق ؟ لماذا اختار الزميل قورة الفترة بين ٦١ ـ ٦٤ فقط ٠ لماذا؟ الازمة والاضمحلال والتآكل بدأت في ٦٥ حيث بلغت الهجرة الاجمالية ٢٨٥٠١ ، وليس عام ١٩٦٦ او ١٩٦٧ ، حيث هبطت ارقام الهجرة الى ٢١٣٤٥١ ، و ١٢٢٣٧ ، وفي حين كانت عام ٦٥ ١ ٢٨٥٠ مقابل ٥٢١٩٣ ، مهاجر عام ١٩٦٤ ، فان نسبة تزايد الناتج القومي للسنتين المذكورتين كانت ٩٪ ، واكثر من ذلك ففي حين حقق العام ١٩٦٧ هجرة اقل بالقياس للعام ٦٦ ، فقد حقق تزايدا في الناتج القومي يبلغ ضعف المعدل الذي حققه عام ١٩٦٦ ٠ ولو عدنا الى الخلف قليلا ، للاعوام ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ ، فقد حققت الهجرة قفزة جديدة بلغت ٢٠٢ر٣٦، ٩٢٥ر٥٤ ، ٧٣٣ر٦٩ الف مهاجر على التوالي ، وذلك في اعقاب عام ١٩٥٤ حيث لم تبلغ فيه الهجرة سوى ٤٧١ر١٧ مهاجر وفي ذلك العام حقق الناتج القومي زيادة تبلغ ٢٠٪ وهي نسبة تزايد مذهلة فيما لو قورنت بالنسبة التي كانت عام ١٩٥٣ حيث انخفض الناتج القومي عن عام ٥٢ بـ ٢٪ ٠ السؤال الذي يطرح ، لماذا ٤٧١ر١٧ الف مهاجر عام ٥٤ يساوون ٢٠٪ زيادة في الانتاج القومي عن العام السابق و ٤٥١ر١٣ الف مهاجر سنة ٦٦ لا يرفعون الناتج القومي الا بـ ١٪ ؟ ٠

ولنتقدم قليلا للعام ١٩٦٨ ، حيث حقق الناتج القومي زيادة تبلغ ١٣٪ ، رغم ان عدد المهاجرين لم يبلغ سوى ٠٨٧ر١٨ الف مهاجر ، هي زيادة عادية في عدد المهاجرين ، في حين لم تتحقق نفس النسبة سوى بالعامين ١٩٥٥ ، ١٤٪ ، ١٩٥٤ ، ٢٠٪ ٠ علما بان اليد العاملة العربية التي استوعبها الاقتصاد الاسرائيلي في ذلك العام كانت اقل من ٩ الاف عامل ٠

المعيار الذي وضعه الكاتب لا يفسر لنا لماذا الصعود في الناتج القومي عام ٥٤ ، وبداية الهبوط سنة ٦٥ ، وعودة الصعود سنة ٦٧ ثم ٦٨ انتهاء بالعام ٧٥ حيث انخفض الناتج القومي حتى وصل المعدل الذي كان عليه سنة ١٩٥٢ وسنة ١٩٦٦ ٠ هل سبب الصعود والهبوط في النشاط الاقتصادي (الناتج القومي) كما يقول الزميل قورة لانه « يحمل المهاجرون معهم اموالا بالعملة الصعبة وعند استقرارهم يحتاجون للمساكن وعند شرائهم للمساكن يحتاجون لتأثيثها ، وكل هذا يخلق طلبا على هذه الضروريات ويؤدي الى انعاش ٠٠ قطاع البناء ٠٠ (و) توسيع حجم السوق الداخلي » ! اذا كان هذا هو السبب ولكن مهاجري اعوام الذروة ١٩٦١ ـ ١٩٦٤ والتي سماها اعوام الهجرة الكبيرة كانوا يضمون ١٣٦ الف مهاجر من المغرب العربي ، يصف الكاتب وضعهم فيقول : « يتميزون بالميزات التالية : ١ ـ الفقر ٢ ـ الامية ٠ ٣ ـ عدم القدرة على العودة الى بلدانهم الاصلية » ص ٩٦ ٠ اي انهم لا يحملون عملة صعبة ، ٠٠ وكذلك الامر بالنسبة لمهاجرين من الاتحاد السوفياتي٠ ورغم هذا تزايد الناتج القومي ٠ ان وضع مهاجري ٦١ ـ ٦٤ ، الفقراء والاميين ، والمهاجرين السوفيات القادمين بلا دولارات لا ينطبق على معيار الزميل قورة عن المهاجرين والعملة الصعبة والسوق

الداخلي · اذا ما هو التفسير ؟! وما هو سر صعود الاقتصاد الاسرائيلي منذ سنة ٥٤ الى ٦٥ وركوده بين ٦٥ ـ ٦٦ وبداية صعوده بين ٦٧ ـ ٧٣ ؟!

البداية في ٥٤ والنهاية في سنة ٦٥ ·· العامان هما بداية ونهاية تنفيذ اتفاق التعويضات الالماني الغربي لاسرائيل ، وتصنيع دولة العدو ، وزيادة امكانياته على الاستيعاب ·· ولهذا السبب قفزت نسبة تزايد الناتج القومي من ٢٪ عام ٥٣ الى ٢٠٪ عام ٥٤ وحافظت على نسبة تزايد عالية للسنوات ٥٥ ـ٦٥ · ومع نهاية الاتفاق سنة ٦٥ هبطت لـ ١٪ فقط. عام ١٩٦٦ ·

ان اكتمال برنامج التصنيع سنة ٦٥ كان يحتاج للسوق بالدرجة الاساسية وللمهاجرين بالدرجة الثانية ، لذا وخلال عام واحد بعد الحرب (١٩٦٨) اختفت البطالة ، قفز الناتج القومي ليبلغ ١٣٪ زيادة على العام السابق ·

ان ظاهرة النهوض الاقتصادي الاسرائيلي الذي بدا مع بداية برنامج التعويضات · وانتهى مع نهايته ، والذي عاد مع وفرة السوق سنة ٦٧ ـ ٦٨ وعاد للجمود سنة ٧٣ ـ ٧٤ مع اكمال هضم المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ (سوقا وايد عاملة) والذي عكس نفسه على ارقام الهجرة ، تجعلنا ايضا نقف امام سنوات معينة تشكل شذوذا في مسيرة اسرائيل على صعيدي الاقتصاد والهجرة ، الا وهي سنوات ١٩٧٠ (حرب الاستنزاف) و١٩٧٣ (حرب تشرين) فزيادة الناتج القومي عام ٧٠ كانت ٧٪ في حين بلغت ١٠ و٩٪ للسنتين السابقة واللاحقة (٦٩ و ٧١) وكذلك الامر على صعيد الهجرة (٢٢٦٧٩ ، ٢٩٩٦١ ، ٢٦٢٥٠) للسنوات ٦ ، ٧٠ ، ٧١ ·· والشيء نفسه حيث النسبة للعام ١٩٧٢ ·

ان ما تقدم يجعلنا نخلص بشكل جازم الى تبعية الهجرة الى ومن اسرائيل بالاوضاع الاقتصادية والامنية وليس العكس ·

ان مسار الامور، والوقائع الحسية التي بين يدينا تشير بشكل لا يقبل الجدل الى ان استمرار تدفق الهجرة من الخارج يتوقف على توفر اوضاع داخلية مناسبة لاستيعاب مزيد من المهاجرين الجدد بالشكل الذي يجعل من مجيئهم لارضنا المحتلة « ارتقاء طبقيا » حسب ما وعدهم به تيودور هرتزل في كتابه دولة اليهود ·· والهرم الاجتماعي المقلوب لا يمكن له ان يتوازن الا اذا ضمن مزيدا من الاسناد لقاعدته الضيقة ، وذلك بالتهام مزيد من اليد العاملة العربية غير الفنية لتوازن الفائض في اليد العاملة اليهودية الفنية ·

اننا لا نستطيع الا ان نفرق بين وجود الكيان وامكاناته على التوسع ، وعجزه عن تحقيق الثانية ؟ هل سيؤدي الى نفي الاولى · وهي اخطر فرضية ـ نتيجة طرحها الزميل قورة والتي تبرز في اكثر من موقع ، وتشكل روح مقالته تلك انما هي حديثة عن توقف الهجرة و اضمحلال الكيان الصهيوني في فلسطين · بشكل بدا معه ، وكان توقف الهجرة يعني بداية اضمحلال اسرائيل ·

الاضمحلال بالمعنى اللغوي ، يعني انتهاء الوجود هكذا وبشكل آلي وتحديد البداية يجعل من السهل تحديد نهاية

عملية الاضمحلال · وبكلمة اخرى فالزميل قورة هنا لا يضع هذه المسالة بوصفها حتمية تاريخية بل يشرطها بتوقف الهجرة ·· وهنا علينا ان نطرح التساؤلات التالية :

ـ اذا كان ينطبق على اسرائيل ما ينطبق على مجتمعات المستوطنين

وبالتالي فان « وجود الكيان » قد ارتبط بالمهاجرين فهل يكف الكيان عن الوجـود فيما لو توقفت الهجرة ·· وهل « انشاء الكيان » في فلسطين او روديسيا او جنوب افريقيا ، كان بسبب تدفق المهاجرين ام توفر مجال للاستغلال وتكوين مجتمـــع سادة وعبيـد ·

ـ فيما لو نجحت الحركة الصهيونيـة في تجميع يهود العالم قاطبة في فلسطين، وهذا يؤدي الى توقف الهجرة ايضا ،فهل هذا يعني ايضا ان الكيان الصهيونـــي سيبدأ عندها بالاضمحلال والتآكل ·

ـ هل « مبدأ » وجود الكيان يرتبـــط « بحجم الكيان » · كيان عدد سكانـــه ١٫٠١٢ مليون نسمة ٤٩ ام كيان سكـان ١٫٨٥٨ سنة ٥٩ ام كيان سكانه سنـة ٦٩ ، ٢٫٤٩٦٫٤ مليون ام كيان سكانـــه ٢٫٩٥٩٫٤٠٠ مليون سنة ٧٥ ؟ ام كيان عدد سكانه عشرة او خمسة عشر مليونا ·· هل انتفى المبدأ رغم تبدل الارقـــام · ام ان التبدل قد اصاب حجم وامكانيات الكيـان ·

اذا كانت مجتمعات المستوطنين قـــد ارتبطت تاريخيا ببحث المستوطنين عـــن فرص استغلال جديدة ، وتوسع الهجـرة مع توسع مجالات الاستغلال فهل هـــذا يعني ان « نفاد » فرص الاستغلال وعـــدم وجود مجالات جديـــدة يعني الغـــاء للمجالات القديمة ـ للمستوطنية القدم ·· وهل كان رحيل (السادة البيض) عـــن انغولا وموزمبيق وقبلهما الجزائر كـــان بسبب توقف الهجرة اليهما ، ام بسبـــب انتصار الثورة ، وانتفاء فرص الاستغلال·
فيما لو افترضنا ان الهجرة لاسرائيـل قد توقفت كليا وبقي سكان اسرائيل عنـــد الرقم الحالي · وتمكن كيان العدو مـــن النجاح في خرق الحصـــار الاقتصادي ، وضمن تدفق اليد العاملة العربية ، هـــل ستستمر هجرة المهندسين والفنيين مـــن اسرائيل ، وبكلمة اخرى فيما لو نجحـت اسرائيل في ضمان اسواق لمنتجاتهـــا وبالتالي ضمنت رفع نسبة تشغيل الطاقـة الصناعية لديها ، من خلال رفع عـــدد العاملين العرب غير الفنيين من حوالـــي ١٧٥ الف عامل (مناطق ٤٨ ـ ٦٧) الى ٣٥٠ الف عامل ، او انها زادت مـــن توجهها نحو الصناعات عالية التقنيـــة والتي تستوعب يدا عاملة ماهرة اكثـــر وهي سياسية قد بدأتها على اية حال ، الا يعني هذا توفير فرص عمل للمهندسيـــن وغيرهم مـــن الاكاديميين المتسربيـــن للخـــارج ·

ان الزميل قورة ، والذي حاول اثبـات فكرة مسبقة لديه ، ورغم ركام الوقائـــع والاستشهادات ، لم ينجح في التنظيـــر بشكل مناسب لفكرته القائلة بان المهاجرين اليهود ، يذهبون الى فلسطين لانه ليس هنالك من مكان اخر يهاجرون اليه ··· تلك الفكرة المتطابقة مع نشاطات البعض لافراغ اسرائيل من اليهود من خـــلال تهجيرهم ·

بغض النظر عن مقدار حسن او سـوء النية ، وراء الفكرة ولا تسوق كلمـــة سوء عبثا ، فان ايقاف الهجرة الـــى اسرائيل وتنشيط الهجرة المضادة ، ليست رهن عوامل داخلية فحسب تتم بشكـــل الي ، بل رهن عناصر خارجية ايضا ·· ولكنها غير صهيونية ·· انها تتعلـــق بالضغط على كيان العدو بشكل يجعـل من الهجرة اليه ، او البقاء فيه ، عملا غير مربح !! وليست مصادفة ان يكون مهاجرو الدول ، ذات الدخل المنخفض هم الغالبيـة الساحقة ، وسنوات الامن والازدهـــار الاقتصادي هي السنوات التي ازدهرت بها الهجرة : فالهرم الاجتماعي المقلوب ، رغم وضعه الشاذ ، فانه يصبح في وضـــع

طبيعي حين يتحول الى مربع ، حيث يملأ الفراغ على الجانبين بالمزيد من اليــــد العاملة العربية ·· وافتقاد ذلك الهـــرم لتوازنه رهن بافتقاد شعـار هرتزل عــن « الخروج الذي سيكون ارتقـــاء طبقيا » لمضمونه · وذلك بايقاف مجالات الاستغلال ولن تتوقف ، الا اذا توفرت القـــدرة العسكرية ·· والتي ستجعل امن المستوطن اليهودي في خطر ·· فالحل هنا ، وليس في الدعوة لانشاء مكاتب تعمل لتهجير اليهود من ارضنا المحتلة ·· لن تجد زبائن لها ، الا اذا توفر الظرف الموضوعي الذي يجعل من بقاء المستوطن الصهيوني فـــوق ارضنا ، بقاء غير مربع ···!!

ولن يتوقف « السادة » ، عن القدوم ، او البقاء ، ما لم نتوقف نحن عن تقديـم العبيد !! ولنتذكر ايها الزميـــل العزيـز ان روديسيا العنصرية قد انشئت منـــذ مائة عام ··· ولم يهتز وجودها الا بعـد ان قررت دول المواجهة ، المواجـهة !!!!

حسين ابو النمل

شهريات

المقاومة الفلسطينية

ميزة دائمة للاحداث الفلسطينية انها وثيقة الصلة بالاحداث العربية والدولية · ولكن هذه المرحلة بالذات تشهد تداخلا كثيفا بين الاحداث بحيث يصعب الحديث عن اي موضوع مفصولا عن الاخر · فالحديث عن القضية الفلسطينية وتطوراتها هو حاليا حديث عن سياسة الرئيس انور السادات وعلاقاته الخاصة بالمخطط الاميركي ، كما هي حديث عن جبهة الصمود والتصدي العربية ومنجزاتها ، وهو في نفس الوقت حديث عن مسألة الوفاق الوطني في لبنان الذي تمحور بصدفة غريبة حول توطين الفلسطينيين في الجنوب ، وتبرع الجميع بحماس زائد لرفض ذلك ·

والحركة الفلسطينية في هذا الجو هي حركة الصراع ، اذ ان كل موقف فلسطيني هو اما مع او ضد · لا وجود لموقف فلسطيني صاف موجه نحو العدو فقط ·
ومعروف كيف ان الكثيرين لا يعجبهم هذا التداخل الفلسطيني مع كافة اجزاء الخارطة السياسية ولكن تناقض المواقف العربية الغى ، ولو مؤقتا ، نظرية الاجماع العربي على محاربة اسرائيل والصهيونية ، بل ويرز من يتحالف معهما للضغط على الفلسطينيين والعرب ، وبات بديهيا في غياب هذا الاجماع ، ان تتداخل المواقف الفلسطينية وتتقاطع مع مواقف لبنانية وعربية ودولية بكثافة لم تكن قائمة من قبل ·

وخارطة الاحداث على امتداد فترة الشهر من ١٥ كانون الثاني الى ١٥ شباط من العام ١٩٧٨ تكشف ذلك بوضوح، وفيما يلي ابرز ملامحها ·

١ ـ قمة الصمود الثانية

بعد قمة الصمود والتصدي الاولى التي انعقدت في طرابلس ردا على زيارة الرئيس

انور السادات للقدس المحتلة ، قام الرئيس الجزائري هواري بومدين بجولة عربية ودولية واسعة كان لها ثلاثة اهداف :

١ ـ استصلاح الوضع العربي ، وخاصة مواقف الدول الصامتة ، لمعرفة المدى الذي يمكن ان تذهب اليه هذه الدول في تحركها السياسي سلبا او ايجابا ·

٢ ـ تأمين دعم دولي للاتجاه الذي تمثله «جبهة الصمود والتصدي» ،وخاصة من قبل الاتحاد السوفياتي ·

٣ ـ محاولة انهاء الخلافات العراقية ـ السورية ، واقناع العراق بالانضمام الى الجبهة ، لما يمثله انضمامه وموقعه الجغرافي وامكاناته البشرية والمادية

والعسكرية من رفع لمستوى فاعلية الجبهة ، ومن تأثير على صورة التوازن العربي في وجه السادات ومؤيديه ٠

وقد استطاع بومدين ، وهو بصدد التهيئة لانعقاد قمة الصمود والتصدي الثانية ان يحقق نجاحا ملموسا في القضيتين الاولى والثانية ، وفشل في احراز اي تقدم بالنسبة لتغيير الموقف العراقي ، سواء على صعيد علاقاته مع سوريا ، او على صعيد مشاركته في اعمال الجبهة ٠

في جولته العربية التي شملت كافة الاقطار التي لم تعلن تأييدها لزيارة السادات نجح بومدين في اقناع هذه الدول بأن تجمد حركتها باتجاه السادات ، وان لا تنظر بعداء الى نشاط جبهة الصمود ٠

وفي جولته الدولية التي شملت الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا ، نجح بومدين في انتزاع مواقف محددة وصريحة حول : رفض زيارة السادات ، تأمين التأييد لخطة وسياسة جبهة الصمود ، التأكيد على الحق الفلسطيني بشقيه : تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ٠ وانشاء الدولة الفلسطينية المستقلة ٠

وفور انتهائه من هذه الجولة ، وتحديده لنتائجها ، قام بومدين بايفاد مندوبين عنه ابلغوا الاطراف المشاركة في جبهة الصمود بنتائج الجولة ٠ اما الموضوع العراقي فقد بقي قائما ومعلقا ومر بأطوار مختلفة ٠ ومنذ ١٤ــ١ــ٧٨ ظهر في الصحف اول حديث عن لقاء سوري ــ عراقي في الجزائر يكون تمهيدا لانعقاد قمة الصمود الثانية ، وحين اعلن في ٢٦ــ١ بصورة رسمية ان قمة الصمود والتصدي ستعقد في الجزائر يومي ٢ و ٣ شباط ، لم يكن موضوع مشاركة العراق في القمة قد حسم ، فيما جرى التأكيد فقط على ان اللقاء الثنائي مع سوريا سيتم ، بل ان مسؤولا عراقيا اعلن (٢٧ــ١) ان هذا اللقاء سيتم في الجزائر يومي ٢٩ و ٣٠ــ١ ، ولفت النظر في تصريح هذا المسؤول أنه تحدث عن مؤتمر للصمود يعقد في بغداد وليس في الجزائر ٠ وكان واضحا من هذا الغموض في المواقف أن ثمة مشكلة ما ، وقد اتضحت هذه المشكلة تماما في اليوم التالي (٢٨ــ١) حين اعلن العراق رسميا انه ليس معنيا بقمة الجزائر لانه سبق له وانسحب من قمة طرابلس ٠ واعلن في الوقت نفسه تعيين رئيس وفد العراق للقاء الثنائي مع سوريا في الجزائر ، في نفس اللحظة التي كانت فيها سوريا تعلن ان وفدها سيتوجه ايضا الى هناك لانجاز اللقاء ٠ وقد أدت مقاطعة العراق لقمة الجزائر ، وموافقتها على اللقاء الثنائي مع سوريا فقط ، الى ان تعلن سوريا رفض الموافقة على اللقاء الثنائي ، لانه سيكون لقاء لا غاية له ٠

ومما يلفت النظر في هذه التطورات ثلاثة امور :

١ ــ انه بينما كانت تجري الاتصالات لاقناع العراق بحضور قمة الصمود ، نشرت الصحف (السفير ــ ١/٢٠) ان العراق دعا لقمة عربية شاملة وان السعودية وافقت على الدعوة ٠ واوضح عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائري انه علم بذلك من رسالة تلقاها من سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي ٠ وقد نفت العراق ذلك رسميا على لسان ناطق باسم وزارة الخارجية ، وشرحت الموضوع قائلة انها وجهت رسائل الى رؤساء دول قمة الصمود حول تصوراتها لكيفية بناء جبهة عربية ، وانها

ابلغت مضمون هذه الرسائل لكل سفراء الدول العربية باستثناء مصر ، موضحة رأيها بامكان اي دولة عربية من الانضمام لهذه الجبهة اذا عارضت نهج الرئيس السادات ، وان ذلك فهم على انه دعوة لمؤتمر قمة (١/٣٠) ٠

٢ ـ اقدم العراق رسميا يوم ٢ شباط ١٩٧٨ اي في يوم انعقاد قمة الصمود الثانية في الجزائر على اعادة فتح المكاتب التجارية والثقافية والقنصلية بينه وبين مصر ٠ وعقد نديم الياسين مدير عام العلاقات في وزارة الاعلام مؤتمرا صحافيا رحب فيه بهذه الخطوة ، وانتقد قمة الجزائر قائلا « لا نريد ان نخدع الامة العربية بالمشاركة في مؤتمرات لا تستند الى استراتيجية ثابتة » ٠

٣ ـ في هذه الاثناء نشرت الصحف اللبنانية (السفير ـ ١/٣٠) ، ثم نشرت الصحف العراقية بدورها ، مشروع ميثاق عراقي لانشاء جبهة تكون بديلا للجبهة التي انبثقت عن قمة طرابلس ، يكون اسمها « جبهة الصمود والتحرير » ، ونشرت الصحف العراقية في اليوم التالي (٢/١) نص رسالة الرئيس العراقي احمد حسن البكر لرؤساء دول قمة الصمود التي تشرح موقف العراق من كيفية مواجهة الاوضاع العربية بعد زيارة السادات للقدس المحتلة ٠

على ضوء هذه التطورات وبسببها ، انعقدت قمة الصمود الثانية في الجزائر دون مساهمة العراق ، وحاولت جهدها ان تكون تطويرا للقمة الاولى في طرابلس من الناحيتين التنفيذية والسياسية ، بعد ان انهت اعمالها يوم ٢/٤ ٠

من الناحية التنفيذية قررت الجبهة تقديم دعم اقتصادي وعسكري لسوريا ولمنظمة التحرير الفلسطينية ، تحت شعار السعي لتمكين سوريا من ان تصل الى مرحلة امتلاك التوازن الاستراتيجي مع اسرائيل ٠

اما من الناحية السياسية فقد جرى التاكيد على اربع قضايا :

١ ـ تكرار ادانة خطوة السادات باتجاه اسرائيل ، وتوضيح ان هذه الخطوة تستهدف ضرب التضامن العربي ، والحاق المنطقة العربية بالقوى الامبريالية العالمية والاخلال بالتوازن الدولي في المنطقة لصالح الولايات المتحدة الاميركية وضد الاتحاد السوفياتي ، مع السعي لجر مصر والمنطقة العربية الى الدخول في صراعات في افريقيا لصالح الامبريالية الاميركية وضد مصالح حركة التحرر العربية والافريقية ٠

٢ ـ توضيح ان خطوة السادات ومخططاته ، ليست بعيدة عن الاخطار المحيطة بثلاث ساحات تحتدم فيها المعارك : الخليج العربي الذي تهدده ايران ، والقرن الافريقي المهدد بالحروب المحلية والسيطرة الاجنبية ، والصحراء الغربية التي تتدخل فيها المغرب وفرنسا لتهديد الجزائر ، الامر الذي يقتضي العمل على مواجهة هذا المخطط بحلقاته المتكاملة، من ضمن تنسيق موحد بين دول قمة الصمود ، ومن ضمن تنسيق مع الاطراف الدولية الصديقة ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي ٠

٣ ـ مساعدة منظمة التحرير الفلسطينية ، سياسيا بشكل خاص ، لكي تتمكن من مواجهة المؤامرة التي تهدف الى انتزاع حقها في تمثيل الشعب الفلسطيني ٠ وبرزت بناء على ذلك فكرة ان يتولى ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة بعث رسائل الى فالدهايم والى ممثلي الدول الدائمة في مجلس الامن توضح وتؤكد عدم أحقية اي

طرف بتمثيل الشعب الفلسطيني او الحديث باسمه في اية مفاوضات ·

٢ ـ المحادثات المصرية ـ الاسرائيلية

تم في لقاء الاسماعيلية بين بيغن والسادات الاتفاق على استئناف المفاوضات من خلال لجنتين : عسكرية تجتمع في القاهرة ، وسياسية تجتمع في القدس المحتلة · وقد باشرت اللجنة العسكرية اجتماعاتها في القاهرة دون ان تنتهي الى نتيجة ، واعلن اللواء عبد الغني الجمسي وزير الدفاع المصري (١/١٤) ان مصر رفضت المشروع الاسرائيلي ، واوضح ان هذا المشروع ينص على النقاط الخمس التالية :

١ ـ اقامة منطقة تعمل فيها الامم المتحدة ، على الحدود المصرية داخل سيناء ·

٢ ـ اقامة منطقة منزوعة السلاح داخل الاراضي المصرية ·

٣ ـ بقاء المستعمرات الاسرائيلية في مواقعها على الحدود ·

٤ ـ بقاء ٣ مطارات داخل الاراضي المصرية ·

٥ ـ تمتد فترة الانسحاب الاسرائيلي من ٣ ـ ٥ سنوات ·

وبدا واضحا بعد هذا الخلاف في اللجنة العسكرية انها لن تستانف اعمالها

الا بعد اجتماع اللجنة السياسية يوم ١/١٥ واتفاقها على خطوط محددة لسير المفاوضات ، ولكن هذه اللجنة تعرضت قبل انعقادها وفي اثنائه الى جملة من المصاعب والخضات انتهت بتجميد اعمالها ·

قبل الانعقاد ، برز بين مصر واسرائيل خلاف على جدول اعمال اللجنة دفع مصر الى اعلان ارجاء سفر محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية الى القدس، وتمت الدعوة على اثر ذلك الى عقد اجتماع لمجلس الامن القومي صدر عنه بيان يعلن : ان اتصالات جرت مع واشنطن حول جدول الاعمال ، وان الولايات المتحدة تقدمت بمشروع جديد تمنت فيه ان يعبر عن وجهات نظر الاطراف المختلفة ، ويمكن اعتباره ورقة عمل صالحة لاعمال اللجنة السياسية ، وسافر وزير الخارجية على اثر ذلك ، والقى لدى وصوله الى مطار بن غوريون خطابا ذكر فيه بخطاب السادات في الكنيست ، مؤكدا انه لا يمكن ان يكون هناك سلام مع احتلال الارض ، ولا يمكن ان يكون هناك سلام مع نكران الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، وفي مقدمتها حق تقرير المصير ·

ومن جهتها ، كانت اسرائيل لها اعتراضاتها على جدول الاعمال ، الى ان اعلن مناحم بيغن انه تم التوصل الى تسوية اقترحتها اسرائيل ولقيت قبولا لدى مصر بفضل واشنطن · وشرحت مصادر اسرائيلية الخلاف حول جدول الاعمال : ١ ـ اعلان مبادىء حول التسوية السلمية ، ٢ ـ تحديد طبيعة السلام ·اما الخلاف فيتناول البند الذي يتعلق بالقضية الفلسطينية ، وله صيغتان : صيغة مصرية تقول ببحث : خطوط عريضة توجيهية فلسطينية تتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة ، تقابلهما صيغة اسرائيلية عامة وغامضة وتصر على استعمال تعبير « يهودا والسامرة » · وقد تم الوصول الى صيغة وسط حذفت كلمة فلسطين وحافظت على تسمية الضفة الغربية ونصت على : خطوط عريضة توجيهية تتعلق بالضفة الغربية، وقطاع غزة ·

ولم تكن الوساطة الاميركية تتعلق بألفاظ جدول الاعمال فقط ، بل كانت هناك وساطة اخرى مهيأة حول المضمون ايضا • ففي ١/١٤ اعلن مسؤولون اميركيون انه اذا فشل الطرفان المصري والاسرائيلي في الاتفاق حول القضية الفلسطينية ، سيحثهما على اقرار « حل مؤقت » • وذكرت مصادر اميركية في اليوم التالي ان الحل الوسط المؤقت الذي يحمله فانس يدعوه الى :

١ ـ حكومة للضفة الغربية وغزة تشارك فيها : اسرائيل ، ومصر ، الاردن، الامم المتحدة ، الفلسطينيون •

٢ ـ استفتاء يجري في وقت لاحق للاختيار بين استمرار هذه الادارة او الانضمام للاردن •

وهدف هذا الحل الاميركي المؤقت التوفيق بين الموقف المصري الذي يطالب بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني والموقف الاسرائيلي الذي يوافق على منح الحكم الذاتي الاداري لسكان الضفة والقطاع فقط •

وبعد حل هذا الخلاف حول جدول الاعمال عقدت اللجنة السياسية اول جلستين لها يوم ١/١٧ لمدة قصيرة ، ثم تلاها لقاء بين دايان وكامل وفانس ، تسلم فيه فانس جدول الاعمال التفصيلي كما يقترحه كل منهما • وبدأت تبرز بعد هذا الاجتماع الخلافات الاسرائيلية ـ المصرية ، حول الامور التي تتعلق بمصر هذه المرة • فيوم بدء اجتماعات اللجنة اعلن بيغن أمام وفد اميركي : ان اي رئيس وزراء اسرائيلي يعرض التنازل عن المستوطنات في شمالي شرق سيناء سيرغم على التخلي عن منصبه ••• لكني سأستقيل قبل ذلك • وبعد الاجتماع الاول للجنة قال دايان في مؤتمر صحافي : ان المواقف ما تزال متباعدة ، وان المستوطنات في شمالي سيناء والقواعد العسكرية ، هي مواقع مهمة لامن اسرائيل وملاحتها في البحر الاحمر ، ثم اعلن بيغن في حديث للتلفزيون الاميركي : اننا لا نستطيع ازالة المستوطنات ولن نزيلها بل يجب ان تبقى •••ونحن لا نغير افكارنا بصدد الاقتراحات الخاصة بسيناء •

وادى امتداد الخلافات على رقعة واسعة من القضية الفلسطينية الى السيادة المصرية ، الى دخول المحادثات في طريق مسدود دفع الرئيس السادات لان يقوم بخطوة مفاجئة دعى فيها الوفد المصري الى قطع المفاوضات والعودة الى القاهرة ، فيما بدا انه موقف متصلب ، ولكنه لم يلبث ان ظهر بمظهر اخر • اذ بعد ساعتين من هذا القرار فقط جرى اتصال هاتفي بين السادات والرئيس الاميركي كارتر ، اعلن بعده موافقته على استمرار اعمال اللجنة العسكرية ، واعلن الناطق المصري بلسان الوفد في القدس المحتلة : لا اعتقد ان المحادثات انتهت • لقد توقفت •

وقد ردت اسرائيل على الموقف المصري بموقف مماثل ، قد اعلن بيغن بدوره انه سيدرس اذا كان سيرسل وفده الى اجتماعات اللجنة العسكرية في القاهرة ام لا •

وبدأت على اثر ذلك حملات اعلامية بين المسؤولين المصريين والاسرائيليين . اعلن فيها بيغن انه اذا كان الهدف من قرار السادات استجلاب ضغوط اميركية على اسرائيل فيجب ان يعلم بان « ضغوط الولايات المتحدة لا تستطيع تغيير موقف اسرائيل » (١/١٩) • وورد على قول السادات بانه قدم لبيغن الاعتراف

دون مقابل بقوله : ان اسرائيل لم تطلب قط من احد الاعتراف بحقها في الوجود ، وكرر ان اسرائيل لن تترك ابدا مستوطناتها في سيناء ، فنحن لم نبن المستوطنات لنحرقها ·ثم اعلن بيغن بعد هذه الحملة الاعلامية انه ارجأ ارسال وفده العسكري الى القاهرة . واعلنت القاهرة انه تم الغاء اجتماع اللجنة العسكرية ·

وقد بدأ وزير الخارجية الاميركي فور هذه التطورات بذل جهود مكثفة لمنع انهيار المفاوضات ، فاجتمع بعد قرار السادات مباشرة الى بيغن الذي صرح بعد الاجتماع قائلا : مستعدون لاستئناف المفاوضات على ان يتم الامتناع عن الادلاء بالبيانات العلنية (١/١٩) · وفي اليوم التالي (١/٢٠) وصل فانس الى القاهرة محاولا اقناع السادات باستئناف المفاوضات ، ولكن السادات رفض الاقتراحات التي قدمت اليه ، مشترطا « تغييرا جذريا في الموقف الاسرائيلي » · وتم نتيجة لذلك تكليف اثرتون مساعد وزير الخارجية الاميركي البقاء في المنطقة والقيام بجولات مكوكية بين مصر واسرائيل بهدف الوصول الى اسس مقبولة من الطرفين لاستئناف المفاوضات ·

ولكن السادات كما يبدو ، بات مقتنعا بأن الوصول الى استئناف المفاوضات لا يتوقف على اسرائيل بل على الولايات المتحدة · وهو لذلك حاول في الخطاب الذي القاه يوم ١/٢١ امام مجلس الشعب ليشرح سبب اقدامه على سحب الوفد المصري ، ان يدفع علاقاته مع الولايات المتحدة نحو مستوى استراتيجي جديد لعل ذلك يشجع الولايات المتحدة على ان تضغط على اسرائيل لانجاح المفاوضات · فبعد ان دافع في الخطاب المذكور عن مبادرته اعلن اتفاقه مع فانس على عدد من الخطوات للتحرك مستقبلا ، وهاجم ليبيا وجبهة الصمود والاتحاد السوفياتي، ثم اعلن انه قدم طلبا رسميا لفانس للحصول على اسلحة اميركية موازية للاسلحة التي لدى اسرائيل ، معلنا ان هذا السلاح لن يكون لمحاربة اسرائيل ، بل لمواجهة مسؤوليات مصر في القارة الافريقية · وذكر في نهاية خطابه ان مصر لن تفرط في السيادة ، ولا في الارض ، ولا في حق تقرير مصير الشعب الفلسطيني ·

وسارت الامور بعد هذا الخطاب باتجاهين : اولا متابعة اثرتون لمهمات الوساطة بين مصر واسرائيل · ثانيا بدء استعداد السادات لزيارة واشنطن عبر جولة واسعة تشمل المغرب ودول السوق الاوروبية المشتركة ·

وقد عاد اثرتون الى اسرائيل بعد مباحثات فانس في القاهرة ليطلع المسؤولين الاسرائيليين على نتائجها (١/٢١) ، وبدأ الحديث بعد ايام فقط (١/٢٦) عن تفاؤل اميركي – اسرائيلي بامكان استئناف المحادثات بين مصر واسرائيل وخاصة المحادثات العسكرية · واعلن في ١/٢٧ انه تم الاتفاق على ان تستأنف اللجنة العسكرية اعمالها ، كما تم الاعلان عن زيارة منتظرة للسادات الى واشنطن خلال ايام · وصدر في ١/٢٩ قرار اسرائيلي بالعودة الى محادثات اللجنة العسكرية ، وفي ١/٣١ وصل عازار وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلي الى القاهرة وعقدت اللجنة العسكرية اجتماعا واحدا اعلن بعده تأجيل المباحثات الى اجل غير مسمى ، فيما قالت الاذاعة الاسرائيلية ان اللجنة لم تحرز اي تقدم ·

رحلة السادات :

تميزت رحلة السادات الى واشنطن

بمواصفات عدة :

١ ـ شمولها لكل حلفاء السادات : المغرب الذي أيد زيارته لاسرائيل بقوة . ثم واشنطن الامل بالسلاح وبالضغط على اسرائيل . ثم دول السوق الاوروبية المشتركية مصدر التمويل والاستثمار الرديف للمصدر الاميركي . واخيرا رومانيا التي كان لها دور بارز في ترتيب زيارة السادات للقدس المحتلة .

٢ ـ اراد السادات من زيارته لواشنطن ان تكون مجال اتصال واسع مع الجالية اليهودية ومع كل اوساط الرأي العام الاميركي لتسهل مهمة اقتناع كارتر والكونغرس الاميركي بتلبية طلباته .

٣ ـ رفض كارتر لقبول خطة العمل والتحرك التي جاء على اساسها السادات، والضغط عليه باساليب عدة ، وصلت احيانا الى حد الخروج عن اللياقات الدبلوماسية لمنعه من تنفيذ ما يريد . وكان من أساليب الضغط هذه اعلان كارتر قبل مجيء السادات انه سيقنعه باعتماد الدبلوماسية الهادئة وبالغاء مؤتمره الصحافي ، ثم قوله على لسان مصادر مسؤولة انه لن يرضخ لاي مطلب مصري بالضغط على اسرائيل ، وان على المصريين ان يفهموا مبادرة بيغن بطرح اقتراح الحكم الذاتي للفلسطينيين وما فيها من ايجابيات (٢/٤) . ثم قرر كارتر موقفه هذا بعد انتهاء المحادثات في ٢/١١ .

٤ ـ انتهاء المحادثات بدون الوصول الى نتائج محددة ، باستثناء الاتفاق على ضرورة استمرار المباحثات بين مصر واسرائيل ، والوعد بدرس موضوع المساعدات العسكرية .

٥ ـ بروز جدول واسع بين واشنطن وتل ابيب حول موضوع المستوطنات الاسرائيلية . ففي ٢/١ ، وبعد ان اعلن دايان انه سيزور واشنطن ويصلها بعد مغادرة السادات لها بيوم واحد قال : ان اسرائيل ستواصل اقامة المستعمرات العسكرية المتقدمة ، في الاراضي العربية المحتلة .... وستتحول مع الزمن الى مستعمرات مدنية . ونفى دايان ان تكون اسرائيل قد اعطت كارتر وعدا بانهاء سياستها الاستيطانية . ويوم وصول السادات الى واشنطن (٢/٣) اعلن بيغن انه : لم يحدث قط ان وعد مسؤول حكومي الولايات المتحدة بعدم انشاء مستوطنات جديدة . وفي اليوم نفسه رد البيت الابيض على أقوال بيغن مؤكدا انه ودايان اعطيا تعهدات بعدم اقامة مستوطنات جديدة . واعلن البيت الابيض في بيان رسمي عند نهاية مباحثات السادات (٢/٨) : ان اي مزيد من النشاطات الاستيطانية لن يكون منسجما مع الجهود الرامية الى التوصل لتسوية .

وانتقل هذا الجدل في مرحلة لاحقة الى اعلان الخلاف بين الطرفين حول هذا الموضوع ، فقال دايان (٢/١٠) : اننا لا نتفق مع الرئيس كارتر حول السياسة الخاصة بالمستوطنات ، واوضح فانس موقف بلاده قائلا (٢/١٢) : ان المستوطنات في سيناء غير مشروعة وتشكل عقبة في طريق السلام . ورد دايان بالقول ان فانس منحاز .... وسيؤدي ذلك الى تعقيد مهمته كوسيط ، ثم تلا ذلك بيان رسمي للحكومة الاسرائيلية تلاه بيغن واعلن فيه رفضه لتصريحات فانس حول المستوطنات ،وقال ان هذا الموقف يتناقض مع ملاحظات كارتر حين عرضت عليه خطة التسوية الشاملة، والتي تقترح ان تكون المستوطنات : ١ ـ ضمن منطقة الامم المتحدة . ٢ ـ ان تتواجد فيها قوات اسرائيلية لحمايتها .

دور الاردن

ومع استمرار هذا الجدل واتساعه ،

سيعود اثرتون الى المنطقة لترتيب عودة المفاوضات ، وسيركز جهوده في هذه المرحلة على انجاز « بيان المبادىء » ، ليسهل عملية انضمام الاردن للمباحثات ، حيث يحظى هذا الموضوع باهتمام خاص في واشنطن ، خاصة وان الاردن يمضي ببطء وبالتدريج نحو الالتحاق بنهج السادات حين يجد ان الظروف اصبحت مناسبة له • فيوم بدء محادثات اللجنة السياسية في القدس المحتلة اتصل الملك حسين بالسادات وابلغه تأييده التام للخطوات التي يقوم بها • وفي ١/٢١ اي يوم القاء السادات لخطابه الذي شرح فيه اسباب سحب وفده من اللجنة السياسية صدر بيان رسمي للحكومة الاردنية يعلن تأييده الكامل لموقف مصر • وفي اليوم التالي (١/٢٢) اعلن الملك حسين استعداده للانضمام الى المحادثات المصرية ـ الاسرائيلية اذا تم الاتفاق على بعض المبادىء (مطالب السادات) • وبعد انتهاء مباحثات السادات في واشنطن (٢/١١) اعلن كارتر انه : يأمل ان ينضم الاردن سريعا الى المحادثات بين مصر واسرائيل ، ووعد بمتابعة التحضير للتوصل الى اعلان مبادىء ، واعرب عن امله بان يكون « اعلان المبادىء » المنتظر ملائما للملك حسين •

٣ ـ النشاط الفلسطيني

تابعت منظمة التحرير الفلسطينية التطورات على كافة الاصعدة المتعلقة بها وحددت تجاهها مواقف واضحة كان ابرز ما فيها تصدر ياسر عرفات للنشاط السياسي •

فعلى صعيد تحديد المواقف حدد عرفات (١/١٤) في كلمة القاها في افتتاح احدى دورات التدريب موقف المقاومة من المباحثات المصرية ـ الاسرائيلية ومن قمة التصدي والصمود بقوله : ليفهم المجتمعون في اسوان (كارتر والسادات) والقدس (اللجنة السياسية) انه بدون الشعب الفلسطيني لن يكون هناك سلام او استقرار • وعن قمة طرابلس قال عرفات : ان الذين اجتمعوا في طرابلس ليسوا ستة اطراف، وانما هم تيار هادر في امتنا العربية • وعلق على مشروع بيغن للحكم الذاتي بقوله : في هذه الاونة اسمع اصواتا تتحدث عن الحكم الذاتي او الادارة المدنية او المحلية • ما هو الرد ؟ الرد مزيد من التصدي •

وعند ايقاف اعمال اللجنة السياسية القى عرفات كلمة في المؤتمر السنوي للهلال الاحمر الفلسطيني (١/١٩) قال فيها : ان الحقوق الفلسطينية لا يمكن التوصل اليها عبر المفاوضات بل بواسطة الاستمرار في قتال اسرائيل ، واضاف : ان الحكام العرب الذين يعتقدون ان بامكانهم استرجاع الاراضي المحتلة بواسطة المفاوضات هم حالمون •

وتحدث عرفات (١/٢٠) في لقاء مع كوادر وضباط جيش التحرير الفلسطيني والكفاح المسلح عن الحديث الذي دار بشكل واسع في لبنان عن موضوع توطين الفلسطينيين فقال : انهم يتكلمون عن التوطين ونحن لا نريد التوطين ، فقد عرض علينا توطين كثير ورفضناه •••• ولو كنا نقبل التوطين لقبلناه من زمان •

وقام عرفات الى جانب ذلك بنشاط دبلوماسي (١/١٤) اذ وجه رسائل الى ملوك ورؤساء الدول الاسلامية والافريقية والعربية دعاهم فيها الى تاكيد التزامهم بان السلام في الشرق الاوسط لا يتحقق الا بتمكين الشعب الفلسطيني من بناء دولته الفلسطينية المستقلة • ولفت النظر في هذا المجال انه بعث برسالتين للملك حسين وتلقى جوابين منه عليهما ، كما تلقى اكثر من رسالة من القادة

السوفيات ·

أما على صعيد الاتصالات الفلسطينية – العربية فقد جرى تنشيط اعمال اللجنة السورية – الفلسطينية التي اجتمعت يوم ١/١٤ واصدرت بيانا حول زيارة السادات ، وقررت خطوات تحرك عملية للرد ، ثم عقدت اللجنة اجتماعا ثانيا لها يوم ١/١٥ · وجرى من جهة اخرى لقاء فلسطيني – سعودي بدأ التمهيد له برسالة وجهها الامير فهد ولي عهد السعودية الى عرفات (١/١٥) ابلغه فيها ان السعودية ملتزمة بكل ما سبق ان اعلنته بخصوص القضية الفلسطينية · ثم توجه عرفات لزيارة السعودية يوم ١/٢١ يرافقه خالد الحسن بناء على دعوة رسمية ، وجرى له استقبال رسمي لفت انظار المراقبين ، وذكرت « وفا » ان الامير فهد اعاد لعرفات تاكيد موقف السعودية المؤيد والداعم لمنظمة التحرير ·

وعلى صعيد مؤسسات منظمة التحرير، اصدرت اللجنة التنفيذية (١/٢٦) بيانا يعلن رفض مشروع السادات للضفة الغربية ، وهو المشروع الذي كشف السادات انه اتفق فيه مع الملك حسين على ان تتسلم الامم المتحدة ادارة الضفة الغربية وقطاع غزة لمدة ٥ سنوات ، وذكر البيان ان منظمة التحرير ترفض كل المشاريع التصفوية ، واكد ان قضية الشعب الفلسطيني ليست الضفة والقطاع، وانما هي مشكلة الشعب الفلسطيني في كل اماكن تواجده · ثم عقد المجلس المركزي اجتماعا له بدمشق بعد انتهاء قمة الجزائر اعاد فيه تاكيد موقفه من زيارة السادات ، ثم التقى عرفات ووفد فلسطيني مع الرئيس حافظ الاسد ، حيث جرى تداول موسع بالوضع العربي وبالوضع في لبنان ·

وشارك رؤساء البلديات في الضفة الغربية بالنشاط السياسي الفلسطيني · (١/١٦) فاعدوا مذكرة لتسليمها لوزير الخارجية المصري جاء فيها : ان لمصر الحق في ان تبرم باسمها الاتفاقات التي تريد مع اسرائيل ولكن ليس لها الحق ان تتحدث باسم الفلسطينيين ، لان الشعب الفلسطيني له ممثله القومي ، ومنظمة التحرير هي الجهة الوحيدة المصرح لها التحدث باسم الشعب الفلسطيني · ووجه رؤساء البلديات بيانا الى الراي العام العالمي يؤكد نفس المعنى ·

٤ – الوضع الفلسطيني في لبنان

برزت مع بداية العام فكرة انجاز الوفاق السياسي الوطني داخل لبنان بقوة ، فيما كان الحديث سابقا عن الوفاق مشروطا اولا بتطبيق الاتفاقات مع الفلسطينيين ، وخاصة اتفاق شتورا · وبعد تعذر تطبيق المرحلة الثالثة من هذا الاتفاق المتعلقة بالجنوب ، بسبب معارضة الجبهة اللبنانية لفكرة الحل المتوازن ، واستمرار عرقلتها لهذا الحل عدة اشهر ، عاد الحديث عن الوفاق تحت شعار : الوفاق بالرغم من الجنوب ، بدلا من شعار الوفاق بعد حل مشكلة الجنوب · وشاع على اثر ذلك جو سياسي يشير الى ان الرئيس الياس سركيس سوف يتولى طرح صيغة الوفاق ، بناء على مناقشاته المستفيضة مع كافة الاطراف اللبنانية المعنية ·

وقد ارتبط حديث الوفاق هذه المرة بشكل ملفت للنظر ، بقضية توطين الفلسطينيين في لبنان ، وهي قضية طرحت في هذه الاجواء لاول مرة اثناء زيارة فانس الاخيرة للبنان ، وكجزء من حل ازمة الشرق الاوسط لمعالجة وضع الفلسطينيين في الاقطار العربية · وقد قام الرئيس الياس سركيس في الخطاب الذي القاه في حفل استقبال الدبلوماسيين في القصر الجمهوري باعلان رفض لبنان لهذه الفكرة ، وتسجيل معرفته برفض

الفلسطينيين لها · وما ان اعلن سركيس موقفه هذا حتى انطلقت كافة القوى السياسية اللبنانية ، وبمختلف اتجاهاتها السياسية، تعلن تأييدها لموقف سركيس من التوطين ، وتعتبر الاجماع اللبناني على هذه القضية بابا مفتوحا باتجاه الوفاق السياسي · ولكن هذا الحماس والاجماع لم يكن بريئا ولا موحد النوايا، بل ان دلائل برزت فيما بعد تشير الى ان هذا الحماس قد استعمل لتغطية رفض الوفاق والسعي لتفشيله ·

فالجبهة اللبنانية ربطت الوفاق برفض فكرة التوطين ، ولكنها اعتبرت ان ترجمة رفض التوطين انما هي بالتخلص من الفلسطينيين وتوزيعهم على البلاد العربية، ومن نماذج ذلك قول دوري شمعون (١/١٨) : ان التلكؤ حيال هذا الوجود (الفلسطيني) حتى انتظار حل قضية الشرق الاوسط قد يطول كثيرا · وليس باستطاعة لبنان ان يستمر في تحمل هذا العبء الكبير ·

وحين عقدت « الجبهة اللبنانية » خلوتها الثالثة في زغرتا ، انتظر الجميع ان يصدر عنها بيان يساعد على فتح الطريق نحو الوفاق اللبناني ، ولكنها اصدرت بيانا يركز على نقطتين : اولا التعددية كاساس للوفاق ، ثانيا اعتبار ان « الوجود الفلسطيني على ارض لبنان عائق في طريق الوفاق ينبغي تذليله » · (١/٢٢) · واعلن كميل شمعون على الفور « نريد ان نتخلص من موضوع الفلسطينيين لاجئين او غير لاجئين » ، ثم كرر اقواله مؤكدا ومهددا (١/٢٣) : اذا لم يتم اجماع بين اللبنانيين على موضوع الفلسطينيين فهذه نهاية كل شيء ، وكان دوري شمعون اكثر وضوحا حين قال (١/٢٤) : الفريق الاخر (الاسلامي) يرفض توطين الفلسطينيين، ولكنهم يشترطون بقاءهم حتى استرجاع ارضهم ···· انني اقترح تسفير الفلسطينيين على مراحل الى فلسطين او الى اي بلد عربي اخر · مدة وجودهم في لبنان بعد تحديدها لا يجب ان تتجاوز السنتين ، وبعد هذه الفترة لن يبقى فلسطيني على أرض لبنان ·

وطور بشير الجميل هذه المواقف على تطرفها الى تطرف جديد حين اعلن في خطاب القاه في اختتام اسبوع الدامور (١/٢٩) انه : واجب محتم علينا تحرير لبنان انطلاقا من رفض فكرة توطين الفلسطينيين او اي غريب على أرض لبنان · واستمر التصعيد على لسان بيار الجميل (٢/٤) حين قال : ان الاستعدادات القائمة في المنطقة الجنوبية تعني ان الفلسطينيين يسعون الى تأمين مقومات تحقق لهم شبه دولة في الجنوب مجهزة بكل انواع الاسلحة · وواصل بيار الجميل حملته مشبها الوجود الفلسطيني في لبنان بالخطر الاسرائيلي (٢/٥) حين قال : اليس مؤلما ان نصبح في حالة خوف من احتلال وعدوان فلسطيني يوازي القلق والخوف من احتلال اسرائيلي ؟ ·

وأمام سيل هذه المواقف المتشنجة ، كان الشك قائما حول مدى جدية « الجبهة اللبنانية » في السعي نحو الوفاق ، وكان الرأي الغالب ان طرح قضية الوجود الفلسطيني بهذه الصورة انما هدفها عرقلة قضية الوفاق ، او محاولة رسم وفاق على حجم ومقاس « الجبهة اللبنانية » ·

ولكن الامر الملفت للنظر اكثر ، ان مجموعة من القوى السياسية اللبنانية التقليدية شاركت « الجبهة اللبنانية » في الحملة على الفلسطينيين ، واختارت لذلك مدخل الامن والتجاوزات ·

فالحزب الديمقراطي الاشتراكي الذي يرأسه كامل الاسعد ، اعلن بعد اجتماع لقيادته (١/١٦) انه بحث موضوعين : موضوع التوطين في الجنوب ، وموضوع تجاوزات لم تعد مقبولة حتى بين المواطنين اللبنانيين انفسهم ، نتيجة لغياب السلطة والقانون غيابا كاملا ٠

وفي ١/١٨ عقدت ثمانون شخصية شيعية اجتماعا لها بدعوة من عادل عسيران ، واصدرت بيانا قالت : اننا لا نقبل التوطين ولا نقبل ابدال الجنوب بالضفة الغربية ٠ وجاء في قرارات الاجتماع : الطلب من فخامة الرئيس متابعة مساعيه الجليلة للذود عن كل شبر من ارض الوطن وصيانته من الاعتداء من اي جهة كانت ٠٠٠ وتثبيت الامن في المناطق الجنوبية حفاظا على حياة واملاك المواطنين ودفاعا عن كرامتهم ٠

وتلا ذلك اجتماع للمجلس الاسلامي (١/٢٠) صدر عنه بيان يعلن ان المجلس يبدي ارتياحه لمواقف جميع الفرقاء اللبنانيين والفلسطينيين برفض التوطين ، ولكنه أضاف الى ذلك تأييده لموقف الشخصيات الاسلامية الجنوبية (اجتماع عسيران) وان هذا يشكل مدخلا للوفاق٠

ولكن هذه المواقف المتساقة مع مواقف « الجبهة اللبنانية » في منهج طريق قضية التوطين والتجاوزات وربط الموقف منها بالموقف من الوفاق ، لم تستطع الصمود والاستمرار على نفس المنوال بعد صدور بيان خلوة زغرتا الذي اشترط التعددية كأساس للوفاق اللبناني ، اذ اضطرت كثير من الاوساط الاسلامية التقليدية ، وفي مقدمتها صائب سلام مثلا ، ان تعلن رفضها لبيان زغرتا وتعتبره عقبة في طريق الوفاق ٠

وهناك برزت الاصوات الوطنية لتضع الامور في نصابها ٠ ففي ١/٢٣ اعلن وليد جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي : ان الوجود الفلسطيني في لبنان ليس بعائق اذا كانت هناك نيات حقيقية للوصول الى حوار او اتفاق ٠٠٠ ولا داع لجعل هذا الوجود في كل مناسبة قميص عثمان ٠ واعلن «المرابطون» ان : مقررات خلوة زغرتا كشفت زيف دعوة « الجبهة اللبنانية » للوفاق واستمرارها في تنفيذ المؤامرة ٠ (١/٢٦)٠ واعلنت منظمة المسيحيين الديمقراطيين (١/٢٣) : ان الوجود الفلسطيني في لبنان لا يمكن حله الا بحل القضية الفلسطينية بالتعاون مع الدول العربية سياسيا وعسكريا لاستعادة الحقوق المشروعة والارض المغتصبة ٠ وقال شفيق الوزان (١/٢٣) : ان الوجود الفلسطيني على ارض لبنان لا يجوز ان يكون عائقا في وجه الاتفاق ٠

حادث صيدا :

وقعت يوم ١/٢٨ اشتباكات بين عناصر بعض فصائل المقاومة داخل احياء صيدا القديمة خلقت حالة من التوتر ، اقفلت على اثرها المدينة في ظل دعوة للاضراب دعت اليها غرفة التجارة في المدينة ٠

وقد بادرت الحركة الوطنية وفصائل المقاومة في المدينة للاجتماع ، واعلنت في بيان رسمي انها اتخذت اجراءات أمنية رادعة منعت بموجبها تواجد المسلحين في المدينة ، ودعا البيان السلطات اللبنانية الى تحمل مسؤولياتها الامنية ٠ وذكر البيان انه :"منذ فترة وجماهيرنا في صيدا تعاني من الاخطاء والممارسات الخاطئة التي تقوم بها ، عن قصد او عن غير قصد ، عناصر غير مسؤولة ٠٠٠٠٠ ما نتج عنه مجموعة من الظواهر الاجتماعية والمسلكية الخطيرة ٠

وعلى اثر هذا الحادث دعا جنبلاط (١/٣٠) المقاومة الفلسطينية : لضرب كل من يحاول ان يسيء الى سمعتها ... وحذر من اي مضاعفات قد تحدث وتجر الى انتكاسات جديدة . وفي اليوم التالي (١/٣١) عقد اجتماع موسع ضم لجنة طوارىء الحركة الوطنية ، واعضاء المجلس السياسي الاقليمي لمنطقة صيدا ، وقيادة المقاومة « للبحث في معالجة ذيول الحادث واتخاذ الاجراءات المناسبة » .

بلال الحسن

المناطق المحتلة

عقب زيارة السادات لاسرائيل، والحديث عن مؤتمر القاهرة ، وجه حزب مصر العربي الاشتراكي الحاكم دعوة الى عدد من « وجهاء » المناطق المحتلة لزيارة القاهرة ، بالتنسيق مع سلطات الاحتلال . وقصد من وراء ذلك امورا ثلاثة (١) الضغط على م.ت.ف. من خلال التلويح بـ « البديل » (٢) محاولة تنمية زعامة في الضفة الغربية وقطاع غزة لتقف في وجه م.ت.ف. في حال استمرارها مناصبة العداء لسياسة النظام المصري (٣) كسب ود وعطف سلطات الاحتلال .

وقد استقبلت سلطات الاحتلال الدعوة بالذهاب باعتبارها طعنة يوجهها الرئيس المصري لمنظمة التحرير ، وانعكس ذلك في المقالات الافتتاحية لعدد من الصحف الاسرائيلية التي دعت « الوجهاء » للخروج من اطار « الخوف » من م.ت.ف. والذهاب الى القاهرة «للتعبير عن رأيهم جهارا» .

ومن الطبيعي ان لا تجد دعوة حزب مصر العربي الاشتراكي اذنا صاغية الا من قبل فئة هزيلة تحالفت مع كل ما هو معاد للنضال الوطني للشعب الفلسطيني ، ومرتبطة ، حاليا بسلطات الاحتلال .

ومن الجدير بالذكر ان الوفود التي وصلت الى القاهرة ، وتلك التي لم يكتب لها الوصول قد عانت كثيرا ، بسبب المماطلة المصرية في تحديد موعد سفرها وتاخير استقبالها عند قناة السويس ، حيث بقي البعض منهما ينتظر بضعة ايام في صحراء سيناء ، وبسبب استياء الشعب ضدها ، فضلا عن تهديدات العناصر الوطنية في الضفة الغربية لها ، واشفاع التهديد بالفعل . وربما تعود اسباب المماطلة المصرية الى هزالة رؤساء واعضاء الوفود .

كان اول الوفود التي توجهت الىالقاهرة وفد من قطاع غزة . يضم حوالي مئة شخص ، سافر الى القاهرة في الثاني من كانون الاول ، برئاسة الشيخ هاشم الخزندار امام غزة المعروف بعمالته لسلطات الاحتلال . ومن ابرز عناصر الوفد رئيس بلدية دير البلح محمد سليمان العزايزة الذي يبز اقرانه من اصحاب الولاء المزدوج لجهة الولاء لسلطات الاحتلال . ومن الطريف ان « العزايزة ، القى كلمة في مجلس الشعب المصري هدد فيها م.ت.ف. ووجه انذارا لها بأن تعرب عن استعدادها لحضور مؤتمر القاهرة

« خلال يومين » ، والا فانه يعتبر نفسه مخولا للتحدث باسم الفلسطينيين ! ومن الجدير بالذكر ان عددا من اعضاء الوفد، تلقوا خلال مكوثهم في القاهرة تهديدات من خلال مكالمات هاتفية اجراها معهم « مجهولون ».

وفي الثاني والعشرين من كانون الاول الماضي اجتازت وفود اخرى من الضفة الغربية وسيناء قناة السويس ، بعد ان تم جمع افرادها في سيناء وابقائهم هناك لفترة بحجة عدم توفر فنادق خالية في القاهرة ، الامر الذي دفع البعض من افرادها الى العودة . وقد ضمت هذه الوفود ٢٨٠ شخصا يتوزعون على ثلاثة وفود ، وفد منطقة الخليل برئاسة برهان الجعبري ، ابن الشيخ محمد الجعبري سيء الصيت ، ووفد منطقة رام الله برئاسة العميل المحامي حسين الشيوخي ، ووفد منطقة العريش برئاسة احمد طنجير رئيس بلدية العريش .

اما وفد نابلس برئاسة عضو البرلمان الاردني سابقا عبد الرؤوف الفارس ، فلم يواجه متاعب المكوث في سيناء لفترة بحجة عدم توفر اماكن للاستضافة ، بل واجه متاعب اشد من جانب العناصر الوطنية في المدينة التي حذرت اعضاء الوفد من مغبة الذهاب الى القاهرة بواسطة الاتصالات الهاتفية . ونجم عن التحذيرات انسحاب البعض من الوفد ، والحقت العناصر الوطنية التحذير بحرق بعض متاجر وسيارات تخص اشخاصا من اعضاء الوفد ، الامر الذي دفع عبد الرؤوف الفارس الى الاعلان عن « تاجيل » السفر الى القاهرة ؟ وفي غضون ذلك اعلن عن خطة بيجن التي واجهت استياء عاما في الضفة ، ولم يجد عبد الرؤوف الفارس وسط السخط الشعبي واستمرار العناصر الوطنية في ضغطها على اعضاء الوفد الا الغاء الزيارة تماما .

وبذلك اقتصرت الاستجابة للدعوة التي وجهها النظام المصري الى شخصيات في الضفة الغربية على الرموز التي لا يستسيغ الجلوس معها احد في مصر حتى السادات، وتتمثل في برهان الجعبري ، حسين الشيوخي وهاشم الخزندار . ولم يستجب للدعوة اي رئيس بلدية باستثناء رئيس بلدية دير البلح المعروف بولائه لسلطات الاحتلال ، كما ان بعض الشخصيات المعروفة بتعاطفها مع النظام الاردني لم تتحمس للزيارة . وسنقف هنا على رأي رئيس بلدية غزة رشاد الشوا المعروف بولائه للنظام الاردني ، وتغليفه لهذا الولاء بالاعلان عن « تأييده » لمنظمة التحرير ، ورأي انور نسيبة من القدس المعروف بولائه للنظام الاردني .

يقول الشوا في مقابلة مع صحيفة « عل همشمار » (٧-١٢-٧٧) : « اما هل سأسافر ؟ انني لا اعتقد ذلك . لا اريد ان اكون شريكا في الانقسام بين الفلسطينيين الذين يعيشون هنا وبين اولئك الذين يعيشون في البلدان العربية ، اعتقادا مني بأن المزيد من الخلافات في وجهات النظر لا يؤدي الى تقريب السلام بل الى ابعاده ... »

وحول السؤال الذي وجه اليه « هل تعتقد ان م.ت.ف. هي الممثل الوحيد للفلسطينيين » اجاب رشاد الشوا الذي يحرص دائما عندما يوجه حديثه الى الرأي العام في المناطق المحتلة او العالم العربي على الاشادة بمنظمة التحرير، اجاب : «لقد رفضت حكومة اسرائيل بعناد قبول طلبات وتلميحات من جانب السكان منذ ١٩٦٧ بخصوص اقامة منظمة سياسية ، منظمة تنطق باسمنا وتمثلنا . انت كيهودي تعرف ان كل شعب بحاجة الى تنظيم يمثله . وقد

خلق فراغ بسبب رفض اسرائيل ، وهذا الفراغ شغلته م٠ت٠ف٠ التي تعتبرالمتحدث باسم جميع الفلسطينيين ٠ ولم يبقوا امامنا اي خيار اخر ٠ ولم يبق امامنا الا الاعتراف بـ م٠ت٠ف٠ كممثل ينطق باسمنا ٠ وطالما لا يوجد شيء اخر ، فاننا نعترف بـ م٠ت٠ف كممثل ينطق باسمنا »٠

اما انور نسيبة فقد استبعد احتمال تمثيل الفلسطينيين بواسطة تنظيم من وسط سكان المناطق المحتلة ، وردا على سؤال وجهه اليه بهذا الخصوص مراسل صحيفة دافار (٢٠-١٢-٧٧) في اطار الحديث عن زيارة وفود من الضفة للقاهرة ، قال «لماذا لا يدرك الاسرائيليون انه من الصعب على سكان المناطق القيام بهذه المهمة ؟ خلال الحرب العالمية عندما كانت فرنسا محتلة من قبل الالمان اجرى المارشال بيتان مباحثات مع هتلر ، كيف نظر اليه ابناء شعبه اذا لم ينظروا اليه كخائن ؟ هكذا يرون بلورة تنظيم في المناطق لاجراء اتصالات مع سلطات الاحتلال ، ومن الافضل للاسرائيليين ادراك ذلك » ٠

موقف العناصر الوطنية

من خلال هذه الرؤيا ، وبغض النظر عن مواقف نسبية المغايرة لها في كثير من الاحيان ، تحركت العناصر الوطنية في الضفة الغربية وتصدت لمحاولة السادات وسلطات الاحتلال ، الالتفاف حول م٠ت٠ف بهدف سلبها تمثيل الشعب الفلسطيني ، واتخذ التحرك قوالب عدة ، تمثلت في تظاهرات طلابية ، وتصريحات لرؤساء بلديات وعقد اجتماعات للعناصر الوطنية، والتوقيع على عرائض ، تشجب محاولة الالتفاف هذه ٠

فعلى صعيد التظاهرات ، جرت تظاهرات في رام الله واخرى في نابلس ردد المتظاهرون فيها شعارات تدين سياسة السادات والاحتلال الاسرائيلي ، وتؤيد م٠ت٠ف ، والقى كريم خلف رئيس بلدية رام الله كلمة امام المتظاهرين في رام الله اشاد فيها بمنظمة التحرير ، وذكر ان الوفود التي تعتزم مغادرة المناطق المحتلة الى القاهرة « لا تمثل احدا » ؟

وفي غضون ذلك اشارت المصادر الاسرائيلية الى تصريحات عدد من رؤساء البلديات ، تدين محاولة الالتفاف حول تمثيل م٠ت٠ف للشعب الفلسطيني ، ومن بين هؤلاء الرؤساء ، حلمي حنون رئيس بلدية طولكرم الذي « يعتقد ان الاكثرية الصامتة في الضفة والقطاع تؤيد م٠ت٠ف، وليس بوسع الملك حسين او شخصيات فلسطينية من الضفة والقطاع تمثيل الشعب الفلسطيني » وكذلك رئيس بلدية قلقيلية الحاج امين الناصر الذي يرى انه « ليس بوسع السادات الغاء مقررات مؤتمر الرباط ، وان م٠ت٠ف بقيت وفق هذه المقررات الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني٠»

الى جانب ذلك عقدت العناصر الوطنية المؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية في الجزء الثاني من كانون الاول مؤتمرا في القدس حضره قرابة ٤٠ من الشخصيات الوطنية٠ ومن الجدير بالذكر ان جهاز الحكم العسكري حظر على رؤساء البلديات حضور المؤتمر ، الا ان البعض منهم جاء الى المؤتمر رغما عن الحظر ، وتمخض عن الاجتماع عريضة وقع عليها الحاضرون ، كما وقع عليها عدد كبير من الشخصيات والهيئات الوطنية ٠ ومن بين هؤلاء رؤساء واعضاء بلديات رام الله ، نابلس ، البيرة، الخليل ، طولكرم ، قلقيلية ، جنين ، اريحا، بيتونيا ، بير زيت ، سلواد ، محرابه ، حلحول ، دورا ، ونائب رئيس بلدية بيت لحم ، ونائب رئيس بلدية بيت حالا ، بلدية سلفيت ، بلدية غبثا ، وعدد كبير من

المؤسسات الشعبية والنقابات المهنية ٠

وتضمنت العريضة مقدمة ، ادانت زيارة السادات ، واشادت بمنظمة التحرير ، وخمس مبادىء هي :

« ١ ـ اننا في الوقت الذي نعلن فيه موقفنا هذا من زيارة السادات نؤكد ايماننا بدور مصر وتضحياتها من اجل القضية الفلسطينية وقضايا النضال العربي ، ونؤكد على عمق التحالف بين شعبنا والشعب المصري ، ايماننا الذي لا يتزعزع بالدور المركزي الذي تحتله مصر في معركة التحرير العربي ، ونحيي نضال شعبها وتضحياته الكبيرة ٠

٢ ـ ان شراسة المعركة في ظل الهجمة الامبريالية الحالية على مكتسبات شعبنا والشعوب العربية تستدعي اقامة جبهة عريضة تضم جميع الدول العربية الرافضة لكل اشكال الهجمة الامبريالية على المنطقة، وتضم كذلك المنظمات الشعبية العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وتجيير الطاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية للوقوف امام هذه الهجمة ، ووضع حد للتآمر على جميع المكتسبات الوطنية ٠

٣ ـ ان شعبنا الفلسطيني في الاراضي المحتلة يؤكد بوضوح تام ايمانه بوحدة الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، ويؤكد على وحدة تمثيل الفلسطينيين ممثلا بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وهي الجهة الوحيدة المخولة بالتكلم باسم هذا الشعب . ونشجب اي محاولة لاقامة قيادة بديلة او موالية ٠

٤ ـ ان حقوق شعبنا الفلسطيني والتي اكدتها قرارات الامم المتحدة المختلفة هي حقوق غير قابلة للمساومة ، وفي مقدمة هذه الحقوق حق كل شعب في تقرير مصيره على ارضه بحرية تامة، وعليه فنحن نرفض اي صورة من صور الوصاية مهما كان مصدرها واي شكل من اشكال الحلول التي تنتقص من استقلالية هذا الشعب واستقلالية ارادته ، ونرفض بالتالي اي ربط قسري للدولة الفلسطينية مع اي جهة اخرى ما دام هذا الاتجاه يتعارض مع حرية شعبنا في تقرير مصيره ٠

٥ ـ اننا من الاراضي المحتلة نحيي نضال جميع شعوبنا العربية ، ونحيي كذلك جميع القوى التي قدمت التأييد لنضالنا العادل ، ونحيي قبل هذا وذاك نضال شعبنا في الخارج بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وندعو الى الوقوف بحزم ضد كل محاولات زعزعة التضامن العربي القائم على ارادة الامة العربية في التخلص من الهجمة الامبريالية » ٠

تصفية دفعة من العملاء

الى جانب ذلك اقدمت العناصر الوطنية في الضفة الغربية على تصفية دفعة من العملاء ، كانوا قد انخرطوا منذ مدة طويلة فيخدمة سلطات الاحتلال والمخابرات الاسرائيلية ٠ وتقتصر هذه الدفعة على منطقة رام الله ، ويتشكل افرادها من سليم جميل الاسمر من سكان مدينة البيرة ، وقد لقي مصرعه في اوائل شهر كانون الاول الماضي ٠ وحمدي القاضي من رام الله ، مدير سابق لمدرسة ثانوية ، ويعمل في جهاز الحكم العسكري في المدينة ٠ وقبل عامين اقدمت العناصر الوطنية على حرق سيارته لدفعه للتراجع عن خدمة جهاز الحكم العسكري الا انه لم يرتدع، وعوضته سلطات الاحتلال بسيارة جديدة ٠ وعرفته صحيفة الاتحاد الناطقة باسم راكاح بعد مصرعه بانه « من رجالات العهد الاردني، ورثته ادارة الاحتلال والحكم العسكري فأصبح من ابرز المتعاونين معها ٠٠٠ ومعروف بميوله الواضحة المؤيدة لمشروع

بيجن والمعارضـــة لمنظمـة التحريـــر الفلسطينية ... » وجرت عمليةتصفيتهعلى يد العناصر الوطنية في ٢٦_١٢_٧٧ .

اما ثالثة الاثافي فتتمثل في شخصية جمعت بين العمالة المتناهية والاجـرام الحاقد ، وصاحب هذه الشخصية هو عبد النور خليل جنحو (وقد سبق ومر معنا في شهريات شؤون فلسطينية اكثر مــن مرة ، انظر عدد ٧٣) من رام الله ، الذي ارتبط اسمه باعمال سمسرة الاراضي ، وبصفقات بيع للاراضي وخاصة في قرية النبي صموئيل الى افراد يهود والى شركـة هيمنوتا الاسرائيلية التابعة للكيرن كييمت، والتعاون السافر مع المخابرات الاسرائيلية، والتعاون السياسي مع مجموعة من العملاء المرتبطين بسلطات الاحتلال ، وبالجريمة البشعة التي اقترفها اثناءالحملة الانتخابية للبلديات التي جرت عام ١٩٧٦ ، حيـن تصدى للطلبة المتظاهرين في مدينة رام الله واطلق النار من مسدسه نحو فتى ، فارداه قتيلا . واودع السجن لفترة ثم مثل امام محكمة عسكرية ، وبرأته المحكمة من جريمة القتل ، وسط سخـط شعبـي عـــارم واحتجاجات حتى مـــن بعض الصحف الاسرائيلية التي رأت في هذا الحكـــم انتصارا للمخابرات الاسرائيلية علـــى «عدالة» القضاء الاسرائيلي. الا ان العدالة الحقيقية تحققت في الثامن مـــن شباط الماضي .

وقد نسبت الجبهة الشعبية لتحريـــر فلسطين في بيانات لها ، مسؤولية تصفية هذه الدفعة من العملاء ، الى عناصرهـــا في الداخل .

مشروع « الحكم الذاتي » في الضفـة الغربية وقطاع غزة

في الثامن والعشرين من كانون الاول الماضي ، وبعد اكثر من عشر ساعات من النقاش في الكنيست الاسرائيلي ، حظي مشروع بيجن بخصوص الضفة الغربيـة وقطاع غزة بالموافقة البرلمانية عليه . ومن الجدير بالذكر ان الصحف الاسرائيليـة كانت قد سربت معظم بنود المشروع قبـل نشره رسميا . وقد واكبت ردود الفعـل في المناطق المحتلة على المشروع قبل وبعد نشره رسميا. وربما يكون مشروع« الحكم الذاتي » احد الموضوعات القليلة التـي تشابهت حولها ردود الفعـــل الشعبية الوطنية ، وكذلكردود الفعل لدى الزعامة التقليدية ، وان اختلفت في النبرة وطرح البديل . فعلى الصعيد الشعبي ، اشارت الصحف الاسرائيلية الى المعارضة المطلقة لمشروع بيجنفي الضفة الغربية وقطـاع غزة . ونقلت احاديث عن « رجل الشارع العادي » في الضفة الغربية، تتسم بالسخط والاستهجان » اي مشروع هذا ؟

ان البقاء تحت الاحتلال افضل مـــن الموافقة على مشروع كهذا ، لا يمكن العثور على فلسطيني واحد يقبـل اقتراح رئيس الحكومـة الاسرائيليـة . فهذا اقتـراح حقير للغاية . من ناحية يقترحون علينا حكما ذاتيا ، ومن ناحية اخرى يريـدون استمرار الاستيطان اليهودي في الضفة ، والجيش الاسرائيلي يحكمنا » .

ولا يختلف الموقف العام لسكان القطاع عن هذا الموقف ، فقد اعترف احد المعلقين الاسرائيليين بذلك قائلا « يفضل ســكان غزة العيش عشرة او خمسة عشر عامـا اخرى تحت الحكم الاسرائيلي على قبول الحكم الذاتي الذي يطرحه عليهم بيجن ..» ونقل وصفا للمشروع احد سكان القطاع « انه نبيذ قديم في زجاجة حديثة ، انـه حكم عسكري بثوب اخر !» .

كما ان العناصر الوطنية بادرت الـى رفض المشروع منذ بداية الحديث حوله ، ففي الاجتماع الذي عقدته العناصر الوطنية

في نادي الاكاديميين في القدس ، شجب الدكتور انور الخطيب رئيس ادارة النادي ورئيس الهلال الاحمر مشروع بيجن ، وقال انه لا يختلف عن مشروع الادارة الذاتية للتجمع العمالي ، واكد في سياق شجبه للمشروع « حق الشعب الفلسطيني في اقامة دولة مستقلة ذات سيادة ... ويجب رفض اية صيغة اخرى » . كما ان رؤساء البلديات الوطنيين ، وكذلك رؤساء المؤسسات الشعبية والنقابات المهنية ، وخاصة اولئك الذين وقعوا على العريضة التي ذكرناها سابقا ، اكدوا في مقابلات واحاديث وبيانات في مناسبات مختلفة ، شجبهم القوي لشروع بيجن ، واعلنوا تمسكهم بمنظمة التحرير الفلسطينية .

وفيما يتعلق بموقف بعض الشخصيات التي تنعتها المصادر الاسرائيلية بـ«الاعتدال» والمؤيدة بشكل عام للنظام الأردني ، فقد اعلنت هي الاخرى عن رفضها للمشروع ، فالياس فريج رئيس بلدية بيت لحم « لا يتصور أن يكون هذا هو مشروع بيجن المقترح من جانب اسرائيل ... واذا كان مشروع بيجن يشبه المشروع الذي نشر فاننا نرفضه بشكل قاطع » كما ان حكمت المصري رئيس البرلمان الاردني سابقا يرى انه « لا يمكن للنقاط التي طرحها بيجن ان تكون الجوات لمبادرة الرئيس المصري» واعلن رفضه لها. اما رئيس بلدية غزة رشاد الشوا فقد اعلن هو الاخر رفضه لمشروع بيجن ، مضيفا انه « اذا كانت اسرائيل ترغب الان في السلام والاستقرار في المنطقة ، فعليها الاعتراف بالحقوق الشرعية للفلسطينيين والموافقة على قيام دولة فلسطينية تكون مرتبطة بالاردن » .

وفي النهاية لا بد من تسجيل الملاحظات التالية :

١ ـ ان المشروع لا يتطرق الى القدس العربية ، معتبرا اياها قد ضمت رسميا الى اسرائيل ، ويرى في الضفة الغربية باستثناء القدس، انها تتكون من منطقتين : يهودا والسامرة !

٢ ـ الحرص على استمرار الاستيطان الاسرائيلي في مناطق « الحكم الذاتي ».

٣ ـ الحرص على حق الاسرائيليين والمؤسسات الصهيونية في شراء واستملاك الاراضي في مناطق الحكم الذاتي .

٤ ـ الحرص على تواجد القوات الاسرائيلية في مناطق الحكم الذاتي ، وتكليفها بمهام الحفاظ على الامن الداخلي، اي قمع التظاهرات والتحركات الوطنية في المدن والقرى ، وهذا يعني تواجدها اليومي في المدن والقرى .

٥ ـ الحرص على عدم السماح للاجئين او النازحين الفلسطينيين الموجودين خارج المناطق المحتلة بالعودة الى مناطق الحكم الذاتي ، الا بموافقة جماعية من الاطراف الثلاث الاردن والادارة الذاتية واسرائيل . هذا مع العلم ان المشروع يسمح بالتواجد الاسرائيلي غير المحدود في هذه المناطق .

هذا هو جوهر المشروع الذي لا يختلف عن الاحتلال اطلاقا ، والذي جعل الكثيرين في المناطق المحتلة يفضلون الاحتلال عليه ! ومن الملفت للنظر ان المشروع مليء بالبنود الخالية من اي معنى ، ولا شك بأن القصد من حشوه بهذه البنود الجوفاء يجيء كمحاولة للتخفيف من المعاني الاحتلالية البشعة .

عبد الحفيظ محارب

اسـرائيليـات

١ / زيارة بيغن لواشنطن ولندن دوافعها - واهدافها

يعتقد المحللون السياسيون في اسرائيل ، ان نقطة الانطلاق لزيارة مناحيم بيغن المفاجئة في كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩٧٧ ، لواشنطن ، نابعة من موافقة الرئيس السادات على تأجيل موعد افتتاح مؤتمر جنيف ، وزيارة وزير الخارجية الاميركي سايروس فانس لمنطقة الشرق الاوسط ، التي اعادت الولايات المتحدة الى دورها التقليدي في المنطقة ، بعد مبادرة السادات وزيارته للقدس المحتلة .

اذ ان السادات كان يهدف في الاساس، في رأيهم ، من مبادرته هذه الى « اعادة الولايات المتحدة الى وظيفتها بالحجم الذي يليق بها » ، بعد ان يكون قد خلق صورة مصداقة لدى الرأي العام الاميركي ، وهي صورة الدولة التي تسعى من اجل السلام. وذلك « لممارسة الضغوط على اسرائيل ودفعها الى الاستجابة لهذه المبادرة المصرية ، بتنازلات اقليمية كبيرة في المناطق المحتلة » الامر الذي « خلق تخوفا اسرائيليا من تنسيق اميركي - مصري - سعودي ، على حساب اسرائيل وخلق جو من الضغط ضدها » (هآرتس ، دافار ١٦-١٨-١٩-١٢-٧٧) .

أما نقطة الانطلاق الثانية ، للدوافع التي كانت تكمن خلف هذه الزيارة « البراقة » فتكمن في « وضع الرئيس الاميركي ، وحاجته الى نجاح عملي ملموس ، يمكنه من منافسة الرئيس المصري على شاشة التلفزيون الاميركي ، الموجه الحقيقي لمبادرات السلام في الشرق الاوسط » (المصدر السابق) . ولذلك فان اية ايماءة اسرائيلية لزيارة يقوم بها بيغن لواشنطن من اجل التشاور مع كارتر. والحصول على موافقته بالنسبة لمقترحات اسرائيل في المفاوضات المقبلة مع مصر ، ستقابل بالترحيب » . وهذا ما كان بيغن قد « لمسه من خلال محادثاته مع الوزير سايروس فانس » ابان زيارته الشرق اوسطية .

وكانت هذه هي الفرصة التي ينتظرها مناحيم بيغن ، للحصول من الولايات المتحدة على ما كان يسعى اليه بعد زيارة السادات لاسرائيل ، والخطوات السياسية السريعة والتظاهرية التي اعقبتها ، كثمن « للمبادرة السياسية الحسنة » التي يقدمها رئيس الحكومة الاسرائيلية للرئيس كارتر الذي يسعى جاهدا للسيطرة على منصبه بعد عام على تسلمه الرئاسة » . (المصادر نفسها) .

ويبدو ان الاهداف التي كان بيغن يسعى الى تحقيقها في تلك الزيارة وبغض النظر عن المسرح ، هي :

١ - ان يثبت للرئيس كارتر ، ما تساويه اسرائيل بعد فقدان وزنها كشريك ذي فعالية في المنطقة (اثر حرب اكتوبر وحظر النفط ، والتعلق الاميركي باستيراد

الطاقة من مصادر عربية) كعنصر يستطيع ان يمنح الرئيس الاميركي نجاحا في الحكم لسنوات اخرى مقبلة ٠

٢ ـ تقوية الدعم الاميركي للمبادىء المشتركة التي كانت اسرائيل قد توصلت اليها مع الولايات المتحدة خلال عهد رابين ـ كيسنجر ٠

٣ ـ الحؤول دون اي تنسيق اميركي ـ مصري ـ سعودي على حساب اسرائيل ، وامكانية خلق جو من الضغط ضدها ٠

٤ ـ خلق مثلث متوازي الاضلاع من اسرائيل ومصر والولايات المتحدة ، يكون التوازن فيه كاملا بين زواياه الثلاث ٠

٥ ـ تقوية الموقف الاسرائيلي في المفاوضات الجارية مع مصر ، والحصول على موافقة اميركية على المقترحات الاسرائيلية التي يحملها معه ٠

٦ ـ الاستمرار ـ في « تدجين » الرئيس كارتر ، واقناعه بان الحل ممكن في الشرق الاوسط بدون دولة فلسطينية، وان كل حل في الضفة الغربية لا بد وان يرتكز على الفرضية الاسرائيلية ، بان ثمة عرب كانوا يسكنون فلسطين ، وليس ثمة من شعب فلسطيني في حاجة لتقرير المصير ٠ وان كل تنازل محسوس من اسرائيل ـ كمنح الفلسطينيين استقلالا مدنيا ـ مصدره الفرضية القائلة ان ثمة مشكلة انسانية لسكان كانوا ذات مرة تحت حكم الانتداب البريطاني ٠

وهدف هذه المحاولة هو السعي الى استكمال عملية « تدجين » الرئيس الاميركي ، التي اسفرت حتى هذه المرحلة عن اقناعه بما يلي :

« أ ـ ان عدم اشتراك م٠ت٠ف في محادثات السلام الجارية ، لم يكن نتيجة لتصلب اسرائيل ، وانما هو في الواقع نتيجة للعناصر المتطرفة التي تسيطر عليها ، والتي ترى ان مبرر بقائها هو عدم بقاء اسرائيل ٠

ب ـ لم يكن رفض اسرائيل الانسحاب من الاراضي المحتلة هو العقبة في وجه السلام ٠ بل ان الحاجز النفسي في العالم العربي للتسليم بوجود اسرائيل ، هو الذي يشكل العقبة الرئيسية ٠

حـ ـ ان مفتاح السلام في الشرق الاوسط هو بحشد الدول العربية المعتدلة والتي تدور في الفلك الاميركي ، وان الطريق الى الحل الشامل تمر عبر هذه الدول في البداية ، وليس العكس ٠

د ـ ان ثمة بدائل اخرى لمؤتمر جنيف، وليس من الضروري اختيار منبر تسيطر عليه الاطراف الاكثر تصلبا ٠

هـ ـ ان السوفييت ليسوا عنصرا بناء في عملية السلام كما كان يعتقد ، وغير معنيين البتة بسلام اميركي في المنطقة » ٠

اما الزيارة القصيرة التي اجراها مناحيم بيغن للعاصمة البريطانية في طريق عودته من واشنطن ، وعشية زيارته للاسماعيلية ، فلم تكن فقط « بادرة سياسية حسنة » من رئيس الحكومة الاسرائيلية تجاه بريطانيا لتحويلها الى « شريكة في عملية السلام الجارية في الشرق الاوسط ، واعادتها الى دائرة النشاط التي كانت قد اخرجت منه قبل ذلك » (معاريف ٢١ـ١٢ـ٧٧) ، وانما كانت تنطوي ايضا على « تعبير عملي

لجمل علاقات اكثر عمقا وحرارة بين لندن واسرائيل » (المصدر نفسه) ، ولكـي يجدد فيها مناحيم بيغن هذه المرة « روح وعد بلفور » ، كما اعلن اثر وصوله الى العاصمة البريطانية · وهذا هو الثمن الذي كان يطمح بيغن للحصول عليه في زيارته للحكومة البريطانية ·

ويرى البعض ان بيغن استطاع بالفعل « تخفيف الحماس البريطاني بالنسبة لـ م·ت·ف ودولة مستقلة بقيادتها » (المصدر نفسه) ، بعد ان كانت الحكومة البريطانية قد اظهرت ، في فترات سابقة، انتقادا لاذعا لسياسة اسرائيل ، ودعما مكشوفا لفكرة الوطن الفلسطيني · كما كان واضحا من تصريحات رئيس الحكومة البريطانية ووزير خارجيته دافيد اوين ان الوطن الفلسطيني، « لا يعني بالضرورة دولة فلسطينية مستقلة » (معاريف ٢١ــ١٢ــ٧٧) ·

واكثر من ذلك ، فان المسؤولين البريطانيين كفوا وبتأثير من بيغن ، عن الحديث « عن المشكلة الفلسطينية » وراحوا يتحدثون « عن مشكلة الرافضين الفلسطينيين » ، والهدف من ذلك كان الحصول على الدعم البريطاني لمقترحات مناحيم بيغن التي كان يحملها معه الى مفاوضات الاسماعيلية مع الرئيس المصري انور السادات ·

اما الهدف الثاني الذي كان بيغن يسعى لتحقيقه من زيارته للندن فكان « وقف الانجراف والتآكل المستمر في موقف دول السوق الاوروبية تجاه اسرائيل والتي كانت قد عبرت عنه في بياناتها المناهضة لاسرائيل » (المصدر نفسه) ·

وكان بيغن قد ادعى امام كالاهان انه « ليس للدول الاوروبية التي كانت شاهدا على الكارثة اليهودية ، حقا اخلاقيا في مطالبة اسرائيل بالانتحار » ، اي بدعوتها الى الانسحاب من الاراضي المحتلة ، وقيام دولة فلسطينية ، لان « اوروبا » ، على حد زعمه ، « بطولها وعرضها ، من الفولغا وحتى المحيط ، هي مقبرة كبيرة لليهود » (المصدر نفسه) · وطلب بيغن من كالاهان ان يسعى للتأثير على زملائه في القارة الاوروبية كي « يتركوا اسرائيل وشأنها في جهودها من اجل سلامها دون ان يتدخلوا » (المصدر نفسه) · وقد قام جيمس كالاهان فعلا بتنفيذ هذه المهمة التي اوكلها اليه بيغن، وباخلاص ، اذ توجه الى جميع زملائه في غرب اوروبا وطلب اليهم بان « يكفوا عن تدخلهم في الشرق الاوسط ، في هذه المرحلة من الجهود الصادقة والفرصة الحقيقية لاحلال السلام » (المصدر نفسه) ·

توفيق فياض

٢ / مشروع الحكم الذاتي في الضفـــة الغربية وقطاع غزة : افضل الطرق لتحقيق اسرائيل الكبـــرى

اثار مشروع الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة الذي اقترحه رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن ، ردود فعل متفاوتة منها المؤيد ومنها المعارض . ويتلخص رد الفعل المؤيد لهذا المشـــروع على « انـه افضـل الطرق لتحقيق ارض اسرائيل الكبرى » . واما الرأي المعارض والذي يمثله حزب العمل وغوش ايمونيم وبعض الجهات من حزب الليكود ، فيرى ان هذا المشروع سيؤدي ان عاجـلا او آجلا الى اقامة دولة فلسطينيـــة بيـــن اسرائيل والاردن .

ويبدو واضحا ان هذا المشروع ليس جديدا ولا يختلف كثيرا في المضمون عن المشاريع التي سبقته ، ولكنه يمتـــاز عنها بالدهاء والمكر والاخراج ، حيث انه يعتمد كليا على اعتبار الضفة الغربيـــة جزءا لا يتجزأ من ارض اسرائيل الكبرى. ولكن خوفا من ان يؤدي الاعلان عن ذلك الى فشل التسوية فقد جاء بيغن بمشروعه الداعي الى الحكم الذاتي ، لكي يوهـــم العالم بانه اعطى الفلسطينيين حقوقهـــم واستقلالهم ، بينما الحقيقة هي عكس ذلك تماما . فان ما سيحدث هو وضع الضفة الغربية وقطاع غزة تحت ظروف سياسية واقتصادية تؤدي في النهاية الى ابتلاعها داخل اسرائيل ، كما حدث في اعقـــاب الحرب العالمية الاولى ، عندما وضعـــت فلسطين تحت ظروف سياسية واقتصادية معينة تمهيدا لانشاء وطن قومي يهـودي فيها ومن ثم دولة يهودية . كما ان هـــذا المشروع يعطي بعض الجهات العربيـــة المتورطة مع اسرائيل ، الذريعـــة للتخلص من القضية الفلسطينية والظهور امـــام الرأي العام العربي بصورة خاصة ، على انها حققت ما كانت تدعو اليه دائمـــا بالالتزام بالحقوق المشروعـة للشعـــب الفلسطيني .

وقبل ان نعرض مختلف الاراء حول هذا المشروع لا بد لنا مـــن ذكـر الخطـوط الرئيسية التي وردت فيه ، والتي تتمثـل في الغاء الادارة العسكرية للشؤون المدنية في الضفة والقطاع ، واقامة حكم ذاتـي اداري للسكان العرب هناك . وسيقـوم هؤلاء بانتخاب مجلس اداري مؤلـــف من ١١ عضوا ، يشرف على الامـــور التالية : التعليم ، الديـــن ، الماليـــة ، المواصلات والبناء والاسكان ، الصناعـة والتجارة ، السياحة والزراعة ، الصحـة والعمل والانعاش ، شعبة تأهيل اللاجئين والادارة القضائية والاشراف على قـــوة شرطة محلية . واما بالنسبة للامـــن والنظام العام في هذه المناطق فستتولاها السلطات الاسرائيلية ، وفيما يتعلـــق بالجنسية فانه يحق لهـؤلاء السكـــان الحصول على الجنسية الاسرائيليـــة او الاردنية ، وكذلك سيمنح لجميع السكان ، عربا او يهودا ، الحق المتبادل لشـراء الاراضي في اسرائيل او المناطق المحتلة . ويعتبر البند الرابع والعشرين من بيـــن اهم هذه البنود ، اذ يشير صراحة الـى نية اسرائيل في ضم هذ المناطق اليها ، بتأكيده على « اصرار اسرائيل عـــلى حقها في السيادة على الضفة الغربيـــة وقطاع غزة ، [ولكن] ولمعرفتها ان هناك ادعاءات اخرى فانها تقترح من اجـــل الاتفاق والسلام ابقاء مشكلة السيـــادة مفتوحة في هذه المناطق » (هآرتس ٢٩ ـ ١٢ ـ ٧٧) .

وقد عرض هذا المشروع على الكنيست للمصادقة عليه ، وبعد مناقشة طويلة تمت الموافقة عليه باكثرية ٦٤ صوتا وامتناع ٤٠ صوتا وتصويت ٨ ضده منهم غيتولاه كوهين وموشيه شامير من ليكود والحاخام دروكمان من المفدال . وكان اخر المتكلمين في هذا النقاش ، موشي دايان وزير الخارجية ، الذي رد على استفسارات النواب وخصوصا فيما يتعلق بمسائل الجنسية وشراء الاراضي. واوضح دايان ان اقتراح منح السكان في تلك المناطق جنسية اسرائيلية او اردنية يهدف الى منعهم من الاعلان عن انفسهم دولة مستقلة في المستقبل . وسئل عن كيفية القيام بذلك فأجاب : « بقوة ذراع الجيش الاسرائيلي » . كما سيمنع الجيش الاسرائيلي بالقوة قدوم الاف اللاجئين الى هذه المناطق .

هذا وتتجلى سياسة الخداع والتضليل الاسرائيلية بالنسبة لمشروع الحكم الذاتي، في الادعاء الذي ورد فيه بانه يحق لكلا الطرفين شراء الاراضي لدى الطرف الاخر . وقد اثار هذا البند حفيظة الاسرائيليين لان تنفيذه قد يؤدي الى تدفق السكان العرب الى اسرائيل ما قبل عام ١٩٤٨ وهذا ما يعتبرونه خطرا كبيرا على المشروع الصهيوني برمته ، الا ان المشروع سيحقق عمليا تدفق اليهود فقط على الضفة والقطاع والاستيلاء على الاراضي الحكومية هناك ، ومن ثم وضع الضفة الغربية وقطاع غزة تحت ظروف واوضاع تجعل الحياة فيها صعبة تمهيدا لتهجير سكانها وشراء اراضيها . وهذا ما اشار اليه دايان صراحة بقوله انه لا وجود لخطر شراء الاراضي من قبل السكان العرب ، لان ٩٢٪ من اراضي اسرائيل هي املاك عامة وتملكها ادارة عقارات اسرائيل واما الاراضي المتبقية التي تبلغ مساحتها ٨٪ فهي ملك خاص ولكنها ماهولة جميعها (المصدر نفسه) .

واوضح دايان في كلمته امام الكنيست النوايا الحقيقية لهذا المشروع فذكر بان الجيش الاسرائيلي هو القوة الوحيدة التي ستتواجد غربي نهر الاردن وفي كل مكان يتطلب ذلك في الضفة والقطاع وذلك في سبيل تمكين اليهود من العيش هناك . واشار الى حق اليهود في شراء الاراضي في هذه الاماكن والاستيطان فيها ، وكذلك حقهم في التنقل بحرية دون اذن .

وأكد نائب وزير الدفاع الاسرائيلي مردخاي تسيبوري بان الجيش الاسرائيلي سيبقى في الضفة ويشرف على الحدود عند تنفيذ مشروع الحكم الذاتي . واشار الى صعوبة موضوع الضفة ، ولكنه قال « علينا ان نعرف كيف نأكل الكعكة ونبقيها كاملة » ، مؤكدا « عدم وجود نية للتنازل عن الضفة الغربية وايقاف الاستيطان هناك » (معاريف ٢٢-١٢-٧٧) .

مشروع بيغن يحقق اسرائيل الكبرى

أبدت بعض الدوائر الاسرائيلية تفهما كبيرا لمشروع بيغن ودافعت عنه بحرارة ، واعتبرته بانه افضل المشاريع والطرق لتحقيق ارض اسرائيل الكبرى . فقد هاجم بوعز عفرون ، ما سمي « جبهة الرفض الاسرائيلية » سواء كانوا غيتولاه كوهين او موشيه شامير او يسرائيل غاليلي او غولده مئير ، ووصفهم جميعا بانهم « محدودوالفهم والتفكير » ، لانه « لو ناقشنا ما نشر من [المشروع] ، فانه يبدو الاحتمال الوحيد لتحقيق مشروع ارض اسرائيل الكبرى » . واشار عفرون الى خطة الحكومة التي تنوي دمج العرب في الضفة والقطاع في الحياة الاسرائيلية عن طريق اغرائهم وتشويقهم للبقاء ضمن اسرائيل . فاثنى على بادرة بيغن بتعيينه احد المحامين العرب ، محمد

نمر الهواري قاضيا في المحكمة العليا . واعتبر ذلك بداية لخلق اطر مشتركة للعرب والاسرائيليين ، « تؤدي في نهاية الامر الى ان يكونوا معنيين بارادتهم الحرة بالبقاء داخلها » . وعندها يصبح الجيش الذي يسيطر عليهم ، جيشا يحميهم . ولتحقيق ذلك ، طالب بتغيير الاطار الاسرائيلي ، والبدء قبل كل شيء بدمج العرب في اسرائيل بصورة كاملة في اطار الدولة . كما طالب بمنح الجنسية الاسرائيلية لكل فلسطيني يرغب في ذلك. ومساواة الخدمات التي تقدم للسكان الذين تسيطر اسرائيل عليهم . « وبواسطة هذه الطريقة يجب خلق اغراء قوي للبقاء في اطارنا السياسي ... فكل شيء متوقف على الامتيازات والاغراءات التي سنقدمها لعرب الضفة والقطاع وكذلك لعرب اسرائيل (يديعوت احرونوت ٢٣-١٢-٧٧) .

ولا شك في ان مشروع بيغن نابع اساسا من البرنامج الانتخابي لحزب ليكود . ويرتكز المشروع وكذلك البرنامج الانتخابي ، على « ان الشعب اليهودي على ارض اسرائيل (فلسطين) هو ازلي، ولهذا فان الضفة الغربية لن تسلم لاي حكم اجنبي ولن يكون هناك اية سيادة بين نهر الاردن والبحر سوى السيادة الاسرائيلية ، واي مشروع فيه تنازل عن اجزاء من ارض اسرائيل الغربية ، سيؤدي الى اقامة دولة فلسطينية ويحبط احتمالات السلام » .

وقد شرح رئيس الحكومة بيغن والمقربون منه ، المشروع الجديد واكدوا على انه سيمكن حكومة اسرائيل من المحافظة على مبادئها والتي تتلخص فيما يلي :

- ان الضفة الغربية وقطاع غزة لن تسلم لاي حكم اجنبي ، وبصورة تلقائية فانه لا يوجد تنازل عن اجزاء من ارض اسرائيل الغربية .
- حق الاستيطان اليهودي في هذه المناطق قائم وسيستمر .
- سياسة الامن والخارجية ستبقى بيد اسرائيل .
- المحافظة على كافة العوامل التي تمنع اقامة دوله فلسطينية .

ويستطرد المعلق شلومو نكديمون في تحليله للمشروع فيقول بان المشروع ترك موضوعا واحدا مفتوحا الا وهو سريان السيادة الاسرائيلية بين البحر ونهر الاردن . « حيث ان التطبيق الفوري للسيادة الاسرائيلية لن يمكن من تحقيق المهمة الاخرى المفضلة في البرنامج الانتخابي وهو تجسيد الحق في الامن والسلام » . (يديعوت احرونوت ٢٣ - ١٢ - ٧٧) .

ومن جهة اخرى ، برر البعض موقف بيغن الداعي الى اجراء استفتاء بين السكان العرب بعد فترة من الزمن لكي يقرروا مصيرهم بانفسهم ، بأشارتهم الى اعتقاد بيغن بانه عندما تجري الانتخابات في الضفة والقطاع وليس في المخيمات في لبنان وغيرها ، فان ذلك سيؤدي الى ظهور طبقة جديدة من السياسيين . ويعرف بيغن كافة الاسبقيات التاريخية للصراع العنيف بين هؤلاء الذين بقوا تحت سلطة الاحتلال ومقارعته ، وبين الذين خرجوا الى المنفى ، فقد تغلب في كافة الحالات الذين بقوا في البلاد . ومن المعروف ان انشاء حكم ذاتي يتطلب جهازا جديدا مع كثير من الامتيازات للاشتراك في كافة اجهزة الحكم ، ومن شبه المؤكد ان سكان المناطق لن يتركوها تفلت من ايديهم . (حوتام ٢٣-١٢-٧٧) .

المشروع يؤدي الى اقامة دولة فلسطينية

جوبه مشروع بيغن بموجة من الانتقادات والاحتجاجات وذلك من مختلف الجهات الاسرائيلية وعلى رأسها حزب

العمل وبعض النواب والقادة من حــزب ليكود نفسه ومن حركة غوش ايمونيـــم وغيرها • واثار زعيم حزب العمل شمعون بيرس عدة علامات استفهام حولــه ، وخصوصا فيما يتعلق بالسكان والسيـادة والحدود • وانتقد بيرس عدم رسم حدود الحكم الذاتي ، لان ذلك يعني ان ترتكز هذه الحدود على الخط الاخضر • واما بالنسبة للسكان ، فقد اشار المشـــروع الـــى استمرارهــم في الاحتفـــاظ بالجــواز الاردني • واعتبر بيرس ذلك امرا خطيرا، لانه سيؤدي الى قيام علاقة جماعيـــة للسكان مع التاج الهاشمي ، بينما يسعى بيغن الى منع هذه العلاقة ، لان الامـــر سيفسر على انه « سيادة اجنبية » ، كان قد تعهد بمعارضتها • كما اشار بيرس الى ان الاردن سيرفض الارتباط مـــع مثل هذا الحكم الذاتي ، الذي يتواجــد داخل حدوده جيش اسرائيلي ، ويبقــى مصير القدس مفتوحا • كما ذكر بيرس انه اصيب بالدهشة عندما سمع بيغن يقول : « ان الحكم الذاتي الذي يقترحه لسكـان الضفة انما يعني منحهم حق تقريـــر المصير » ، واعتبر بيرس ان ذلك سيؤدي على المدى البعيد الى المطالبة بدولـــة مستقلة في الضفة وقطاع غزة • كما ابدى تخوفه من ان السكان سينتخبون ممثلين عن م٠ت٠ف٠ وخلص الى القول انه في غياب علاقة فيدرالية بين المناطق المحتلـة والاردنفان الطريق ـ ان عاجلا او اجلا ـ سيؤدي الى اقامة دولة اخرى • وانتقـد بيرس حق الاستيطان المتبادل للعرب في اسرائيل ولليهود في المناطق ، مشيــرا الى انه لا يوجد تمييز في اسرائيل بالنسبة لشراء الاراضي او البيوت ، واما فـــي الضفة فان كل مواطن يبيع ارضا او بيتا ليهودي فانه عرضة للحكم بالاعـــدام (يديعوت احرونوت ٢٢ـ١٢ـ٧٧) • واذا ما قارنا اقوال بيرس هذه مع اقـــوال دايان التي سبق ان ذكرناها بالنسبـــة لبيع الاراضي ، فسيتضح لنـــا مـــدى الخداع والتضليل الاسرائيلي •

كما استنكر اعضاء من الليكود نفسه مشروع بيغن هذا ، فقد اجتمع النائـب موشيه شامير وتسفي شيلواح ببيغن وعبرا عن معارضتهما لمشروعه ، ولم يقتنعـــا بتبرير بيغن الذي قال انه يرى في الحكـم الذاتي لعرب الضفة الامكانية الوحيــدة لمنع اقامة دولة فلسطينية وكذلك للمحافظة على ارض اسرائيل الكبرى •

وقد صوت النائب شاميـر في جلســة كتلة الليكود في الكنيست ضد المشروع ، واما تسفي شيلواح رئيس ادارة حركـــة ارض اسرائيل الكاملة ، فقد استقال من ادارة الليكود وقال ان بيغن قد خـــاض الانتخابات الاخيرة على اساس برنامـــج اسرائيل الكاملة ورفض المفهوم القائـــل اراضي مقابل السلام ، واما الان فـــان مشروعه يعتمد على ذلك • (معاريـــف ٢٥ـ١٢ـ٧٧) • واما في غوش ايمونيم، فان هناك من يطالب بالقيام باعمال عنف ضد مشروع رئيس الحكومة • وعلـــق السكرتير السياسي « للغوش » غرستـون شفاط على المشروع بقوله : « نحن نعارض مشروع بيغن ، لانه ينفـــي السيـــادة الاسرائيلية على الضفة الان وفي المستقبل، وكذلك يعطي للعرب في الضفة والقطـــاع املا ، في ان يتنظموا في المستقبل فـــي دولة مستقلة » • واما النائبـــة غيتولاه كوهين فقد اضافت : « لا اوافق علـــى الحكم الذاتي لعرب الضفة الغربية • انني اعارض اي اعتراف بوجود كيان فلسطيني، والحكم الذاتي يعطيهم مثل هذا الخيار • اؤيد السيادة الاسرائيلية في الضفة مع كانتون عربي داخل الدولة حيث يكـــون لسكانه حقوق مدنية مختلفة • وان الحـل المقترح حاليا انما هو قنبلة مؤقتة » • واما الدكتور يسرائيل الداد (من زعماء ليحي سابقا) فقد استخدم كلمـــات

عنيفة ضد بيغن ووصف مقترحاته بانها تشكل جريمة · ويعتقد الداد ان منح الحكم الذاتي للضفة الغربية يعني حتما اقامة دولة فلسطينية (معاريف ٢١ـ١٢ـ ٧٧) ·

كذلك جابه مشروع الحكم الذاتي انتقادا لاذعا ورفضا مطلقا من قبل المستوطنين في غور الاردن · فقد عقد ممثلوهم اجتماعا في موشاف بتسال واصدروا بيانا استنكروا فيه المشروع · وجاء في بيانهم « اننا لم نستوطن في الغور من اجل ان نصبح في المستقبل مواطني عرفات · مطالبنا هي ان نستمر في العيش هنا كمواطني دولة اسرائيل ··· نحن نريد ان تكون هذه المستوطنات في دولة اسرائيل ، تماما مثل حيفا وتل ابيب · لا نريد علما اردنيا او فلسطينيا، وانما علما اسرائيليا » · (المصدر نفسه) ·

واشار احدهم الى ان الحكم الذاتي ضمن اطار جغرافي محدد انما يحمل داخله جنين دولة مستقلة · ولا توجد هناك اية حالة لم يؤد فيها الحكم الذاتي الى الاستقلال او لم يشكل مصدرا للتوتر القومي الكبير · وحتى ان الدول الكبيرة صعب عليها التغلب على المشاكل الناجمة عن ديناميكية الحكم الذاتي · وكذلك الحال بالنسبة لاسرائيل فانها لا يمكن ان تبقى هادئة وان تجري عمليات الاستيطان على نطاق واسع ، اذا ما تم منح الضفة حكما ذاتيا واداريا · ان الحكم الذاتي سيؤدي بالضرورة الى دولة مستقلة ، الامر الذي ترفضه كافة الاحزاب الاسرائيلية ما عدا شيلي وراكح · (تسفي شيلواح ـ يديعوت احرونوت ٢١ـ١٢ـ٧٧) ·

وانتقد البروفيسور امنون روبنشتاين عملية الانسحاب من سيناء خلال ثلاث سنوات وكذلك عملية اعادة النظر في وضع المناطق بعد مرور خمس سنوات فقط ، لان ذلك سيؤدي الى ان تثور المسألة الفلسطينية بكل عنف بعد فترة قصيرة من انتهاء الانسحاب من سيناء ، وعندها ستكون هناك مطالبة عربية اجماعية باخراج « جيش الاحتلال الاسرائيلي » · وهذه المطالبة ستتم سواء رافقت الاضطراب والمظاهرات التواجد الاسرائيلي في الضفة او قبلها السكان بهدوء · واذا ما حدث الاحتمال الاول وحدثت مظاهرات واضطرابات مطالبة بالتخلص من « نير الاحتلال البغيض » ، واستمرار الدعاية المعروفة جيدا بالنسبة لنا ، او حدث الاحتمال الثاني ، وساد الهدوء في الضفة والقطاع، فان العرب سيدعون ان الحياة الطبيعية قد عادت في القطاع الشرقي وانه حان الوقت لاخراج الجيش الاسرائيلي من منطقة لا تهدد اسرائيل من الناحية الامنية · ويضيف روبنشتاين ، انه سواء حدث هذا او ذاك فان موعد اعادة النظر بشأن الحكم الذاتي سيثير مشاكل صعبة في الفترة التي لا يتواجد فيها الجيش الاسرائيلي في سيناء (هآرتس ٢٧ـ١٢ـ١٩٧٧) ·

وأبدى الجنرال اهارون ياريف رأيه في ان مشروع الحكم الذاتي سيؤدي الى اقامة دولة فلسطينية ، ولكن هذه المخاطرة يجب ان تأخذها اسرائيل على عاتقها · لان اي مشروع يقبله السادات ينطوي على مثل هذا الخطر ، وان « اي مشروع لا ينطوي على مثل هذه المخاطرة من ناحيتنا ، لن يقبله المصريون » · ولذلك فان تواجد الجيش الاسرائيلي في الضفة وغزة ، هو الضمانة القوية والمثلى ضد خطر الدولة الفلسطينية (معاريف ٣٠ـ١٢ـ٧٧) · واما مجلس حركة شيلي فقد قرر بعد نقاش سياسي طويل ، ان مشروع بيغن للحكم الذاتي الاداري في الضفة والقطاع ليس مشروع سلام ، لانه يعني استمرار السيطرة الاسرائيلية على الشعب الفلسطيني · وانه يجب على اسرائيل

ان تعترف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، بما في ذلك حقه في اقامة دولة مستقلة الى جانب اسرائيل (المصدر نفسه ١٥ـ١ـ٧٨) ٠

ومن جهة اخرى انتقد الوزير السابق موشي كول ، مشروع بيغن وسياسة الحكومة الحالية والسابقة ، واشار الى انه طالب منذ حرب ١٩٦٧ حكومات اشكول ومئير ورابين بتكريس التفكير لعرب فلسطين ومستقبل الضفة والقطاع ٠ وذكر انه كتب مقالا في صحيفة « هآرتس » (٨ ـ ٥ ـ ١٩٧٠) طالب فيه الحكومة بتشجيع تشكيل زعامة فلسطينية مستقلة في الضفة « حتى لايظهر ياسر عرفات امام العالم كله كانه المتحدث باسم عرب فلسطين » ، ولكن هذا الكلام اثار غضب الحكومة ٠ وانتقد كول موقف بيغن والليكود القائل بانه يجب عدم السماح لاي حكم اجنبي على اي جزء من ارض اسرائيل ، لان هذا الموقف يحول دون البحث عن حل وسط اقليمي بين اسرائيل واتحاد فيدرالي اردني ـ فلسطيني ٠ ويجزم كول ان الحكومة ستعود مرة اخرى الى الحل الوسط الاقليمي عندما يتضح لها المخاطرة الكبيرة نتيجة لهذا المشروع والذي سيؤدي الى اقامة دولة فلسطينية حيث « لن يبقى الحكم الذاتي الى الابد وفق صيغة بيغن » ٠ ثم ان السادات لن يقبل ببقاء الجيش الاسرائيلي في الضفة كما ستحدث المظاهرات والاضطرابات في المناطق حيث سيطالب العرب المتطرفون و م٠ت٠ف بالاستقلال الكامل ٠ (هآرتس ٢٩ـ١٢ـ ٧) ٠

مشروع الحكم الذاتي حصان اعرج

وصف المعلق حغاي ايشد الحل الذي يقضي بمنح سكان الضفة والقطاع الحكم بانه حصان اعرج باكثر من رجل واحدة ٠ وهو لا يختلف عن المشاريع التي اقترحها كل من شولاميت آلوني ويغئال الون ٠ وانتقد ايشد عبارة « الحكم الذاتي » ، لان ذلك سيؤدي الى الانفصال، واذا كانوا لا يريدون ذلك فيجب ان يقال « اتحادا فيدراليا » فيه حكم دستوري معين ومحدد ليس فقط لمنطقة واحدة ولقسم واحد من السكان وانما لكافة المناطق والسكان ، العرب واليهود على السواء٠ ثم ان من يريد ان يقدم مشروعا لكي يقبله الفلسطينيون عليه ان يقترح الاتحاد الفيدرالي ، الذي هو دولة مشتركة تقررفيها الغالبية الشؤون المتعلقة بكافة السكان وتقرر الاقلية لجنة للقضايا التي تهمها فقط ٠ ويشير ايشد ، الى ان كافة القوانين الفيدرالية لا تمنح الاقلية حق الانفصال ، وليس لها حق تقرير المصير الى درجة الانفصال بل الاغلبية هي التي تقرر ٠ وهكذا يمكن الحيلولة دون تقسيم اقليمي « لارض اسرائيل الغربية » ، الذي يرفضه بيغن بشدة ٠ (دافار ٢٣ـ١٢ـ٧٧) ٠

واشار ايشد ايضا ، في تعليق اخر له ، الى مشروع الحكم الذاتي ، فذكر ان بيغن تظهر عليه عوارض « الحمل الفلسطيني » المتقدم وان ذلك واضح للعيان ٠ وقد بدا ذلك ، حسب اعتقاده ، عندما وافق بيغن لدى اجتماعه مع الرئيس الاميركي كارتر في شهر حزيران الماضي على وفد عربي مشترك ، ومن ثم ورقة العمل التي اعدها موشي دايان والذي وافق فيها على وفدموحد ، يشمل ممثلين سياسيين عن سكان المناطق الذين سيشتركون في المفاوضات مع اسرائيل حول المستقبل السياسي للضفة وليس فقط حول المواضيع البلدية او الادارية ٠ وانتقدبيغن لاستعماله سلسلة طويلة من المصطلحات ، التي تحمل مفاهيم محددة غير مشروطة بالتفسيرات الاسرائيلية الاعتباطية والاصطناعية ٠

« فتقرير المصير» يثير على الفور مسألة حق الانفصال عن اسرائيل وحق الارتباط بالاردن . واما الحكم الذاتي فيثير على الفور مسالة صلاحيات الحكم الذاتي بالنسبة للسلطة المركزية وطابعه واما « الحكم المحلي » او « الادارة الذاتية » فهي جاهزة لكي تطرح على جدول الاعمال مشكلة السيادة الفلسطينية ، وسيناضل ممثلو الفلسطينيين من اجل الحصول على الصلاحيات والاجهزة التنفيذية ولن يقبلوا ابقاء الحسم والتنفيذ بيد حكومة اسرائيل . ولفت المعلق نظر المسؤولين الاسرائيليين الى ان السلام ليس بين كتل المعارضة والائتلاف في اسرائيل وليس بين بيغن وغيتولاه كوهين ، وانما يجب ان يكون هذا السلام مقبولا لدى السادات وكارتر والملك حسين وحتى ممثلين فلسطينيين (المصدر نفسه ٢١ــ١٢ــ٧٧) .

الانتقال من الحكم الذاتي الى دولة م.ت.ف سيكون قصيرا

تحدث الدكتور يهوشواع بورات ، احد المستشرقين الاسرائيليين حول مشروع بيغن ، فأبدى رفضه له وقال بأن بيغن قد بلور اقتراحه بصورة ذكية وماكرة ، من اجل ان يبيع لمعسكره وللجمهور الاسرائيلي الجرعة المرة لاقامة كيان فلسطيني . وذلك بعد ان تاكد ان الادارة الاميركية تسعى لاقامة كيان كهذا وانه بدون استجابة اسرائيلية في هذا المجال فلن يكون باستطاعة السادات البدء بالمفاوضات بصورة فعلية حول السلام . وقد واجهت بيغن مشكلة كيفية « بيع » موقفه للجمهور الاسرائيلي ولهذا فقد فعل ما فعله .

وحسب تقدير بورات فان الحكم الذاتي الفلسطيني سرعان ما سيتحول الى مرحلة انتقالية لانشاء اطار سياسي مستقل ، و « بالنسبة لي فهذا واضح كوضوح الشمس » . واما فيما يتعلق بمسالة الزعامة المقبلة في المناطق والشروط المسبقة لنشاطها فان بورات يضع عدة شروط لنجاحها وهي : اولا ، تحديد واضح للصلاحيات بين ادارة الحكم الذاتي الفلسطيني وبين الجهات العسكرية الاسرائيلية . ثانيا، موعد الاستفتاء . وثالثا ، القضاء على النفوذ المصري في الاردن والضفة والقطاع وفي اجزاء اخرى من العالم العربي ، وذلك من اجل اعطاء مثل هذه الزعامة القدرة على النمو والعمل . وينتقد بورات سياسة بيغن فيقول انه فضل بيع « اختراع » مربح بالنسبة له ، للاسرائيليين على الاتفاق مع الاردن ، لان هذا يتطلب الانسحاب وسيثير ايضا الغليان في معسكر بيغن وربما لدى اجزاء اخرى من الجمهور . وحذر بورات من انتصار مؤيدي م.ت.ف. في الانتخابات التي ستجري في الضفة والقطاع وذلك كما حدث في انتخابات رؤساء البلديات وعندها سيطالبون بتقصير فترة الاتفاق بشأن تواجد القوات الاسرائيلية في الضفة والقطاع ، وسيكون « الانتقال من الحكم الذاتي الى دولة م.ت.ف قصيرا وسريعا » ، وليس هذا فحسب وانما يمكن ان يجر مشروع الحكم الذاتي عرب المثلث الصغير والناصرة للانضمام الى الحكم الذاتي (دافار ٢٣ــ١٢ــ٧٧) .

وطالب البعض بقول الحقيقة للجمهور حتى ولو كانت غير مستحبة في هذه اللحظة ، وهي ان الادارة الذاتية في المناطق الخاضعة للسيطرة العسكرية والامنية الاسرائيلية هي حل سيء بالنسبة لتطلعات الفلسطينيين وكذلك خطر كبير جدا على أمن اسرائيل . ان مثل هذا الحل يمكن ان يكون قنبلة زمنية ، تحول التسوية المرتقبة بين اسرائيل ومصر الى هدنة اخرى قصيرة بين حربين ، « وان من يتفحص

كيف انهارت التسويات بعد حرب سيناء سيجد انه كان للارهاب الفلسطيني نصيب محترم في عملية التصعيد العسكري والتدهور السياسي الذي تسبب في حرب الايام الستة » (داني زمير ـ حوتام ٢٢ـ١٢ـ٧٧) ٠

اضافة الى ذلك ، فان مشروع الادارة الذاتية يمكن ان يغلق الطريق امام التسوية مع الاردن وخلق وضع يتناحر فيه ، داخل الضفة الغربية ، الحكم الاسرائيلي وجهات اردنية وادارة ذاتية محلية ، ورجال غوش ايمونيم ومؤيدو م٠ت٠ف٠

وهذه الظروف هي « مثالية » لموجة جديدة من النشاط الفدائي الفلسطيني وللتصعيد العسكري والتدهور السياسي٠ كما ان مسالة ترك السيادة على المناطق مفتوحة ليست مسالة سهلة ، حيث انها ستؤدي الى ثلاثة امور : اما ضم المناطق المحتلة الى اسرائيل او قيام دولة ثالثة، او الحرب ٠

الحل مع الاردن

عبر الكثير من المسؤولين والمعلقين الاسرائيليين عن تاييدهم لحل مسالة الضفة والقطاع مع الاردن ، لانه بحسب رايهم لن يكتب النجاح لاي حل اخر ٠ ويقف على راس هؤلاء حزب العمل الذي يعمل جاهدا وبكل ما في وسعه من اجل الحيلولة دون قيام اي كيان او دولة فلسطينية ٠ ومن هنا فان خلافه الاساسي مع حكومة بيغن يكمن في اعتقاده ان مشروع الحكم الذاتي سيؤدي الى قيام تلك الدولة ٠ ولذلك ، ولكي يغلق الباب نهائيا في وجه اي احتمال كهذا فان حزب العمل يرى تطبيق الحل الاقليمي الوسط مع الاردن لكي يتدبر الاردن نفسه عملية ضبط الفلسطينيين والحيلولة نهائيا دون تحقيق طموحهم في تكوين دولة خاصة بهم ٠ وقد علق شمعون بيرس على ذلك بقوله : « ان الحل الوسط في الضفة الغربية اذا لم يكن مرتبطا مع الاردن فهو سيتحول الى جنين للدولة الفلسطينية » ٠ وانتقد بيرس سياسة الحكومة الحالية بعدم اجراء اتصالات بهذا الصدد مع الاردن ، واعتبر ذلك ناجما عن « الالتزام الحزبي »لليكود الذي رفض تسليم الضفة « للسيادة الاجنبية » (دافار ٢٣ـ١٢ـ٧٧) ٠

كما انتقد حاييم تسادوك ، وزير العدل السابق موقف كل من الليكود والمعراخ فيما يتعلق بحل مسألة الاراضي المحتلة ، فقال ان من ينادي بموقف الليكود ، الذي ينص على السيادة الاسرائيلية في الضفة والقطاع ، فان عليه ان يكتب طموحاته . اذا ما اراد احلال تسوية متفق عليها ، لانه لا يوجد هناك اية جهة عربية مستعدة للتوقيع على الاعتراف بالسيادة الاسرائيلية على هذه المنطقة ٠ كما ان الذي ايد البرنامج الانتخابي للمعراخ حول التسوية الاقليمية الوسط ، ينبغي عليه ايضا ان يجمد مشروعه اذا ما اراد تحقيق تسوية متفق عليها ، لانه لا يوجد هناك اي عربي على استعداد للتوقيع على تقسيم الضفة والقطاع والاعتراف بالسيادة الاسرائيلية عليها ٠ وانتقد تسادوك من جهة اخرى مشروع بيغن للحكم الذاتي ، لانه يصعب على الاردن القبول به ٠ واكد انه اذا لم تتوصل اسرائيل الى حل مع الاردن وتحاول تطبيق الحكم الذاتي دون العناصر « الاردنية » فسيظهر خطران : لن يوجد في المناطق جهة عربية ـ فلسطينية جدية تشرك نفسها في تنفيذ الحكم الذاتي والاخطر من هذا فان عناصر م٠ت٠ف٠ سيسيطرون على الادارة الذاتية ويحولوها الى اداة لتثوير السكان ولاستمرار

النضال ضد اسرائيل ، بهدف اقامة دولة فلسطينية غير مرتبطة بالاردن . ولهذا وخوفا من تغلغل منظمة التحرير ، فانه يجب ان يكون هناك ارتباط قوي للاردن بالادارة الذاتية ، وذلك لكي تؤثر على المجلس الاداري وتجعله « معتدلا » وكذلك لكي تساهم في الحفاظ على النظام العام . وفي مثل هذه الحالة ، هناك احتمال لتطور التعاون الوثيق بين الاردن واسرائيل وسكان المناطق خلال سنوات الحكم الذاتي (معاريف ٦ـ١ـ٧٨) .

وحذر المعلق بوعزعفرون ، انه اذا ما شعر سكان المناطق بان « الحكم الذاتي » ليس الا وسيلة للتخلص منهم والتخلي عنهم للحكم الاسرائيلي ، عن طريق صيغة تخلص مصر والدول التي ستتعاون معها والتوصل الى تسوية شاملة مع اسرائيل ، فان الغليان لن يتوقف بينهم . ولذلك فان الطريق الوحيد الذي يمكن بواسطته التوصل الى تسوية للمشكلة الفلسطينية هو الاستقلال او الحكم الذاتي ضمن الاطار الاردني . كما لا يمكن ان تتم اية تسوية من وراء ظهر الفلسطينيين دون ان يخربوها . ولو تجرأ بيغن وسار الى الامام عدة خطوات وابتعد مسافة كافية عن المواقف الايديولوجية التي تمسك بها طيلة حياته لادرك ان المصلحة الاسرائيلية الاساسية تكمن في جلب الفلسطينيين الى مؤتمر وحل مشكلتهم بصورة لائقة قبل اي حل اخر والزامهم بالتوقيع على الاتفاقية التي يتم التوصل اليها (يديعوت احرونوت ١٦ـ١٢ـ٧٧) .

الحكم الذاتي يؤدي الى دولة ثنائية القومية .

ابدى البعض تخوفه من ان يؤدي مشروع الحكم الذاتي الى قيام دولة ثنائيه القومية ، وذلك في اعقاب شمل المناطق المأهولة بالعرب في الضفة الغربية وقطاع غزة ضمن الاطار السياسي لدولة اسرائيل . واولئك السكان العرب ، بالاضافة الى الذين سينضمون اليهم في اطار « جمع شمل العائلات » والزيادة الطبيعية ،ستؤثر على الوضع الديمغرافي، مما يحول اسرائيل الى دولة ثنائية القومية . وكان على رأس هؤلاء المعلق دوف براسلر ، الذي اعلن صراحة انه يفضل اقامة دولة فلسطينية مستقلة الى جانب اسرائيل على دولة ثنائية القومية، التي ستحقق في النهاية ادعاء م.ت.ف في اقامة دولة ديمقراطية يعيش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون . واضاف براسلر انه يجب علينا الا ننسى ان ما يحدد هوية وطابع اي منطقة اقليمية ، ليس العلم الذي يرفرف على مبنى الادارة ، وانما هوية السكان الذين يعيشون هناك . ولذلك « علينا ان نكون صادقين مع انفسنا ومع العرب ، والا نستمر في الكذب انه في اطار الدولة اليهودية يمكن ان يطوروا هويتهم القومية وتراثهم التربوي بصورة متساوية، ولهذا يحظر على اسرائيل ان توسع حدودها الى درجة تؤدي الى زيادة عدد السكان العرب فيها بصورة كبيرة لان ذلك يشكل خطرا على طابعها اليهودي المحض » (معاريف ٢٨ـ١٢ـ٧٧) .

حمدان بدر

مشـروع الحكـم الـذاتي

النص الحرفي لخطاب رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن حول الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غـزة ،كما ورد في خطابه امام الكنيست في ٢٨-١٢-١٩٧٧ .

سيدي الرئيس ، سيداتي وسادتي اعضاء الكنيست .

من اجل احلال السلام ، فاننا نقترح ان نمنح الحكم الذاتي الاداري للسكان العرب في يهودا والسامرة واقليم غزة ، على اساس المبادىء التالية :

١ - ادارة الحكم العسكري في يهودا والسامرة واقليم غزة ستلغى

٢ - سيقام في يهودا والسامرة واقليم غزة حكم ذاتي اداري للسكان العرب في هذه المناطق ، من قبل سكانها ولهم .

٣ - يقوم سكان يهودا والسامرة واقليم غـزة بانتخاب مجلس اداري يضم ١١ عضوا . وسيعمل هذا المجلس الاداري وفقا للمبادىء المحددة في هذه الوثيقة :

٤ - كل مواطن عمره ١٨ عاما فما فوق وبغض النظر عن جنسيته ، او اذا كان فاقد الجنسية ، من حقه ان ينتخب هذا المجلس الاداري .

٥ - على كل مواطن يبدي رغبة في تقديم قائمة مرشحين تضم اسمه للمجلس الاداري ، ان يكون عمره ٢٥ سنة فما فوق ، وسيكون من حقه ان يقترع للمجلس الاداري .

٦ - يجري انتخاب المجلس الاداري في انتخابات عامة ، مباشرة ، شخصية ، متساوية وسرية .

٧ - يكون الحد الاقصى لفترة عمل هذا المجلس الاداري اربع سنوات من يوم انتخابه .

٨ - سيكون مقر المجلس الاداري في بيت لحم .

٩ - ستكون كافة الشؤون الادارية المتعلقة بالسكان العرب في مناطق يهودا والسامرة واقليم غزة ، من ضمن مسؤوليات المجلس الاداري .

١٠ - يشرف المجلس الاداري على الدوائر التالية : دائرة التعليم ، دائرة الشؤون الدينية ، الدائرة المالية ، دائرة المواصلات ، دائرة البناء والاسكان ،دائرة الصناعة ، دائرة تاهيل اللاجئين ، دائرة الادارة القضائية والاشراف على قوات الشرطة المحلية .

ويقوم المجلس الاداري بوضع اللوائح المتعلقة بعمل هذه الدوائر .

١١ - يكون الامن والنظام العام في مناطق يهودا والسامرة واقليم غزة من اختصاص السلطات الاسرائيلية .

١٢ - يقوم المجلس الاداري بانتخاب رئيس المجلس ، بعد اذاعة نتائج الانتخابات

١٣ - تعقد الجلسة الاولى للمجلس الاداري بعد ثلاثين يوما من اعلان نتائج الانتخابات .

الى هنا سيدي الرئيس ، هذه هي الناحية الادارية للحكم الذاتي للسكان العرب في يهودا والسامرة واقليم غزة . والان سأتحدث عن الناحية البرلمانية .

١٤ ـ سيمنح سكان يهودا والسامرة واقليم غزة ، دون فرق بين الذين يملكون جنسية او الذين لا يملكون جنسية ،امكان الاختيار الحر في الحصول على جنسية اسرائيلية او جنسية اردنية ٠

١٥ ـ السكان في يهودا والسامرة واقليم غزة ، الذين سيطلبون الجنسية الاسرائيلية ، سيحصلون عليها وفقا لقانون التجنس في الدولة ٠

١٦ ـ سيكون من حق سكان يهودا والسامرة واقليم غزة ، الذين سيختارون وفقا لحقهم في الاختيار الحر ، الجنسية الاسرائيلية ، الانتخاب وترشيح انفسهم للكنيست وفقا لقانون الانتخابات ٠

١٧ ـ اما سكان يهودا والسامرة واقليم غزة الذين يحملون الجنسية الاردنية ، او الذين سيحصلون على الجنسية الاردنية ، وفقا لحقهم في الاختيار الحر ، فسيكون من حقهم الانتخاب وترشيح انفسهم للبرلمان في المملكة الاردنية الهاشمية ، وفقا لقانون الانتخابات في تلك الدولة ٠

١٨ ـ اما القضايا المتعلقة بالانتخاب للبرلمان الاردني من قبل سكان يهودا والسامرة واقليم غزة ، فسوف تحدد في مفاوضات بين اسرائيل والاردن ٠

١٩ ـ ستقام لجنة من ممثلين عن اسرائيل والاردن والمجلس الاداري ، لدراسة التشريعات القائمة في يهودا والسامرة واقليم غزة ، وسوف تقرر اللجنة التشريعات التي ستبقى سارية ، وتلك التي سيتم الغاؤها ، كما ستقرر اللوائح ، على ان تتخذ قرارات اللجنة بالاجماع ٠

٢٠ ـ سيكون من حق سكان اسرائيل شراء الاراضي والاستيطان في مناطق يهودا والسامرة واقليم غزة ٠ وسيكون من حق العرب سكان يهودا والسامرة واقليم غزة ، الذين سيكونون وفقا للاختيار الحر حاملين للجنسية الاسرائيلية ، شراء الاراضي والاستيطان في اسرائيل ٠

٢١ ـ ستؤلف لجنة من ممثلين عن اسرائيل والاردن والمجلس الاداري ، من اجل تحديد لوائح الهجرة الى مناطق يهودا والسامرة واقليم غزة ٠ ستقوم اللجنة بتحديد هذه اللوائح التي بموجبها يسمح للاجئين العرب خارج يهودا والسامرة واقليم غزة ، الهجرة بصورة معقولة الى هذه المناطق ٠ وتتخذ قرارات هذه اللجنة بالاجماع ٠

٢٢ ـ تؤمن حرية الحركة لسكان اسرائيل وسكان يهودا والسامرة واقليم غزة ، وكذلك حرية النشاط الاقتصادي في اسرائيل وفي يهودا والسامرة واقليم غزة ٠

٢٣ ـ يقوم المجلس الاداري بتعيين احد اعضائه لتمثيله امام الحكومة الاسرائيلية من اجل بحث المواضيع المشتركة ، كما سيقوم عضو اخر من المجلس الاداري بتمثيل المجلس امام الحكومة الاردنية من اجل بحث المواضيع المشتركة ٠

٢٤ ـ تتمسك اسرائيل بحقها ومطالبتها في السيادة على يهودا والسامرة واقليم غزة ، وحيث ان اسرائيل تدرك ان هناك مطالب اخرى ، فانها تقترح من اجل الاتفاق والسلام ، ترك موضوع السيادة في هذه المناطق مفتوحا ٠

٢٥ ـ اما فيما يتعلق بادارة الاماكن المقدسة للاديان الثلاثة في القدس ، فسيتم اعداد وتقديم اقتراح خاص ، من خلال ضمان حرية الوصول لجميع ابناء الاديان الى اماكنهم المقدسة ٠

٢٦ ـ تكون هذه المبادىء خاضعة لاعادة النظر بعد فترة خمس سنوات ٠

راا ٢٩ـ١٢ـ١٩٧٧

هاتسوفيه ٢٩ـ١٢ـ١٩٧٧

قضـايا عسكريـة

« اسلحة جديدة لسوريا »

نشرت الصحف في ١٩ـ١ـ١٩٧٨ ، نقلا عن وكالة « رويتر » ، نبأ مفاده ان دفعة كبيرة من الاسلحة السوفييتية ، تشمل نوعا متطورا من صواريخ « سام ـ ٦ » ونحو ١٢ طائرة قاذفة مقاتلة من نوع « ميغ ـ ٢٣ » وكمية غير معروفة من دبابات « ت ـ ٦٢ »، يتوقع ان تصل الى سوريا خلال شهر كانون الثاني (يناير) من العام ذاته · وان هناك نشاطا غير عادي في ميناء اللاذقية يؤكد صحة هذه المعلومات ، وان هذه الشحنات الجديدة من الاسلحة المتطورة جاءت ، على الارجح ، نتيجة زيارة اللواء « حكمت الشهابي » الى « موسكو » خلال كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٧ ، حيث اجرى مباحثات مع وزير الدفاع السوفييتي « ديمتري اوستينوف » ونائبه الماريشال « نيقولاي اوغاركوف » ، لم ينشر عنها شيء · وفي ١٢ـ١ـ٧٨ قالت صحيفة « هآرتس » الاسرائيلية ان الاتحاد السوفييتي يزود الان سوريا والعراق وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية بكميات كبيرة من الاسلحة ، دون ان توضح معلوماتها عن نوعية وكمية هذه الاسلحة لاي من الجهات المذكورة · وفي مقابلة له مع الاذاعة الاسرائيلية ، جرت يوم ١٣ـ١ـ٧٨ ، قال الجنرال «غور» ، رئيس الاركان الاسرائيلي السابق ، اثر حضوره جلسات اللجنة العسكرية الاسرائيلية ـ المصرية في القاهرة ، معلقا على هذه الانباء « اننا نراقب ما يجري هناك ·· وان جبهة اسرائيل مع سوريا والعراق والى حد اقل مع الاردن ،يمكن ان تصبح ناشطة » · وذكرت مصادر دبلوماسية ان صفقة الاسلحة الجديدة لسوريا ستمولها الجماهيرية الليبية وذلك وفقا لما يقال انه تم الوصول اليه من اتفاق في قمة طرابلس من موافقة الاخيرة على شراء سوريا اسلحة من الاتحاد السوفييتي قيمتها مليار دولار (كما نشرت النهار في ٢٥ـ١ـ٧٨) ·وقد اشار وزير الخارجية السوري « عبد الحليم خدام » ضمنا الى صفقة الاسلحة الجديدة المذكورة ، في محاضرة القاها في جامعة دمشق يوم٢٤ـ١ـ٧٨ حيث قال انه « من الطبيعي ان نبادر الى ترتيب اوضا عجديدة من شأنها ان تعيد التوازن الاستراتيجي بيننا وبين العدو الصهيوني وان تمكننا من متابعة الصراع حتى تتحقق اهداف امتنا » ·

ولا شك ان الاسلحة الجديدة ستدعم قدرة سوريا العسكرية في مواجهة القوة العسكرية الاسرائيلية المتزايدة وذلك للاسباب المفصلة التالية :

١ ـ اهمية الطائرة « ميغ ـ ٢٧ » :

« الميغ ـ ٢٧ » هي الطراز المعدل من « الميغ ـ ٢٣ » للقيام بمهام القصف التكتيكي والدعم الارضي القريب والاختراق في العمق · وكانت تعرف من قبل في كتابات الطيران الغربية باسم « ميغ ـ ٢٣ ب » (فلوجر ـ د) ، قبل ان يعرف اسمها الحقيقي وهو « الميغ ـ ٢٧ » · ولما كان النبا المنشور يقول « ١٢ طائرة « ميغ ـ ٢٣ » قاذفة مقاتلة » ، فاننا نرجح ان الطائرات المذكورة هي « الميغ ـ ٢٧ » ، والتي يوجد منها نحو ٤٨ طائرة من قبل لدى السلاح الجوي السوري ، وذلك لان « الميغ ـ ٢٣ » مقاتلة معترضة لجميع الاجواء في الاساس وقدراتها في القصف

الارضي ، رغم فاعليتها ، تعتبر قدرة ثانوية على حين أن « الميغ ـ ٢٧ » هي قاذفة ـ مقاتلة ذات قدرة ممتازة على الاختراق في العمق على ارتفاعات منخفضة ، وهي تقابل في الغرب الطائرة « جاغوار » ، وان كانت في الواقع افضل من الاخيرة في بعض النواحي ، كما سترى عند مقارنة بعض مواصفات « الميغ ـ ٢٧ » الفنية . وهي تتشابه مع « الميغ ـ ٢٣ » من حيث الشكل العام نظرا لاحتوائه على جهاز الليزر الخاص بتقدير مدى الاهداف الارضية ، وكل من الطائرتين مزود بمحرك واحد من طراز واحد تبلغ قوة دفعه العادية ٨ الاف كلغ ، ولكن الحراق الخلفي الموجود بالميغ ـ ٢٣ اقوى ويرفع قوة دفع المحرك عند التسارع الى ١٢ الف كلغ ، على حين ان حراق « الميغ ـ ٢٧ » يرفع قوة الدفع الى ١٠ الاف كلغ تقريبا فقط . ويرجع ذلك الى حاجة « الميغ ـ ٢٣ » لقوة دفع اكبر عند التسارع ضمن ظروف القتال الجوي ، على حين ان « الميغ ـ ٢٧ » تقاتل اساسا قرب سطح الارض ولا تستخدم الحراق الخلفي بالدرجة ذاتها التي تستخدمه بها «الميغ ـ ٢٣» . وكل من الطائرتين لهما نظام الاجنحة ذات الهندسة المتغيرة التي تستخدم لزيادة السرعة عند طيهما او تخفيضها عند بسطهما .

وفيما يلي ابرز مواصفات « الميغ ـ ٢٧ » الفنية : (١)

المحرك : « قوته العادية ٨٠٠٠ كلغ / ١٠٠٠٠ مع الحراق (الجاغوار : ٢ محرك قوتهما ٤٢٠٠/٦٥٠٠) .

الوزن : فارغة ١٠٧٠٠ كلغ (الجاغوار ٦٨٠٠ كلغ) .

الوزن العادي : ١٤٧٠٠ كلغ (الجاغوار ١١٠٠٠ كلغ) .

الوزن الاقصى : ٢٠٤٠٠ كلغ ، (الجاغوار : ١٥٥٠٠ كلغ) .

معدل الوزن لقوة الدفع : ٧ر٠ للوزن العادي و ٥ر٠ للوزن الاقصى (الجاغوار ٦ر٠ للوزن العادي و٤ر٠ للوزن الاقصى) .

السرعة القصوى : ١٩٠٠ كلم/ساعة (٨ر١ ماك) على ارتفاع ١٢ الف متر . (الجاغوار : ١٦٠٠ كلم/ساعة « ٥ر١ ماك » على ارتفاع ١٢ الف متر) .

١٣٥٠ كلم/ساعة (١ر١ ماك) على ارتفاع سطح البحر ، (الجاغوار : ١٣٢٠ كلم/ساعة (١ر١ ماك) على ارتفاع سطح البحر) .

السرعة القتالية : ١٦٠٠ كلم/ساعة (٥ر١ ماك) على ارتفاع ١٢ الف متر .

سرعة الاختراق : ١٢٠٠ كلم/ساعة (٩٨ز٠ ماك) على ارتفاع سطح البحر .

(الجاغوار : ١٢٠٠ كلم/ساعة (٢ر١ ماك) على ارتفاع ١٢ الف متر) .

(الجاغوار : ٨٥٠ كلم/ ساعة (٨ر٠ ماك) على ارتفاع سطح البحر) .

اقصى ارتفاع عملي : ١٦٥٠٠ متر (الجاغوار : ١٤٣٠٠ متر) .

المدى العادي للرحلات (دون وقود خارجي) ٢٥٠٠ كلم (الجاغوار ٢٦٠٠ كلم) .

المدى الاقصى للرحلات (وقود خارجي اقصى) ٤٢٠٠ كلم (الجاغوار ٤٢٠٠كلم).

---

١ ـ المواصفات مستندة اساسا الى :
G. Panyalev. The Mig 23, International Defense Review, April 1977 p.p. 48—53.

المدى القتالي : الحمولة	الارتفاع عالي ـ منخفض ـ عالي	الارتفاع منخفض ـ منخفض ـ منخفض
١٠٠٠ كلغ قنابل	١٢٥٠ كلم (الجاغوار ١٣١٥ كلم)	٦٥٠ كلم (الجاغوار ٧٥٠ كلم)
٢٠٠٠ « «	١١٥٠ كلم (الجاغوار ١١٤٠ كلم)	٦٠٠ كلم (الجاغوار ٦٢٥ كلم)
٣٠٠٠ « «	٩٥٠ كلم (الجاغوار ٨١٥ كلم)	٤٥٠ كلم (الجاغوار ٥٧٥ كلم)
٤٠٠٠ « «	٧٧٥ كلم (الجاغوار ٧٢٥ كلم)	٣٥٠ كلم (الجاغوار ٤٠٠ كلم)

ويلاحظ هنا التقارب الكبير بين قدرات الطائرتين في حالة حمولة الـ ٢٠٠٠ كلغ قنابل ، التي تعتبر الحمولة النموذجية لهما ، مع ضرورة الاخذ في الاعتبار ان مدى « الجاغوار » في حالة الاختراق على ارتفاعات منخفضة محسوب على اساس سرعة ٨٥٠ كلم/ساعة ، على حين ان مدى « الميغ ـ ٢٧ » في هذه الحالة محسوب على اساس سرعة ١٢٠٠ كلم/ساعة الامر الذي يزيد من استهلاكها للوقود ومن ثم فان مداها يزيد بنحو الثلث في حالة طيرانها بسرعة ٨٥٠ كلم فقط ·

كمية الوقود الداخلي القصوى : ٤٣٠٠ كلغ (٥٣٨٠ ليتر) ·

(الجاغوار : ٣٣٤٠ كلغ « ٤٢٠٠ ليتر ») ·

كمية الوقود الخارجي القصوى : ٣٥٧٥ كلغ (٤٥٠٠ ليتر) ·

(الجاغوار : ٢٨٦٠ كلغ « ٣٦٠٠ ليتر ») ·

التسليح: مدفع دوراني سداسي الفوهات عيار ٣٠ ملم و ٤٠٠٠ كلغ قنابل · (الجاغوار : مدفعان عيار ٣٠ ملم و ٤٥٠٠ كلغ قنابل) ·

المعدات الالكترونية : جهاز رادار للرصد والانذار المبكر ، ورادار لتلافي التضاريس الارضية يتيح لها الطيران على ارتفاعات شديدة الانخفاض من خلال التخفي وراء التضاريس من تلال واشجار ومباني ، ومقدر مدى يعمل باشعة ليزر ، ونظام تحكم في اطلاق النار يعمل في جميع الاحوال الجوية ، ونظام للتشويش الالكتروني على الرادارات المعادية ·

ويلاحظ ان قدرات «الميغ ـ ٢٧» تتساوى تقريبا مع قدرات « الفانتوم » في القصف الارضي ، اذ انها تستطيع ان تصل بحمولة ٢٠٠٠ كلغ لمدى ١١٠٥ كلم على ارتفاع عالي و ٦٠٠ كلم على ارتفاع منخفض ، على حين ان مدى « الفانتوم » في الحالتين المذكورتين هو ١٠٥٠ كلم و ٦٥٠ كلم على التوالي · مع ضرورة الاخذ في الاعتبار بقدرة « الميغ ـ ٢٧ » الافضل بكثير في المناورة على الارتفاعات المنخفضة لانها مصممة على هذا الاساس ، وتكشف هذه القدرات للميغ ـ ٢٧ ، ان بامكان الـ ٦٠ طائرة تقريبا الموجودة منها الان لدى الطيران السوري ، ان تصل الى اي نقطة في عمق اسرائيل بحمولة ٢٠٠٠ كلغ من القنابل على ارتفاعات منخفضة طوال رحلة الذهاب والاياب لتقليل فرص اكتشافها او مطاردتها ·

٢ ـ اهمية « سام ـ ٦ » المطور :

وهو صاروخ ارض ـ جو مضاد للطائرات ، يحمل ويطلق من فوق عربة مدرعة ذات جنازير ، تحمل ٣ صواريخ مثبتة فوق منصة قابلة للحركة في جميع الاتجاهات دون تحرك العربة التي تحملها ، وهو يستطيع التعامل مع الطائرات التي

تطير على ارتفاع ١٠٠ والى اكثر من ١٨ الف متر ، ويصل مداه الاقصى افقيا على ارتفاعات متوسطة وعالية الى نحو ٦٠ كلم ، وفي حالة الارتفاعات المنخفضة يصل مداه الى نحو ٣٠ كلم · وهو ينطلق في البداية بسرعة تبلغ ٥ر١ ماك ، ثم تصل الى نحو ٣ ماك بعدقليل لتكفل له سرعة اصابة الطائرات على اي ارتفاع تكون عليه ·

ويتم توجيه الصاروخ في البداية بالراديو عبر احداثيات الرادار ، وعند حصول تشويش لاسلكي يتم توجيهه بواسطة بيروسكوب بصري · وفي المرحلة الاخيرة يتولى الرادار المركب في مقدمة الصاروخ توجيهه نحو الطائرة · وعند حدوث تشويش الكتروني مضاديقفل الرادار المذكور ويتحول التوجيه الى جهاز الاشعة تحت الحمراء الموجود بمقدمة الصاروخ ، وهذا هو سر عدم افلات الغالبية الساحقة من الطائرات الاسرائيلية

التي تعرضت للصاروخ المذكور اثناءحرب ١٩٧٣ ، رغم محاولات التشويش المختلفة التي طبقتها · ويبلغ طول الصاروخ ٢ر٦ امتار ، وزنه ٥٥٠ كلغ تقريبا ، منها ٨٠ كلغ وزن راسه المتفجرة · وجهاز الرادار الخاص به (بخلاف الرادار الصغير المركب في مقدمته) مركب على عربة مجنزرة هو الاخر ، ليتمتع بالحركية وسرعة المناورة الذي تتمتع به عربة الصواريخ ، وله هوائيان ، احدهما للارتفاعات المنخفضة والاخر للارتفاعات العالية · وقد ظهر منه نوع مطور بعد حرب ٧٣ ليواجه احتمالات الوسائل المضادة له ، التي جرى تطويرها في الولايات المتحدة الاميركية عقب الحرب المذكورة على ضوء نماذج منه وقعت كغنائم اثناء الحرب وتم نقلها الى الولايات المتحدة · ولا تعرف حاليا بطبيعة الحال نوعية هذه التطويرات ، ولكن الطيران الاسرائيلي سيدخل في حسابه

على نحو كبير مخاطر التعمق فوق الجبهة السورية التي تحميها صواريخ « سام ـ٦»، فضلا عن الصواريخ الاصغر منه واقلمدى والتي تشكل معه شبكة متكاملة الاداء ،من انواع « سام ـ ٢ » و « سام ـ ٣ » و«سام ـ٨ » و « سام ـ ٩ » و « سام ـ ٧ » ورشاشات « زد اس يو ـ ٢٣ » الموجهة بالرادار وغيرها من اسلحة الدفاع الجوي السوري التي تحمي الاجواء السورية بفاعلية ·

٣ ـ اهمية الدبابة « ت ـ ٦٢ » :

يبلغ وزن الدبابة المذكورة بحمولة القتال ٥ر٣٦ طنا ، وطول هيكلها ٧ر٦امتار وعرضها ٣ر٣ امتار ، وارتفاعها ٤ر٢امترا· وتبلغ قوة محركها الديزل ٧٠٠ حصان عند تحقيقه ٢٢٠٠ دورة في الدقيقة ، ومن ثم تبلغ نسبة قوة الدفع الى الوزن فيها ١٧ر١٩ حصانا لكل طن ، مما يعني توفر قدرة جيدة علىالمناورة بالنسبة للدبابة المذكورة · على حين ان الدبابة « م ـ ٦٠ »

الاميركية الصنع والموجودة لدى الجيش الاسرائيلي يبلغ وزنها بحمولة القتال نحو ٤٩ طنا ، وتبلغ قوة محركها ٧٥٠ حصانا عند تحقيقه ٢٤٠٠ دورة في الدقيقة ،وهذا يعني نسبة قوة دفع تصل لاكثر قليلا من ١٥ حصانا لكل طن فحسب · واقصى سرعة لدبابة « ت ـ ٦٢ » على الطرق ٥٠ كلم ـ ساعة ، واقصى مدى لها على الطرق بدون تزود بالوقود اثناء السير ٦٠٠ كلم· ويبلغ سمك درع برجها في المقدمة ١٧٠مم و ٨٠ مم في الجانبين ، وسمك درع الهيكل الامامي ١٠٠ مم · وهي مسلحة بمدفع عيار ١١٥ مم ، ورشاش ٦٢ر٧ ، واحيانا يركب عليها رشاش م/ط عيار ٧ر١٢ مم · وكان المعتقد ، في الكتابات الغربية الفنية ، ان المدى المؤثر للمدفع

الرئيسي بقذيفة خارقة للدروع نابــــذة للكعب «Apfsds» يبلغ نحو ١٦٠٠ متــر لخرق درع سمكه ٣٠٠ مم ، ونحو ١٠٠٠ متر لخرق درع سمكه ٤٥٠ مم بقذيفة شديدة الانفجار خارقة للدروع «Heat» . ولكن التجارب العملية التي اجريت على المدفع المذكور بواسطة الجيش الاسرائيلي ،عقب حرب ٧٣ وسقوط عدد من هذه الدبابات كغنائم لديه ، اثبتت قدرة خرق المدفع لدرع الدبابة « السنتوريون » الامامي بالنــوع الاول من القذائف من مسافة ٣٠٠٠ متر على الاقل ، وكذلك الحال بالنسبة للنــوع الثاني من القذائف . بل انها فعالة علـــى مدى ٤٠٠٠ متر اذا ما كان من الممكــن تقدير المدى بدقة وتم اطلاق عدة قذائــف بسرعة نحو الهدف . وذلك كما يقـــول الكاتب العسكري الاميركي « جاك ويلر »في مجلة « ميلتري ريفيو » الاميركية في عدد ايار (مايو) ١٩٧٦ ، الذي قال ايضــا « أن افضل شيء في الـ ت ــ ٦٢ هـــو مدفعها ذو الجوف الاملس عيار ١١٥ مم . فليس هناك اي شك في ان القذائف المطلقة منه ذات فاعلية ضد الهدف ، اكبر مـــن فاعلية أي مدفع دبابة اخرى في العالــم حاليا ، حتى بالنسبة للمدفع المحلزن عيار ١٢٠ مم المركب على الدبابـــة شيفتـــن البريطانية » وبخصوص وزن الدبابـــة الخفيف بالنسبة لدبابات «السنتوريـون » و « الباتون » و «م ــ ٦٠» نظرا للتضحية قليلا بسمك الدروع مقابل الحصول علـى قدرة مناورة مع قوة نيران يقول الكاتب«ان هذا الوزن الخفيف واقترانه بالمحرك الديزل القوي الجديد والجنازير الاكبر ، يعنـي نسبة افضل في قوة الدفع بالنسبة لكل طن من الوزن ووزنا اقل على كل بوصة مربعة من الارض الرملية » . وبالاضافة الـــى ذلك فان الدبابة مزودة باجهزة رؤيـــة وتصويب ليلية تعمل بالاشعة تحت الحمراء، وهي قليلة العطب وسهلـــة الصيانة .

ويستطيع طاقمها المدرب ان يرمي ٧ قذائف في الدقيقة . ولا شك ان الدفعة الجديـــدة التي وصلت للجيش السوري ، والتي لم يعرف عددها التقريبي ، ستزيد من قــوة مدرعاته ، التي تضم نحو ٢٦٠٠ دبابــة في منتصف العام ١٩٧٧ ، من بينها نحـو ٨٠٠ دبابة « ت ــ ٦٢ » ، وتجعله فـــي موقف افضل في مواجهة الجيش الاسرائيلي الذي يمتلك نحو ٣٣٠٠ دبابة .

« صواريخ م/د فرنسية لسوريا » .

ونشرت الصحف في ٩ـ٢ـ١٩٧٨ تصريحا لشمعون بيرس ، وزير الدفاع الاسرائيلي السابق ، ادلى به في مؤتمر صحفي عقده في « بون » بالمانيا الغربية انتقد فيه تزويد فرنسا لسوريا بصواريخ مضادة للدبابات. وذلك استنادا لما كان الامين العام للحزب الديمقراطي الاجتماعي الحاكم في المانيـا الغربية قد كشف عنه قبل ذلك باسبـــوع من عقد فرنسا لصفقة صواريخ م/د مـــع سوريا قيمتها نحو ٢٤٠ مليـــون دولار ، تضمنت صواريخ « هوت » التي تصنــع بواسطة فرنسا والمانيا الغربية ، فضــلا عن صواريخ « ميلان » المصنعة بالطريقــة ذاتهــا .

والصاروخ « هوت » يبلغ طولـــــه ١٢٧٥ مم ، وقطره ١٣٦ مم ووزنه ٢٣ كلغ وهو يطلق من انبوبة طولها ١٫٣ متـــر ويبلغ وزنها ١١ كلغ ، وهو يوجه سلكيا، ويمكن اطلاقه من فوق عربة مدرعة او من طائرة هليكوبتر او من فوق سطح سفينة، ويتراوح مداه بين ٧٥ مترا واكثر مـــن ٤٠٠٠ متر . ويمكن له ان يخترق درعـــا سمكه ٨٠٠ مم ، ويستغرق وصوله الـــى الهدف على مسافة ٢٠٠٠ متر في ٨٫٧ ثانية والى ٣٠٠٠ متر في ١٢٫٥ ثانية والى ٤٠٠٠ متر في ١٦٫٣ ثانية . وهو يوجه بصريـــا ثم يوجه نفسه اليا بعد اطلاقه بالاشعـــة

تحت الحمراء ٠

اما الصاروخ « ميلان » فهو اصغرحجما واقل مدى ، اذ يبلغ طوله ٧٧٠ مم ،وقطره ٩٠ مم ، ووزنه مع القاذف وجهاز التوجيه ١٥٫٥ كلغ ، ويتراوح مداه بين ٢٥ مترا و ٢٠٠٠ متر ، ويستغرق وصوله الى مسافة ١٠٠٠ متر فترة ٧٫١ ثانية و ١٢٫٥ ثانية للوصول الى ٢٠٠٠ متر ٠ ويمكن اطلاقه من منصب ارضي او من فوق آلية٠

وستنضم هذه الصواريخ الى الصواريخ م/د الاخرى السوفييتية الصنع الموجودة لدى الجيش السوري لتدعم دفاعه المضاد للمدرعات ، والذي اثبت كفاءة كبيرة خلال حرب ١٩٧٣ ٠

« رفائيل ايتان » رئيسا للاركان الاسرائيلية ٠

اصدرت حكومة « بيغن » قرارا في ٢٩ـ١ـ١٩٧٨ بتعيين اللواء « رفائيل ايتان » ، او « رفول » كما يسمونه رئيسا للاركان العامة خلفا للواء « موردخاي غور » ، الذي شغل هذا المنصب منذ نيسان (ابريل) ١٩٧٤ خلفا لدافيد العازر رئيس الاركان ابان حرب ١٩٧٣ ، والذى جددت له حكومة حزب العمل عشية الانتخابات العامة عام ١٩٧٧ فترة رئاسته سنة رابعة، خلافا للمبدأ العام الذي يقضي بالا تزيد مدة رئاسة رئيس الاركان عن ثلاث سنوات٠ وهو القرار الذي اثار وقتئذ « بيغن » ٠ لانه كان يقيد سلفا وزيرالدفاع الجديد برئيس اركان اختارته عن عمد الحكومة السابقة ٠

وقد شهد العام الماضي ، حتى صدور قرار تعيين « ايتان » الاخير ، ما سمي بالسباق الى رئاسة الاركان في الصحافة الاسرائيلية ، التي تداولت اسماء عدد من الضباط الذين اعتبروا مرشحين اكثر من غيرهم للمنصب العسكري الهام ، الذي يعد بمثابة قائد عام للقوات المسلحة الاسرائيلية ٠ وضمت قائمة المرشحين المذكورين اسماء اللواء « هرتسل شابير » قائد المنطقة الجنوبية ، الذي كان مساعدا لوزير الدفاع « عيزر وايزمن » وقت ان كان الاخير رئيسا لشعبة ادارة العمليات ٠ واللواء « ايتان » ، الذي كان قائد المنطقة الشمالية عند مجيء«وايزمن» وزيرا للدفاع ٠ واللواء «يكوتيئيل ادام»، الذي كان رئيسا لشعبة ادارة العمليات في عهد « غور » ، وكان مسؤولا عن تنفيذ عملية مطار « عنتيبي » وادارها من مركز العمليات الطائر ، في طائرة رافقت القوة التي نفذت العملية ٠

ولكن بعد ان عين « وايزمن » « ايتان» رئيسا لشعبة العمليات في الاركان العامة في ٢٢ـ٨ـ١٩٧٧ ، خلفا للواء « يكوتيئيل ادام » الذي اوفد الى الولايات المتحدة الاميركية لمتابعة دراسته العليا ، انحصر المرشحين الاكثر ترجيحا لشغل منصب رئيس الاركان في اثنين فقط من المرشحين السابقين ، وهما « ايتان » و « شابير » ، واصبح « ايتان » في الواقع هو الاكثر توقعا لشغل المنصب ، نظرا لان رؤساء الاركان السابقين كانوا رؤساء لشعبة العمليات قبل ذلك ٠

فقد شغل هذا المنصب ، قبيل تعيينه رئيسا للاركان ، كل من « ايغال يادين » و « موردخاي ماكليف » و « موشي ديان» و « حايم لاسكوف » و « اسحق رابين » و « حاييم بارليف » و « دافيد العازر » و « تسفي تسور » ٠ ولكن هذه القاعدة ليست مطلقة فموردخاي غور لم يكن رئيسا لشعبة العمليات عشية تعيينه رئيسا للاركان عام ٧٤ ، وانما كان قائدا للجبهة الشمالية ٠ كما ان ليس كل رئيس لشعبة العمليات اصبح رئيسا للاركان فقد شغل

هذا المنصب « يوسف افيدار » بين ١٩٥٣ و ١٩٥٥ ولم يعين رئيسا للاركان لان«ديان» شغل المنصب من١٩٥٣ حتى ١٩٥٨ ٠وكذلك شغله « ميبروزوبا » من ٥٦ حتى ٥٨ ،كما شغله « اسرائيل تال » من ١٩٧٢ حتى اذار (مارس) ١٩٧٤ حيث قدم استقالته ، كما شغله مؤخرا « يكوتيئيل ادام » من ١٩٧٤ حتى ١٩٧٧ حتى تعيين « ايتان » كما سبق ان اوضحنا ٠

وقد سبق للمعلق والكاتب العسكري « زئيف شيف » ان علق على احتمالات تعيين رئيس الاركان الذي سيخلف « غور». اثر تعيين « ايتان » رئيسا لشعبة العمليات فقال ، في صحيفة « هارتس » يوم ٢٦ـ٨ـ٧٧ ، « سيكون مدى نجاح رفول في هذا المنصب ذا اهمية كبيرة فياختيار رئيس الاركان المقبل ٠ وسيشغل رفول هذا المنصب قرابة نصف سنة وربما اكثر ٠٠٠ وهناك مسألة مهمة ستؤثر كثيرا في قرار وايزمن ، وهي تقديره للمرحلة التي ستواجهها اسرائيل : هل يحتمل ان تواجه حربا خلال السنوات الثلاث او الاربع المقبلة ؟ وفي مثل هذه الحالة سيقرر ، طبعا اختيار قائد محارب ٠وينبغي كما هو مفهوم ، ان نضع في حسابنا احتمال ان تكون هذه الاعتبارات خاطئة٠ فبعد حرب الايام الستة كان واضحا ان من سيخلف اسحق رابين سيقتصر عمله على بناء الجيش ٠ ولم تطل الايام حتى واجه الجيش الاسرائيلي حرب استنزاف مربكة ومعقدة من الناحيتين العسكرية والسياسية » (٢) ٠

و « رفول » يعتبر من وجهة النظر هذه قائدا محاربا ، وخبرته في مجال الاركان ضئيلة بالقياس لخبراته الرئيسية كضابط مقاتل وقائد تشكيلات ميدانية ، فقد كان في سلاح المظليين وشارك في العمليات التي جرت قبيل حرب ٥٦ تحت قيادة «شارون» ضمن ما عرف بالوحدة ١٠١ ، كما تولى قيادة كتيبة المظليين الرابعة التابعة للواء ٢٠٢ ، التي اسقطت قرب المدخل الشرقي لمر متلا يوم ٢٩ـ١٠ـ١٩٥٦ عند بدء عدوان ١٩٥٦ الثلاثي على مصر ، كما قاد كتيبة المظليين ، التي استخدمت كمشاة ميكانيكية معاونة لكتيبة دبابات « باتون » في الالتفاف حول دفاعات « رفح »الجنوبية ضمن مجموعة عمليات « اوغدا » الجنرال « تال » التي هاجمت القطاع الشمالي من الجبهة المصرية يوم ٥ـ٦ـ١٩٦٧ ٠ وفي اثناء حرب الاستنزاف كان قائدا لسلاح المظليين وساهم في تخطيط وتنفيذ بعض عمليات « الردع » او « الرد المرن » ضد مصر في خليج السويس وفي صعيد مصر (اغارات نجع حمادي » وسوهاج » و « دافو » و « اسيوط » و « راس غارب» و « شدوان » الخ في اعوام ٦٨ ــ ٧٠) ٠ ويقال ايضا انه قاد عملية الاعتداء على مطار «بيروت» عام ١٩٦٨ ٠ وفي حرب ١٩٧٣ قاد مجموعة عمليات « اوغدا » في جبهة الجولان بقطاعها الشمالي ، ضمت اللواء المدرع ٧ ولواء المشاة الميكانيكية « غولاني » ولواء المظليين ٣١ ، وقام بدور هام في صد الهجوم السوري هناك ، ثم في مرحلة الهجوم المضاد الذي اسفر عن ثغرة « سعسع » ، ثم عين قائدا للمنطقة الشمالية في نيسان (ابريل) ١٩٧٤ ، واستمر فيها حتى عين رئيسا لشعبة العمليات ٠ وهذا سجل يرشحه للقيام بدور رئيس الاركان المحارب الذي تحدث عنه « زئيف شيف » ، ولكن منصب رئيس

---

٢ ــ نشرة م٠د٠ف٠ ٧/١ ــ ١٦ ــ ٨ــ ١٩٧٧ ، صفحات ٥٧٠ ، ٥٧١ ٠

الاركان لا يحتاج لمجرد قائد محارب ،وانما يجب ان تتوفر لديه ايضا رؤية استراتيجية شاملة مبنيةعلى ثقافــــة عسكريـــة واستراتيجية كبيرة ، وقدرة جيدة علـى

التخطيط ، وحسن اعداد القوات المسلحة بجميع فروعها ، فهل تتوفر لدى « رفول» ضابط المظليين المغامر مثل هذه الصفات ؟ هذا ما ستكشف عنه المرحلة المقبلة مــن

تطور القوة العسكرية الاسرائيليـــة وعملياتها المحتملة · ولكن على اي حـال

يبقى ان نقول ان اختيار « رفول » يشكل مؤشرا على استعداد اسرائيل لحرب تبدو قريبة مع العرب ، وبالذات على الجبهــة

الشمالية التي كان قائدها حتى وقـت قريب ، وسوف يتسلم « ايتان » مهـام منصبه الجديد اثر انتهاء مدة « غور » في نيسان (ابريل) المقبل ·

محمود عزمي

ملحوظة : صفقة الطائرات الاميركيـة لاسرائيل والسعودية ومصر اعلن عنهـا متأخرا ولم يتسع الوقت في هذا العـدد لعرضها تفصيلا وتوضيح اثرها علىميزان القوات الخ وتأمل في عرضها الشهـر القادم بعد ان يتضح مصيرها في مناقشات الكونجرس ·

شؤون ادبية

عبد الرزاق عيد

حنا مينه ، رحلة الكشف والاكتشاف

يقول هلدرلين :

« تعلم الفن في الحياة ، وتعلم الحياة في العمل الفني » تلك أساسية في جدلية الكشف والاكتشاف ، يضعنا حنا في جنبات رحلته الطويلة والشاقة ، وهذه الرحلة الغنية الثرة تاخذ مناحيها المتشعبة والمتشابكة :

أ ـ الكشف : وهو يجسد الجانب الموضوعي في عالم الكاتب ، كليته المستقلة ، ويسير على محورين :

١ ـ كشف « موضوع » العمل ، ويتمثل بعكسه للحادثة المنظومة في شبكية الزمان والمكان التاريخيين ·

٢ ـ كشف « مضمون » العمل ، المتضمن للتصور الاجتماعي لدى الفنان ، (وهو مركب حي من مشاعر وافكار تبحث عن تعبيرها ، تتحد بالشكل الجديد الذين يتم اكتشافه والاعلان عنه وتطويره تحت ضغط ضرورة باطنية ، تحت ضغط طلب نفسي جماعي ، له ، ككل البسيكولوجيا الانسانية ، جذوره الاجتماعية) (١) ·

ب ـ الاكتشاف : ويجسد الجانب الذاتي في عملية الابداع ، وهو يسير على عدة محاور ايضا :

١ ـ اكتشاف الذات ، ٢ ـ اكتشاف العالم ، ٣ ـ اكتشاف القارىء لذاته وللعالم ، من خلال عملية الكشف الموضوعية التي يعرضها الكاتب ·

مما لا شك فيه ان تقسيمات كهذه تؤدي الى ضغط رياضي على هذه العوامل المتشابكة والمتناغمة والمتداخلة بدينامية · بالاضافة الى ضرورة ادراك ان هذه العناصر التي فرزناها بتلك الطريقة لا بد وان نفهمها ضمن اطار قانون النسبية ، فما هو موضوعي

قد يتحول الى ما هو ذاتي ، وبالعكس ايضا ٠

ان عملية الاكتشاف التي تنطوي على هذه المحاور الثلاثة يحكمها قانون الحياة والفن الذي يرفض هذه التقسيمات العقلية بوحدته العضوية ذات الايقاع المتناغم ٠

لكننا عمدنا الى وضع هذه المحاور ، لنتمكن من ولوج عالم حنا وفي يدنا المفتاح ، لنتمكن ما وسعنا ان نضع يدنا على النسغ الجوهري ، سابرين الناظم الرئيسي الذي يحكم وحدة عالمه الفني ٠

فعملية الاكتشاف تتم ـ وبدون تقسيم ـ حيث ان الشخصية التي تبحث عن ذاتها في عالم تقف أمام سره مشدوهة حيرى ، لا يمكن لها ان تكتشف ذاتها الا من خلال اكتشاف العالم ، لتتمكن من تأصيل وجودها في احدى محطاته ، وعند ما تكتشف العالم فهي تسيطر عليه ، وتعيد صياغته وتركيبه عبر الثورة ٠

ومن هنا تتم عملية الانتقال من مملكة الضرورة الى مملكة الحرية ٠

فـ « انجلز » يعرف الثورة الاشتراكية بأنها قفزة من ملكوت الضرورة الى ملكوت الحرية ٠

وعلى هذا فالحرية اذن ليست مسألة فردية ، وانما هي مسألة تاريخية اجتماعية ، ان الوعي الجماعي الطبقي التاريخي لحكم الضرورة هو الكفيل بالثورة عليها ، وعبر الثورة يتم الانتقال الى مملكة الحرية ٠

واذا كانت الحرية تحكم بقانون تاريخي اجتماعي ، فهي تختلف من مجتمع الى آخر ، ومن مرحلة الى أخرى ٠ فـ « الحرية في ظل المجتمع العبودي ، غير الحرية في ظل النظم الاقطاعية ، غير الحرية في النظام الرأسمالي ، غير الحرية عندما تزول النظم السياسية وتختفي الدولة ، ويتحقق ارقى وارفع مستوى للحرية » (٢) ٠

واذا كانت الرواية تهدف الى رصد أفراد ، فان حنا الكاتب الواقعي ينمط قيم الطبقة من خلال هؤلاء الافراد ، ولذا فان الفرد المحكوم بشبكية الضرورة الخارجية تفرز الاغتراب وضرورة داخلية هي جزء وانعكاس للضرورة الخارجية ٠ وعلى هذا فان كاتبنا رصد في أعماله الاولى (المصابيح الزرق ـ الشراع والعاصفة ـ الثلج يأتي من النافذة) الضرورة الخارجية ، المتمثلة بمواجهة العسف (الاستعماري المتحالف مع البورجوازية) ٠ فكان طابع الصدام خارجيا يترك انعكاساته الخفيفة على الضرورة الداخلية ٠

اما في اعماله (الشمس في يوم غائم ـ الياطر) فهو يرصد الضرورة الداخلية والتي هي بذاتها محصلة ونتاج للضرورة الاولى الخارجية) ٠

على حين ان (بقايا صور ـ المستنقع) ستأخذ منحى جديدا تلتقي فيه كلتا الضرورتين لتسحق بفظاظة مريعة كل انشداد انساني للوقوف على الاقدام ٠

واذا كانت الثورة هي القفزة بين المملكتين . فان كاتبنا لا يألوا جهدا في تصعيد وتسعير التناقضات القائمة الى أن تصل الى تراكم سعيري لبشاعة الضرورة ، لترتطم بعنف وقسوة بالتعطش الشديد للحرية من قبل ابطاله المشدودين ابدا بأعينهم نحو مملكتها المستقبلية ٠

وعلى هذا فان كاتبنا الذي يمارس كشفه للواقع التاريخي · انما يعري ابعاد الضرورة المستحكمة ، لتتم عملية الاكتشاف (الوعي) من قبل شخوصه لعناصرها ·

وعندما تعرف الضرورة تلغى عشوائيتها ، ويتم السيطرة عليهـا ، والانتقال الـى الحرية لا بمعناها الليبرالي الفردي ، وانما بمعناها الانساني الاشتراكي ، فـ (الضرورة عمياء ما دامت غير معروفة) · كما يقول هيغل ·

ان عالم حنا المفعم بهذا الغنى الدرامي ، هو مبعث هذه العلائق الجدلية التي تحكـم شخوصه وحركية الحدث الروائي ، ولذا (فالغربة والانتماء) (٣) ، و (الخـوف والجرأة) (٤) · لا تخرج عن اطار هذا الصراع الميت بين الحريـة والضرورة · فالضرورة نتاجها الاغتراب الخارجي والداخلي كما ذكرنا ، ونتاجها الخوف من قمعيتهـا العسفية ، والحرية هي في امتلاك الانتماء الواعي لعسفيتها ، من أجل التجرؤ علـى مواجهتها والانتصار عليها ·

فالكاتب يعرض شخوصه في غربتها وانتمائها في خوفها وجرأتها ، كاشفا علائقهـا بالتاريخ والواقع ، ليمنح القاريء كشفا لذاته ولعالمه ، بعد تجربة الشخوص الماثلة ·

نوع من المحاكاة الاندماجية الواعية يقيمها (حنا) بينموضوعية العمل وذاتية حركته الداخليـة ·

وفي هذه الدراسة سنتعرض لرحلة الكشف والاكتشاف في عالم حنا مينه من خـلال روايته **الياطـر** ·

يقول مينه في صدد الاجابة عن امنيته :

« أن اعتزل الكتابة واسافر ، بحارا على ظهر باخرة ، لان الكتابة مهنة حزينة » (٥)·

ان متوحشي افريقيا يعبدون الثعبان لانه يلمس الارض بكل جسده ، فيعرف جميـع اسرار العالم ، انه يعرفها ببطنه ، بذنبه ، برأسه ، انه يلمسها ، يتحد بها ، يشكل كلا واحدا مع الام · اما نحن المثقفين فاننا لسنا الا طيورا طائشة في الفضاء · (٦)

الكتابة مهنة حزينة ، عندما تتوجه بصدق وحرارة لمعانقة الهم الانساني ، عندما يكون الحرف مسؤولا أمام التاريخ والانسان ، سيلتهب باحتراقات الواقع ومآسيه ، سيكـون وسيط الحزن بين الفنان وحزن العالم · وليتمكن الفنان من مسح الحزن عن الجبـاه البشرية ، سيتحمل مزيدا من الحزن ، سيغوص في عمق الجرح ·

وشخوص ـ حنا ـ ينبجسون من صدر الحياة يحملون نبضها والقها ، يلتحمون بشكل خلاق بالشؤون البشرية ، في نبضها يتفاعلون ، ويمارسون تميزهم لانهـم يلامسـون الارض بكل أجزائهـم ·

و ـ حنا ـ صاحب مزية في هذا المضمار ، فهو لا يتعامل مع الحرف بهم ثقافـي محترف ، بل هو يتمازج مع تجربته الفنية بانصهار رائع ، ، ويتفرد بتجربة ومعانـاة قل من يناظره بها بين الكتاب العرب · فالحياة بالنسبة له هي مصدر كل هذا الغنـى والتدفق الشعري في عالمه ، ولذا فهو يرغب ان يسافر بحـارا بجموح (جلجاميشي) لمعانقة المطلق الانساني ، لسبره ، للغوص في مجاهله ، كي لا يتحول الى طائر طائـش في الفضاء · ·

« ان العمل الفني بتسجيله صور العالم انما يعكس بصورة عضوية خصائص وعـــي الفنان الذي يكون ابدا مؤرخا تسجيليا محايدا ، لقضايا عصره ، بل هو يدافع دائما عن الافكار التي تحمل في رأيه معنى عصره ، والاتجاه الرئيسي لهذا العصر » (٧) ٠

ولذا فان كاتبنا لا يلامس الحزن الانساني بتعاطف وشفقة حيادية ، بل يلتحم بشكــل تفجيري احراقي ، ليشتعل العالم القديم ، ميشرا بعالم جديد ، من خلال رؤية فلسفيـة عميقة لقوانين التطور ٠

البحر مملكة الحرية الصماء التي لم تكتشف ، ولذا فضرورته الطبيعية أشد استعصاء، فلا بد اذن من كشف مجاهل العالم الابكم هذا ، من أجل التقاط قانون الطبيعة ، ومــن يلج محراب الطبيعة ، تتفجر الينابيع في داخله ، وتمنحه سرها ٠ و ـ حنا ـ يتفــرد بولوجه عالم البحر ، فمنحه البحر لغته ، سر عظمته ، مغاليق سحره ، فكان من اليسيـر على ـ زكريا المرسنلي ـ ان يكون رب الشاطيء ٠

فعلى الرغم من تأكيد الكاتب بأن أبطاله مركبون لهم حياتهم العريضة وأفكارهــــم المتشعبة وهمومهم النابعة من مشاكلهم ، فلماذا يمدون له لسانهم ؟

لانهم تشكلوا بلحمهم ودمهم في اتون توهجه الداخلي المستمد من توهج العالم ، ولــذا فهم ينقذفون للعراء حارين كدفقة الكون ، نابضين ، مشعين ، ممتصين لون الحياة والقها ٠ وهذا لا ينافي رائحة الواقع التي تخرج من مسام جلودهم ، بل تلك هي جدلية العلاقــة بين العالم الفني ، والعالم الواقعي ٠

عظمة شخوصه التي يكن لها الحسد ، والحب والكره ، تتأتى من كونها ، تعانقت مع شعاع قوته الداخلية الفائقة ، لتتحدى جسمانيته الفانية ، ليس حديثا بالميتافيزيك ، بـل حوارية التضاد بين ابدية دفقة الكون ، هيولاه ، وفنائية قوامه الخارجي الذي يحكمــه نفــي النفــي ٠

من هنا ولد ـ زكريا المرسنلي ـ من غمار الحياة المتحد مع غمار النفس ٠

على سطح الواقع يتدحرج ككرة مقذوفة ، لكنه يكبـر عليــــه كانسان ، يجتر مع ـ سانتياغو ـ (٨) مرارة اخفاق المواجهة ، لكن الهزيمة لا تحبطه ، بل ينهض من جديـد للمواجهة ، لمواجهة الحوت الذي يهاجم شطآن البلدة ٠

كتلة آدمية سديمية ، تسكنها حماقة الواقع وضروراته المستعصية على وعيه الجنيني ، ويواجه الواقع كلعنة قدرية لبدائية فهمه ، وبدائية الوسائل المعروفة في تلك المرحلــة التاريخية التي يرصدها الكاتب ٠

يضع ـ الكاتب ـ هذه الكتلة السديمية على مفارق الكشف والاكتشاف ، لتسعيد ذاتها المصادرة في جوف غول الضرورة « أنا زكريا المرسنلي ، رابط الحوت في الماء ، الراقص على ظهره في الماء ، الذي تحدثت اسكندرونة كلها عن فعلته ، ونشرت جريدة (اللواء) صورته مع الحوت » (٩) ٠

هذه هي مأثرة ـ زكريا ـ الرجولة المتفردة ، الفعل المتفرد ، انسان الفعل وحده قـادر على الثبات في شريط الزمن الفار ، زكريا المرسنلي يقوم بفعل القتل (قتل زخريادس) ابن اليونانية الخمار ، بعد أن اوهمه من حوله ، بأنه مخدوع من قبل (زخريادس) الذي

اعطاه برميلا من الخمر مقابل ان يعطيه احشاء الحوت ، اوهم الناس ـ زكريا ـ بأن في احشاء الحوت ذهبا وماسا ، اخذه زخريادس مقابل خمس ليرات وبرميل من الخمر ٠

قتل « المرسنلي » زخريادس مدافعا عن حقه الموهوم ، القتل فعل يستمد نبله من خوضه شرف المعركة ، ويستمد لعنته التدميرية عندما تنحل غائيته في ذاته ، ويصبح جريمة عندما يتوجه لطعن الجوانب الخيرة كقتل الخياط ٠

تبدأ التراجيديا المرسنلية عبر صراع الاهواء الشخصية لانها تعكس الدرك الاسفل من شكل المواجهة ، وتتحول الى تراجيديا انسانية عبر المعاناة المطهرة ، تبدأ بحكم قدري ، وتنتهي بانتصار انساني ٠

ان الكاتب يعرض علينا صورة قتل ـ زخريادس ـ دون ان يمتنها بسببية عقلانية ، عاكسا بذلك بعدا تراجيديا مغلقا بقدرية الصراع المحكوم بشرطية تاريخية وفردية ٠ وعي زكريا الابكم تسوقه مبررات بكماء للقتل ، فيتحول الى لعنة تطارده كقدر اغريقي ، فالقدر خلقته العفوية الانسانية ، الوهم الانساني في عجزه عن ادراك قانون السببية ٠ لماذا قتل ـ المرسنلي ـ زخريادس ؟ لان الذهب كان في كرشه ، كرشه كان السبب « يا سيدي الحاكم ، انا ضربت بساطور البسطرمة زخريادس ابن اليونانية فبعجت كرشه ٠٠ أنا مذنب واعترف ، وهو ايضا مذنب لانه صاحب كرش ٠٠ لماذا كان له كرش ؟ اذا رأيت يا سيدي القاضي ، يوما ردف امرأةجميلة عارية فماذا تفعل ؟

انا أعضه ، اشنقني ، ولكني اعضه ، ثم اشنقها معي ، لانها صاحبة الردف ، هي السبب ، لا تنتهرني ، ارجوك ، لا اعرف مثل « الافوكاتو » ولا أفهم ما يقول » (١٠) ٠
زكريا المرسنلي يدخل معالواقع معركة البحث عن بقعة في مساحاته ، بقعة يبقي فيها هيكل وجوده ٠

امكانية البطل عند ـ حنا ـ لا تأتي من خلال فردية الطاقة ، بل هي من خمير مخزون الطاقة البشرية ، ولذا فزكريا ، ومن قبل ـ الطروسي ـ على الرغم من تكهتهما المحلية الحادة ، فهما يتطاولان الى بعد الفعل الملحمي ، انهما يتوجان الفعل الانساني من خلال صراعهما المسقوف بمحلية انتمائهما ، وكذلك الخياط ، وامرأة القبو ٠

كيف يمنح الكاتب هذا اللون الشمولي لشخوصه ؟

الشمولية هذه تتأتى من خلال هذا التناغم الداخلي الذي يتضافر مشكلا ايقاع الممكن من خلال ما هو كائن في الانسان ٠

زكريا المرسنلي عاشق ابدي ، وفاشل مؤقت ، لان الانسان سينتصر ، وفلسفة التاريخ التي يؤمن بها كاتبنا لا تكذب ٠ اذا شرب فانه يشرب حتى الثمالة ، واذا ضاجع فانه يلعج الوسادة ويلطخ الفراش ، ويقرض اذن زوجته ٠ وان احب شف ورق ، وتداعى حتى درجة الانتحار ، واذا اصطاد ، فهو يصطاد بشغف وعشق ولذة « عملية الصيد لا يمكنني ايقافها ، انا لا يمكن الا أن اصطاد ، حتى لو اعدت السمك ، ثانية ، الى البحر » (١١) ٠

الطاقة المخزونة الحبيسة تبحث عن مساربها ، تنبث في كل خلجة من خلجات الرغبة النهمة والفعل العشوائي ، فعل تحكمه آنية غير مشروطة الابقائية تنحل في ذاتها ، ببؤرة سديمية تكونه الشروط بالمرحلة والواقع والتاريخ ٠ وبذلك يشكل الافق السديمي ، الذي

يطوق الفعالية في جدران ضغط الضرورة الداخلية التي تمثل اشد انواع الاغتراب في اقصى حالات تراكمه ، المؤدي الى التغيير النوعي في الذات الباحثة المستكشفة لروابطها العالم ، تمتد نورانية معرفته لتضيء اعماق الذات المكتشفة ، ولتنتصر على النوازع
العالم ، تمتد نورانية معرفته لتضيء اعماق الذات المكتشفة ، ولتنتصر على النوازع
اللاانسانية فيها · ولتحطم حدود الغائية المنحلة في ذاتها ، لتتحول الى غائية انسانية لا متناهية ·

في المرحلة المرسنلية ـ السديمية ، تنحل الفعالية في غائيتها الذاتية ، فهو سيصطاد حتى ولو اعاد السمك ثانية الى البحر ، يربط الحوت لا بهدفية مواجهة خطره المدمر ، بل من اجل اثبات الجدارة ولو عرض حياته للخطر ، يعشق المرأة لتكون بالوعة تفريغ ، يحب البحر والشاطيء لان فيهما اتساعا لضغط العنفوانية الجسدية فيه · وباكتشاف الذات من خلال اكتشاف الوجود ، تتسامى هذه الرغبات الحبيسة عن تفجرها الآني على حدود الذات لتتحول الى تفجر انساني يكشف عن لا محدودية العطاء الكامن ·

تبدأ رحلة اكتشافه لذاته منذ ولوجه الغابة ، ففي رحابها السحري ، تستيقظ هواجسه مستحمة في طقس الطبيعة وفيضها الامومي ·

فيتلامس عالمه العاري مع قاموس القيم البشرية ، يعيش وطأة احساس حاد بالذنب لقتله ـ زخريادس ـ ، ويتذكر صديقه ـ عبعوب ـ الذي يفكر عنه ، في حضن الامومة الطبيعة يمارس بوحه الداخلي ، وفي جحيمه الاحساس بالذنب ، ينشط تفكيره ، وعند ذاك يعرف لماذا لا يفكر الحمار الا وهو تحت الحمل ، فالتفكير يستيقظ في أوقات الشدة ·

المحنة دفعت به باتجاه الغابة ، وبمحنته هذه تبدأ عملية إمتحان ذاته على مواجهة الظروف الجديدة ضمن اطار الكشف · وعملية استشفاف النوازع الخيرة المغمورة ضمن اطار الاكتشاف ·

فالبحر خالطه ، اتحد به ، لكن الغابة هذه التي تخيفه والذي يمنحه اتساعها مجالا لاستخدام دماغه المعطل · تجربة جديدة اينعت عن سر الكشف والاكتشاف ، ستضاف اليها شكيبة لتتمخض فيه عن انسان آخر · الآخرون بالنسبة له كانوا كذبة ، كانوا « كحمير النواعير ، ينفذون الاوامر وايديهم على رؤوسهم » (١٢) ·

كان منغمسا في حياتهم عبر طاقة الفعل الجسدي المتميز ، « كنت حمارا كما قال عبعوب ، جلفا مع الكل ، وهذا عقابي » (١٣) · ولكنه منذ نفذت رهبة السكينة وقدسيتها المطهرة الى اعماقه ، بدأت الذات ـ المرسنلية ـ الخبيئة تنبثق في اعماقه عبر الانقاض التي خلفها واقع اجتماعي ، قتل فيه كل جوانب النبل المتأصلة فطريا فيه ·

هل يتبنى ـ حنا ـ فلسفة (جان جاك روسو) في قصته الفلسفية « اميل » او « في التعليم » ، الذي اعلن ان الانسان حر في طبيعته ، ودعا الى الرجوع الى الطبيعية لتنشئة البشر تنشئة بعيدة عن القيود الاجتماعية المثبطة ؟·

هل ـ زكريا المرسنلي ـ هو حي بن يقظان السهروردي « الذي تخيل نفسه فيها طائفا بين مغرب الارض ومشرقها وبين الارض والسماء · ويشرح في تلك السياحة حالا من الوصول (الاتصال بالالوهية) وهو يفعل ذلك بطريقة رمزية واسلوب غامض ، يشير فيه الى عدد من الآيات الكريمة المتعلقة بالانبياء خاصة ، وتتلخص سياحته بانه لما وصل

الى قمة جبل سينا ، ظن انه وصل الى المكان الذي يصل فيـــه الى الله · ولكـــن السهروردي يدرك ان فوق جبل سينا جبالا كثيرة ، ووراء هذا الاب الروحي الـــذي خاطبه آباء روحيون كثر ، ثم ان الذي كلم السهروردي على جبل سينا افهمه انه يجب ان يعود الى الارض ثم بشره بأنه سيصل الى الله بعد ذلك » (١٤) ·

اذا كان هناك ثمة وجه للصلة ، فهي الرغبة الانسانية منذ وعيها الطفولي لاكتشاف ذاتها واكتشاف العالم من حولها · واذا كان كاتبنا القى ببطله في احضان الطبيعـــة لامتحانه الانساني ، فانه يهدف الى صياغة نوع من المقابلة بين صفاء الوجود ، والتشوه في صورة تشكله ·

تعرية شديدة اللهجة للواقع الانساني عبر مقابلته بصورته الفطرية النقية ، لصياغـة لوحة التضاد بين النقاء الاصلي ، والتزييف الطارىء ، مقابلة تضاد لا تتفق مـــع ديموقراطية روسو التي تعلن : « ولد الانسان حرا » او المفهوم الذي طرحه ـ عمر بـن الخطاب ـ « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » · فروسو لم يكن يأخـذ في الحسبان « هذا الواقع البسيط وهو ان الطفل الذي يطلق اولى صرخاته عند ولادته في كوخ فلاح لم يتمكن من ان يكون حرا ، نظرا لانه لا يرث فقط ملامح ابويه الخارجية بل يرث ايضا وضعهما المالي ، وان الطفل المولود في قصر احد النبلاء ، او في دار تاجر محترم هو اكثر حرية بكثير من الطفل الاول » (١٥) ·

فكاتبنا لا يدافع هنا عن الحرية بصفتها حقا طبيعيا للانسان الطبيعي ، وانما يطلـق الفعالية الانسانية الحرة المكبلة بشبكة القمع الطبيعي والاجتماعي · فزكريا المرسنلـي ورث الاضطهاد والتعاسة منذ نعومة اظفاره « في صغري ضربوني كثيرا ، والذي جعـل العصا معلمي الوحيد · كان يضربني باستحقاق ، ولكنه كان يضرب نفسه · والدتـي نصحتني ، حبستني ، فعلت كل ما تستطيع لاصير بشرا ، وخابت مساعيهـــا · تركتني وشاني ، قالت : انت ازعر لا خير فيك ، لم افهم شيئا » (١٦) · وهكذا فان حنا يرصد شخصيته وتطورها وفق ارتباطهابالواقع ، معيدا انتكاساتها واحباطاتها الى سببيـــة تكمن في جوهر العلاقة التي تحكم الفرد بالمجتمع ·

السديمية التي انتهى اليها ـ المرسنلي ـ تتناقض مع الوهج الحي المستمد من نبض الق الكون ، فما هي الا نتاج الصدأ الطارىء على الجوهر الانساني النابض · ولـذا فان كاتبنا ينقب عن كل ابعاد الروابط الاجتماعية التي تحكم الشخصية ، وتبعث العطب فيها ، بداية من نقطة الصفر ، من عتبـــة الطفولة ، فمصادرة الاحساس بالغبطـــة الانسانية تتجذر في اعمق خلايا النسيج الداخلي للواقع الاجتماعي والتاريخي الـــذي تترعرع في بنيانه هذه الشخصية · ـ ابن طفيل ـ من خلال بحث (حي بن يقظان) عن سر الوجود ، يضغط الوجود المادي ، ليتبدى عن هيولاه ، عن الكمال المطلق ، المتجسد بـ (الله) · اما ـ حنا ـ فمن خلال كشف (المرسنلي) لسر وجوده ، فانـــه يضغط الوجود ، دون ان تكون الذات بديلا له ، ليتبدى عن هيولاه ، عن قيمته العظمى ، المتجسدة بـ « الانسان » ، يبحث بين فوضى انقاض العالم عن انسان الفعل وحده الذي يتملك امكانية تأبيد التاريخ ، فاضحا قمعية العلاقات الاجتماعية التي تشيء الفعالية البشرية، وتضغطها ، فالطبيعة ليست بديلا للعلاقات البشرية ، وانما تجسيدا للصفائية الكونيـة المنبثة في الذات الحرة فينا ، والمضغوطة بفعل علاقات غريبة عن جوهر الطبيعـــة والحياة ، فالمرسنلي في وحدته مع الطبيعة ، لم تكن الطبيعة بالنسبة له بديلا للاخـــر

الانساني ، ولذا فهو يطمح حتى لصداقة كلب ـ شكيبة ـ « لا يمكن ان احتمل هـذه الوحدة ، روحي تطلب روحا ، شيئا حيا ، اراه ، اسمعه ، اضع يـدي عليه ، احس بوجوده ، بقربه بحركته من حولي » (١٧) ٠

فعلى الرغم من ظلم الآخرين له ، فهو غير قادر على العيش بعيدا عنهم ٠ فحتى الروح تنشد روحا اخرى فالانسان مجموع علاقات اجتماعية ، ذلك هو منطق الوجود الانساني لا الطبيعي ، ان الاندغام الحقيقي بالوجود يرفض منطق الوحدة ، فالاخرون ليسوا هم الجحيم كما تزعم الوجودية بل من خلال تماسنا بهم ننسج خيوط تفردنا الانساني ٠

على حين نجد ان (حي بن يقظان) ـ ابن طفيل ـ ينتهي الى العودة الى الطبيعة ، بعد ان « تصفح طبقات الناس فرأى كل حزب بما لديهم فرحون : قد اتخذوا الههم هواهم ، ومعبودهم شهواتهم ، وتهالكوا في جمع حطام الدنيا ، والهاهم التكاثر حتى زاروا المقابر ختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم » (١٨)٠

ان موقف ـ ابن طفيل ـ المعقلن للعالم الطبيعي لم يواكبه رؤية مماثلة للعالم الاجتماعي ، بل كان على درجة كبيرة من الاحتقار للناس ، على حين يلقي حنا ببطله ـ المرسنلي ـ في اتون مشاغلهم ٠ فقد خرج ـ المرسنلي ـ من الناس لظلمهم وانكارهم له ، وعاد اليهم ، منخرطا في همومهم ، فعوضا من عودة ـ حي ـ الى الطبيعة يعود ـ المرسنلي ـ الى الناس ، لبلدته مدافعا عنها امام هجمة الحوت ٠ ومن هنا يغدو ما اكده البعض على الصلة القائمة بين فلسفة حي بن يقظان والياطر ، مسألة لا تتعدى التشاكل الخارجي في تجربة البحث عن المعرفة ٠ والامر ذاته ينطبق على (حي بن يقظان) السهروردي الذي كان يطمح الى امساك مطلقه الفردي عبر المطلق الالهي ٠ غير ان حنا يبحث من خلال حلم الجماعة البشرية عن مطلق الفعالية الانسانية ، يطلقها ، يجردها ، متوجا مجد الحياة وقيمتها العظمى ٠

الغابة في الياطر تجاوز حدود مصطلح القاموس الجغرافي ، لتخضع للقانون الاحيائي في منطق الفن الذي يجسد فيها الامومة النقية ، عودة للدم النقي ، عبر مصافحة الروح الرطبة ، لحرارة الكون المنبثة في اضلاعها ، عودة للطفولة عودة للخطة الشاعرية التي سحقتها همجية القحط في الواقع الخارجي ٠ « اغتالتني الطبيعة فكرهتها ٠٠ اغتالت الشيطان في داخلي كنت منسجما مع شيطاني ٠ كان ملائما لجسمي وروحي ٠ هجرني لاني تنسكت » (١٩) ٠

فكما كان الفقراء وامرأة القبو ، المطهر في (الشمس في يوم غائم) فان الطبيعة وشكيبة هما المطهر في الياطر ٠ ولذا فقد بدأ المرسنلي الجديد يستيقظ من بين انقاض القديم ، كلما امعن تجربة وكشفا واكتشافا ، بدأت تتفتح في ذهنه معان للقيم ، بعد ان كان يجهل ما معنى الخوف ؟ ما معنى الشجاعة ؟ ما هي الفضيلة ؟ وما هي الرذيلة ؟٠ يزهر الندم في اعماقه رغبة صادقة في التجاوز ، يحزن للاساءات التي وجهها لزوجته وابنه ، تتنامى في داخله نزعة الابوة ، بعد ان كاد ـ سابقا ـ ان يفتك بابنه لاتفه الاسباب « يا بني لماذا كتب علينا ان نقتل ، انا وانت ، ونتعذب ونتشرد ونسجن ، ونعذب امك معنا » (٢٠) ٠ وبذلك يحقق المرسنلي في مسيرة الاكتشاف بعدا جديدا في تنامي وعيه لذاته ، وللفعل الصادر عنه ، انه يتحدث عن قتله لزخريادس كأمر قدري مكتوب ، فلم يعد يتحدث عن كرشه والذهب ٠ وهذه خطوة في رحلة اكتشاف العالم وضروراته ،

من أجل التحرر الذي سيتوج بالحب ، وعبر الحب الفردي لشكيبه ، تتفجر طاقة الحب الكلية ، لتتشكل على صيغة انتماء ترفع من درجة احساسه بجدارته في الدفاع عن بلدته المهددة · ولهذا فهو عندما يراوده خاطر قتل حارس المنارة يتراجع عن ذلك ، بعد صراع داخلي يتنصر فيه الجانب الخير في ذاته ، انه نموذج – لا يحكم في اطار التنميط – لشعبنا الخير « ما عشته من الحياة كان دائما على الشاطيء ، وهناك كان قلبي نظيفا مثل الرمل يغسله الموج » (٢١) ·

زكريا شخصية تتفرد في الرواية العربية بغناها الدرامي ، انه لا ينمط قيم وطبائع طبقة ، ولكنه ينمذج كـ (الطروسي) كل الطاقات المهدورة ، يكشفه الكاتب ، يعريه امام ذاته ، ليدفعه الى مزيد من الاكتشاف لذاته من أجل الانتصار عليها ويتجاوزها ، ويدفعنا الى مزيد من اكتشاف الحياة من خلال تكثيفه لاعمق عناصرها الدرامية الثرة ·

ومن خلال استبطانه لجوهر حركتها ، من خلال انغماس كلي في الهم الانساني ·

وتشف الرؤية عبر تراكم زخم الواقع ، وبمقدار ما تغوص هذه الرؤية في طيات الحدث ، تمارس حضورها على نحو اشد بروزا ·

« المراة والمستقبل هما قضية ادبي ، ويأتي الحب دائما رباطا انسانيا فيه كل الاحترام للمراة وكل التجلي لانبل الصفات فيها » (٢٢) ·

ومن هنا تتاتى اهمية شكيبة في تفجير كوامن العطاء في ذات المرسنلي وتطهره من نوازع الشرور · كما كانت عليه امراة القبو (في الشمس في يوم) واهميتها في تطهير عالم الشاب الداخلي ·

ان – زكريا – الذي يحمل فهما ذكوريا رجعيا عن المرأة « كانت امراة ، وكنت اظن المرأة بنصف عقل ، او بدون عقل ، بل أقل من لا شيء ، مثل البطيخة ، مثل المجدرة ، اذا جعت اكلت منها والسلام » (٢٣) · ترغمه شكيبة بما فتحت في نفسه من احاسيس كان يغطيها انغلاقه عن شموس الحرية ، اكتشافه لهذه الآفاق الرقيقة الحانية الواثقة ، حولت نظرته للمراة لتحظى منه باعتبار الانسانة ·

فالمرسنلي الذي يحمل في ذهنه فهما ذكوريا للمرأة ،ورغبة اغتصابية لها ، هذا المفهوم نتاج للشكل اللاانساني للعلاقة بين الرجل والمرأة ، المحكومة بالزواج الاحادي كمؤسسة تقنن الحس الانساني ، وتحجم عواطفه ·

ولذا فقد كان يقرض اذن زوجته صالحة ، ويبعج الوسادة ، في لحظات اغتصاب ينصب فيها كل تراكم العدوانية التي ورثه اياها مجتمع بطريركي قمعي · العلاقة الاغتصابية التفريغية نفسها كان يمارسها مع (ام زخريادس) اليونانية ·

غير ان – شكيبة – اثبتت للمرسنلي بأن سروالها لا ينزل الا من خلال الالتحام بعلاقة انسانية متكافئة ، يكون المغ الجسدي فيها تعبيرا عن رغبة عميقة لا للارتواء الجنسي فحسب ، بل للارتواء الانساني التكاملي التفاعلي حتى درجة الانصهار · لقد تسامت شكيبة التي ينبجس في انوثتها نبل الطبيعة ، وقانونها الذي يتعالى على سلعية العلاقات التي تواضع عليها الناس في مجتمع الملكية · رغبت بذكورته وسمكه لجوعها، لكنها رفضته عندما شعرت بأن سمكه سيكون مقابلا لجسدها ·

لقد منحته الطبيعة سرها عبر الابتهال لامومتها ففاضت في اعماقه النظيفة معاني

النبل ، وكشفت له شكيبة لا عن حاجته الى جسدها فحسب ، بل عن حاجته الانسانية لهـــا ٠

لتمنح ذاته الباحثة عن التكامل ايقاعا متناغما ، يتفجر منه نبـل عطـاء الطبيعة ، وفيض المنح البشري ٠ لقد تبلور المفهوم الانساني الصحيح في ذهنه عبر تماسه الالتحامي المندمج في منطق الكون ونواميسه المعبرة عن سرمديته ٠ هكذا تتصافح اعماق الذات ، مع اعماق الطبيعة ، فتتكشف ملامح العطاء كأنبل قيمة ٠

الانسان فيض عطاء لا ينضب ، عندما لا توصده الضرورة الاجتماعية ، وعندمـــا ننتصر على الضرورة الاجتماعية تمنحنا الطبيعة مفاتيح سرها ٠

انساننا المكبل الذي وادت انظمة الملكية والقمع ارادته الحرة ، نبله المنبث في انسانيته كقيمة ، سيكون ضحية جرائم لا علاقة عقلانية له فيها ٠ ان عملية الاكتشاف تتوج بشكل حاسم بالهزيمة التي يتلقاها ــ زكريا ــ من شكيبة ٠

لقد هزمت ــ المرسنلي ــ السديمي فيه ، لينتصر المرسنلي التفتح ، فتحت في نفســه فجوة الحرمان الذي الفه ، فتفتقت الحياة فيه عن نهم لا يرويه الا الاتحاد الصميمـــي بنبضهـــا ٠

« قهزتني ــ شكيبة ــ هزمتني ، هزمني زوجها ، ولكن هزمني قبله (زخريادس) ابـن اليونانية ، هزمتني الدنيا قبل ان تهزمني شكيبة » (٢٤) ٠

في اعماق الهزيمة يولد ــ المرسنلي ــ الجديد القادر على المواجهة ان حبه لشكيبة نما في ذاته حبا كليا ، اعاد صياغته المثلى ، رفع من درجة احساسه بجدارته على الفعــل المتوج بالغائية النبيلة ٠ المراة ــ الحب ــ الحياة ، ثلاثية تفتح العشق ، قادته الى رفض الشكوك التي تحكم الحب الانساني ، « ان المرأة لاعظم من الحب بكثير ، وان الحيـــاة لاعظم من المراة بكثير ٠ ولا يكون الانسان حيا الا اذا عشق » (٢٥) ٠ عشقه دفعه الى ترجيح مشروعية حبه لشكيبة ، على شرعية حق زوجها فيها ٠

من جوف قمعية الماضي يولد زكريا المستقبل ، وفي تراكم عوامل المصابرة وغربـــة الذات ، يولد الانتماء ، وبالحب تتسامى الذات على فرديتها لتكتسب افاقها الشموليـة ، وفعلهـــا الكلـي ٠

ولذا فان ــ زكريا ــ يرفض التقوقع في الغابة مع ــ شكيبة ــ لينطلق الى المدينة التـي يداهمها الخطر ، وهو يعرف معرفة تامة عجز هؤلاء الذين نصبوا انفسهم سدنة لها ٠ « ماذا اقول انا ؟ اقول مدينتي شردتني ؟ والرجال ؟ تراهم تشردوا مثلي ؟ منعوهم مـن النزول خوفا على القوارب ؟ انا أعرف أصحاب القوارب ، واعرف جماعة الميناء ، هؤلاء الذين يتولون العملية من المقهى ، من وراء النراكيل ٠ هم لا يقاتلون الحيتان ، وحتـى حين تدوخ لا يأمرون بربطها ، ينتظرون ان تموت في ارضها ، او تذهب كما جاءت » (٢٦) ٠

هذه المدينة التي شردته ، اراد ان يمد لها لسانه ، ان يشتمها ، لكنها في قلبه ، وهو يرفض ان يكون نذلا ويشمت بها ٠ فسار باتجاهها ٠ « سرت على طول الشاطىء : ببطء اولا ، ثم بعجلة ، ثم ركضت ، وضاعفت ركضي » ٠ (٢٧)

هذه الخاتمة على الرغم من التوافق الروائي الذي يضبط توالي الاحداث ، واحكـــام تسلسلها ، لكنها تحقق نقلة من اطار الواقع المحدد الى اطار الرمز الشامل ٠

لتحقق الرواية البعد التكاملي لعناصر الواقع التي تسير بشكل متواكب ، وليكون الرمز السياسي جزءا حيويا من حركة الواقع الكلية ، بل هو العنصر الاكثـــــر جوهرية فـــي صيرورته الفنية • والعنصر الاسطوري في (الياطر) أقل ايقاعا منه في (الشمس فـــي يوم غائم) ، حيث تتضاءل نسبته التضمينية ، ويتكثف في طاقة الفعل وسببيته ، مـــن خلال الشخصية المشحونة بعناصر الحلم والتصور ، وطابع العلاقة التي تتفاعل بهـــا الشخصية مع عالمها ووسطها الروائي والواقعي •

فيتمازج الواقع الفني بالواقع المادي دون الاخلال بطرفي المعادلة ، مفضيا الى تناغـم وتواشج يدفع بالرواية الى تجاوز اطار محليتها في رصدها ، وطموحاتها ، لتجد لذاتها حيزا صلبا في الابداع الانساني •

المحور السياسي جزء حيوي ـ كما ذكرنا ـ في صيرورة الواقع الخارجي والداخلي، يتمحور هذا الجزء في المرحلة ، ويتنامى ويسف في اطار الرمز ليعبر عنازمة كلية ، عن صراع كلي ، وطموح كلي • يتجاوز افق الرواية التاريخية ، ليمارس حضوره في خلايا الحاضر بعنف ، رافعا ضرورته الكمية ، لتكون بمثابة تحول نحو المستقبل من خـــلال الانشداد للحرية •

انظمة الملكية القمعية ، تصادر الانسان الكل ، و ـ المرسنلي ـ الـذي ينتمي الـــى مرحلة مبكرة في اوائل هذا القرن ، يكبر همه المرحلي ليعانق همومنا الحاضرة ، مـــا دام نظام الملكية قائم • هذه الانظمة التي صادرت وعي المرسنلي ، وأزهقت طاقاتـــه على عتبات جريمة غير مسؤول ـ بوعيه البدائي ـ عنها •

هذه الانظمة عندما يهددها الخطر الخارجي لا تقاتل الحيتان ، تنتظرها ان تمـــوت في ارضها ، او تستيقظ القوى الجبارة الغافلة لدرء الخطر ، ـ المرسنلي ـ هو الجماهير، في مصادرة وعيها وقمعها ، في ابعادها عن محاور الفعالية ، هذه الجماهير المسيجة بالاكفان وهي حية ، تخترم اعماقها كتل حممية من طاقات الفعل ، لكن السلطة تبدد هذه الامكانيات عبر الترويض والتدجين ، او عبر اهدارها في معارك لا تهدف الى تحريـــر وعيها ، بمقدار ما تهدف الى تثبيت سلطاتها •

ولذا فان كاتبنا القى بزكرياه (الجماهير) في حضن الحياة ليكتسب القها المبـــدد للتزييف والتدجين ، فجر كوامن الاندفاع النهمة فيه ، ليثور على الاسوار الرصاصيـــة التي غلفته بها انظمة القمع والتدجين • فعندما تستعيد الذات وعيها ، تسيطر لا على الضرورة الطبيعية فحسب بل وعلى الضرورة الاجتماعية والسياسية •

انهـا دعوة حادة للمواجهة ، للدفاع عن براءة الحياة ، مسح الصدأ العالق بجنباتها•

وفي الوقت الذي يدين فيه ـ حنا ـ ابعاد الجماهير وعزلها عن ممارسة فعالياتهـــا الثرة ، فانه يرد على الواقع السياسي ، الذي يمارس عملية تحجـــيم وترويض لحس الرفض في انساننا العربي ، باطلاق هذه المشاعر والاحاسيس من عقالها لتتعانق مـــع شمس الحياة ، يطلق ـ حنا ـ المرسنلي ـ من الكوكبة القطيعية ، سابرا بحميا جبـارة عن مثل الرجولة فيه ، في شعبنا للرد على المؤامرة المحبوكة بتنظيم محتـرف علـــى الحس الوطني الرافض •

انه يقذف وعي القارىء مباشرة بالفعل المدهش ، يوقظ الاحاسيس الغافية ، علهـــا تشع عن قبس ، يجرد الطاقة الانسانية المدهشة من مكامنها ، ويقلتها في قاع الحياة ،

لنفض غبار التأسن التي علقت بأعماقنا ، يحرض على ثقب الارض ، على ضربها حتى تستيقظ ابنة الكلب النائمة ، يجرد من المرأة طاقة انثوية توازي قحط الواقع ، ويباس الحياة ، وفقدان الانتماء ٠

هل هي دعوة (زورباوية) كما فهم او استنتج البعض عن سوء نية او حسنها ؟

بين زوربا والمرسلني :

يقول الراوي :

« وتوقفت لحظة على الرمل ، ونظرت ، كانت الوحدة القدسية تمتد امامي ، حزينة ، مغرية ، كالصحراء ، ويبرز الشعر البوذي من الارض وتغلغل حتى اعماق كياني : « متى انزوي اخيرا في الوحدة ، بمفردي ، دون رفاق ، دون فرح او حزن ، ولا يصحبني سوى اليقين المقدسي ، بأن كل شيء ليس الا حلما ، متى اعتزل فرحا مـــع اسمالي ـ دون شهوات ـ في الجبل ؟ متى اختلي ، بعد ان اتبين ان جسدي ليس الا مرضا وجريمة وشيخوخة وموتا ، في الغابة حرا ، دون خوف ، مليئا بالفرح ، متى ؟ متى ؟ متى ؟ » (٢٨)٠

ان المرسلني وزوربا يرفضان هذا المنطق التصوفي اللاهث وراء مطلق ميتافيزيكي عبثي ، المعادي لدفقة الكون التي تسكنهما ٠

لقد عاش زكريا الوحدة القدسية هذه في احضان الطبيعة حتى خشي ان يتحول الى ناسك ، غير انه برم بها وايقن ان الاخرين هم مصدر احساسه بانسانيتـــه ، فتمنى ان يكون له حتى كلب يستأنس به في وحدته الموحشة ٠

الا ان وحدة زوربا ، هي وحدة (أناه) التي ترفع من ذاتيتها الى درجة المركزيـــة الفردية التي تحس بأنها شاغلة الوجود ومحوره ، فهو لا يؤمن الا بزوربا وحده « عندما أموت انا ، فكل شيء يموت » ٠ (٢٩)

وهو باندماجه بالاخرين يتمتع باحساس عظمة تفرده ، ويتهمهم بالقطيعية معلنا انـــه لا يؤمن بالانسان ، يقول زوربا للرواي : « الانسان بهيمة ، بهيمة كبيرة ، ان سيادتك لا تعرف ذلك وكل شيء على ما يبدو سهل بالنسبة لك ، لكن اسالني انا ٠ بهيمة ، اقول لك ! اذا كنت سيئا معه احترامك وخافك ، واذا كنت طيبا فقأ عينيك » (٣٠) ٠

المرسلني يشارك زوربا تهمة اللامحدود للاتحاد بالحياة ، لكن حرمـان ـ المرسلني ـ واحباطيته هي التي تقوده الى بوهيمية لاغائية ، على حين ان اشباع ـ زوربا ـ وامتلاءه يقوده الى هذه اللاغائية ٠

بيد ان ـ المرسلني ـ عندما تنعتق حواسه من قمع الضرورة ، تتفتق فيه الحياة عـن غائية وقيم مثلى تتبلور بموقف يتحد بالاخرين للمواجهة والدفاع عن المدينة ٠

ـ زوربا ـ بطل (فرويدي) ، يمثل السائمة في انطلاق (الهو) اللامحدود فيها ، التي تبحث بنهم (ابيقوري) عن المتعة الانية غير المشروطة بهدفية ٠ (الانا) التي تعيش حالة انفصال عن الماضي ، تغوص في عندية الحاضر حتى درجة الاستغراق المغفل للمستقبل ، فهو عندما يقبل ثغر امرأة فانما هو يقبل ثغر الانثى المجرد ، ابتـــداء بـ (عشتار) وانتهاء بأية امرأة في العالم ٠

« لقد كففت عن التفكير بما جرى امس ، كففت عن التساؤل عما سيجري غدا ، مـا

يجري يا زوربا ؟ انني انام ـ اذن نم جيدا • ماذا تفعل في هذه اللحظة يا زوربا ؟ ـ انني اعانق امرأة اذن عانقها جيدا ، يا زوربا ، وانس كل الباقي ، فليس في العالم شيء اخر ، ليس فيه الا هي وانت • هيا ! » (٣١) •

المرسنلي يعيش عمق هذه الاتحادية بالحياة ، لكنه يفترق معه بالنتائج ، بل يمكننا القول بأن المرسنلي يوازي زوربا قبل دخوله الغابة ، لكنه بتجربته ومعاناته يكتشف انتماءه ، لكن زوربا يكتشف ان الحياة لحظة يجب ان تعيشها مستغرقا بآنيتها الراهنة ، المرسنلي وافق زوربا في البداية ، ثم ما لبث ان تجاوزه على طريق إكتشاف ذاته والعالم•

فالمرأة لم تعد جسدا يلبي حاجة الارتواء الجنسي ، بل اصبحت انسانة ـ في نظر ـ المرسنلي ـ تلبي حاجة ارتواء انساني • ان زوربا يحول ما لا بد منه الى ارادة حرة • على حين يطلق ـ حنا ـ فعاليات المرسنلي ـ ليواجه الضرورة بارادته الحرة •

النقلة من النهمية البوهيمية الى الفعل الارادي الواعي يتجسد بأعلى اشكال تكثيفه بعودته الى المدينة للدفاع عنها ، بالعودة الى الانتماء للاخر ، الناس ، الوطن ، هاتان المقولتان اللتان كان يرفضهما ـ زوربا ـ ويدينهما ، بأنسنة (كوسموبوليتية) تدفع بالعالم للانتماء اليها ، لا بانتمائها للعالم •

الشاب في (الشمس في يوم غائم) يطلق ـ حنا ـ كوامنه الحياتية ، كردة صارخة على واقع الرتابة والقوانين المصاغة خارج الحقيقة الانسانية • من اجل نفي كل ما هو كائن استلابي • ويرقص كـ ـ زوربا ـ ليخرج ما يضج في اعماقه وما لا يستطيع التعبير عنه •

الا ان هذا الاطلاق لا يفضي الى العدمية ، بل هو رغبة جارفة للانتماء بالقوى الفاعلة ، تسقط في مطب الخضوع للانتماء الاول الذي يحكمه كضرورة • فالتضاد ينشأ بين إنتمائين ، انتماء للثبات والسكون ، وانتماء للضيرورة الحياتية • وعندما يضيع بين الانتمائين ، ويسقط في فراغ الاهتزاز والتأرجح • نخلص الى نتيجة مفادها :الادانة لهذه الشريحة التي لا تتمكن بموضوعية بنيتها الطبقية ان تندغم بعضوية في حركة التاريخ المتصاعدة •

فأزمة لا انتماء الشاب تقودنا الى ادانته ، وحقيقة لا انتماء ـ زوربا ـ وعدميته ، تعرض على انها الطريق الوحيد للخلاص، انه يستدعي للرثاء، لكن ليس هناك غيره (٣٢)• نخلص من عرض هذا التباين الموجز الى أن (الباطر) ليست رواية زورباوية ، وشخوص حنا تشارك ـ زوربا في حميمية اندماجه ، مستحمة معه بألق الحياة ، ممارسة دهشتها تجاه كون رائع ، غير انها تتعارض معه جذريا في الرؤية والموقف • بعد هذه الجولة في عالم حنا مينة ـ العامر ، ومرافقته في رحلة الكشف والاكتشاف ، نخلص الى ان ـ حنا ـ يثبت جدارته كفنان وكروائي فذ ، قادر لا على اخصاب الرواية العربية فحسب، بل يرتفع بها الى ان تحتل مكانتها على مستوى عالمي بجدارة •

المراجع

١ ـ الادب والثورة ـ تروتسكي • ترجمة جورج طرابيشي ـ دار الطليعة ، ص ٥٥ •

٢ ـ محمود امين العالم « معارك فكرية » ـ دار الهلال ، ص ٢٠٥ •

٣ ــ دراسة لغالي شكري نشرت في مجلة الطليعة المصرية ــ عدد اكتوبر ١٩٧٠ ٠

٤ ــ مقدمة رواية « بقايا صور » للدكتورة نجاح العطار ٠

٥ ــ من مقابلة مع الكاتب ــ الاسبوع العربي ٨٤٧ في ٨ــ٩ــ١٩٧٥ ٠

٦ ــ زوربا ــ نيكوس كازنتزاكي ــ ترجمة جورج طرابيشي ــ الطبعة الثانية ١٩٦٦ ٠

٧ ــ بوريس سوتيشكوف ــ المصائر التاريخية للواقعية ــ دار الحقيقة ــ بيروت ٠ الطبعة الاولى ــ اب ١٩٧٤ ٠

٨ ــ بطل رواية (الشيخ والبحر) ــ ارنست همنغواي ٠

٩ ــ الياطر ــ مكتبة ميسلون ــ دمشق ــ ١٩٧٥ ٠

١٠ ــ الياطر ص ٥٤ ٠

١١ ــ المصدر السابق ــ ص ٤٩ ٠

١٢ ــ المصدر السابق ــ ص ٣٣٠

١٣ ــ المصدر السابق ــ ص ٣٤٠

١٤ ــ عمر فروخ ــ ابن طفيل وقصة حي بن يقظان ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٥٩ ٠ ص ٢١

١٥ ــ بوريس سوتيشكوف ــ المصائر التاريخية للواقعية ــ دار الحقيقة ــ بيروت ٠

١٦ ــ الياطر ــ ص ١٠٨ ٠

١٧ ــ المصدر السابق ــ ص ٨٣ ٠

١٨ ــ عمر فروخ ــ ابن طفيل وقصة حي بن يقظان ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٥٩ ــ ص ٥٨٠

١٩ ــ الياطر ــ ص ٨٤ ٠

٢٠ ــ المصدر السابق ــ ص ١٢٤ ٠

٢١ ــ المصدر السابق ــ ص ٢٣٧ ٠

٢٢ ــ من مقابلة مع الكاتب ــ الملحق الثقافي للثورة ٢٢ــ٤ــ١٩٧٦ ٠

٢٣ ــ الياطر ــ ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ ٠

٢٤ ــ المصدر السابق ــ ص ٢٣٤ ٠

٢٥ ــ مالك حداد ــ سأهبك غزالة ٠ ص ٢٩ ٠

٢٦ ــ الياطر ــ ٢٩٣ ٠

٢٧ ــ المصدر السابق ــ ٢٩٦ ٠

٢٨ ــ زوربا كازنتزاكي ــ ترجمة جورج طرابيشي ــ الطبعة الثانية ١٩٦٦ ص ــ ٣٠ ٠

٢٩ ــ المصدر السابق ٠

٣٠ ــ المصدر السابق ــ ص ٥٩ ٠

٣١ ــ المصدر السابق ــ ص ٢٧٧ ٠

٣٢ ــ المصدر السابق ــ ص ٢٧٥ ٠

توفيق فياض

الشيخ لافي الملك " قصة "

اختلفت الروايات في قرية البارد حول اختفاء الشيخ لافي الملك ، ولا زالت تختلف · والذي يعرف البارد ، هذه القرية الصغيرة التي يخالها المرء كلما نظر اليها ، انها تكاد تقفز من اعلى قمة في جبال جنين ، الى قلب مرج ابن عامر مباشرة في الشرق، او الى البحر في الغرب، فانه لا يستغرب ذلك اطلاقا، اذ ان هذه الظاهرة هي ميزة تلازمها منذ عمر الشيخ لافي الملك نفسه ، بل وقبل ان يولد فيها ، وقبل ان يختفي ·

ولكي يعرف احد كم كان عمر الملك حين اختفى ، فلا بد وان يستمع الى العديد من الروايات ايضا ، لكي يستخلص وبالتخمين ، وبعد عملية حسابية قد تدوم شهرا على الاقل ، انه كان قد تجاوز الاربعين ·

اما اذا اراد معرفة ذلك من حسن المعتوه ، والذي كان اقرب الناس للملك ، وامين سره في عز ملكه ، فالامر عندها يختلف ، ولا اظنه سينتهي من عمليته الحسابية هذه ، الا اذا راجع ، وبعين المؤرخ الباحث ، تاريخ الاتراك في فلسطين ، والاستيطان الصهيوني ، في الخمسين عاما الاخيرة ما قبل « السفر برلك » ، واسماء السلاطين والولاة وقادة الجيوش ، والباشوات الفلسطينيين ، وبالتحديد في قضاء مدينة جنين ، ومن ثم وقائع الحرب العالمية الاولى « والسفر برلك » ، واحتلال الانجليز لفلسطين ، ناهيك عن سنوات القحط والثلج ، والكوليرا ، والجدري ، والمشانق التي حلت بفلسطين ، مما يجعل البحث في

+ من مجموعة البهلول التي تصدر قريبا عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ·

هذه الحالة مستحيلا ، وذلك بعد ان نكون قد سلمنا سلفا ، نزولا عند رغبة حسن المعتوه ، ان الشيخ لافي الملك ، لا يزال يحارب الباشوات والانجليز واليهود في الجبال ، ولا بد ان يعود يوما بعد ان يهزم الاعداء وينتصر ٠

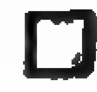
وسواء توصلنا الى نتيجة في بحثنا ، الى معرفة كم كان عمر « الملك » ام لم نتوصل ، فالرواية شبه المتفق عليها ، وهذا امر غريب عند اهل البارد ، هي ان عمره كان من عمر اقدم بيت في القرية ، التي اعاد جد « الملك » بناءها ، بعد ان احرقها الاتراك ، وشتتوا اهلها ، لتمردهم على الباب العالي ، وانضمامهم الى ثورة ظاهر العمر « رضي الله عنه » ، بعد ان امتد سلطانه الى مرج ابن عامر والجبال المحيطة به ، وكاد يخلص الناس من ظلم الاتراك واستعبادهم ٠

ولكن متى بني هذا البيت ، وهو العقد الكبير الذي يتوسط القرية تماما ٠ هذا ايضا ، لا يزال مدار اختلاف حتى الان ، فالشيخ عبد الحميد الحمد ، وهو اكبر اهالي البارد سنا ، بعد حسن المعتوه يروي ، ان المرحوم اباه قد روى له فيما روى ، انه شارك في بناء العقد قبل ان يتزوج من امه صحية ، الا ان حسنية بنت خديجة الحمد ، وهي مطلقة الشيخ عبد الحميد الحمد الثانية ، من بين مطلقاته الثلاث ، وحلاله الاربع ، فتؤكد ان ابا اولادها قد افقدته زوجاته الجدد عقله ، وانه كان قد خرف تماما ، منذ ان دخل ضرتها ، مطلقته الثالثة ولم يعد يذكر شيئا ، لان امها خديجة بنت حليمة البرمكية ، والتي كانت تقول للبدر « غيب تقعد محلك ٠٠ وما ظل حدا فتنتو بزينها » ، حدثتها ، انها قد جبلت طين العقد بيديها يوم علق « المحروق بترابه » ، جمال باشا ، المشانق للثوار في بلاد الشام ، وكان الملك يومها في عز شبابه ، وصواري السلطان يبحثون عنه في الجبال ، « وخديجة يا حسرتي قلبها عليه ، وعالفراق مشلوحة » ٠

غير ان الرأي السائد في القرية، وهو رأي الدراويش الذين لايزالون ينصبون حلقات الذكر كل ليلة جمعة في بيت « الامام لافي الملك » ، والذي تحول الى زاوية لطريقته ، فيؤكد ان ليس جد الامام الملك هو الذي بناه ، بل وليس « الامام الملك » ، وانما كان قائما قبل ان تكون هناك قرية اسمها البارد ٠ اما من الذي بناه ؟ وكيف ظل واقفا بعد ان احرق الاتراك القرية ؟ فهذه مسالة ايضا فيها وجهة نظر ، ولكن الرواية التي يؤكدها الشيخ المبروك محمود الحمد ، وهو ابن الشيخ المبروك احمد الحمد ، الذي كان يدق « النوبة » للامام الملك ايام ملكه ، هي انه كان لاحد اولياء الله ، الذي اعتصم في قمة هذا الجبل الحصين ، ايام غزا الافرنج فلسطين ، قبل مئات السنين، وكان انذاك يسمى الجبل البارد ، لشدة برده وصقيعه ، حتى في عز الصيف ، حيث ظل يحاربهم من فوق بغلة تشبه البراق الى ان استشهد فوق ظهرها ، ولا يزال قبره موجودا تحت قبة العقد ٠

وتصديقا لكلامه ، فانه يروى ، انه عندما كان « الجندرما » الاتراك يشعلون

الثار في القرية ، رأوا فارسا مجللا بالبياض ، يمتطي بغلة من نــور ، يخرج اليهم من طاقة صغيرة في قبة العقد ، شاهرا سيفا من لهب ، وما كاد يهوي به ، حتى صعقوا جميعهم ، ومن نجا منهم راح يفر امامه ملقيا نفسه فــي لهيــب النير ن التي اضرموها بانفسهم ، لكي يكونوا عبرة لمن اعتبر · وهــي نفس الرواية التي يؤكدها الدراويش في قرية العرقة المجاورة ، وفي خربتي الطــرم والشيخ عبد الله ، الذين فر اجدادهم يومها من وجه « الجندرما » الاتــراك ، والتجأوا الى المغاور المنتشرة في الجبال ، ثم بنوا هاتين الخربتين ، ولم يعودوا بعد ذلك ، ولكنهم ظلوا مرتبطين مع اهلها بافراحهم واتراحهم « وبطبهم وردهم» ·



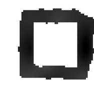
اما لماذا لقب لافي الحمد ، بالشيخ ، ومن ثم بالملك ، فهي الرواية الوحيـدة التي لا تختلف الروايات فيها ، وان كانت سيرته قبل ان يصبح ملكا ، تختلــف وفقا لاختلاف الرواة ، حتى في قرية البارد نفسها ، وهي القرية التي ولد فيها ، في سنة المحل الكبير ، ايام غزا الجراد فلسطين ، وفي نفس السنة التي نقــل فيها السلطان عبد الحميد الولاية من الشام الى بيروت ، وطوّب » الاراضي فــي المرج ، على اسم المحروقين بترابهم دار سرسق والسعد وعبد الهـادي اللــي باعوها بعدين لليهود المسكوب والالمان وهجّجوا الفلاحين من اراضيهم ، ومـا قبلوش يخلوهم يفلحوها حتى على القسم » ·

وكانت ارض حسن العبد الله الحمد ، والد الشيخ لافي الملك ، رحمة اللــه عليه ، من بين اراضي البارد ، وغير البارد ، التي « طوبها » السلطان علــى اسم « القمرجي » فؤاد افندي السعد من ام الفحم ، و « الخمرجي » حافــظ باشا عبد الهادي من جنين ، اللذين اضاعاها بعد ذلك على « الخمرة واليهوديات بحيفا والكبانيات » ، فحمل حسن العبد الله « عود الحراث وعصمليته وســاق فدانه وهود عالموراس بحذا سيل المقطع وولاد عمه بظهره وقال : ان كان فــي بدار السعد وعبد الهادي رجال يلحقوني ويخبطو فيها ، وانا بوك يا لافــي » · فثارت ثائرة حافظ باشا وفؤاد افندي السعد ، وارسلا له اكثر مــن خمسيــن خيالا مسلحا ، برفقة الصواري الاتراك ، ليحرسوا الحراثين الذين ارسلاهم كي يحرثوا الارض ، فاشتبك حسن العبدالله واولاد عمه معهم ، وظل يقاتلهم الى ان استشهد مع اثنين من اولاد عمه ، وفر الاخرون الى الجبال ·

وكان لافي انذاك لا يزال « على بزامه » ، فربي عند خاله الشيخ المبـروك احمد الحمد ، الذي كان يصحبه بعد ان كبر قليلا ، الى حلقات الذكر في الزاوية، في مقام سيدي الشيخ حامد ، حتى ان الجميع كانوا ينادونه وهو لا يزال فــي السابعة من عمره بالشيخ لافي · لصوته الجميل وبراعته في ضرب الصنــج

والشيش ، بل وكان الدراويش يعتقدون ان الشيخ لافي الصغير « متصل » رغم صغر سنة ، لكثرة ما كان « يغيب » اثناء الذكر ، وانطلاق لسانه «بالسنسكريتي» الى حد ان خاله الشيخ المبروك كان يعجز عن مجاراته في فهم كل ما كان يقوله وهو « غائب » ، ولا يستطيع « الاتصال » به وتهدئته ، بينما كان هو ، يفهم كل ما كان يقوله خاله الشيخ المبروك ، حين كان « يغيب » ويطول « اتصاله » به عز وجل ، فيداريه الى ان يهدئه ، ويمسح وجهه بالرحمن ٠

ولان الشيخ المبروك احمد الحمد ، خال الشيخ لافي ، كان قد حلل الغزو على املاك ومواشي « الفاسقين » حافظ باشا وفؤاد افندي السعد ، و « احواشهم » في قرى مرج ابن عامر ، بل وعلى املاك ومواشي كل دار السعد وعبد الهادي ومن لف لفهم من دار جرار والعبوشي ، وقطع الطريق على قوافل غلالهم المتجهة الى عكا وبلاد الشام ، بعد ما طوب السلطان عبد الحميد اراضي البارد على اسمهما ، ولم يبق لاهل البارد شبر ارض في المرج يدفنون امواتهم فيه ، فقد تحول رجال البارد كلهم مثل الكثيرين من اهالي اليامون وكفردان والسيلة ، الى « رجال ليل » ٠ ولكي لا يظن الاخرون أن « عليهم الطبة وللدراويش الجبة » ، كان الشيخ المبروك يشبك « دمايته » بحزامه بعد صلاة العشاء ، ويحمل عصمليته ، ويمشي امامهم ، « ويا بطن ما خلفت حدا احسن من حدا ٠ وهاللي بجيبه الطير الك وللغير ، وان جاب جاجة وللا قماجة لكل ثم حصته ، وعلى سنة الله ورسوله » ٠ وما ان بلغ الشيخ لافي السادسة عشرة من عمره ، حتى كان « شيخ الشباب وسيد من غاب وجاب ٠٠ واسمه وين ما طب يسبقه » ٠



ولكن الشيخ لافي ما كاد يصل التاسعة عشرة من عمره ، حتى كان قد تغير، ولم يدر احد ما الذي حصل له فجاة ،فقد فارقه الفرح ، وغابت تلك البسمة التي كانت ترف على شفتيه حين كان يمسك بالصنج ويتربع في صدر الزاوية الى جانب الشيخ المبروك ، ويرفع صوته الجميل موشحا بذكر الرسول « صلى الله عليه وسلم » ، وزوجته السيدة خديجة ٠

ويروي الشيخ محمود الحمد عن ابيه الشيخ المبروك احمد الحمد ، ان الشيخ لافي اصبح كلما اتى على ذكر السيدة خديجة ، كان يصمت ، ثم يغيب وعيناه تلمعان صبابة ، وكانه يقص حكاية تناسخت معه منذ الازل ، ثم يعود ليرفع صوته من جديد بكلام لم يسمعه احد من الدراويش من قبل ، وعيناه لا تزالان معلقتين في البعيد ، وكانه كان يتلقى ما ينشده من وحي ينزل عليه وكلما كان يغيب في النشيد اكثر ، كلما كان صوته يرق ، وصنجه يخفت ، فتترقرق الدموع

في عينيه ، ثم ما تلبث ان تتلألأ على اطراف اهدابه ، وتسح على وجنتيه ببطء ، لتنعقد على اطراف لحيته السوداء ، فتبدو وكأنها سرج تتمايل في مهب ريح خفيفة تتسلل من شقوق باب الزاوية الموصد ، ثم تنسكب مرة واحدة في خيط متلاحق ، كانفراط عقد تتناثر حباته على الصنج الذي كان يبدأ بالخفوت بين يدي الشيخ لافي المتمايلتين شيئا فشيئا ·· ويجهش بالبكاء المرير حتى لا يعود يقوى على ضبط نفسه ، فينهض وهو لا يزال يجهش بالبكاء ، ثم يتوسط الحلقة ويبدأ بالدوران على نفسه على ايقاع صنجه الذي يأخذ بالارتفاع شيئا فشيئا ، ثم ينسل من الحلقة خارجا ليهيم على وجهه في الجبال ، في اتجاه مغارة سويد حيث كان يتوحد بالذكر حتى مطلع الفجر ، ولا يجرؤ على اللحاق به سوى حسن المعتوه ، الذي كان لا يزال في الثانية عشرة من عمره ، والذي لم يكن معتوها بعد ، اذ كان الوحيد الذي يسير على خطى الشيخ لافي سواء في تصوفه او قوة قلبه في ليالي الغزو المظلمة ، الى حد انه كان يكاد يجاريه في ضرب الصنج او التكلم « بالسنسكريتي » ، بعد الشيخ المبروك احمد الحمد ·

وكان حسن يقفز ، كلما اجهش الشيخ لافي بالبكاء ، الى وسط الحلقة وهو ينتحب ، ويبدأ بالدوران حول نفسه وهو يردد « الله ·· الله ·· الله ·· » ، الى ان يسقط مغميا عليه ، ولا يصحو الا بعد ان يتوقف صنج لافي حين كان يخرج من الحلقة هائما على وجهه ، فيتبعه وهو يجوح بأعلى صوته « شيل الله يا سيدي وامامي الشيخ لافي » ، الى ان عاد ذات ليلة ، وهو يصرخ بأعلى صوته ، صراخا يمزق القلب ، ثم قفز وسط الحلقة ، وراح يدور حول نفسه ، وهو يجهش بالبكاء ، مرددا كلمات لم يستطع احد فهمها مطلقا ، ثم سحب « الشيش » من وسطه ، وراح يمزق به لحمه والدم يتدفق منه ، في غمرة الذكر من حوله ، الى ان فقد وعيه تماما ، وسقط في حضن الشيخ المبروك أحمد الحمد صارخا « حبيبي » ثم اغمي عليه · فحمله الشيخ المبروك وخرج به ، وهو يقرأ آية الكرسي فوق رأسه عله يصحو ، الا ان حسن وان كان قد صحا من غيبوبته فانه ظل طريح الفراش عدة ايام ، لا ياكل ولا يشرب ، ولا يتكلم الا كلما اشتدت به الحمى ، حيث كان يتمتم بكلمات متقطعة لم يستطع احد فك طلاسمها ·

الا ان والدته صحت عليه ذات ليلة وهو يردد اسم الشيخ لافي وخديجة بصوت متقطع مرتفع · وحين اصخت السمع جيدا ، سمعته يردد اسم مغارة سويد ، ولكنه عاد وصمت مرة ثانية ، فظنت انه يطلب رؤية الشيخ لافي ، فخرجت لتوها الى الزاوية تطلب اليه ان ياتي ويقرأ فوق رأس حسن آية الكرسي ، عله بذلك يفك عقدة لسانه ، غير ان حسن ما كاد يراه يدخل عليه ، حتى راح يرتجف مثل زغلول حمام مذبوح ، ثم اغمض عينيه وصرخ « حـ ·· حـ ·· حي » واغمي عليه · وفي اليوم السابع ، وقبل صلاة الجمعة ، فوجىء الناس بحسن يعلق في وسطه « تنكته » ، ويجوب الازقة في عز الظهر وهو يقرع « التنكة »

مرددا « لـ ٠٠ لـ ٠٠ لا اله الـ ٠٠ الـ ٠٠ الا الله يـ ٠٠ يا نا ٠٠ نايـــم وحـ ٠٠ وحـ ٠٠ وحد الله » ، ثم يقفز كالقرد « بسم الله الرحمن الرحيـم » صارخا « حـ ٠٠ حـ ٠٠ حي » ، بينما كانت امه تجري خلفه وهي تلطم علـــى خديها داعية « الله يتجزا منك يا خديجة يا بنت حليمة البرمكية » ٠

٠ ولكن احدا لم يعرف ما الذي جنته خديجة على حسن المعتوه ، وان كـــان قد شاع ، والعلم عند الله وحده ، انه عندما كان حسن المعتوه يتبع الشيخ لافي في الجبل ، ظن انه قد دخل مغارة سويد ، فدخل خلفه وهو لا يزال في نوبـــة الذكر ، واذا به امام خديجة وهي تنام عارية كما خلقها ربها ، وشعرها كالليل محلول على صدرها فانبهر ، واندور عقله ٠

وتضيف العجائز ، انه من غير المعقول ان يكون حسن المعتوه قد رأى خديجة على هذه الحال وحدها ، ولا بد انها كانت مع ملك من ملوك الجـــان ، لان مغارة سويد ، « من زمان وجا ي» ، وهي مسكونة ٠ ومن يدري ، فربما كـــان ، والله وحده العالم ، على هيئة الشيخ لافي نفسه ٠ هذا ان لم يكن قد اختلـط عليه الامر ، ورأى جنية ، ارسلها الله للشيخ لافي نفسه فعلا ، على هيئـــة خديجة بنت حليمة البرمكية ، لكي يمتحنه ٠

ومهما يكن الامر ، فقد اصبح حسن بعدتلك الليلةمعتوها، واصبحت خديجة اجمل ، وصدرها ، يا صلاةالنبي ، تكور اكثر ٠ وحين كانت النساء تتهامسن كلما تمر ، كان وجه خديجة يشرق كالبدر التمام ، وكان الرحمن اودع فيـــه سره ٠ اما الشيخ لافي ، فكان يصمت كلما راح الشيخ المبروك يساله عن سر تغيره ، ثم يشرد بعينيه بعيدا ، ووجهه يتهلل ، كما لو كان يصغي لصوت بعيد يناديه من اعماق مغارة سويد في قمة الجبل ، فينحني له خاله الشيخ المبروك متمتما « سبحانك اللهم تصطفي من عبيدك من تشاء » ، ثم ينسل بهدوء خافضا عينيه ، وكأنه كان في حضرة امام له ، كي لا يقطع عليه اتصاله ، بـه عـــز وجـل ، وتوحـده ٠

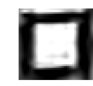
غير ان حليمة البرمكية ، ام خديجة والتي كانت على فراش الموت ، قد كشف الودع بين يديها، حين شاع ما شاع عن خديجة ابنتها، عن عجوز شمطاء وجهها وجه تركية ، صدئة الاسنان شائبة ، رثة الثياب ، تجلس في زاوية مظلمة ، في مغارة لا تنتهي ، وتطبخ في قدر ضخم امامها ، رأسا يشبه رأس الشيخ لافي ٠ ولا تنفك تزيد النار حطبا ،بينما وقف ولد يشبه حسن ينظر اليها وهـو يرتعد ، ولا يستطيع الفرار ٠ وحين سالها الشيخ المبروك احمد الحمد الذي كان يقيـم ذكرا لروحها قبل موتها ، عما يعنيه الودع ، حملقت به ، ثم شهقت واسلمـــت الروح دون ان تجيبه ٠ فاطرق الشيخ المبروك وبكى ٠ واستعاذ بالله مـــن شر ودع حليمة ٠

وقبل ان يستطيع الشيخ المبروك تفسير ما قاله الودع بيـن يـــدي حليمـــة

البرمكية ، كان الجنود الاتراك يداهمون قرية البارد ليلة الجمعة · وهي الليلة التي كانت « الطيات » فيها محرمة ، فاقتحموا الزاوية والدراويش في عز « النوبة » ، واقتادوهم جميعا مع كل من وجدوه من الرجال في القرية الى مدينة جنين ، كي يؤدوا ولاء الطاعة الى حافظ باشا علنا ، بعد ان يشهدوا شنق الشيخ لافي امام السراي في ساحة المدينة ·

ويروي الشيخ محمود الحمد عن ابيه ، انه ما كادت تشرق في اليوم التالي ، حتى غصت ساحة المدينة بأهالي القرى المجاورة الذين تدفقوا بنسائهم ورجالهم ، ليشهدوا شنق الشيخ لافي بامر الحاكم التركي ، وانه لم تبق « زاوية » او « طريقة » الا واتى دراويشها بكامل عدتهم واعلامهم · مما جعل الحاكم التركي الذي كان يجلس على منصة عالية مع حافظ باشا ، ان يأمر باحضار المزيد من الجنود والجندرما والصواري كي يمنعوا الدراويش من الوصول الى الشيخ لافي وانقاذه ·

وما كاد الشيخ لافي يطل حاسر الرأس امام الجلاد ، حتى دق جميع الدراويش « النوبة » مرة واحدة وهم يصرخون « حي » ثم راحوا يرددون « لا اله الا الله ·· لا اله الا الله » بينما كان الشيخ لافي يتقدم نحو عود المشنقة، مرفوع الهامة ، بخطى وئيدة على ايقاع طبول وصنوج الذكر بين الاعلام المتمايلة من كل صوب ، ولكنه ما كاد يقف تحت حبل المشنقة ، ويضعه بنفسه حول عنقه ، حتى اطلقت خديجة صرخة علت على جميع اصوات الدراويش ، فاخترقت حاجز الجند الى وسط الساحة ، وقد حلت شعرها الليلي الطويل ، وشقت ثوبها عن صدرها الناهد ، وراحت تتلوى وتميل على ايقاع الطبول والصنوج وهي تشهق من شدة الوجد ، الى ان سقطت على اقدام الشيخ لافي ، فتوقفت جميع الطبول والصنوج والاعلام ، والذكر ، بقدرة قادر ، مرة واحدة وفي رمشة عين ، بينما نهض الحاكم التركي عن كرسيه ، وراح يتقدم من منصة المشنقة وهو يمزق ثوبه عن عنقه والعرق يتصبب منه كالسيل وكأنه يفسك من حوله حبل مشنقة يكاد يخنقه ، الى ان وقف امام الشيخ لافي وهو يرتجف كالقصلة ، فاستل سيفه وقطع حبل المشنقة ، ثم استدار نحو خديجة التي انتصبت امامه بكامل جمالها وسحرها ، ولكنه لم يستطع النظر اليها ، فالتفت الى الجلاد يأمره باقتياد الشيخ لافي الى السجن ، وهو لا يقوى على الوقوف ، ولولا ان اسرع الجنود اليه يركبونه حصانه ، لسقط على اقدام خديجة التي سحرته ·



ما كاد الشيخ لافي يمكث بضعة اشهر في سجن عكا ، حتى اقتاده الاتراك

الى العسكرية ، وشحنوه مع مئات الشباب الفلسطينيين الى جبال اليمن ، كي يقاتل الثوار اليمنيين الذين شقوا عصا الطاعة على السلطان التركي تحت راية الامام حميد · الا انه ما كاد يصل الى اليمن ، حتى فر اثناء احدى الغارات التي شنها اليمنيون على معسكر الاتراك قرب صنعاء ، والتحق بالثوار اليمنيين ، مقسما انه سيظل يحاربهم الى ان يخرجوا من اليمن ، بل ومن بلاد العرب كلها · ورغم انه اصيب اكثر من ثلاث مرات في هذه الحرب ، الا انه كان يعود الى صفوف الثوار ثانية ، حتى قبل ان تلتئم جراحه ·

وعندما كان يصل الشيخ لافي عند هذه النقطة من سرد حكايته في اليمن ، كما تروي حسنية حسين الحمد نقلا عن امها خديجة بنت حليمة البرمكية ، فانه كان يصمت ساهما ، وقد شع من جبينه الاسمر العريض ، الق بعيد ، فتتعلق عيون السامعين بعينيه الواسعتين الشاردتين ، اللتين كانتا تذكرانهم بايام شبابه حين كان يهيم على وجهه في الجبال متيما بخديجة ، اذ كان يخيل اليهم انهما تكادان تنطقان بحكاية حبه ، التي يتناقلها الناس ، لفتاة يمنية بارعة الحسن والجمال ، وكانها ، سبحان الخالق نسخة طبق الاصل عن خديجة ، كان التقاها في الجبال وهي تحمل للثوار ماء وخبزا ، فعشقها وتيم بها ، ثم تزوجها وانجبته توأما ، ثم تتوقف الحكاية ولا احد يعرف بعد ذلك عن حكاية الحب هذه شيئا ، غير حسن المعتوه الذي يأبى ان يتفوه بها · حتى ولو عقدوا له على ابنة السبع عشر ، ويقسم ان كل ما يعرفه هو ان « الملك » كان قد اشتاق ذات يوم للبلاد ، والله العليم ، لخديجة بنت حليمة البرمكية ، فوجه وجهه صوب فلسطين وقال ، « يا مسهل الدروب » ، ثم غاب في الصحاري ·

ولكي يتقي الشيخ لافي شر الاعراب والجنود الاتراك في الصحراء ، علق في عنقه سبحة يسر طويلة ، وتعمم واشترى له صنجين من نحاس ، وراح يقيم حلقات الذكر في كل قبيلة تصادفه في طريقه ، حيث كان الرجال يتجمعون في « الشق » حوله ، وعيونهم الخاشعة تتعلق به ، ثم يبدأون بالترديد خلفه « الله ·· الله » ··، وهم يترنحون خشوعا ، الى ان يبدأوا بالتساقط واحدا واحدا ، وهم في حالة من فقدان الوعي ، فيتركهم وينسل الى خيمته التي كانوا يفردونها له ، حيث تبدأ النسوة بالتسلل اليه واحدة تلو الاخرى كي يتبركن منه ، خاصة وانهن كن يبهرن بجماله وطول قامته المنتصبة كالرمح ·

ومع ان « الحرام » غير وارد حين يتكلم الناس في قرية البارد عن الشيخ لافي الملك ، الا ان الشيخ محمود الحمد يروي عن ابيه ان خديجة بنت حليمة البرمكية ، التي كانت قد قطعت الامل من عودة الشيخ لافي ، فستر عليها ابن عمها حسين الحمد الاكتع ، وانجبت منه ثلاثة اولاد قبل ان يعود ، رغم ما اشيع عن ابن عمها من انه كان لا يصلح « لا للسدة ولا الهدة » وان حسنية ابنتها البكر ، لولا مخافة الله ، لقالوا انها ليست منه ، وانها تكاد تكون ،

نستغفر الله العظيم ، صورة مصورة عن الشيخ لافي ، كانت تهز « عبها » كلما اتت على ذكر مباركة الشيخ لافي للبدويات وكتابة الحجب لهن في الخيمة عند منتصف الليل ، وذلك لانه كان ، على ذمة خديجة ، يتحسس عنقه ويكز على اسنانه ، كلما اتى على ذكر هذه « السالفة » ، ثم يشرد فكره ويشت عن الحاضرين ، ولا يعود لنفسه الا عندما كان حسن المعتوه يساله ، وعيناه تكادان تنفران من وجهه ، ما اذا كان صحيحا ما يشاع عن النساء البدويات انهن لا يلبسن « الشنتيان » مطلقا ، وان لهن سيقانا جميلة وقوية ، و « يكلبسن » بالرقبة ، حتى يكدن يطلعن الروح ، ويا ويل من لا يفلح • فيشده « الملك » من اذنه قائلا « وانا اشعرفني يا حريق الوالدين » ، فيصرخ المعتوه وهو يرتجف هلعا « خـ •• خـ •• خديجة اللي بتقول » ، ثم يفلت من بين يديه عائدا الى مكانه وهو يتمتم غاضبا « قا •• قا •• قال اشـ •• اشـ •• اشعرفو قال ؟•• »

وسواء عرف الشيخ لافي او لم يعرف ، فقد كف حسن المعتوه عن توجيه هذا السؤال اليه ، بعد مدة قصيرة على عودته ، رغم تحريض خديجة أم حسنية له ،واغرائه « بالزلابية » التي كان يحبها كثيرا • وذلك ليس لان الشيخ لافي كان قد نقده « مجيدية بحالها » ، اخرجها من « الكمر » الذي كان قد جمعه من البدويات بدل الحجب التي كان « يكتبها » لهن ، وظل يتحزم به خلال ضربه في الصحاري وفي بلاد الشام عامين كاملين حتى عاد بالسلامة ، كما تدعي خديجة، وانما لانه اصبح لا يجوز توجيه مثل هذا السؤال اليه ، بعدما فعل ما فعله « بابو طربوش احمر » من جنين ، الذي ارسله حافظ باشا ، « الله يحرقه بقبره » •

وما فعله الشيخ لافي « بابو طربوش احمر » ، وهذا على ذمة الشيخ عبد الحميد الحمد ، زوج حسنية بنت خديجة السابق ، ان حافظ باشا عبد الهادي ، « حط كعاره بكعار البارد واهلها » ، منذ ان طوب الاتراك له ارضها في المرج، ومنذ ان اخذوا الشيخ لافي « عالعسكرية » • و « حط عينه على هالأكم عرق زيتون وحاكورة الله ظلن في البارد » ، بعدما طوب معظم زيتون برقين وكفرذان والمنشية على اسمه ، ولم يبق عليه غير زيتون البارد ، يقف كالشوكة في العين ، على حد قوله ، فارسل اليهم رسولا يبلغهم لاخر مرة ، انهم اذا تنازلوا عن كروم الزيتون المحاذية لكرومه في الناحية الشرقية من البلد ، فانه مستعد للتوسط اليهم لدى الوالي في بيروت لكي يعفيهم من ضريبة العشر ، ومن العسكرية ، ناهيك عن انه يعرف بان الشيخ لافي قد عاد ولكنه لم يبلغ الوالي عنه بعد ، ولذلك فهو مستعد لان يتوسط له ، ويحصل له على عفو عام من الوالي ، لانه اذا كانت خديجة قد انجته من المشنقة في المرة السابقة ، فهذه المرة لن يشفع له احد ككل « الفرار » من العسكرية • ثم اضاف الرسول و « اللي بيجيش بالمليح بيجي بالعاطل هالمرة » •

ورغم انه لم يكن للشيخ لافي عرق زيتون واحد ، لا في شرقهـا ولا فـي غربها ، الا انه كان الوحيد الذي تنطح لرسول حافظ ، وهو يجلس مثل ديـك الحبش على فراش خاله الشيخ المبروك احمد الحمد المختار ، فـي الديوان ، فامسك به من رجليه ، وراح يجره بكل قوته ، دون ان يراعي خاطر احد فـي القرية ، حتى ولا خاطر خاله بنفسه ، الذي راح يجري خلفه لانقاذه من بيـن يديه خوفا من بطش وانتقام حافظ باشا ، اذ تيقن الجميع انه لا بد وان يجـر الويل بفعلته هذه على البارد ، ويتسبب بحرقها هذه المرة كما فعل جد جده مـن قبله · بل ظل يجره في الازقة ، وسط زغاريد النساء ، بينما شمر حسن المعتوه عن ذراعيه وساقيه وراح يضرب على تنكته قافزا كالقرد في الهـواء امامه ، والصبية يزفونه من خلفه :

حافظ باشا يا تركي

زيتون البارد مش تركه

حافظ باشا يا وضيع

ارض البارد مش للبيع

ولم يكتف الشيخ لافي بذلك ، بل جره الى مزابل البلد ، وسحب خنجره مـن تحت حزامه ، واعطاه لحسن المعتوه وامره ان يقص له شاربه ، الا ان حسن راح يرتجف وهو يرى نصل الخنجر يلمع في يده ، وكاد يرميه ويفر ، لولا ان صـاح به الشيخ لافي يأمره للمرة الثانية ان يفعل ، فانحنى عليه حسن وهو يمد يده نحوه ، ولكنه توقف فجأة وهو يحدق بالشارب الاسود المتراقص فوق شفتـي الرجل المرتجفتين من الغيظ ، كما لو كانا عقربين يقتتلان ، ثم نظر الشيـخ لافي وهو يكاد يبكي من الخوف ، ثم حدق به ثانية وراح يحومحوله ، ويـداه الراجفتان تقتربان منه تارة وتبتعدان اخرى ، بينما راح الاطفال يعيرونه قارعين اتناكهم الصغيرة وهم يرددون :

حسن الخايب

بيخاف من الشارب

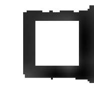
فعض حسن على شفتيه ، ثم لعق لسانه ، وانقض على ذيل الشارب المعقوف فجأة ، وهو يقطعه بالخنجر مثل لمح البصر ، ثم يقذف به الى المزبلة مسلمـا رجليه للريح وهو لا يزال ينفض يده ، كما لو كان ينفض عقربا عالقا بهـا ·

فانحنى الشيخ لافي على رسول حافظ باشا الذي كاد يتفجر غيظا وهو يتحسس جناح شاربه المقصوص ، وعلى مرأى من جميع اهل البارد ، مرغ لحيته المحناة ، بروث البقر ، وساقه امامه قائلا « روح خبر عما شفت ، وقول لحافـظ باشا

ودار عبد الهادي كلهم صغيرهم وكبيرهم ، انو مال الناس مش مشاع ، واللي مقرب عزيتون البارد شاربه بقصه ، ولحيته بمرغها باللطع ·· وان كان الباشا ناقصه حنا للحيته يخبط بالبارد ، وانا اسمي لافي الحمد » ·

ويروي الشيخ عبد الحميد الحمد ، ان احد الذين كانوا في ديوان حافظ باشا ذلك اليوم ، قد روى له ، انه كان قد عاشره سنين طويلة ، وعرفه في كل احوال غضبه وسورته ، الا انه لم يره على مثل تلك الحالة التي رآه عليها ، حين دخل عليه رسوله بتلك الهيئة المزرية ، وقد جف الروث على لحيته وشاربه المقصوص ·

وكان الديوان عندها يغص بمخاتير ومشايخ القرى المجاورة الذين اعتادوا التجمع حول مائدته بعد صلاة الجمعة من كل اسبوع ، فقفز من مكانه وراح يطرد كل من في ديوانه ، مقسما بالطلاق ثلاثا ، انه سيبيد الزرع والضرع في قرية البارد ، حتى لا يبقى لهم فيها شبر ارض يدفنون موتاهم فيه ·



وقبل ان تشرق الشمس صبيحة اليوم التالي ، كان رعيان حافظ باشا ورجاله المسلحون ينزلون بقطعان الماعز في زيتون البارد وزرعها ، فماكان من الشيخ لافي ، الا ان حمل بندقيته « وسلحلكه » ، ثم امتطى فرسه التي اخذها من رسول الباشا ، وراح يجول في القرية ، يسبقه حسن المعتوه ، قارعا تنكته ، معلنا للناس ان رجال الباشا قد احتلوا زيتون البارد وانزلوا فيه قطعان الماعز ، وان الشيخ لافي حمل سلاحه وركب « الكحيلة » ، كي يطردهم ومن لا يريد اللحاق به فليأخذ ماله وعياله ويرحل عن البارد ·

فما كان من رجال الباشا الا ان لاذوا بالفرار ، حين وقعت عيونهم على الشيخ لافي وهو يغير عليهم ، وقد تبعه الصغير والكبير من الرجال والنساء بكل ما اتى لايديهم من فؤوس وشواعيب ونبابيت وبنادق ، تاركين خلفهم قطعان الماعز التي ساقها الشيخ لافي الى ساحة القرية ، وراح يوزعها بالتساوي على اهل القرية ، معارضا بذلك الشيخ المبروك احمد الحمد ، الذي راح يحثه على ارجاع الماعز للباشا ليكف شره عنهم ·

وكان واضحا ان حافظ باشا لن يحتمل هذه الاهانة والهزيمة التي الحقها الشيخ لافي واهل البارد به وبدار عبد الهادي جميعا ، ولم يعد امامه سوى ان يكتب الى الوالي في بيروت ، لجر جميع رجال البارد الى السجن وتاديبهم ، لتمردهم على الباب العالي ، كما ادعى ، وعصيانهم عن دفع العشر والميري ، وقطع الطريق على مواشيه وسرقتها ، لكي يكونوا عبرة لاهالي قرى مرج ابن

عامر كلها ، قبل ان يتحردوا هم الاخرون ، ويفعلوا به ما فعله الشيخ لافي ، بعد ان قلل من هيبته وهيبة الباب العالي بين الناس ·

ولان حافظ باشا كان ذا حظوة كبيرة لدى الوالي التركي في بيروت ، بل كان شريكه بالاملاك على ذمة الشيخ عبد الحميد الحمد ، فقد ارسل الى السنجقدار في نابلس ، يأمره باسترجاع قطعان حافظ باشا فورا ، وتأديب اهالي البارد ، بان يسوقهم مشيا على الاقدام ، وعقلهم في رقابهم الى قصر حافظ باشا في جنين ، كي يؤدوا له ولاء الطاعة راكعين علنا وامام اهالي القرى كلها ، بعد ان يشهدوا شنق زعيمهم الشيخ لافي الحمد ، في الساحة امام السراي ، بتهمة التمرد على الباب العالي وقطع الطريق على اموال الناس وحلالهم ·

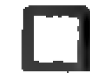
ولكن الشيخ لافي ما كاد يعرف بتقدم جنود السنجقدار نحو البارد ، حتى ركب فرسه وتمنطق سلاحه ، وفر الى الجبال مع باقي الرجال البالغين ، بعد ان نحر كل ما تبقى من ماعز الباشا في مدخلالقرية · فساق الجنود الاتراك كل من صادفوه من شيوخ القرية ونسائها بالسياط الى مقر حافظ باشا في جنين ، بينما بقي قائد الحملة مع سرية كاملة للبحث عنه ومن معه في الجبال ، وجره حيا او ميتا الى المشنقة ، وخاصة بعد ان صحا الناس في الليلة التالية ، على تلك الصاعقة الحارقة ، التي انزلها الله على زيتون حافظ باشا من دون خلق الله ، في كل الجبال وفي جميع القرى مرة واحدة ، حيث ظلت النيران تلتهمه لعدة ايام متتالية ، دون ان يستطيع رجال حافظ باشا انقاذ سوى القليل منه ، بعد ان سخر الاتراك الاهالي في القرى المجاورة لقطع الاشجار امام النيران لحصر الحريق ·

ويشهد الذين رأوا حافظ باشا تلك الليلة ، حين ايقظه الخدم ليخبروه بما حل بزيتونه ، انه شهق من الغيظ وراح « يلعبط » كالثور المذبوح وهو يشد بكلتا يديه على صدره ، والزبد يرغي على شفتيه ، وهو يكاد يختنق ، ولولا ان لحق الطبيب به على اخر رمق ، لكان لفظ انفاسه وارتاح الناس منه · وسرعان ما شاع بين الناس ، ان الشيخ لافي ورجاله ، هم الذين احرقوا زيتون الباشا انتقاما منه على شنق خاله الشيخ المبروك محمود الحمد امام السراي في جنين ، بعد ان افلت هو من بين يدي الاتراك ولم يستطيعوا القبض عليه · وانه سبب لحافظ باشا جلطة في قلبه ، لا بد وان تقتله قريبا ·

ولم يكتف الشيخ لافي بذلك ، بل اغار بعد عدة ايام على الجنود الاتراك ، الذين يبحثون عنه في الجبال ، وكاد يبيدهم لولا انهم تراجعوا نحو المرج قبل شروق الشمس ، ثم راح يغير على « احواش » حافظ باشا وغيره من الباشوات والافندية في قرى مرج ابن عامر ، مقسما انه لن يبقى « راس مطربش تلعب الريح بذيله » ، فذاع صيته بين الناس ، واصبحت جبال البارد قبلة

الخارجين على القانون والفارين من وجه الاتراك والباشوات ، الذين ارسلوا الى الباب العالي في اسطنبول ، يستنجدون به لحمايتهم وحماية ممتلكاتهم من سطوة الشيخ لافي ورجاله من قطاع الطرق ، بعد ان عجز الوالي في بيروت عن ذلك • وسرعان ما شاع في القرى ، ان جمال باشا السفاح ، قد جاء على راس جيش من دمشق لتأديبه وتعليقه مع جميع رجاله وكل من يأويهم ، على اعواد المشانق التي راح الاتراك ينصبونها في كل القرى ، كي يراهم الناس جميعا ، فراح اهل البارد يفرون بعيالهم الى المغاور في الجبال ، بعد ان رفض اهل القرى المجاورة ايواءهم ،بينما راح الشيخ لافي ورجاله يستعدون لمواجهة جنود جمال باشا ، اذ فضلوا الموت في القتال على المذلة وتعليقهم على اعواد المشانق •

ولكنهم ما كادوا ينتشرون في الجبال ، حتى كان الاتراك يدقون الطبول في مدينة جنين ، وفي كل القرى المحيطة بها ، وعمت الاخبار عن حرب كبرى قد نشبت بين الاتراك وحلفائهم الالمان ، مع الانجليز والفرنسيين ، وان جمال باشا قد امر باخذ جميع الرجال البالغين الى العسكرية ، وشحنهم بالقطار الى « الترعة » في مصر ، لاحتلالهامن الانجليز ، وانه قد اصدر حكمه بالاعدام على كل من يتخلف عن الحرب ، او يفر من العسكرية ، بعد ان بدأ الكثير من الشباب بالفرار الى الجبال هربا من العسكرية • فسارع الشيخ لافي الى نشر رجاله في الجبال للبحث عن هؤلاء « الفرار » ، كي ينضموا اليه والوقوف معه في وجه الجنود الاتراك الذين بدأوا يلاحقونهم •



كانت المجاعة قد بدأت تفتك بالناس منذ السنة الثانية للحرب ، اذ لم يتركوا لدى الفلاحين شيئا الا واخذوه ، واجتاح الجراد المرج ، قاضيا على الاخضر واليابس امامه ، وانتشرت الحرائق في قرى المرج لطرد وباء الكوليرا ، وهام الشيوخ والنساء على وجوههم يبحثون عن حب الشعير والذرة في روث خيول الاتراك ومواشيهم المتجهة الى الجبهة في « الترعة » ، بعد ان خلت القرى من « الفرار » الذين راحوا يشكلون عصابات في الجبال ، للاغارة على محاصيل الاقطاعيين والقوافل المتجهة الى الجبهة ومعسكرات الاتراك ، بحثا عن الطعام •

وما كادت حرائق الكوليرا تخمد ، حتى عمت « الجدري » ، التي كادت تقضي على من تبقى من الناس في القرى ، وكان الشيخ لافي اول من اصيب بها من بين رجاله ، وتفشت التآليل في جسده ، حتى لم يعد ثمة موضع قيراط واحد في جسمه يستدير عليه ، فاعتزل في مغارة سويد ، لا يدخل عليه احد ،

غير حسن المعتوه ، الذي لازمه كما يلازم الانسان ظله ، بعد ان تفرق عنه معظم رجاله الذين هاموا على وجوههم في الجبال ٠

ويروي حسن المعتوه ، انه لم يسمع الشيخ لافي يتأوه ولو لمرة واحدة ، في كل تلك الفترة التي كانت الجدري تتفشى في جسده ، ولكنه كان دائم البكاء بصمت ، والدمع لا ينفك يسح على وجنتيه ، وحين كان يسأله عن سر بكائه ، كان يرد عليه بصوت ضعيف كالطالع من زوايا المغارة « اطلع يا حسن وشوف كان بعد في رجال في الجبال ، وان كانت نسوان البارد بعدها بتحبل وتلد » ٠ فيبكي حسن ويقول له « ما تعتل هم يا لافي ، الرجال ماليه الجبال ، والنسوان بهالقحط عدولها توام » ، فتطل البسمة من خلف التآليل على شفتيه ، ثم يفتح عينيه المتورمتين ، فيتدفق ماء التآليل المختلط بالدمع على وجنتيه ، فيغمضهما ثانية ٠

اما ما كان يحير حسن المعتوه ، ويملأ قلبه بالخوف في تلك الليالي التي كان يسهر فيها على الشيخ لافي خارج المغارة ، هو ذلك الشبح الذي كان يشبه الصبية الفارعة الطول ، والذي كان يراه ينزل قبل طلوع الفجر من قمة الجبل متجها نحوه ، فيشمر حسن عن ساقيه وينطلق في الاتجاه المعاكس ثم يجلس على القمة المقابلة ، الى ان يراه يصعد القمة عائدا من حيث اتى في اتجاه البارد ، ولكنه لم يكن يجرؤ في يوم منالايام على سؤال الشيخ لافي عما كان يراه ، كي لا يتهمه بالخوف والخبل ، وحين غفا حسن على باب المغارة ذات ليلة بعد ان هده السهر ، صحا على حفيف ثوب يمر كالريح فوق وجهه ، فاغمض عينيه وهو يتجمد في مكانه ، ثم نهض واطلق ساقيه للريح الى القمة المواجهة ٠

ظل حسن يجلس فوق القمة في انتظار عودة ذلك الشيخ الذي دخل المغارة دون ان يغمض له جفن ، طيلة اليوم والليلة التاليين ، الا انه لم يعد ، فنزل حسن ، وراح يتقدم من المغارة ورجلاه تكادان تصطكان من الخوف ، ثم وقف بباب المغارة وراح ينادي بالشيخ لافي بصوت راجف وهو يحس بالذنب لغيابه عنه ، وحين لم يسمع اي جواب ، عض على شفته ، ثم لعق لسانه واندفع داخلا ، الا انه توقف فجأة وهو يكاديصرخ ، لولا ان رأى الشيخ لافي يرفع اليه يده يطمئنه وهو ينتحب ، بينما كانت يده الاخرى تلتف حول عنق خديجة بنت حليمة البرمكية ، التي كانت قد اسلمت الروح على ذراعه ٠ والتي لولا ضفائرها الطويلة المسبلة على جانبيها لما كان حسن يعرفها ، بعد ان كست التآليل وجهها وعينيها ٠



كانت « برزانات » الانسحاب التي يعرفها الشيخ لافي جيدا منذ ان كان في اليمن ، تردد في الجبال والمرج ، واصوات المدفعية الاتية من البعيد ، ترجع

اصداءها في الليل ، وظهرت الطائرات الانجليزية في الجو لاول مرة ، فتدافع الناس لمشاهدة هذه العجيبة ، التي تبشر بقرب القيامة ، وانتشرت الاخبار عن اندحار الاتراك امام الانجليز الزاحفين على فلسطين · وكانت هذه هي اللحظة التي ينتظرها الشيخ لافي للاغارة على حافظ باشا في عقر داره واحراق قصره بعد ان شفي من الجدري التي جفرت جلده ، حتى بات من الصعب على من كان يعرفه تمييزه الا بقامته المنتصبة ويديه الضخمتين ، واستطاع ان يلم شتات رجاله بعد ان ارسل حسن المعتوه يقرع « تنكته » في الجبال مبشرا بشفائه ·

ولكنه قبل ان يفي بنذره في شنقه بيديه امام السراي وعلى مرأى من جميع الناس كما فعل بخاله الشيخ المبروك احمد الحمد ، مات حافظ باشا « بالجلطة » التي كان قد سببها له ، دون ان يترك حتى ولدا واحدا خلفه لاشفاء غليله منه ، فراح الشيخ لافي يوجه غاراته برجاله على الجنود الاتراك المنسحبين نحو بلاد الشام عبر نهر الاردن ، للاستيلاء على ما يستطيع من اسلحتهم وخيولهم الى ان عبروا النهر الى غير رجعة ·

ولكنهما كاد يستريح من مطاردة الاتراك ، حتى بدأت اخبار الجيش الانجليزي الذي احتل فلسطين كلها ، وبحثه عن المسلحين الفلسطينيين ممن فروا من الجيش التركي وغيرهم، لتجريدهم من سلاحهم واعتقالهم ، تنتشر في جميع قرى المرج ، ولكن ليس هذا ما اثار غضب الشيخ لافي وافقده صوابه ، لانه اذا كان الاتراك الذين كانوا يحكمون الدنيا لم يقدروا عليه ، فكيف سيقدر هؤلاء « العلوج » اولاد البارحة عليه ، وان كانوا رجالا فليجربوا حظهم معه ، ولكن ما اغضبه وافقده صوابه كان ، هو ما سمعه من ان الانجليز وعدوا « الخواجات اللي في الكبانيات » والذين يأتون عن طريق البحر ، بانهم سيعطونهم فلسطين ، لكي يقيموا فيها دولة ، وانهم قد بدأوا بترحيل اهل الفولة والعفولة ، وينوون ترحيل جميع القرى الواقعة في قلب مرج ابن عامر وغور بيسان ، لكي يقيموا فيها « الكبانيات » ·

والانكى من ذلك ، هو ما كان قد سمعه من اخبار ذلك القائد الانجليزي اللنبي ، الذي دخل القدس ، والذي استقبله الناس استقبال الابطال ، لانه جاء ليخلص الناس من حكم الاتراك وظلمهم ، كما ظنوا لغبائهم ، فاذلهم الى حد ان مفتي القدس الجليل ، الشيخ كامل الحسيني ، وهو اول من ذهب لاستقباله ، غضب من كلامه وانسحب · ومع انهم كانوا يستحقون الاذلال في رأيه ، لانه كيف يمكن لمحتل ان يخلص الناس من محتل ، ولكنه لم يستطع تحمل استعلاء هذا « العلج » على العرب واهانتهم مهماكان الامر ·

اما كيف اذل اللنبي الناس ، وما الذي قاله ، حتى اغضب المفتي ، فهذا ما لم يستطع الشيخ لافي فهمه ، اذ ما دخل الحرب مع الاتراك بالصليب

والحروب الصليبية ، كي يقول ان الحروب الصليبية قد انتهت ، فمنذ أن خلق لافي وهو يحارب الاتراك وكل من لف لف الاتراك ، ولم يحمل في حياته صليبا ولا قرآنا ليحاربهم به !· خاصة وان كل من سألهم ، اكدوا له ان ما يعنيه هذا القائد من كلامه هو أن الحرب الكبرى قد انتهت · ولكنه لم يقتنع ، وعلى رأي المثل ، فان « كل عقدة ولها حلال » ، وحلالها هذه المرة كان حسن المعتوه من دون خلق الله ، الذي اقترح عليه ان يسأل واحدا من اهل العلم ، اذ قد يكون لكلام هذا « الكافر » علاقة بالحرب التي كانت بين « الكفار » وبين سيدي الشيخ حامد ، حين جاؤا من البحر والبر لكي يحتلوا البلاد ايام زمان ، وظل يقاتلهم حتى استشهد ودفن في البارد · فما كان من الشيخ لافي الا ان ركب فرسه ، واندفع يسابق الريح في اتجاه مدينة جنين ، ولم يتوقف الا في باب المسجد عند أذان الفجر ·

ربط الشيخ لافي فرسه ودخل متوجها الى امام المسجد الذي كان ينزل لتوه من فوق المئذنة ، والذي ما كاد يراه حتى سقطت « المحجانة » من يده ، ولكنه بادره بالسؤال قبل ان يطرح عليه السلام ، عن معنى ما قاله هذا القائد الانجليزي المتعجرف ، لانه لا يوجد في جنين احد يفهم بمثل هذه الامور مثله ، ولذلك فلا بد وان يعرف ما يعنيه ·

ويروي الشيخ عبد الحميد الحمد ، ان امام المسجد في جنين روى له ، انه عندما فرغ من حديثه مع الشيخ لافي ، أطرق قليلا ثم انتصب ملء قامته وعيناه تقدحان شررا الى حد انه لم يستطع النظر اليه ، ثم قفز بظهر فرسه التي راحت تصهل بقوة دون ان يتفوه بكلمة واحدة ، وانطلق بها كالسهم ·

ويتابع الشيخ عبد الحميد الحمد ، انه كان خارجا باغنامه ذلك الصباح ، عندما رأى الشيخ لافي يقبل بفرسه مع عين الشمس من الشرق ، وعباءته ترفرف خلفه كالبيرق المنشور بالهواء ، وما كاد يصل القرية حتى كان حسن المعتوه يقرع تنكته في الازقة بقوة وهو يردد « لا اله الا الله ·· لا اله الا الله » وقد انطلق لسانه بقدرة قادر ، فهرع الناس يسألونه ما الخبر ، اذ لم يسمعوا صوت تنكته منذ ان قطع الاتراك النهر ، الا انه كان يلوذ بالصمت متجهم الوجه ، وهو يتابع قرع تنكته ، وكأنه خارج للحرب مرددا « لا اله الا الله ·· لا اله الا الله ، والبمبي عدو الله » ، دون ان يفهم احد ما هو « البمبي » عدو الله هذا ولا لماذا ؟·

ولكنه ما كاد ينتهي من كل الازقة ، والناس يتدافعون خارجين من بيوتهم ، حتى ارتفعت دقات الطبول والصنوج من مقام سيدي الشيخ حامد ، مما جعل الناس يظنون ان الشيخ لافي قد قتل او مات ، ولم تنتظر حسنية بنت خديجة والتي كانت لا تزال صبية صغيرة بعد ، حتى تتحقق من الخبر ، فحلت شعرها

وقدت ثوبها وصرخت مولولة ، « يا شحار خدك يا حسنية بعدك يا لافـــي » ، وتعالت صرخات النسوة اللواتي سمعن ورأين حسنية ، تصرخ وتلطم خدودها، فخرجن يولولن هن الاخريات وشعورهن محلولة وثيابهن مقدودة ، في اتجـاه مقام سيدي الشيخ حامد ، خاصة بعد ما رأين حسن المعتوه ينضم اليهن هـو الاخر وراح يقرع تنكته وهو ينتحب ، حين سارع الى اقناعهن ان الشيخ لافـي لم يمت ولا يزال حيا يرزق ، الا انه لم يستطع السيطرة على نفسه فراح يلطـم خده هو الاخر وينتحب سائرا امامهن ٠

الا انهن ما كدن يصلن الى الزقاق المؤدي الى مقام سيدي شيخ حامد ، حتى كان الدراويش يندفعون نحو ساحة القرية بالطبول والصنوج ، واعلامهـــم الخضراء ترفرف امامهم مرددين بصوت واحد « لا اله الا الله ، الانجليز اعداء الله » وبينما امتطى الشيخ لافي فرسه شاهرا سيفه ، يتبعه رجاله بجلال وتؤدة وهم يشهرون بنادقهم من فوق خيولهم ، فانطلقت النساء اللواتي كن يَنتحبـن بالزغاريد وهن يندفعن خلف الرجال نحو ساحة القرية ، كما لو كن يســرن « بفاردة » دون ان يعرفن في البداية ما اذا كان الشيخ لافي قد قرر الزواج من « صبية » ليست من قرية البارد والرجال يزفونه ٠ وما ان وصلت « الزفـة » ساحة القرية ، حتى راح الدراويش يدورون بحلقات حول الشيخ لافي ، وهـم لا يزالون يضربون الطبول والصنوج ويلوحون بالاعلام ، الى ان انزل الشيـخ لافي سيفه ، فكفت الطبول والصنوج عن قرعها والاعـلام نكست ، وتوقــف الدراويش عن الدوران والتهليل ، بينما تعلقت عيون الجميع بالشيخ لافي ٠

ولكن العيون كلها ما لبثت ان تحولت نحو حسن المعتوه ، الذي تقـدم مـن فرس الشيخ لافي ، وتوقف فجاة وهو يدق الارض بقدميه يؤدي التحية ، وتنكته المعلقة في حزامه تهتز على خاصرته ، ثم سرعان ما استدار بوجه متجهم رافعا عصاه ، وراح يقرع تنكته ثلاثا صارخا « حي » ٠ قطع الجميع انفاسهم فـي انتظار ما سيقوله وقد احسوا بانه مقبل على قول شيء جلل ، الا انـــه راح يتاتيء « يا ٠٠ يا ٠٠ اه ٠٠ اهل البارد » ثم انطلق لسانه وهو يتابع بصوت مرتفع « الكبير يقول للصغير ان الشيخ لافي عين حاله ملك ، واعلن الحـــرب عالانجليز تا يطلعوا من بلادنا » ٠٠ ثم قرع تنكته ثلاثا ، واستدار نحو الشيـخ لافي يدق الارض بقدميه ثانية ، ويؤدي التحية ، بينما ارتفعت الطبول والصنوج وسط الزغاريد وخفق البيارق ، فرفع الشيخ لافي بندقيته في الهواء مطلقـــا طلقة واحدة راحت تدوي في الجبال ، ثم استدار بفرسه واندفع بها نحو مغارة سويد ، وعباءته تخفق كالبيرق مع الريح خلفه ٠

□

كانت « التعاليل » قد استمرت في البارد اسبوعا كاملا ، احتفالا بالشيخ لافي الملك ، الذي كان قد اعد اكثر من خمسين مقاتلا من الرجال والفتيان ، الا ان المشكلة الاولى التي واجهته ، كانتمنجهة لم يتوقعها مطلقا ، فقد عارض الدراويش تنصيب نفسه ملكا ، واصروا على ان ينصب نفسه « اماما » ، لان الملوك في رأيهم اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ، وان الملك لله وحده ، بينما اصر هو ورجاله على ان يكون ملكا وليس اماما ، لانه ثمة امام في اليمن ، ولا يوجد ملك عربي واحد ، هذا من ناحية ، أما من الناحية الثانية ، من هم الاعزة في قضاء جنين غير الباشوات والافندية من دار عبد الهادي ودار السعد وغيرهم ؟ فان صدقت الاية ، فهذا معناه انه سيذل هؤلاء الباشوات والافندية ، وهذا ما يريده ، ناهيك عن ان الانجليز وحلفاءهم اليهود ، الذين اصبحت « كبانيتهم » تنبت كالفطر في المرج ، هم الذين سيصبحون الاعزة في فلسطين اذا ما تركهم يدقون اوتادهم في البلاد ٠ وهذا يعني انهم ما كادوا يخلصون من السلطان التركي حتى جاءهم ملك انجليزي ، لكي يسلم البلاد بعد ذلك الملك يهودي ٠

ومع ذلك فان الشيخ لافي لم يجبرهم على شيء ، ولا فرق عنده سواء سموه ملكا ام اماما ، بل واكثر من ذلك لا فرق عنده اذا ما نادوه « لافي » فقط حتى بدون الشيخ ، والمهم هو النصر على الاعداء الانجليز واليهود ، وبعد ذلك فليعينوا حتى حسن المعتوه اذا شاؤا ، الا ان الدراويش لم يقتنعوا ، واتفقوا معه على ان يظلوا ينادونه « الشيخ لافي الامام » بينما يناديه الاخرون « بالملك» او يناديه الجميع « الشيخ لافي الامام الملك » ٠

ولكنه ما كاد يخلص من هذه المشكلة ، حتى واجهته مشكلة اخرى ، ومع الدراويش ايضا ٠ وهي قضية « البيرق » ، فقد اصروا هم على ان يكون بيرقهم الاخضر ، المزين بكلمات ، لا اله الا الله » المذهبة ، لانه كما كانوا يدعون ، احد بيارق الامام علي نفسه ، كرم الله وجهه ، كي يكون بيرق الامامية ، المملكة ، الا ان الشيخ لافي الملك ، لم يتنازل لهم هذه المرة ، اذ لم يرقه اللون الاخضر بتاتا ، لانه سيكون من الصعب على جنوده تمييزه ، سواء كان ذلك بين اشجار الزيتون في الجبال ، او بين حقول القمح والذرة في وسهول ناهيك ، عن ان الناس سيظنون جيشه الذاهب للحرب ، فرقة من الدراويش ، فلا يعيرونه اي اهتمام ، هذا بالاضافة الى ان اللون الاخضر يعبر عن السلم اكثر مما يعبر عن الحرب ، وليس له اي رهبة في النفوس ، وما دام في حالة حرب مع الانجليز ، فلا بد وان يكون « بيرقه » مهيبا ، ويلقي الرعب في نفوس اعدائه ، بينما يدب الشجاعة في نفوس جيشه ٠ ولكي يحسم الشيخ لافي الملك الامر في هذه المشكلة دون نقاش ، فقد ارسل حسن المعتوه ، لكي ياتيه بكل ما كانوا قد خزنوه من الاقمشة الحمراء الخالصة التي كانوا قد استولوا عليها

من القوافل الاتية من بلاد الشام لحافظ باشا قبل موته ، ليكون بيرق مملكتـه تعبيرا عن الدم الذي يفصل بين العرب واعدائهم الجدد • بينما ارسل بعضـا من جنوده لاستطلاع تقدم ذلك القائد الانجليزي « السمج » مع جيشه ، عبـر وادي عاره في اتجاه الاردن ، كما سمع •

وما كادت البيارق الحمراء تخفق فوق سطوح المنازل في البارد ، وفـوق الشجر ، حتى كان رجال الاستطلاع يعودون ، ليخبروا الملك ، ان طلائع الجيش الانجليزي قد عسكرت في « اللجون » ، اتية من حيفا وليس من وادي عاره ، وسرعان ما كانت طبول الدراويش تدق مترددة في الجبال بقوة ، امام الشيـخ لافي الملك ، الذي امتطى صهوة فرسه وسار على رأس جيشه الذي كان يتكاثر كلما مر بقرية من القرى في طريقه ، بعد ان كان حسن المعتوه قد سبقه اليهـا ، يدعو الناس للانضمام للشيخ لافي الذي عين نفسه ملكا ، والذي يتقـدم بجيشه لمحاربة المحتلين الانجليز ، « واللي عنده همة وشرف يحمل سلاحـه ويلحقـه » •

كان جيش الملك قد قارب المئة جندي ، عندما عسكر في الجبال بين قريتـي سالم وزلفة في مواجهة معسكر الجيش الانجليزي في اللجون ، الا ان معركته الاولى التي خاضها لم تكن مع الانجليز كما كان ينوي ، اذ انه ما كاد يضـع الخطط ويعد جيشه للهجوم ، حتى تنطح له افندية دار السعد وعبد الهـادي من جنين وام الفحم ، ومعهم دار العبوشي وجرار هذه المرة ، الذين راحـوا يعدون العدة لاستقبال الانجليز ، بحجة انهم حرروا البلاد من الاتراك ، ومـا زاد الطين بلة ، انهم ارسلوا اليه وفدا منهم يطلب اليه ان لا يعسكر بين زيتونهم اذا كان يصر على محاربة الانجليز ، كي لا يتسبب في حرقه اذا ما هاجمـه الانجليز ، ناهيك عن انهم راحوا يطردون عائلات الفلأحين الذين التحقـوا بجيشه من ارضهم ، كي لا يتسببوا في خراب بيوتهم ، كما كانوا يدعون •

ورغم انه تحلى بالصبر هذه المرة كما يليق بالملك ، وراح يقنعهم بما كـان امام المسجد في جنين قد شرحه له ، عن نوايا الانجليز واليهود ، طالبا اليهـم ان يتكاتفوا معه ، كي لا تضيع ارضهم هم الاخرون ، وتمتلىء بالمعسكـرات الانجليزية و « الكبانيات » اليهودية ، وعفا الله عما مضى بينه وبينهم ، الا انهم لم يقتنعوا ، واخبروه ان الانجليز سينسحبون من تلقاء انفسهم عندمـا يستريحون من حربهم مع الاتراك والالمان • والى ان ينسحبوا « اللي بوخذ امي هو عمي » ، واذا كان الاتراك والالمان لم يقدروا عليهم ، فكيف سيقدر عليهم هو بثلة من قطاع الطرق ، الذين لا يحسنون سوى قطع الطريق على قوافل التجار وغزو القرى في الليل •

وكانت هذه الجملة الاخيرة ، هي التي افقدته صبره ، وسيطرته على نفسه ،

فأمر رجاله بالقاء القبض عليهم وشنقهم بشجر الزيتون بعد ان يقصوا لهم السنتهم ، لان ذيل الكلب على قول المثل ، سيظل اعوج حتى ولو وضعته في القالب اربعين عاما ، وحين اقترح الدراويش عليه سجنهم في الابار الرومية مع الافاعي والعقارب بدلا من شنقهم ، اجاب بحدة ، ان « اقلعوا السن واقلعوا وجعه معه » ، حالفا بالطلاق ثلاثا كما حلت تحرم ، وهذه اول مرة يحلف فيها الشيخ لافي الملك بالطلاق ، انه لن يهدأ له بال حتى يقطع دابر كل هؤلاء الافندية والباشوات ، لانه على قول المثل « سوس الخشب منه وفيه » ، وما دام هؤلاء خلفه ، فانه لن يستطيع المحاربة امامه ·

ولكي ينفذ الشيخ لافي الملك يمينه ، فقد اجل معركته الحاسمة مع الانجليز، وراح يعد فرقة من رجاله الاشداء لتنفيذ هذه المهمة باسرع وقت ، ولانه كان لا يقرأ ولا يكتب ، فقد امر شيخ الطريقة الذي كان يستطيع فك الحروف ، بكتابة « فرمان » ملكي ، وبالخط العريض ، لتعليقه على ابواب الجوامع في جنين وام الفحم ، بل وفي كل القرى ، يقضي بان الشيخ لافي الملك :

اولا : لا يعترف لا بباشوات ولا بافندية ، وكل الناس عنده سواسية ، ومن يسمي نفسه بعد اليوم « باشا » او « افندي » حكمه الاعدام فورا ·

ثانيا : لا يعترف بالطابو التركي·· والارض لمن يفلحها ، ومن يطالب فلاحا بأرض يفلحها ، او بغلتها حكمه الاعدام فورا ·

ثالثا : كل فلاح يعطي ارضه التي يفلحها ، او غلتها لباشا او افندي سابق، حكمه الاعدام فورا ·

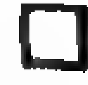
رابعا : كل من يتعاون مع الانجليز من الباشوات والافندية السابقين او غيرهم من الناس ، حكمه الاعدام فورا ·

خامسا : كل من يبيع شبر ارض لليهود او للانجليز او لسمسار اراض ، وسواء كان باشا او افندي او « قطروز » ، حكمه الاعدام فورا ·

ولكن الشيء الوحيد الذي لم يحسب له الشيخ لافي الملك حسابا ، كان الختم الملكي ، اذ لا بد من ان يكون « الفرمان » موقعا بختم الملك ، كي يعتبره الناس ، فاشار عليه بعض رجاله ان يؤجل تعليق « الفرمان » على ابواب الجوامع ، ريثما يذهب احدهم الى المدينة ، ويصنع ختما ملكيا دائريا يحمل اسمه ، اذ لا يجوز للملك ان « يبصم » بالباهم ، والى ان يصنعوا الختم ويعلقوا « الفرمان » ، يستطيع ارسال حسن المعتوه ، لكي يجوب القرى ويقرأ « الفرمان » بعد ان يحفظه عن ظهر قلب ·

الا ان « الملك » اصر على عدم الانتظار ، بل وعلى عدم صنع اي ختم ملكي يحمل اسمه ، اذ كان جده ، بل وجد جده يبصم بالباهم من قبله ، ومن لا تعجبه

بصمة الملك فليشرب البحر ، لان من لا تعجبه بصمة الملك ، فهذا معناه انه لا يعجبه كلام الملك ، ومن يعجبه كلام الملك ، تعجبه بصمة الملك ، حتى ولو كانت بكعب رجله · ولهذا فقد اخذ « الفرمانات » كلها وبصمها ، ثم اعطاها لجنوده الذين اوكلهم بمهمة تعليقها ، ثم اعطى « البصامة » لحسن المعتوه كي يكون امينا عليها ·



كان القائد الانجليزي في معسكر اللجون ، ينظر الى البصمة في اسفل « الفرمان » ، وهو لا يكاد يصدق ما يسمعه ، ورغم انه كان قد خدم في الجيش اكثر من عشر سنوات في الهند ، ومصر ، ورأي الالوف من بصمات الرجال على الكثير من الاوراق والوثائق ، الا انه لم يسمع ولو مرة واحدة ، بمثل هذه الوثيقة الموقعة ببصمة هذا « الملك » الغريب ، مما جعله يشك بصحة ما يقوله اعضاء الوفد من الباشوات والافندية الذين ما كادوا يرون « الفرمان » حتى حملوه وسارعوا الى معسكر الانجليم يتملكهم الرعب من قاطع الطريق المجنون هذا ، لان السلاح بيد المجنون يقتل على حد قولهم ، طالبين الى قائد المعسكر انقاذهم منه وحماية اراضيهم وممتلكاتهم · ولكنه ما كاد يسمع ذلك من مترجمه المصري المرافق له ، حتى قرب البصمة من عينيه جيدا ، وراح يمعن النظر الى تلك القنوات الوعرية المتعرجة ، المحفورة بالحبر الاسود الرديء ، سائلا اعضاء الوفد ما اذا كان كل قاطعي الطرق المجانين ، والاميين في فلسطين على شاكلة هذا « الشيخ الملك » ، الذي يقود رجاله تحت علم احمر ·

وقبل ان ينتظر القائد الانجليزي جوابا من الباشوات والافندية الذين اربكهم سؤالة ، قال بلهجة حادة وعصبية ، ان قاطع الطريق هذا ليس الا مجنونا ، وانه بلشفي احمر ، ويقود ثورة بلشفية ، ثم صرخ حانقا « هل تعرفون ما معنى ثورة بلشفية يا حضرات ؟ » ·

ولكن الباشوات والافندية لم يعرفوا · صحيح انهم كانوا يسمعون الاتراك ينعتون الروس المسكوب بالبلشفيك ، اما ان يكون لهذه الكلمة اية علاقة بالشيخ لافي ، هذا الدرويش قاطع الطريق الذي لا يعرف ربه ، فهذا ما لم يتصوره مطلقا ، الا انهم ما كادوا يسمعون من القائد الانجليزي ما معنى « البلشفية »، وما الذي ينوي الشيخ لافي فعله ، حتى راحوا ينظرون الى بعضهم البعض ، وهم يحاولون كتم ضحكاتهم ، بل وانفجر احدهم بالضحك وهو يتخيل لافي ابن البارد ، الذي قضى حياته بين الدراويش ويعيش في المغاور بين قطاع الطرق ، قائدا لثورة ، وله فلسفة وافكار سياسية خطيرة يعمل على تطبيقها بالثورة المسلحة ، بل ويرفع نفس العلم الاحمر الذي يرفعه هؤلاء المسكوب ،

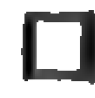
الذين يسميهم القائد الانجليزي مثل رجال الشيخ لافي بالبلاشفة ، والذين يقودون هم الاخرون ثورة ، وفي نفس الوقت ضد القيصر في روسيا ٠ غير انه سرعان ما راوحت ضحكته على اطراف شاربيه المعقوفين المضخمتين بالحناء وتوقف ذيل طربوشه عن الاهتزاز ، حين سمع القائد الانجليزي يأمر احد ضباطه بارسال طائرة استطلاع فوق الجبال وتعيين مواقع الثوار ، تمهيدا للاغارة عليهم وابادتهم قبل امتداد الثورة وانتشارها ٠

وكان الملك لا يزال يسهو في غفوته القصيرة المعتادة ، ظهيرة ذلك اليوم ، حين مرت الطائرة الانجليزية ، بسم الله الرحمن الرحيم ، كالعفريت من فوق رأسه ، ويروي حسن المعتوه الذي كان يجلس فوق الشجرة التي ينام تحتها الملك يحرسه ، انه ما ان مرت هذه « العفريتة » ، من فوق رأسه تخور مثل الثور الهائج ، حتى احس ان الشجرة تكاد تطير من مكانها مع العاصفة التي خلفتها ، وان قلبه يكاد يتوقف ، فسقط من فوق على الشيخ لافي الملك ، الذي قفز من نومه كالمجنون ، وهو لا يستوعب ما الذي حصل بعد ، حتى ولا من حسن المعتوه الذي علق لسانه على كلمة « حي ي ٠٠ ي ي » ، الا ان الطائرة ما لبثت ان عادت مرة اخرى ، وهي تكاد تلامس الاشجار مارة من فوق رأسه تماما ، فصوب اليها بندقيته وراح يطلق النار في اتجاهها ، فكاد يقتل حسن المعتوه ، اذ وجد نفسه يتدحرج متعثرا باطراف قمبازه المتطاير مع الريح، وهو يلعن الانجليز ويومهم ، ويوم كل الافرنج الذين لا يكفون شرهم عن البشر، بينما راحت فرسه تصهل وتضرب الارض بقدميها ٠

وقبل ان يستطيع اصدار اوامره لكل رجاله بالتفرق والاختفاء جيدا ، حتى عادت الطائرة مرة اخرى ، ومعها هذه المرة ثلاث طائرات ، تمر كالاشباح من فوقهم ، ثم تعود لتنقض عليهم فاتحة نيران مدافعها الرشاشة وقنابلها ،الواحدة تلو الاخرى ، بينما مترس الشيخ لافي الملك ، خلف جذع زيتونة وراح يطلق النار عليها من بندقيته العصملية مع الاخرين ، ولكنها ما كادت تبتعد قليلا لتلتف ثانية ، حتى وجد الملك نفسه وحيدا بين عشرات الجثث من رجاله ، والدم يتدفق من خاصرته ، بينما انسحب الاخرون نحو الجبال ، وهم ينادون عليه كي يلحق بهم ، بعد ان شاهدوا طابورا من المدرعات الانجليزية المتقدمة نحوهم من كل الجهات ، والطائرات ما فتئت ان عادت تطاردهم فاتحة نيران مدافعها الرشاشة كالمطر ، فانتزع الشيخ لافي البيرق عن الارض ، ووضعه تحت ابطه، ثم شد على جرحه وراح يزحف في اتجاه حسن المعتوه ، الذي كان لا يزال يضع رأسه بين يديه ويتكور حول نفسه ملتصقا بجذع شجرة الزيتون ، وهو يرتعد كالقصلة ، فضربه الشيخ لافي الملك بعصا العلم على قفاه ، صارخا به يأمره باخذ البيرق منه ، واللحاق بباقي الرجال وانتظاره في اعلى القمة ٠

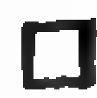
ويروي حسن المعتوه ، انه بينما كان يحمل البيرق ويطلق ساقيه ، بقدرة

قادر ، للريح ، والطائرات لا تزال تلاحقه ، راح البيرق الذي كان يطير به مـع الريح ، يعود به الى الخلف ، ثم توقف به فجأة ، فرأى فرس الشيخ لافـــي الملك ، وهي تحوم حوله ، كما لو كانت تحوم حول مربط ، وتصهل صهيلا يقطع القلب ، ثم انحنت عليه جاثمة الى جانبه ، ثم انتفضت واقفة به ، واندفعـــت تسابق الريح في اتجاه عين الشمس ، فانتفض البيرق فوق رأس حسن المعتـوه يخفق مرة اخرى ، ثم اندفع هو الاخر طائرا به مع الريح في اتجـاه قمـــة الجبـــل ٠



واختلفت الروايات في قرية البارد بعد ذلك اليوم ، حول اختفاء الشيخ لافي الملك ، وما زالت تختلف الا ان حسن المعتوه كان الوحيد الذي ظل ينتظره ،وكان الصيف يمر خلف الصيف ، والشتاء خلــف الشتاء ، والشيخ لافي الملــك ، « يا حسرتي عليه ما رجع ولا هلت طلعته » ٠ ففاضت الضحكة على شفتيه ، وهجر « تنكته » ، حتى ان احدا لم يعد يسمع في قرية البارد « بهالليل دقها، لا لطهور ولا لسحور » كأيام زمان ٠

وكان كلما شاع في القرى خبر ، عن هجوم على الانجليز او « الكبانيات » اليهودية في جبال فلسطين وسهولها بعد ذلك ، كان حسن المعتوه يحمل البيرق الاحمر القديم ، وتنكته ، ويصعد في اتجاه قمة الجبل « تايلاقيه ويدق نوبته »، ولكن المعركة توالت بعد المعركة ، والثورة تلو الثورة « والملك ما طل ولا حـدا جاب عنه خبر » ٠ الا ان حسن المعتوه ، كان الوحيد في قرية البارد ، الـــذي كان يسمع في الليل بعد كل معركة ،صهيل فرس جامح ، تمر كالريح في ازقة البارد ، فيهب منْ نومه صارخا « حي » ، وينطلق في الازقة وهو يقرع « تنكته»، مبشرا باعلى صوته « يا ناس الشيخ لافي عاد ٠٠ وعقصة امي الملك عاد » ٠



رسالة من لايبزيغ

حوار الطرشان حول فيلم ماريو

• كان ذلك في لايبزيغ ايام المهرجان العشرين للافلام التسجيلية والتلفزيونية في تشرين الثاني من العام الماضي . وكانت الوفود العربية ذات وزن عددي ضخم في المهرجان مع وزن سينمائي اقل على نحو ملحوظ . فيلم عربي واحد حظي بجائزة في المهرجان ، هي جائزة العمل الاول للمخرج ، نالها فيلم « هناك حيث ينمو النخيل » للمخرج الجزائري الشاب حسن بوعبد الله المتخرج حديثا من معهد موسكو السينمائي . اما بقية الافلام العربية التي عرضت في المهرجان فقد سبق عرض الكثير منها في مهرجانات سابقة ، وخاصة في مهرجان موسكو العاشر صيف العام الماضي ، ومن بينها الفيلمان الفلسطينيان « المفتاح » لغالب شعث ، و « صوت من القدس » لقيس الزبيدي . على ان برنامج العروض العربية لم يخل من افلام جديدة نخص بالذكر منها هنا ما تناول القضية الفلسطينية كفيلم « اليوم الطويل » للمخرج السوري امين البني ، وفيلم « الذاكرة » لزميله محمد ملص الذي يتحدث عن مواطنة عجوز في مدينة القنيطرة لم تهجر مدينتها اثناء الاحتلال الاسرائيلي الغاشم وبقيت شاهدة حية على ارتباط الانسان ازليا ـ ابديا بتراب وطنه . وكذلك فقد عرض فيلمان اجنبيان عن قضيةالشعب الفلسطيني ، هما « الرشيدية » لمانفريد فوس (المانيا الغربية) ، و « النضال في سبيل الارض وفلسطين في اسرائيل » لماريو غوتنبرغ وهذا الفيلم هو الذي اثار الحوار الموصوف في العنوان بين العرب المشتركين في المهرجان ، او بتعبير ادق ، بين قلة منهم وكثرة الباقين . ولئن كان من غير النادر ان تثور بين الوفود العربية في مهرجانات سابقة مشكلة تتصل بوجهة النظر السياسية لحكومة هذا الوفد العربي او ذاك والتي قد يحملها فيلم اتى به الى المهرجان وفد عربي ، ما ، فيعبر وفد عربي اخر عن معارضته لعرض هذا الفيلم او لوجهة النظر السياسية التي تمثل حكومة الوفد صاحب الفيلم ، بالتهديد بالانسحاب من المهرجان او مقاطعته تحت شعار الاحتجاج . اجل ، ما كان من النادر ان يحدث هذا ، بل غدا فيما يبدو عادة مألوفة يستحسنها بعض العرب ، ويتألم لها غالبيتهم ، ويأسف لها الاصدقاء من غيرهم . وما كان من النادر كذلك ان تسبب مثل هذه « المشاكل » احراجات وارباكات لادارات المهرجانات الصديقة في لايبزيغ وغيرها ، وهي الحريصة اشد الحرص على ظهور العرب موحدين في عرض قضاياهم ، وخاصة منها القضية الفلسطينية وقضية الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية بعد حربي ٦٧ و ٧٣ ، فتنقلب حيرتها امام « مشاكلنا » المـا عميقا ، وتتحول هذه « المشاكل » الى عقبات تعيق بشكل او باخر سعيها الدؤوب في دعم قضيتنا وحرصها على الظهور معنا في موقف موحد لابراز هذه القضية والدعوة لها .

هذه المرة كان مثار الاشكال بين قلة من العرب المشتركين في مهرجان لايبزيغ وكثرة الباقين ، هو فيلم ماريو الذي سميناه قبل قليل . والحقيقة ان الاشكال هذه المرة ليس من نوع « المشاكل » التي اشرنا اليها ، وان كان يعبر في جوهره وطابعه عن ماهية الاختلاف في النظرة

السياسية الى القضايا العربية قومية كانت أم وطنية ، آنية ام استراتيجية ، اختلاف قد نسميه عارضا او غير تناحري لانه يجري بين العرب الذين يجمعهم اطار حركة وطنية تقدمية واسعة بُما فيها من انظمة حكم وحركات وتنظيمات جماهيرية وطنية وقومية تقدمية • وقبل ان نعرض ما دعوناه « حوار الطرشان » الذي جرى حول الفيلم ـ وسنرى بعد قليل ان الفيلم لم يكن سوى سبب ظاهر لاثارة الاشكال ، وان الاسباب العميقة الحقيقية للاشكال انما هي طبيعة النظرة السياسية التي يتحلى بها البعض وينطلق منها في موقفه حيال افلام وافعال ونشاطات بل وسحنات واسماء الاخرين طالما ان هذه جميعا لا تنطبق بالمسطرة على ما يعتقده البعض هذا صحيحا ـ اقول ، قبل هذا لنتعرف بالفيلم وصاحبه•

ماريو ، مخرج الفيلم ، شاب يهودي في حوالي الثلاثين من عمره ، يحمل الجنسية الاسرائيلية ، مقيم في برلين الغربية منذ اكثر من سبع سنوات ، يحمل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية ويدرس هذه المادة في جامعة البلد الذي يقيم فيه • وماريو يشاطر رأي العرب ، الجماهير العربية وقواها المناضلة وحركاتها التقدمية ، في تصوّره حقيقة اسرائيل والصهيونية ، وفي فهمه للقضية الفلسطينية وابعادها من حيث هي مشكلة شعب تآمرت عليه الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية مفتعلة دولة اسرائيل التي قامت على تشريد هذا الشعب من ارضه واغتصاب حقه الوطني التاريخي في فلسطين • وفيلمه «النضال من اجل الارض وفلسطين في اسرائيل » هو الاول من سلسلة افلام يعمل على انجازها للاحاطة بالقضية الفلسطينية ودراستها من مختلف جوانبها وتفنيد وجهة النظر الصهيونية حولها ، وذلك في ضوء فهمه وتصوره المذكورين • وحين سئل عن السبب الذي دفعه الى العمل في مجال السينما ، وهو الذي يمتهن التدريس ، اجاب بانه وجد في السينما التسجيلية اداة فعالة للتعبير عن رأيه في هذه القضية العادلة ولايضاح الابعاد الحقيقية لتاريخ وواقع هذه القضية على نطاق جماهيري عالمي واسع ولمشاركته مع اصحاب القضية في نضالهم من اجل احقاق حقهم المشروع • وحين سئل عن معتقده السياسي ـ الايديولوجي ، اجاب بانه ماركسي الاتجاه تربطه بالشيوعيين الاسرائيليين والالمان وغيرهم من القوى التقدمية والديموقراطية اواصر علاقة متينة ، ولكنه لا ينتمي تنظيميا الى اي حزب •

اما الفيلم الذي حمله ماريو الى المهرجان فيعالج مشكلة اغتصاب اراضي العرب من قبل آلة الاستيطان الاستعماري الاسرائيلية ، وينتقل بالمشكلة من ظرفها الراهن الى اصولها التاريخية المتجذرة في العقلية الصهيونية ، ليبين العلاقة العضوية بين ما بدأ بقيام دولة اسرائيل ـ وهو تجسيد لما دار في العقول الصهيونية وهدفت اليه المخططات الامبريالية ـ وما يستمر الان من اغتصاب لاراضي العرب الباقين في موطنهم • وتعتمد المعالجة على لغة الوثيقة والارقام والوقائع الحية لازاحة ركام التضليل الصهيوني الذي حاول ، منذ ان كان الاغتصاب حلما حتى تحوله الى واقع ، ان يطمس حقيقة عروبة ، اي فلسطينية ، كل ما في فلسطين من قرى ونواح واماكن ومدن • بل ان المعالجة هدفت الى تبيان ان كل حجر في اسرائيل اصله عربي ، وان علاقة الصهيونية به انما هي علاقة تزييف واغتصاب • حتى مدينة تل ابيب التي يفخر الصهاينة « باصالة » يهوديتها ليس فيها من هذه « الاصالة » سوى الاسماء التي اطلقتها الدولة الاسرائيلية على شوارع واماكن اشادتها بعد قيامها

بعد ان هدمت اصولها وبدلت اسماءها العربية باسماء صهيونية ، كاسماء « شارع جابوتينسكي » و « شارع الصهيونية » وغيرهما .. هذا ما يقوله مواطن يهودي اسرائيلي امام كاميرا الفيلم المباشرة ، وهو يقف امام احد الابنية متحدثا عن اصله وتاريخه العربيين مشيرا الى الاسم المزيف الذي يحمله الان الشارع الذي يقع فيه البناء . وامام هذه الكاميرا المباشرة يروي عرب مسنون وكهول وشباب وقائع حياتهم في قراهم وكدهم في ارضهم وعلاقتهم وعلاقة اجدادهم واجداد اجدادهم بهذه الارض التي ليس لهم من وطن سواها ، وجريمة الدولة الاسرائيلية في تخليصهم ما تبقى منها حتى النذر اليسير الذي يعيشون ضمنه الان وما كلفت هذه الجريمة من ضحايا عربية في التشرد والموت والضياع . ويوثق الفيلم هذه الاحاديث والذكريات بعرض خرائط رسمية مختلفة تبين تصاعد واتساع عمليات انتزاع الاراضي العربية ، وسجلات صادرة عن الوزارة المختصة في اسرائيل تضم اسماء القرى العربية التي انتزعت من اصحابها الاصليين وتحولت الى مستوطنات ، ويبلغ تعدادها رقما كبيرا صاعقا . اما الاغتصاب الاول في عام ١٩٤٨ فيعرض الفيلم وثائق سينمائية نادرة عنه : طرد العرب وسوقهم بالقسر الى رحلة التشرد، واستقبال المهاجرين اليهود الذين استدرجتهم الصهيونية الى تمثيل جريمة اغتصاب ارض شعب اخر واحتلال محله تحت تأثير دغدغة الحلم الصهيوني « بأرض الميعاد » . « لقد قالت الصهيونية لهؤلاء ، ولا تزال تقول للجدد ، بانهم سيجدون امانا في ظل دولة اسرائيل وخلاصا من الاضطهاد اللاحق بهم في بلدانهم . ولكن ما ان يصل هؤلاء ويمضي عليهم وقت قصير من الحياة في ظل هذه الدولة ، حتى يتنابهم الشعور بانهم لم يؤت بهم الى دار امان ، بل اتى بهم ليتحولوا الى ادوات حماية لهذه الدولة». وهذا ايضا ما يقوله للكاميرا المباشرة المواطن اليهودي المذكور قبل قليل . ولا يكتفي الفيلم بتقويض الادعاء الصهيوني الاغتصابي والكشف عن عدائه للواقع والتاريخ ، بل يبين من ناحية اخرى ، واقعية وتاريخية عروبة الارض التي قامت عليها اسرائيل ، وواقعية وتاريخية حق عرب فلسطين في ارضهم ونضالهم العادل من اجل استعادة هذا الحق المسلوب . وها هو يوم الارض وحشود عرب فلسطين وعزيمة اصحاب الارض الحقيقيين على النضال ابدا في سبيل بلوغ هذا الحق ، ها هو كل هذا تنقله الكاميرا المباشرة شاهدا حيا على اصالة قوة الحقيقة التاريخية في نقض الحلم الصهيوني الواهم بابدية الاغتصاب . وهكذا يمتد مشوارنا مع الفيلم من اطلالة ذلك الرجل الفلسطيني الفلاح الذي ارتبطت حياته وحياة اسلافه بارضه التي لا تتسع عيناه وذكرياته وحياته ومصيره الا لها ، وحتى اطلالته نفسه في نهاية الفيلم وهو يمد بصره الى الارض الشاسعة الخضراء وصوت فيروز يصدح : « انا لن انساك فلسطين » ، وذلك في رحلة البحث الجادة التي يبدأها ماريو في هذا الفيلم مستهدفا تقصي كل الحقيقة عن القضية الفلسطينية رافعا صوت عدالتها، والتي سيستكملها في افلام مقبلة .

بعد هذا التعريف الموجز بالفيلم وصاحبه ، نأتي الى استعراض ما جرى بين العرب بشأن هذا الفيلم ، ليس بهدف اتهام احد بل بهدف الافادة مما جرى .

في الكتيب الذي تصدره ادارة المهرجان والذي يضم اسماء وجنسيات الضيوف والمشتركين والصحفيين ، كان ثمة اسم ماريو والى جانبه صفته المواطنية ، اي كلمة : اسرائيل . وكان طبيعيا ان يسري الاهتمام بهذا الامر بين العرب الذين

يعرفون ان المانيا الديموقراطية لا تربطها اية علاقة باسرائيل ، وان مهرجان لايبزيغ له طبيعة تقدمية نضالية ويحتضن كل الاصوات المعبرة عن نضال الشعوب من اجل استقلالها وتحررها ، فما امر هذا الضيف الغريب هنا ! ولكن سرعان ما اجيب على هذا الاهتمام بايضاح من قبل ادارة المهرجان لا يخرج عن التعريف الذي سقناه بالفيلم وصاحبه · الا ان هذا الايضاح لم ينفع شيئا مع بعض الاخوة العرب الذين بدأوا بالدعوة الى كتابة مذكرة موجهة الى ادارة المهرجان تطالب بسحب الفيلم وشطب اسم صاحبه والا فان الموقعين على المذكرة سينسحبون · وبدأ اخذ ورد طويلان بين العرب هنا ·

ثم توصلت مساعي بعض العرب ، وخاصة الفلسطينيين ، مع ادارة المهرجان، الى عرض الفيلم للعرب قبل عرضه في موعد عرضه الرسمي على شاشة المهرجان · رحب الالمان بالفكرة ، ودعوا جميع العرب الى العرض ، فحضر جميع هؤلاء مع المسؤول السياسي عن المهرجان· وبعد انتهاء العرض ، نهض اسماعيل شموط وقال :

– باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، وباسم الوفد الفلسطيني في المهرجان ، نحيي هذا الفيلم ونرحب بعرضه · وانني اعتقد بانه افضل من كثير من الافلام الفلسطينية ·

ونهض كاتب هذه السطور ، مؤيدا موقف الوفد الفلسطيني ومرحبا بعرض الفيلم · ولم يعترض احد من الباقين باي حرف · وقبل مغادرتنا القاعة سأل المسؤول السياسي الالماني : هل ثمة من سؤال لدى احد ؟ فاجيب : ليس من سؤال · وانفض العرض على موافقة الجميع ·

ولكن ، ما ان ابتعدنا خطوات عن صالة العرض حتى ركض احد الاخوة المهندين ، حاملا ورقة صغيرة كتب عليها نص احتجاج وحملت ثلاث تواقيع ، قائلا:

– الى اين يا اخوان ، لم ينته شيء بعد ، فلم نعبر عن رأينا · وسأله احد العرب :

– ولماذا لم تعبر عن رأيك في قاعة العرض ؟ لقد عبر الجميع عن رأيهم مؤيدين ما قيل ، ان لم يكن بالكلام فبالموافقة · فقال الاول :

– الفيلم من نوع الدعاية الصهيونية · الم تروا كيف تظهر شوارع تل ابيب ومخازنها وفتريناتها جميلة ،والم تلاحظوا كيف يظهر العرب مع دوابهم وامتعتهم في هيئة زرية !

لقد غاب عن عيني الاخ المتحمس كل ما في الفيلم من مضمون ومادة ودقة في التعبير الواعي في عدائه للصهيونية والتها اسرائيل ، والتقطتا على نحو تجزيئي ابتر ما مرت به الكاميرا من شوارع تل ابيب دون ان تقف ثانية واحدة،على محل من محلات هذه الشوارع وذلك في مجرى تعريفها بالاصول العربية لهذه الاماكن ، كما التقطتا من الوثيقة النادرة الاهمية عن تشريد الفلسطينيين عام ٤٨ ، فقط ان هيئاتهم زرية ، علما انهم فوجئوا بالطرد والخروج من بيوتهم وقراهم وهم بملابسهم العادية ، دون وعي لاهمية الوثيقة بحد ذاتها كشاهد تاريخي على عملية الاغتصاب التي قامت عليها دولة اسرائيل · على ان كل هذا لم ينفع في ثني الاخ المتحمس عن عزمه على جمع التواقيع على الورقة التي يحملها · والهدف هذه المرة ان تعتذر ادارة المهرجان (عن اي شيء ؟!) وتعلن ذلك جهارا · والحق ان ادارة المهرجان ، مع كل ما سببه لها حوار الطرشان هذا من احراجات وتدويخات دون اي مبرر او منطق ، قد توهت

بهوية الفيلم وصاحبه ، ومسحت كلمة اسرائيل من على اللوحة التي تتضمن عروض كل يوم من ايام المهرجان · فهل اكتفى المتحمسون مع هذا ، بالقدر العجيب من حماستهم التي لا اعرف كيف اصفها ؟! كلا ، بل راحوا يشيعون ان الفيلم صهيوني ويتمسكون بهذه الفكرة ويماحكون باطلا في الذود عنها ·

وبعد ، فلئن كان شاقا على كثير من العرب في لايبزيغ ان يتفهموا سبب هذه الحماسة الدوغماتيكية لشيء لا يمت الى الحقيقة بصلة ، وما اثاره من دخان عكر لايام جو العرب في المهرجان وجو المهرجان بشكل ما ، فقد كان صعبا الى درجة الاستحالة ان يتفهم اصدقاؤنا الاجانب سبب هذه الضوضاء الغريبة ضد فيلم من هذا النوع · وكان عسيرا علينا للغاية ان نوضح لهم شيئا من هذا السبب · بل وزاد من المنا والم اصدقائنا ورفاقنا الاجانب ان ماريو ، هذا الشاب الباسل الذي حمل صوته المخلص في دعم قضيتنا ومحاربة عدونا، يأتي الى منبر عالمي فيجد الترحيب والاحاطة من الجميع ما عدا العرب · ويبلغ الالم ذروته حين تتوافق الضوضاء المعادية لفيلم ماريو مع وصول انور السادات الى اسرائيل وقوله لصقور الالة الحاكمة والعسكرية الاسرائيلية : شكرا على كل شيء ·

ولكن العزاء اتى من جهود وتفهم كثرة العرب المشتركين في مهرجان لايبزيغ ، فدعموا ماريو وفيلمه ، ولعب في هذا دورا اساسيا الوفد الفلسطيني الذي توج موقفه الواعي من الفيلم بمنحه جائزة منظمة التحرير الفلسطينية ·

سعيد مراد

تنويه

نشرنا في العدد الماضي من « شؤون فلسطينية » وثيقة الوحدة الفلسطينية التي وقعت عليها المنظمات الفلسطينية في طرابلس ، وقد سقط سهوا اسم جبهة التحرير العربية ، فاقتضى ذلك منا التنويه ·

« شؤون فلسطينية »

اصداء

الاداب ، ربع قرن من الاستمرار ·

ربع قرن · جيل كامل من الكلمات والصيغ · وبعد ربع قرن ، لا يــزال سهيل ادريس يقف الى جانب الاوراق ورائحة الحبر واحزان الآخرين · والآداب تصدر · الكلمات تلد الكلمات والادب يلد الادباء ، والادباء يحلمون بالكتابة التي لم تكتب · والآداب تصدر ·

تقرأ الصفحات التي لا تنتهي ، فتكتشف انك امام تاريخ حقيقي · تكتشف ان الكلمات ليست مجرد كلمات · انها كائنات تتحرك في كل اتجاه · تستطيع البكاء كما تستطيع الضحك · وحين تموت ، ينزف دمها · تاريخ الثقافة العربية المعاصرة يتمدد نائما او مستيقظا او في سبات عميق على الصفحات البيضاء التي بدأت تتلون بالاصفر · هنا نجد صورا صغيرة وصورا كبيرة لادباء سابقين وادباء لاحقين · لنقاد واشباه نقاد · الجميع اتفقوا على شيء واحد · اتفقوا ان الآداب هي ساحة ابداع وساحة صراع · داخل صفحاتها يتآخى عقائديون من منابع مختلفة · يجلس سارتر الى جانب ماركس ، وعبد الناصر الى جانب لينين · الفكر القومي والفكر الوجودي والفكر الماركسي والفكر السلفي والفكر الحديث · الشعر الجديد والشعر الجديد الذي ليس جديدا · فلسطين والجزائر · الحي اللاتيني والخندق الغميق · طه حسين ورئيف خوري ولويس عوض و ··· الجميع مروا من هنا · الجميع كتبوا او استكتبوا او نشروا · انشودة المطر للسياب وعاشق من فلسطين لدرويش · القصة الوجودية والقصة الواقعية والقصة الجديدة · حقل تجارب وحقل تأثير · سعدي يوسف وهاني الراهب وممدوح عدوان و ·· ثم القضية · قضية القومية العربية · قضية عبد الناصر وقضية الثورة الجزائرية وقضية الثورة الفلسطينية · الوحدة والانفصال · الماضي والمستقبل والغرب · وكولن ويلسن وريجيس دوبريه ·

عالم كامل · عالم ثقافي مليء بالتناقضات لكنه عالم هادف · تحويل الثقافة القومية الى ثقافة حديثة · استكمال عصر « النهضة » واستكمال بناء اشكالية النموذج « الغربي » مع العداء الشديد لوجوده السياسي والعسكري · هذا التوجه العام هو الذي يحكم تناقضات الاداب وسيرورتها الطويلة بين امجاد الوحدة والام الانفصال · بين النصر الجزائري

ومذابح عمان · بين هزيمة حزيران والحرب الاهلية في لبنان ·

هكذا ترسي الاداب توجها ثقافيا يتحول في تعبيره عن نفسه ، من احتضان القصيدة الجديدة الى احتضان نقدها السلفي · ومن التحديث الاجتماعي الى الماضوية الفكرية ، ومن وجودية سارتر الى اباحية مورافيا وفظاظة كولن ويلسن وثورية دوبريه ·

بين هذين الحدين النموذج ورفضه ، يقع توتر الاداب وقلقها وانتصاراتها وهزائمهـا · انها مشدودة الى محورين · يمزقها تناقض داخلي هو التناقض الذي يمزق الحركة القومية في تقدمها وتراجعها · واذا كانت الاداب عبر نبرتها القومية ، استطاعت ان تحافظ على وجودها ونموها ، فان اختيارها الاساسي هو مبرر هذا الوجود وقاعدته المادية · ذهبت الى الحداثة دون ان تدمر نفسها داخل وهم النخبة الغربية كما فعلت « شعر » · لكنها ، وعبر احتضانها لتناقضات الحركة القومية ، احتضنت بذور التراجع التي بدأت مع هزيمة حزيران ووصلت ذروتها في احتلال اليمين للواجهة وقيادته لعملية تهميش الامة باسرها ·

بعد ربع قرن لا يزال سهيل ادريس يجلس الى جانب الكلمات · يبحث عن افق وسط زمن الانكسار · تتراجع الاداب او تتقدم · لكنها هناك ، صوت مرحلة وصدى صعودهـا وتراجعاتها وانهياراتها ·

بعد ربع قرن ، لا تزال الاداب تحمل احزان الواقع ، تحيله الى الاف الاوراق المطبوعة · ولا يزال الادب يلد الادباء ، والكلمات تلد الكلمات ·

النقـد الاكاديمي

بصدور كتابه الجديد « ملامح يونانية في الادب العربي » (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت) يكون اسهام د· احسان عباس النقدي قد وصل الى احدى ذراه المتالقة · فبعد « تاريخ النقد الادبي عند العرب » ، ودراساته المتعددة حول الادب الاندلسي ، وتحقيق العديد من المخطوطات الادبية الثمينة ، يستطيع احسان عباس ان يمارس النقد التاريخي بهدوء وتاني الباحث الذي لا هدف له سوى خدمة الحقيقة · يكشف في سياق مسيرته داخل موروثنا الادبي عن اوجه هذا الموروث وتفاصيله · عن اشكالياته ورؤيته · فتاتي الملامح اليونانية لتسد فراغا · وربما ، ولانها تتعامل مع ارض جديدة ، فهي تحاول ان تكتشف مسالك الدرب ، تزيل الكثير من اللبس ، ولا تخلص الى استنتاجات نظرية شاملة · فطبيعة الباحث في احسان عباس ، لا تريد استعجال النتائج · بل تضع همها الاساسي في اكتشاف المقدمات · دراسة المسالة من جوانبها المختلفة ·

ينطلق الكتاب من سؤالين : « يمثل هذا البحث في مجموعه ، محاولة للاجابة على سؤالين يختلطان معا احيانا ، اولهما : ماذا ترجم العرب من ادب يوناني ، وثانيهما : ما هي الطرق التي استغل فيها الادب العربي الثقافة الاغريقية ، سواء كانت تلك الثقافة علما او ادبا او فلسفة · ومهما يكن من شيء ، فان القول بتقبل الادب العربي لمؤثرات اجنبية ، ليس انتقاصا من اصالته ، او استهانة بعناصر تلك الاصالة » ·

ومع الاجابة على السؤالين ، نمضي مع المؤلف في رحلة الاكتشاف · نتوقف عند الفارابي: « ويعتمد الفارابي في احكامه نظرة موضوعية مقارنة ، فهو قد وقف على اشعار كثير من الامم لا على اشعار العرب واليونان فحسب ، فعرف ان العرب يعنون بنهايات الابيات اكثر من سائر الامم الاخرى ، وانهم لا يجعلون التلحين او النغم المرافق للانشاد جزءا من الشعر

نفسه ، بينما تفعل ذلك بعض الامم الاخرى ، فاذا قرئت اشعارها دون اللحن بطل وزنها ٠ ويتطرق الفارابي من ذلك مشكلة اخرى وهي : اذا تمت عناصر التخييل في القول ولكن لم يبن على وزن وايقاع محدد فهل يسمى شعرا ؟ ويجيب على ذلك بقوله : انه لا يعد شعرا ولكنه قول شعري » ٠

وبعد جولة واسعة في الترجمة واكتشاف مناهل الاثر اليوناني ، نتوقف طويلا عند اوميروس الشاعر « فهو امرؤ القيس اليوناني » ٠ ونرى كيف اختلط هذا الشاعر بالعديد من الشعراء الاخرين نتيجة مشاكل الترجمة ٠ وكيف تم الخلط بين اوميروس وايسوبيوس ٠ ثم وفي فصل كامل نتوقف عند اثر ايسوبيوس في الشخصيات والامثال العربية ، كما في موقف عبد المسيح بن بقيلة الحيري « الذي بعث به قومه ليقابل خالد بن الوليد حين توجه لفتح الحيرة ، ما يعيد الى الذهن بعض مواقف ايسوب ٠ فقد سأله خالد حين حضر بين يديه : اين اقصى اثرك ؟ قال : ظهر ابي ، قال : ومن اين خرجت ؟ قال : من بطن امي ٠ قال : علام انت ؟ قال : على الارض ٠٠٠ » ثم نتوقف عند ترجمة الشعر الخمري اليوناني الى العربية ، كما نتوقف عند اثار رثاء الحكماء للاسكندر في الثقافة العربية ، وعند الاثر اليوناني في عبد الحميد الكاتب ٠ ثم يفرد المؤلف ملحقا « خرافات على ألسنة الحيوان ، وملحقا اخر « مراثي الحكماء في الاسكندر » ٠

دراسة احسان عباس هي استكمال لبحث دقيق في الادب العربي القديم ٠ تأتي الى القديم كي تضيئه من داخلـه ٠ فتقدم نموذجا للدراسات الاكاديمية التي لا تسقـط في شرك « الاستشراق » ، حيث يستحيل الماضي العربي مجرد صدى لماض اخر ، ودون ان نسقط في تمجيد الذات بشكل مخادع ٠

فلسطين التي لا تـزول

في مجموعة اللوحات عن مدن فلسطين ومواقعها ، التي جمعها اسماعيل شموط في كتاب **فلسطين تاريخ وحضارة** (نشر وتوزيع صامد) ٠ نشعر اننا امام الماضي الـذي لا يزول ٠ امام احساس شامل بالانتماء الى ارض ومدن وأسوار من التحدي ٠ تكبـر في فلسطين التي كبرت بالدماء ، وصارت اكثر من وطن ٠

يلتقط الكتاب الكتب التي روت ٠ لا يشير الى مصدر الرسوم ٠ يكتفي بالتواريخ ليقول شهادة فنية ٠ شهادة انتماء الى الارض ٠ تمر امامك فلسطين وكأن العصور لم تكن الا كتابات على أسوار القدس التي هدمت ثم اعيد بناؤها ثم هدمت ثم اعيد ٠٠ كان المدينة والمدن الاخرى ، شهادة لنا بأننا كنا الفعل التاريخي ٠ هكذا يأتي الفـن الى فلسطين ٠ وتقف المدن الى جانب المدن ، والتلال الى جانب التلال ، والحجارة فوق الحجارة ٠ والفن يمتد كأنه مجرد شهادة للبقاء وشهادة للمستقبل ٠

والمستقبل هو الفعل ٠ فلسطين ليست الماضي انها المستقبل ٠ يأتي الفن العربي والعالمي الى بيروت ، في اول معرض بهذا الحجم من أجل التضامن مع الثورة الفلسطينية ٠ **ففي اواخر اذار ٧٨ ، سيقام في جامعة بيروت العربية اكبر تظاهرة فنية عالمية من اجل فلسطين٠** لوحات والوان وشريط من الدم الذي يلتف حول بيروت ، هي شهادة من أجل المستقبل ٠

الكـاتب الفلسطيني

تنفيذا لقرارات مؤتمر تونس ، صدر العدد الاول من مجلة اتحاد الكتاب والصحفيين

الفلسطينيين ، **الكاتب الفلسطيني** ، لتشكل رافدا جديدا من روافد الثقافة الوطنيــة الفلسطينية ، التي تنمو في لهب الكفاح الشعبي المسلح · الصوت الادبي الفلسطيني هو صوت الثورة · يخرج من تفاصيل الممارسة الفلسطينية التي يمهرها الدم والهجرات والصراع · هذا هو تحدي « الكاتب الفلسطيني » · وتحدي الكتابة العربية التقدمية في زمن القهر والتراجع والمصادرة والاستبداد ·

في عددها الاول شباط ـ فبرايــر ١٩٧٨ ، تفتح المجلة صفحاتهـا للانتاج الفكـــري الادبي · فنقرأ لناجي علوش ونزيه قورة وعبد القادر ياسين وهاني مندس وفيصل دراج ابحاثا سياسية ونقدية · كما تنشر قصائد لابي سلمى وحسن البحيري ، ومحمد القيسي ونزيه ابو عفش ومعين بسيسو ورسول حمزاتوف ، وقصصا لرشاد ابو شاور ورسمـــي ابو علي ويحي رباح · ومقابلة مع الشاعر عبد الكريم الكرمي اعدها يحي خلف · وتفتـح ابوابها لعرض النتاج الادبي الجديد وللادب العالمي مع مايكوفسكي وبريشت ·

الكتابة الفلسطينية تنمو · والبندقية الفلسطينية لا تتراجع · تحية الى **الكاتب الفلسطيني** من أجل الافق الواحد الذي يضمنا الى لهبه ·

الياس خوري

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ٢٥/١١/٧٧ ـ ٩/٢/٧٨

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر ـ البلاغ العسكري: رقم	المصدر ـ البلاغ العسكري: تاريخ
١	٧٧ـ١١ـ٢٦	١٥ر٢٢	بيت لحم	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	غير محدد	ـ مقتل وجرح عدد من افراد العدو المكلفين بحراسة المنطقة . ـ اصابة عدد من سيارات الشرطة الصهيونية المتواجدة في مكان الانفجار .	ـ	ـ	ـ	٧٧ـ١٤٧	٧٧ـ١١ـ٢٥
٢	٧٧ـ١١ـ٢٥	٤٥ر١٢ ظهرا	حي رحلفيا ـ القدس	تفجير	شحنات ناسفة مشركة	غير محدد	غير محدد	ـ اصابة عدد غير محدد من افراد العدو . ـ تحطم معظم زجاج المدرسة العسكرية ـ تضرر عدد من السيارات المتواجدة في المكان	ـ	ـ	ـ	٧٧ـ١٤٨	٧٧ـ١١ـ٢٦
٣	٧٧ـ١٢ـ٢٩	٣٠ر٢١	القدس ـ باصات شركة ايجد	تفجير	عبوة ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ مقتل واصابة عدد من افراد العدو المتواجدين داخل الباص في المحطة المركزية تدميرا تاما .	ـ	ـ	ـ	٧٧ـ١٤٩	٧٧ـ١٢ـ٢٧
٤ ★	٧٧ـ١٢ـ٢٩	٥ر٧ صباحا	ناتانيا ـ السوق المركزي	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	٢	غير محدد	ـ اصابة عدد غير محدد بجراح مختلفة . ـ مقتل اثنين من افراد العدو الصهيوني . ـ تصدع جدران المحل التجاري واتلاف معظم محتوياته . ـ تحطم زجاج معظم المحلات المجاورة .	ـ	ـ	ـ	٧٧ـ١٥٠	٧٧ـ١٢ـ٣٠
٥	٧٧ـ١٢ـ٢٨	ـ	محطة بئر السبع ـ احد باصات شركة ايجد	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	٣	١ ـ اكتشفت العبوات ثم انفجرت . ٢ ـ تدمير جزء من الباص تدميرا تاما . ٣ ـ جرح ثلاثة من المستوطنين ومن بينهم سائق السيارة .	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ١	٧٨ـ١ـ٤
٦ ★	٧٧ـ١٢ـ٢٩	ـ	القدس ـ مستودع تعبئة انابيب الغاز	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غير محدد	غير محدد	١ ـ تدمير المستودع تدميرا تاما . ٢ ـ قتل وجرح جميع العاملين . ٣ ـ اعطاب بعض السيارات المتوقفة . ٤ ـ التهمت النيران المستودعات بكاملها .	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٢	٧٨ـ١ـ٤
٧	٧٨ـ١ـ٤	٠٠ر٨ صباحا	القدس ـ حي الزاهرة بنك العمال	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	١	غير محدد	ـ مقتل خبير المتفجرات . ـ اصابة عدد من افراد العدو المتواجدين . ـ تدمير اجزاء مبنى البنك .	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٣	٧٨ـ١ـ٤
٨	٧٨ـ١ـ٨	١٥ر٦ صباحا	القدس ـ محطة الباصات المركزية تجمع لافراد العدو	هجوم	قنبلة يدوية	٢	غير محدد	ـ قتل اثنين من افراد العدو . ـ جرح عدد غير محدد شوهدت سيارات الاسعاف تقوم بنقلهم .	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٤	٧٨ـ١ـ٩
٩	٧٨ـ١ـ٨	٥ر٢١	كريات جات ـ مصنع لوقات للمواد البلاستيكية	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	ـ	ـ	ـ احراق المصنع والمستودعات التابعة له بالكامل . ـ احراق مكاتب الادارة واقسام البيع . ـ تقدر هذه الخسائر بـ ٣٠ مليون ليرة .	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٥	٧٨ـ١ـ٩
١٠	٧٨ـ١ـ٢٥	٠٠ر٢٠	القدس ـ شارع لموليل هنابي بناية لمخابرات العدو .	تفجير	عبوة ناسفة شديدة الانفجار	ـ	غير محدد	١ ـ اصابة ثلاثة من افراد العدو . ٢ ـ تدمير اجزاء من مدخل المبنى وتصدع الجدران من الداخل .	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٦	٧٨ـ١ـ٢٦
١١	٧٨ـ٢ـ٣	١٠ر٧ صباحا	شارع بن يهودا ـ القدس مركز الشرطة الصهيونية .	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	١ ـ اصابة عدد غير محدد من افراد الشرطة وخبراء المتفجرات بين قتيل وجريح . ٢ ـ تصدع جدران مبنى الشرطة وتحطيم زجاج جميع الابنية . ٣ ـ اصابة عدد كبير من سيارات الشرطة .	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٧	٧٨ـ٢ـ٤
١٢	٧٨ـ٢ـ١٠	٥٠ر٢٢	القدس ـ الجمعيات الاستهلاكية في شارع يافا	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ تكبد العدو خسائر مادية وبشرية كبيرة .	ـ	ـ	ـ	٧٨ـ٨	٧٨ـ٢ـ٩

٤ ★ اعترف العدو في برنامج الظهيرة، بان عبوة ناسفة انفجرت في ناتانيا كانت بوزن ١ر٥ ـ ٢ كلغم على الارجح ، وقد وقع الانفجار في شارع « شوهم » في ناتانيا ، وادى الانفجار الى خسائر كبيرة في الممتلكات . في المحلات التجارية وفي المباني السكنية المجاورة . واضاف مراسل الاذاعة يصف الشارع : « لقد فرش شارع شوهم خلال ثوان بالنوافذ المحطمة وباجزاء من النوافذ الخشبية ، وبالبضائع التي قذف بها الانفجار من المحلات التجارية حتى الابنية التي تبعد ٢٠٠ مترا عن مكان الانفجار ، اصيبت باضرار » .
(برنامج الظهيرة ، الخميس : ٢٩ـ١٢ ـ ١٩٧٧ ، ص ٢٥٣ ، العدد ١٢٧٨) .

٦ ★ اعترف العدو في نشرة اخبار الساعة ٠٠ر٧ بوقوع انفجار في القدس الشرقية . وقد اوردت الاذاعة النبأ كما يلي : « في شرقي القدس القيت صباح اليوم قنبلة يدوية قرب محطة المحروقات القريبة من بوابة نابلس ، واصيب شخص واحد بجروح طفيفة) .
(رأا الاحد ٨ـ١ـ١٩٧٨ ، ص ٧٧ ، الساعة ٠٠ر٧ ، العدد ١٣٨٥) .

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Mahmoud Darwish: *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria L L 60. other Arab countries L L 75 or equivalent, Europe L L 100 elsewhere L L 125: *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World L L 65. *Address:* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351261 : Cables : MARABHATH.

السعر: ٥ ل.ل. في لبنان
٦ ل.س. في سوريا
٦٥٠ فلساً في الكويت والعراق
١٠ دراهم في دولة الامارات العربية
٦ ل.ل. في سائر الاقطار العربية
٨٥٠ درهماً في ج.ع.ل.